

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

17

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2003 - 1424



المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/0629

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 2 - 024 - 03 - 9981 (الجزء 17)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة
المغرب بدعم من وزارة الثقافة
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

معلمة المغرب

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

عباس **ارحيلة**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **أشعبان**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
عمر **أفـا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الصغير **الإفراني**، باحث
عبد الواحد **أكمير**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **إيشرخان**، باحث ـ الرباط
ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للصيد البحري
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
بلكامل **البضاوية**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **البقالي اليدري**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الإله **بلمليح**، باحث
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **بنعبد الله**، باحث ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش
حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد المجيد **بهيني**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
فاطمة **بوستة**، باحثة ـ الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
محمد السوسي **البهاوي**، باحث ـ تطوان
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
نجيب **تقي**، باحث
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، كلية العلوم ـ وجدة
محمد **الرفاص**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **رمان**، باحث ـ أگادير
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الخالق **الزرواطي**، المركز الوطني لتربية الأسماك أزرو
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
محمد **السعديين**، وزارة التربية ـ سلا
عبد القادر **سعود**، باحث
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق ـ الرباط
أحمد **شحلان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ العطاوية
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، باحث ـ مكناس
محمد بن **عبد الجليل**، باحث ـ فاس
امحمد ابن **عبود**، كلية الآداب ـ تطوان
سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
أحمد أمزال **العسري**، باحث ـ الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
برحاب **عكاشة**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
عبد العلي **العمراني**، باحث
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علي **القاسمي**، باحث ـ الرباط
عبد الله **القجيري**، صيدلي ـ سلا
سليمان **القرشي**، باحث
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
لطيفة **الكندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية ـ الرباط

ببيليوغرافيا إضافية
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

أحد تلاميد الشيخ سيدي الغازي
- *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،
- *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،
- *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 - 1995 -

ارشيبالد لويس،
- *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960.
- مجموعة جريدة السعادة، خ. ع الرباط،
- *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس ونانط*.

أحمد سعيد **أعراب**،
- *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 - 43 - 44.
- *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
- *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
- *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفـا**،
- *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
- *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،
- *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،
- *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989.

أ. **أمزيان**،
- *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فكيك ما بين 1845 - 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن **بابه العلوي**،
- *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،
- *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب*.

أبراهيم **باشا البغدادي**،
- *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،
- *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،
- *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،
- *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،
- *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيث **براون**،
- موجز *تاريخ سلا 1000 - 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،
- *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 - 1912)*، ضمن وقفات في *تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
- *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، وجدة، 1993.

م. بن حمو **البنحياتي**،
- *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،
- *الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

ع. العزيز **بنعبد الله**،
- *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957.
- *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد **بنعبد الله**،

- *فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف*، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.

شوقي **بنعزوز**،

- *الماء ذلك التحدي المستمر*، الرباط، 1994.

عبد العزيز **بنكاعو**،

- *الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.

ع. اللطيف **بنمنصور**،

- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية*.

م. **بنهاشم**،

- *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، فاس، 2000.

الزاكي **بنيونس**،

- *أبو القاسم السهيلي مفسراً*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.

ع. القادر **بوراس**،

- *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوكافر بجبل صاغرو*، مراكش، 1990.

إبراهيم **بوطالب** وآخر،

- *سبتة ومليلية - تاريخ وواقع*، الدار البيضاد، 1981.
- *لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً*، *المناهل* عدد 16 سنة 1987.

م. **بوطربوش**،

- *أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.

محمد **بوعزيز**،

- *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، مراكش، 1993.

بوشتى **بوعسرية**،

- *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، جمعية *أساتذة التاريخ*، مكناس، 1990.

م. **بوغالي**،

- *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.

م. **بوكبوط** وأحمد **البوزيدي**،

- *وثيقة مغربية عن معركة بوكافر هيسبريس تمودا*، ع 35، 1997.

محمد **بوهلال**،

- *المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، 1998.

ضياء الدين ابن **البيطار**،

- *الجامع لمفردات الأدوية والاغدية*، 1992.

إبراهيم **التادلي**،

- *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.

ع. الهادي **التازي**،

- *أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، مجلة *المناهل*، ع 35 دجنبر، 1986.
- *جامع القرويين*، بيروت، 3، 798.
- *قصر البديع*، مجلة *البحث العلمي* ع. 28، 1978.

المهدي **التجكاني**،

- *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987.

عبد السلام **تشاح**،

- *جغرافيا النبات*، الدار البيضاء، 1990.

ابن مريم **التلمساني**،

- *البستان*، الجزائر، د. ت.

ع. الرحمن **التمنارتي**،

- *الفوائد الجمة*، مخطوط، ص 48 - 49 - 154.

م. **التميمي**،

- *المستفاد في مناقب العباد*، مخطوط.

الجزيري،

- *المقصد المحمود*، مخطوط.

عبد الحميد **الجلامي**،

- *مونوغرافية صخور الرحامنة*.

الجماعة القروية سيدي العايدي،

- *مونوغرافية سيدي العايدي*، مرقون.

جماعة من الكتاب،

- *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية*، 1988.

- *دراسات حول المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى **الجنابي**،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

جواهري،
- *جامع الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى **الجوهري**،
- *شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي**،
- *تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي**،
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن **الحرش**،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني**،
- *فهرسة*، 69، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب**،
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل **الحضري**،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 ـ 11، 1998.

م. **الحلوي**،
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد **حمام**،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

حوالة أحباس المساكين لمكناس، مخطوط.

م. **الحيمر**،
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*.

الفقيه **الحيوني**،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى **الخالقي**،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد **الخضري**،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم**،
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي **الخطابي**،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الاسباني*، مجلة المناهل، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، المناهل، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- *مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب**،
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب**،
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخمليشي**،
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 ـ 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي **الخياري**،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

تعيمة الداويميش،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة*.

عصمت ع. اللطيف **دندش**،
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **ركوك**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل **روسي**،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- *رحلة*، مخطوط.
مرتضي **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
محمد **زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
محمد **زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
الزهري،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات شراع، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
السخاوي،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
سلفاتوري،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،
- *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.
ع. السلام **السميح**،
- *مقدمة تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.
م. الرضي **السناني**،
- *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
- *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.
أحمد ابن **سودة**،
- *في حديث المفتي*، مسيرة نضال وثبات، ط 2، الدار البيضاء، 1987.
علي **السوسي الفاسي**،
- *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.
م.المختار **السوسي**،
- *أنا والأدب*، مخطوط.
عبد الله **السويسي**،
- *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.
مصطفى **الشابي**،
- *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.
التهامي **الشاكري**،
- *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
عبد القادر **الشاوي**،
- *السلفية والوطنية*، مجلة *المناهل*. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.
عمر كمال **شبانة**،
- *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها* ، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 ـ 1973.
شجرة عائلة شعشوع،
- *رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني 1292*، مخطوط.
محمد المعطى **الشرقي**،
- *سفر المرائي والبشارات*، مخطوط.
م. بن الطيب **الشركي**،
- *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
- *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.
أ. **الشريشي**،
- *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، ع. ع.
أبو القاسم **الشريف السبتي**،
- *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.
محمد **الشريف**،
- *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 ـ 14 م)* ، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.
ع. الله **شقرون**،
- *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.
علال ابن **شقرون الكريمي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط.
أحمد **شقور**،
- *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.
أ. **الشكري**،
- *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو ظبي، 1999.
حمو بن محمد **الشكري**،
- *تقاييد*، مخطوط.
محمد **شلال**،
- *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 ـ 1323.
محمد **شماعو**،
- *جريدة الوداد*، سلا.
الشيخ أ. ابن **الشمس**،
- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.
ابن **الشماع**،
- *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : المعموري، ليبيا ـ تونس*، 1984.
محمد الأمين **الشنكيطي الصحراوي**،
- *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنكيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.
أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.
أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية، تعريب عبد الكريم بوعلو*، الرباط، 1932.
الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.
محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.
المصطفى **شويكي**،
- *علاقة مدينة سطات بالشاوية*، حوليات كلية الآداب عين الشق - الدار البيضاء، ع 5، 1988.
زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 - 1994.
أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.
ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.
أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.
خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 - 1886)*، الدار البيضاء، 1990.
م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.
علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.
عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.
ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية،
- *تطوان*، تطوان، 1952.
لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.
م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.
محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنكيطي*، سلا، 2000.
م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.
محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.
ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.
محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.
ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.
ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.
أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.
محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988.

ابن **العريف**،
- *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
أحمد **عزاوي**،
- *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 - 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب*، المحمدية، 1999.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *معلمة معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.
أحمد **العزفي**،
- *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
- *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.
ابن **عطاء الله الاسكندري**،
- *لطائف المنن*، بيروت، 1998.
ع. الله علي **علام**،
- *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.
التقي **العلوي**،
- *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ع 33.
- *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.
الزكي **العلوي**،
- *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.
عبد الحميد **العلوي**،
- *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.
محمد بن الطيب **العلوي**،
- *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
- *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.
ابن **العماد الحنبلي**،
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.
محمد **عمارة**،
- *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.
عمالة شيشاوة،
- *مونوغرافية شيشاوة*، الدا البيضاء.
ج. د. **العمراني اشيطار**،
- *طنجة بين سنتي 1900 - 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 - 1996.
محمد **عمراني**،
- *جامعة القرويين*، 1914 - 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
محمد **عمراوي**،
- *دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.
العمري،
- *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
أحمد **العمّاري**،
- *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.
عبد الله **عنان**،
- *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.
م. **عناني**،
- *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
ف. **العيساوي**،
- *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
ألبير **عياش**،
- *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.
المختار **غازي**،
- *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.
عبد الرحيم **غنيمة**،
- *تاريخ الجامعات الإسلامية*.
محمد **الغيث النعمة**،
- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
عبد الاله **الفاسي**،
- *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.
ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.
علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.
محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة المناهل عدد 23.
محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط.
أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القوية عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.
ابن **فركون**،
- *ديوان ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.
ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.
حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة الأكاديمية، عدد 15.
أحمد **القادري**،
- مع هؤلاء : *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.
القاضي النعمان بن محمد،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.
محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح*.
عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الثائر*، الدار البيضاء.
أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.
صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986.
زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد*.
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*.
ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغاري، د. ت.
جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان، ع. 6، 1961.
إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.
عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.
محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.
الكفيف الزرهوني،
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.
عبد الصمد **كنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.
عبد الله **كنون**،
- *التعاشيب*، تطوان، د. ت.
عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

محمد **الكيكي**،
- *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997.
محمد **اللبار**،
- *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م. أعمال مهادة لابراهيم بوطالب*، الرباط، 2000.
- *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، جمعية تاريخ المغرب، يونيه، 1993.
سعيد بن عمر **لمعاشي**،
- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي*، الرباط، د. ت.
أبو بكر **المالكي**،
- *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.
المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال،
- *ميثاق الاستقلال القومي*، الدار البيضاء، 1946.
أحمد **متفكر**،
- *ذيل الإعلام*، مخطوط.
مجهول،
- *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط.
- *الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب*، مخطوط، خ. ع.
- *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط. خ. ع.
- *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط.
الحسن **المحداد**،
- *الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.
محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، *وثائق خ. ح.*
محفظة 1323، *وثائق خ. ح.*
حسن أحمد **محمود**،
- *قيام دولة المرابطين*.
عبد الحليم **محمود**،
- *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.
- *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة، د. ت.
مصطفى **محمود**،
- *السر الأعظم*، القاهرة، د. ت.
مديرية الإحصاء،
- *المغرب في أرقام 1999*، الرباط، 2000.
م. خليل **المرادي الدمشقي**،
- *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*.
مربيه ربه،
- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.
مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية،
- *التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 - 1996*، مجلة أبحاث، عدد خاص، الرباط، 1977.
المركز السينمائي المغربي،
- *الفيلم المغربي الطويل*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- *الفيلم المغربي القصير*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
نجاة **المريني**،
- *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*.
محمد العربي **المساري**،
- *المغرب ومحيطه*، الرباط، 1998.
محمد **المسعودي**،
- *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989.
مصطفى **المسناوي**،
- *أبحاث في السينما المغربية منشورات الزمن*، العدد 27، الرباط، 2001.
المشرفي،
- *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966.
حسن أحمد **المصمودي**،
- *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر*، تطوان.
أحمد **معنينو**،
- *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959*، الدار البيضاء، 1986.
الشفيق **مقار**،
- *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990.

المقريزي،
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
المكاوي،
- *صورة أوروبا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، أطروحة، فاس، 1996.
- *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19*. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
محمد **مكيمل** وآخر،
- *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
عمر ابن **الملقن**،
- *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
صلاح الدين **المنجد**،
- *تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب*، 1959.
المندوبية السامية للمقاومة،
- *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الرباط، 1996.
م. **منصور**،
- *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، الرباط، 1989.
ابن **منكلي**،
- *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
م. **المنوني**،
- *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953.
- *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، ع 1. 1988.
م. **المهناوي**،
- *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين*.
ع. **المودن**،
- *منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان 1982*.
سوزان **ميلار**،
- *صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)*، الرباط، 1995.
أحمد الخليفة ابن **ناصر**، والحسين ابن **شرحبيل**،
- *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.
جعفر **الناصري**،
- *سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي*، مخطوط.
المهدي **الناصري**،
- *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.
م. **الناني ولد الحسين**،
- *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
أبو الحسن **النباهي**،
- *المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس*، بيروت، 1983.
درويش **النخيلي**،
- *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الاسكندرية، 1974.
أ. **النويري**،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
دافيد منتغومرى **هارت**،
- *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة واجهة، ع مزدوج، 2001.
م. **الهبطي المواهبي**،
- *مفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.
إبراهيم **الهلالي**،
- *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*، الدار البيضاء، 1985.
أ. **الهلالي**،
- *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981.
تقي الدين **الهلالي**،
- *الهدية الهادية للطائفة التجانية*.
م. بن سعيد **الهنا**،
- *كنز الأسرار لواقع الأفكار*، مخطوط.
ابن جابر **الوادي آشي**،
- *برنامج ابن جابر الوادي آشي*، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

محمد **وحيد**،
- *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً*، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.
ابن **الوردي**،
- *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939.
وزارة الاشغال العمومية،
- *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*.
عبد العلي **الوزاني**،
- *خاطبات من فاس*، مجلة المناهل، دجنبر، 1979.
محمد حسن **الوزاني**،
- *خطب وتصريحات صحفية*، أربعة أجزاء - بيروت، 1988.
- *دراسات وتأملات*، ثلاثة أجزاء - بيروت، 1987.
م. أيت بومهاوت **الوسخيني**،
- *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*.
وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق،
- *هذه هي الحماية في مراكش*، القاهرة، 1953.
بنعبد الله **الوكوتي**،
- *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996.
مختار **الوكيل**،
- *جنيف والسياسة الدولية*، جنيف.
محمد التهامي **الوكيلي**،
- *السحر*، الرباط.
ولاية أگادير،
- *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، أگادير، 1999.
المختار **ولد حامد**،
- *حياة موريتانيا - الجغرافيا* - بيروت، 1994.
جعفر بن منصور **اليمن**،
- *كتاب الكشف*، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles
cités dans l'encyclopédie

AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi, A.B.*, III, 1918.

ALLAIN, Ch., *Reconnaissances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, 1er - 2e tri., 1954.

ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I. El Antequra, H.T.*, 1960, fasc. 3, vol. 1.

ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.

BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.

BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.

BASSAC, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz, B.S.G.A.*, 3e trim., 1929.

BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelle, 1974, 2 vol.

BELAL, A., *L'investissement au Maroc, 1912 - 1964*, Paris, 1976.

BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires,* Paris, 1997.

BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanism*e, Paris, 1972.

BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.

BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.

BERNARD, P., *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord.*

BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953.

BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.

BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, B.A.M.*, 7, 1967.

BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T.*, 1966.

BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.

BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*, Paris, 1975.

BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S, H.T.*, fasc. un, 1982-1983.

BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration, F.M.*, n° 3, 15 mai 1917.

CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.

CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle*, *A.I.E.O.*, V, 1939-1941.

CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.

CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.

CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.

CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.

CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.

CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, fasc. 2, juin 1968.

CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.

CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3e cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.

CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petitles villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.

CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age*, *Hesp.*, 3e -4e trim., 1957.

COLIN, G., *Shawia*, *E.I.*, 1ere éd.

CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.

CORNICE, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.

COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc*, *R.G.M.*, n° 10, 1966.

COUR, A., *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, 1905.

CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.

DEMUCE, J., *L'Afrique au 16e siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937.

DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.

DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.

DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, 3-4 trim., 1956.

Dossier sur le cinéma marocain, *Souffles*, n° 2, 1966.

DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.

DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, *H.T.E.*, n° 6, 1973.

DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne*, *H.T.*, XIII, fasc. uni., 1972.

ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.

EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.

EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zônes d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.

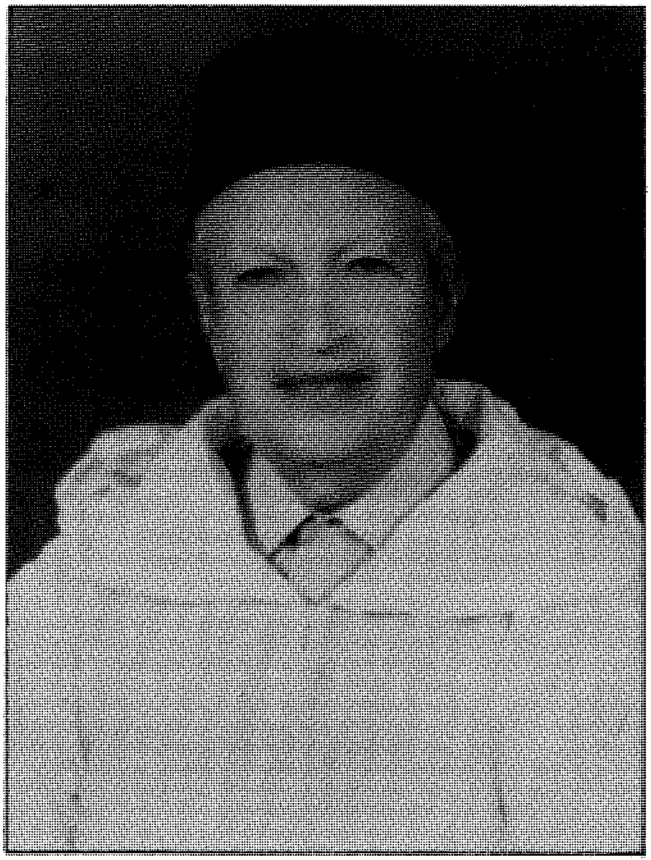
EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.

ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.

EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

FAGNAN, E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.
FLOURIOT, J., *L'oleiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966.
GALLAOUI, M., *La critique au pluriel*, Casablanca, 2002.
GODINHO, *L'économie de l'empire portugais, 15-16e s*, Paris, 1930.
GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927.
GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain, B.E.F.A.R.*, 1912.
GRAILLOT, M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord, R.A.*, I, 1904.
GRASSET, Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1906.
GROVE, A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.
GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.
HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.
HOST, G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.
HUOT, *La situation politique en Chaouia, Août-Décembre 1907, B.S.G.M.*, fasc. 2-3, 1922.
L'industrie marocaine des parures, B.I.D.M., juil. 1942.
JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*, Rabat, 1995.
JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.
JAIDI, M. D., *Public(s) et cinéma*, Rabat, 1992.
LA CHAPELLE? F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, vol. 8, 3e-4e trim., 1928.
LE CORBUSIER, *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.
LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.
LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.
LAHBABI, A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.
LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.
LENOIR, E, BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique, Africa Romana*, 1998.
LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893, B.I.H.M.*, juil. - sept. 1932.
LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.
LUCCIONI, J., *Avénement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927, R.O.M.M.*, XII, 1972.
MAILLOT, D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.
MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.
MASSON, P., *Histoire des établissement et du commerce français, 1560-1793*, Paris, 1903.
MATHIAS, J., *L'artisanat marocain, B.E.S.M.*, n° 96-97, 1963.
MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain, A.F.*, n° 12, 1903.
MAUNY, A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.
MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman, Hesp.*, 3e-4e trim., 1959.

MEUNIER, J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus, Hesp.*, 1-2 trim., 1957.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII. 1914.
MICHAUX-BELLAIRE, E. *Les impôts marocains, A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zône, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.
MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.
MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.
MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s*, Paris, 1983.
MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.
NIANE, Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.
OLIVIER, F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937.
PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique*, *B.A.A.*, VI, 1975-1976.
PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.
PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.
RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome 1.
ROUCH, J., *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.
SEGONDS, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d].
SIGELMASSI, *Les plantes médicimales au Maroc*, Casablanca, 1993.
SMAILI, M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945*, Oujda, 1996.
SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.
TARRIT, C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.
TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.
TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.
TIMOULE, A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.
TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc*, in *Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.
TUBERT, *La Chaouia, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.
VOINOT, L., *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A*, 1926.
WEISGERBER, F., *Les Chaouia*, Paris, 1907.
ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.
ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.



المرحوم الأستاذ محمد حجي
مؤسس معلمة المغرب
2003–1923

الصويري، أحمد بن **عبد الله** الإدريسي الحسني التناني المراكشي، اشتهر بنسبته إلى مدينة الصويرة لنشأته بها. بارع في المعقولات من حساب وتوقيت وتنجيم وفلك وتعديل وهيأة وتسطير الرخامات الشمسية وعملها بيده، مع المشاركة في العربية والفقه والحديث.

درس بجامع ابن يوسف، وله ثلاث *كناشات علمية*، واحدة دوَّن فيها ما سمعه من فوائد من أشياخه ومؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة واللوغاريتم؛ *وكناشة في الهندسة*، وثالثة في *قسمة ماء فاس*، وتعرف *بكناشة الصويري*.

كان أبوه عبد الله نديماً لعبد الرحمن بن هشام لما كان والياً بالصويرة، ولما ولي الملك قدم المترجم مع والده إلى مراكش واستقر بها إلى آخر حياته. وقد سماه السلطان محمد بن عبد الرحمن رئيس المهندسين، وعينه الحسن الأول رئيس قوّاد الطبجية، وخليفة وزير الحرب. وكان مع ذلك لا ينقطع عن التدريس. تخرج على يده عدد من الحيسوبيين والمهندسين المراكشيين مثل محمد بن المكي المسفيوي، وعبد القادر العلج ومحمد بن سعيد الجرجوزي. وكان يحضر مجالس *صحيح البخاري* في حضرة السلطان، ويكلف بمهمات، صموتاً كتوماً، كريم المائدة لا يأكل وحده، ويوزع المال والكساوي والأضحيات على المساكين.

توفي يوم الجمعة 23 محرم عام 1320 / 2 ماي 1902 عن نحو أربع وتسعين سنة، ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي.

أحمد الصويري نفسه، *كناشته العلمية*، مخطوط؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1974، ج 2؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356.

الصويري، أحمد بن **علي** الأسفي، ولد بسوس عام 1293 / 1876 انتقل صغيراً إلى الصويرة ودرس بها ثم رجع إلى سوس وتابع دراسته، قبل أن يتوجه إلى فاس لإتمام دراسته علي يد الشيوخ محمد بن المدني كنون وأحمد بناني كلاً وجعفر الكتاني وغيرهم وأجازوه جميع مروياتهم.

اشتغل بالتدريس في الصويرة وأسفي وتخرج على يده عدد من نجباء الطلبة.

وألف عدة شروح وتعليقات على الكتب التي كان يدرسها، منها *شرح البردة والهمزية* في السيرة النبوية، وشرح *لامية الأفعال* لابن مالك، *وتلخيص الشفا* لعياض، وتعليق على *الشمائل وصحيح البخاري ولامية الزقاق والمرشد المعين*. اطلع الكانوني على بعض هذه الكتب في مسوداتها وقال عن مؤلفها "إنه كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حافظاً للقراءات السبع ذا حظ وافر من الإنشاء والترسيل مع حسن الخط وجودة الضبط ومواصلة التدريس وبث العلم والاعتناء بالكتابة والتقييد... وناب عن قاضي أسفي واستكتبه بعض عمال هذه المدينة لقلة ذات يده وكثرة عياله".

توفي بأسفي يوم الثلاثاء 6 رمضان عام 1335 / 20 نونبر 1936 ودفن بمقبرة رباط أبي محمد صالح.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8: 2900.

محمد حجي

الصويريّة القديمة، تقع في الهامش الجنوبي الغربي للمسيطا الأطلنتية، وقد برزت هذه المنطقة على إثر الغزو البرتغالي للشواطئ المغربية.

تنفرد الصويرية القديمة بشاطئ يمتد على أزيد من كيلو مترين وبقر بها من مدينة آسفي التي تبعد عنها بحوالي 34 كلم فقط.

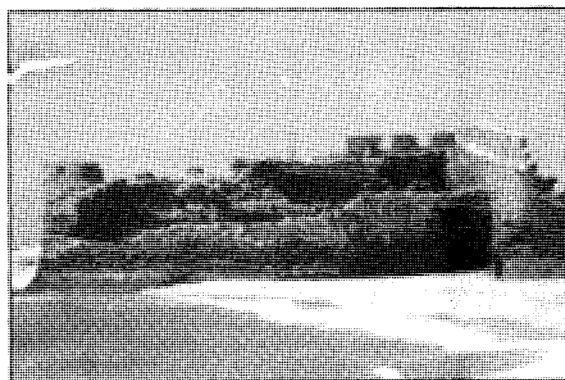
يشكل الشاطئ خليجاً بحرياً ولجيّاً يحده جرف حي منحوت في تكونات بليورباعية حثية، ويشرف عليه جهة الداخل جرف أكثر ارتفاعا مهجور ومنحوت في الركيزة

الجوراسية وبين الجرفين يمتد منخفض مستطيل هو عبارة عن ولجة.

يعتبر شاطئ الصويرية أهم محطة سياحية بالإقليم، يتميز بمؤهلات طبيعية وسياحية قليلا ما تتوفر في الشواطئ المغربية. من أهمها :

- وجود غابة كثيفة تمتد على مئات الهكتارات لتشكل حزاما أخضر توفر من جهة الظل للمصطافين وتخلق مناخا مجهريا يتسم بالاعتدال الحراري، كما تقي الشاطئ من تأثير هبوب رياح الشرگي، ومن جهة ثانية يتجمع بها وحيش متنوع. يستمتع به القناصون الذين يقصدونها خلال فترة القنص.

يزيد الشاطئ جمالا توفُره على مصب واد تانسيفت الذي يفرغ فيه الرواسب السيليسية، القادمة من المنطقة المحورية لأطلس مراكش، التي تعتبر أصل الرمال الذهبية الهائلة التي تميزه. تتجمع عند هذا المصب بعض الطيور المهاجرة أهمها وأكثرها عدداً النحام ذو اللون الوردي والسيقان والأعناق الطويلة.



- يُوجد عند الضفة اليسرى لهذا المصب ضريح سيدي حْساين وقصبة حميدوش التاريخية، لا يعرف بالضبط تاريخ تشييدها وهناك من يرجعها إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل.

- وجود قلعة برتغالية، تطل مباشرة على البحر وتشهد على الدور التاريخي لهذا الشاطئ.

- نصادف على بعد أربع كيلومترات من هذا الشاطئ دار القايد الحاجي وهي بمثابة رياض يزخر بفن معماري مغربي أصيل مزين بفسيفساء.

- يمتاز الشاطئ أيضاً بوجود ميناء صغير، تم إنجازه بدعم ياباني. يرسو به أزيد من 300 زورق ويضم قرية للصيادين. وتشتهر المنطقة بتنوع ولذة أسماكها (الشراغي، أمزوغ، بوشوك، الروبيو، الفرخ وحداد...).

يوفر الشاطئ إلى جانب الصيد والقنص إمكانيات هائلة للرياضة الملاحية والجولات المنظمة مشيا على الأقدام. كما يعرف حركة اقتصادية مهمة نظراً لتوافد المصطافين عليه للاستجمام والتخييم من إقليم أسفي ومراكش والبيضاء.

ويعتبر مخيم الصويرية غير منظم، تطبعه البداوة، التي تنعكس جلية في مرافقه التجارية والترفيهية.

لهذا السبب تولت المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء لمنطقة تانسيفت مشروع الاصطياف بالصويرية القديمة، وهو مشروع أصبح جاهزاً في السنوات الأخيرة دون أن يلقى إقبالا للمستثمرين والمصطافين، خصوصا وأن إعادة تصميم المدار المحيط بالشاطىء امتدت على ما يناهز 100 هكتار، قدمت بأثمنة مناسبة جداً. ازدهر الشاطئ اقتصاديا في منتصف القرن 20 (1945) بإقامة وحدات صناعية لتصبير السمك من طرف بعض المستثمرين الأجانب. لكن توقف نشاطها مباشرة بعد الاستقلال وتعرضت للدمار.

عموماً يتوفر شاطئ الصويرية القديمة على مؤهلات سياحية فريدة لم تستثمر بعد بالشكل الذي يؤهل المنطقة من الناحية الاقتصادية والعمرانية.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

ابن **صْويلَة** ويكتب بَنُو صْويلَةْ وبَلَنْصْويلَةْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Valenzuela و Palenzuela ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 289.

ابن **صيَّام** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benxean - Benxeam.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 290.

محمد ابن عزوز حكيم

صيتيوس Sittius روماني كان له نشاط اقتصادي وعسكري في المغرب القديم، خلال عهد الملك مستانيسيسوس Mastanesosus وابنه بكوس Bocchus الثاني.

أوجز گسيل لمحة عن علاقته مع الملك الموري قائلا : "كان له عدة أصدقاء من بينهم كيكرو Cicero، الذي تولى القنصلية سنة 63 قبل الميلاد. ورث ثروة واسعة وأراد أن ينميها بعمليات بنكية في الولايات التابعة لرومة وخارجها. ثم اشترك في إحدى العمليات الكبرى مع أحد ملوك موريطانية، واضطر لتمويلها أن يقترض في رومة أموالا طائلة. فلما حل وقت الدفع عجز عن الأداء، فتقاضاه الدائنون. غير أنه لم ينتظر الحكم، وغادر إيطاليا عند بداية سنة 64 قبل الميلاد فورد على ولاية إسبانيا البعيدة ثم على موريطانية التي كان يوجد بها في أواسط سنة 64 قبل

الميلاد. وكانت هذه الرحلة لشؤونه كما أكد كيكرو". والجدير بالذكر أن الملك الموري مستانيسوس هو الذي تعنيه مشاريع صيتيوس. اتفق الدارسون على أن الرجل قام بدور الوسيط التجاري وهو في موريطانية يجمع القمح الكافي لتموين رومة. وقد أصبح ممونها الرئيسي سنة 56 قبل الميلاد.

وبعد ذلك نجده قائدا للجيش في جند الملك الموري بكوس الثاني. وكان له دور حاسم في صفوف بكوس وهو يحارب مع قيصر ضد بومبيوس ما بين سنتي 46 و47 قبل الميلاد، حيث قامت بين قيصر وأتباع بومبيوس حرب أفريكا Africa، نسبة للولاية التي أقامها الرومان في منطقة نفوذ قرطاجة بعد القضاء عليها سنة 146 قبل الميلاد. وأهم المعارك التي خاضها مع بكوس الثاني هي الهجوم على مملكة يوبا الثاني المتحالف مع بومبيوس، وخلال هذه المعركة تم الاستيلاء على مدينة كيرتة العاصمة التقليدية للملوك النوميديين Cirta، فعجز يوبا الأول عن استرجاعها. كما تمكن صيتيوس من القضاء على صابورا Saburra قائد جند يوبا الأول الذي كلفه بالتصدي لعدوان خصومه الموريين.

ولما انتصر قيصر على أعدائه أقام ولاية رومانية جديدة في شرق نوميدية تدعى Africa Nova. ثم أقطع لصيتيوس ولبكوس الثاني قسما من نوميدية، فكان من نصيب صيتيوس القسم المتصل بالولاية الجديدة، والباقي ضمه الملك بكوس الثاني إلى مجال نفوذه. وحينئذ بلغت الحدود الشرقية لمناطق نفوذ بكوس الثاني نهر أمساگا Ampsaga.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1990، فاس، مرقونة ؛ نفسا، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، 1998، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة ؛ نفسه، *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، ندوة المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، 1999، ص. 7 ـ 20.

Cicéron, *Pro Sulla*, 20, 56 et 58 ; *Bellum Africum*, 25 et 36 et 48 et 93 et 95 ; Salluste, *Catilina*, 21, 3 ; Appien, *Guerres Civiles*, 4, 54 ; Dion Cassius, 43, 3 ; S. Gsell, 1912-28, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris ; F. Bertrandy, *L'Etat de Publius Sittius et la Numidie Cirtéenne (1er s. av. 1er s. ap. J.-C)*, 1912-28, Thèse de Doctorat d'Etat, Université Paris IV, Sorbonne. Dactylographiée.

محمد مجدوب

الصيد البحري نشاط اقتصادي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد. وقد عرف هذا القطاع تطوراً هاماً خلال العقود الثلاثة الأخيرة نظراً لازدهار الأسواق السمكية الوطنية والأجنبية وخاصة منها الأسواق الأوروبية التي عرفت إقبالا هاماً على الموارد السمكية المغربية بشتى أنواعها. كان قطاع الصيد يخضع إلى إدارة الملاحة البحرية والصيد البحري خلال الفترة الممتدة بين 1933 ـ 1969. لقد أنشئ بالدار البيضاء سنة 1946 معهد للصيد البحري ليقوم بأبحاث علمية تتعلق بعلوم الأحياء للمصايد تهدف إلى تقييم وفرة وتوزيع الأنواع السمكية المستغلة ودراسة العوامل التي تؤثر على تغيرات مخزونات الثروات السمكية ليتم استغلالها المستديم بكيفية عقلانية رشيدة. وبعد تأسيس المكتب الوطني للصيد البحري بالدار البيضاء بمقتضى ظهير 21 فبراير 1969، أسند إليه هذا القطاع ليقوم بتدبير منتجات البحر على المستوى الأول ويسهر على تنظيم الصيد على الصعيد الوطني. يشكل هذا المكتب نقطة الالتقاء الرئيسية لقطاع الصيد يتمركز حولها جميع العاملين بالقطاع كما يعتبر المتدخل الأساسي داخل هذا القطاع والمؤهل لتنمية الإنتاج والرفع من مستواه. ويُعنى هذا المعهد بكل ما يهم مجال الصيد من دراسات أوقيانوغرافية تتعلق بالأنشطة الساحلية وبالأحياء المائية ومراقبة مستمرة لجودة وصحة الوسط البحري عن طريق شبكة مكونة من عدة مراكز ومحطات جهوية موزعة على السواحل المتوسطية والأطلنطية. ويتوفر على باخرتين علميتين : باخرة الشريف الإدريسي وباخرة الأمير مولاي عبد الله، يستعملهما لأخذ العينات من مختلف الأوساط البحرية واستكشاف أسراب الأسماك السطحية لتقييم وفرتها. ويسهر حاليا بتعاون مع اليابان على إنشاء مركز جهوي بأگادير يهدف إلى تحسين تقنيات الإنتاج وتثمين منتوجات المصايد. وينتمي إلى وزارة الصيد أيضاً المعهد العالي لتقنيات الصيد البحري بأگادير يتوفر على باخرة الحسني المجهزة بمعدات حديثة للتكوين. كما توجد ثلاثة معاهد أخرى للتكوين في مجال تقنيات الصيد في كل من طانطان والحسيمة وأسفي ومراكز أخرى للتأهيل في الدار البيضاء والعيون والداخلة والعرائش.وقد مر تطور هذا المكتب عبر ثلاث مراحل :

تميزت المرحلة الأولى (1969 ـ 1981) بتعدد المهام والاختصاصات المسندة إليه : تدبير أسواق السمك، البحث العلمي، النهوض بالصيد في أعالي البحار، تنمية وتنظيم الصيد الساحلي والتقليدي، تسويق منتجات البحر، التفاوض بشأن اتفاقيات الصيد مع السوق الأوروبية المشتركة، وإسبانيا والبرتغال والاتحاد السوفياتي.

شهدت المرحلة الثانية (1981 ـ 1996) إحداث وزارة الصيد البحري والملاحة البحرية وإعادة اختصاصات المكتب الوطني للصيد : تدبير أسواق السمك، الصيد البحري مع إعفائه من تدبير النشاطات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار وتوزيع وتسويق منتجات الصيد.

تميزت المرحلة الثالثة (1996 ـ 2002) بإعادة تحديد موقع المكتب الوطني للصيد وإعادة اختصاصاته بموجب ظهير 29 يوليوز 1996، عرفت هذه المرحلة فصل البحث العلمي الذي تم مع إحداث المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري. ترتكز المهام المسندة للمكتب على تنمية الصيد الساحلي والتقليدي وعلى تنظيم وتسويق منتجات الصيد.

أنشئت وزارة خاصة بالملاحة البحرية والصيد البحري سنة

1981، ثم وزارة مستقلة بذاتها للصيد البحري سنة 1997 تسهر على تنظيم وتدبير شؤون الصيد في إطار إستراتيجية التنمية الاقتصادية المستديمة لقطاع الصيد البحري مع إعطاء الأولوية للمحافظة على الثروة السمكية وتحسين استغلالها ومراعاة معايير الجودة في جميع حلقات المنظومة السمكية. تعتمد الوزارة على المعطيات العلمية في كل المخططات الخماسية والتدابير لاستغلال الثروات السمكية الوطنية وفي كل مفاوضات ترخيص الصيد للأجانب أو للحرفيين المغاربة. يقوم بإنجاز المعطيات العلمية المتعلقة بالمخزونات السمكية الوطنية باحثون متخصصون في علوم البحار بالمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.

تكونت أخيراً أربع غرف للصيد البحري بموجب قانون رقم 4.97 المتعلق بنظامها الأساسي والمطبق بالظهير الشريف رقم 88.97.1 الصادر في 2 أبريل 1997 : غرفة الصيد البحري المتوسطية وغرفة الصيد البحري الأطلسية الشمالية وغرفة الصيد الأطلسية الوسطى والغرفة الأطلسية الجنوبية. وهذه الغرف مؤسسات دستورية تتمتع بالاستقلال المالي تحت وصاية وزارة الصيد البحري وتتكون من أعضاء منتخبين وتتألف من عدة لجن منها لجنة المحافظة على البيئة والثروات البحرية ولجنة الطحالب والأحياء المائية. تمثل هذه الغرف قطاعات الصيد البحري لدى السلطات العامة الوطنية والجهوية والمحلية وتسعى إلى تزويد الحكومة بالآراء والمعلومات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار والصيد الساحلي والتقليدي وتربية الأحياء المائية وكذا أعمال استغلال الموارد البحرية الحية الساحلية. وتقدم أيضا الاقتراحات المتعلقة بأنظمة الصيد البحري وتستشير الوزارة في إعداد وتطبيق مخططات تهيئة المصايد وإدارتها وفي كل تدبير يهدف إلى تحسين ظروف الشغل في قطاع الصيد البحري. تعمل هذه الغرف أيضاً على توسيع عملية تسويق المنتوج البحري واكتشاف وسائل جديدة للرفع من قيمة المنتوجات البحرية وتقوية علاقات التعاون مع المنظمات المهنية الدولية ومع المنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية. توجد على رأس هذه الغرف جامعة غرف الصيد البحري بالرباط تنسق وتسهل الاتصال بينها وبين الوزارة والحرفيين وتزود غرف الصيد بالمعطيات والإحصائيات الوطنية والدولية المتعلقة بالقطاع المتوفرة لديها، وكذا بالوسائل التنظيمية والقرارات الإدارية.

يهدف المخطط الخماسي 2000 - 2004 لوزارة الصيد البحري إلى رفع القيمة المضافة لقطاع الصيد البحري وتحسين تنافسيته دون إفراط في الاستغلال للثروة السمكية مع مراعاة تحسين الأمن الغذائي وتدعيم ميزان الأداءات وذلك وفق مفهوم الصيد المستديم والمسؤول الذي يمكن من استغلال عقلاني للموارد السمكية على امتداد المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة.

كما يتيح مناسبة لوضع معالم اقتصادية طموحة لتهيئة الساحل تقوم على تركيز أقطاب واعدة للتنمية المستديمة تعطي فرصا للشغل وتحافظ على جودة المنتوج. ويسعى في إطار استراتيجية الصيد وتأطيره إلى :

- تأهيل الأسطول الساحلي بتحسين ظروف السلامة والعمل والجودة والنظافة على متنه ؛
- إعادة هيكلة سفن الصيد في أعالي البحار ؛
- تتميم بناء وتجهيز ميناء الداخلة وإنعاش موانئ طرفاية، سيدي إيفني، أصيلا، رأس كبدانة، الصويرة، مهدية، العرائش، وبناء ميناء بوجدور ؛
- إنشاء 4 قرى للصيادين في إطار برنامج MEDA و5 قرى أخرى في إطار برنامج دعم منتجات الصيد وتثمينها، مع تزويدها بتجهيزات أساسية ؛
- إنشاء 29 نقطة إفراغ مهيأة على طول الساحل بدعم من صندوق الحسن الثاني.

يبلغ عدد الأنواع السمكية المستغلة في المغرب حوالي 350 تشمل الرخويات والأسماك والصدفيات والقشريات والطحالب ؛ يأتي على رأسها السردين والأنشوفة والشرن والإسقمري. تتراوح كميات المنتوجات السمكية المصطادة في المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة بين 625000 ومليون طن سنويا كما يوضح الجدول ذلك.

الكمية بالطن / السنة	1996	1997	1998	1999	2000	2001
الصيد البحري	525021	661646	607129	622160	765241	978519
الصيد في أعالي الجبال	90855	111493	91438	125007	133510	122485
السردين	393362	497821	436048	430715	539785	763689
إسقمري	16988	28775	11622	18035	34381	25890
الأنشوفة	12447	24955	40992	40220	22096	47393
الشرن	15471	12512	9936	12799	15144	12268
التونيات	5727	8780	8605	6715	7521	5028
الدرعي - القاروس	167	153	138	169	123	225
الزريقة - دنيس	229	111	133	147	241	299
الروبيو (دجاج)	2286	2216	2834	3160	4874	4334
سمك النازلي - ميرلا	2750	2074	1070	1988	2792	4055
القرب	869	1542	1263	2462	1755	1534
الباجو	6971	7876	7456	7228	8492	8701
سمك موسى - الصول	1340	1675	1543	2622	5952	3788
الرخويات	15647	18587	24204	33690	51039	38114
القشريات	2045	3206	4031	4581	4507	4606
الصدفيات	21	9	155	234	461	384
الطحالب	7625	8094	7049	8528	12068	7000
المضرية	448	771	1894	1202	1642	2700
المرجان الأحمر	4	3	2	5	8	7
المجموع اسنوي للمصايد	625195	783190	708481	758159	913339	1111498

يتكون أسطول الصيد البحري المغربي من حوالي 3000 سفينة متخصصة في صيد أصناف معينة من الموارد السمكية والطحالب والمرجان وذلك حسب التجهيزات ومعدات الصيد الموجودة على متنها. يوضح الجدول التالي

أصناف وحدات أسطول الصيد المغربي وتطور عدده خلال الأربع سنوات الأخيرة.

يتكون أسطول الصيد الساحلي والتقليدي من أكثر من 11 صنفا :

صنف السفن / السنة	1998	1999	2000	2001
السفن الجرافة Chatuliers	436	449	463	426
سفن صيد السردين Sardiniers	408	426	434	415
سفن حبال الصنانير Palangriers	976	970	958	918
سفن الجر والسردي	282	279	267	312
سفن الصنانير والسردين	211	204	198	217
سفن الجر والصنانير	86	82	80	91
سفن المرجان	15	15	15	14
سفن المضربة	22	22	22	26
سفن جراد البحر Langoustiers	4	4	4	4
سفن مختلفة	61	61	61	63
سفن الطحالب	22	22	22	22
المجموع	2508	2524	2538	2523

يتكون أسطول الصيد في أعالي البحار من حوالي 450 وحدة متخصصة في صيد الرخويات كالحبار والأخطبوط والسبيدج وفي صيد القمرون وأنواع الأسماك السطحية الكبيرة كسمك التون وأبي سيف وغيرها. ويبين الجدول التالي نوع الأصناف وتطور عدد وحدات الأسطول الوطني طيلة الأربع سنوات الأخيرة.

الصنف / السنة	1998	1999	2000	2001
سفن الرخويات	336	333	329	329
سفن القمرون	60	59	59	60
سفن الجر السطحية مجمّدة	5	5	5	5
سفن جبال الصنانير للتون مجمّدة	4	4	4	4
سفن بُبردة	21	21	21	21
سفن الجر مُجمّدة	28	28	28	28
المجموع	454	450	446	446

تصدر معظم منتجات مصايد أعالي البحارطرية مُبَرَّدة أو مجمَّدة إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية وتوزع كميات منتجات الصيد الساحلي والتقليدي على الأسواق السمكية الوطنية ووحدات التجميد والتعليب وصناعة دقيق وزيوت الأسماك. وتبلغ نسبة استهلاك الأسماك الطرية والمبردة بداخل المملكة حوالي 25٪ من المنتوج السنوي العام أي ما يعادل حوالي 200.000 طن وبهذا يبلغ معدل الاستهلاك النسبي السنوي لكل فرد 8 ـ 11 كيلو گرام. تتغير هذه النسبة حسب المناطق المغربية فتقدر بحوالي 30 كيلو گرام للفرد في السنة في الناظور وكيلو گرام واحد في تازة. تُحوَّل كمية كبيرة من سمك السردين إلى صناعة الدقيق والزيوت وقد تجاوزت هذه الكمية 505000 طنا سنة 2001 لتنتج حوالي 100.000 طن من الدقيق و25000 طن من الزيوت. يوضح الجدول التالي تطور كميات حصيلة الموارد السمكية حسب استعمالها طيلة الخمس سنوات الأخيرة :

كمية المنتوج بالطن / السنة	1996	1997	1998
الاستهلاك	169413	148191	182476
التعليب	138627	141760	147233
التجميد	3263	14387	22025
صناعة الدقيق وزيوت الأسماك	213720	357285	255308
شبه التعليب Semi-conserve	23	84	446
طعم صيد الأسماك			
مجموع كمية الصيد البحري	525022	661646	607129
كمية المنتوج بالطن / السنة	**1996**	**1997**	**1998**
الاستهلاك	188921	253519	267739
التعليب	169679	129831	39423
التجميد	37048	56301	53775
صناعة الدقيق وزيوت الأسماك	222233	321528	5058692
شبه التعليب Semi-conserve	1413	5674	
طعم صيد الأسماك	3833	2649	6216
مجموع كمية الصيد البحري	622160	765241	978519

وزارة الصيد البحري، *محاور الاستراتيجية الوطنية للصيد البحري*، 2000 ـ 2004، ص. 12، 2000 ؛ المكتب الوطني للصيد، *الصيد الساحلي والتقليدي بالمغرب*، المخطط الخماسي، 2002 ـ 2006، 2002، ص. 22.

Ministère de la Pêche Maritime, *La mer en chiffre*, 2001 ; *Rapport d'activité*, 2001 ; *Valorisation et consommation des produits de la mer*. Conseil supérieur pour la sauvegarde et l'exploitation du patrimoine halieutique. Atelier 3, 2002.

محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

الصيد البري أو القنص، نشاط ترفيهي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد وطوروه عبر العصور فوضعوا له قوانين تهدف إلى توازن بيئي طبيعي يربط الثروة الوحشية بالبيئة وبحياة الإنسان. وقد صدر أول ظهير شريف يتعلق بشرطة القنص في 6 ذي الحجة 1341 (21

يوليوز 1923) تلته خلال العقود الأخيرة عدة ظهائر شريفة وقرارات وزارية تغير وتتمم قوانين تسيير وتنظيم الصيد في المغرب. تسهر إدارة المياه والغابات على تنظيم وتسيير قطاع الصيد البري، وقد صدر في هذا الباب قرار وزاري رقم 62 ـ 585 في 5 جمادى الثانية 1382 (3 نونبر 1962) يسن نظاما مستمرا للقنص. ونظراً للإقبال المكثف على هذا النشاط الترفيهي والرياضي فقد تأسست في السنوات الأخيرة قرابة 100 جمعية للقنص موزعة على مختلف المناطق المغربية، تدافع عن مصالح القناصين وتقوم بنشاط مكثف حسب المنطقة التي توجد فيها وحسب الإمكانيات المتوفرة لديها. وتأسس أيضاً المجلس الأعلى للقنص ليساهم في تسيير وتنظيم الصيد البري إلى جانب إدارة المياه والغابات والجامعة الملكية للصيد.

تقوم الوزارة المكلفة بالمياه والغابات بتحديد تاريخ افتتاح وانتهاء موسم القنص والنظام الخاص الجاري عليه خلال كل سنة وذلك بعد تنفيذ القرار الصادر عن الاجتماع السنوي المنعقد بمقر الوزارة بين ممثلي الجامعة الملكية للصيد والمجلس الأعلى للقنص وممثلي بعض الجمعيات

وقد صدر قرار وزاري في 24 ـ 7 ـ 2000 باقتراح من المجلس الأعلى للقنص ليغير ويتمم قوانين القنص خلال مواسم 2001 ـ 2002 ـ 2003. وهذا القرار يمنع قنص وأسر أنواع الطرائد المحمية التالية : الأسد والنمر والفهد والضبع والقرد والأيل المغربي وأنواع الغزلان والأروي وثعلب الماء والنمس والوشق والفنك والسنور الوحشي والضربان والشنصر والزريقاء وشيهم عرفان والقنفذ والسنجاب والفقمة والزواحف والطيور الكواسر النهارية والليلية والحبارى والدراج وبط شوال وأنواع طير شهرمان وحجل الماء وسواق الإبل والغطاس والكروان والقطاة وبلقشة ذوقنبرة وبرهان سلطاني والحذف المرقط والبط الرؤاسي وغريرة صدأة. يحتاج قنص الأيل الأوروبي والأروية المغربية المرباة إلى رخص تمنح من طرف الوزارة المنتدبة المكلفة بالمياه والغابات.

يلعب قطاع الصيد البري دوراً هاماً في إنعاش السياحة في معظم مناطق المملكة ويخلق فرصا للشغل بالعالم القروي. ونظراً للتقلبات المناخية التي عرفتها بلادنا خلال السنوات الأخيرة تراجعت بعض أصناف الطرائد وتكاثرت ظاهرة القنص اللامشروع الذي يهدد ديمومة حيوانات القنص، ولهذا فإن الوزارة والجامعة الملكية للقنص يسهران على تضافر الجهود مع الجمعيات للحد من هذه الظاهرة وإنشاء محطات جديدة لتربية الطرائد لتطعيم مناطق القنص التقليدي ومحميات القنص. كما تسعى الوزارة والجامعة إلى إعداد خرائط لمحميات القنص على صعيد كل منطقة لتفادي الغموض الذي يكتنف في غالب الأحيان حدود المحميات المرسومة في الخريطة المنجزة على الصعيد الوطني وذلك من أجل استغلال أمثل.

يوضح الجدول الزمني التالي فترات افتتاح وانتهاء القنص لموسمي 2001 ـ 2002 وكذا الأيام التي يباح فيها الصيد وعدد وحدات الطرائد المسموح بقنصها خلال كل يوم قنص للمغاربة والأجانب المقيمين بالمغرب :

أصناف الطرائد	فترة القنص	أيام إباحة الصيد	عدد الطرائد المسموح بها لكل قناص في اليوم
الحجل	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الأآد والأعياد	4
الأرنب	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الأآد والأعياد	1
القنية	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الأآد والأعياد	5
البط أخضر العنغ	1 أكتوبر ـ 10 دجنبر	الأآد والأعياد	4
كل أنواع البط	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	6
الشنقب	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	20
السلوى	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الأآد والأعياد	20
السمنة	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	السبت ـ الأحد والأعياد	20
الحلوف ـ الخنزير	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	ما عدا أيام الجمعة	1 لكل قناص
اليمام	8 يونيو ـ 30 يوليوز	الأآد والأعياد	50
الحمام الأزرق والحمام البري	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الأآد والأعياد	10
الإوز	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الأآد والأعياد	2
القنبرة البرية	1 أكتوبر ـ 25 فبراير	الجمعة ـ السبت ـ الأآد والأعياد	40

القنص في المغرب، مجلة الجامعة الملكية المغربية للقنص، العدد، 9، ص. 58، سنة 2000.

محمد خربوعة وعبد الخالق الزرواطي

الصيدلة بالمغرب، كان المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، فتجربته في ميدان الصيدلة لا تختلف عما كان معروفا في الأمة جمعاء من التداوي بالأعشاب، فكان الذي يجمعها ويحسن تركيبها هو بمثابة الصيدلاني، قبل أن تقع الثورة الصناعية في أوربا الغربية، وقبل أن يهتدي الصيادلة والعلماء إلى تركيب الأدوية الكميائية. وهذه الصناعة الصيدلية الجديدة هي التي دخلت المغرب بعد استعماره، بما فرضه الفرنسيون والإسبان من أدويتهم على المغاربة وبما نهلوا من خيرات البلاد النباتية والمعدنية لصناعتها. وقد رخصوا لمواطنيهم ببيعها في الصيدليات، ووضعوا الترتيبات القانونية والمسطرية لممارسة ذلك. فصدر أول ظهير منظم للمهنة يوم 12 أبريل 1916، الذي جعل فتح الصيدلية مقرونا برخصة من الكاتب العام للحكومة. ثم صدر ظهير آخر في دجنبر 1922، يعرف بالمواد السامة وبكيفية إنتاجها وبيعها واستعمالها للبشر والحيوان. ولما صار عدد الصيادلة يتكاثر، وكلهم من غير المغاربة، صدر ظهير بتاريخ 10 فبراير 1943، ينظم كيفية ممارسة أعمالهم، معرفا بأصنافهم وتخصصاتهم، ومدرجا كل صنف وكل تخصص في غرفة مهنية متميزة. فأقيمت ثلاث غرف، واحدة لأصحاب الصيدليات وخبراء التحليل البيولوجي، وثانية للصيادلة المتخصصين في صناعة الأدوية، وثالثة لتجار الأدوية ومن يوزعهم بالجملة على الصيادلة. وجعل

على رأس هذه الغرف، مجلس أعلى يعمل لدى المقيم العام في الرباط. وتقرر تعيين أعضائه من قبل الكتابة العامة للحكومة. وهذا الظهير هو الذي سارت بمقتضاه مهنة الصيدلة إلى أن ألغيت الحماية الأجنبية. وانكب المغرب يعيد النظر في ترتيب مصالحه ويرسم معالم المستقبل بمحض إرادته. وكانت البلاد في حاجة إلى الصيادلة لينخرطوا في النهوض بأحوال الصحة العمومية، ويقيموا صرح الصناعة الوطنية في مجال الأدوية. فقد كان عدد الصيادلة المغاربة المسلمين يوم استرجع المغرب استقلاله يعد على رؤوس الأصابع. ولم تتخرج أول امرأة في الصيدلة إلا سنة 1958، بحيث كان عدد الصيادلة من مختلف التخصصات في تلك السنة يناهز 400، عشرهم فقط من المغاربة بين مسلمين ويهود، والباقي من الفرنسيين والإسبان. وكانت الحكومة المغربية قد بادرت بإصدار ظهير 17 نونبر 1957، الذي أعاد النظر في التشريع الاستعماري. فألغيت الغرف المهنية السابقة، كما ألغي المجلس الأعلى. وأحدث مكانه مجلس وطني مؤقت للصيدلة (م. و. م. ص.)، مركب من عشرين عضوا، منهم عشرة صيادلة مغاربة وعشرة أجانب، يعيّنهم وزير الصحة العمومية، ليكونوا لديه بمثابة مجلس استشاري في شؤون الأدوية، وعليهم أن يضعوا مدونة قوانين المهنة وكيفية مراقبة ممارستها وزجر المخالفات. وكان هذا الظهير كالقنطرة التي عبرت بمهنة الصيدلة من فترة الاستعمار إلى مرحلة التصرف الوطني المطلق. فقد صدر ظهير بتاريخ 12 فبراير 1960. يقضي بإعادة النظر في كل المهن المتصلة بشؤون الصحة العمومية، إذ ليس شأن الصحة العمومية دون خطر شأن التربية والتعليم في أمور التنمية. ويعرف هذا الظهير بمعنى التخصص الصيدلي، وما هي وظيفة الصيدلي وحدودها. وأقيم للوقوف على كل ذلك ومراقبته هيأة للتفتيش، تعمل تحت إشراف المجلس الوطني المؤقت للصيدلة الذي منح صفة الشخصية المعنوية لينوب عن أصحاب المهنة في الحياة المدنية، ويتلقى طلبات الترخيص بفتح الصيدليات. وعندما يتحول إلى مجلس تأديبي، فلا بد أن ينضم إليه قاض من المجلس الأعلى للقضاء يعينه وزير العدل. وقد أصبح المغرب مدركا لحاجياته في الصيدلة بفضل تضافر الجهود بين أصحاب المهنة والمسؤولين الحكوميين. ونتج عن ذلك وعي بأن الحاجة إلى استيراد جل الأدوية من الخارج، لا يغني عن السعي في إقامة صناعة صيدلية وطنية توفر على البلاد العملة الصعبة وتشغل من المواطنين أكثر ما يمكن. ومما ساعد على ذلك في الستينات من القرن العشرين، ما جرى من هجرة الصيادلة الأوربيين للمغرب، وكذلك الصيادلة المغاربة اليهود بعد حرب حزيران 1967، فحل محلهم بالتدريج ما صار يتخرج من المغاربة المسلمين من كليات الصيدلة من كل جامعات العالم. وكان ذلك مدعاة إلى الإقدام على جعل أعضاء المجلس الوطني المؤقت للصيدلة موقوفا على المغاربة دون الأجانب. كما كان مدعاة للتفكير في الجوانب الصناعية، مع ما يرتبط منها بضرورة التمكن من الأسعار حتى تعرض الأدوية على الجماهير المستضعفة بأقل كلفة. وقد اختار المغرب النهج الليبرالي في الصناعة الصيدلية. وجاء ذلك على لسان الملك الحسن الثاني في خطاب العرش لسنة 1969، إذ قال : "وإلى جانب تكوين الأطباء، وتوفير أكبر عدد منهم، فإننا عنينا بصناعة الأدوية، وبذلنا لها من التشجيع ما هو كفيل بنموها وازدهارها، كما عنينا بما تستلزمه هذه الصناعة من مراقبة المصنوعات الصيدلية تفاديا لكل داء يمكن أن يتولد عن دواء غير صالح، فصناعة الأدوية ومراقبة الصناعة شيئان متلازمان، نحرص كل الحرص على أن يكون إنتاج مصانعنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمراقبة، وصلاحه مرهونا بفاعليتها. وإذا كان قصدنا من هذه الصناعة الوطنية توفير العملة الصعبة وتشغيل اليد العاملة، فإننا نستهدف من ورائها تخفيض أثمان الأدوية المصنوعة ببلادنا تخفيضا يجعل هذا الإنتاج في متناول الفقراء وذوي الإمكانيات القليلة المحدودة. وإننا لجادون في العمل على أن يكون هذا التخفيض أمرا مفعولا". وكان قد صدر في هذه الغاية قرار ملكي يحدث هيأة التفتيش الصيدلي لتتبع ما يجري في الصيدليات وفي المصانع، وذلك بتاريخ 16 شتنبر 1966. كما أقيم سنة 1969 مختبر وطني لمراقبة جودة الأدوية في الرباط. وهكذا صارت تقام كبريات المصانع الصيدلية من أمثال سماريب Smarip، ولابروفان Laprophan، وكووبير Cooper، وليبتي فارمغرب Le petit pharmaghreb، مجتمعة معظمها في الدار البيضاء، وبعضها في الجديدة وفي تمارة. وغني عن البيان أن هذه المصانع أقيمت بمساهمة كبريات دور الصناعة الصيدلية في أوربا من أمثال بايير Bayer وروش Roche وروسيل Roussel وديامانت Diamant وغيرها. وبذلك استطاع المغرب أن يوحد الإنتاج ويجعله مسايرا لطاقة السوق الوطنية، فانحصر عدد الأدوية المصنوعة في البلاد في 3500، بدلا مما كان يروج إبان الحماية، إذ كان عددها 8000 في منطقة النفوذ الفرنسي، و3000 في منطقة النفوذ الإسباني، فضلا عما كان من الخلط والإسراف في هذا الصدد في منطقة طنجة الدولية. ويوم تقرر سنة 1973 مغربة جميع المقاولات الأجنبية القائمة بالمغرب وإشراك الرسمال الوطني فيها بنسبة لا تقل عن نصف رسمالها، لم يتأت للقطاع الصيدلي مسايرة ذلك. ولكن الدولة أقدمت على إدخال بعض التصويبات على نظام المهنة. فصدر قرار ملكي بتاريخ 12 دجنبر 1976، يعوض المجلس الوطني المؤقت بمجلس وطني

لهيأة الصيادلة (م. و. ه. ص.) ينتخب أعضاؤه انتخابا ديموقراطيا، وينقسم إلى مجلسين جهويين، واحد للأقاليم الشمالية، ومركزه الرباط، والثاني للأقاليم الجنوبية، ومركزه الدار البيضاء، هذا فيما يعني أصحاب الصيدليات. أما أصحاب التحليل المختبري من البيولوجيين، فلهم مجلس خاص بهم، كما أن أصحاب الصناعة وكبار الموزعين، لهم مجلسهم أيضا. وكل مجلس ينتخب رئيسه، ونائب الرئيس والكاتب العام. وهؤلاء هم الذين يمثلون المجلس المتخصص في المجلس الوطني لهيأة الصيادلة الذي يتركب إذن من اثني عشر عضوا ينتخبون مكتبا للتسيير. ولايزال هذا التنظيم ساري المفعول. وقد ارتفع عدد الصيادلة سنة 1977 إلى 340، منهم 35 من الأجانب، بينما بلغ عدد أصحاب الصناعة والموزعين بالجملة 26، منهم 6 مغاربة و20 من الأجانب. وكان عدد البيولوجيين 34. وبذلك صار المغربي يخطو خطوات سريعة نحو تغطية حاجياته من الأدوية، وتوزيعها توزيعا محكما على جميع جهات المملكة بأقل ما يمكن من الكلفة. بل صار قادرا على إنتاج 80٪ من حاجياته إلى الأدوية، وإلى تصدير قسط منها. وجاء ذلك نتيجة لتكاثر المتخرجين في علوم الصيدلة، سواء من الجامعات الأجنبية أو من الكلية المغربية للطب والصيدلة التي أنشئت مطلع الستينيات من القرن العشرين، واشتغلت لإعداد الأطباء أولا الأمر، ثم لإعداد الصيادلة ابتداء من 1987، وذلك في أربع سنوات لمن يلجها من الطلاب الحاصلين على السلك الأول الجامعي من العلوم البيولوجية، مع حصر عدد كل فوج في ثمانين إلى مائة. ذلك بأن تكاثر عدد الصيادلة سرعان ما صار إلى التفاقم، سيما في العقد التسعيني، عندما بدأ يتخرج من دول أوربا الشرقية أعداد متزايدة منهم، جعلت المغرب يقترب من المعدل الدولي للتناسب بين عدد السكان وعدد الصيادلة، الذي هو صيدلي لكل خمسة آلاف نسمة. فإن عدد الصيادلة بلغ سنة 1996، 2907، منهم 1164 امرأة، و93 أجنبي. وفي سنة 1999، بلغ عددهم 4386، منهم 1765 امرأة، و88 أجنبي. مما يبعث مبدئيا على الارتياح، لو كان المجتمع المغربي قادرا على ضمان الشغل المثمر للجميع. أما وأنه مجتمع لايزال في طريق النمو، وطاقات جماهيره الشرائية متواضعة، فإن تكاثر الصيادلة يجعل بعضهم عاجزين عن مسايرة تكاليف المهنة. سيما وأنهم يفضلون المدن الكبرى في الغالب على المناطق النائية والقرى المنعزلة عند الإقدام على فتح صيدلياتهم. ولكن الدولة قد تتدارك جانبا من ذلك، يوم تقدم على بسط التغطية الصحية الشاملة لكافة شرائح المجتمع. ولقد عرض مشروع قانون بذلك على أنظار البرلمان. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن علوم الصيدلة والمهن المرتبطة بها، في أساليبها العصرية، قد بلغت سن الرشد في المغرب، فهي تستشرف المستقبل بحزم، مثبتة أنها قادرة على مواجهة كل ما يحتمل فيه من الرهانات.

عبد الله القجيري

صَيْدُون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان. كان منهم أحمد صيدون من فرقة المدفعية بحامية تطوان في رجب 1246 (يناير 1831) وأحمد بن الحاج عبد السلام صيدون تولى نظارة أحباس جامع المصيمدي سنة 1247 (1832) وعبد السلام بن محمد صيدون كان قائد العسكر النظامي بتطوان سنة 1294 (1877).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1130.

محمد ابن عزوز حكيم

صيرطريوس Sertorius، قائد عسكري روماني تدخل في أوضاع المغرب القديم سنة 82 قبل الميلاد، في خضم الصراع بين القائدين الرومانيين صولا ومريوس، وظل وفيا إلى آخر رمق لصاحبه رغم اندحاره.

ورد أول خبر حوله عند الجغرافي سترابون في الربع الأول من القرن الميلادي، وهو يرتاب مما كان يحكى من روايات حول المغرب القديم الذي يدعوه بموروسية Maurusia. يتعلق الأمر في هذه الروايات بالنطاق الساحلي الأطلسي في مرحلة سابقة عن الوجود الفنيقي بالبلاد. ويقدر الكاتب أنها روايات أسطورية.

أيا ما كان الأمر، فإن الكتاب القدماء أشاروا إلى بعض من آثار هذه المرحلة، على أنها كانت موجودة في وقتهم. إن بومبونيوس ميلا، الذي وضع كتابا في الجغرافية حوالي سنة 44 بعد الميلاد، يروي في هذا الصدد ما يلي : "كان أنتايوس Antaeus ملكا على موريطانية، وما يؤكد ذلك وجود ربوة تحتوي على ضريح هذا العملاق. ويبدو شكلها على هيئة إنسان نائم على ظهره". وفي حديث الكاتب عن طنجة قال : "إنها مدينة قديمة جدا أنشأها انتايوس. والدليل على ذلك توفر المدينة على درع ضخم مصنوع من جلد فيل، وهو لا يناسب أي إنسان حاليا، بينما يؤكد السكان أن العملاق كان يستعمله".

وقد أثارت هذه المخلفات المادية التي كانت معروفة في القديم فضول القائد الروماني سيرطويوس، فنقب في ضريح هذا البطل سنة 81 ق. م. قال سترابون في هذا الصدد : "إن المؤرخ الروماني گابنيوس Gabinius لم يتجنب الحديث عن هذه الخوارق لما تحدث عن موروسية ولا سيما كلامه عن ضريح أنتايوس Antaeus بناحية لونكس Lynx (يقصد لكسوس) فزعم أن هيكله يقدر بستين ذراعا (حوالي 27 مترا)، وأن صيرطريوس كشف عنه ثم أعاد دفنه".

ثم تحدث بلوترخوس في القرن الميلادي الثاني عن تدخل صيرطريوس في موريطانية وذكر في هذا الصدد ما يلي : "يحكي الليبيون أن أنتايوس مدفون في ناحية تنكي. ولم يصدق صيرطريوس ما كان يقوله البارباريون عن طول قامته، مما جعله يكشف عن جثته، فتأكد من أن طولها يقدر فعلا بستين ذراعا لما أصابه من ذهول ذبح أضحية وأعاد دفن الجثة". والملاحظ أن المصدرين اختلفا حول موقع ضريح انتايوس.

ولقد أمدنا هذا المؤرخ بمعلومات تتعلق بأنشطة صيرطريوس السياسية في موريطانية. ففي بداية الأمر اندحر بإسبانيا أمام أتباع صولا بقيادة أنيوس Anius. وهذا ما حتم على صيرطريوس ارتياد البحر في جولة يائسة للنجاة بنفسه. ولما نزل في سواحل موريطانية لم يرحب به الموريون، بل منعوه حتى من التزود بالماء. ثم انسحب إلى جزر البليار، لكن أنيوس كان له بالمرصاد. غير أن صيرطويوس استفاد من تدهور الأوضاع الداخلية بموريطانية، حيث قام الموريون بثورة ضد الملك أسكاليس Askalis، فرحب الثوار بخدماته وانضم إليهم نظراً لوحدة هدفهم في التصدي لأسكاليس الذي بعث إليه صولا فرقة من المحاربين بقيادة فكيانوس Pakianus .

والملاحظ أن بلوترخوس بالغ في تقدير دور صيرطريوس في ثورة الموريين. فقد نسب إليه الانتصار في هذه المواجهة، زاعما أنه حاصر أسكاليس ثم قتله هو وإخوانه في طنجة، كما قتل القائد فكيانوس، وعند رحيله عن البلاد ترك للناس ثرواتهم ومدنهم وحكمهم في حين جند في صفوفه رجالا من الموريين رافقوه في العودة إلى إسبانيا.غير أن القائد صولا لم يقبل بخضوع موريطانية نوعا ما لنفوذ أنصار مريوس، فأرسل بومبيوس الأكبر لتسوية أوضاع البلاد وفق إرادته. والراجح أن بومبيوس نصب الملك الموري مستانسوس Mastanesosus، الذي لم يسمح لأتباع صيرطريوس بالالتجاء مرة أخرى إلى بلاده لما دحرهم بومبيوس في إسبانيا سنة 73 قبل الميلاد.

م. مجدوب، 1990، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان، 2 ـ 3، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، 1990، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة.

Strabon, 17, 3, 8 ; Pomponius Méla, 1, 25, 26 ; 3, 10, 106 ; Plutarque, *Sertorius*, 9, 6-10 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris, 1928 ; M. Majdoub, *Pompeus Magnus et les rois maures*, dans *Africa Romana*, 12, 9, 1998.

محمد مجدوب

ابن **الصيرفي** أبو **بكر** يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصيرفي، من أهل غرناطة. أخذ عن أبي الحسن بن مغيث، وأبي بكر بن العربي، وأبي مروان بن بونه، وسواهم. كان من أهل المعرفة بالعربية والأدب واللغة والفقه والتاريخ، ومن الكتاب المجيدين، والشعراء المكثرين ؛ خدم الدولة المرابطية وكتب للأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف :

1 ـ *الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية* ضمنه عجائب، وأجاد فيه كل الإجادة، بلغ به إلى سنة 535، ثم أوصله إلى قريب من وفاته، نقل عنه صاحب مفاخر البربر.

2 ـ *تقصي الأنباء، وسياسة الرؤساء*

3 ـ *إبراز اللطائف*

4 ـ *الدوريات* : رسالة في قول المديون لرب الدين.

ـ وله موشحات وفي شعره رقة.

نظم قصيدة في مدح الأمير تاشفين، وضمنها سياسة الحروب، وآداب القتال، يقول فيها :

أهديك من أدب الوغى حكما بها　　كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا أنني أدرَى بها لكنها　　ذكرى تحض المومنين وتنفع

وهي طويلة.

وقد نوه بها ابن خلدون وقال : انها تنبهك إلى معرفة كثير من سياسة الحرب.

توفي بأريولة من أعمال مرسية.

ابن الأبار، *التكملة*، طبع مجريط، 1886 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ط. الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1398 ـ 1978 ؛ *أعمال الاعلام*، قسم المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، نشر دار الكتاب اللبناني، 1956 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، القسم الأخير، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، طبع دار المعارف، مصر ؛ ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 ؛ البغدادي إسماعيل باشا، *إيضاح المكنون*، نشر مكتبة المثنى، بغداد، *هدية العارفين*، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ الزركلي، *الأعلام*، طبع كوستاتسوماس، 1375 ـ 1955 ؛ ع. الرحمان السيوطي، *بغية الوعاة*، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية بالرباط، 1403 ـ 1983 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ؛ ل. بروفنصال، *نبذ تاريخية مفاخر البربر*، المطبعة الجديدة بالرباط، 1933.

سعيد أعراب

الصيف، فصل يناسب من الناحية الكونية الفترة الزمنية التي تكون فيها الأرض بالنسبة للشمس في وضعية تسمح بتركز أقصى للطاقة الواصلة من هذه الأخيرة إلى نصف الكرة الشمالي على الرغم من أن المسافة ما بين الشمس والأرض تبلغ خلال هذه الفترة مداها الأبعد وهذا التركيز إنما هو نتيجة لبلوغ درجة تعامد زوايا سقوط الأشعة مع مدار السرطان خلال بداية هذه الفترة في الثانية عشرة زوالا من 21 يونيو من كل سنة. وخلال هذا اليوم كذلك يكون تعامد هذه الأشعة قد بلغ أقصى نقطة له باتجاه الشمال على سطح الأرض، سرعان ما تبدأ بعده رحلتها نحو الجنوب وما فترة الصيف التي هي حوالي 93 يوماً و23 ساعة التي

هي كذلك الفترة الممتدة من يوم الانقلاب الصيفي في 21 يونيو إلى يوم الاعتدال الخريفي في 21 شتنبر من كل سنة، إلا انتقال تدريجي ومطرد لهذا التركيز ما بين مدار السرطان وخط الإستواء.

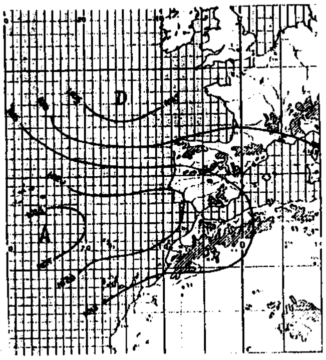
انتقال تركيز الأشعة إلى النصف الشمالي خلال هذه الفترة يخلق ظروفا جوية متميزة تتمثل في الزيادة في مدة النهار وقصر مدة الليل في النصف الشمالي والعكس تماما وبالمقابل في النصف الجنوبي وما يتبع ذلك من وقع جد هام على الظواهر الإشعاعية والحرارية بشكل عام لنصفي الكرة الأرضية.

وتتميز فترة الصيف بالنسبة للمغرب على المستوى المناخي على وجه الخصوص وعلى غرار باقي المنطقة المتوسطية التي ينتمي إليها، بسيادة جفاف فصلي جد متميز تعطي لهذا المناخ خاصيته الأساسية وسمته النوعي.

والمغرب بالنسبة للعرض متأثر بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعا لحركة الشمس الظاهرية المعبرة بشكل أساسي عن مختلف الوضعيات التي تكون عليها الأرض بالنسبة للشمس والمحدِّدة بالتالي للفصول .. مما يجعله في وضعية خاصة خلال الصيف، إذ أن تركيز هذه الطاقة في النصف الشمالي يصاحبه تحرك مهم لنظام الضغط نحو الشمال مما ينتج عنه ابتعاد المؤثرات المناخية للعروض الوسطى عن المغرب وخاصة منها تموجات اضطرابات الجبهة القطبية واستقرارها في عروض أكثر شمالية بالنسبة للمغرب. لذلك تقترن عادة هذه الفترة بانعدام التساقطات من النوع الجبهي في الوقت الذي يسهم انتقال نظام الضغط نحو الشمال إلى تقدم الكتل الهوائية الصحراوية والمدارية لتشمل المغرب، مما يترتب عنه تنامي الارتفاع النسبي لحرارة هذا الفصل، حيث يؤدي إلى خلق ظروف عدم استقرار متباينة تسفر من حين لآخر عن أمطار عاصفية ذات امتداد مكاني وزماني محدود فوق المناطق القارية بالأساس.

تتميز الوضعية الجوية خلال فصل الصيف في المغرب بنوع من الرتابة، مقارنة بالتنوع النسبي للطقس ونماذجه خلال الفصول الأخرى، وذلك لأنه يوجد عموما خلال هذا الفصل عقب انتقال خلية الضغط المرتفع للأسور نحو الشمال في وضعية تجعله في منأى عن مسارات اضطرابات الجبهة القطبية، وفي نفس الوقت تحت سيطرة المنخفض الصحراوي الذي أصبح يستقر تبعا لتصاعده أيضاً نحو الشمال، عند الهوامش الجنوبية الشرقية لسلسلة الأطلس.

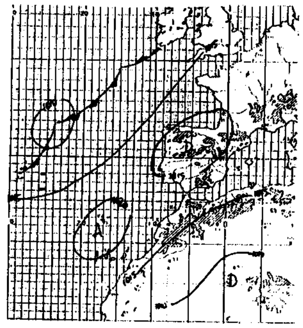
ويكون الطقس خلال هذا الفصل في الغالب صحواً مشمساً وحرارته مرتفعة نسبيا وخاصة في المناطق الداخلية، وإن كان توزيعها المجالي يبقى إلى حد ما مرتبطاً بنوعية الكتلة الهوائية التي تغطي المغرب والتي تتحكم فيها طبيعة الوضعية الجوية السائدة عند عرض المغرب ولموقع مراكز التأثير الفعالة فيها. و يمكن التمييز خلال هذه الفترة بين نموذجين من الوضعيات الجوية يتعاقبان على المغرب باستمرار، حيث نكاد نكون خلال هذا الفصل إما في وضعية جوية قارية وتحت فعل قيظ الكتل الصحراوية الحارة والجافة أو في وضعية معاكسة تماماً تكونُ فيها بلادنا تحت تأثير الهواء المحيطي الملطف.



خريطة رقم 1

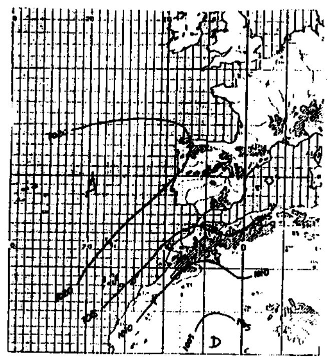
النموذج الأول (خريطة رقم 1) يتمثل في حالة تمركز خلية الضغط الجوي لمرتفع للأصور في عرض السواحل المغربية الإيبيرية مع امتداد بواسطة ظهر في اتجاه المناطق المغربية الشمالية مما يعني أن هذه الأخيرة تبقى تحت تأثير مباشر للهواء القطبي المحيطي، فتسود في هذه المناطق حرارات معتدلة. تقدُّم هذا الهواء نحو الداخل يجعله يصبح ذا اتجاه شمالي شرقي على المناطق الجنوبية على كل من المنطقة الممتدة من الصويرة إلى الأقاليم الصحراوية المغربية. وخلال هذه الوضعية وبفعل الانتظام الكبير الذي يعرفه الاتجاه العام للرياح عند هذه المناطق، تبرز على المناطق الساحلية المحاذية مناطق صعود مياه باردة من الأعماق (Roux) يظهر تأثيرها الفاعل على توزيع الحرارة العام على الساحل الأطلسي خلال هذا الفصل حيث يلاحظ أن الحرارة عموما تنخفض كلما اتجهنا نحو الجنوب عوض أن يكون العكس بحكم أن دور العرض يقضي بأن تزداد الحرارة بشكل عام في اتجاه الاستواء. فهذا الاستثناء الذي يظهر هنا يجعل الحرارة في أكادير أبرد من تلك التي تعرفها طنجة مثلا وهذا في حد ذاته حالة شاذة.

النموذج الثاني هي حالة سيادة كتل قارية حارة وجافة مرتبطة بشكل أساسي بخضوع الحالة الجوية في المغرب لتأثير المنخفض الصحراوي المسؤول هنا عن هبوب رياح الشركي المحرقة والجافة إلا أن درجة حرارة وحدة جفاف هذا الهواء يبقى إلى حد ما مرتبطاً بالشكل العام لحقل الضغط عند عرض المنطقة المغربية وعليه يمكن التمييز داخل هذه الوضعية ما بين أربع حالات أساسية :



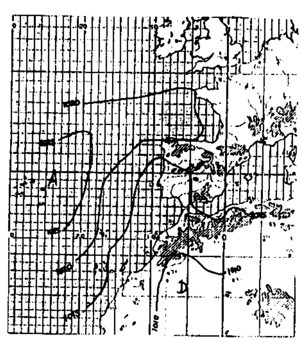
خريطة رقم 2

الحالة الأولى (خريطة رقم 2) تظهر وضعية جوية لمنخفض صحراوي بمال ضعيف من أهم خصائصه أن الهواء الحار والجاف لا يصل بما فيه الكفاية إلى المناطق الساحلية وإنما يقتصر بشكل خاص على المناطق الداخلية.



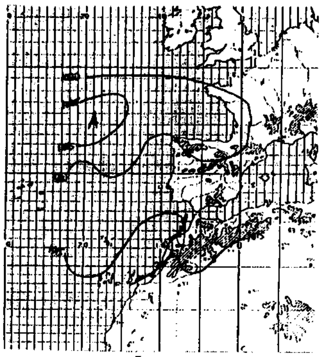
خريطة رقم 3

الحالة الثانية (خريطة رقم 3) تمثل وضعية جوية يظهر فيها المنخفض الصحراوي بمال قوي يجعل رياح الشرگي تكون أكثر تركيزا على المناطق الساحلية وبالتالي أكثر فاعلية على هذه المناطق التي ترتفع فيها الحرارة بشكل محسوس لا سيما وأن الهواء الأصلي حار وجاف قد ازداد حرارة وجفافا بسبب خضوعه لفعل الفوهن (Foehn) بسبب تكلس مختلف جزئياته على إثر نزوله الاضطراري على السفوح الغربية للأطلس المتوسط والريف.



خريطة رقم 4

الحالة الثالثة (خريطة رقم 4) وتبرز وضعية انتقال المنخفض الصحراوي ليشمل تقريبا كل التراب المغربي وجزءاً مهماً من شبه الجزيرة الإيبيرية مما يجعل الهواء الصحراوي ينتقل هذه المرة مباشرة من الجنوب أو من الجنوب الشرقي فتصبح الكتل الهوائية السائدة هنا حارة جدا فيتعرض مجموع المغرب لموجات متتالية ولعدة أيام من الحرارة المفرطة والتي تسجل خلالها بعض الأرقام القياسية خاصة في مناطق السهول الداخلية كسايس وتادلة والحوز وسوس.



خريطة رقم 5

الحالة الرابعة (خريطة رقم 5) وهي وضعية الطقس غير المستقر في الأجواء العليا وتمثل إحدى وضعيات المنخفض الصحراوي دائما الذي استقر لفترة كافية فوق المغرب جعلت الهواء بفعل تسخينه الشديد، يصبح غير مستقر مما يترتب عنه طقس غائم وحار باستمرار، مصحوباً بعواصف رعدية محليا قوية فوق المناطق الجبلية تدوم عدة أيام متتالية.

A. Bellichi, *Les températures maximales d'été dans le Maroc Nord Occidental, Essai d'explication du caractère général de variation, R. G. M.*, n° 9, 1985, p. 55 - 74 ; G. Roux, *Les zones de montée d'eaux froides le long de la côte atlantique du Maroc. C.R.Ac. Sc.*, t. 225, 1947.

علي البليشي

الصيكة أحد طبوع الموسيقى الأندلسية الخارجة عن شجرة الطبوع، نسب استخراجه إلى صيكة بن تميم العراقي. فسمي باسمه. وهو يرتكز على نغمة مي، وقد يأتي مصوراً على نغمة سي.



الصيكا

والصيكة من الطبوع المستحدثة في المغرب، وفي هذا الصدد ذكر أحمد بن العربي أحضري (كان حيا في أواخر القرن الثالث عشر) أن الأديب والموسيقي المكناسي محمد

البوعصامي هو من استخدمه "وركب له تواشيه واستنبط جيشه".

ويعني هذا أن البوعصامي الذي كان حيا عام 1141 أضاف نوبة جديدة بتواشيها وميازينها إلى ما كان متداولا بين أرباب الآلة في مطلع القرن الثاني عشر. وقد جاء ذكر هذه النوبة - لأول مرة - بميازينها الأربعة : البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والقدام، في المجموع المودع بالخزانة العامة تحت رقم 144 الذي انتهى منه جامعه في غرة رمضان 1202 موافق 5 يونيو 1788، أي قبل أن يخلص الحايك من مجموعه بنحو اثني عشر عاما.

ويبدو أن البوعصامي استقى طبع الصيكة من منظومة المقامات الموسيقية المشرقية عندما كان مقيما بالقاهرة حيث درس الموسيقى على بعض أعلامها، ونقصد بذلك مقام السيكة الذي يرتكز على درجة سي مع اعتراض الربع لنغمتي مي وسي من سلمه.

ويتكرر ذكر الصيكة في مصادر مغربية متعددة من بينها :

- *كناش* محمد بن الحسين الحايك. ففيه أن الطبوع أربعة وعشرون يضاف إليها طبع الصيكة.

- *أرجوزة* لسليمان الحوات المتوفى عام 1231 / 1816 تقع في 31 بيتا.

- *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار* الحاج محمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285.

- كتاب *السقا* لابراهيم التادلي. وفيه جاء أن هذا الطبع فخيم النغمات حلو الألحان، وله تأثيرات في نفوس المستمعين.

والغالب أن يكون استخدام طبع الصيكة بالمغرب قد انطلق في البدء من حلقات السماع بالزوايا بعد تعريته من ملامحه المشرقية، ومنها انتقل إلى ممارسي "الآلة". وهو أمر يدل على أن كلا من أحمد أحضري ومعاصره الدلائي صنفه ضمن الطبوع المعتمدة في إنشاد الأمداح النبوية.

توافينا المخطوطة رقم 144 بالبنية الشعرية لنوبة الصيكة، وقوامها 46 صنعة مصنفة على النحو التالي :

الميازين	الصنعات المروضية	التوشيحات	الازجال
البسيط	3	3	1
العام ونصف	1	3	-
البطايحي	2	3	5
القدام	6	1	8
غير مصنفة	1	6	3

غير أن بنية هذه النوبة ما لبثت أن تعرضت للتفكك، فأصبحت الأشعار المبثوثة في المخطوطة 144 عارية عن ألحانها، وانقطع إنشاد أغلب مستعملاتها، ولم يكد يسلم من الضياع سوى ست صنعات أدمجت ثلاث منها في نوبة الماية، ومثلها في نوبة غريبة الحسين.

وبالإضافة إلى هذه الصنعات نقف على حوالي مائة صنعة أخرى هي أيضاً قائمة على طبع الصيكة، وجلها مدمج في نوبتي *غريبة الحسين* (68) *والماية* (20)، وبعضها مدمج في نوبات أخرى كرصد *الذيل* (3) *والاستهلال* (2) *والعشاق* (2) *ورمل الماية* (1).

وقد تم إدماج جل هذه الصنائع في نوبتي الماية وغريبة الحسين - كما رأينا - وكذلك لما بين طبعيهما وطبع الصيكة من قرابة، فكأن الصيكة - على حد تعبير من له بهذا الفن خبرة - "مولدة لتلحين فيما بين الماية وغريبة الحسين".

وقد نبه التادلي إلى صنعتين نادرتين من طبع الصيكة في ميزان البسيط، أولاهما صنعة "العود قد ترنم، وهي صنعة لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار" والثانية "صنعة من رسولي إليك يانور عيني"، وهي من عجائب الموسيقى وأعذبها وألذها نغمة"، ثم عقب بالإشارة إلى أن المعلمين الكبار كانوا يبخلون بما لديهم ولا يعلمونه أحدا، وبذلك فهو يضع اليد على واحد من أهم أسباب الضياع الذي ناب مستعملات الموسيقى الأندلسية بما فيها ميازين نوبة الصيكة.

أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية*، الباب الخامس، ص. 205 ؛ م. بريول، *مدونة غريبة الحسين، مواقع متعددة* ؛ إ. التادلي، *أغاني السقا*، ص. 79 ؛ إ. الحاج ابن جلون، تح. *كناش الحايك*، ص. 117. 120 - 143 - 146 - 214 - 318 - 343 ؛ م. بن الحسين الحايك، *المقدمة*؛ ح. سليمان، مخطوطة بالمكتبة الملكية، الرباط، رقم 4229 ؛ مجهول، المخطوطة، رقم 144، خ العامة، ص. 279 - 294 ؛ ي. الشامي، *مدونة نوبة العشاق* ؛ *رمل الماية*، 164.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 191.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

الصين والمغرب. تأسست جمهورية الصين الشعبية سنة 1949، وأعلن استقلال المغرب في سنة 1956، ثم انصرمت سبع سنوات قبل أن تقرر الدولتان إقامة علاقات دبلوماسية في سنة 1963. كان المغرب من الدول الناشئة الأولى التي اتخذت هذه المبادرة. ونكاد لا نجد أثراً لعلاقات عبر التاريخ بين الدولتين حين كانتا في أوج عزهما قبل أن تغزوهما الدول الاستعمارية، ما عدا في الرحلة التي قام بها ابن بطوطة إلى الصين في القرن الثامن (14 م) وبالتحديد ابتداءاً من سنة 1342 وتجول في بعض ارجائها ماراً ببكين مما حكاه في كتابه : *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

الصين، كما لا يخفى، من أقدم الإمبراطوريات، يرجع تاريخها إلى أزيد من ثلاثة آلاف سنة، ازدهرت بها حضارة نادرة المثال وتولى السلطة فيها أباطرة عظام، ثم اعتراها ما اعترى سائر الدول فأصابها التأخر والانحلال في الوقت الذي حقق فيه الغرب ثورته الصناعية وبدأ يشره لامتلاك واستعمار الأقطار الافريقية والآسيوية.

كان تشيين لونج آخر إمبراطور عظيم حكم الصين ستّين سنة إلى 1796 وخلفه ستة أباطرة ضعاف. فلما قامت حكومة مصلحة سنة 1840 بتحديث البلاد تصدت لها انجلترا بأسطولها فأجهضت عمليات الإصلاح. ثم تسابقت الدول الغربية أو من في حكمها كاليابان فأشهرت عليها حروباً ضارية : الحملة الفرنسية - الانجليزية سنة 1860، الحملة الفرنسية سنة 1865، الحرب اليابانية سنة 1894 والحرب الروسية اليابانية لامتلاك منشوريا سنة 1904. وفرضت عليها هذه الدول "معاهدات غير متساوية" اقتطعت بموجبها بعض أطرافها. انهارت الإمبراطورية الصينية سنة 1911 وقال عنها سون يات - سين أول رئيس جمهورية في بداية القرن العشرين : "لقد أصبحت الصين مستعمرة خادمة بجميع الدول".

بعد عشر سنوات قام الحزب الشيوعي بزعامة الرئيس ماوتسي - تونغ بتحرير الصين. وبعد ثمان وعشرين سنة من النضالات القاسية، تحررت الصين وتوحدت فيما عدا جيوب طايوان وهونغ - كونغ وما كاوو. فقام ماوتسي تونغ بصفته رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في باب القصر الامبراطوري ببكين معلناً قيام "جمهورية الصين الشعبية" يوم فاتح أكتوبر 1949.

وشبيهة بمسيرة الصين مسيرة المغرب بعد ما كان إمبراطورية تمتد حدودها من الأندلس شمالاً إلى السنغال جنوباً ومن ليبيا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. ثم اعتراه ما اعتراه من الانحلال في أواخر القرن التاسع عشر واحتلال في سنة 1912، إلى أن تحرر سنة 1956. كان لإعلان جمهورية الصين الشعبية صدى واسع في العالم وإسوة حسنة بالنسبة للحركة الوطنية في المغرب التي كانت تكافح الاستعمار في تلك الظروف. ثم شارك وفد مغربي في مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز الذي انعقد من 18 إلى 24 أبريل 1955 وحضره رئيس حكومة الصين الشعبية شوان لاي. ومعلوم أن هذا المؤتمر ضم تسعة وعشرين قطراً إفريقياً وآسيوياً وكثيراً من ممثلي حركات التحرير بصفتها أعضاء ملاحظين. وكانت أول فرصة للقاء ممثلي الصين بالوفد المغربي: لقد كان لهذا المؤتمر أثر بالغ في أقطار العالم الثالث وخاصة في البلاد الخاضعة للاستعمار والتي تحررت تباعاً بعد ذلك.

على أثر زيارة تشوان لاي للمغرب في بداية الستينيات، تقرر إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين الرباط وبيكين على مستوى السفراء وتوثيق روابط التعاون في شتى المجالات. وفعلاً قامت علاقات جيدة وتضامن وثيق على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. من ذلك أن الحكومة الصينية تبرعت بتشييد مجمع رياضي في الرباط واوفدت وحدات طبية تمارس الطب التقليدي (الوخز بالإبر) في كثير من عمالات المغرب، ويوجد تعاون في ميدان الصيد البحري بالمغرب، وإقامة تجربة زرع الشاي في شمال المغرب، علماً بأن مادة الشاي تشكل أهم مشروب في المغرب وجلها مجلوبة من الصين. والحكومتان الصينية والمغربية جادتان في الوصول إلى توازن في الميزان التجاري بينهما بتبادل زيارات الوفود الاقتصادية.

إن العلاقات المغربية - الصينية ممتازة. وقد لوحظ سعي حثيث من كلا الطرفين لتنميتها. فقد لوحظ أن وفوداً كثيرة من علية وزراء الصين والمغرب قامت بزيارات رسمية، منها زيارة الوزير الأول المغربي، وأبرمت اتفاقات في شتى الميادين.

ومما يجدر ذكره أن ثمانية سفراء مغاربة تولوا تباعاً هذا المنصب في الصين وهم : عبد الرحمن زنيبر، عبد اللطيف الفيلالي، عبد اللطيف الخميري، قاسم الزهيري، عبد الرحيم حركات، عبد الرحمن بوشعراء، عبد الرحيم بن عبد الجليل، المهدي ميمون.

الصديق بن العربي، *المغرب* ؛ ع. السلام بن عبود، *تاريخ المغرب*.

J. Guillemen, *Histoire du parti communiste chinois* ; Seghers, *Dictionnaire de la politique* ; Ibn Battuta, *Voyages* ; G. Nacquet, *Dictionnaire des grands événements historiques*.

قاسم الزهيري

الصيني (تراب –) أصل الكلمة صيني، كاولين (Kao-ling) (Kaolin) وتعني الكدية العالية نسبة إلى المكان الذي وجدت فيه هذه المادة أول مرة. يتكون التراب الصيني أساسا من معدن الكاولينيت (Kaolinite) الذي ينتمي إلى مجموعة الصفائحيات المموهة المشتملة على طبقتين، الأولى ثمانية التناسق (Te) وتتكون من $(Si_4O_{10}(OH)_2)^{6-}$، والثانية رباعية التناسق (Oc) وتتكون من الجيبسيت $(Al(OH)_3)$.

إن معدن الكاولين هو طين أبيض، هش، خالص ؛ ذو لدانة متبدِّلة، ولكنها في الغالب ضعيفة، بلوراته كلينو معينية لا تشاهد إلا بواسطة المجهر. ومن خاصية التراب الصيني بقاء لونه الأبيض حتى بعد أن تصل حرارة تسخينه إلى حوالي 1450. ينتج معدن الكاولينيت عن تفسخ سيليكات الألومينيوم، وخاصة الفلسبار (أرتوز) ؛ إلا أنه يمكن أن تشتمل بنيته البلورية على بعض الآثار لأكاسيد الحديد (Fe) والمنغنيز (Mg)، والبوتاسيوم (K) والصوديوم (Na). وتتم عملية التفسخ تحت جوٍّ حار ورطب، أو بدافع ظاهرة التحول الحرمائي للصخور الصهارية الحامضة كاليكوجرانيت الغنية بالفلسبار البوتاسي، والمفتقرة إلى المعادن الحديدية والمنغنيزية على النحو التالي :

فلسبار بوتاسي   كاولينيت

$$2K[Si3\ Al\ O_8] + 11H_2O \rightarrow [Si_4\ O_{10}(OH)_2]\ Al_4\ (OH)_6 + 2^{\uparrow} + 4Si\ (OH)_4^{\uparrow} + 2(OH)^{\uparrow}$$

ينتج عن هذه العملية التفسخية بالانحلال المائي تحويل ما يعادل 66٪ من السليس [$Si(OH)_4$] و100٪ من البوتاسيوم (K).

وتجدر الإشارة إلى أن التراب الصيني الصافي يعتبر المادة الخام لصناعة الخزف الرفيع. أما الأنواع المشوبة منه فتستعمل إما في صناعة الفخار، والحث والآجر، وإما كعناصر في صناعة الأصبغة أو الخضوب وكذلك الورق.

من الناحية التاريخية، فقد عرف التراب الصيني أول مرة في الصين، في بداية القرن الثالث بعد المسيح، حيث استعمل في صناعة "الخزف الصلب"، الناتج عن خليط من الكاولينيت والفلسبار ت/ط والمرو. وبعد إعداد هذا الخليط، كانوا يتركونه تحت حرارة تتراوح ما بيي 800 c° و1050 c° (عملية التنشيط)، وبعدها تغطى العجينة المحصل عليها بقشرة من الفلسبار ت/ط، وترفع عندئذ درجة الحرارة ما بين 1250 و145. والنتيجة، الحصول في الأخير على عجينة مزججة، بيضاء، شفافة ورنانة.

ولم تعرف أوروبا تقليد صناعة الخزف الصيني، حتى دخول القرن العاشر (16 م) ؛ حيث اخترع "الخزف الهش" الاصطناعي المكون من خليط الكاولين والرمل والصودا والمسخن حتى حرارة 1200. إلا أن هذا المنتوج الخزفي لا يرقى إلى نوعية الخزف "الصلب الصيني".

يوجد التراب الصيني بمناطق عدة بالمغرب، إلا أنه قليلا ما تكون له أهمية اقتصادية، إذا ما استثنينا الرواسب الآتية الذكر :

1 - راسب تارجيشت بالأطلس الصغير، الذي يتوفر على طاقات هائلة من معدن الكاولين في الصخور الطينية السلورية ؛ إلا أن تبعثرها وانعزال النطاقات الغنية، يجعل كل هذه الاحتياطات صعبة الاستغلال.

2 - راسب معزة الموجود بناحية المغرب الشرقي، حيث يظهر الكاولين على هيئة كتل وطبقات متداخلة في الخبث البركاني التابع للميوسين - البليوسين المرتبطة ببركان جوروجو.

3 - الرواسب المرتبطة بأعابيل المغرب الأوسط، كوالماس والمانت، وزعير. ولاشك أن أهمها هو كرانيت والماس وعلى الخصوص راسب اقلاي، والتي بينت فيه الأبحاث التي قام بها مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM) منذ مطلع سنة 1994 أن السبب الرئيسي في تكوين الكاولين بالمنطقة هي عملية التفسخ الحرمائي لما بعد كرانيتي. ولقد أعطت التقديرات الأولية ما يزيد على 450.000 طن من معدن الكاولين براسب أقلاي وحده.

J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca*, Rapport SEGM, n° 151, 1950 ; J. Aubouin, R. Brousse et J.P. Lehman, *Précis de géologie : pétrologie*, Paris, 1975 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Rabat, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, Paris, 3 vol., 1978 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Mines, Géologie et Energie, Rabat, 1977 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; A. Foucalt et J. F. Raout, *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988 ; Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; D. Reig, *Dictionnaire arabe-français, français-arabe*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et R. Lubos, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (franças-arabe)*, Rabat, 1990.

عبد الله بوصحابة

الصيني التازي، محمد بن عبد الرحمن، جد الأديب المؤرخ عبد الودود بن عمر التازي مؤلف كتاب *نزهة الأخيار المرضيين* في مناقب العلماء الدلائيين البكريين. أصلهم من شفشاون واستقروا مدة بتازا قبل أن ينتقل فريق منهم إلى فاس ويكوِّنوا إحدى فرق آل التازي المعروفين بالحاضرة الإدريسية. اشتهر المترجم بتلميذه الشيخ محمد بن عبد السلام بناني (ت. 1163 / 1750) الذي ذكره في فهرسه وحلاه بقوله : "سر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل. ثم قال: لقيته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل *الكتب الستة* وصدراً من *الشمائل والشفا* ومختصر ابن الحاجب *وخليل* وأجازني في جميع ماله من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيخ مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري عن شيوخه المشارقة كالبابلي وإبراهيم اللقاني وعيسى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقري من شيوخ الجزائر، وبفاس عن سيدي عبد القادر الفاسي وسيدي حمدون المزوار وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم. وكتب لي الإجازة بخطه".

توفي بتازا سنة 1115 / 3 ـ 1704.

م. بن عبد السلام بناني، *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1895 ك ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1 : 215.

محمد حجي

الصينية طبق يوضع فيه إبريق الأتاي وكؤوسه لا يكاد يخلو منه بيت مهما كان مستواه المادي في سائر أرجاء المغرب حاضرة وبادية. وهي تتخذ من معدن نحاس أصفر أو أحمر لدى السواد الأعظم من الناس أو من القصدير والألومنيوم عند الفقراء أو من الفضة والذهب بالنسبة إلى النخبة من الفئات العليا التي "تشرب الشاي [أيضاً] في كؤوس مزخرفة بالذهب" (عبد المجيد بن جلون : *جولات في مغرب أمس*، ص. 131). أما الفئات الوسطى من ذوي الظروف المادية الموسرة فتتخذها من نحاس مفضض أو مذهب.

ارتبط وجود الصينية بشرب الأتاي الذي أصبح ابتداء من مطلع القرن الرابع عشر (20 م) على الخصوص من بين الطقوس الغذائية التي لا تستقيم الحياة اليومية بدونها فغدت لأجل ذلك تندرج ضمن الأدوات الضرورية في كل مطبخ مغربي. وهي من نوعين : صينية بأربع قوائم وتكون مرتفعة عن سطح الأرض، وصينية واطئة وزاحفة لا أرجل لها.

وتتم صناعة الصينية، التي كانت في أول أمرها تستورد من فرنسا وانجلترا وألمانيا، على يد الصفارين والصباغين الذين كانوا يباشرون إنتاجها إما تحت الطلب لمن يوصي بتوفيرها وفق مواصفات معينة وإما بالجملة لعرضها في أسواق الحواضر والبوادي للبيع لعامة الناس.

وبما أن المشروب الذائع في المغرب قبل انتشار عادة شرب الشاي فيه كان هو الحليب واللبن، فإن وجود الصينية في البلاد كان غائبا كأداة من أدوات الطبخ (C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, p. 54) وعليه فإن الصينية لم تُصبح معروفة بالاسم وبالوظيفة إلا ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعد أن انفتح المغرب على التبادل التجاري مع البلدان الأوروبية وفُتح المجال لتداول بضائع تجارية جديدة كان من ضمنها السكر والشاي. أما قبلها، فقد كانت الصينية كما كان الشاي والسكر من البضائع القليلة النادرة إلى حد أنها كانت تقدم ضمن الهدايا. وفي هذا السياق تلقى المستكشف المتجول في المغرب بوتوتسكي سنة 1791 من قائد تطوان حين وصوله إليها هدية تضم "رزمة أثواب وأربعة قوالب سكر وشاي" (J. Potocki, *Voyages en Turquie, en Egypte... et au Maroc*, p. 161).

وتستمد الصينية اسمها من بلاد الصين التي هي المصدر الرئيسي للأتاي. كما تنتشر في البلدان المجاورة لها في جنوب شرق آسيا، ومنها انتقلت مع عشبة الآتاي إلى المغرب وغيره من باقي بلدان العالم، مع ما يصاحبهما من الأواني الأخرى اللازمة لتحضيره مثلما انتقل إلينا منها أيضا حرير "الساتان" المنتسب إلى مدينة سايتونغ (الصينية).

وابتداء من عهد الحماية انتشرت عادة شرب الآتاي في جميع أرجاء المغرب وأصبح تناوله لا ينفصل عن الصينية وتوابعها واتخذ الناس لشربه أوقاتا معلومة وطقوسا وتقاليد. فإلى جانب الصينية كان حضور قالب السكر أمراً لازما إضافة إلى أوانٍ أخرى مساعدة على رأسها الإبريق المستدير الشكل الذي تتحلل فيه مواد الآتاي وتنصهر وتندمج ببعضها إلى أن تعطي للمشروب نكهته وهو يدعى "البراد" الذي يستمد تسميته من وظيفته التي تتجلى في احتواء الماء المغلى الذي يصب فوق حبوب الآتاي والسكر والنعناع حتى يبرد وتعتدل درجة غليانه ويصبح قابلا للشرب وهو في منزلة بين المنزلتين لا هو بالحار ولا بالدافئ قبل أن يقدم إلى الحاضرين. ويُوضع في الصينية دائماً إلى جانب "البراد" وعاء لصيانة الشاي إلى حين استعماله يدعى "الزنبيل" وآنية تحتوي على قطع السكر تسمى "الربيعة" وأخرى توضع فيها أوراق النعناع بعد غسلها وتنظيفها تدعى "ربيعة الاقامة" في مراكش وربيعة الد[illegible] في غيرها من حواضر المغرب. هذا زيادة على قارورة على شكل كأس تستعمل للاحتفاظ بالماء المغلى الذي تمر فيه حبوب الشاي مرة أو مرتيْن للتنظيف قبل خلطها بغيرها من المواد الأخرى وتسمي "كاس التشليلة". وغالبا ما تضاف إلى هذه الأواني ملعقة صغيرة تستعمل بين الفينة والأخرى لتحريك خليط الشاي وتفقده بالتقْليب حتى ينصهر داخل الإبريق. المرجل ولو أن استعمال الملعقة لم يكن بالشيء المحبوب ولا المقبول عند الماهرين من محضري الشاي. ومما تجدر الإشارة إليه أن كل هذه الأوعية تتخذ في الغالب من نفس لون ومعدن الصينية نفسها.

كانت تلك هي الأواني الرئيسية التي توجد داخل الصينية إضافة إلى أخرى منفصلة عنها ومرافقة لها ولا يستقيم أبداً وجود الصينية بدونها. فهناك المرجل المخصص لتغلية الماء حتى يصل إلى درجة التبخر مما يدعى "المقرج" أو المقراج" أو البقرج"، ويكون على العادة والقاعدة موضوعا فوق مزند ملتهب يسمى "المجمر". وغالبا ما كان هذا المرجل والمزند يُعوَّضان في مجالس الأعيان وكبار القوم بقدر أسطواني الشكل من نفس معدن الصينية ولونها يُضخ منه الماء بعد غليانه في إبريق الشاي بواسطة صنبور يفتح ويغلق في حينه يسمى "البابور" وهي كلمة أجنبية تعني البخار.

هذا وكانت للصينية ومازالت إلى اليوم في المجامع والأفراح والأعيان والمناسبات على اختلافها في المغرب طقوس خاصة بها. فقد كان يضرب لها خوان خاص ويُسند أمر الإشراف عليها إلى أشخاص معينين. وكانت الجلسة حولها تتحول إلى حلقة لتبادل الرأي والحديث وذكر الأخبار وسرد النوادر والمستملحات والحكايات، يجري كل ذلك إما في انتظار الانتهاء من تحضير الشاي على مرأى ومسمع من الجميع أو أثناء ارتشاف كؤوس الشاي. وكان "مول الصينية"، وهو الشخص الذي تسند إليه مهمة "إقامة الشاي" في الأعياد والأفراح والمناسبات يحظى بالتقدير والاحترام في المجامع لما يتوفر عليه من قدرة مشهود له بها في مجال النظافة ومن حنكة في مزج عناصر الشاي وتقدير مدة الانصهار وطريقة صب المشروب وتوزيع كؤوسه على الحاضرين وتحديد أي نوع من الشاي يقدم ولأي مقام، فهناك شاي الصباح وشاي الظهيرة وشاي المساء ثم شاي قبل الأكل وبعده، (والأكل فيه العادي وفيه الدسم) فشاي الأوساط الشعبية والأوساط المخزنية ولكل ذوقه ووسطه ومقامه. وكان المكلفون بتحضير الشاي داخل القصور السلطانية ومازالوا إلى اليوم يختارون من بين أجود المعروفين، وأكثرهم إتقانا في تحضيره يتحول إلى جليس للسلطان ورفيق له في الحل والترحال وإلى جانبه يخصص له مكان رفيع المستوى لتهييء

الشاي وتقديمه له ولمن يشاركه الحديث في شؤون عادية يومية أورسمية.

م. بخوشة، *أدب المغاربة وحياتهم الاجتماعية*، الدار البيضاء، 1944 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس، 1925 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ؛ دانييل شروتر، *تجار الصويرة*، الرباط، 1996، تعريب خالد بن الصغير ؛ ع. السلام الزموري، *منظومة في الأتاي*، مجموع المتون، طبعة حجرية، فاس، د. ت ؛ المكي البطاوري، *شرح الأرجوزة في الأتاي*، الرباط، 1946، مطبعة الأمنية ؛ ع. السلام الأزموري والمكي البطاوري، *الأرجوزة الفائقة فيما يحتاج إليه الأتاي*، مخ. خع، رقم 1709 د ؛ أ. المنجم، *رسالة في الشاهي*، مخ. خع، رقم 1425 ك ؛ ع. المجيد بن جلون، جولات في *مغرب أمس*، 1872، الرباط، 1974 ؛ ع. الوهاب بن أحمد ادراق، *قصيدة في النعناع*، مخ. خع، رقم 158 د ؛ م. بدر الدين الحسني الفاسي، *رسالة في شرب الأتاي ومنافعه*، مخ. خع، رقم 157 د ؛ ح. العجمي، *رسالة في الشاي وسبب حدوثه*، مخ. خع، رقم 2954 ؛ ع. الوهاب أدراق، *في الأتاي*، مخ. خع، رقم 3201 د ؛ مؤلف مجهول، *رسالة في بيان حقيقة الشاي*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل 232 ؛ مؤلف مجهول، *كتيب في الأشربة والمعاجين*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل.

Reynold de la Charrière, *Voyage au Maroc (1910-1911)*, Paris, 1913 ; Jean Potocki, *Voyage en Turquie et en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980 ; Louis Brunot, *Textes en arabe dialectal de Rabat*, Fès 1918 ; *Au temps des Mehallas*, Casablanca, 1952 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, Paris 1961 ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris, 1887 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; M. Bakkoucha, *Savoir vivre, vie sociale et religieuse des Marocains*, Casablanca, 1943 ; P. Odinot, *Le monde marocain*, Paris, 1926 ; C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, Paris, 1975 ; J. Runner, *Le thé*, Paris, 1952 ; M. Bellakhdar, *Le costume de la médina de Fès, le vestimentaire et l'alimentaire*, Université de Toulouse 2, Thèse de 3e cycle, 1986 ; M. Periale, *Le Maroc à 60 à l'heure*, Rabat, 1936 ; F. Bonjean, *L'âme marocaine*, Paris, 1948.

محمد بوسلام

ض

الضّاحية، مجال ثالث من حيث الشكل والمضمون وفضاء انتقالي يربط بين المجال الحضري والمجال الريفي ويعيش تحت نفوذ المدينة الأمّ وفي تبعية لها.

من ثمة، لا يمكن لأية دراسة أكاديمية أو وثيقة للتعمير، وبالأحرى لأية إجراءات تهييئية، أن تكون مستوفية لجميع أوجه المسألة الحضرية بمعزل عن الضاحية التي تشكل فعلاً كياناً قد يتمتع بقليل أو بكثير من الخصوصيات الذاتية، ولكن في انتظار إلحاقه الآجل أو العاجل بصميم الجهاز الحضري المرجعي. ويصبح الأمر ملحّاً إذا اعتبرنا أن الدينامية الاجتماعية والاقتصادية العامة تسير أكثر فأكثر نحو الاستقطاب الحضري السائد للسكان والاستثمارات والأنشطة الإنتاجية والخدماتية.

وإذا كانت ظاهرة الضاحية وليدة الثورة الصناعية في أوربا، فإنها تمثل واقعاً حديثاً في المغرب، مازال يكتنفه الكثير من التعقد والغموض. على أن الكتابات التاريخية تبرز أن بعض مدن المغرب قد عرفت منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي ظاهرة الحوْز، ومازالت بعضها تتوفر على قبائل متاخمة أو جماعات إدارية حوزية (مراكش، تطوان، فاس، مكناس، الرباط، سلا، طنجة، وجدة، أزمور). وجلّها عواصم سلطانية ومن كبريات المدن حالياً.

ومن بين ما تعنيه لفظة الحوز (أو الحوزة) لغوياً الحدود والنواحي، والضاحية كذلك تأخذ نفس المعنى، أي الظهير والناحية وبادية المدينة، مقابل الباطنة. كما أن أول استعمال للفظ الحوز أو الأحواز كان يدل على الضاحية والناحية والمنطقة المحيطة بالمدينة خارج الأسوار، وهو عبارة عن حزام من البساتين والمشاجر والمزروعات المتنوعة، يتراكز مع حُرم المدينة وقلبها ويضم بعض الدواوير والعزبان ويتعارض مع الخلاء الفسيح الذي يهدّد المجالات المجاورة غير الآمنة.

وإلى مطلع القرن العشرين لم تكن للحواضر المغربية ضواحي بالمفهوم الحديث. فكانت بادية المدن تتمثل في أحزمة من المزروعات المختلفة التي تتلاشى كثافتها كلما ابتعدنا عن أسوار المدينة، والتي لم تكن تحتضن داخلها سوى بعض البنايات البسيطة. وتتجلّى هذه الثنائية في تباين نمطين من العلاقات والتنظيمات وطرق العيش في إطار صلات متواضعة تتأرجح بين التكامل والتوازن. فكانت التخوم الخارجية للأحواز تلعب بعض الأدوار المتقطعة في الزمن والمكان من خلال بعض القصبات و"المحلات" العسكرية والأسواق والزوايا والأولياء والمواسم. أما البساتين الضاحوية فكانت من جهة بمثابة متنفّس يتم التردد عليه للترويح عن النفس، ومن جهة أخرى مجالاً فلاحياً لتزويد المدينة بما تحتاجه من منتوجات الأرض.

ومع دخول الاستعمار سيتغيّر وجه الحواضر جوهرياً، حيث ستنفجر المدينة القديمة لتفسح المجال خارج الأسوار وعلى مشارفها لمجموعة من "الأرباض" والأحياء التي ستأكل تدريجيا الحقول والمغارس. تارة تنفصل الأحياء والبنايات المختلفة بأراضٍ فلاحية أو بفراغات، وتارة أخرى تتجاور في ثنائية صارخة يتقابل فيها العصري والتقليدي والغني والفقير.

هكذا، وعلاوة على النواة القديمة، سيتوزّع حيّز المدينة الكبيرة إجمالاً إلى مجموعتين من الوحدات السكنية والوظيفية: منها المغربية الفقيرة والمتوسطة ومنها الأوربية الراقية. وحول هذه وتلك ستنبثق هالة من دور الصفيح لإيواء الوافدين الجدد على المدينة. أما خارج النطاق الحضري فاستقرت بعض الدواوير الريفية هنا وهناك، بل ظهرت على المحاور الطرقية الرئيسية المؤدية إلى المدينة بعض النويات القروية الناشئة وبعض المراكز الخدماتية المخصصة للمعمّرين.

ولقد شهد المغرب في عقدي الخمسينيات والستينيات تحولات عميقة ستنعكس مباشرة على صيرورة الضواحي والمدن معاً. ولعل الانفجار الديمغرافي في كل من الأرياف والمدن وما لحقه من تفاوت في مستوى الفئات الاجتماعية هما العاملان الحاسمان اللذان أسفرا في أول الأمر عن تفاقم ظاهرة التوافد على كبريات المدن.

وكان من شأن هذه الظروف أن عملت على تعجيل وتيرة انقراض أحواز الحواضر، ولا سيما الداخلية منها. مع ذلك ظلت المدن تتوفر بما فيه الكفاية على احتياطي عقاري قمين بتلبية احتياجاتها من الأراضي القابلة للبناء. مما جعلها تفضل تكثيف النسيج الحضري بنمو ينهج ثلاثة أساليب متزامنة : ملء ما أمكن من الفراغات الداخلية والأراضي الفلاحية للأحواز الخارجية والامتداد العمودي بواسطة العمارات والزحف الهامشي على الخصوص بجبهات التمدين المتعاقبة، وهي حالة الكثير من المدن المغربية الكبيرة والمتوسطة إلى عهد قريب.

وفي الوقت الذي عرف فيه السكن الفقير "عصره الذهبي"، سواءً في الهوامش السكنية المتسترة، وبالأساس في أحياء الصفيح، أو حتى داخل المدينة القديمة التي واصل سكانها الأوائل النزوح عنها إلى أحسن، اكتفى المغرب المستقل بتكثيف نسيج المدن واتباع سياسة التنظيف الاجتماعي والتمييز المجالي، على غرار الفترة السابقة، ولو أنّ بوادر إعادة النظر والبناء وهيكلة التركة الاستعمارية قد أدت إلى تحقيق بعض البرامج الإسكانية الاقتصادية وبعض الدراسات لتحسين إمكانيات استقبال المدن للأفواج المتزايدة من الوافدين إليها.

وكانت الضاحية تعيش مرحلتها الجنينية، واقتصرت على تكثيف وتنويع أنشطتها الفلاحية في ارتباط تدريجي بالمدينة. كما أن كبريات المدن قد خنقت، بفعل نموّها الفجائي مناطق نفوذها وأحدثت فراغاً حضرياً واسعاً حولها وحالت دون بروز شبكات حضرية مكتملة متقاربة ومتراتبة. فاستمرت في تلبية حاجيات "النواحي" من المصالح الإدارية والخدمات النادرة بطريقة مباشرة. أما توابعها من المدن الصغيرة والمراكز والقرى المجاورة فكانت تنمو ببطء. ومازال جزء كبير من الأقطاب الجهوية الآن يتنصّل بمشقة من ملامح هذا الوضع (مراكش، فاس، مكناس، طنجة، وجدة، آسفي).

أما إثبات تبعية المجال الهامشي للمدينة وإدماجه الوثيق في إوالية تطور المدينة الوظيفي والسكني فقد انطلقت مع بداية السبعينيات فصاعداً.. حيث عملت المدن الكبرى على نموّها اعتماداً على تعدّد النويات، أي وفق زحف متلازم للضاحية والمدينة، الواحدة نحو الأخرى داخل المدار الحضري، واستمرّ تكثيف وانتشار نسيج المدينة بشكل متراكز، كما كان الأمر سابقاً، أو أخطبوطي. خارجه تضخمت المراكز الضاحوية والمدن التوابع السابقة، كما انطلقت عملية تمدين الأرياف بظهور مراكز أخرى عضوياً أو إرادياً في الضاحية الخارجية وحتى الضاحية البعيدة.

وتضافرت مجموعة من الأسباب والوسائل الموجبة لتفسير هذا الاندماج بين المدن الكبيرة وضواحيها الذي أدّى حتماً إلى تشكيل مجموعات حضرية يبدو أن الأدوار والتموقعات تتوزع ضمن كل واحدة منها. وتأتي على رأس قائمتها العوامل التالية :

- مواصلة استقبال فائض سكان الأرياف مباشرة من طرف المدينة الكبيرة وعبر محطات قد تكون شبه حضرية أو ضاحوية.

- تقوية الرأسمال الخاص وتوسع الاستثمارات في الضاحية، وعلى الخصوص في قطاعي الفلاحة والصناعة بجميع أنواعها، وذلك بمنطق التركيز المجالي في الأقطاب الجهوية وغير بعيد عنها.

- تطوير وسائل المواصلات الضاحوية بموازاة مع تمتين العلاقة بين المدن والأرياف، ولاسيما العمومية منها والتي تستعملها جميع الفئات وعلى مسافات قد تمتد إلى عشرات الكيلومترات، مع العلم أن توفر النقل يساعد على توسع المدينة وإعطاء دفعة جديدة للحركات اليومية، وبالتالي تثبيت توزيع وحدات المجموعة الحضرية والسكان.

- ميل الرأسمال الخاص إلى توطيد التركيز الاقتصادي الذي سبق وأن قطع أشواطاً في الأقطاب الجهوية، وخصوصاً في الواجهة الأطلنطية التي تشهد في نفس الوقت نمواً متزايداً للوظيفة الترفيهية والاستحمامية والتي يعقبها ازدهار سياحي مترافق مع السكن الساحلي الراقي والقار.

- ممارسة السلطات العمومية والقطاع شبه العمومي والجماعات المحلية لتدخلات ظرفية بجانب السياسات الهيكلية، والعمل في آن واحد على البنيات الفوقية والمستويات التحتية في ميادين تهيئة التجزئات وبناء السكن الاقتصادي والمتوسط ومحاربة واستخلاف أحياء الصفيح وتشجيع الإنعاش العقاري وتجهيز الأرياف والتعمير والتكثيف الإداري وإعداد التراب واللامركزية واللاتمركز وفك اكتظاظ المدن.

- توطيد العلاقة بين الحركية السكانية المجالية والدينامية الاجتماعية، إذ أصبح انسياب السكان من أجل الشغل والاستقرار يأخذ اتجاهاً مزدوجاً، فصارت المدينة بدورها تلقي نحو الأطراف والهوامش بشرائح من الفقراء وبكل من يعاني صعوبة مسايرة تكاليف الحياة في المدينة، بالإضافة إلى الفئات الميسورة التي تفضل الإقامة بعيداً عن وسط المدينة.

وعلى هذه السيرورة، يتعذّر تصنيف الضواحي المغربية إلى مجالات متخصصة، كما هو الشأن في الدول المتقدمة. ويعزى ذلك التعدد في الوظائف إلى عدم مصاحبة وصاية المدينة منذ البداية بما يكفي في التخطيط والتنظيم والمراقبة لتدخلات الدولة والرأسمال الخاصّ. ولطالما خضع المجال الضاحوي لكثير من العشوائية وقليل من البرامج الاستدراكية، حتى أصبح يتخذ في المجمل أشكالاً وأحجاماً متنوعة، ويحتضن وظائف وأصولاً سكانية متعددة.

ويتعلق الأمر إذن بتباين الضواحي وأجزاء الضاحية الواحدة وليس بتوزيع مسبق ومرتب للأدوار والمهامّ قصد التخصص وتوزيع التوطينات. فهناك جزء صناعي وآخر عمّالي وقسم استحمامي، وهناك وحدات سكنية تتراوح بين الراقية والمتوسطة والمتواضعة، كلها متجاوزة ومتناوبة

ومتداخلة فيما بينها، وكأن الضاحية أعادت إنتاج التفاوت الاجتماعي والتميز المجالي والوظيفي اللذين اشتهرت بهما المدينة، مع فارق اتساع واستمرار حيوية الضاحية الفلاحية هنا، رغم تآكلها ومنافستها بمنتوجات أخرى.

والضاحية اليوم هي إذن علاقات ومستوى عيش وتوزيع للشغل وسلوكات، وهي بالتالي ظاهرة اجتماعية واقتصادية أكثر مما هي مجرّد تحديد وتوزيع مجالي للأشكال والتجهيزات والأنشطة والسكن. فهي تنبني على نوعية الأدوار المنوطة بها، ومدى سيولة الاتصال وكذا توفر وسائل النقل وأنماط البناء ودرجة التمدين والبنيات العقارية وطبيعة الاستثمار ومستوى الكثافة السكانية وخصوصية السلوكات والأجواء العامة... ويبقى البعد أو القرب عن وسط المدينة الأم أو الانتماء أو عدم الانتماء الإداري لها ودرجة الهيمنة عليها اعتبارات نسبية.

تحولت الضاحية من مجال مستعار تتوسع عبره المدينة الكبيرة باطراد إلى كيان ذاتي وطرف فاعل في المجموعة الحضرية. ومن المجموعة الحضرية الكبيرة التي غالباً ما تتعاقب داخلها الضواحي، أو على الأقل تشتمل على جيلين من الضواحي اندمج فيها الواحد تلو الآخر، ينتشر مدار النفوذ ليسفر عن تكوين شبكة حضرية فرعية أو مكتملة. ومن مجموعات حضرية متجاورة بالواجهة الأطلنطية امتدت خيوط الروابط بينها لتعمل على تشكيل مجمع مدني عملاق على وشك الالتحام طوال شريط يصل القنيطرة بالجديدة على مسافة أكثر من مائتي كيلومتر. بعبارة أخرى، تندرج الضاحية ضمن مجال أوسع وفي إشكالية تشمل كافة مكونات النظام الحضري في واقعه وصيرورته، وتتأرجح بين المحلي والجهوي (أو الوطني)، أي بين التعمير والتنظيم الإقليمي وإعداد التراب الوطني.

وخارج مجمع القنيطرة الجديدة المتميز بضخامته وارتباط مجموعاته الحضرية الأربع فيما بينها بسلسلة من الضواحي الساحلية، قليلة هي المدن التي تتوفر على ضواحي واضحة المعالم وغير مبتورة، وعلى رأسها أكادير وتطوان والناظور. وذلك رهين ببعض الظروف الاستثنائية : كالكثافة السكانية المجاورة العالية، والعائدات الهائلة للمغاربة القاطنين بالخارج، والوضع الخاص لسبتة ومليلية، والاقتصاد الخفي الوازن الذي يعتمد على المخدّرات والسوق السوداء (ما عدا بأكادير)، والسياحة الشاطئية المزدهرة (ما عدا في الناظور). أما الأقطاب الجهوية الأخرى، فبقدرما تتحكم في مناطق شاسعة الأبعاد، بقدرما لازالت تفتقد العدد الكافي للقرى والمراكز الحضرية الصغيرة التي تسهل عملية المبادلات وتركز حولها الحياة الضاحوية.

م. سلطان، *الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ـ 2000 ؛ ب. إبيسك، من قضايا الجماعات الضاحوية، جماعة سيدي الطيبي مثال، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ـ 2000.

G. Chabot et J. Beaujeu - Garnier, *Traité de géographie urbaine*, Paris, 1963 ; P. Georges, *Précis de géographie urbaine*, Paris, 1968 ; *Dictionnaire de la géographie*, PUF, Paris, 1974 ; S. Benzakour, *Essai de la politique urbaine au Maroc, 1912-1975*, Casablanca, 1978.

مصطفى عياد

الضاد أو موالين الضاد هو اسم موقع أثري (اكتشف خلال أبحاث التنقيب الأثري التي تقوم بها شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ عين الشق الدار البيضاء، منذ سنة 1985، بمساهمة الطالب عمر مصيون). يرتبط اسم الموقع باسم مجمع ديني يهودي. يقع بقبيلة أولاد بوزيري، فخذة توامة، على بعد 56 كلم تقريبا جنوب مدينة سطات.

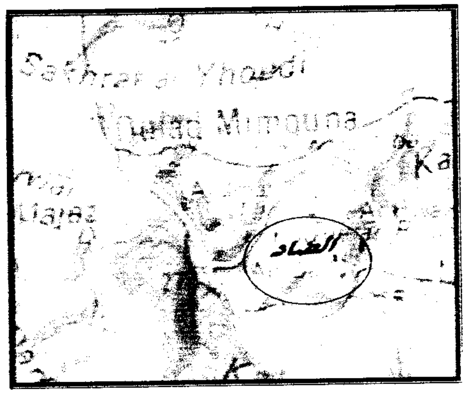
طبونيمية الاسم : لا ندري ما هي العلاقة الفعلية بين هذا الاسم والحرف الهجائي "ضاد" في اللغة العربية. وتكتب الكلمة في اللغات الأجنبية DAD أو ED-DAD. وتفيد أن "الضاد" لقب حبر يهودي (أبراهام آريور) نزح من القدس منذ ثلاثة قرون واستقر بالمنطقة ومات ودفن (*Villes et tribus du Maroc*, t. II, p. 293). وترى الرواية الشفوية أن كلمة "الضاد" أو "الضاض" هي اسم الجبل حيث يوجد موقع الضاد الأثري ومقبرة كان من بين قبورها قبر الحبر اليهودي.

المجمع الديني اليهودي : يشتمل المجمع على بيعة وبداخلها قبر ابراهام أوريور وتحيط بها مجموعة من المنازل خاصة بالزوار، يوجد من بينها بيت به قبر الحبر "نسيم بن نسيم"، وغير بعيد عن هذه المجموعة يوجد مصعدان يؤديان إلى مقبرة بها ستة قبور بنيت على سور موقع الضاد الأثري.

ولم تكن هناك في الأصل بيعة ولا أي مجمع ديني بل كان بالمنطقة، خارج سور موقع الضاد، قبر محاط بحوش بالمقبرة جعلت منه الطائفة اليهودية قبر أحد أحبارها المدعو "ابراهام أوريور" وقامت في سنة 1915 ببناء بعض البنايات (J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93)، وربما كانت البيعة من ضمنها، وتوالت أشغال البناء من وقتها إلى يومنا هذا. ولا نملك معلومات كافية عن ترجمة الحبر باستثناء قدومه من القدس برفقة حبر آخر يسمى "يحيى الأخضر"، في إطار جمع المساعدات للطائفة اليهودية أو للتبشير الديني، وبعد استقراره بالمنطقة ووفاته بها (*Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93). ارتبط اسمه "ابراهام" باسم نبتة كانت منتشرة على كل المقبرة تسمى محليا "أوريورة" وأصبح الاسم الشائع هو "ابراهام أوريور"، ويبدو من خلال نص "ملاحات الرباط وسلا" أن الكاتب أدرج اسما آخر "إبراهيم لوليو كوهن"، ربما هو أبراهام أوريور نفسه، الذي رافق يحيى الأخضر من القدس (نفس المرجع، ص. 94).

وتبين من خلال الدراسة الميدانية أن المقبرة كانت لأموات المسلمين ومازالت أشغال الحفر تكشف في الوقت الحالي عن قبور موجهة نحو القبلة كلها ومدفونة بطريقة واحدة. ومن غير المستبعد أن المقبرة كانت تابعة للموقع الأثري وهذا ما

تؤكده جميع الدراسات العلمية من أن المقابر الرئيسية كانت توجد خارج مسورة المدن وبمحاذاة أبوابها الرئيسية.



موقع الضاد الأثري :

يحتل الموقع قمة جبل الضاد المسطحة، بانحدار ضعيف نحو الجنوب الغربي. والجبل عبارة عن كتلة تل صخرية، يبلغ ارتفاعها 390 م تقريبا، تشرف عبر أجراف صخرية عالية على وادي قيبان باستثناء واجهة التل الشمالي المفتوحة على المجمع الديني اليهودي ودواوير الهواورة.

ويتكون الموقع من بقايا سور على الواجهة الشمالية الغربية ومن بقايا بنايات أغلبها عبارة عن منازل منتشرة على السطح المرتفع كله. وتعتبر الحجارة الطبيعية من مواد البناء الأساسية المستعملة في السور والبنايات، وهي من الحجم المتوسط دون صقلها وتشذيبها وموضوعة بتقنية منتظمة.

ويحيط السور بواجهة واحدة بالموقع بينما الواجهات الأخرى محصنة طبيعيا. و يصل السور إلى 210 م. تقريبا وعرضه بين 0.80 م. ومتر واحد، واتجاهه ش ش ج غ. وقد شيدت حديثا فتحة باب على السور، تربط بين السلم والمقبرة اليهودية. وينعطف طول السور بانعراجين : الأول على بعد 148 م. من انطلاقه بالشمال الشرقي والثاني على 150 م. ولا يمكننا أن نسجل حضور الأبراج المرتبطة بالسور بسبب كثرة الحجارة المنتشرة فوقه وخارجه. أما فتحات الدخول إلى الموقع فقد وقفنا على بقايا فتحتين على الأقل، ونفترض أن الفتحة الثالثة كانت بالموضع الذي بني عليه السلم والمقبرة اليهودية.

وشيدت فوق المساحة المحصورة (حوالي 24 كلم مربعة) بين السور وحافة الجرف الصخرية مجموعة من البنايات السكنية. وتبين البنى الأثرية اتجاه الجدران على السطح، ويبدو أنها بنيت على تخطيط هندسي منظم وغير عشوائي بحيث تلتصق كل واحدة مع أخرى بنفس المجموعة الداخلية وتشرف بعضها على نفس الاتجاه. إن صعوبة تتبع اتجاه الجدران حال دون ضبط نموذج هندسي لبعض الوحدات البنائية نظراً لتراكم الحجارة فوق بعضها، وهذا يتطلب القيام بعمل مضن للتنظيف ولترتيب الحجارة.

بالإضافة إلى البنى الأثرية، تم العثور على كمية كبيرة من القطع الفخارية والخزفية التي تبين من خلال القراءة الأولى، أن نسبة عالية منها تعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي، وهي فرضية لا بد من تحقيقها بعد الدراسة الدقيقة لهذه القطع. أما المواد المعدنية، فإن ما عثرنا عليه لا يعكس أهمية تذكر بالنسبة لتأريخ الموقع أو المواد الأثرية، لأنه لا يتعدى قطعا نحاسية مكسورة.

ونستخلص مما سبق أننا أمام موقع أثري محصن، قلعة أو حصن، ولا ندري هل اسم "الضاد" هو الاسم الأصلي أو كان يحمل اسما آخر، لأننا لم نجد في النصوص التاريخية إشارة إلى الاسم. وأهم إشكالية تطرح بالنسبة للموقع هي كيف ومتى تم ربطه بالطائفة اليهودية، بعبارة أخرى أننا نخشى أن يكون مصير الموقع الأثري هو نفس مصير المقبرة التي آلت إلى التلف، بعض النظر عن أصولها، وبني فوقها المجمع الديني اليهودي.

J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927 ; Michaux-Bellaire [et al.], *Villes et tribus du Maroc (Casablanca et les Chaouia)*, Paris, 1915 ; Ould Dada, *Settat chef-lieu de la Chaoui*, Settat, 1990.

أحمد أشعبان

الضّاسر، بلعيد بن الحسن شاعر فحل قل نظيره بين الشعراء الشعبيين بمنطقة حاحا، والده كان يُقلِّد فنانا اسمه الضاسر فأصبح يحمل اسمه.

ولد الشاعر بلعيد بن الحسن سنة 1327 / 1909 بقرية أكزمير (خميس إقبْلين) ناحية اسميمو بإقليم الصويرة، وبعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة عمل في المجال التجاري، وتزوج حيث رزق ولدين وأربع بنات.

وقد تعاطى قرض الشعر الشعبي الشلحي منذ صغره، وضمن المجموعات الأحواشية تناول في شعره مختلف مواضيع الحياة، وسجل للإذاعة الوطنية المغربية سنة 1956 قصيدة الاستقلال وأخرى بعد مرور بضع سنوات، وسجل قصيدة المعراج يوم 3 / 9 / 83 ثم قصيدة رمضان وأخرى بعنوان الزواج وذلك يوم الأربعاء 5 / 10 / 83 مغتنما بذلك زيارته لأهله وأصدقائه بمدينتي الرباط وسلا وقد بدت عليه حينذاك آثار الإنهاك والتعب وهو في حدود 77 سنة من عمره.

وللشاعر بلعيد الضاسر شهرة في مستوى ما لباقي كبار الشعراء بمنطقة سوس وحاحا لما يمتاز به شعره من جمالية وفن وموضوعية وشمولية.

أحمد امزال العبيري

ضاكة، الطاهر، من أسرة أندلسية رباطية اشتهر فيها بكونه من علماء وقته برز في الرياضيات والفلك، أخذ عن شيخ الرباط في علوم الرياضة والتوقيت والتعديل المعطي مرينو، وكان ناسكا منعزلا عن الناس ملازما لدويرته بدرب أجنين بالجزاء، وظل عازباً لم يتزوج. ومن تلامذته

علي دينية الذي أخذ عنه الحساب والتوقيت، والفقيه محمد ابن أحمد الرغاي، والفقيه التهامي البطاوري. اشتغل ناظراً للزاوية الرحمانية.

وقد توفي في 3 شعبان 1295.

دينية، *مجالس*، ص. 199.

عبد الإله الفاسي

الضاوي بن **صالح** (قائد)، ولد بأولاد بوغادي (بني خيران) حوالي سنة 1886. كان من أعيان بني خيران. وظهر طموحه السياسي أثناء مرور الحركة الحفيظية بالمنطقة في توجهها من مراكش نحو فاس، وخاصة أثناء رسوها بعين مازة ببني خيران منذ أواخر 1908. فقدم للسلطان الجديد الدعم المالي (مواشي - مؤن - أموال) والدعم المعنوي، ولعب إلى جانب قائد السماعلة محمد السربوت دور الوسيط بين المولى عبد الحفيظ وموحى وحمو الزاياني. فنجحا في استقدام "موسى" ابن موحى وحمو، و"العايدي" ابن أخيه، في إشارة لتمهيد الطريق للحركة الحفيظية للعبور نحو مكناس.

وشارك بفرسانه إلى جانب الفرنسيين في العمليات التي قادوها بتادلة والأطلس المتوسط. وحصل على وسام الشرف ووسام صليب الحرب. وعين قائدا على موالين الدندون رسميا في 18 نونبر 1922 موحدا بذلك ثلاث قيادات سابقة (المرسلي - بلمقدم - خلوق)، وعين الخليفة الشرقي بن محمد خليفة له في 14 أكتوبر 1925. وظل القائد الضاوي يتطلع إلى إزاحة القائد الدرمومي، قائد الكناديز، وتوحيد جميع بني خيران تحت قيادته. إلى أن تمت إقالته من القيادة بعد الاستقلال. وتوفي في أولاد بوغادي سنة 1972.

أحمد بن قاسم بن محمد المنصوري، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن لحسن، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayne Almaghrib Alaqsa*, Alger, 1939 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène*, 1° nov. 1921 - 1 janv. 1937.

صالح شكاگ

الضاوي، محمد (سيدي)، ويعرف اختصاراً بسيدي الضاوي، أحد أشهر أولياء مدينة الجديدة، إلى جانب لالة زهرة، وسيدي موسى. وينسبه العارفون إلى ركراكة، مما يفيد أنه من الطارئين على المنطقة. ويمكن أن ندفع بهذا المعطى إلى أبعد من ذلك، ونؤكد الرواية الشفوية التي تقول بأنه جاء من بلده، ونزل في دكالة قصد المرابطة والمساهمة في الجهاد لتحرير البريجة من الاحتلال البرتغالي. بل يفهم من نفس الرواية أنه كان من زعماء الجهاد في زمانه مثل الفقيه العياشي، وسيدي إسماعيل المشترائي. وتضيف الرواية نفسها أنه قاد أتباعه في هجمات عديدة ضد البرتغاليين، وكان سلاحهم المناجل. ولما قدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى حصار هذه المدينة، انضم سيدي محمد الضاوي إلى قواته، وشارك، إلى جانب سيدي لغنيمي، ولي سطات، والشيخ أحمد بن موسى ابن ناصر، كبير الطائفة الناصرية في المغرب، وكثير من أولياء المغرب، في طرد البرتغاليين وتحرير البريجة، التي صارت تسمى الجديدة. بل يذكر أن سيدي محمد الضاوي سقط شهيدا يوم هذا الفتح.

وإلى جانب الجهاد، كان سيدي محمد الضاوي فقيها معلما للقرآن وللقراءات، ورجلا متصوفا، له أتباع، يهتدون بهديه، ويتبعون طريقته في التصوف. ولعله كان من أتباع الطريقة الجزولية، مثل غيره من المجاهدين في زمانه. ومازال بعض الناس يحفظون بعض الفقرات من الوظيفة التي كان يرددها سيدي الضاوي مع أتباعه، ومطلعها :

إن لله رجالاً فطنـــا   طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنـــا

وهذا يعني أن سيدي الضاوي كان مرابطا في زاوية مع أصحابه، يعلمهم ويهديهم، ويرأسهم في الجهاد. ومن ثم، اكتسب شعبية كبيرة، فقصده العامة بدورهم، لنيل بركته.

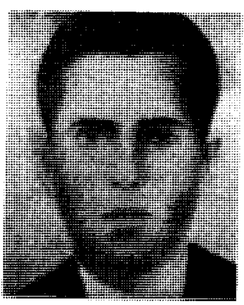
ومن الآثار الباقيات، الدالة على ارتباط سكان الجديدة، بهذا الرجل اعتقاد الناس أن التبرك بتراب قبره فيه شفاء للمصابين بالأمراض الجلدية، وخاصة المرض المسمى على لسان العامة بالتالول. كما يؤكد هذا الارتباط بينه وبين السكان، وخصوصا من يجاور ضريحه، تسمية حيهم باسم هذا الولي. ويلاحظ، في نفس الإطار، استمرار ظاهرة مثيرة إلى الآن، وهي حرص أسر المدينة القديمة، وسكان حي سيدي الضاوي بالخصوص، على أن يقوموا بزيارة ضريح هذا الولي بمناسبة حفل ختان أحد أبنائهم. ففي هذه المناسبة يتجه أهل المختون بابنهم في حفل بهيج، فيطوفون حول الضريح من الخارج ثلاث مرات، ثم يطوفون بالداخل في الفناء ثلاث مرات أيضا، قبل القيام بعملية الختان.

بقيت الإشارة إلى أن بعض الناس يعتبرون أن زاوية سيدي محمد الضاوي هي النواة الأولى لمدينة الجديدة التي تكونت خارج السور. وبناء عليه، لاغرو إذا اعتبر من كبار أولياء مدينة الجديدة، مثل للازهرة، وسيدي موسى.

بحث ميداني، ورواية شفوية محلية.

أحمد الوارث

الضاوية، محمد بن حمادي، ولد سنة 1935 بوادي زم، إقليم خريبگة.



عُرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية حيث اختار العمل المسلح ضمن التشكيلة التي يرأسها السيد ممدوح بوشعيب. قام بعدة عمليات ضمن فرقته وشارك في مظاهرة 20 غشت 1955 فكان على رأس المتظاهرين يذكي الحماس فيهم حاملا العلم الوطني وصورة لصاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس.

ووجوده في مقدمة المتظاهرين يوم 20 غشت 1955 عرضه للإصابة بالرصاص الذي كان يطلقه جيش المستعمر فسقط شهيدا في ساحة الشرف.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523505.

الضاية، تطلق على التجمع المائي بصرف النظر عن حجمه أو مساحته أو موقعه أو نوعية مائه، نجدها بمختلف أقاليم المغرب بالجبال مثل ضاية "عوة" وبالسهول بغابة المعمورة والشاوية ودكالة مثل ضاية "الفحص" وبالسواحل البحرية مثل ضاية "بوغابة" قرب المهدية. كما لا يراعى في التسمية مساحة التجمع المائي إذ تطلق على مستنقعات وتجمعات مائية موسمية صغيرة بالحوز ودكالة والشاوية، كما تطلق على بحيرات كبيرة نسبيا مثل ضاية "إفراح" وضاية "شيكر". كمالا يراعى فيها نوعية المياه إذ تطلق على مياه عذبة كمياه البحيرات الجبلية والمستنقعات والبرك المتخلفة عن سقوط الأمطار بدكالة والشاوية وغيرها، يستغل القرويون ماءها في الاستهلاك المنزلي والتنظيف. كما تطلق على بحيرة ساحلية مرتفعة الملوحة : 6 ـ 7٪ مثل ضاية بوغابة قرب المهدية.

ويحيط الغموض بأصل الكلمة هل هي عربية أم أمازيغية أم لها مصدر آخر يعود إلى ما قبل الإسلام والتعريب بالمغرب إذ تستعمل بمدلولات متباينة في السهول حيث ساد التعريب في القرون الأخيرة والجبال حيث مازالت اللهجات الأمازيغية منتشرة. وإذا رجعنا إلى القواميس العربية نجد في لسان العرب : ضوا، الضوة، والضوة : الصوت والجلبة. وضوى يضوي ضيا : انضم إليه. والضوي : الضعف والهزال. ولعل أصل الضاية مستمد من الضاوية أي الضاية، وحذف المغاربة الواو في الاستعمال الدارج.

والواقع أن هناك تسميات عديدة تطلق على التجمعات المائية بالمغرب سواء الدائمة أو المؤقتة، منها ما هو دقيق نسبيا وما هو ليس كذلك، ومنها ما يسود في الجبال دون السهول أو العكس. ومنها المستمد من اللغة العربية أو اللهجات الأمازيغية، وهي :

ـ أگلمان ج. أگلميم : كلمة أمازيغية قديمة، تطلق على عدد من البحيرات بالجبال بصيغة الجمع مع تحويل كسرة الهمزة إلى فتحة مثل : أگلمان أزگزة وأگلمان سيدي علي، بل امتدت حتى إلى مشارف الصحراء مثل مدينة أگلميم بجنوب سوس، ويبقى الاسم حتى وإن جفت المياه واختفى مدلولها الأصلي.

ـ تامدا : اسم بحيرات جبلية صغيرة بالأطلس الكبير.

ـ إيفرض : تطلق على برك مؤقتة وبحيرات صغيرة غير عميقة بالجبال، كما تطلق على بحيرات اصطناعية تكونت وراء حواجز تقليدية على سيول بالمناطق الجبلية، وأحيانا على صهاريج لجمع مياه العيون.

ـ مرجة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالسهول خاصة بالغرب، وهي مرادفة لكلمة "ضاية" بقسم من دكالة. كما تطلق على بحيرات ساحلية مالحة مثل "المرجة الزرقاء".

ـ گلتة : تطلق على تجمعات مائية مؤقتة غالبا بمناطق عديدة بالمغرب كالحوز ودكالة بل حتى بالصحراء مثل : گلتة زمور، ويبقى الاسم حتى بعد اختفاء المدلول بتغير الظروف الطبيعية والمناخية.

ـ سبخة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالمناطق الجافة المستوية غالبا، وترتبط مياهها بالملوحة سواء من تربة قعرها أو مما تحمله المياه في جريانها. فعندما تجف المياه في الفصل الحار تخلف طبقة سطحية من أملاح بيضاء، وهي كلمة واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجافة والصحراوية، لكننا نجدها تطلق على بحيرة ساحلية مالحة كبيرة مثل : سبخة بوعرگ قرب الناظور مساحتها 115 كلم^{2}، ويصل عمقها إلى 8 م.

ـ شط : تستعمل بالمغرب الشرقي والجزائر بنفس مدلول كلمة "سبخة".

ـ نقع : كلمة عربية تدل على مستنقعات صغيرة مؤقتة وهي قليلة الانتشار بالمغرب.

ـ بركة : كلمة عربية تطلق على تجمعات مائية مؤقتة صغيرة بالسهول الساحلية، تستعمل أحيانا كمرادف للضاية.

ـ غدير : كلمة عربية تطلق على تجمع مائي صغير مؤقت وأحيانا دائم، تستعمل بأقاليم عديدة مثل : الحوز والرحامنة ودكالة...

ـ وهناك بحيرات جبلية عديدة يعرفها السكان المحليون باسمها الخاص دون ذكر اسم نكرة يدل على تجمع مائي مثل : تامدا وإيسلي وتيسليت بالأطلس الكبير الأوسط وإيفني وهي بحيرة صغيرة عميقة جنوب جبل توبقال. وأحيانا يسبق الاسم بكلمة "أمان" أي مياه. وأحيانا يطلق على التجمع المائي اسم نكرة دون تسمية خاصة مثل "تامدا"، لأنها منفردة بمنطقتها الجبلية.

والواقع أن جل هذه التسميات غير دقيقة في مدلولها اللهم دلالتها على تجمع مائي، فهي ما زالت في حاجة إلى دراسة علمية ممنهجة لتحديد مدلولاتها وظروف تكوينها ودورها في التوازن البيئي. وهذا ما دفع الجغرافيين المغاربة الجدد إلى ربط التسمية المحلية للتجمع المائي مع الاسم الخاص له كاسم علم مركب مسبوق بكلمة "بحيرة" التي هي مصطلح جغرافي يقابل الكلمة الفرنسية Lac، التي تدل على تجمع مائي صغير دائم كليا أو جزئيا، إذ تتأثر بكمية التساقطات المطرية السنوية، تحيط به الأرض من كل

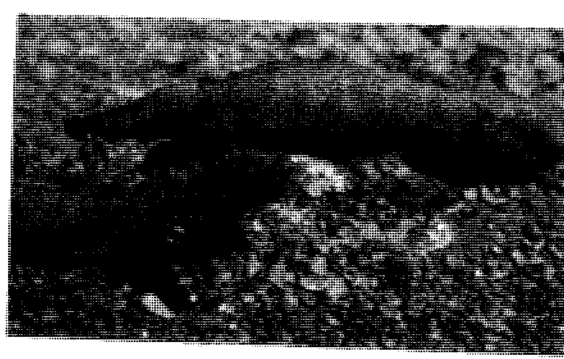
الجهات، وهو تصغير كلمة بحر، فيقولون بحيرة ضاية عوة وبحيرة أكلمان أزكزا وبحيرة المرجة الزرگة. كما تطلق الكلمة على أغلب التجمعات المائية المهمة حتى وإن كانت اصطناعية مثل بحيرات السدود أو ساحلية مثل بحيرة الوالدية وبحيرة ضاية بوغابة. أما التجمعات المائية المؤقتة المنتشرة على السطوح المسوّاة نسبيا وغير العميقة مثل الضايات والمرجات والبرك والنقع والغدير والگلتة والسبخة.... فتعرف كلها بمصطلح جغرافي حديث هو "مستنقعات" وهي ترجمة للكلمة الفرنسية Marécage.

تقوم الضايات وغيرها من تجمعات مائية بأدوار إيكولوجية واقتصادية واجتماعية مهمة، ارتبطت بها حياة كثير من التجمعات السكانية منذ القديم. تزود المواشي بمياه الشرب وأحيانا السكان كذلك، وتحافظ على استمرار كائنات حية عديدة منها ما هو خاص بها، من نباتات وطحالب وفطريات وأسماك وضفادع وسحالي وطيور... كما يكون بعضها محطات عالمية للطيور المهاجرة من أوربا نحو إفريقيا أو العكس، إذ تعد من المعالم التي تهتدي بها في طريقها، وتمكث بها بضعة أيام أو أسابيع للاستراحة وللتغذية.

كتب جغرافية متنوعة ودراسات جغرافية بمجلات متخصصة وبحوث ميدانية.

أحمد هوزلي

الضب، كما هو في اللغة وفي الدارج يجمع على ضُبّان وضباب، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة العظاء Squamates وفصيلة الحبينات Agamidae. يشتمل على 12 نوعا تعيش كلها في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة الإفريقية والأسيوية وتتحمل حرارة مرتفعة تتعدى أحيانا 50 C°. نوع واحد منها يألف المناطق الجنوبية المغربية يسمى علميا Uromastix acanthinurus belle, 1825 وبالفرنسية Fouette queue du Sahara وLézard de palmiers وبالإنجليزية Dhub وThorn tailed Agama وDabb-lizards وبالأمازيغية أگوتاي ج. إگوتاين، أگوجيم - ج. إگوجيمن، أمگاشو - ج. ئمگاشاون، أگزرام وأگيزام وأحردان.



يتميز الضب بجسم غليظ متجعد ومسطح، يبلغ طول الكبار جمعا بين الجذع والذنب 42 سم، الرأس دائري ومسطح لا يتعدى طوله 7 سم، الذنب عريض وقصير نسبيا يصل طوله إلى 17 سم ويحمل عدة حلقات متراكبة مشوكة خشنة، القوائم قصيرة وقوية، الحراشف الظهرية متراكبة وأصغر من الحراشف البطنية. لونه أسمر أشهب في الظل، يميل إلى الصفرة خلال النهار فيختلط مع ألوان الرمال أو الأتربة المحاطة به. يتغير لونه حسب التربة والحرارة، يقضي الليل والأيام الباردة في جحور يبلغ طولها 80 - 300 سم وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهاراً بعد ارتفاع الحرارة. يأخذ مكانه غالبا فوق صخرة مسطحة مرتفعة ويمدد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة كل ما يحيط به، يخشى الحرارة المفرطة فيلتجئ إلى الظل. يشتي طيلة فصل البرودة وينشط ما بين مارس وأكتوبر. يقاوم أعداءه بتحريك جانبي سريع لذنبه ؛ فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان.

حيوان بيوض عاشب، موجود في عدة مناطق بجنوب المغرب وشرقه في عوينة تورقوز وزاكورا وواروزازات وفكيك وأرفود والرصاني والطوز والرشيدية وهضاب حمادة وطانطان والعيون والسمارة وكرسيف وتاوريرت. مهدد بالانقراض في عدة مناطق بجنوب المغرب لكثرة مضايقته من طرف الإنسان الذي يتغذى من ذنبه الغني بالدهنيات أو يحنطه للتزيين المنزلي كما يستعمله في الطب التقليدي وفي عالم السحر فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب. يصعب تدجينه في أغلب الأحيان لأنه يمتنع عن الأكل فيموت.

يتوالد في الصيف - يونيو - ويوليوز - وتضع الإناث بداخل التراب 5 - 20 بيضة بيضاء شبيهة بثمرة النخيل في شكلها، يبلغ قطرها الكبير 3,5 سم وقطرها الصغير 2 سم، تخرج الصغار بعد 6 - 8 أسابيع وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى ومن أوراق الأعشاب ثم تصير عاشبة مع تقدم السن.

حيوان محمي في كل من المنتزه الوطني لإريقي الواقع بين وادي درعة والمنحدر الجنوبي للأطلس الصغير، والمنتزه الوطني لدرعة السفلى وهو حزام ممتد بين جبل باني وجبل واركزيز، والمنتزه الوطني للداخلة.

م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 - 1628؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة ، 1932.

J. Bons, *Les lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, réparition géographique, éthiologie, écologie, Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie*, 18 , 1959.

الضبع، كما هو في الدارج واللغة، والضبع المخطط وعرفاء والذيخ والذيحة والضاحك كما هو في المعاجم، حيوان ثديي لاحم من الضواري Carnivore ومن فصيلة الضباع Hyaenidae. يسمى علميا Hyaena hyaena Linnaeus 1758 وبالأمازيغية إيفيس وئفيس وأريدال وتورسرا وبالفرنسية

Hyène rayée وبالإنجليزية Striped hyaena. يتميز بقامة كبيرة وبقوائم خلفية أقصر بكثير من الأمامية مما أدى إلى انحناء الظهر نحو الخلف. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه كبير وعنقه ضخم ؛ أذناه مثلثتان وبارزتان. شعره غزير طويل وخشن. تمتد على طول العمود الفقري من العنق إلى الذيل خصلة من الشعر الطويل الخشن تنتصب في حالة الغضب ؛ لونه رمادي إلى أمغر شاحب مع خطوط مستعرضة سوداء على الظهر والجانبين والقوائم. العنق أسود عموما ؛ شعر الذيل كثيف جدا وطويل، موحد اللون أو مخطط بالأسود. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نصف الفكين كالآتي :

3 / 3 قواضم ؛ 1 / 1 أنياب ؛ 3 / 4 أضراس أمامية ؛ 1 / 1 أضراس = 34 سنا.



علوه عند الغارب 65 ـ 80 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 100 ـ 120 سم وطول الذيل 25 ـ 35 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة والجثث والعظام ليسحقها بفكيه القويين. وينسب إليه في بعض المناطق المغربية أنه يحفر المقابر ليأكل عظام الجثث كما ينسب إليه أيضا أنه يهجم أحيانا على قطيع الغنم. مازالت بعض الفئات البدوية في شمال إفريقيا تؤمن بمنفعة مخ الضبع في عالم السحر. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل حوالي 110 أيام وعدد جرائه 1 ـ 4، توضع في الغيران والكهوف وترافق الأم بعد ستة أسابيع.

موطنه الأصل إفريقيا الشمالية والمناطق الصحراوية الإفريقية والشرق الأوسط والجزيرة العربية والهند. وصار نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين روضي المغرب منه عدة وحدات في شرق البلاد والأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير. وانقرض في كل من الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى.

ويعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة. وتعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique, Les guides du naturalistes*, Délachaux et Niestlé, Neuchatel, Paris, 1973 ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Scient.. Zool.*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الضُّبْلُونْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Doblón وهو اسم عُملة إسبانية قديمة.

الضبلون، الحاج عبد القادر مثري كانت له تجارة مع بعض أقطار أوروبا وخاصة انجلترا، وفي شهر رمضان 1104 (ماي 1693) ؛ كان القائد علي بن عبد الله الحمامي ينوي إرساله سفيراً للسلطان مولاي إسماعيل إلى فرنسا.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1132.

محمد ابن عزوز حكيم

الضّحّاكي، الحمزاوي هو محمد الضّحّاكي نسبة إلى دوّار الضّحّاك، على مشارف ـ مِيْرلفْتْ ـ وهو من شرفاء آل سيدي محند بن يوسف الوزاني، نقلت عن تلميذه وابن عمه سيدي إبراهيم ـ نْدْ زَاعْبُونْ ـ سنة 1980 مانصه "حدث لوالد مترجمنا هذا مشكل مع القبيلة، لذلك خافت زوجته على طفلها هذا، فهربت به عند أهلها بأيْت جرار، ولم ترجع به إلا بعد مدة، ولهذا ينعته البعض بالجراري في صغره".

وقد أطلعني سيدي إبراهيم هذا على مجموعة من الرسائل إلى مترجمنا، وتنعته دائما الشريف البركة الحمزاوي الصالح ... قال عنه صاحب *المعسول* : "تخرج بأحمد بن محمد الماسّي... ثم أقبل في مدارس بعمرانة إلى التخريج في الفنّ، وكان ينعزل عن غير تلاميذه، آية في حب الوحدة، وكان من الصالحين المعتقدين" في رجالات العلم العربي في سوس، ص. 227.

وقد عدّه صاحب *المعسول* كذلك من القراء الكبار، وقال : "وفنّ القراءات وإتقانه والقيام عليه من الفنون السوسية التي كانت سايرت عصرهم العلمي من قديم، وهو فنّ شريف مؤسس على قواعد علمية تدرّس بمؤلفات الشاطبي، وابن الجزري، وابن برّي والخرّاز وأمثالهم، وللسوسيين أيضاً مؤلفات في الموضوع... كشارح مورد الظمآن، وشارح مؤلف الخراز، وشرح الدرر اللوامع في قراءة نافع... ومن أشهر القراء بسوس أعجْلي، وأحمد أنجّار الباعمراني، ومحمد الضّحّاكي الباعمراني هذا من قبيلة أيْت إخْلْف (سوس *العالمة*، ص. 32 ـ 33).

ومما جاء في كتاب المدارس العلمية العتيقة بسوس للمتوكل عمر الساحلي ص. 332 قوله : "المقرئ الشهير سيدي محمد ـ أُ ضّحّاكْ ـ الباعمراني ... الذي نعته الأديب

لحسن البونعماني بخطة "الأستاذ الكبير الشريف ـ أو ضَحّاكْ ـ رحمه الله ورضي عنه" من غلاف الرحلة العبدرية. ومن أهم الصدف أن المتوكل هذا وجدني بميرلفت استجوب سيدي إبراهيم ـ نْدْ زاعبون ـ قصد استكمال ما نقلته عنه سابقا في السنة الماضية 1980، فصرنا معا نسجل ما يقوله إبراهيم هذا الذي توفي في 11 يناير 1987 ومما استفدته عنه هذه المرة عن مترجمنا قوله : "إنه عمّي وشيخي وهو محمد بن عبد الله بن عبد الله مكرراً بن أحمد بن محمد بن حميدة ولد في موضع الضحاك وتوفي سنة 1327. ونفسه عند المتوكل. وللضّحّاكي عدد مطمٌ ممن حفظ عنه القراءات السبع، وأسجل هنا أنّني رأيْت مصحفاً بخطّ الضّحّاكي برواية حمزة عند شيخنا سيدي الحسين بن أمغار بمدرسة بُوگَارْفَا

توفي سنة 1327.

محمد المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 33 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس* له، ص. 227 ؛ *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3، ص. 332 ؛ جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي

الضرباني، محمد البيضاوي. رجل عصامي لا تعرف مراحل نشأته الأولى، وإنما يعرف أولاً كموظف بالبنك الجزائري بالدار البيضاء الذي كان الاب جيكو (ابن الحسن) أحد المسؤولين فيه، وكان الضرباني رياضياً يلعب كرة القدم إلى جانبه في فرقة "ليوسا" كحارس للمرمى معروفاً بالفقيه، الأمر الذي يدل على أنه كانت له مسكة من علم.



انخرط الفقيه الضرباني بعد ذلك في سلك التعليم وأسس مدرسة حرة في إحدى الدور التقليدية القديمة المجاورة لمقبرة سيدي مبارك بحي باب مراكش بالدار البيضاء سماها "المدرسة السنية"، تولى التدريس فيها معلمون كفاة فلقيت إقبالاً كبيراً من سكان الأحياء المجاورة، وتخرج منها تلاميذ نجباء، تابع بعضهم دراسته وشغلوا مناصب إدارية رفيعة. وتنشط الفقيه الضرباني ـ إلى جانب التعليم ـ في الحركة القومية، ولقي من مضايقات السلطات الاستعمارية ما لقيه غيره من الوطنيين المكافحين.

وفي غمرة حركة التوسع والتجديد التي عرفتها المدارس الحرة برعاية محمد الخامس، سعى الضرباني في تحويل تلك المقبرة المندثرة مع بقعة فارغة مجاورة لها إلى مدرسة بعد جهد جهيد، وتحقق حلم الفقيه الضرباني بتطوير التعليم في المدرسة السنية الجديدة تبعاً للبرنامج الذي وضعته مندوبية المعارف بالقصر الملكي. وقد أصبحت المدرسة السبتية الجديدة بدرب دار المولودي حي باب مراكش معهدين متجاورين : المعهد المحمدي للأولاد ومعهد الأميرة للاعائشة للبنات.

مات الفقيه الضرباني قرير العين في 19 صفر عام 1387 / 29 ماي 1967 بعد أن ترك ابنه حميداً خلفا له في تسيير المعهدين، ثم توفي حميد الضرباني سنة 1416 / 1996.

أ. زياد، *دفتر أيام في الدار البيضاء* ؛ *روايات شفوية*، عن الأستاذ إدريس الفاسي.

محمد حجي

أبو ضربة، محمد بن إدريس بن عبد الحق المريني، كان والده إدريس أكبر أولاد عبد الحق جد بني مرين والذي قتل معه في حرب بني مرين عرب رياح سنة 614 / 1217. وكان لإدريس هذا عدة أولاد من بينهم محمد الذي ولد سنة 608 / 1211. شارك إلى جانب أعمامه في محاربة الموحدين، ففي سنة 638 / 1241 عندما خرج الأمير المريني أبو معرف محمد بن عبد الحق إلى ضواحي مكناسة لمواجهة الخليفة الموحدي الرشيد خرج إليهم الأمير محمد بن إدريس وبارز قائدهم ابن وانودين وهزمه، كما تمكن من قتل قائد الروم في الجيش الموحدي الملقب بأبي ضربة النصراني. وقد استطاع هذا الأخير قبل مقتله أن يصيب قاتله الأمير محمد بن إدريس بجرح عميق في مقدم رأسه وجبهته، وعندما اندمل جرحه ترك في وجهه أثرا لقب من أجله بأبي ضربة.

بعد هذه الواقعة لم نعد نسمع شيئاً عن أخبار الامير المريني إلا بعد سنة 660 / 1262 عندما ركز المؤرخون على دوره في مساندة تمرد ابن عمه يعقوب بن عبد الله على السلطان يعقوب بن عبد الحق ثم في ثورته هو على عمه السلطان بقصر كتامة. وأمام خطورة هذه الثورة وما يمكن أن ينتج عنها من صراع دموي بين أولاد وحفدة عبد الحق بهدف السيطرة على الحكم، قرر السلطان المريني سنة 662 / 1264 نفي أولاد أخيه إدريس كأبي ضربة محمد بن إدريس وأخيه أبي فارس عامر بن إدريس والحاج المجاهد التاهرتي على رأس طائفة من المجاهدين والمتطوعين المغاربة لمحاربة النصارى بالأندلس وكان أول جيش عبر إلى الأندلس من بني مرين. ومع ذلك استمر أبو ضربة في التشغيب على عمه ومعاداته إذ حاول من جديد إعلان الثورة عليه سنة 663 / 1265 بقصر عبد الكريم، فاضطر عمه أن يرسل إليه أحد أولاده وهو الأمير أبو مالك عبد الواحد الذي حاصره في معقله أياما ثم عفا عنه وأمنه وذلك لما بينهما من قرابة.

وفي سنة 669 / 1271 أخذ السلطان يعقوب البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح. فكانت الشرارة التي أشعلت نار الفتنة بين أولاد إدريس بن عبد الحق والسلطان يعقوب بن عبد الحق فأعلن أبو ضربة الثورة على عمه معتبراً أباه إدريس وأولاده من بعده أحق بالملك من أبناء عبد الحق وأن يعقوب وأولاده مغتصبين له فرفضوا بيعة ولده عبد الواحد. وقد اعتصم أبو ضربة ومن معه بجبل أمرگو في أحواز فاس (أو جبل علودان من جبال غمارة) ثم خرج إليهم السلطان وولداه عبد الواحد ويوسف فحاصروهم بالجبل ثلاثة أيام. وبعدما اشتد الحصار عليهم استسلموا وطلبوا العفو فعفا عنهم وأمرهم بأن يخرجوا من بلاده إلى تلمسان التي نزلوا بها مدة ثم انتقلوا منها إلى الأندلس.

وبعد وفاة السلطان يعقوب سنة 685 / 1286 بالجزيرة الخضراء بويع ولده يوسف بالخلافة ثم رجع إلى دار ملكه بفاس، وعند استقراره بها عاد الحنين بأبي ضربة إلى الثورة من جديد على ابن عمه يوسف في جماعة من بنيه وإخوته، فتحصن بجبال ورغة من أحواز فاس ودعا لنفسه وانضم إليه أحد أولاد السلطان يعقوب وهو أبو معرف محمد واعلنوا جميعا مخالفتهم للسلطان الجديد بما اضطر معه هذا الأخير إلى مواجهة الموقف بكل حزم وصرامة فحارب المخالفين إلى أن تفرقت جموعهم. فرجع أبو معرف إلى طاعة أخيه بينما فر أبو ضربة وبنوه إلى تلمسان. فاعتقلوا في الطريق ونقلوا إلى رباط تازا. وبعد ذلك بعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان لقتلهم فقتلوا جميعا وأبو ضربة من بينهم خارج باب الشريعة من رباط تازا وذلك في شهر رجب من سنة 685 / 1286.

ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ودار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص. 355 ـ 425 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 47 ـ 60 ـ 97 ـ 98 ـ 109 ـ 125 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دا المنصور، الرباط، 1973، ص. 308 ـ 377 ـ 404 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 351 ـ 367 ـ 368 ـ 377 ـ 437 ـ 763 ـ 764 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 10 ـ 23 ـ 67.

رشيد السلامي

الضريبة، أصلا ما كان العبد يؤديه إلى سيده من الخراج المقرر عليه، وتجمع على ضرائب. ومن ذلك ضرائب الأرضين، وهي وظائف الخراج عليها. ثم اتسع المعنى حتى صار يفيد كل الجبايات التي يؤديها الفرد إلى صاحب السلطان في الجماعة طوعا أو كرها. وحيث إن شؤون السلطان انتظمت في المغرب منذ أقدم العصور، فإن نظام الضرائب أبعد في القدم من أن يوقف على جذوره بكل دقة. وكانت بعض أشكاله معمولا بها في الممالك الأمازيغية، إما من باب الفريضة لصاحب الغلبة، وإما من باب التعاضد مثل التويزة التي هي مساعدة أفراد الجماعة للمعوزين أو العاجزين من إخوانهم، هذا فضلا عما فرضه الرومان من الضرائب أيام استعمارهم. ثم انتشر الإسلام، وانتشرت لغة القرآن، فصار ما يجبى لبيت مال المسلمين منقسما، كما هو الحال في كل الملل وفي كل النحل، إلى قسمين : قسم يؤديه الناس عن إيمان وطواعية، وتلك هي الصدقات الواجبة على المسلم والمنصوص على مقاصدها في قوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). وقسم آخر يؤدى جبرا وقهرا على من ليس من الملة كالجزية على اليهود والنصارى، أو كالخراج على الأراضي المنتزعة عنوة. ولما صارت الدولة الإسلامية إلى التضخم مع مرّ السنين، فإن جوانب الإكراه في تطعيم حاجيات بيت المال المتفاقمة أضحت هي المهيمنة، فصارت الصدقات فريضة، وصارت الفريضة معونة والمعونة وظيفة والوظائف لوازم واللوازم مغارم والمغارم وزائع والوزائع ضرائب. وأول إشارة بلفظ الضريبة في المغرب العربي، نقف عليها عند ابن حوقل وهو يتكلم عن مكان بأحواز طرابلس الغرب فقال : "وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا" (ص. 71)، مما يدل على قدم المصطلح في مجالنا، وإن كنا نجهل كيفية تسربه إلى المغرب الأقصى ومتى حصل ذلك بالضبط. وحيث مازلنا نفتقر لبحث جامع عن تاريخ الضرائب عندنا، فإن المعلومات بشأنه قليلة متناثرة. ولا شك أن الدولة الموحدية هي التي اجتهدت لإرساء بعض الثوابت، إذ أمر عبد المؤمن بن علي بمسح الأراضي، وفرض الخراج عليها بصفة كونها ملكا للدولة، فلا عبرة بإسلام أصحابها. ثم قامت الدولة السعدية، ففرضت "النائبة" على القبائل ضريبة على الأشخاص. كما أن هذه الدولة فتحت أبواب التجارة مع الأوربيين لتجني من ذلك أموالا يحتجنها بيت المال السلطاني دون سواه، بما كان يفرض على المبادلات مع النصارى من الرسوم في الصدور والورود، وذلك من حقوق السلطان في الشريعة. وهذا النظام هو الذي عملت به الدولة العلوية منذ قيامها في منتصف القرن السابع عشر إلى أن فرضت الحماية الأجنبية عليها سنة 1912. وقد وصفه ميشو بيلير بكل تفصيل، مبينا أنه كان قائما على الزكوات والأعشار الشرعية، وعلى مجموعة من الفرائض والمغارم مثل هذايا الأعياد ومونة "الحركات" المخزنية والذعائر التي تلزم بها القبائل المشاغبة، هذا فيما يرجع لما يسمى اليوم بالضرائب المباشرة. أما بخصوص الضرائب غير المباشرة، فقد تعزز جانبها بما تكاثر من مخالطة تجار أوربا وتفاقم من ارتيادهم للموانئ المغربية والأسواق الداخلية، فكثرت المكوس وتعددت الرسوم الجمركية، وسعى الأوربيون بكل حرص في إرساء ضوابط كل ذلك في معاهدات حالت شيئا فشيئا بين السلطان وبين أن يتصرف بها بمحض إرادته كما

كان يفعل سابقا، من ذلك المعاهدة المغربية الإنجليزية لسنة 1856، والمعاهدة المغربية الألمانية لسنة 1890، والمعاهدة المغربية الفرنسية لسنة 1895. بل كان من مضاعفات تغلغل المستثمرين الأوربيين يومئذ في البلاد أن وجدت الدولة المغربية المسلمة نفسها مضطرة إما إلى جباية الزكوات والأعشار حتى من غير المسلمين، وإما إلى التصرف بما أرسته الشريعة ليعم أبناء الملة ومن جاء يزاحمهم في استغلال الأرض المغربية. وحاولت الدولة التخلص من هذه المفارقة بسن نظام "الترتيب" سنة 1881 الذي قضى بالمساواة بين الملزمين بالزكاة وبالعشر، وبين الشريف والمشروف، أو بين المسلم وغير المسلم على ترتيبات معينة وشروط عامة مضبوطة. لكن السلطان المولى حسن سرعان ما عدل عن هذا المشروع، لما أدرك من منافاته لروح الشريعة ولما ظهر فيه عند محاولة تنفيذه من التحجير على الراعي والرعية. حتى إذا آلت الأمور إلى خلفه المولى عبد العزيز، واشتد التكالب الاستعماري على البلاد، ظن هذا السلطان الذي لم يكن بعد قد جرب الأمور أن إصلاح شؤون الضريبة قد يخفف من متاعب الدولة. فأمر بإلغاء النظام الشرعي القديم وبالعمل بنظام "الترتيب". فانقطعت أسباب الجباية بالمرة، وعمت الفتنة في خضم مناورات الأجانب لفتح أبواب السوق المغربية على مصارعها. واجتمعت الدول الكبرى في مؤتمر الخزيرات سنة 1906، وخرجت منه بطلائع نظام جبائي جديد ألزمت به المغرب، قوامه ضريبة على المنتجات الفلاحية، احتفظ لها باسم "الترتيب" يؤديها كل من يفلح الأرض بغض النظر عن ملته ونحلته. ثم إنهم أضافوا إلى الأعشار الجمركية على الواردات رسما يساوي 2,5٪، رصدت مبالغه لإصلاح شؤون الموانئ. هذا فضلا عن صاكة البتغ التي استقر العمل بها سنة 1908.

بيد أن الحماية الفرنسية الإسبانية التي فرضت على البلاد سنة 1912 بادرت إلى تجاوز كل ذلك، وأقامت بالتدريج نظاما ضرائبيا مقتبسا من الأعراف الأوربية، جاعلة النظام القديم في خبر كان. فالضرائب إما مباشرة وإما غير مباشرة. والضرائب المباشرة إما موضوعية وإما ذاتية. أما الموضوعية فمنها "الترتيب" ضريبة على الأرض كانت هي عقد القوس، وقد انتظمت قواعدها بصفة نهائية بظهير 11 مارس 1915. ومنها الضريبة الحضرية المفروضة على الممتلكات العقارية داخل الحواضر، وتقررت بظهير 24 يوليوز 1918. ومنها الضريبة على ممارسة المهن الحرة، وهي البطانطة، ومقتضياتها في ظهير 9 أكتوبر 1920. يضاف إلى ذلك الاقتطاع من الأجور الذي تقرر بظهير 30 أكتوبر 1939، والتكملة على البطانطة المقرر بظهير 12 أبريل 1941، والذي يعتبر أول محاولة لفرض الضريبة على المعاملات التجارية مهما كان نوعها، اعتمادا على مستوياتها بالأرقام. ومن الضرائب الذاتية، ففي البوادي "السخرة" على البالغين من المغاربة يشتغلون لصالح الدولة عددا من الأيام مجانا، وفي المدن الضريبة على السكن. أما الضرائب غير المباشرة فمنها ضرائب على رواج السلع والبضائع، وفيها أخرى على مواد الاستهلاك، وثالثة على تسجيل الرسوم وحقوق التنبر. وإذا ما استثنينا حقوق التسجيل والتنبر، فكل الضرائب غير المباشرة الأخرى كان معمولا بها في المغرب، مثل الرسوم الجمركية ومثل أشكال المكوس المتعددة على نقل البضائع وعبورها للمدن وحقوق الميزان والقاعة والرحبة. إلا أن الحماية الأجنبية أدخلت كل ذلك في قالب رتيب، وقسمت المداخيل بين ما يرجع إلى الصندوق العام لخزينة الدولة وبين ما تصرفه البلديات المحدثة بظهير 1917، مضيفة إلى المواد الممكّسة بيع الخمور التي كثرت بتكاثر النصارى في البلاد، ومواد المتفجرات المستعملة في الحفر والمقالع، وأيضا ضريبة النقل الذي اشتد برا وبحرا وجوا. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النظام الضرائبي المغربي انقلب رأسا على عقب فيما بين 1912 و1956، ذلك بأن الضريبة التي كانت تعتبر سابقا وسيلة تستعين بها الدولة على أداء وظائفها المنحصرة أصلا في الذود عن الحمى وحفظ الرعية في نفسها وأعراضها وأموالها، تحولت إلى وسيلة سياسية واقتصادية سخرتها السلطات الاستعمارية في تجهيز المغرب بالتجهيزات الأساسية وفي إلحاقه بالأسواق العالمية. وغني عن البيان أن العبء الأكبر من تلك الضرائب كان يقع على كاهل المغاربة، ولا تؤدي الجالية الأوربية منه إلا بقدر ما كانت تستفيد. كما أن سكان البوادي كانوا يؤ دون أكثر مما يؤديه سكان المدن. وكان يجبى من الضرائب غير المباشرة الواقعة على السواد الأعظم من السكان أكثر مما يجبى من الضرائب المباشرة الواقعة على الأقلية المستثمرة. بيد أن هذا الحيف في التوزيع كان دليلا على طبيعة البنية الاقتصادية المغربية عند منتصف القرن العشرين، ذلك بأن أساس الدخل العمومي فيها كان من الفلاحة التي منها رزق أزيد من ثلاثة أرباع المغاربة، وما عدا الفلاحة فكان بيد الأجانب في الغالب.

ولذلك، ما أن استرجع المغرب استقلاله حتى صارت الحكومات المتعاقبة تسعى جادة في فك هذه التناقضات وفي النهوض بالاقتصاد نحو الموازنة بين القطاعات والعدالة بين الطبقات الاجتماعية. ومن المبادرات المثيرة في هذا الصدد إلغاء ضريبة "الترتيب" في يونيو 1961، بعد أن تبين أن إعفاء الطبقات الفلاحية الدنيا منها يجعل ريعها دون تكاليف جبايتها. وذهب الحال بالدولة، في مطلع الثمانينات، إلى حد إعفاء الإنتاج الفلاحي جملة وتفصيلا من الضريبة رأفة بالسواد الأعظم من الأمة وتشجيعا لهم على الإنتاج والاستثمار لسد حاجيات ساكنة متزايدة في بلد متقلب المناخ. ولم تقدم الدولة على ذلك القرار إلا لإدراكها لما طرأ من التحول على بنية الإنتاج الوطني، الذي أصبحت الفلاحة فيه في العقد الأخير من القرن العشرين لا تحتل أكثر من 15٪ من الدخل القومي، فكان لا بأس بأن يقع العبء الضريبي على باقي القطاعات وعلى دخل الأفراد

والجماعات بصفة عامة بغض النظر عن نوعه. وهكذا، فإن الضرائب المعتمدة في المغرب في مطلع القرن الواحد والعشرين هي كما يلي :

- ضريبة على الدخل العام الواجبة على الأشخاص بالذات وعلى الشركات، ومن ذلك الأجور والمرتبات على اختلاف أصنافها والمعاشات، ومنها الأرباح المهنية، تجارية كانت أم صناعية أم حرفية، وأرباح المهن الحرة، وفوائد المضاربات العقارية. ومنها فوائد الرساميل المنقولة، كريع الأسهم والسندات وما إلى ذلك من وجوه المعاملات المالية. ومنها فوائد الإنتاج الفلاحي، علما بأنها معفية من الضريبة إلى حدود سنة 2010.

- ضريبة البطانة المفروضة على الأشخاص بالمعنى أو بالذات، سواء كانوا مغاربة أم أجانب، يمتهنون مهنتهم أو يحترفون حرفة أو يشتغلون بالتجارة. على أن 90٪ من ريع هذه الضريبة يمول نفقات البلديات والجماعات المحلية، ويدخل الباقي صندوق الدولة المركزي. ويضاف إلى البطانة أعشار وسنتيمات تمول غرف التجارة والصناعة والصيد البحري وتعاضديات الحرف اليدوية.

- الضريبة الحضرية المفروضة على كل مبني من العقار سواء كان يسكنه صاحبه أم لا، أم كان في متناول أقاربه ولو بالمجان، وكذلك كل مبني مهني أو استغلالي وما يوجد فيه من أدوات الإنتاج ومختلف الآلات، وأيضا الأراضي العارية إذا كانت تستغل بأي وجه من وجوه الاستغلال، شريطة أن يكون كل ذلك داخل المدار الحضري وفي أحوازه المحددة.

- ضريبة النظافة، وهي من جنس الضريبة الحضارية تفرض على العقار المبني والعاري لتمويل ضرورات الصيانة والتطهير والتنظيف، ومدخولها من نصيب البلديات والجماعات المحلية.

- الضريبة على القيمة المضافة، وهي من مبتكرات المغرب المستقل، ودليل قطعي على نمو اقتصاده وتشعبه وتنوعه، فهي مفروضة على كل أشكال الإنتاج الصناعي والحرفي والتجاري وعلى المهن الحرة، تحتسب بالنظر إلى أسعار البضائع والأشغال والخدمات وما يتصل بها من المداخيل، وأيضا بالنظر إلى التكاليف والحقوق والرسوم المتعلقة بها.

هذا إذن فيما يعني الضرائب المباشرة. أما الضرائب غير المباشرة، ففيها ضرائب التسجيل وضرائب التنبر، فضلا عن الرسوم الجمركية :

- وضريبة التسجيل فيها رسوم ثابتة وأخرى نسبية، وهي فرض على كل أشكال التفويت بالمال أو بالمجان، بخصوص العقار أو الحقوق العقارية الملموسة، وعلى واجبات الكراء البعيد المدى لدى الشركات العقارية، وأيضا على تفويت الأسهم وما إلى ذلك بين الأشخاص بالذات أو بالمعنى.

- ضرائب التنبر، وهي إما بالحجم أو بالنسبة أو بالتخصيص. يضاف إلى ذلك الضريبة السنوية الخاصة على السيارات، وما يقتطع من الرسوم على المحروقات النفطية، والرسوم على عقود التأمين بعد أدائها لواجبات التسجيل والتنبر والرسوم على القيمة المضافة. وهذه الضرائب هي التي تتركب منها مداخيل الدولة ونفقاتها التي تقوم عليها ميزانية الدولة. فلتنظر في مكانها من هذه المعلمة.

ابن حوقل، *صورة الأرض*.

J. F.P. Hopkins, *Medieval muslim government in Barbary*, London, Luzac, 1958 ; E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains, Archives Marocaines*, T. 1 ; J. Jouannet, *L'évolution de la fiscalité marocaine depuis l'instauration du protectorat*, Paris, L.G.D.J., 3 vol., 1953.

إبراهيم بوطالب

الضعفان، حجاج ولد سنة 1922 بابن أحمد، وانخرط في صفوف المقاومة وتحمس للعمل الفدائي مع مجموعة من المناضلين وقام بعدة أعمال جليلة إلى أن استشهد بتاريخ 29 شتنبر 1955 أثناء العملية المعروفة بمعركة سيدي معروف بالدار البيضاء صحبة رفيقه في الكفاح الشهيد محمد الخداوي.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 68.

الضعيف، محمد بن عبد السلام بن أحمد بن امحمد الرباطي، المعروف بالضعيف من مؤرخي الدولة العلوية. ولد بناء على ما صرح به هو بالرباط في أواخر ذي الحجة عام 1165 / أوائل نوفمبر 1752. ويعتبر تاريخه المصدر الأساسي لحياته، ومنه نستقي التعرف على مختلف تنقلاته ودراسته وميوله العلمية وما جبل عليه من حب الاستطلاع. تميزت حياته بكثرة الرحلات العلمية، كان أولها سنة 1179 / 1766 وهو ابن أربع عشرة سنة، وآخرها سنة 1230 / 1815 عندما زار ضريح عبد الله بن ياسين وهو ابن خمس وأربعين سنة.

عرف بشغفه بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين، وخاصة ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش، علي الصرصري بجبل صرصر ومولاي بوسلهام بالغرب وعلي بوغالب بالقصر الكبير وبو شعيب الدكالي بدكالة وعبد الله بن ياسين بنواحي الرباط ومولاي إدريس بفاس وزاوية وزان التي جلبت اهتمامه واستقر بها طويلا، ولو كان ذلك بصفة متقطعة. وبتتبع تنقلاته نتعرف على المراكز العلمية وأصحاب الكراسي من شيوخه والمواد الدراسية الداخلة في تكوينه.

ففي الرباط درس مختصر خليل على شيخه أبي القاسم السجلماسي وعلى محمد بن جلون، وختمه يوم 4 رجب عام 1200 ثم الألفية في النحو في السنة الموالية. وفي يوم 9 شوال 1203 ابتدأ قراءة لامية الزقاق في الفقه على نفس الشيخ.

وكان شغفه بالرحلات العلمية من الدوافع المثيرة لمغادرة مسقط رأسه وإخبارنا عن شيوخه المعروفين بالمدن العلمية الكبرى، فزار مدينة تطوان التي درس فيها على الفقيه عبد الرحمن الحايك سنة 1197 / 1783. وتردد كثيرا على فاس، مثلما حدث سنة 1191 / 1778، حيث مكث سنة كاملة، وكان

بها سنة 1201 / 1787 عاكفا على إتمام الكراسة الأولى من تاريخه وسنة 1209 / 1795 ليحضر مجلس الشيخ عبد القادر بن شقرون ويدرس عليه صحيح البخاري والشيخ خليل وتفسير القرآن والألفية. وعن ابن السبكي أخذ الضعيف البلاغة والمنطق والأصول وكتاب الشفا للقاضي عياض، بينما درس حكم ابن عطاء الله في التصوف والتفسير والحديث على ابن كيران. ودرس بوزان الألفية على الفقيه محمد الوزاني وعلى الدرعاوي الوزاني.

وعن الرحلات العلمية تولدت علاقات محمد الضعيف الاجتماعية مع الشرفاء (الوزانيون والريسونيون) والعلماء (محمد بن جلون والعربي الغربي) ورجال السلطة (الوزير محمد السلاوي والقائد التويني والقائد عمر التشيتي. واجتمع له من جراء ذلك إنتاج أدبي شعري اختلف بين المديح والهجاء. ولكن أهم إنتاجه هو في التاريخ الذي استهواه فرتب له توقيته لجمع المادة وتحريرها أثناء جولاته.

اختص المشروع بتسجيل تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى الوقت الذي عاش فيه آخر عمره، وهو وفاة المولى سليمان يوم 13 ربيع الأول عام 1238 مثلما حدد هو. وبداية عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، فأقبل على البحث عن المصادر، واستكمل معلوماته بالمشاهدة والاستماع إلى الرواية الشفوية.

لم يتمكن محمد الضعيف الرباطي من الخروج عن المنهج الحولي المتبع آنذاك من طرف المؤرخين. وبدأ التحرير بمدرسة الشراطين بفاس، وذلك سنة 1201 / 1787، اعتمادا على كتاب زهر الأكم لعبد الكريم بن موسى الريفي من بداية الدولة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل. ثم سرد ما تعلق بالسلطان محمد بن عبد الله معتمدا على ما استقاه من محمد الحاج المسناوي الرباطي ومحمد بن الطيب القادري. واستكمل تاريخه بحكم المعاصرة مما أتاحت له مشاهداته وما حصل عليه من معارفه من الرواة. وانتهى منه سنة 1211 / 1797. ثم تلا ذلك الحديث عن فترة المولى سليمان وشرع في تسجيلها سنة 1222 / 1808. وانتهى من آخر صفحة بسنة 1238 / 1822.

واشتهر محمد الضعيف الرباطي في دقة التعريف بما شاهده من الأحداث السياسية والاجتماعية والظواهر الطبيعية، مثل ما عرف بضبط تواريخ الأحداث. ونشير مثلا إلى تاريخ حلول الجيش المغربي بقبيلة قلعية للشروع في حصار السلطان محمد بن عبد الله لمدينة مليلة حين حدده بيوم 4 شوال عام 1188 الموافق تماما لما هو موجود بالمصادر الإسبانية وهو يوم 8 ديسمبر 1774.

ومن الغريب ألا نعرف تاريخ ومكان وفاته، ودليلنا لمعرفة سنة امتداد حياته هو النهاية التي وصل إليها كتابه وهي سنة 1238 / 1822، وابتداء من هذا التاريخ لا نعرف له خبرا. إلا أنه من المؤكد أنه كان سنة الانتهاء حيا، وهو تاريخ إعلانه لوفاة المولى سليمان و تقديم نص الوصية الخاصة ببيعة المولى عبد الرحمن بن هشام.

تاريخ محمد الضعيف الرباطي، فاس 1985، نسخة تحقيق أحمد العمارين. والنسخة المحققة من محمد البوزيدي الشيخي، مقدمتا المحققين ؛ حسن الفكيكي، *القاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، البيضاء، 1997.

حسن الفكيكي

الضَّغْس أو الطَّقْسُوس بالعربية المقتبسة عن اللاتينية أو إيكَّنْ أو إيكْني أو أدْغَامْ أو ريمرْوَال بالأمازيغية أو إيفْ if بالفرنسية، أسماء لنبات شجري من المخروطيات يسمى علميا طَكْسُوسْ بَاكَاطَا Taxus baccata وهو من فصيلة الضغسيات Taxaceae.

يتراوح علو الشجرة ما بين 10 و15 م. إنها شجرة دائمة الأخضرار، ثنائية المسكن، ذات جذع غليظ وهيئة هرمية الشكل في الصغر وغير منتظمة في الكبر. أوراقها إبرية مسطحة ومنجلية الشكل ذات لون أخضر قاتم على وجهها العلوي. طول الورقة 30 سم. ازهراراتها الذكرية هرية الشكل، كثيرة العدد، كروية، صفراء. ثمارها خضراء قبل أن تصير حمراء.

يوجد الضغس طبيعيا في المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وشمال إفريقيا.

يصادف الضغس في المغرب ممثلا بأفراد متناثرة في الغابات المطرة المنظمة من طرف الأرز الأطلسي والشوح المغربي وبلوط الزان والبلوط الزغبي، ولا سيما في الوديان المتواجدة في هذه الغابات حيث تكون الاتربة شديدة الخصوبة. ويتعلق الأمر بالريف والأطلس الكبير ما بين 500 و2500 م من الارتفاع أي في الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. لكن الضغس لا يظهر في الطوابق النباتية السفلى إلا في الريف الغربي.

عرف الضغس منذ أقدم العصور بمواده السامة جدا، بالنسبة للإنسان والحيوانات ولا سيما تلك التي تنتمي إلى فصيلة الخَيْليات التي تضم الخيل والحمير. فإذا تناول الحصان 250 غ من أوراق الضغس فإنه يموت بعد نصف ساعة. ولهذا منع ربط الخيل بأشجار الضغس.

وبفضل هذه المواد السامة اشتهر الضغس في العقدين الأخيرين في أوروبا وأميريكا كنبات ذي أهمية كبيرة لا يستغنى عنه في معالجة مرض سرطان الدم أو اللوكيميا.

يستعمل الضغس أيضا في عدة حالات من التطبيب التقليدي كالإجهاض.

وفي القدم كان الضغس يستخدم لتسميم رأس السهم. وكانت أغصانه اللينة تصلح لصناعة الأقواس المستعملة في الحروب.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*,

médecine arabe ancienne et savoirs populaires, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

الضفادع من الحيوانات الفقرية تتميز بقابليتها للعيش في الماء وعلى البر ولهذا سميت بالبرمائيات أو القوازب Amphibiens. تسمى هكذا في المعاجم وفي الشرق العربي مفردها الضفدع وتجمع على ضفادع وضفادى ولها أسماء كثيرة عند العرب منها القر والقرقرة وجرانة والشرنوغ والعدمول والعلجوم والنقاق والقداد وأبو المسيح وأم هبيرة. ويسمى صغيرها شرغوف وشفدع وشرغ وبوزرويطة.

تحتاج أنواع الضفادع إلى الماء أو الرطوبة الشديدة للعيش ولوضع البيض. يخرج من كل بيضة شرغوف يحمل ذنبا طويلا ومتينا يساعد على السباحة. تعرف الشراغيف تحولات شكلية وفيزيولوجية تتعلق بالدوران الدموي والتنفسي. بعد مراحل النمو الأولى تظهر القائمتان الخلفيتان تدريجيا ثم الأماميتان ويتقلص الذنب لينتهي به المطاف إلى الزوال نهائيا فيصير الفرد بالغا وقادرا على العيش خارج الماء. التنفس خيشومي لدى الشراغيف كما هو الشأن عند الأسماك والدوران الدموي بسيط ومتكامل، وعند النضج يصير التنفس رئويا والدوران مزدوجا غير كامل. الجلد عار لا يتوفر على وقاية أو غشاء يحميه وهو دائم الرطوبة يستعمل أيضاً للتنفس عند الكبار لكون الرئتين صغيرتين جداً لا تكفيان لتزويد الدم بما يكفي من الأكسجين. يتم تنفس الهواء والتخلص منه عند الأفراد البالغين عبر المنخرين والجلد وهذه الحركة الزفيرية سريعة جدا تتعدى 140 تهوية في الدقيقة.

الجمجمة مفرطحة ومعظمها من غضروف. تتألف الأطراف من العظام، نجد العضد في القائمتين الأماميتين ويتألف كما في الإنسان من عظم واحد يليه عظمان ملتحمان : الزند والكعبرة ويلي ذلك الرسغ وبه ست عظيمات صغيرة، ثم مشط القدم وأربع أصابع خالية من المخالب. القائمتان الخلفيتان معدتان للقفز وهما أكبر طولا وأشد متانة، نجد فيهما الفخذ ثم عظم الساق الكبير والعظم الصغير ملتحمان في عظم واحد. يظهر من الرسغ وقبله عظمان متوازيان طويلان وهذا الطول الثالث يزيد في قدرة القفز عندما تقذف الضفدعة بنفسها أثناء التنقل أو الهروب. ومن بعد الرسخ تلي عظام مشط القدم ثم خمس أصابع خالية من المخالب والأظافر.

الأذنان بدون صوان خارجي والعينان كبيرتان ناتئتان عليهما غشاء شفاف يجعلهما مشحمتين. تتكون الحاسة اللمسية من شبكة واسعة من النهايات العصبية موزعة على الجسم وخاصة على الرأس والظهر والقوائم. الأسنان بدائية ومتشابهة تتجه نحو داخل الفم وموزعة على الفكين ؛ تستعمل للإمساك بالفريسة المبتلعة كلها أكثر مما تستعمل للمضغ.

يفرز الجلد السم تلقائيا عند بعض الأنواع. الخلايا الملونة موزعة تحت الجلد وتتحكم في تغيير لون الأفراد الذي يساعد على التنكر والاختباء الملائم في حالة الخطر أو على إثارة الانتباه خلال فترة التناسل.

الضفادع من ذكر وأنثى منفصلان ومتشابهان، الذكور أصغر حجما من الإناث يحدثون أصواتا تعرف بالنعيق تنجزه بواسطة جرابات صوتية تقع تحت الحنجرة أو في زوايا الفم يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. ينفخ الذكور هذه الجرابات خلال فترة التناسل فتعطي هذه الأغشية شكلا كرويا مميزا لكل نوع وتحدث نعيقا متواصلا يكثر عند غروب الشمس وطلوع النهار. يتم التناسل عند أغلب الضفادع في أواخر الخريف وبداية الشتاء ويوضع البيض في مياه المستنقعات الوحلية والضايات والبحيرات والمنابع والأنهار الضعيفة الجريان وعلى الأراضي الرطبة وذلك حسب الأنواع. يلد العلجوم Crapaud البيض بداخل حبال جيلاتينية طويلة تتعدى أحيانا مترين ويتراوح عدد البيض بين 1000 ـ 20000. تبيض الضفادع المائية Grenouilles في الماء بداخل كتلة جيلاتينية تلتصق بالأعشاب ولا يتعدى العدد 2000 بيضة. يبقى البيض في الماء مدة تقل عن أسبوعين وتخرج منه شراغيف مذنبة سوداء أو سمراء داكنة تعيش في الماء حوالي 4 أسابيع لتتحول إلى ضفادع بالغة تغادر الوسط المائي وتلتجئ إلى المناطق الرطبة المعشوشبة كالحدائق والبساتين وضفاف الأنهار والبحيرات والصهاريج. تخشى الحرارة فتختفي نهارا ويكثر نشاطها ليلا لتبحث عن الحشرات والديدان والحلزونات.

تقسم طائفة البرمائيات Amphibiens إلى مجموعتين في المغرب :

مجموعة الضفادع البتراوات أو عديمات الذنب Anoures، شكلها قصير وسمين، منها خمس فصائل و9 أنواع تعيش في الأوساط الرطبة المغربية :

1 ـ فصيلة العدموليات Ranidae وتضم قرابة 200 نوع في العالم، واحد منها فقط يعيش في المغرب يدعى جرانة في اللسان الدارج المغاربي والعدمول أو الضفدعة الخضراء في المعاجم. يسمى علميا Rana ridibunda وبالفرنسية Grenouille verte وبالانجليزية Green frog. على الظهر والرأس بقع خضر وبنية مختلفة الأحجام والشكل عند الأفراد. يتراوح طول الجسم بين 6 ـ 15 سم والإناث أكبر حجما من الذكور.

يتميز هذا النوع بخفته وسرعته الفائقة في السباحة وفي

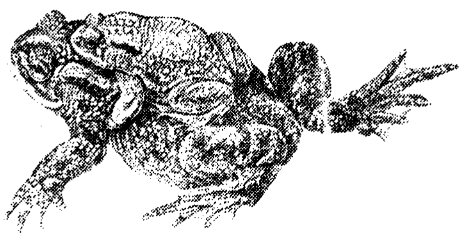
اصطياد الحشرات والديدان. يتوالد في شهر مايو وتعيش الشراغيف في الماء مدة تزيد عن شهرين قبل أن تصير بالغة. تتردد الأفراد البالغة على سطح الماء للتنفس وكثيراً ما تأخذ الكبيرة مكانها بين الأعشاب أو على ضفاف الأنهار والبحيرات لتستريح أو لتترقب فريستها، وفي حالة الإزعاج تقفز بسرعة لتغوص في الماء. تختفي في الوحل أو بين النباتات خلال فصل الشتاء وتستأنف نشاطها منذ فبراير إلى شتنبر. تعمر الأفراد حوالي 10 سنوات ويعيش هذا النوع في جميع البحيرات القارية والأنهار والمنابع المغربية الصحراوية والشمالية. يربى ويصاد لأكل لحوم سيقانه في بعض المناطق أو لإجراء تجارب علمية مختلفة في عدة مختبرات كليات العلوم الوطنية والأجنبية.

2 ـ فصيلة ضفدعيات الأشجار Hylidae وتشتمل على 250 نوعا في العالم منها نوع واحد يعيش في الأوساط المائية المغربية، إنه الضفدع المتوسطي يدعى علمياHyla meridionalis وبالفرنسية Rainette méditerranéenne، يتميز بجسم نحيل لا يتعدى طوله 5 سنتمترات. الجلد أملس والقوائم رشيقة وطويلة. لونه أخضر على الظهر والرأس والقوائم وأبيض على البطن، على جانبيه لفافة سوداء رقيقة وقصيرة تربط العين بالإبط وهذه الخاصية تميزه عن نوع Hyla arborea الذي يعيش في أوروبا. يكثر نشاطه ليلا وكثيراً ما يأخذ مكانه فوق أغصان الأشجار والنباتات المجاورة للبحيرات والأنهار الذي يبيض فيها.

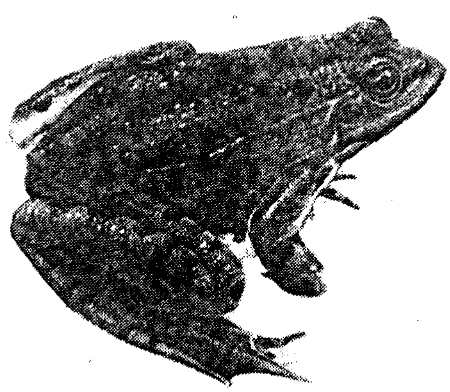
يقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق الرطبة وشبه الجافة في كل من المغرب والجزائر وتونس وإيطاليا وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية وجزر الكناريا ومديرا. وهو شائع في البحيرات الطبيعية الأطلسية وضايات وجداول هضاب الريف ووالماس وسهول الغرب وغابة المعمورة وضاية سيدي بوغابة وبعض بحيرات السدود. تمتد فترة التوالد من نونبر إلى أبريل وتبيض الإناث 800 ـ 1000 بيضة تجمعها كتلة جيلاتينية. يبلغ قطر البيضة 1 ـ 1,5 ملم ولا يتعدى طول الشراغيف 8 ملم.

3 ـ فصيلة العلجوميات Bufonidae وتعرف عند العامة بالقرقر والقرقرة وهي ضفادع برية تدخل المياه لتبيض ثم تعود مباشرة إلى اليابسة لتختفي في المغاوير وتحت الأحجار وبين النباتات. تختفي في المغاوير وتحت الأحجار في الأيام الباردة وتستأنف نشاطها ليلا في الربيع والصيف. الجلد مجعد يبعث على الخوف والاشمئزاز، لونه أصفر شاحب إلى أخضر زيتوني على الظهر وأبيض رمادي على الصدر والبطن. تتوالد في أواخر الشتاء وبداية الربيع. تنتمي إلى هذه الفصيلة أربعة أنواع شائعة في مختلف المناطق المغربية :

** العلجوم الشائع Bufo bufo spinosus يسمى بالفرنسية Crapaud vulgaire وCrapaud commun وهو أكبر الضفادع حجما في المغرب وفي أوروبا، يتعدى طوله أحيانا 15 سم ويعيش في المناطق الجبلية المغربية ونادر جدا في السهول والهضاب. يحفر مغاوير عميقة يختفي فيها خلال فصل الشتاء ولا يبتعد عن المناطق الرطبة. يتوالد في فصل الربيع. يتميز الضرب المغربي بشويكات صغيرة على تجعدات الظهر.



** العلجوم الأخضر Bufo viridis يسمى بالفرنسية Crapaud vert لا يتعدى طوله 10 سنتمترات والإناث أكبر حجما من الذكور. يتميز ببقع خضراء داكنة على ظهره. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة والجافة ويعيش أيضاً في أوروبا وإفريقيا الشمالية وأسيا الوسطى.



** علجوم موريتانيا Bufo mauritanicus يسمى بالفرنسية Crapaud de mauritanie وCrapaud panthéran يتميز بخطم منفرج ومنحن نحو الأمام. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وموريتانيا والنيجر والجزائر وتونس ولا يبتعد كثيراً عن الأماكن الرطبة والبحيرات والضايات والأنهار. يستأنف نشاطه بعد غروب الشمس وقبل طلوعها ويختفي حفرة طول النهار. يبيض في مختلف أصناف المياه في فصل الشتاء وشائع في المناطق المغربية الشمالية والصحراوية.

** علجوم برونجيرسما Bufo brongersmai يسمى

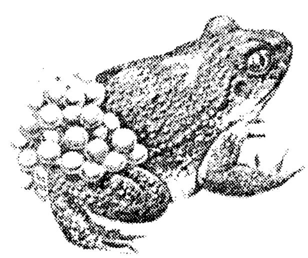
بالفرنسية Crapaud de brongersma وهو أصغر أنواع العلجوع في المغرب يألف المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية خلافا للعلجوم الشائع الذي يعيش في المناطق الجبلية. شائع في حوض وادي درعة والساقية الحمراء.

4 ـ فصيلة الضفادع الطينية بيلوباتيدي Pelabatidae وهي ضفادع صغيرة القد جلدها أملس شديد اللمعان.

تنتهي القوائم بثؤللات حادة على الأصابع تستعمل لحفر المغاوير. نوع واحد من هذه الفصيلة يعيش في السهول والهضاب الغربية المتدة من طنجة إلى الصويرة. إنه العلوج المغربي يسمى علميا Pelobates varaldii وبالفرنسية Pelobate marocain. لا يتعدى طوله 5 ـ 6 سم يألف المناطق الرملية ويختفي بداخل حفر يتعدى عمقها 100 سم.

5 ـ فصيلة قرصيات اللسان ديسكوكلوسيدي Discoglossidae تضم أنواعا صغيرة القد لها لسان دائري جله ملتحم مع الفك السفلي. نوعان من هذه الفصيلة يعيشان في المغرب :

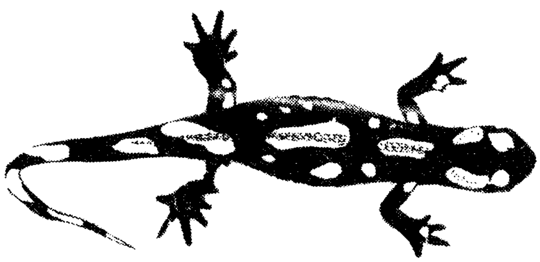
** العلجوم المولد Alytes obstetricans يسمى بالفرنسية Crapaud accoucheur وهو نادر في المغرب يألف بعض المناطق الجبلية الباردة شمال المغرب كالريف وجبل بوبيلان. يعيش بعيدا عن الماء ويعتبر العلجوم الوحيد الذي يتوالد خارج الماء. يحمل الزوج حبال البيض على الظهر وبين القوائم الخليفة ويذهب بهما مراراً إلى الماء في انتظار تفقيسها. لا يتعدى طول الكبار 5 سم وعلى الظهر نتوءات داكنة :



** العلجوم المصبوغ Discoglossus pictus يسمى بالفرنسية Crapaud peint وهو شائع في المناطق الرطبة وشبه الجافة المغربية. يعيش بجوار البحيرات والضايات والأنهار. لا يتعدى طول الكبار 7 سم وعلى الظهر ثلاثة خطوط طولية أو بقع مختلفة الأشكال. يختفي نهاراً في حفرته ويصيد الحشرات والعناكب والديدان ليلا. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب والجزائر وتونس وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية.

مجموعة الضفادع المذنبة شكلها نحيف أهيف وذو ذنب طويل عند الشراغيف والكبار. قوائمها قليلة التطور متساوية المقاييس وقصيرة. تربط حياتها بالأوساط المائية أو شديدة الرطوبة. يكثر نشاطها ليلا ويقل نهاراً. بصرها وسمعها ضعيفان وحاسة شمها بالغة التطور والحدة. تنتمي إلى هذه المجموعة فصيلة السمادل Salamandridae ومنها نوعان يعيشان في المغرب :

** السمندل المبرقش يسمى علميا Salamandra algira وبالفرنسية Salamandre tâchetée. شائع في المياه الجوفية والمنابع والجداول الباردة بالمناطق الجبلية المرتفعة : تافوغالت وسيدي شيكر بضواحي تازة وايفران وازرو وخنيفرة وبني ملال وأوكايمدن وجبال الريف الوسطى والأطلس الكبير. يعيش في المغرب والجزائر وأوروبا الوسطى والجنوبية. يختفي نهاراً تحت الصخور وبين النباتات المائية ويستأنف نشاطه ليلا ليأكل الحشرات والديدان. جلده أسود تتخلله بقع صفراء أو حمراء يختلف حجمها من فرد لأخر. لا يتعدى طول الجسم 28 سم وشائع بين 10 ـ 15 سم. السمندل بيوض ولود ، تحتفظ الإناث بالبيض في بطونها وتوضع الشرغيف في الماء لتواصل نموها بجوار الأبوين. لا يغادر السمندل الماء إلا نادرا ولا يبتعد عن مكان ولادته خشية من أعدائه. يعمر حوالي 25 سنة. تشبه الشراغيف الكبار في شكلها ولا تخضع إلى تغيرات فيزيولوجية خلال تطور مراحل النمو كما هو الشأن عند شراغيف الضفادع البتراوات.



** تريتون والتل يسمى علميا Pleurodeles waltli وبالفرنسية Pleurodeles de Waltl. شائع في مياه الضايات العكرة والجداول القليلة الجريان في غابة المعمورة وسهول الغرب والشاوية ودكالة وضواحي أسفي والصويرة وفي جزيرة الصويرة. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وإسبانيا. لونه رمادي على الظهر والجانبين مع 8 ـ 10 بقع فاتحة ممتدة من الإبط إلى الخصر. يتراوح طول الكبار بين 20 ـ 25 سم. تعيش الصغار في الماء وبعد جفاف الضايات تلتجئ الكبار إلى الحفر والمغاوير أو فتحات جذوع الأشجار لتقضي فصل الصيف.



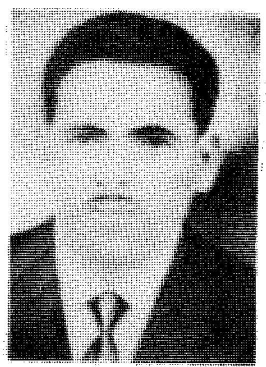
تلعب الضفادع دوراً هاماً في تغذية الطيور الليلية والنهارية والثعابين كما أنها تلتهم الحشرات الليلية المضرة بالنباتات والمنتجات الفلاحية، ولا تؤذي الإنسان.

م. رمضاني، *الزواحف*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

G. Pasteur et J. Bonbs, *Les batraciens du Maroc*, *Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien*, *Zoologie* n° 17, Rabat, 1959 ; Salvador, *Guia de los anfibios et reptiles espagnoles*, Madrid, 1974 ; E.N. Arnold& J.A. Burton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe en couleurs*, Rabat, 1978.

محمد رمضاني

الضمير، الكبير ولد سنة 1920 بأولاد زيان بأحواز مدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء وعمل ضمن خلية درب الفقراء تحت مسؤولية عبد الله الحناني، ومولاي عبد الله بن محمد الفيلالي.



شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مثل إضرام الحرائق ووضع القنابل للإضرار بمصالح المعمرين الفرنسيين.

فسقط رحمه الله شهيدا في ساحة الشرف بمدينة الدار البيضاء أثناء اشتباك دار بينه وعدد من إخوانه المقاومين وبين البوليس الفرنسي يوم 17 ماي 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520830.

ابن **ضُنَّادُو** ويكتب أيضاً بَنْضُنَادُو ومَلْضُنَادُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Maldonado ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1090 (1679).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 291.

محمد ابن عزوز حكيم

الضو، عياد بن محمد ولد سنة 1920 بصبوية إقليم تزنيت ومن أجل تحرير ما تبقى من أرض الوطن انخرط في صفوف جيش التحرير بتاريخ 1 . 1 . 1957 تحت قيادة الملالي، بالمقاطعة الحادية عشر حيث كان مثالا للمواطن المكافح في سبيل الحرية والكرامة، وقد بقي يعمل ضمن الصفوف بكل نزاهة وإخلاص. وشارك في عدة معارك ضد الجيش الإسباني كمعركة اصدر بثلاثاء صبوية التي استشهد فيها بتاريخ 24 . 11 . 1957.



المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 503464.

الضوء، محمد بن **الحسين** الصاوي السباعي، علامة وفقيه ولد سنة 1332 / 1914 ببلدة السعيدات قبيلة أولاد أبي السباع حيث مدرسة السعيدات العلمية التي أسسها أسلافه أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، وينسب إلى أسرة إدريسية شريفة وكان والده من الفقهاء المشتغلين بالتجارة. حفظ برواية وَرْش وقالون والمكّي على يد عدد من مشايخ مدرسة السعيدات ومدارس أخرى قبل أن ينتقل مع والده إلى أگادير سنة 1348 / 1930 قصد الاتجار وانهى حفظ القرآن لدى مشايخ سوس بمدارس تالبرجت وقصبة أگادير وفونتي، وانتقل سنة 1357 / 1938 إلى مدرسة الجامع الكبير بإنزگان، لأخذ العلم وحفظ المتون عن الفقيه الحاج عبد الرحمان المستغفر الانزگاني. وبعد سنتين استقر والده بمدينة انزگان فانتقل هو لأخذ العلم بين مدرسة السعيدات وتالبرجت حتى استقر بمدرسة "ايغيلالن" بقبيلة مسكينة عند فقيهها العلامة الحاج مسعود الوفقاوي من سنة 136 / 1941 و1366 . 1947 وهي سنة وفاة العلامة الوفقاوي، وقد استكمل في هذه

الرحلة تكوينه العلمي وتمكن من دراسة اللغة العربية وآدابها والفقه وعلوم القرآن وسائر الفنون وقد انتدبه والده للتجارة لمدة سنتين ثم بعد ذلك التحق بسلك التدريس والعطاء العلمي ابتداء من سنة 1368 / 1949.



انخرط في التعليم العصري معلماً رسمياً في مدرسة البنين الإسلامية بانزكان ولم يُرضه مقرر الحماية الفرنسية، فزاوج ذلك بمزاولة مهمة التعليم على النمط العتيق لاقراء كتاب الله والمواد الإسلامية وفي حي تالبرجت بالزاوية التجانية بأگادير، واستفاد على يده الكثير من تلاميذ تلك الفترة لمدة تسع سنوات، مستعينات بأخيه إبراهيم.

ولما تأسس المعهد الإسلامي "معهد محمد الخامس" بتارودانت بعد الاستقلال سنة 1376 / 1956 نشط مع جمعية علماء سوس في توجيه طلبة المدارس العتيقة إلى هذا المعهد بكامل الجدية، وبعد سنتين التحق بهذا المعهد سنة 1958 وقد نال شهادة الكفاءة في التعليم سنة 1962 واستمر أستاذاً للغة العربية والعلوم الإسلامية حتى أحيل على التقاعد سنة 1407 / 1987.

وكان قد التحق بالمجلس العلمي لتارودانت منذ 1976 فتوجه نشاطه إلى الاسهام في البحث العلمي وفي التحقيق والتأليف.

كانت له أنشطة متعددة فهو عضو في رابطة علماء المغرب، وتفرغ بعد التقاعد لمنصب الامانة والخطابة والوعظ والارشاد تطوعاً إلى جانب الالتزام بالطريقة التجانية واستقبال الطلبة والباحثين وتوجيههم وحلاقات الأساتذة والعلماء حتى وافاه أجله بانزگان بتاريخ 17 ربيع الاخر 1424 / موافق 18 يونيو 2003. مؤلفاته : خلف الأستاذ محمد الضوء عدة تأليف نذكر منها.

- نظم البيان في رسم القرآن - ورسالة :

- راحة الجنان في خدمة القرآن - ورسالة فتح العلي السميع بشرح منظومة "نورة الربيع" - والمنهل العذب المورود في مآثر العلامة الحاج مسعود.

- رحلتان حجازيتان - ديوان شعر - سيرة ذاتية في كناش خاص - وكذا مساهمتُه في تحقيق الأجزاء 14 - 15 - 16 من كتاب المُحرَّر الوجيز لابن عطية من إعداد المجلس العلمي لتارودانت وطبع وزارة الأوقاف سنة 1989 - 1991.

المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية بسوس، ج 1، ص. 165 - 169 ؛ كناش محمد الضوء : "ترجمته بقلمه" ؛ ترجمة وافية بقلم ابنه، الزبير بن محمد الصاوي في جريد *العلم*، غشت، 2003.

عمر أفا

ابن ضُوصة ويكتب أيضاً مَنْدُوصَة ومَنضُوصة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Mandoza - Mendosa، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Mendoza ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 292.

محمد ابن عزوز حكيم

الضوع، كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجواثم مشقوقات المناقير وفصيلة السبديات Caprimulgidae. يسمى أيضا السبد في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عمي في الشام وأبو النوع في مصر والقوة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته بالبوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

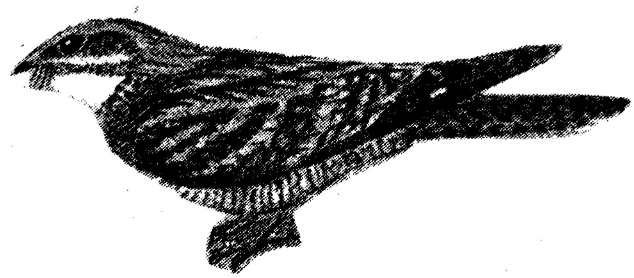
ثلاثة أنواع تعيش في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات كالهلب حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران باهتزاز سريع للجناحين :

- الضـــــــوع الأوروبـي Caprimulgus europaeux وبالفرنسية Egoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وبالإسبانية Chotacabras gris وبالإيطالية Succiacapre.

طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بنية وصفراء على الظهر والصدر، المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة. تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل. يبلغ طول الجسم 26 - 27 سم وتزن الكبار 70 - 140 غرام. يعيش مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوربا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات باصطيادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وغشت في المناطق الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى

عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطريها 22.5 x 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيص وتأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.



يعيش في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضا في أوربا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وأسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

ـ الضوع أشقر العنق Caprimulgus ruficollis وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Red-necked Nightjar وبالإسبانية Chotacabras pardo وبالإيطالية Succiacapre collorosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السبد الأوربي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبيض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا ويشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

ـ الضوع المصري Caprimulgus aegyptius وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وبالإيطالية Succiacapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطا بنية متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البدو أحيانا.

يتشاءم بهذه الطيور في عدة مناطق من المغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخبر الموت.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1988 ؛ أمين المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Euorpe with North Africa and the Middle East*, London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

الضيافة، إتاوة كانت تؤديها قبائل الساحل الجنوبي الأطلنطي المغربي للسلطة البرتغالية المحتلة للمنطقة فيما بين 862 ـ 947 / 1458 ـ 1541، خاصة قبيلتي عبدة ودكالة. تُدفع للقبطان المقيم بأسفي أو أزمور ويعمل على جمعها القائد بمساعدة الشيوخ ابتداء من شهر يوليوز ويستمر دفعها إلى شهر شتنبر. وتستخلص الضيافة من عين ما تملكه الكوانين من أبقار وأغنام وجمال ومن السمن والعسل. وكمثل لقيمتها بلغ عدد قلات السمن المدفوعة للبرتغاليين كضريبة في بعض السنين 1250 قلة.

وتحدثت المصادر المغربية عن الضيافة في العهد العلوي كفريضة تؤديها القبائل الثائرة بعد أن يتمكن السلطان من إخضاعها. وفي هذه الحالة تقدمها القبيلة متذللة خاضعة ومقرونة بالميرة، وتقصد بها طلب العفو. كما تقدّم القبائل الطائعة للسلطان الضيافة للتعبير عن فرحها وانشراحها بنزول محلة السلطان بين ظهرانيها.

وأما الضيافة بمعنى إكرام الضيف فهي مشروعة في الإسلام، وردت في القرآن الكريم في قصة إبراهيم مع الملائكة الرسل. لذلك كان يُخصص في القصور والبيوتات الكبرى جناح يُدعى دار الضيافة أو الضيوف.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط. 2، 1956، ج 9 : 157 ـ 203 ـ 204.

حليمة بنكرعي

ط

الطابع السلطاني أو **الطوابع المخزنية**. أنواع علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في المغرب أربعة وهي :

- التوقيع بخط يد السلطان على شكل توقيعات العدول على الوثائق الشرعية.
- العلامة الخطية المرسومة بخط يد كاتب الديوان على غرار العلامات التي كانت تحملها الفرامين العثمانية.
- الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.
- الطابع الذي يحمل اسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.

والعمل بالنوع الأول من العلامات المذكورة نجده في مراسلات السلطان أحمد الوطاسي (نموذج رقم 1) وعمه أبي حسون (رقم 2) كما نجده في مراسلات امراء الدولة السعدية أحمد الأعرج (رقم 3) ومحمد الشيخ المهدي (رقم 4). وأول من اتخذ النوع الثاني الشبيه بعلامات الفرامين العثمانية هو السلطان عبد الله الغالب (رقم 5 و6) الذي نجد بعض مراسلاته تحمل أيضاً النوع الثالث من علامات التصديق (رقم 7).

ويعد عبد الملك المعتصم الغازي في سبيل الله السلطان المغربي الوحيد الذي كان يوقع مراسلاته إلى ملوك أوروبا بالحروف اللاتينية (رقم 8 و9).

ولم يستعمل السلطان أحمد المنصور الذهبي سوى علامات التصديق الشبيهة بعلامات الفرامين العثمانية (رقم 12 و13).

ونتوفر على مجموعة من مراسلات السلطان محمد الشيخ المامون، البعض منها تحمل العلامات الشبيهة بالفرامين العثمانية والبعض الآخر الصورة المرسومة بخط اليد على شكل خاتم.

وأما السلطان زيدان فإنه لم يستعمل في تصديقه على جميع مراسلاته إلا العلامة الشبيهة بالفرامين العثمانية لدرجة أننا وجدنا إحدى علاماته منقوشة على مدفع صنع بالمغرب في عهده.

ولعل السلطان عبد الملك بن زيدان هو أول ملوك الدولة السعدية الذي اتخذ طابعا منقوشا على صفيحة معدنية، بالإضافة إلى أنه كان يستعمل النوع المرسوم بخط اليد على شكل خاتم.

ونتوفر على مراسلات للسلطان الوليد بن زيدان تحمل بعضها طابعا منقوشا على صفيحة معدنية والبعض الآخر يحمل علامة على غرار الفرامين العثمانية.

ومثل ذلك نجده في مراسلات السلطان محمد الشيخ الأصغر الذي كانت له طوابع منقوشة على صفيحة معدنية بالإضافة إلى اتخاذه علامات شبيهة بشكل علامات الفرامين العثمانية.

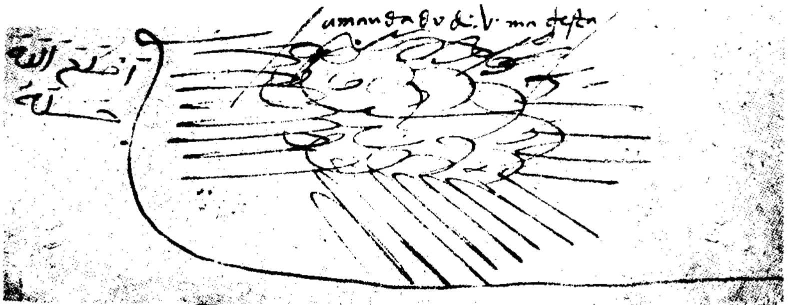
والنوع العثماني المذكور هو الذي اتخذه السلطان أحمد العباس آخر الملوك السعديين في التصديق على مراسلاته.

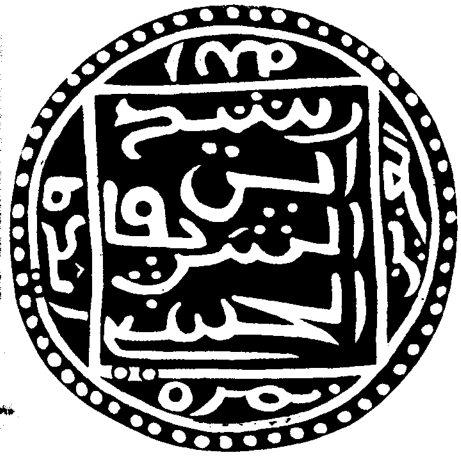
وأما علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في عهد الدولة العلوية فهي نوعان :

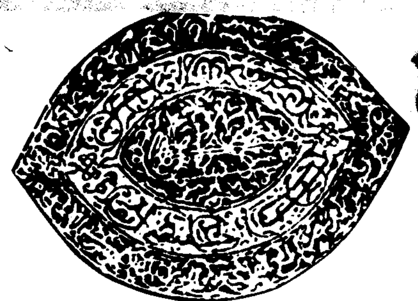
1) الطابع باسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.
2) الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.

لم نعثر على أية مراسلة صادرة عن السلطان مَحمد الأول ؛ وبخصوص السلطان مولاي رشيد نتوفر على وثيقة وحيدة هي المعروفة لحد الآن وتحمل تاريخ فاتح صفر عام 1078 وعليها طابع منقوش على صفيحة معدنية (رقم 41).

وتكاثرت الطوابع السلطانية ابتداء من عهد المولى إسماعيل (انظر كتابنا فقد أثبتنا فيه 17 نموذجاً للمولى إسماعيل (ص. 21 - 25) ؛ و8 لأحمد الذهبي ابن إسماعيل (ص. 27 - 29) ؛ و5 لعبد الملك بن إسماعيل (ص. 31 - 32) ؛ و4 لعبد الله بن إسماعيل (ص. 33 - 34) ؛ و3 لعلي الشريف بن إسماعيل (ص. 35 - 37) ؛ و2 لمحمد ابن إسماعيل (ولد عربية) (ص. 37) ؛ و2 للمستضيء

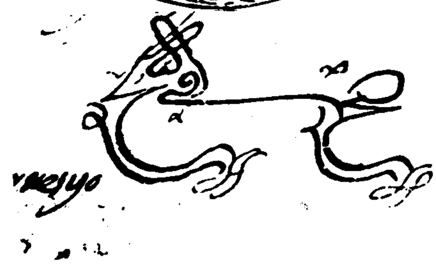


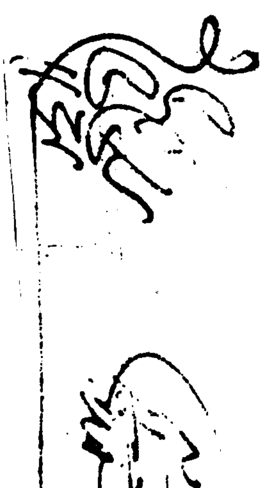


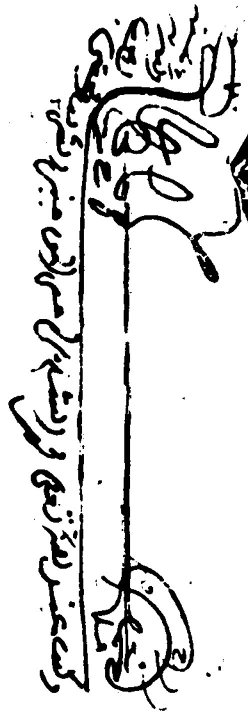




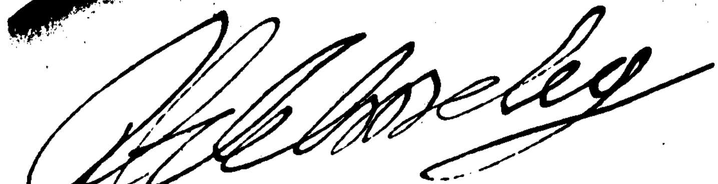












إسماعيل (ص. 39) ؛ وواحد لزين العابدين بن إسماعيل (ص. 41) ؛ و5 لسيدي محمد بن عبد الله (ص. 43 ـ 44) ؛ و2 لليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 45) ؛ و4 لسليمان بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 47 ـ 48) ؛ و4 لعبد الرحمان بن هشام (ص. 49 ـ 50) ؛ و3 لمحمد الرابع (ص. 51 ـ 52) ؛ و6 للحسن الأول (ص. 53 ـ 55) ؛ و6 لعبد العزيز بن الحسن (ص. 57 ـ 59) ؛ و12 لعبد الحفيظ بن الحسن (ص. 71 ـ 74) ؛ و9 ليوسف بن الحسن (ص. 65 ـ 67) ؛ و5 لمحمد الخامس، (ص. 69 ـ 70).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع أنواع التصديق كانت توضع بأعلى الوثيقة بعد البسملة أو الحمدلة والتصلية وقبل نص الوثيقة ؛ في حين أن مراسلات وُلاة العهد والأمراء وخلفاء السلاطين والصدر الأعظم والوزراء وباقي خدام المخزن من سفراء وعمال وباشوات وقواد وأمناء وغيرهم فقد كانت مراسلاتهم تحمل طوابعهم بأسفل الوثيقة.

وبعدما تعمم استعمال الطابع المنقوش على الصفائح المعدنية في عهد الدولة العلوية أصبح لكل سلطان طابع كبير خاص بالظهائر والمراسلات المهمة وطابع صغير خاص بالمراسلات العادية.

M. Ibn Azzouz Hakim, *La sigilografía de los sultanes de la dinastía Alawí*, Madrid, 1998.,

محمد ابن عزوز حكيم

الطّابية أو التابية، طريقة في البناء تكون "التراب المدكوك"، و"الطين المفرغ بالقالب" (*نزهة*، 3 : 233 ؛ *الروض*، 540 ؛ *مسالك*، 295 ؛ *وصف*، 1 : 10).

وتحدث عنها ابن خلدون بتفصيل في مقدمته، وبرجوعنا إلى الميدان ووقوفنا على بعض أوراش البناء في مختلف جهات المغرب وخاصة عمليات ترميم أسوار المدن العتيقة والبناء في المناطق الصحراوية والمتاخمة للصحراء تبين لنا عند المقارنة بما جاء في النصوص أن الطابية مازالت كما وصفها العلامة ابن خلدون، مع إضافة التقنيات الحديثة في بعض الأوراش الكبرى مثل استعمال آليات الرفع والدك والتخليط الحديثة واستبدال الألواح والقوالب الخشبية بالصفائح الحديدية ؛ وقبل أن نعرض لمراحل دخول هذه الصناعة إلى المغرب كما جاء في المصادر لابد من إبداء الملاحظات التالية المتعلقة بميزات البناء بالطابية :

1 ـ البنايات بالطابية متينة وشديدة الصلابة، بل أصلب حتى من الاسمنت المسلح (*مسالك*، 295 ؛ *هسبريس*، 1945).

2 ـ البناء بالطابية لا يخلو من جمالية، فمازالت أسوار المدن العتيقة وأبراجها وأبوابها وكذلك القصبات والقصور في الجنوب المغربي تجذب الزوار من داخل المغرب ومن خارجه.

3 ـ تبنت سياسة الدولة المعمارية في هندستها الحديثة أسلوب الطابية خاصة في الجنوب المغربي وفي المناطق المتاخمة للصحراء فأدمجتها في مشاريعها العمرانية والسياحية.

4 ـ البناء بالطابية لبعض المساكن والمنشآت الكبرى يجعلها مكيفة تكييفاً طبيعياً، فهي باردة صيفاً دافئة شتاءً، (قصبة إيليغ نموذجاً) (زيارة ميدانية).

وتتبعنا لمختلف النصوص والإشارات الواردة في المصادر نستطيع أن نؤرخ لدخول هذه الطريقة في البناء إلى المغرب وانتشارها في جميع مناطقه، فأبو عبيد البكري وهو ممن كتب بتفصيل وتدقيق عن المغرب وقد عاش في القرن 5 هـ / 11 م لم يشر إلى الطابية، فعند حديثه عن مدينة مليلية قال :

"... مدينة مسورة بسور حجارة..." (*المغرب*، 89). فملاحظة البكري هنا عادية إذا ما اعتبرنا موقع مدينة مليلية وبعدها عن التأثيرات الصحراوية والسودانية ؛ ولكنه حتى في معرض حديثه عن أكبر الحواضر المغربية في عصره وأكثرها نشاطاً وغنى وارتباطاً بالصحراء والسودان الافريقي وهي سجلماسة قال عن سورها : "... أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب بناه اليسع بن أبي القاسم سنة 199 هـ ..." (*المغرب*، 148).

وإذا رجعنا إلى الآثار المتخلفة اليوم عن سجلماسة فيما تبقى من جدرانها فهي مبنية بالطابية مما يعني أن المدينة لم تعرف البناء بالطابية منذ نشأتها (ق 2 هـ) إلى عهد البكري ق 5 هـ / 11م.

الشريف الادريسي 69 هـ / 12 م في *النزهة* 3 : 233 ـ ووردت عن أول إشارة إلى البناء بالطابية في معرض حديثه عن مدينة مراكش : "... بناؤها بالطوب والطين والطوابي المقامة من التراب..." من هنا نستطيع أن نقترح الفترة التاريخية التي دخلت فيها هذه الصناعة في البناء للمغرب وهي العهد المرابطي وتحديداً عهد الأمير علي بن يوسف (500 ـ 537 / 1107 ـ 1143) بل يمكننا أن نضبط أكثر فنقول إن الدخول كان سنة 519 / 1126 عندما أشار العالم والقاضي أبو الوليد ابن رشد على علي ببناء سور مراكش فكان المطلوب ـ بحسب الظرف وظهور المعارضة الموحدية ـ البناء بسرعة، عندئذ تم جلب أصحاب هذه الصناعة التي كان للمرابطين في مواطنهم الأصلية إلمام بها فاستقدم خبراء الطابية وعرفاؤها للإشراف على بناء السور ؛ جاء في *البيان المغرب*، 4 : 73 ما يلي :

"... ونبه القاضي (ابن رشد) على بناء الأسوار فشرع الأمير علي بن يوسف في بناء سور محدق بمراكش في هذه السنة (519) فكمل في أقرب وقت وأعجله...".

وقال العمري في (*مسالك الأبصار*، 295) في حديثه عن مدينة فاس : "... وجميع ابنيتها من الحجر والآجر والكلس موثقة البناء مشيدة الأركان والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسور من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر...".

في هذه النصوص والإشارات دليل على أن بداية العمل

بالطابية في البناء وخاصة بناء الأسوار كان مع المرابطين ثم تطور بعدهم وانتشر خاصة في عهد الموحدين والمرينيين وامتد إلى التاريخ الحديث والمعاصر. ويمكن تتبع ذلك من خلال النصوص والإشارات ومن خلال الآثار والبنايات الأثرية إلى بداية القرن العشرين. بل يمكن الوقوف على البنايات المشيدة بالطابية في شمال المغرب وجنوبه وفي شرقه وغربه من خلال أسوار المدن العتيقة والقصبات الإسماعيلية وقصبات القياد والباشوات وقصور الأعيان، وبعض الزوايا والمساجد وأيضاً القصور والقصبات الصحراوية. فضخامة هذه الأخيرة وجماليتها تعتبر ثروة وطنية بل وتراثاً إنسانياً عالمياً كما شهدت بذلك منظمة اليونيسكو في حق قصبة أولاد بن حدو قرب مدينة ورزازات.

والطابية كما جاءت عند ابن خلدون (*المقدمة*، 407 و408) "...ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذلها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد بوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط اجزاؤه ثم يزاد التراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحين على صورة ويركز كذلك إلى أن يتم وينظم الألواح كلها سطراً من فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية...". وحرص ابن خلدون على الدقة في وصف الطابية له أكثر من مدلول فهو من جهة قد وقف بنفسه على هذه الصناعة فهو يتكلم عن مشاهدة، ومن جهة ثانية فهي بالنسبة إليه اكتشاف جديد لا يخلو من إعجاب، وقد تكلم عن الطابية كطريقة في البناء يلتجئ إليها الخاص والعام في بناء المساكن العادية وليست مقصورة على الأشغال الكبرى من أسوار ومرافق كبرى مما تنشئه الدولة.

أبو عبيد البكري، *المغرب الجزائر*، 1911 وباريس، 1965 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية، 5 أجزاء، نابولي بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 1، *المقدمة*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ.

Ch. Allain, *Reconnaissaces archéologiques dans le massif de Rhamna et la Bhira, Hesp.*, 1954, t. 41 ; *Une organisation agricole almohade dans la Bhira. Hesp.*, 1954, 3e et 4e tri. ; P. Berthier, *L'aqueduc de l'oued Ouâar et le bassin des Gaba à Taroudant. H.T.*, 1963, vol. II, fasc. 1 et 2 ; J. Meunier, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

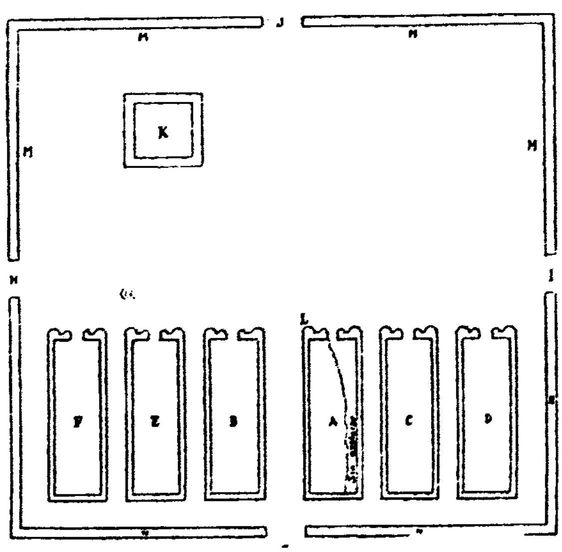
محمد حجاج الطويل

طابيرني (Tabernae)، تسمى حاليا لالة الجيلالية، وهي عبارة عن محطة في الطريق الرابطة بين طنجة وأدميركوريوس. يضعها صاحب مسالك انطونين على بعد 14 ميلا جنوب ريبيس (الدشر الجديد). وأول من اكتشفها القنصل الفرنسي شارل تيسو سنة 1874 الذي يصفها قائلا : "تغطي أطلال لالة الجيلالية نهاية هضبة تغمرها مياه وادي الغانم أو وادي السبت وهو المجرى المائي الوحيد الذي يصب في المحيط الأطلسي بين أصيلة والعرائش".

وتقع طابيرني اليوم على بعد 16 كلم جنوب أصيلة و18 كلم شمال ليكسوس. ويعني اسم طابيرني باللاتينية الأكواخ أو منازل خفيفة سهلة التفكيك مما يوحي أنها كانت في الأصل عبارة عن موقع به مبانٍ أنشئت بسرعة من الخشب في الغالب. وكانت تستعمل - على ما يبدو - كمحطة استراحة ونقطة مرور المسافرين من الشمال إلى الجنوب أو العكس.

يغطي موقع طابيرني غابة من أشجار الزيتون البري مما يجعل التعرف على أطلاله صعباً جدا. تحتل الأطلال الجزء الشمالي من الهضبة التي تشرف على وادي الغانم أو وادي السبت. وقد سبق لتيسو أن أشار إلى وجود جدار طوله 975 م كانت بقاياه لا تزال ظاهرة للعيان زمن الزيارة بجانب قلعة مبنية من أحجار كبيرة الحجم يبلغ محيطها 369 م. ويضيف تيسو إلى أنه بداخل هذه القلعة توجد بناية مبنية من أحجار طولها 95 م وعلوها 56 سم وسمكها 45 سم. تكون سورا رئيسيا مقسما إلى العديد من الغرف، مسبوقة بسور آخر وقد تعني هذه الجدران والأسوار معبدا.

وأما فيما يتعلق بالقسم غير العسكري في الموقع فمساحته تبلغ ضعف الموقع العسكري.



وقد أجرى دو لا مارتينير (De La Martinière) تحريات في طابيرني وأظهر أسس القلعة التي وصفها كالتالي : "عبارة عن قلعة صغيرة طولها 18 م وعرضها 16 م، أضيف إليها في كل من الجهتين اليمنى واليسرى قاعتان على هيئة برجين قسمتا من الداخل إلى غرف صغيرة تحيطان بدون شك

بساحة مركزية". وقد نشر كانيا الذي اقتبسنا منه هذه السطور مخطط الموقع الذي يرى فيه أنه عبارة عن برج داخل بناية دائرية قطرها 5 م تقع داخل الحصن بجوار إحدى القاعتين على هيئة البرج.

ويذكر شاتلان، الذي قام بزيارة للموقع رفقة مونطالبان سنة 1927، أنه لم يميز جدرانا أخرى غير جدران الحصن الرئيسي.

وقد أجرى مونطالبان تنقيبات في طابيرني سنة 1939 سمحت له بالتعرف أكثر على محتويات الموقع حيث اكتشف بنايات خارج جدران الحصن. وعند دراسته لهذه الأخيرة ووضع مخططاتها تبين له أنها تتضمن ست بنايات متوازية قريبة من البوابة المعروفة بالبوابة البريطورية. كما يبدو أنه كان بالداخل معبد صغير مغطى بقبة.

ويذكر شاتلان أنه استخرجت كذلك مسكوكات تعود لعهود الأباطرة الرومان هادريانوس وكمودوس وكوردبانوس الثالث وألكسندر سيفيروس وكاليانوس بالإضافة إلى قاعدة تمثال تحمل كتابة مكونة من خمسة أسطر يصعب فك رموزها.

Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique*, 2è éd., Paris, 1912, 2 vol. ; Chatelain, *Le Maroc des romains*, Rabat, 3, 1937 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; Michaix-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkous*, *A.M.*, II, 1906 ; Tarradell, *Contribution à l'Atlas achéologique du Maroc, Région de Tétouan*, *B.A.M.*, VI, 1966, n° 3 ; *Guia Arqueologica, del Marruecos espaniol*, Tetuan 1953 ; *Marruecos antiguo, Nuevas perspectives Zephoyrus* V, 1954 ; C. Montalban, *Resumen de la memoria referente a los trabajos efectuados en el año 1939 en las ruinas de Ad Mercurii y Tabernae*, Num I, Larache, 1940 ; Pelayo Quintero Atauri, *Apuntes sobre*, Arqueologica del Marruecos Espaniol, Tetuan 1941 ; P. Quintero Atauri et G. Gumenz Bernal, *Excavaciones en Tamuda, Memoria resumen de las practicadas en 1943*, Tetuan, 1944 ; R. Roget, *Index topographique du Maroc*, 1938 ; *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

مصطفى أعشي

الطاح، اسم يطلق على مركز وعلى جماعة قروية وبشكل خاص على إحدى السبخات المشهورة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء.

ظل موقع الطاح يشكل مركزا حدوديا خلقه المستعمر الإسباني لحراسة الحدود الوهمية الفاصلة بين الشمال المغربي وباقي ترابه الجنوبي المشكل من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك إلى غاية 1975 حيث تحول هذا الموقع إلى معبر للمسيرة الخضراء السلمية التي تم على إثرها استرجاع هذه الأقاليم الصحراوية.

وعلى إثر التقسيم الإداري الأخير لسنة 1992 فقد أصبح اسم الطاح يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة طرفاية، التي تنتمي بدورها لإقليم العيون التابع لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وقد بلغ عدد سكان جماعة الطاح حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 ما قدره 563 نسمة موزعين على 124 أسرة.

غير أن اسم الطاح يبقى مرتبطا أكثر بسبخة الطاح التي تعتبر بحق من أشهر المسطحات المائية المالحة المشهورة على صعيد الصحراء الإفريقية الكبرى الغربية.

تستقر سبخة الطاح عند الهضبة الساحلية المعروفة بالكعدة، التي تمثل في الواقع حمادة تنتمي موادها الصخرية إلى الزمن الثاني والثالث. وقد تطورت هذه السبخة على شكل منخفض يبلغ عمقه 55 متراً دون سطح البحر، وتتخذ شكل ممر تبلغ مساحته 250 كلم2 باتجاه عام شـ. - ش - شـ / غ ج - غ بشكل مواز لساحل طرفاية، الذي لا يبعد عن الهامش الشمالي للسبخة إلا بحوالي 30 كلم، وبشكل مواز مع اتجاه الرياح التجارية التي تتردد بشكل قوي على هذه المنطقة.

وحسب هذه الظروف المحلية المتميزة بالجفاف، وبهبوب الرياح القوية وبتردد عال، والمتميزة أيضا بوجود إمكانيات جيولوجية قابلة لاحتضان فرشة مائية جوفية، إضافة إلى توفر شروط وجود الملح، فإن سبخة الطاح لا تخرج عن نطاق السبخات التي تتطور بالأوساط الصحراوية تحت تأثير الدينامية الجيمرفلوجية الماء - هوائية القادرة على توسيع هذه المنخفضات وحفرها على أعماق بعيدة دون مستوى سطح البحر.

إن هذه السبخة تشكل ثروة طبيعية حقيقية يمكن استغلالها على أوجه مختلفة : فهي تقدم منظرا طبيعيا خلابا غير مألوف يمكن استثماره كمنتوج سياحي، وتقدم مكمنا ملحيا لا يتم استغلاله إلا على نحو محدود، كما يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الكهربائية بالاعتماد على الفرق الارتفاعي بين سطح السبخة وسطح البحر. ويتم حاليا التفكير في إمكانيات خلق مركب هيدركهربائي توجه طاقته لاستخراج ملح السبخة بإنتاج قد يبلغ 100 ألف متر مكعب في اليوم.

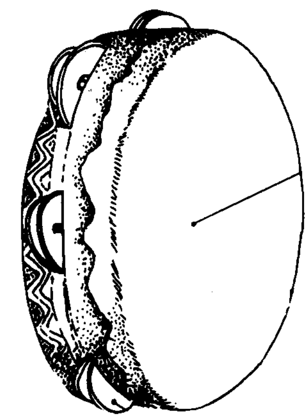
عبد اللطيف رمان

الطار أو الطر آلة الإيقاع المعروفة. تصنع من خشب على شكل دائرة تغطي أحد جانبيها قطعة من جلد الماعز. ويبلغ قطر الدائرة حوالي عشرين سم. وقد عرفت هذه الآلة بعدة أسماء منها الدف، والرق، والمزهر. فهي عند القاضي عياض : دف مربع بوجهين، وعند القلقشندي "قد تكون بصنوج، وقد تكون بغيرها".

ومن المصادر الفقهية التي ألمت بذكر الطر معيار الونشريسي، فقد جاء فيه أن أبا سعيد فرج بن لب (إمام مسجد قرطبة) سئل عن حضوره وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي وأصوات النساء والطر المزنج فأجاب... : وأما سماع الطر بتلك الزنوج المعروفة فيه ففيه اختلاف بالإباحة والكراهة والمنع، لكن جرت عادة الشيوخ العلماء وأئمة الفقهاء بحضور موضع ذلك.

ومن المصادر التي عرفت بهذه الآلة كتاب "الدلالات

السمعية" لأبي الحسن علي الخزاعي، فقد جاء فيه أنه "وهو المستعمل الآن عند المغنين في الأعراس في عصرنا هذا، وفيه قطع من الصفر مستديرة مركبة في جوانب مجاورة، يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة".



يستخدم الطار في مصاحبة العيطات الجبلية كما يستخدم في الموسيقى الأندلسية، وهو يحتل من جوقها مكانة رئيسية لوظيفته في ضبط حركة الألحان وتحديد الإيقاع. وقد أشار إلى ذلك شاعر الأندلس في عهد ملوك الطوائف ابن حمديس الصقلي إذ قال :

وراقصة لقطت رجلها   حساب يد نقرت طارها

كما أكد إبراهيم التادلي أهمية هذه الوظيفة فنعت هذه الآلة بأنها "لجام الموسيقى وأساسها"، ونعت صاحبها بأنه "رئيس الموسيقى وأن صاحبها في القديم كان هو الرئيس الذي ينفق الشعر أولا ونغمته، وأصحاب العيدان والأربية تابعون له".

ويتم ضبط الميزان على الطار بواسطة نقره أو تحريكه. أما النقر فيكون على نحوين هما :

أ - ضرب وجه الطار بكف اليد اليمنى، وهي الضربة القوية من دور الميزان. وقد أسماها الحايك بالندف.

ب - ضرب جانب الطار بمعظم اليد اليمنى أو بالسبابة. وهي الضربة الضعيفة من الدور، ويسميها الحايك بالزنج.

غير أن "الآليين" تخلوا عن مصطلحي الندف والزنج واستبدلوهما بمصطلحين شرقيين هما الدم والتك.

وأما تحريك الطار فيراد به إسماع صوت الزنوج الصفرية المحيطة به، ويكون باليد اليسرى، وهو يحتل في دور الميزان موقع الفاصلة الصامتة.

علي الخزاعي، *الدلالات السمعية*، ط. القاهرة، 1980، ص. 774 ؛ ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، الرباط، 1992، ص. 32 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 248 ؛ القاضي عياض، *بغية الراشد*، ص. 114 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. 2، ص. 152 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، ج. 3، ص. 181، طبع وزارة الأوقاف، المغرب.

عبد العزيز بن عبد الجليل

طارق بن زياد، تختلف الروايات حول نسب طارق بن زياد ابتداء من اسم أبيه، فهو تارة زياد وأخرى عمرو، وهو في رواية فارسي من همذان، وفي أخرى بربري من قبيلة نفزة، مولى لموسى بن نصير، وفي ثالثة طارق بن زياد الليثي بالولاء. تبدو الرواية االراجحة هي القائلة بنسب طارق البربري، إذ تقدم سلسلة نسب تقف عند نفزاو : فهو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو. تلقى الإسلام عن أبيه عن جده عبد الله، الذي يغلب على الظن أنه أول من أسلم في سلسلة نسبه.

ليست لدينا معلومات عن طارق بن زياد قبل ولايته طنجة، عدا إشارة إلى أنه ولد نحو سنة 50 / 670.

وينم اختيار موسى بن نصير لطارق بن زياد واليا من قبله على طنجة سنة 89 /708، ثم قائدا لجيوش فتح الأندلس في رجب 92 / أبريل 711، عن دراية إدارية وعسكرية، مما يحيل على نشاطه العسكري قبل بروزه، بمعنى أنه شارك في فتوح المغرب بكفاءة عالية.

عبر طارق بن زياد البحر من سبتة، بقواته على ظهر سفن يوليان، ونزل على الضفة المقابلة في المكان الصخري الذي حمل اسمه إلى اليوم، وذلك يوم الاثنين 5 رجب 92 / 27 أبريل 711، واتجه غربا حيث زحف على ولاية الجزيرة، متجاوزا بعض المقاومة القوطية هناك. ثم قصد سهول المنطقة الوسطى - الغربية حيث هزم القوط ثانية، ثم تطلع إلى العاصمة القوطية طليطلة.



وأمام توحيد القوط صفوفهم وعزمهم على إيقاف زحف الفاتحين، استنجد طارق بموسى بن نصير فأمده بـ 5 آلاف مقاتل، استعدادا للمواجهة الحاسمة التي تمت بين الطرفين في سهل Frontera على ضفاف نهر وادي لكه أو بكه، ابتداء من 28 رمضان 92 / 17 يوليوز 711، وبعد مناوشات دامت ثلاثة أيام التحم الجيشان في معركة شاملة دامت سبعة أيام، أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوط، رغم قلة عدد أفراد الجيش العربي - الإسلامي مقارنة بعدد أفراد الجيش الاسباني الذي تراوحت أعداده بين 100 ألف و40 ألف مقاتل.

وتحفل المصادر، الإسلامية خاصة، بروايات تحيط

بشخصية طارق بن زياد وبفتوحه في الأندلس، على رأسها الخطبة التي ألقاها في جنده، قبيل المعركة الحاسمة ضد القوط، والتي كان لها دور كبير في إذكاء حماس المقاتلين المسلمين ودفعهم إلى المواجهة بروح معنوية عالية كانت وراء انتصارهم، غير أن عدم ورود الخطبة في مصادر إسلامية متقدمة، يجعل الشك يتسرب إلى وجودها أصلا بالصورة التي تناقلتها مصادر متأخرة، من حيث روعة أسلوبها وعباراتها.

وإلى جانب الخطبة تتحدث المصادر عن إقدام طارق على إحراق سفنه بعد عبور جنده للمضيق، حتى يدفع أفراد قواته إلى الاستبسال في مواجهة القوط، ويقطع أمامهم سبيل التراجع والنكوص. غير أن هذا الحادث يمكن الشك فيه أيضا فالسفن كانت في ملكية يوليان، ولم يكن بمستطاع القائد العسكري التصرف فيها، ويؤيد ذلك ورود هذا الخبر في مصادر تبعد عن تاريخ الفتح بأكثر من ثلاثة قرون.

واصل طارق بن زياد زحفه في الأراضي الإسبانية شمالا، واشتبكت قواته مرة أخرى مع القوط عند مدينة استجة، فتمكن من هزمهم، ليفتح المجال أمام سقوط المدن والحصون الإسبانية تباعا، مثل قرطبة ومالقة، وغرناطة وإلبيرة ليتوج الأمر بفتح العاصمة القوطية نفسها (طليطلة). ثم تابع طارق بن زياد سيره شمالا، مخترقا قشتالة وليون، حتى أشرف على ثغر خيخون على ساحل بسكونية في المحيط الأطلسي، حيث وصله هناك أمر موسى بن نصير بالتوقف، وقد استغرق منذ عبوره سنة كاملة.

ويبدو أن توغل طارق بن زياد الكبير في الأراضي الإسبانية، كان وراء تخوف موسى بن نصير من نكسة تجهز على ما تحقق من مكاسب ترابية خاصة. وهكذا عاد طارق ليلتقي بموسى بن نصير عند مشارف مدينة طليطلة، وليتفق الرجلان على خطة لإكمال فتح إسبانيا، تقتضي بتوجه كل واحد منهما إلى جهة معينة، فكانت وجهة موسى الشمال، وكانت وجهة طارق الجهات الشرقية.

غير أن أوامر الخلافة الأموية جعلت حدا لفتوح الرجلين معا : موسى وطارق، فقد تم استدعاؤهما إلى دمشق، خوفا من تطورات لاحقة تعصف بكل ما تحقق للمسلمين في هذه البلاد البعيدة عن مركز الخلافة. وهكذا عاد طارق بن زياد صحبة موسى بن نصير إلى المشرق في شهر ذي الحجة 95 / غشت 714.

وإذا كانت المصادر تقدم روايات مختلفة ومتناقضة حول مصير موسى بن نصير في الشرق، فإنها تغفل مصير طارق بن زياد، ولا تضيف شيئا إلى تفكير الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في تعيينه واليا على الأندلس، ثم تراجعه خوفا من استبداده بها، خاصة وقد بلغه ما كان يحظى به القائد البربري من هيبة وتعظيم هناك. فهل لقي طارق المصير الذي لقيه موسى بن نصير في دمشق ؟ لا نملك إجابة عن ذلك أمام غياب مطلق لمعلومات حول هذه الشخصية الفذة.

وهكذا لم ينصف المؤرخون والإخباريون شخصية طارق بن زياد، فبعد إهمالهم التعريف به قبل أول ظهور له في ولاية طنجة تجاهلوا مسار حياته بعد التحاقه بدمشق استجابة لأوامر الخلافة، عدا إشارة إلى أن وفاته كانت سنة 102 / 720، التي يصعب الأخذ بها، حيث يطبق صمت رهيب على اسم طارق بن زياد، سواء في المشرق أو المغرب.

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، 1964 ؛ ابن قتيبة الدينوري، *الإمامة والسياسة*، ج. 2، 1997 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ مؤلف مجهول، *فتح الأندلس*، 1994 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 2، 1983 ؛ محمد بن عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، ق 1، 1960 ؛ جرجي أنطونيوس طربيه، *الوجدية وأثرها في الأندلس*، 1983 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، م 3، 1986 ؛ رينهرت دوزي، *المسلمون في الأندلس*، ج. 1، 1998.

عبد الإله بلمليح

طارو، جيروم و جان (Tharaud, Jérôme et Jean)

(1874-1953) وأخوه شارل الذي كان يسمي نفسه جان (1877-1952)، من خريجي المدرسة العليا للأساتذة بباريز. بدآ الكتابة معا سنة 1898، فأنتجا أدبا جيّدا وأصيلا حقق لهما الشهرة ومكنهما فيما بعد من الدخول إلى الأكاديمية الفرنسية.

وصلا لأول مرة إلى المغرب سنة 1917، مدعوّيْن من طرف المرشال ليوطي، أول مقيم عام للحماية، الذي كان في تلك السنة يشغل منصب وزير الحرب في حكومة الجمهورية. فلم يكن هذا الاستدعاء من باب الكرم. فالأخوان كانا قد أبانا من ذلك الوقت عن مؤهلاتهما الأدبية. وأظهرا اهتمامهما الكبير بدراسة العنصر العربي واليهودي. إذ نُشر لهما سنة 1912 مؤلفهما *العيد العربي* *(La Fête arabe)* الذي كتباه عن مسلمي الجزائر المحتلة ؛ ثم ظهر لهما سنة 1917 مؤلف ثان، *ظل الصليب* *(L'ombre de la croix)* الذي يتحدثان فيه عن اليهود. ولذلك كان الهدف من دعوة الأخوين واضحا. فليوطي الذي كان يلقب إذاك "بمبدع المغرب الجديد"، كان يريد منهما إنتاج أعمال أدبية إعلامية، تخدم بجودتها ودقة مضمونها ومصداقيتها السياسة الاستعمارية التي خططت لها الإقامة العامة. ولهذا الغرض وحتى يتمكنا من معرفة المغرب بلدا وشعبا، أقام الأخوان ستة أشهر في الرباط، وسنتين في مراكش والجنوب، قاما خلالها بعدة رحلات إلى فاس، العاصمة الروحية.

أنفق الأخوان مقامهما الطويل في الاطلاع على أحوال المجتمع والتعرف بالأخص على عيوبه وشوائبه. فمكنتهما ملاحظاتهما والمعلومات التي حصلا عليها من كتابة ثلاثة مؤلفات. فنُشر لهما خلال سنة 1921 : *مراكش أو سادة الأطلس* *(Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas)*، ثم *الرباط أو الساعات المغربية* *(Rabat ou les heures marocaines)*. وبعد تسع سنوات طُبع لهما كتاب ثالث :

فـاس أو برجـوازيو الإسـلام (Fès ou les bourgeois de l'Islam).

تعـتبـر هذه الثـلاثيـة من أبرز وأهم مـا كـتب إلى غـاية الثلاثينيات عن مغرب الحماية في أدب الاستعمار الفرنسي. فهي في شكلها نموذج ناجح جعلها تأخذ الصدارة في رفوف المؤلفـات الكلاسـيكيـة التي خلفـهـا هذا الأدب. إلا أن مضمونها في مجمله يعطي للقارئ صورة فقيرة وسلبية عن الإنسان المغربي وهو يعيش تحت رحمة المستعمر، فالأديبان سخرا كل مؤهلاتهما الفنية والتعبيرية لوصف أخلاقه المنحطة : فأبرزا ميله الطبيعي إلى الكذب والنفاق والقساوة والفساد والرشوة وغيـرها من الرذائل التي تجعل منه إنسانا منعدم الكرامة. ويزكي الأخوان أطروحاتهما بأمثلة يدعيان بأنهما أخذاها من الواقع المعيش، فيقولان مثلا بلسان واحد مبرزين أنانية الرجل الفاسي وعدم اكتراثه بالصالح العام :

"شاهدنا خلال فصل شتاء بكامله، أحد أغنياء فاس يعبر بركة وحل على مقربة من باب منزله، ممتطيا بغلته التي رغم اشمئزازها من الماء القذر، لم تكن تستطيع تجنبه. فكانت المسكينة تغطس فيه حتى الركبة، فتلوث في كل مرة بلغتي صاحبها وسلهامه. وكان للغني صاحب وعدة عبيد يظلون متجمعين أمام مدخل الدار بدون عمل. وكان يكفيهم يوم واحد لملء الحفرة بالحجارة. ولكن صاحبنا الفاسي كان يفضل أن يغرق في الوحل أربع مرات في اليوم، بدلا من أن يتحمل بمفرده مصاريف هذا الإصلاح البسيط الذي كان سينتفع منه العموم".

من خلال هذه الشهادة النموذجية التي تبين في الواقع عدم اكتراث سلطات الحماية بإصلاح وترميم طرقات المدينة العتيقة، تتبين أهداف خطابات الأخوين من ثلاثيتهما. فهما لم يتطرقا قط إلى موضوع الاستعمار، بل عمدا على تكريس الصورة المشوهة للشخصية المغربية مقابل إبراز تفوق المعمر الفرنسي الذي يزعمان أنه جاء إلى بلاد المغرب ليقوم بالإصلاح الذي عجز المغاربة أن يحققوه. ولهذا كانت خطابات الأخوين جروم وجان طارو، رغم سموهما الفكري وتألقهما الأدبي، تسير في نفس السياق الذي رسمه أغلب كتاب الاستعمار في المغرب والذين كانوا على عكسهما يتميزون بضعف أو انعدام مؤهلاتهم الفكرية والأدبية.

محمد البقالي اليدري

طاطا، من أجمل واحات باني الأوسط، تقع بشعْبٍ ينفتح على جبل باني بوادي طاطا المنحدر من إداونظيف وتاگموت وإندوزال. وتعد من أهم المنافذ لاختراق الأطلس الصغير، وتقع شمال شرق واحة أقا، وعلى ارتفاع أقصاه 900 متر.

كان لهذا الموقع والموضع أثر كبير في قلة التساقطات بها، وفي ارتفاع حرارتها لانفتاحها على المجال الصحراوي، وقد تصل استثناء إلى خمسين درجة مئوية.

ولم يمنع هذا العائق من استقرار الساكنة مبكرا كما تشهد الشواهد الأثرية. وقد تناثرت على وادي طاطا قصور بلغ عددها عشرين قصرا تحتضن ثمانمائة دار، ويقطنها الشلوح والعرب من ذوي بْلالْ وأولاد جلال الذين استقروا بها بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) وكان لها يد في تغيير معالم البنى السياسية بالمنطقة. كما كانت قلة من اليهود بقصر تينْ تازارْتْ وبها ملاح صغير (14 عائلة)، وقد تعرض هذا القَصر لخراب.

ويبدو أن علم طاطا تداولته الكتابات حديثا، وكان العلم الأكثر تداولا، والذي مازالت تتداوله الألسن المحلية، هو "أسيف ـ نْ ـ ولْتْ"، وإليه ينسب الوولتيون، وتقرأ الكلمة خطأ بالولتي. وتفيد الرواية الشفوية أن الاسلام دخل الواحة من الجنوب، وأن أصل العائلات الطاطائية من تامدولت. فهل آثرت الاستقرار بهذه المدينة زمن الأدارسة ثم انتقلت منها أثناء خرابها خلال القرن 14 إلى طاطا ؟ سؤال يحتاج إلى أدلة يقينية لا نتوفر عليها اليوم.

وكان المخزن يولي اهتماما بالمنطقة للحفاظ على أمن المسالك المطروقة بين الواحة وبين محطات صحراوية تنتهي بالسودان الغربي.

لكن ضبط الأمن يستلزم خفارة كفأة للحد من هجومات قبائل الرحل المعقلية بالخصوص حسب روايات مارمول، ودوفوكو.. وهي أيت أوسا وأولاد جلال وذوي بْلالْ. لذلك كلما تجاوزت القوافل النطاق الجبلي للأطلس الصغير، كلما استعانت بقيادات ومشيخات وقوى ذات نفوذ مادي ورمزي محليا وإقليميا مثل إيليغ، تمنارت، أقا، علماء، وفقهاء وثلة من المرابطين.

وقد أرخى مشكل غياب الأمن على الوجود المخزني بالمنطقة، إذ كان ـ على العموم ـ ضعيفا تنقصه الوسائل، حتى في فترات قوة المركز كما كان على عهد السلطان المولى إسماعيل. ولم يتمكن المخزن العلوي في هذه الجهة إلا قليلا بعد توغل القائد أغناج زمن المولى سليمان في عمق طاطا وبنى بها قصبة سنة 1227 هـ تحمل اسمه، ومازال الشيوخ يعرفون موقعها.

ومن خلال هذا الضعف حاولت الاسطغرافيا الاستعمارية إدخال المنطقة في مجال بلاد السيبة معتمدة على رواية دوفوكو، وهذا الموقف مردود لأن زمن رحلة دوفوكو إلى المنطقة صادف تدهورها سياسيا واجتماعيا بل وبيئيا.

لقد كانت القبيلة على الدوام تعتمد على مشيخات لم تفتأ الحرب سجالا بينها، فاعتمد فرع أولاد جلال على نحلة تاگزولت، وآثر فرع ذوي بلال نحلة تاحگات السكتانية، بله دب نزاع بين فرعين من نفس الفصيل : حيان ومكراز.

ولدرء هذا الوضع، حاول السلطان المولى الحسن الأول تنظيم مشيخات القبيلة سنة 1303 /1886 واعترف بها رسميا وعلى رأسها عائلة بونعيلات الذويلالية، لكن الاحتفاظ على أربع قيادات إنما زادها تشرذما.

ويبدو أن جانب تاحگات تقوى وتغلب أخيرا على نحلة تاگـزولت على غـيـر العـادة، وقـد يكون بُـعـد المكان عن يعسوب الگلولين بإيليغ أحد الأسباب.

ومن بين تداعـيـات هذه القـلاقل تقلص عـدد ذوي وبلال وأولاد جـلال بشـكل لافت للنظر، ومن بينهـا كـذلك خـراب مـداشـر وقـرى بكاملها منهـا على الخـصـوص : قـصـر تين تازارت. ودفع هذا الوضع إلى تراجع قـوة الطاطائيين أمـام أندادهم من الجيران : سكتانة وأقا.

وواكب هذ التدهور فقدان طاطا لإشعاعا التجاري بعد أن تحول المسلك التجاري إلى مركز تندوف منذ أواسط القرن 19 وتقوى دور التاجاكنتيين.

وفـيـمـا سلف، استـفـادت الواحـة من مـوقـعـهـا التـجـاري. واشتهرت بسوقين : أگادير الهناء وأديسْ، فكانت العائلات الميـسـورة تقـتـات بالأسـاس من التـجـارة الصـحـراوية والسودانية، وتُعضِّد حياتها بزراعة مسقية في شرائط ضيقة بهـا أشـجـار مـثـمـرة : التين، البـرتقـال، الليـمـون، العنب، الزيوت... بالإضافـة إلى التداول بين الشعـير والذرة. ويظل التمر عصب الانتاج ومورد تبادل مع السوس والسودان، وقد عاني منذ قرن من آفة البيوض.

بالمقابل كانت الأراضي البورية ضعيفة الإنتاج (الشعير) ويبقى مـعـدر درعـة مـلاذ السكان، وأهم المعـادر ينسب لذوي بلال، وتحدث عنه دوفوكو بإسهـاب، وتسـتـفـيـد منه قـبـائل البْرابْر في إطار تعاقد، وفي أحايين كثيرة يكون مثار قلاقل وفتن.

لقد استثمرت الحماية الفرنسية تناقضات القبيلة الداخلية وضعف جانبها أمام جيرانها گلاوة، مما دفع بالقائد الدوبلالي ـ مـثل مـا وقع بأقـا ـ إلى الاتصـال بإدارتهـا مـبكرا لقطع الطريق أمام طمـوحـات الگلاويين، الذين أرادوا اسـتـغـلال غموض الحدود بين القبيلتين.

وقد اعترفت الحماية بنفوذ الذوبلال في مجاله كما كان زمن السلطان المولى الحسن، ويحمل ظهير التولية تاريخ 21 القعدة 1336 / 1922 .

بهـذا الإجراء جرّ القـائد الاحـتـلال إلى المنطقـة، لكن لم يتأتّ ذلك رسميا إلا بعد عقد من الزمن، حين طلعت الجيوش الفـرنسـيـة إلى طاطا من مـركـز إغـرم 1347 / 1929 ، وبعـد سنتين بُنيت ثكنة عسكرية وتقوى بذلك جانب الدوبلاليين.

بهذا الإجراء كذلك تمكن الفرنسيـون من شد الطوق على الأطلس الصـغـيـر مـن الجنوب ونشط عـمل ضـبـاط الشـؤون الأهلية، وغـدت طاطا أهم المراكـز للمـراقـبـة ولتكوين سـرايا صحـراوية من الأهالي تحت قـيـادة عـسكرية فـرنسـيـة، تأهبا لاختراق بلاد الشرگ والصحراء خلال الثـلاثينيات من القرن الماضي.

في ظلال التـجـاذب والتـقـاطـع مع الحـدث السـيـاسي، احتضنت القبيلة ثقافة عالمة رموزها الزوايا والمدارس، وعلى رأس زاوية أفرا بأگادير الهناء، ومن وجوهها إبراهيم أومحند نايْتْ حساين، تيجاني الطريقة.

ويبـدو أن أثر الطاطائيين في هذه الثـقـافـة أقل ثراءاً وتنوعاً مقارنة بمناطق من سوس. وعلى العكس كان التراث الشفاهي متعدد الأطياف من غناء ورقص وأمثال وحكايات وطقوس وما إليها، ومن حسن الطالع أن السكان احتفظوا على إشعاعه اعتمادا على فعاليات محلية.

الحضيگي، *طبقات* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 6، 16، 18، 19 ؛ *خلال جزولة*، 3 : 64، 67، 68، 70، 88، 104،90، 135 ؛ *واحات باني : العمق التاريخي ومؤهلات التنمية*، أعمال ندوة طاطا (مارس 1995)، منشورات كلية الآداب ابن زهر، 1998 ؛ *أرشيف الخزانة الحسنية*.

A.F., Août 1922 ; CHEAM, n° 541, 1924 ; *A.F. : R.C.*, n° 4 oct, 1924 ; Archives Vincennes, 1926, Rapport Denis ; Ch. de Foucauld, pp. 318, 319, 400, 402 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 91, 95, 117, 123, 130, 228, 348, 354, 355, 565 ; J. Bellakhdar [et al.], *Tissint*, Rabat, 1992 ; M. Akhmisse, *Tata ou l'errance fujitive*, Rabat, 1990.

شفيق أرفاگ

طاطنباخ (فون) كريستيان (1846-1909)، دبلوماسي ألماني مثل بلاده في المغرب بصفة وزير مفوض مقيم، ثم بصفة مبعوث فوق العادة لدى السلطان المولى عبد العزيز، ثم كان رئيس البعثة الألمانية في مؤتمر الخزيرات إلى جانب رادوفيتس Radowitz، سفير ألمانيا يومئذ في مدريد.

وقـد ازداد كـريسـتـيـان فـون طاطنبـاخ سنة 1846 في لاندسهوت Landshut في إقليم بايرن جنوب ألمانيا، من أسرة نبـيلة ورث عنهـا لقب "الكراف" (يعني الكونت باللغـات الأوربية الأخرى)، كما ورث عنها روح الكبرياء الطبقي الذي عززه في نفسه ما كان عليه من طول القامة وضخامة الهامة وامتداد الكاهل. اشتغل، بعد إتمامه لدراسة القانون، في إدارة إقليم ألزاس ـ لورين المنتزع من فرنسا في السبعينيات من القرن التاسع عشر، وذلك فيمـا بين 1873 و1878. ثم التحق بوزارة الخارجية، فعيّن كاتبا لدى السفارة الألمانية في بيكين عاصمة الصين، وأقام هناك من سنة 1879 إلى سنة 1884. ثم كان قنصلا عاما في بلغراد عاصمة مملكة الصرب. ثم ارتقى مستشارا لدى سفارة بلاده في مدريد. ومن مدريد صار يلم بالتدريج بقضايا المغرب، مما أهله للقيام بوظيفة الوزير الألماني المفوض المقيم في طنجة ابتداء من سنة 1889. وقد أمسك بزمام مصالح وطنه في المغرب بيد من حديد ملفوفة في الحرير، طيلة السنوات الأخيرة من عهد السلطان المولى حسن. وعرف كيف يستغل المنافسة بين باقي الأوربيين لترسيخ التجارة الألمانية في الأسواق المغربية، ذلك بأنه جرى بينه وبين السلطان المولى حسن تعاطف دعمته المصالح المشتركة، إذ التقى طاطنباخ مرة أولى بالسلطان في طنجة في خريف سنة 1889، ثم التقى به مرة ثانية في فاس، في سفارة رسمية في ربيع 1890، وأقام عدة شهور يبدي عظمة ألمانيا ومدى احترامها لدولة المغرب ورغبتها في النهوض بالعلاقات بين الدولتين. وصادف ذلك حاجة من السلطان إلى الصمود في وجه باقي الأقطاب العظمى، وبخاصة إنجلترا

وفرنسا وإسبانيا، التي كان ضغطها على المغرب قد تجاوز كل الحدود في تلك السنوات. وكان عليه في المقابل أن يلبي بعض ما كانت ألمانيا هي نفسها تلحّ فيه منذ سنوات من الملتمسات التجارية، وملخصها رفع الحواجز عن التصدير من المغرب، والسماح بتصدير الحبوب والقطاني على وجه الخصوص، التي ظل السلطان يعاملهم بالتسويف في شأنها ويتذرع بقول العلماء وأقطاب الرأي العام المغربي بعدم شرعية التنازل فيها. لكن طاطنباخ استطاع أن يقنع المولى حسن بسلوك مسلك وسط في الأمر، وذلك في الوقت الذي صارت فيه الجيوش الفرنسية على مرحلتين من واحات توات، وصار الإنجليز يطالبون بلهجة الغلظة والفظاظة بإدخال "الإصلاحات" التي لن تزيد التغلغل الأوربي إلا قوة وامتدادا. ودرءاً لذلك، تنازل المولى حسن فأمضى معاهدة تجارية مع طاطنباخ، رخص فيها بتصدير الحبوب المغربية وغيرها من المواد الاستراتيجية في اقتصاد المغرب يومئذ، برسوم غير مجحفة، على أن يجري ذلك لمدة ثلاث سنوات على سبيل التجربة. وكان ذلك باقتراح من طاطنباخ، حلا وسطا بين الرفض المخزني المعهود ورغبة التجار الأوربيين في التسريح المطلق. وظل طاطنباخ، أثناء السنوات الأخيرة من عهد المولى الحسن لا يبخل بمعاونته ونصائحه، علما بأن اهتمام الدبلوماسية الألمانية بعد انسحاب المستشار بيسمارك من السلطة وتربع الإمبراطور غليوم الثاني على عرش ألمانيا سنة 1890، قد تحول من الآفاق الأوربية الضيقة إلى آفاق ما وسموه بأنه "ألفيلت ـ بولتيك" Weltpolitik، أو "السياسة العالمية"، التي يشكل المغرب فيها حتما محطة بالغة الأهمية. ولقد تطورت العلاقات التجارية بين المغرب وألمانيا فيما بين 1885 و1896 بشكل أثار انتباه باقي الدول وحفيظتها. وكان للسفير طاطنباخ ضلع كبير في ذلك، بالرغم من مصير صلاته بالجهاز المخزني، بعد وفاة المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، إلى جولات عنيفة من الأخذ والرد، وذلك ولاشك بسبب تنافر الأمزجة بين الحاجب أحمد بن موسى والكراف فون طاطنباخ، وبسبب جرائم ذهب ضحيتها بعض الرعايا الألمان. ففي يوم 6 نونبر 1894، قتل فرانتس نويمان Franz Neumann في ضيعته بأحواز الدار البيضاء. فاستشاط طاطنباخ غضبا. وعوض أن يتقدم بشكواه إلى النائب السلطاني في طنجة على الطريقة المعهودة، فإنه أبى إلا أن يرحل هو بنفسه إلى فاس، حيث كان السلطان عبد العزيز مقيما بعد مبايعته، مطالبا المخزن بلغة التهديد والتعجرف بإلقاء القبض على الجناة وإعدامهم، ومعلنا أنه لن يغادر المدينة إلا بعد تلبية مطالبه التي عززها برسوّ مركب عسكري ألماني أمام طنجة. ولم يكن للمخزن بدّمن الإذعان. فطار صيت طاطنباخ في الأوساط الأوربية التي رأت أن لغة التعنيف هي اللغة المجدية مع الجهاز المخزني. والحقيقة هي أن المخزن العزيزي الناشئ كان لا يريد فقدان السند الألماني، فلبى ملتمسات طاطنباخ بالرغم مما جاءت عليه من الاستخفاف وسوء المراعاة، وذلك رغبة في تجاوز النازلة للعودة بالعلاقات مع الألمان إلى التفاهم المفيد للجانبين. لكن سرعان ما وقعت واقعة أخرى تجاوز فيها طاطنباخ كل الحدود، وذلك على إثر مقتل مواطن ألماني آخر، وهذه المرة في ضواحي أسفي، واسمه هيرمان روكشطروه Herman Rockstroh. ومرة أخرى، تصرف طاطنباخ في النازلة، وكأن لا حكومة في المغرب، وما على الأوربيين إلا أن ينتقموا لأنفسهم مما قد يلحقهم من الأضرار من قبل المغاربة. فجاء مهرولا من طنجة إلى أسفي، على متن مدرعة، للبحث بنفسه عن القتلة وإلزام السلطات المغربية بإعدامهم أمام الملأ. ولما استحال عليه النزول في ميناء أسفي بسبب أحوال البحر، فإنه أتم الرحلة إلى ميناء الصويرة. وهنالك ألزم عاملها بإمداده بستين عسكريا زحف بهم برا نحو أسفي. وأقام خيامه على مشارف تلك المدينة، بعد أن رفض دخولها للإقامة في المنزل المعد له خصيصا. ثم إن المركب الذي أنزله في الصويرة رجع منها. وما أن رسى في ميناء أسفي حتى صعد طاطنباخ على متنه، ثم نزل منه وسط اثني عشر بحارا ألمانيا على هيأة القتال، مخترقا وسط المدينة بهم في شكل سافر من التحدي والاستفزاز نحو مخيمه، ظنا منه أن العامل سيذعن لأوامره. لكن العامل ظل صامدا أمام تلك التمثيلية الخرقاء. وصار طاطنباخ يتنقل بحرا بين الموانئ الأطلسية المغربية، مهددا برميها بالقنابل إن لم يلبّ في الحين كل ما كان للتجار الألمان من المطالب ومن المساومات التجارية. واشتكى المخزن العزيزي من ذلك لدى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني مطالبا بعزل طاطنباخ. ولكن شكواه ردت بتمام الاستعلاء، بل جاء أسطول ألماني يجوب مياه طنجة والرباط والدار البيضاء. واضطر المخزن إلى أداء دية روكشطروه القتيل، وإن ظل طاطنباخ يلحّ في لزوم إعدام القتلة الذين لم يعثر بعد لهم على أثر. وبلغت صلات طاطنباخ بالجهاز المخزني درجة من التوتر جعلت نواب الأجناس في طنجة يتساءلون عما إذا كانت ألمانيا قد تحولت من مساند للدولة المغربية إلى راغب في الإطاحة بها وفتح "المسألة المغربية" قبل الأوان. مما لم يكن يومئذ بتاتا من مساعي الدبلوماسية الألمانية، وهي في أوج تظاهرها بالمدافعة عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فما كان عليها إلا أن تبعد طاطنباخ عن المغرب. فشرفه الإمبراطور غليوم الثاني باستقبال خاص في نهاية سنة 1896، ثم عيّنه سفيرا في سويسرا، فغادر طنجة، مخلفا لدى الأوساط المخزنية تحفظا من الدبلوماسية الألمانية، لن يزيد مع تطور الضغط الاستعماري على المغرب في العقد الأول من القرن العشرين إلا تفاقما. ذلك بأن غاية ألمانيا من المغرب كانت لا تتجاوز الرغبة في تعزيز مكانتها التجارية في أسواقه، فلا تبدي تعاطفها مع المخزن إلا لمزاحمة منافسيها من فرنسيين وإنجليز. والحالة هذه، فإن التجارة الألمانية ازدهرت في المغرب بما لم يسبق له مثيل في عهد خلف طاطنباخ في

المفوضية الألمانية في طنجة وهو مينتسينكر Mentzinger، حتى إن ازدهارها صار عنصرا من عناصر "المسألة المغربية"، يوم مالت فرنسا إلى اقتسام النفوذ في المغرب مع أكبر منافسيها الدبلوماسيين وهم الإنجليز والإسبان وإلى حد ما الطاليان، دون إشعار الألمان بذلك، مما أغضب غليوم الثاني، فكانت زيارته لطنجة في ربيع 1905. واحتاج إلى أن يرمي خصومه بالورقة المغربية، فبعث بطاطنباخ إلى السلطان المولى عبد العزيز. وكان طاطنباخ قد انتقل من سفارة سويسرا إلى سفارة البرتغال، فجاء إلى فاس على طريقته المعهودة من الشموخ بالأنف وإبراز العضلات ورفع الصوت ليوحي للسلطان بالدعوة إلى عقد مؤتمر الخزيرات وإيقاف الفرنسيين عند حدهم. ولما اجتمع المؤتمر، كان من شبه الطبيعي أن يتولى رئاسة الوفد الألماني طاطنباخ، إلى جانب رادوفيتس السفير في مدريد، فكان طاطنباخ بمثابة الشرارة التي تلهب المناقشات نارا، وكان رادوفيتس بمثابة الماء يصبّ كلما تعالى اللهيب بما يتجاوز الأغراض الألمانية. وسرعان ما أدرك الوفد المغربي برئاسة النائب السلطاني في طنجة محمد الخطيب والأمين محمد المقري أن لا معوّل على الألمان. وأن الأوربيين على كلمة واحدة فيما يرجع لأخضاع المغرب لنفوذهم التجاري والسياسي. وما أن انتهى المؤتمر حتى عاد طاطنباخ إلى مقر سفارته بليشبونة، وفيها لقي حتفه سنة 1909.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.

إبراهيم بوطالب

ابن طاطو، أسرة فاسية عريقة منقرضة، إليها تنسب قنطرة ابن طاطو خارج بني مسافر المعروف الآن بباب سيدي بوجيدة الموصلة لبلاد الحبالات وغيرها، ولبنائها قصة طريفة ذكرها ابن سودة في *إزالة الالتباس*.

وقد جدد إصلاح هذه القنطرة الشيخ الصالح أحمد الشاوي في مطلع القرن الحادي عشر (16 م) والسلطان الرشيد ابن الشريف سنة 1081.

وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على تقييد مؤرخ في عام 541 ذكر فيه محمد بن أبي طاطو (بزيادة أبي) : وعلى حوالة حبسية مؤرخة بعام 833 ذكر الموثق فيها بإشهاد على المنصور بن علي ابن طاطو.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج. 2 : 1 . 2.

محمد حجي

الطاعون، من الأوبئة المعدية التي فرضت ـ فيما مضى ـ ضريبة فادحة على الإنسانية. أصله نوع خاص من المكروبات تسمى باستريللا بستس (Pastourella Pestis) من فصيلة يرسينيا (Yersinia)، تختزنها بالخصوص الحيوانات القارضة كالجرذان والفئران، وتنتقل عدواها إلى الإنسان بواسطة لدغ البراغيث التي تعيش متطفلة على هذه الحيوانات. والطاعون الذي يصيب الإنسان يظهر في ثلاثة أنواع :

1) الطاعون الدملي : يصيب الغدد اللمفاوية، خصوصا تحت الإبط وفي العنق وثنايا الفخذتين، وتصل نسبة الوفاة به إلى 20٪ من مجموع الإصابات. تبدأ أعراضه بصورة تدريجية، فيشعر المريض بخمول عام مع صداع، ثم تبدأ حرارة جسمه بالارتفاع، وقد تصل إلى 40 درجة مائوية، مع صداع شديد ، وألم في الظهر، وتقيؤ ؛ وتبدأ الغدد اللمفاوية بالتورم، ثم تكبر، وتتصلب، وتؤلم ألما شديدا، ثم تتقيح.

2) الطاعون الرئوي : يحصل نتيجة مضاعفات الطاعون الدملي، أو نتيجة لعدوى من الإنسان المصاب إلى الإنسان السليم بواسطة رذاذ المريض أو بصاقه. تظهر أعراضه بصورة فجائية، فترتفع درجة الحرارة فجأة، مع قشعريرة، وصداع، وسعال ؛ وتصل نسبة الوفاة به إلى 70٪ من مجموع الإصابات خلال مدة لا تتعدى سبعة أيام.

3) الطاعون التسممي : وهو الأخطر على الإطلاق، وقد يحصل كمضاعفات للطاعو ن الدملي، أو الرئوي، أو كنوع قائم بذاته ؛ وفي هذه الحالة تتم العدوى عبر الغشاء المخاطي للفم والبلعوم ؛ وتظهر الأعراض بسرعة هائلة، وأهمها : انخفاض سريع في ضغط الدم، وقيء مفاجئ ونزيف دموي وتحدث الوفاة به في أقل من ثلاثة أيام، ونسبتها 100٪.

ورغم تكرار العدوى وخطورتها، فلم يعرف الناس طبيعة هذا الوباء ولا سبب انتشاره، وظلوا قرونا طويلة يعتقدون أنه إما من شؤم ناجم عن حركات الكواكب، أو تلوث الهواء بالأبخرة الفاسدة ؛ وحتى اسمه بالعربية (الطاعون) فراجع لاعتقاد العرب في الجاهلية بأن أرواحا شريرة تطعن المرضى فترديهم قتلى. وقد ظل الطب عاجزا أمامه إلى نهاية القرن التاسع عشر، حينما اكتشف العالم الفرنسي ألكسندر يرسن (A. Yersin) جرثومة الطاعون في هونغ كونغ سنة 1894 ؛ وهذا العالم هو الذي استحدث بعد ذلك طريقة لمداواة الموبوئين بواسطة المصل الذي أصبح منسوبا إليه.

كان المغاربة يطلقون على الطاعون "الحبوبة الكبيرة"، أو "القيسة"، أو "الجمرة" ؛ إلا أن التسمية المتداولة في المصادر المغربية هي الطاعون، أو الوباء. على أن هذه المصادر كثيرا ما استعملت التعبيرين للدلالة على أي وباء معد، خصوصا بصدد أوبئة الحقبة الوسيطة ـ وحسب الطبيب الفرنسي رينو (Dr. L. Raynaud) فإن أقدم طاعون معروف في المغرب هو طاعون عام 542 ؛ وقد أحصى هذا الطبيب أربعة وعشرين طاعونا في الفترة الممتدة بين 742 و1818. وفي رأينا، فإنه لا بد من التمييز بين مرحلتين عند تأريخ طواعين المغرب :

المرحلة الأولى : تبدأ من العصور الإسلامية الأولى وتستمر إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وخلالها تشير المصادر إلى الأوبئة التالية : 260 / 873 ـ 874 ؛ 285 / 898 ـ 899 ؛ 307 / 919 ـ 920 ؛ 344 / 955 ـ 956 ؛ 379 /

989-990 : 407 / 1016-1017 : 571 / 1175-1176 : 610 / 1213-1214 : 616-617 / 1219-1220 : 630 / 1233-1234 : 634-635 / 1237-1238 : 693 / 1294-1295.

تنعت المصادر هذه الأوبئة أحيانا بالطاعون، وأحيانا أخرى بالوباء ؛ إلا أن سكوتها عن ذكر الدماميل، والقيء، وبصق الدم، والإسهال، يدفعنا إلى إبداء كثير من التحفظ إزاء لفظة الطاعون التي استعملتها، سيما وأننا نعرف أن هذا الوباء الخطير كان قد انقطع أثره في العالمين الشرقي والغربي بعد قرنين من هجماته الدورية. فآخر طاعون تعرض له الشرق الإسلامي هو طاعون عام 770 م. وآخر طاعون تعرض له الغرب المسيحي هو طاعون نابولي سنة 761. وبعد احتجابه في ظروف غامضة، فإنه لم يعد إلى الظهور إلا بعد خمسة قرون، ابتداء من الطاعون الأسود في العام 1348 م. فقبل هذا التاريخ إذن يمكن القول : إن كثيرا من الأوبئة التي نعتها الإخباريون المغاربة بالطاعون قد تكون مجرد أمراض مختلفة، خاصة الجذري وحمى التيفوس الوبائية.

المرحلة الثانية : تبدأ من سنة 1348 وتستمر إلى بداية القرن العشرين، وخلالها تعرض المغرب لسلسلة من الطواعين أصبح بالإمكان التأكد من طبيعة بعضها بفضل الدراسة المقارنة، أو بفضل ما تضمنته المصادر ـ أحيانا ـ من إشارات إلى أعراضها.

بدأت السلسلة بطاعون 749 ـ / 1348 الذي انتشر في سائر أنحاء المعمور، وأطلق عليه الكتاب الأوروبيون الطاعون الأسود، وقدروا عدد ضحاياه بـ25 مليونا من الأنفس. أما الكتاب المسلمون فقد نعتوه بـ"الطاعون الأعظم"، أو "الطاعون الجارف"، وكان لهم قصب السبق في وصف أعراضه ورصد وقائعه. من ذلك الوصف الدقيق الذي قدمه ابن خاتمة في مدينة ألمرية، حيث ذكر أن المصاب به كان يظهر عليه "تشنج وبرد في الأطراف وقيء مراري، وسواد في اللسان، أو تورم في الحلق، أو وجع في الرأس، وغثيان. وقد تحدث قروح سود في مواضع من الجسم، وأكثر من ذلك في الظهر، والعنق، وقد تحدث في الأطراف" (*تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد*، الخزانة العامة بالرباط، شريط 2112). ومن خلال ملاحظات لسان الدين ابن الخطيب نتبين أن جل الضحايا كانوا من الفئات الفقيرة ؛ ويرجع سبب ذلك، في نظره، إلى سوء السكن واكتظاظ السكان، وكذلك إلى الجهل بالأساليب الوقائية : "كما أن الضرر يحصل عن تلاقي أنفاسهم [يعني المرضى]، فكذلك يحصل من الأبخرة المتعفنة المتصاعدة من أبدانهم، وكذلك من استعمال ملابسهم وفروشهم التي تقلبوا فيها زمن مرضهم. ولقد شاهدت من أهل سوق الحلق بألمرية، الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم، مات أكثرهم" (*مقنعة السائل عن المرض الهائل*، نشرها م. ج. مولر، باريس، 1863). أما بخصوص ما أحدثه الوباء من تدمير في بلدان المغارب، فقد قدم عنه ابن خلدون وصفا بليغا بهذه العبارة : "فانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الدور والمنازل". (*المقدمة*).

بجسامة الخسائر البشرية، وانعكاسات هذه الخسائر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وحتى السياسية، يأتي الطاعون الأسود في مقدمة الكوارث الطبيعية التي نكب بها المغرب خلال العهد الوسيط. إلا أنه يبقى مجرد وباء من سلسلة واسعة. أما وجه خطورته، فتكمن في هجماته الدورية. فبعد إقلاعه سنة 1350، فإنه عاد للفتك بالسكان في دورات متعددة، كما هو موضح في الجدول التالي :

1363-1364	1678-1680
1415-1416	1742-1744
1442-1445	1749-1751
1521-1522	1798-1800
1557-1558	1818-1820
1597-1598	1911-1913
1604-1608	1916-1917
1614	1919
1620	1921-1922
1626-1627	1929-1933

لقد ذكر الحسن الوزان في *"وصف إفريقيا"* أن الطاعون كان يظهر في المغرب بعد كل عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة. إلا أن ظهوره لم يكن يخضع في الواقع لإيقاع معين. فإذا نظرنا، مثلا، إلى هجماته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نجد أنه ظهر في البداية سنتي 1742 ـ 1744، وهذا بعد مرور أزيد من نصف قرن على آخر هجوم له (1678 - 1680) ؛ ثم بعد عودته المبكرة سنة 1747، نراه يحتجب لمدة طويلة أخرى تناهز نصف قرن بحيث لم يظهر إلا في 1798 ـ 1800، ليعود مرة أخرى بعد ثماني عشرة سنة (1818 ـ 1820) ؛ وهذه العودة الأخيرة كانت آخر زيارة له للبلاد خلال القرن التاسع عشر، إذ أنه لم يظهر من جديد إلا في بداية القرن العشرين.

لم تكن هذه الطواعين متوطنة بل كانت تفد في الغالب من البلدان المتوسطية المجاورة، خاصة منها الجزائر. كانت العدوى تنطلق من هذا البلد الأخير عبر الطريق البرية الرابطة بين وجدة وفاس. ذلك ما حدث، مثلا، بالنسبة لطاعون 1742 ـ 1744 وطاعون 1798 ـ 1800 اللذين ظهرا أولا في المدن الشمالية والشرقية (تازة وفاس) ومنها امتدا إلى السواحل وباقي أنحاء البلاد. إلا أن هناك بعض الاستثناءات. فطاعون 1415 سرى من الطريق البحرية مع الحملة البرتغالية على سبتة ؛ كما أن طاعون 1818 ـ 1820 سرى هو الآخر عبر نفس الطريق، وقد نقله الحجاج المغاربة مباشرة من مصر بعد نزولهم في طنجة، ومن هذه المدينة زحف إلى المناطق الداخلية وباقي السواحل. على أن الاستثناءات الجديرة بالذكر هي اندلاع بعض الطواعين من داخل المغرب. فطاعون 1747 ـ 1751 انطلق من إقليم سوس في الجنوب، ومنه زحف إلى الشمال ؛ وهي نفس الظاهرة التي سجلت بصدد طاعون 1602 الذي انطلق هو الآخر من سوس وكان ذيلا لطاعون

1597 ؛ كما لوحظت نفس الظاهرة في سنة 1916 ثم في سنة 1932.

إذا كانت طواعين المغرب مرتبطة، عموما، بتلك التي ظهرت في البلدان المتوسطية، فهذا يجعلنا لا نشك في كونها طواعين حقيقية طالما أن مؤرخي تلك البلدان قدموا عنها أوصافا ذات دلالة. بيد أن المصادر المغربية لم تبخل علينا بأوصاف لأعراضها. يقول العربي المشرفي عن طاعون 1798 ـ 1800 : "وهو خروج شيء في مغابن الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسود ما حولها أو يحمر، يمرض الإنسان أياما عديدة، وربما يعيش ؛ ولما يطعن به الإنسان يتقيأ ما شرب، ولا يكاد يصبر على الماء، ويقع له إسهال في البطن أنتن من الجيفة". (أقوال الطاعون، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 2154، ورقة 9). وتقدم المصادر إشارات أخرى كاشفة ؛ فهي تشير، من جهة، إلى هيجان الوباء في فصل الربيع كما نجد عند أحمد السلمي ابن الحاج : "وفي شهر جمادى الثانية ورجب وشعبان [من عام 1164 هـ / أبريل ـ ماي 1751] هاج المرض الوبائي بحضرة فاس وجميع بلاد المغرب" (*الدر المنتخب*، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، ج. 8، ص.175) ؛ أو عند عبد السلام الفشتالي : "حتى ازداد أمره [طاعون 1798 ـ 1780] واشتد بأول شوال [8 مارس 1799]"، وهي تشير، من جهة أخرى، إلى انقطاعه مع بداية فصل الصيف : "ولم يزل أمره [طاعون 1750] يتفاقم إلى منتصف شعبان [8 يوليوز] فكف".

إن هذا الإيقاع يتفق مع ما نعرفه عن النسق الموسمي للطاعون ؛ إذ أن نشاط البراغيث، وهي العامل الرئيسي الذي ينقل الوباء إلى الإنسان، يخضع للعامل المناخي ؛ فهي تتوقف عن الإنتاج مع اشتداد الحرارة، وتموت إذا انخفضت درجة الرطوبة عن 80٪. ذلك ما يفسر بقاء المناطق الصحراوية بمنجى. وكانت هذه المناطق تلعب دور خزان بشري لتعويض الفراغ الذي كان الطاعون يحدثه في السهول.

محمد الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992.

J.-N. Biraben, *Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerraniens*, Paris, 1976, 2 t. ; H.P.J. Renaud, *La peste de 1799*, *Hesp.*, 1921 ; *Le peste de 1818*, *Hesp.*, 1923 ; *Les pestes du milieu du XVIIIe siècle*, *Hesp.*, 1939 ; *Les pestes des XVe et XVIe siècles*, *Mélanges d'études*, Lisboa Paris, 1945 ; B. Rosenberger et H. Triki, *Famines et épidémies au Maroc au XVIe et XVIIe siècles*, *H.-T.*, 1973 et 1974.

محمد الأمين البزاز

الطاعون (جريدة)، أصدرها في فاس الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في يناير 1908 قصد مواجهة الدعاية الاستعمارية التي كانت تبثها من طنجة جريدة "السعادة" الموالية لفرنسا. وهذا الموقف الدفاعي هو الذي يفسر اختيار ذلك العنوان المخطوط على شكل أفعى والرامي إلى زرع الرعب في قلوب المناوئين لاستقلال المغرب. ولكون الكتاني لا يتوفر على مطبعة، فقد لجأ إلى وسيلة تقليدية لإعداد جريدته. ذلك أنه كان يجمع حوله عددا من الطلبة فيستكتبهم المقالات المراد نشرها، ثم توزع نسخ الجريدة المخطوطة بين نخبة من المتعلمين. وكان طبيعيا، والحالة هذه، أن يكون عدد تلك النسخ متواضعا، وهو ما يفسر تعذر الحصول على نماذج منها اليوم. ولحسن الحظ، يمكن تكوين فكرة عامة عن شكلها ومحتواها بفضل مقال نشره لوي ميرسيي Louis Mercier في "*مجلة العالم الإسلامي*" *(La Revue du Monde Musulman)* سنة 1908. فحسب هذا الكاتب، الذي كان آنئذ مكلفا بقنصلية فرنسا في العرائش، كان العدد الأول من جريدة الطاعون يتشكل من أربع صفحات مقسمة إلى أربعة أعمدة. أما فحواه فهو عبارة عن نقد لاذع وشتم جارح لجريدة "*السعادة*" (المنعوتة بالشقاوة) ولمديرها الشامي وديع كرم. كما كانت الجريدة تناصر بحماس السلطان عبد الحفيظ وتصب جام غضبها على أخيه عبد العزيز الذي اضطر بعد خلعه إلى مغادرة فاس للاستقرار بعض الوقت في الرباط.

ويخبرنا ميرسيي في المقال المشار إليه آنفا أن العدد الثاني من جريدة الطاعون صدر بعد مرور شهر عن الأول. وحسب الكاتب نفسه، كان هذا العدد من حيث الشكل أقرب إلى منشور عادي منه إلى جريدة. أما لهجته فقد ظلت على نفس الوثيرة. والجديد في هذا الإصدار أن صاحبه أعلن عزمه على إرسال "*الطاعون*" إلى مكاتب الصحف العربية في طنجة وكذا إلى وصيفاتها في الشرق العربي. لكن ربما ظل هذا المشروع في مرحلة النوايا إذ لم نجد أية إشارات أخرى تفيد استمرار جريدة "*الطاعون*" بعد عدديها الأول والثاني.

كتب الموثق محمد المنوني في شأن "الطاعون" أنها نشرت بالمطبعة الحجرية الفاسية وكانت لسان النخبة الوطنية، وذلك استنادا إلى ما أوردته جريدة "*لسان المغرب*" في عددها ليوم 21 فبراير 1908. وإذ كانت هذه الإفادة تتناقض مع ما ذكره ميرسيي في كون الجريدة مخطوطة، فالمرجح أن يكون رأي هذا الأخير هو الصواب لأنه اطلع فعلا على تلك الجريدة في حين أن "لسان المغرب" تعترف أنها لم تقف حينئذ على نشرة منها.

لسان المغرب، العدد 25، 21 فبراير 1908، ص. 3 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الثاني، الفترة المعاصرة (1790 ـ 1930)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص. 171.

L. Mercier, *La presse musulmane*, R.M.M., t. IV, 1908, p. 619 - 630.

جامع بيضا

الطاغية، لقب استعمله سلاطين المغرب لمخاطبة ملوك ورؤساء الدول المسيحية جريا على تقليد إسلامي خوطب فيه ملوك الروم بما يفيد الكفر والطغيان والخروج عن جادة الصواب والحق. ولم تكن هناك قاعدة واضحة ومصطلحات

ثابتة يستعملها السلاطين في مراسلاتهم مع رؤساء الأمم المسيحية، ولم يكن استعمال لقب "الطاغية" قاعدة سارت عليها كل الدول التي تعاقبت على حكم البلاد. فإذا كان المرابطون يخاطبون ملوك النصارى بإسبانيا بعبارة "الطاغية الباغية"، فإن الموحدين والمرينيين من بعدهم قد لجأوا إلى عبارات أقل حدة مثل "مطاع ملوك النصرانية" و"عظيم الأمة الرومية". بل إن المرينيين أصبحوا يخاطبون ملوك النصارى بأسماء وأوصاف تفيد الاحترام والإجلال، من ذلك عبارات "الأجل الأعز الكبير"، و"الملك الأجل المكرم"، و"الملك الأصدق"، إلى غيرها.

ويظهر أن الصيغة المستعملة في مخاطبة ملوك النصرانية كانت تختلف باختلاف العلائق التي تجمع المغرب بهؤلاء الملوك وأيضا بميزان القوى الذي يميز هذه العلائق. فالسلطان الواحد، مثل المولى إسماعيل العلوي، كان يتأرجح في مراسلاته مع هؤلاء الملوك بين لقب "الطاغية" وألقاب أخرى مثل "عظيم الروم". فإذا كان قد خاطب ملك إنجلترا، جيمس الثاني، بعبارة "طاغية الإنجليز"، فإنه خاطب ملك فرنسا بـ"عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس".

إلا أن الدول الأوربية وبعد أن دخلت مرحلة القوة والتوسع على حساب الحضارات الأخرى أصبحت تأنف من مخاطبة ملوك الإسلام لها بلقب "الطاغية" أو ما شابهه من الأوصاف، واعتبرت أن ذلك لا يتناسب مع الأعراف الدولية الموجبة للمساواة في التعامل والتخاطب والقاضية باستبعاد كل العبارات التي تنقص من شأن أحد المتخاطبين. وبعد احتلال الجزائر وظهور الأطماع الاستعمارية الفرنسية تجاه المغرب بشكل صريح أصبح الدبلوماسيون الفرنسيون يعترضون على استعمال المغاربة لألقاب مثل "الطاغية" أو "الشيطان" أو "العدو"، حتى وإن كان هذا الاستعمال وارداً في المراسلات المخزنية الداخلية. ولم يعودوا راضين حتى بلقب "العظيم" أو "السلطان" بل أصبحوا يُلحون على أن تتم مخاطبة ملك فرنسا بألقابه الرسمية وهي "صاحب الجلالة، ملك فرنسا". وإذا كان المولى عبد الرحمن بن هشام قد استثقل هذه الألقاب وحاول التمسك بسنة الرسول عليه السلام في مخاطبة هرقل وقيصر بالعظيم، على الرغم من احتجاجات الدبلوماسيين الفرنسيين، فإن من سيأتي بعده من السلاطين سيُضطر إلى التسليم بالأمر الواقع والتخلي عن ألقاب اعتبرها الأوربيون مهينة لهم وغير مناسبة لمنطق العلاقات الدولية الجديدة.

مجلة الوثائق، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط، العددان 1 و2.

محمد المنصور

الطاقة بالمغرب، تلعب الطاقة دورا حيويا في مسلسل التنمية، فكيفية الوصول إليها ونوعية استهلاكها له أثر مباشر وحاسم على كل العوامل والأسبقيات التنموية، ولا تقف أهميتها على الأسر والصناعة والفلاحة والنقل... إن التزايد الديمغرافي والنمو الاقتصادي يزيد الطلب على الطاقة أكثر فأكثر، فقد ازداد الطلب العالمي عليها خلال العقود الأخيرة (1960-1990) بـ160٪. كما أن إنتاجها واستهلاكها يولد وينشر أكاسيد الكاربون والكبريت والآزوت في الجو مما يلحق ضررا بالبيئة وبصحة الإنسان ومما يفقد المغرب سنويا 20 مليار د هـ أي 8٪ من الدخل الوطني الخام. كما أن استعمال الطاقات التقليدية التي مازالت تكون الوقود الرئيسي لأغلب سكان الأرياف يؤدي إلى إبادة الغابات وتعرية التربة. لهذه الأسباب، يبدو أن مشاكل الطاقة لا يمكن تناولها إلا من زوايا منظور شمولي متناسق، يراعي دور الطاقة كعامل أساسي للتنمية من جهة، ومحدوديتها وانعكاساتها السلبية من جهة أخرى.

ورغم ضعف معدل الاستهلاك الفردي لموارد الطاقة بالمغرب (0,3 طن معادل بترول) فإن المغرب يواجه إكراها خطيرا في هذا الميدان يتجلى في تبعيته لوارداتها التجارية : 92٪ والاستعمال الكثيف للطاقات التقليدية : حطب وفحم الخشب : 30٪ من الاستهلاك الإجمالي المغربي. وتزداد الإكراهات خطورة بسبب ضعف فعاليات وتقنيات استهلاك الطاقة التجارية في الوسط الحضري، وتزايد الطلب على الطاقة التقليدية في الوسط الريفي بسبب صعوبة الوصول إلى الطاقات التجارية. لقد دفعت التحولات العميقة التي يعيشها الاقتصاد الوطني وتزايد الطلب على الطاقة خاصة الكهرباء السلطات إلى تطبيق برامج لتنمية الطاقة، تدخل في إطار النهج الليبرالي وذلك بزيادة العرض بسعر تجاري مشجع. غير أنه لازال يلاحظ عدم التوازن بين ضعف العرض وقوة الطلب، ذلك أن الاستثمارات في ميادين الطاقة مازالت هزيلة، فهي لم تتجاوز 82 مليار د هـ في 3 سنوات الأخيرة : 93 ـ 94 ـ 1995. إن تدبير الطلب الذي يوفق بين تلبية حاجيات البلد وضرورة الحفاظ على موارده الطبيعية وحماية المحيط البيئي، مازالت تحتاج إلى مزيد العناية. ويبرز في هذا الميدان موضوع حيوي هو تنمية الطاقات المتجددة التي لها انعكاسات سلبية ضعيفة على البيئة، فهي تكون بديلا مفيدا في كثير من الحالات بالمغرب، إذ تتوفر على ظروف طبيعية مشجعة، خاصة على مستوى الطاقة الشمسية والرياح التي يمكن استعمالهما على نطاق واسع.

استهلاك الطاقة التقليدية بالمغرب :

إن أول طاقة استعملها الإنسان القديم بالمغرب، هي طاقته الجسمية، مادام ينتقل باستمرار من أجل الصيد أو الهروب من الأخطار. ولعل أهم نقطة تحول في حياته هي استعماله للطاقة الحرارية، إذ مكنته النار التي أدرك الحصول عليها من احتراق الحطب من إنضاج طعامه وتدفئة مكان مبيته والإنارة.

وبتطور المجتمع الإنساني وتزايد حاجياته، تمكن الإنسان بالمغرب كغيره في سائر أرجاء الأرض من تدجين الحيوانات

خاصة المواشي الكبيرة مثل الأبقار التي صار يقدسها اعترافا بقيمة ما تقدمه له من غذاء وعمل، والدواب : الفرس والحمير والإبل التي اتخذها وسيلة لتنقله وحمل أمتعته، واستخدامها في الأعمال الفلاحية خاصة الحرث والدرس. ظل استغلال الطاقة في المغرب مقصورا على مصدرين رئيسيين هما الدواب والحطب، يساعده في ذلك كون النباتات والأشجار الغابوية تغطي مساحات شاسعة من المغرب لقلة البشر المستهلكين لها، كما ترعى بها وتعيش بها حيوانات وحشية يستفيد من طاقتها في أعماله ولحومها في طعامه، فتمد جسمه بأثمن طاقة عضلية وفكرية.

الطاقة الحيوانية : ظل استهلاك موارد الطاقة في نمو مطّرد إذ يرتبط بتزايد السكان والنمو الحضاري وتقدم مستوى العيش. ولئن قدر المختصون سكان المغرب في بداية القرن العشرين بحوالي 3 ـ 5 ملايين نسمة، فإن تكميم موارد الطاقة المستهلكة لم يجتذب اهتمام الباحثين والموثقين، لكن الأوضاع تتطور، ففي منتصف القرن العشرين، بدأت الإحصائيات تتكاثر وتزداد دقة حول كل الموارد الطبيعية والمنتجات الاستهلاكية بما فيها موارد الطاقة، وقدمت المصالح الإحصائية بالمغرب الأرقام الآتية حول قطيع المواشي: الوحدة 1000 رأس.

	الأبقار	أغنام	جياد	حمير	بغال
1984	3000	12000	315	1550	456
1995	2431	15590	156	880	519
1999	2565	14588			

ورغم أهمية هذا القطيع سواء على مستوى ما ينتجه من عمل في ميادين الفلاحة والنقل أو الاستهلاك البشري، فإنه لم يدخل في الإحصائيات الحديثة لاستهلاك الطاقة باعتباره قطاعا لا شكليا، يصعب تحليل إحصائياته في الظروف الراهنة لاستخراج مساهمته في حصيلة الاستهلاك الوطني للطاقة.

الطاقة الحرارية : ظل المغاربة يستهلكون الخشب وأنواعا كثيرة من الحطب والفضلات للحصول على النار، وأهم مصدرها الغابات والأحراش الطبيعية ثم البساتين، ذلك أن الأشجار المثمرة تقلم موسميا، وتنتهي بالموت، فتستغل بقاياها كحطب. وظل المغاربة يستهلكون خشب وحطب الغابات باعتبار الغابة ملكا جماعيا لكل مجموعة بشرية مستقرة ضمنها أو بقربها، وذلك دون تنظيم أو تقنين مضبوط. وصدر أول قانون مغربي حيث يتعلق بالغابة في عهد الحماية، يتمثل في ظهير 10 أكتوبر 1917 الذي نزع الغابة من مجال السيادة القبلية وجعلها ملكا للدولة، يتم تدبيره من طرف إدارة مركزية للغابات، لها سلطات واسعة، وشبكة متراتبة من الموظفين والمنشآت التي تسهر على حمايتها وتنظيم استغلالها خاصة فيما يتعلق بالرعي وجمع الحطب. وتضاعف استغلال موارد الغابة المغربية بتزايد المستوطنين الأوربيين وتوسع المدن وانتعاش الحياة الحضرية، فظهرت منشآت كثيرة لتحويل خشبها إلى الفحم الذي أصبح أهم وسيلة للطهي بالمدن في العقود الأولى لفترة الحماية، واستفحل الاستغلال خلال سنوات الحرب الثانية إذ تم إنتاج حوالي 1 مليون طن من الفحم في الفترة 1939 ـ 1946 أي ما يوازي 1,35 مليون ستير من الخشب، بالإضافة إلى ملايين الأطنان من الحطب الذي استهلك في الأرياف، وتم القضاء على مساحات غابوية شاسعة، خاصة في المناطق السهلة الوصول : السهول، مقدمة الجبال، الأودية والجبال الوسطى. ثم صدر ظهير 19 يونيو 1957 الذي منح قسطا من مداخل الغابة ومساحات الحلفا للجماعة القروية. أما ظهير 20 شتنبر 1976 فإنه صدر في إطار سياسة غابوية تستهدف حمايتها وترشيد استغلالها، بل والعمل على توسيع مجالها بالمشاركة في برامج إعادة التشجير التي يخصص لها 20٪ من مداخيلها، بينما تخصص 80٪ للتنمية المحلية. لكن هذا الظهير أضر في العمق بمستقبل الغابة، إذ صارت الجماعات القروية تستغل الغابة بأكثر من طاقتها على التجدد، وذلك لرغبتها في زيادة المداخيل.

بلغت المساحات الغابوية في المغرب في نهاية الألفية الثانية 8969600 هـ مع إضافة 475690 هـ إعادة التشجير وحوالي 3200000 هـ تغطيها نباتات الحلفا كليا أو جزئيا، يشكل استغلالها مصدرا ماليا لحوالي 800 جماعة قروية. تبلغ طاقتها الإنتاجية عند استغلالها بترشيد 15,63 مليون قنطار من الخشب والحطب في السنة. لكن الاستغلال الجائر يرفع إنتاجها إلى حوالي 60 مليون قنطار مما يستنزف قدرتها على التجدد، وهذا ما أدى إلى تراجع مساحتها خلال قرن (1912 - 2000) بـ50٪. كما تستغل الغابات استغلالا واسعا في الرعي إذ تكون مجالاتها 40٪ من المراعي الطبيعية توفر سنويا 1,5 ـ 2 مليار وحدة علفية أي ما نسبته 17٪ من حصيلة الكلأ بالمغرب.

تساهم الغابة اليوم بإنتاج 10,5 مليون متر مكعب سنويا من خشب وحطب تكون 30٪ من الحصيلة الوطنية للطاقة (تعادل ثلاثة ملايين طن بترول) موزعة إلى 88,74٪ من الاستهلاك القروي و11,26٪ للوسط الحضري، حيث يعتبر 5000 حمام تقليدي عمومي موجود بالمغرب أكبر مستهلك للحطب اليوم بحوالي 50٪ من الاستهلاك الحضري، يستهلك كل حمام حوالي 700 كلغ يوميا. إن هذا الاستغلال الجائر يؤدي إلى تراجع الغابة بحوالي 30 ألف هكتار سنويا، بل تجاوزت ذلك في عقد التسعينيات من الألفية الثانية بسبب استفحال الجفاف والرعي الجائر. ويعمل التقنيون اليوم على تطبيق تقنيات جديدة لاقتصاد استهلاك الحمامات بـ 50٪، وصرف الريفيين عن الحصول على حطب الطبخ من الغابة بتشجيعهم على استعمال أفران الغاز. ويلاحظ أن الرعي بالغابة يتراجع بتناقص قطعان الرعي بسبب جفاف كثير من

الآبار والعيون بالمناطق الجبلية وتناقص أعشاب الغابة وفروع الأشجار الطرية، والتحول التدريجي إلى تربية المواشي بالحظائر بدل الرعي.

استغلال الطاقات الحديثة :

لقد ارتبط استهلاك موارد الطاقة الصناعية الجديدة : بترول كهرباء غاز فحم حجري بفترة الحماية، إذ ظهر بالمدن المهمة التي استوطنها الأوربيون أولى المحطات الكهربائية : الدار البيضاء، الرباط، طنجة، فاس، مراكش... تعمل بوقود بترولي أو فحم حجري مستورد، وبتزايد الطلب على موارد الطاقة الأولية بحوالي 5٪ سنويا، أنشأت السلطات العمومية ومؤسسات القطاع الخاص الصناعي، أجهزة للبحث واستغلال موارد الطاقة الحديثة، فتم اكتشاف مدخرات بسيطة للبترول والغاز بسهل الغرب في عقد الثلاثينيات ثم بحوض الصويرة في الخمسينيات، لكن ظل إنتاجها محدودا فلم يتجاوز في أفضل سنواته حدود 100.000 طن (سنة 1962) وهو في انخفاض مستمر رغم بعض الاكتشافات الجديدة، ويلاحظ اليوم أم مدخرات الغاز بحوض الصويرة تعد باحتياطات أهم.

أما الفحم الحجري فقد اكتشفت أهم مدخراته بجرادة جنوب وجدة سنة 1927 وشرع في استغلالها سنة 1932 وقدرت احتياطاتها بـ100 مليون طن يمكن استخراج نصفها بمردودية اقتصادية مقبولة، لكن وجود الفحم بالأسواق الخارجية بأسعار أقل وجودة أفضل، والصعوبات التقنية المتزايدة أدى إلى إغلاق منجم جرادة سنة 2002. إلا أن استيراد الفحم في تزايد مستمر فقد وصل سنة 2000 إلى 3,3 مليون طن. كما يتزايد الطلب على البترول بوثيرة مرتفعة تصل إلى 8٪ سنويا إذ لم يعد يستغل في النقل والصناعة وأفران الطبخ وقناديل الإنارة بل يستعمل كذلك كقوة محركة في المحطات الكهربائية الحرارية التي أنشئ معظمها قرب المدن الساحلية الكبرى، كما يستعمل كمادة خام في صناعات كيماوية. ويزداد الطلب على الغاز في العقود الأخيرة من القرن العشرين بوتيرة متزايدة : 5٪ سنويا إذ أصبح أهم وسيلة للطبخ والتدفئة بالمدن، كما يتوسع استعماله في الطبخ والإنارة في الأرياف بوتائر متسارعة، إذ يلقى مساعدة وتدعيما من الأجهزة الحكومية لتقليص استعمال الفحم الخشبي والحطب.

الرصيد الوطني من مصادر الطاقة الحديثة :

إن المخزون الذي وقع التعرف عليه قبل أكثر من نصف قرن : فحم جرادة وبترول الغرب وغاز الصويرة، قد أشرف على الاستنزاف. فإنتاج القطرات الأخيرة من النفط المغربي لا يتعدى حاليا 20 ألف طن سنويا بينما يتعدى استيراده 6 ملايين طن. أما الرصيد القابل للاستخراج من فحم مناجم جرادة لن يتعدى 35 ـ 50 مليون طن تحت ظروف قاسية قل نظيرها في العالم. بينما وصل استهلاك المغرب من الطاقة الحديثة المتاجر بها ما يعادل 10 مليون طن معادل بترول.

لم يكشف لحد الآن، رغم كل مجهودات التنقيب عن مصادر طاقية، والآمال التي تبزغ عند أبسط اكتشاف لمورد طاقوي لم تلعب دورا لو ثانويا في بنية الاقتصادي الوطني، وذلك إما لأن الرصيد الذي اختزنته الطبيعة بأراضيه أفسدت الحركات الجيولوجية الباطنية معظمه، وذلك لتسربه إلى الطبقات السطحية وتبخره وضياعه، ونجد بقاياه في كل طرفاية وتمحضيت ونواحي الريف على شكل صخور نفطية، كما أن الموارد العضوية الأولية لم تجد الظروف الجيوفيزيائية والجيوكيماوية والزمنية الكافية التي تسمح بتكوين البترول وتخزينه، فيبقى تطور هذه المواد العضوية في مستوى نفط بدائي متحجر بصخور رسوبية. إن رصيد المغرب من زيت الصخور النفطية لا بأس به إذ يقدر بحوالي 6 مليار طن معادل بترول، لكن استغلاله لن يتيسر تقنيا وصناعيا إلا بارتفاع سعر البترول بالسوق العالمي إلى ما يفوق 40 دولار للبرميل، أما متوسط تكلفته الحالية : 3 ـ 4 دولار للبرميل بالخليج العربي أو 10 ـ 15 ببحر الشمال فإنه لا يشجع على استغلالها، يضاف إلى هذا خطورة الانعكاسات السلبية على البيئة الذي يفوق بعدة أضعاف تأثير البترول والفحم الحجري.

لقد ترتب عن هذه الظروف شح كبير في استهلاك الطاقة المتاجر بها سواء على المستوى الوطني أو الفردي، وتبعية شبه مطلقة للسوق الدولية، إذ تجاوزت واردات البلاد من الطاقة المستهلكة 90٪ بل بلغت 97٪ سنة 2000.

لقد عرف استهلاك موارد الطاقة الحديثة تزايدا مستمرا منذ بداية فترة الحماية، وازداد حدة بعد الاستقلال فتضاعف الاستهلاك الوطني عدة مرات بين 1975 و2000. انظر الجدول: الوحدة 1000 طن.

	1975	1999
الفحم الوطني	700	267,9
الفحم المستورد	-	3120
البترول الوطني	20	11,3
البترول المستورد	2620	6732
الغاز الطبيعي الوطني	70	43,8
الغاز المستورد ومحروقات أخرى	-	839

لقد بلغ مجموع موارد الطاقة التجارية المستهلكة 9.6 مليون طن معادل بترول في نهاية 1999 يتوزع مصدرها كالتالي :

66,2٪ بترول ـ 0,4٪ غاز طبيعي ـ 24,9٪ فحم حجري ـ 6,4٪ كهرباء مستوردة من الخارج ـ 1,9٪ مستمدة من الطاقة المائية ـ 0,2٪ من الطاقة الريحية.

فإذا ما قسمنا هذه الحصيلة على سكان المغرب البالغ عددهم حسب الإسقاطات الإحصائية إلى غاية يوليوز 1999 :

28.238.000 نسمة كان معدل نصيب الاستهلاك الفردي بالمغرب هو 0,339 طن ب م. وهذا يعادل سدس معدل الاستهلاك الفردي العالمي، و6,1٪ معدل الاستهلاك الفردي الألماني. لكن لا ننسى أن حوالي 30٪ من الطاقة المستهلكة بالمغرب تعتبر تقليدية مصدرها الخشب والحطب والفضلات الحيوانية الجافة، وتنتمي إلى القطاع غير المهيكل، ولا تتناولها الإحصائيات العمومية، يضاف إليها كميات متزايدة من الطاقة الكهربائية والحرارية المستهلكة على المستوى الفردي، إما من الألواح الشمسية أو من الحركات الكهربائية الخصوصية الصغيرة. ويلاحظ أن معدل الاستهلاك الفردي للطاقة بالمغرب يتطور بوثتئر بطيئة بسبب تسارع النمو الديموغرافي من جهة ومسلسل التفقير والجفاف ونقص التشغيل من جهة أخرى، إذ كان يبلغ حوالي 200 كلغ م. ب للفرد سنة 1978 أي أنه لم يتضاعف بعد في مدة ربع قرن. ويتميز الاستهلاك الوطني بتفاوت كبير سواء بين الأوسط الريفية والحضرية أو بين الأقاليم والجهات الاقتصادية، فالجهة المركزية الوسطى حيث توجد المنطقة الصناعية للدار البيضاء الكبرى تستأثر بحوالي 50٪ من الاستهلاك الوطني للطاقة التجارية وتستأثر المراكز الحضرية بأكثر 75٪ من استهلاك الطاقة التجارية.

الكهرباء : ولتدقيق أكثر في مدى الاستهلاك الفردي للطاقة نقتصر على الكهرباء باعتبارها تتويجا لكل مصادر الطاقات الأخرى يدخل ضمنها أهم موارد الطاقة المستهلكة، وتحاط بأهمية إحصائية بالغة الدقة، مادام كل إنتاجها يتم في إطار القطاع المهيكل وعلى مستوى تجاري دقيق يحصي نبضاتها وتياراتها مآت آلاف العدادات. لقد بلغ إنتاج الطاقة الكهربائية الصافية المطلوبة 13.942.000 مليون كوس سنة 2000 منها 77,2٪ حراري موزع كالتالي : 59,76٪ من محطة الجرف الأصفر العاملة بالفحم و23,28٪ من محطتي المحمدية العاملتين بالفحم والفيول 9,19٪ من محطة القنيطرة و4,73٪ من محطة جرادة. و5,0٪ مائي مستمد من السدود الذي تناقص إنتاجها كثيرا لقلة مياهها نتيجة للجفاف، موزعة كالتالي : 66,50٪ من سدود حوض أم الربيع و19,77٪ من سدود حوض سبو. و0,5٪ ريحي مستمد من أول وأهم محطة للكهرباء الريحية بالكدية البيضاء قرب تطوان. و0,3٪ من إنتاج الخواص ببعض المراكز الثانوية الصغرى : مدن صغيرة وقرى. 16,3٪ كهرباء مستمدة من إسبانيا عبر شبكة الربط الكهربائي بين المغرب وإسبانيا و0,7٪ كهرباء مستمدة من الجزائر عبر شبكة الربط بين البلدين بشرق المغرب.

وتبلغ القدرة اليومية الصافية القصوى المطلوبة 43,6 مليون كوس والقدرة القصوى المطلوبة خلال ساعات الذروة 2470 ميگاواط. وتستمد هذه الكمية من الكهرباء من مولدات متنوعة للتيار المتردد، تبلغ قدرتها الإجمالية 4388,9 ميگاواط 26,50٪ مائي و72,20٪ حراري و1,20٪ ريحي. وإذا قسمنا هذه الكمية على عدد السكان نجد أن معدل الاستهلاك الفردي للكهرباء بالمغرب هو 493,7 كوس / للفرد. وكان يبلغ 231 كوس سنة 1978، فلقد تضاعف في حوالي ربع قرن، وهو يقل عن نسبة التزايد العالمي.

أما على مستوى سعر الكهرباء، فإن المغرب يحتل مكانة أقل تنافسا حيث يبلغ سعر الكهرباء للاستعمال الصناعي 0,73 د هـ / كوس مقابل 0,65 د هـ / كوس في إسبانيا و0,45 د هـ / كوس بتونس.

ويبذل المسؤولون المغاربة عن قطاع الطاقة والكهرباء جهودا للإسراع بوضع مخططات جديدة لبناء مزيد من المحطات الكهرمائية الصغيرة إذ لازال يتوفر لها 200 موقع لبناء سدود صغيرة لتزويد القرى في إطار مشاريع الكهربة القروية، وبناء محطة عاملة بالغاز بتاهدارت سنة 2004 قرب طنجة مستفيدة من مرور الأنبوب الناقل للغاز من الجزائر إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق، كما يشجعون على استعمال الطاقات المتجددة من ريحية وشمسية وهي طاقات وافرة ومنتشرة بكل مكان تقريبا نظيفة وغير ملوثة وسهلة الاستعمال خاصة على المستوى الفردي. فاستغلال الطاقة الشمسية يتم على شكلين : طاقة كهربائية بواسطة الألواح الشمسية، وطاقة حرارية لأفران تسخين الماء بل طبخ الأطعمة وتدفئة المنازل.

أما على مستوى الرياح، فإن المغرب يتوفر على حقول هوائية مناسبة بشماله وجنوب خاصة وهو يخطط لبناء عدد من المحطات الريحية بالصحراء المغربية ومدينة الصويرة حيث يعمل على إنجاز مشروع رأس سيم لوضع مراوح بقدرة 60 ميگاواط. ويتوفر المغرب على 3450 كلم من الشواطئ تبلغ سرعة الريح بأماكن عديدة منها خاصة بالسواحل الصحراوية 6 ـ 11 كلم / ساعة وهي سرعة صالحة للاستعمال، وتستغل الطاقة الريحية على شكلين : مراوح ريحية لتحريك مضخات الماء أو مراوح لتحريك دينامو مولد للكهرباء.

وتتلقى الأراضي المغربية 3000 ساعة تشميس في السنة ناثرة طاقة نقية تبلغ 5 كيلواط / ساعة للمتر المربع في اليوم أو 1000 واط حراري تستطيع الألواح الشمسية الحصول منها على 100 واط. ويعمل مركز الطاقات المتجددة بمراكش على إشاعة أساليب وأجهزة استغلال الطاقات المتجددة. وحقق نتائج مشجعة كما يشجع على استغلال الطاقات العضوية للحصول على الغاز من الفضلات الحيوانية والنباتية بالقرى وذلك بإنشاء مخازن صهريجية مغلقة تتم فيها عملية الاختمار وتحول بطيء للمكونات العضوية، مولدة غاز الميثان الذي يوجه إلى أفران منزلية.

كما تعمل محطة الدراسات النووية المغربية بالمعمورة قرب الرباط على دراسة جدوى إنشاء محطة نووية لإنتاج الكهرباء. وبدأت الدراسة في مشروع محطة بساحل رملي فارغ بين مصب واد تانسيفت ومدينة الصويرة.

وتعمل سياسة المغرب في ميادين الطاقة على تنويع مصادرها وتحسين أساليب التسيير ونشر الكهرباء بكل القرى المغربية، وإعطاء انطلاقة جديدة في ميدان التنقيب عن البترول والغاز، بفضل مراجعة الإطار القانوني المشجع على الاستثمارات الخصوصية في ميادين الطاقة. كما تعمل المديرية العامة للكهرباء على خوصصة منشآت إنتاج الكهرباء فاتحة المجال خاصة للشركات العالمية، وتوزيع المنتجات النفطية. كما ربطت السلطات العمومية ابتداء من سنة 1995 سعر الاستهلاك المحلي لمشتقات البترول بسعره في السوق العالمي.

ويخطط المسؤولون المغاربة لرفع نصيب الطاقات المتجددة في الاستهلاك الوطني إلى 10٪ سنة 2010 و20٪ سنة 2020، وكهربة 300.000 منزل قروي منعزل عن مسارات الشبكة الوطنية الكهربائية، باستثمار 20 مليار د هـ، وذلك للتخفيف من استيراد البترول بحوالي 2,7 مليار د هـ واقتصاد 1,8 مليون طن م. ب / سنة وإنقاص غازات الكاربون المنتشرة في الجو بحوالي 30 مليون طن في السنة وخلق 15.000 منصب شغل في المجال الريفي، وترشيد استعمال الطاقة باستعمال مصابيح ذات استهلاك ضعيف بـ 5ـ6 مرات بالنسبة لمصباح عادي.

ع. العزيز بنونة، *نحو مغرب مصدر للطاقة*، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1994 ؛ وثائق ومعلومات مختصين من مركز الطاقات المتجددة بمراكش ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من المكتب الوطني للكهرباء ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من وزارة الطاقة والمعادن.

Ministère de l'environnement et P.N.U.D., P.A.N.E. : *Energie et environnement*, préparé par A. Lahbabi, Rabat, 1996.

أحمد هوزالي

الطاقة الشمسية (بالمغرب)، تعتبر الطاقة الشمسية إحدى الطاقات المتجددة وترتبط أهميتها بنوع المناخ ومدة التشميس اليومي والفصلي والسنوي التي تميزه.

بالنسبة للمغرب، تبقى هذه المدة طويلة بالرغم من التباين الناتج عن تباين الظروف المناخية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق. فمتوسط عدد ساعات التشميس السنوي يتراوح بين 2800 في المناطق الأقل تشميسا و3400 في المناطق الأكثر تشميسا. وهو ما يمثل إشعاعا يوميا ساقطا (Incident) متوسطا يُعادل ما بين 4,7 و5,7 كيلواط / ساعة لكل متر مربع. بمعنى أن كل متر مربع يتوصل سنويا بما يقدر بـ 1900 و2000 كيلواط / ساعة. ومن ثمة فمؤهلات المغرب كبيرة إن هو أراد استغلالها. وهل له خيار باعتبار ما يُكلفه استيراد الطاقة من الخارج وباعتبار تزايد حاجياته ورغبته في حماية البيئة...؟

رغبة المغرب في استغلال هذه الطاقة كبيرة وملحة في السنين الأخيرة. لكن من الناحية العملية يجب التحكم في التكنولوجيا وخلق إطار مؤسساتي وتوفير التمويل الضروري. وهو ما حصل بالمجهود الذاتي وبالتعاون مع دول ومؤسسات أجنبية.

أما استغلال الطاقة الشمسية فهو قديم، إذ كانت هذه الطاقة تستعمل مباشرة في تسخين المياه ولتجفيف الفواكه والخضر... لكن في حدود ضيقة. لكن منذ عقدين أصبحت الضرورة ملحة لتعبئة واستغلال هذا المصدر على نطاق واسع ولأغراض مختلفة منها التسخين وكل الأغراض الأخرى التي تستعمل لها الكهرباء.

لكل ذلك يتم صنع أجهزة تشكل مع بعضها أنظمة تعتمد كلها على مبدأ التقاط أشعة الشمس وتركيزها وتحويلها إلى كهرباء بواسطة لاقطات شمسية (Capteurs solaires).

وحسب الهدف، يتم التمييز بين نوعين من التكنلوجيا الشمسية : التكنلوجيا الشمسية الحرارية (Le solaire thermique) والتكنلوجيا الشمسية التدفق ـ ضوئية (Le solaire photovoltaïque).

تعتمد التكنلوجيا الأولى على مبدأ تحويل أشعة الشمس إلى حرارة بالاعتماد على "نصب" لاقطات شمسية تكون سطوحا أو بالتراكزات (Plan ou à concentration).

وتعتمد الثانية على مبدإ تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية وهو ما يستلزم الاعتماد على مُولدات شمسية تدفق ـ ضوئية (Générateurs solaires photovoltaïques). تسمح بتحويل مباشر لضوء الشمس إلى طاقة كهربائية.

يتركب كل مولد (وهو نظام) من 4 أجزاء :

- اللوحة التدفق ـ ضوئية (Le module photovoltaïque) وهي تجميع لعدد كبير من النابعات الضوئية (Photopiles) أو الخلايا الشمسية المصنوعة من السّيليسْيوم.
- إطار حامل للوحات يسمح بتجميعها تماشيا مع الحاجيات إلى الكهرباء من جهة وبتوجيهها لتحقيق أعلى التقاط للضوء.
- بطارية تشحن خلال النهار تؤمن استمرارية التيار خلال الليل وخلال الأيام حيث تكون السماء مغممة.
- أجهزة المراقبة والسلامة (الضابط المنظم Régulateur) التي تؤمن حماية اللوحات وتنظيم التفريغ الكهربائي للبطارية (Décharge de la batterie).

ويمكن تقدير أهمية الطاقة الكهربائية الممكن الحصول عليها بواسطة تحويل الطاقة الشمسية بالاعتماد على مردودية مولد تدفق ـ ضوئي المشار إليها بـ (R) والتي تمثل العلاقة بين الطاقة المحصل عليها سنويا (We) ومجموع الطاقة الشمسية الساقطة (Wi).

$$\text{م} = 100 \times \frac{\text{الطاقة الكهربائية المحصل عليها}}{\text{الطاقة الساقطة}} \qquad \left[R = \frac{We}{Wi} \times 100 \right]$$

ويمكن لكل نظام تدفق - ضوئي أن يعيش 15 سنة كمتوسط. وكلفته خلال عشرية التسعينيات وإلى 2002 تتراوح بين 8000 و1200 درهم.

وبالنظر إلى وضعية المغرب فيما يخص قطاع الطاقة ورغبته في تعميم هذه الخدمة لتشمل الأرياف كخطوة للتنمية، ونظرا للضغط على الغابات ولأخطار التدهور البيئي الذي ينتج عنه وضرورة تفاديها، أصبح استغلال الطاقة الشمسية جانبا من جوانب السياسة الطاقتية للبلاد ومكونا من مكوناتها.

وتنمية هذه الطاقة كواحدة من الطاقات المتجددة مرّ بمراحل ثلاث.

- مثلت الأولى التي امتدت من 1980 إلى 1988 مرحلة اكتشاف التكنلوجيا الخاصة بهذه الطاقة والقيام ببعض التجارب النموذجية. وخلال هذه المرحلة تم خلق مركز تنمية الطاقات المتجددة سنة 1982 (CDER).

- ومثلت المرحلة الثانية التي امتدت من 1988 إلى 1994 بكونها مرحلة بداية العمل الفعلي لاستغلال هذه الطاقة. فخلالها انطلقت برامج كبيرة معتمدة على معرفة دقيقة لطبيعة وحجم الطلب وعلى تكوين تقنيين، وتنظيم المستفيدين في جمعيات وعلى التعاون مع القطاع الخاص ومع جهات من الخارج (دول ومؤسسات...).

ومن البرامج التي انطلقت خلال هذه المرحلة نذكر اثنين :

• برنامج الطاقة الخاص (Le Programme Spécial Energie) الذي يندرج فيه المخطط الجهوي للتزويد بالطاقة لإقليم القنيطرة (Schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra (= SAER) الذي أشرف عليه مركز تنمية الطاقات المتجددة (CDER) بمساعدة مكتب التعاون الألماني (GTZ).

• برنامج (المشروع النموذجي للكهربة الريفية) (Projet Pilote de Préelectrification Rurale) (PPER) الذي همّ أقاليم أسفي والرشيدية وأزلال، والذي أشرفت عليه مديرية الجماعات المحلية (DGCL) في مرحلة أولى ثم مركز تنمية الطاقات المتجددة بمساعدة فرنسية في مرحلة ثانية.

كان الهدف الرئيسي من برامج هذه المرحلة هو الاستجابة لحاجيات الساكنة الريفية الأساسية من الكهرباء بهدف الإنارة وتشغيل الأجهزة السمعية - البصرية.

- أما المرحلة الثالثة والتي بدأت منذ 1994 فهي مرحلة التعميم. أصبح بها لأصحاب القرار ولوزارة الطاقة والمكتب الوطني للكهرباء دور أساسي. فخلالها انطلق البرنامج الوطني للكهربة اللامركزية (Programme National d'Electrification Décentralisée PNED) بتعاون مع الاتحاد الأوربي. وخلالها تم إنجاز الشطر الثاني لبرنامج كهربة الأرياف PPER بكهربة 210 قرية. وانطلق البرنامج الجهوي للكهربة بالطاقة الشمسية (Programme Régional d'Electrification Solaire) (PRES) بتعاون مع البنك الألماني (KFW).

وتشكل برامج الكهربة المعتمدة على الطاقة الشمسية مكونا من مكونات برنامج الكهربة الشاملة للأرياف (PERG).

إن استغلال الطاقة الشمسية بالمغرب خيار لا محيد عنه لأسباب اقتصادية واجتماعية وبيئية وجيو - سياسية. فالسياسة المسطرة في هذا القطاع منذ عقدين أعطت ثمارها الأولى بحيث يمكن استنتاج ذلك من خلال أهمية عدد اللوحات المنصبة اليوم فوق السطوح ليس بالأرياف فقط بل بالمدن كذلك وليس فوق المنازل فحسب، بل فوق مؤسسات عمومية مختلفة (مدارس، مستوصفات، مساجد، آبار جماعية...) وكذلك غير عمومية.

وإذا كان عدد الأمتار المربعة من اللوحات المنصبة يقدر بـ10.000 م2 في السنوات الأولى من التسعينيات، ففي 2002 يمكن رفع هذه المساحة إلى 4 أو 5 أضعاف.

إن التجربة، بالرغم مما حققته من تقدم ومن جوانب إيجابية مازالت في البداية. وتعتريها بعض المؤاخذات خاصة من طرف المستفيدين الريفيين يجب العمل على تفاديها مستقبلا. فإذا كانت هذه الطاقة أفضل من طرق الإنارة التقليدية، فهي لا تسمح - حسب المستفيدين - من تشغيل عدة أجهزة وعدد كبير من المصابيح في نفس الوقت، ولا تسمح بتشغيل الثلاجات وعند العطب يطول الانتظار قبل الحصول على قطعة الغيار ومجيء التقني... ولهذه الأسباب إذا حضرت كهربة الشبكة لا يعود مكان للكهرباء الشمسية.

Ministère de l'Energie et des Mines, *Schéma d'approvisionnement énergétique régional de la province de Kénitra, stratégie et expériences; L'énergie solaire au Maroc. Journée d'information sur le marché de l'énergie solaire photovoltaïque dans le province de Kénitra, 17-2-1992* ; *Les installations solaires photovoltaïques réalisées dans le cadre du schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra. Journée d'information sur le marché solaire photovoltaïque, 17-2-1992*, Kénitra ; *Les énergies renouvelables au Maroc, développement et perspectives*, Rabat, 1999 ; *Programme d'électrification rurale globale*, Rabat, sept. 1997 ; CFER : *Aujourd'hui, les techniques de demain en matière d'énergies renouvelables*, in *Le Monde agricole et la pêche maritime*, n° 124, septembre - octobre 1998 ; M. Kerbout, *la perception de l'Allemagne à travers sa technologie, cas des systèmes solaires photovoltaïque installés dans la province de Kénitra*, in *Marocains et allemands, la perception de l'autre*, Rabat, 1995.

محمد كربوط

الطاقية، هي قبعة من خيوط صوف أو قطن أو غيرهما تسرد باليد بواسطة قضبان شبك خاصة تشبه القضبان التي تزرد بها الصدريات والبلكات. وتستعمل للإحاطة بالرأس وتغطيته كلا أو جزءا دون الجبهة والأذنين للوقاية من الحرارة أو البرودة. وهي تنتشر انتشارا كبيرا في حواضر وبوادي مناطق الحوز والرحامنة والسراغنة وحاحا وسوس ودكالة وعبدة والشاوية ويقل تداولها في شمال المغرب وشرقه وتخومه الجنوبية فيما وراء واد سوس حيث تستعمل أغطية رؤوس أخرى. ويسميها البعض من سكان المغرب "الطاقية المراكشية" من فرط انتشار استعمالها بين أهل مدينة

مراكش، وهي "تشبه نصف الكرة وتكون مطروزة من الخارج برسوم من خيوط متعددة الألوان، وللمغاربة في زركشتها شهرة كبيرة وخاصة [منهم] أهل مراكش (محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، ص. 49).

وتتخذ الطاقية من ألوان متعددة رغم أن اللون الأبيض فيها هو المفضل وتتخللها خروم لتهوية الرأس وأشكال متعددة من الطرز باليد. وقد كانت ومازالت هي غطاء الرأس الأساسي لدى الحرفيين والتجار وتعتبر مراكش هي أكبر مركز لإنتاجها. ففي هذه المدينة يتنافس في سردها الكبار والصغار والذكور والإناث من الطبقات الوسطى والدنيا، ويبادر من أنتجها هو نفسه إلى حملها لعرضها في فضاء معروف بجامع الفناء للبيع للعموم.

وهناك نوع آخر من الطاقيات يدعى "العراقية" وأصلها العربي الفصيح هو العرقية بدون ألف ولا تشديد، توجد مثيلة لها في المناطق الباردة من بلدان العالم الإسلامي تدعى "الملبدة" أو "القنور" لأنها تكون من صوف ملبد، وهي توضع فوق الرأس منفردة، وترتدى تحت العمامة لتمتص عرق الرأس ومن هذه الوظيفة أخذت اسمها. ومن الناس من كان يعوض العرقية بوضع مجرد منديل خفيف على الرأس تحت العمامة ليقوم بنفس مهمة امتصاص العرق فلا يحتاج إلى غيرها.

وتنتشر في مراسي المغرب القديمة وكذا في موانئه الحديثة اليوم طاقية من نوع خاص لا هي بالطاقية المراكشية ولا العراقية تشبه في مظهرها شكل الطربوش المستدير (طربوش الطاسة) يسود ارتداء ما يشبهها في بلاد الشام والرافدين وتركيا في الفصول الباردة (وخاصة في سوريا ولبنان). وهي تتخذ من صوف ممشوطة ناعمة وغير مكتملة التلبيد وتتكون من جزأين يكادان أن يكونا منفصلين لا يشدهما إلى بعضهما في نهاية القفا إلا شريط صغير. ويبقى لمستعملها الخيار إما في ارتدائها على شكل قطعة واحدة بعد إدماج القطعتين المنفصلين في واحدة أو تسريح القطعة المندمجة لتغطية الرأس والحنكين معا وقت البرد أو عند اللزوم. وقد شاع استعمال هذه الطاقية بشكل كبير ومازال لدى البحارة وعمال الموانئ والشحن والإفراغ والحراسة الليلية. لذلك يسميها الناس في هذه المدن الساحلية "طاقية البحرية".

محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ محمد عنابي، *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر 1970 دون عدد ولا مكان الطبع ؛ علي طعمة، *المغرب تاريخه وحضارته وحقيقته*، بيروت، دون تاريخ ؛ *تحريات ميدانية* في مراكش وفاس ووجدة والصويرة وأسفي.

W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris, 1946 ; J. Mercanton, B. Rouget, *Maroc terre et ciel*, Lausanne, 1954; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932.

محمد بوسلام

طاكوك، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سوماتة الهبطية وكان جل أفرادها يتعاطون الدباغة ومازالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 800.

الطالب، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس كان بعد أفرادها من حفظة القرآن الكريم يتعاطون القراءة على القبور، ومازالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 801.

محمد ابن عزوز حكيم

الطالب أو **الطالبي**، أسرة سلوية شريفة أصلها من مدينة القصر الكبير، هاجر جدهم الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد الطالب آتي الترجمة من القصر إلى سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). كانوا يعرفون أولاً بالطالب - بدون ياء النسبة - ثم أصبحوا منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) يعرفون بالطالبيين. وذكر المؤرخ السلوي الفقيه ابن علي الدكالي في *الإتحاف الوجيز* أن آل الطالب السلويين هم من الشرفاء العلميين وأن ذلك ثابت في رسومهم القديمة. وذكر إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 53) عن الشرفاء الطالبيين أنهم "من أصرح الأشراف نسباً، وكبرائهم حسبا، وأعلاهم منصباً، وأكرمهم أماً وأباً..."

الطالب، أحمد (سيدي -) بن محمد القصري ثم السلوي (الجد) انتقل إلى مدينة سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) كما سبق، ليسلك طريق القوم على يد الشيخ مَحمد بن سعيد العتابي أكبر مريدي الشيخ عبد الله ابن حسون وخليفته في تربية المريدين بسلا. وقد أدخله العتابي الخلوة مدة صفت فيها روحه ولاحت عليه علامات الولاية والعرفان.

كان سيدي أحمد الطالب إلى جانب تصوفه وعنايته بالمريدين فقيهاً عارفاً بأمهات المؤلفات الصوفية يقوم على تدريس *المباحث الأصلية* لابن البناء وشرحه لأحمد زروق "فياتي بالعجب العجاب، ويتكلم على آيات القرآن بمنزع صوفي، وله اعتناء كبير بكتاب *دلائل الخيرات* لابن سليمان الجزولي.

توفي بسلا ضحوة يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان عام 1072 / 26 غشت 1661 ودفن بالقرب من الجامع الأعظم، وضريحه مزارة عظيمة.

الطالب، صالح (ت. 1169 / 1755)، كان قائداً من قواد المخزن إلى أن تمرد فاستبد بما تحت ولايته في حصن

أگادير ومرساه في عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل العلوي وخلفه محمد بن عبد الله العلوي (ت 1204 / 1789) الذي تمكن من اعتقاله وإيداعه في السجن في مدينة اگادير، وسرعان ما تمكن من أن ينتحر بمدية تمكن بعض من له به صلة من دسها له في خبزة. وللأهالي الشلحيين في قصة اعتقاله وانتحاره قصيدة مأساوية أمازيغية ينشدها المغنون، ولا يزال بعض الأهالي المجاورين لمدينة اگادير يرددون مقاطع منها، وذكر محمد المختار السوسي في (*خلال جزولة*، ج. 4، ص. 85) أنه قد سمعها.

وقد تحدثت مصادر تاريخية كثيرة عن الطالب صالح هذا مثل كتاب *الإتحاف* لعبد الرحمن بن زيدان، و*الجيش العرمرم* لمحمد أكنسوس، و*تاريخ الضعيف*. ولكن المؤلفين اللذين حققا في أصله وأخبار تمرده واعتقاله هما:

- محمد بن سعيد الصديقي في كتابه *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، ج. 1، ص. 15).

- ومحمد المختار السوسي في كتابه *خلال جزولة* المذكور ومخطوطه *من الحمراء إلى إيليغ*. وقد اتفقا على تعريف هذا الثائر بأنه: (الطالب صالح بن محمد بن بيهي السوسي ثم الحاحي، أخو القائد عبد الملك الفقيه باشا الصويرة وقائد حاحا، وكان أبوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة أولوز فاتكا يقتل ويغير وينهب، فأهدرت قبيلته دمه في عنفوان شبابه، ففر منهم إلى (حاحة) واستوطن قبيلة أيت زلطن وتأهل، وبعد مدة سمي شيخا على هذه القبيلة، ثم تولى عمالة حاحة وبعض القبائل السوسية، فكان له من الأولاد نحو الأربعين استخلف منهم في حياته ولده عبد الملك في ما كان عليه، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على الموارد المخزنية بمدينة أگادير وميناءها، وكان شائع الصيت شديد الوطأة مسموع الكلمة، فأخذ يجمع الزروع والمواشي ويبيع ذلك لتجار النصارى ويستبد بالأرباح، ثم دعا شقيقه عبد الملك لشق العصا فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه في (اگادير) إلى أن فر منه القائد عبد الملك والتجأ إلى الأعتاب الشريفة، واستولى الطالب صالح على أگادير، وبعد ذلك خرجت إليه طائفة من الجيوش المخزنية وحاصروه ومن معه حتى ساء حالهم، ثم استعمل معه السلطان محمد بن عبد الله الحيلة بالمكاتبة والمهاداة والاستشارة في الشؤون السوسية، فاغتر بذلك وكتب إليه بعزمه على تأديب قبيلة إيداوتنان المجاورة لأگادير، فلما وصلها وجه عشرة فرسان من التنانيين للقبض عليه فدفع لهم 300 من الخناجر والمكاحل من النوع الجيد الذي ينسب للطالب صالح نفسه، مع مال كثير - وهبوه لبناء زاوية شيخ قبيلتهم السيد إبراهيم بن علي التغانيميني (ت 989 / 1581) - فأخذوا الطالب صالح على غرة، حيث وجدوه على بغلته في أحد الأسواق يطوف على الناس فانقضوا عليه وأودعوه السجن حيث انتحر سنة 1169 / 1755). ويعد صاحب (*إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*) هذا الحدث باعثا أساسياً للسلطان محمد بن عبد الله على تأسيس مدينة الصويرة ومرساها سنة 1178 / 1760. إذ يقول: (ذاك أن حصن أگادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى السلطان المذكور أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر قريباً إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته، فلا يتشوف أحد إليه، فاختط مدينة الصويرة. وعندما تم بناؤها أمر السلطان بغلق ميناء أگادير وإبطاله ونقل عمارته إليها فصار نسياً منسياً وميناء عسكرياً) (*إيقاظ السريرة*، ص. 16).

تاريخ الضعيف الرباطي؛ ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 4؛ *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*؛ *إيليغ قديماً وحديثاً*.

محند أيت الحاج

الطالب، علي بن **مَحمد** بن الشيخ أحمد، فقيه، ناسك متصوف، حلاه ابن علي الدكالي السلاوي في بعض تقاييده بصفات تبرز أنه سار سيرة أبيه وجده - علما وتصوفا - لم نقف على نشاطه العلمي بمدينة سلا خلال النصف الثاني من القرن 12 (18 م). ويبدو أن شهرة هذين الأخيرين قد استأثرت باهتمام المترجمين، الأمر الذي حال بيننا وبين تتبع مختلف مراحل حياة علي بن مَحمد الطالب.

اشترى المترجم من الحاج قاسم بن عبد الله التملي سانية (بستانا) توجد قرب زاوية جده الشهيرة، قرب المسجد الأعظم بسلا. وقد تصرف فيها إلى أن توفي، وخلفها لورثته من بعده. وقد طال العمران هذه السانية التي أصبحت تعرف - اليوم - بحومة الطالبية. ويوجد بها درب سيدي علي الطالبي، ولسنا ندري هل هو منسوب إلى صاحب الترجمة، أم - كما قيل لنا - إلى الحاج علي بن أحمد الطالب، المتوفى في 6 صفر 1395 / 18 فبراير 1975، والمدفون بالركن الأيمن بالضريح المشار إليه.

توفي علي بن مَحمد الطالب بعد ثاني محرم 1184 / 28 أبريل 1770، ودفن بضريح جده المذكور، وعلى قبره دربوز.

م. ابن علي الدكالي، تقاييد ضمن كناشة؛ م. بن أبي بكر التطواني، مصورة بالخزانة الصبيحية بسلا، رقم 407، ص. 28؛ *رواية شفوية*.

محمد السعديين

الطالب، مَحمد بن **أحمد**، صالح ناسك خلف والده سابق الترجمة في مجالسه العلمية والصوفية وقد ذكره ابن عاشر الحافي صاحب *الفهرس* في بعض تقاييده وأثنى عليه. توفي ليلة الأربعاء 5 ربيع الثاني عام 1140 / 20 نونبر 1727، واحتفل الناس بجنازته من أهل العدوتين سلا والرباط رجالاً ونساءً ودفن بروضة والده.

طالب (أبو -) **محمد** بن **علي** بن الطيب، من الأشراف الأدارسة. لغوي، مترجم، باحث، أستاذ جامعي. يتقن اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية، ويلم بلغات أخرى.

ولد في مدينة فاس عام 1352 / 1933، وأنهى دراسته الثانوية في ثانوية مولاي إدريس في فاس. ثم أبحر عام 1954 إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة الجامعية بمنحة أمريكية، وكان المغرب آنذاك تحت الحماية الفرنسية. فالتحق بجامعة جاكسون فيل الحكومية بمدينة جاكسون فيل في ولاية ألباما لدراسة اللغة الإنجليزية. وكان المواطنون السود يكثرون في تلك الولاية، ويُمارس ضدهم التمييز العنصري بصورة قانونية، فكانت لهم أحياؤهم المعزولة في المدن، ومدارسهم الخاصة بهم، ومقاعدهم المحددة في مؤخرة حافلات النقل، وهكذا.

ولما كان محمد أبو طالب يحب الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية، فقد أخذ يختلط بالأمريكيين البيض الميسورين في كنائسهم، والزنوج السود في أحيائهم الفقيرة، والهنود الحمر في محمياتهم المعزولة، وارتبط بعلاقات صداقة مع كثيرين منهم، فاكتسب معرفة عميقة بالشعب الأمريكي، وشرائحه الاجتماعية المتباينة، ولهجاته المختلفة، وثقافته عموماً.

وبعد تخرجه من الجامعة المذكورة بشهادتين : إحداهما في اللغة الإنجليزية وآدابها، والأخرى في التربية وطرق التدريس، علّم اللغة الإنجليزية في ثانوية إنستون بولاية ألباما خلال العام الدراسي (1959 - 1960). ثم رجع إلى المغرب ودرّس اللغة الإنجليزية في ثانوية مولاي إدريس بفاس خلال العام الدراسي (1960 - 1961).



وعاد محمد أبو طالب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة والعمل في جامعة هاورد في واشنطن العاصمة في المدة من 1961 إلى 1964، حيث مكّنه إلمامه بلهجات اللغة الإنجليزية من إعداد رسالة ماجستير حول خصوصيات اللهجات الأمريكية في أعمال الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين.

وكان محمد أبو طالب مولعاً باللغات الأجنبية فالتحق خلال العطل الصيفية بجامعات أخرى للدراسة، فدرس اللغة الإسبانية في جامعة خواناخواتو في المكسيك، وفي سانتاندر في إسبانيا، ودرس اللغة الألمانية بعد ذلك في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا.

وبعد حصوله على الماجستير من جامعة هاورد، عاد إلى المغرب، ودرّس اللغتين الإنجليزية والإسبانية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في فاس (1964 - 1968)، ثم انتقل إلى الرباط للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية من عام 1968 حتى أواخر حياته، وتولى رئاسة شعبة (قسم) اللغة الإنجليزية فيها في المدة (1970-1972) وكذلك (1974-1976)، كما سعى إلى تأسيس شعبة اللغة الإسبانية وشعبة الألمانية في هذه الكلية وشجع عدداً من طلابه لتعلم اللغة اليابانية.

وفي الوقت نفسه كان يُكلّف بمهمات أخرى، فعمل مفتشا للغتين الإنجليزية والإسبانية في المدارس الثانوية (1969-1971)، ومترجماً في الديوان الملكي بالرباط، وعضواً في كثير من وفود المغرب السياسية والثقافية، وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات الغربية.

كان محمد أبو طالب يحب طلابه ويرعاهم رعاية أبوية صادقة فأحبوه. وكان عدد منهم ينهي دراسته الجامعية ثم يمضي سنتين في التتلمذ عليه في منزله في دراسة حرة لا يحصل بعدها على شهادة، وإنما على ثقافة واسعة. وكان هؤلاء الطلبة يعدونه أباً روحيا لهم، فيفدون على منزله يوميا للحصول على توجيهاته، واستخدام مكتبته، وحاسوبه، ومطبخه. وقد رأيت بعضهم بعيني يسلم عليه ويقبل يديه، كما يفعل الأبناء المغاربة عادة مع آبائهم.

وعلى الرغم من إجادته اللغات الأوربية وآدابها، فإنه كان متمسكا بأصالته المغربية العربية الإسلامية، ومتعمقا في دراسة ثقافة أمته وآدابها وتاريخها. وكان مغربياً أصيلاً في خلقه وكرمه وتسامحه ووسطيته وفكره العميق، ومغربياً في ملبسه ومسكنه وسلوكه. وكان يغرس تلك الوطنية وذلك التوجه في طلابه الجامعيين خاصة المتخصصين منهم باللغات الأوربية وآدابها. وكان كثير من طلابه يأتي إلى منزله، حتى أثناء غيابه عن المنزل، للبحث في مكتبته التي كانت تجمع معظم ما كُتب عن المغرب باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، وتضم عددا كبيرا من ترجمات القرآن. وقد أُهديت هذه المكتبة بعد وفاته إلى الخزانة العامة بالرباط.

ويمكن الوقوف على مدى اتساع ثقافة محمد أبو طالب من إلقاء نظرة على المواد التي كان يتولى تدريسها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وهي : اللغة الإنجليزية،

الأدب البريطاني، الأدب الأمريكي، الحضارة الأمريكية، علم اللغة، الترجمة (نظرية الترجمة، الإنجليزية ـ العربية، الإسبانية ـ العربية)، الأدب المقارن، طرق البحث العلمي، الدراسات القرآنية في شعبة الدراسات الإسلامية بالكلية، العلاقات البريطانية المغربية في مدرسة الخدمة الخارجية.

ونظراً لعلاقاته الثقافية الواسعة، فقد كان يُستدعى أستاذاً زائراً لفترات متفاوتة في عدد من الجامعات، مثل جامعة برنستون الأمريكية (1964-1967)، جامعة مدريد (1965)، جامعة فرايبورغ (1978)، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (1979-1980)، جامعة أولد دومنيون في فرجينيا (1985-1986)، الدورات التدريبية لمفتشي ومدرسي اللغة العربية التي كانت تعقدها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في ماليزيا (صيف 1984 وصيف 1989) وبروناي دار السلام (صيف 1985)، وبنغلاديش (صيف 1990)، وغيرها.

وكان محمد أبو طالب يشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية، مثل : عضوية الوفد المغربي إلى مؤتمرات اليونسكو في نايروبي 1975 ومكسيكو 1980، ومؤتمر وزراء العدل لمنظمة الوحدة الأفريقية في بانجول 1981، ومؤتمر وزراء الثقافة العرب في الجزائر 1983، وقمة أديس أبابا، وحركة عدم الانحياز في كوبا، ومؤتمر الجمعية الدولية لرؤساء الجامعات في كوستاريكا 1981.

وكان محمد أبو طالب نشيطاً في الجمعيات الثقافية، فاشتغل أميناً لجمعية خريجي ثانوية مولاي إدريس بفاس، وأمينا لجمعية المائدة المستديرة المغربية الثقافية، وعضوا مؤسسا في جمعية دراسة العلاقات المغربية الأمريكية، واللجنة المغربية الأمريكية للتبادل الثقافي والتربوي، والمؤسسة المغربية ـ الأمريكية، والجمعية المغربية لمدرسي اللغة الإنجليزية، وعضوا في اللجنة الملكية لتأسيس جامعة الأخوين في إيفران بالمغرب.

وخصص محمد أبو طالب سنوات طويلة من حياته في البحث عن صعوبات ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية، ونشر دراسات قليلة حول الموضوع ولكن المنية عاجلته قبل إكمال البحث بالطريقة التي كان يريدها.

أما عن أعماله المنشورة، فنذكر منها :

1 ـ أصدر كتابا بالإنجليزية عنوانه *"همسات غضب"* يضم قصائده التي نظمها بتلك اللغة في الفترة من 1961 إلى 1970 في المغرب ونيجيريا وإسبانيا وبريطانيا وأمريكا، وهي تعبّر بطريقة هادئة غير مباشرة عن هموم العالم الثالث ومعاناة شعوبه التي أنهكها استغلال المستعمر، وتصور آلام الإنسان المستضعف في كل مكان. ويقع هذا الكتاب في 50 صفحة من القطع الصغير ويضم 43 قصيدة، وعنوانه بالإنجليزية :

M. Abu-Talib, *Whispers of Anger*, London, 1971.

وقد ترجم أصدقاؤه كثيرا من قصائد هذا الديوان ونشروها في الصحف المغربية.

2 ـ ترجم محمد أبو طالب كتابين إلى اللغة الإنجليزية هما :

- A. Tazi-Saud, *Islamic Morals*, Rabat, 1988.
- Ministry of Education, *Islamic Education*, Rabat : Ministry of Education, in print, 4 vols.

وترجم الدستور المغربي إلى الإنجليزية 1962، 1972، 1992، 1996.

وترجم قصة قصيرة إلى الإنجليزية هي :

- I. Tazi-Saud, *"On the Road"*, *Middle East Review*, volume 7/1, Washington, D.C. 1967.

3 ـ نشر دراسات كثيرة يربو عددها على 41 دراسة باللغة العربية، و45 دراسة باللغة الإنجليزية، و4 دراسات باللغة الفرنسية، و4 دراسات باللغة الإسبانية، ودراستين باللغة الألمانية. (انظر القائمة كاملة في كتاب في تخليد *ذكرى محمد أبو طالب*).

وتوفي جراء المرض العضال في المستشفى المذكور بالرباط يوم 28 شعبان / 25 نوفمبر 2001 ونقل جثمانه إلى فاس ليدفن بجوار والدته في مقبرتها.

علي القاسمي

الطالب، الهاشمي بن **مَحمد** بن مَحمد كان إلى جانب صلاحه ونسكه فقيهاً متمكناً، وكان سنة 1228 / 1913 قاضياً بمدينة سلا، وله حفيد يسمى باسمه : سيدي الهاشمي الطالب اشتهر بالزهد والصلاح والولاية واعتقده الناس ومات سنة 1302 / 84 ـ 1885 وهو من أشهر الصلحاء المتأخرين بسلا.

الطالبي، أحمد بن **محمد** السلوي شخصية سياسية لامعة على عهد الحسن الأول وابنيه عبد العزيز وعبد الحفيظ. بدأ خليفة لعامل سلا، منذ سنة 1310 / 1893 واضطلع لعدة سنوات بالتسيير المستقل لشؤون المدينة وباديتها حسبما يتجلى من المراسلات العديدة التي كانت له مع المخزن المركزي. ثم كان أحد السلويين الثلاثة الذين شاركوا بفعالية في مجلس الأعيان الذي أسسه السلطان المولى عبد العزيز، فكان أحمد الطالبي ومعه أحمد الصابونجي وعبد الله ابن خضراء من أبرز الشخصيات المرموقة في هذا المجلس، ثم شغل منصب أمين بمرسى العدوتين، وأخيراً صار ناظر الأحباس بسلا سنة 1326 / 1908 واستمر في هذه الخطة عشر سنوات، وتعتبر داره من أفخم دور المدينة بساباطها الكبير قرب ضريح جده سيدي أحمد الطالب.

توفي بسلا بعد سنة 1336 / 1918.

الطالبي، عبد القادر مقاوم ولد سنة 1934 ببني خيران دائرة وادي زم من أبيه عبد الرحمن بن بوعزة وأمه خديجة بنت العربي. من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية حيث ضحى بالنفيس والنفس في سبيل حرية الوطن، الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الأحداث الدامية التي كانت منطقة أيت عمار مسرحا لها، إثر نفي محمد الخامس وأسرته الشريفة إلى جزيرة مدغشقر.

وقد ظل وفيا لقيمه الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بتاريخ 26 مارس 1995 بمدينة خريبگة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 518800.

الطالبي، محمد (الحاج) بن **أحمد** السلوي سابق الترجمة، يدعى سيدي حمان. من وجهاء مدينة سلا ورواد الوطنية فيها، عايش الحركة الوطنية وأيدها منذ نشأتها بنفسه وماله حتى كان يدعى "أبا الوطنية" في المدينة. "بيته مفتوح للاجتماعات السياسية، وضيافة الواردين من رجال الوطنية ينفق بسخاء من ماله الخاص... قاوم الظهير البربري سنة 1930، وكان أحد أفراد اللجنة التي رفعت عريضة الاستنكار ضد السياسة البربرية... تطوع بدار له بحي درب الأخيار لتصبح مدرسة للتعليم (*ذكريات*، 1 : 164).

توفي بسلا سنة 1390 / 1970 ودفن في أحد بيوت منزله المجاور لضريح جده سيدي أحمد الطالب.

أ. ابن عاشر الحافي، *تقييد*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط 2، 1956، ج. 9 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وذيله لمصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 ؛ ج. كوستي، *بيوتات مدينة سلا*، تح. ن. المريني، سلا، 1989 ؛ ج. الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. الفقيه التطواني، *كناشة*، مخطوطة ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج. 1 و ج. 4 في مواضع متعددة ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، الرباط، 1991، ج. 2، في مواضع مختلفة.

محمد حجي

الطالبي المعدري، أحمد بن مسعود ولد سنة 1285/ 68 - 1869، ولما وصل سن الدراسة ألحقه والده بالحاج محمد السرسيفي الذي حفظ على يديه القرآن الكريم، وبعد ذلك انخرط في سلك طلبة العلم لدى والده ثم لدى أخيه محمد، وعليهما اقتصر في الأخذ، وأتم ما هو بحاجة إليه بجده واجتهاده ومجهوده الشخصي.

بدأ مرحلة التدريس بسرد البخاري في مدرسة "تازْرْوالْت" بطلب من محمد بن الحسين التازروالتي، ثم كانت البداية الفعلية لممارسته التدريس بمدرسة ميرغْتْ، ومنها انتقل إلى مدرسة المعدر فخلف فيها والده، وسلك نهجه في الجد والاجتهاد والانكباب على تدريس الفقه وما إليه.

وبعد وفاة أخيه محمد أستاذ المدرسة البونعمانية طلب منه سكان أيت برايبم أن يقوم مقام أخيه، فقبل وانتقل إليها سنة 1320 فسلك مسلك أخيه، وتوزعت أوقاته بين التدريس والإرشاد والتربية والوعظ واستقبال الضيوف. وهو بهذا يكون أستاذا يلقي الدروس علي الطلبة، وشيخا يربي المريدين ويعظ الفقراء الدرقاويين بعدما انخرط في سلك هذه الطريقة على يد الشيخ علي الدرقاوي الإلغي الذي كان يزور شيخه سعيداً بالمعدر، وكان الشيخ الإلغي يتصدرللوعظ والإرشاد حيث المترجم له، وثمَّ عرفه وأعجب به وبطريقته فانخرط في سلكها، ولازم أورادها، بل ثار من شيوخها الذين عرفت بهم الطريقة الدرقاوية انتشاراً كبيراً.

انصرف أحمد بن مسعود إلى هذين المجالين كليا، بيد أنه قصر من نشاطه الصوفي بعد أن عرفت سوس حركة أحمد الهيبة الذي بويع بتيزنيت، وانتظم كثير نن السوسيين، عواما وفقهاء، في حركته، ولم يعرض عنه إلا القليل، ومنهم أحمد بن مسعود مترجمنا الذي بقي على عادته من ملازمة طلبته ودروسه، ولم يجرفه تيار الهيبة.

وبعد احتلال فرنسا لتلك المناطق نهائيا سنة 1352 / 1934 أصابه ما أصاب كثيراً من أمثاله من تضييق ومراقبة من لدن السلطان الفرنسية، وهذا ما جعله يبالغ في العزلة حتى عن الفقراء، فلم يعد يزور موسم "المولد" بالمعدر، كما انقطع عن موسم دُوكادير، ولم يشتغل إلا بدروسه وطلبته إلى أن وافته منيته عام 1363 / 1944 بعد أن ربى العديد من المريدين، وعلم الكثير من الطلبة، وقد ذكر محمد المختار السوسي في *المعسول* (39) خريجا منهم المختار السوسي نفسه.

محمد حاتمي

الطالبي المعدري، الحسن ← البونعماني، الحسن

الطالبي المعدري، محمد ← البونعماني، محمد

الطالبي المعدري، مسعود، ولد سنة 1240 / 24 - 1825 بتمْجَّاض بأيت برايبم، وبعد أن حفظ القرآن على الأستاذ محمد الخنبوبي، التحق بمحمد بن العربي الأدوزي بالمدرسة الأدوزية ليأخذ عنه كل معارفه.

وبعد أن نهل من معين الأدوزي حتى ارتوى، ولج ميدان التدريس، فشارط بمدرسة سيدي مزال بن هارون بشتوكة، فأظهر همة عالية وجداً واجتهاداً في التدريس قل نظيرهما، فطارت شهرته، وسارت بذكره الركبان.

في سنة 1278 / 1861 غادر مدرسة سيدي مزال والتحق بالبونعمانية، فسار على ديدنه السابق من التفاني والإخلاص في التعليم، والضبط في دراسة الأنصبة اليومية من غير ملل أو تراخ، فاكتسبت المدرسة البونعمانية صيتا طيبا مما

جعل الطلبة يتوافدون عليها، فتضاعف أعدادهم ليصل إلى حوالي 160 طالباً.

وبعد البونعمانية رجع إلى مدرسة سيدي مزال مرتين أخريين. ولما زار الحسن الأول سوس سنة 1299 / 1882 وفد عليه المترجم ضمن أوائل الوافدين في جماعة كبيرة من الطلبة.

أمضى المترجم زهاء خمسين عاماً في التدريس، ولم يلتفت إلى ما كان يهتم به بعض معاصريه من الانصراف إلى النوازل والإفتاء. قال فيه الإكراري: "كثير التورع عن مظان الشبهة، راضيا بالدون من المعيشة، هاربا من الأحكام بين العامة، دؤوبا على الأنصبة.. وجل تدريسه في الفقه وعلم الحساب والألفية، ويقول: هذا بارود البلد" (*روضة الأفنان*، 205).

تخرج على يديه الجم الغفير من الطلبة الذين كان لهم شأن كبير في الميدان العلمي بسوس، ذكر منهم محمد المختار السوسي 87 متخرجا، منهم ابناهُ محمد وأحمد.

توفي عام 1319 / 01 ـ 1902 ودفن بالمعدر.

محمد حاتمي

الطالبيون (الأدارسة الجوطيون) ← **بوطالب**

الطالبيون المعدريّون، أسرة سوسية شريفة ذاع صيتها، وأسدت لسوس الشيء الكثير في مجالي العلم والتصوف. أصلها من إداوسملال، ومنه انتقلت إلى تاجّاجْت بإمْجّاض، ومنها نزحت إلى أيت بْرَايّيم. وينتهي نسبها إلى إعزّى الطالب، وإليه تنسب. ويصل نسبها إلى علي بن أبي طالب. ولهذه الأسرة خزانة من أعظم الخزانات السوسية، أسسها أب الأسرة مسعود الطالبي المعدري سابق الترجمة الذي كان يقوم بنسخ الكتب بيده، أو يكلف مجموعة من الطلبة فينسخون له ما يشاء من الكتب، ثم زودها، من بعده ابناه محمد وأحمد بكثير من الكتب المطبوعة.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، *المعسول*، الجزء، 13 ؛ الاكراري، *روض الأفنان*، مخطوط ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*.

محمد حاتمي

الطالع الكبير (سبتة) يصنف ضمن المنشآت العسكرية الكبرى التي حظيت بها مدينة سبتة الإسلامية. وهو محرس كبير يفوق باقي المحارس الأخرى الموجودة في المدينة والتي وصل عددها ـ حسب صاحب *اختصار الأخبار* ـ إلى 18 محرسا، حجما واعتباراً. شيد من أجل دعم وتقوية تحصيناتها سيما وهي الثغر الإسلامي الذي كان أكثر تعرضًا للاعتداءات البحرية إسلامية أندلسية ومسيحية. كان يوجد بأعلى جبل الميناء، وقد عرف لدى عامة أهل سبتة بالناظور. ينسب بناؤه إلى المرابطين الذين أوكلوا مهمة القيام بذلك إلى القاضي عياض. وقد عين عليه ناظر راتب. و. يد به حصن. كما بنيت به "قلهرة" كبيرة. وربما المقصود بالكلمة حسب التفسير الإسباني مخزن لتخزين المواد الغذائية تحسبا لنوائب الدهر من جفاف أو مجاعة أو حصار حربي. كما وجد بداخلها مسجد. فهو بهذه التشكيلة المعمارية والوظيفية يقترب من الأربطة التي كانت منتشرة على طول السواحل. ولا ندري إن كان بناؤه قد تزامن مع بناء المنارة المعروفة بمنارة أبي الفضل نسبة إلى القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي وإن كنا نميل إلى الاعتقاد بأن البناء مرابطي في الأصل هو الآخر ويعتبره صاحب *اختصار الأخبار* الطالع الفذ النظير. كما يعتبره من أعجب الطلائع، بحيث يستطيع الناظر أن يتتبع كل ما يدور حواليه في العدوتين بحيث يمكنه أن يسترق النظر إلى بادس من بر الريف، وإلى طرف القسيس شرقا من مالقة، بل يتجاوز ما وراء طريف غربا إلى حدود شنيل من بر الأندلس. ولم يكن يخفى عليه ما يدور بمضيق جبل طارق من كبير الأحداث وصغيرها. من الأكيد أن وظيفة هذا المطالع لم تتعطل أبدا منذ إنشائه. وربما استمر يؤدي وظيفته حتى خلال الفترات التالية، بل ربما أنذر الناظر القائم عليه بالخطر حينما داهم الجيش البرتغالي المدينة من غير أن يجد آذانا صاغية، فظلت الاستجابة في حكم العدم.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 32 ـ 33.

زوليخة بنرمضان

طامايو ڤيلاردي خوسي Tamayo Velarde José، راهب إسباني من الطائفة اليسوعية ولد بإشبيلية يوم 5 يناير 1607. وفي يوم 7 ماي 1644 سقط أسيرا بيد قراصنة الجزائر وتم بيعه بتطوان للنخاس إبراهيم قردوس ؛ ويعترف في مذكراته بأنه كان في أول الأمر يسجن بالمطامير الواقعة بحومة جامع الكبير، وبعد ذلك سمح له بالسكنى خارج المطامير وبالتجول في أنحاء المدينة بكل حرية دون أن يكلف بأي عمل من مولاه بفضل تدخل القنصل الفرنسي جوان مارج Juan Marges الذي يعود له الفضل في افتدائه في أواخر سنة 1646.

وقد ترك لنا مجموعة من تقاييده حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمدينة تطوان في عهد أولاد النقسيس، في مخططين يحمل الأول منهما عنوان: *Memorias del cautiverio* (مذكرات حول الأسر)، والثاني بعنوان: *Compendio de las costumbres ritos y gobierno de Berberia* (مختصر العوائد والطقوس ونظام الحكم ببلاد البربر). يعد مصدرا مهما يجب العمل على ترجمته إلى اللغة العربية بما فيه من معلومات لم توجد عند غيره.

توفي بمدينة سلامانكا يوم 27 مارس 1685.

طامايو، *Memorias del cautiveri*، مخطوط رقم 481 بمكتبة جامعة سالامانكا ؛ *Compendio de las costumbres ritos y gobierno de Berberia*، مخطوط رقم 1534 بنفس المكتبة.

محمد ابن عزوز حكيم

طانْية، أسرة تطوانية أندلسية كريمة انقرضت الآن، ولعلها لا تُوجَد إلاّ بتطوان، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد الفاسي (ت. 1131) نقلاً من خط جَده عبد الرحمن العارف أنه سمع من الفقيه القاضي عبد القادر طانْية التطاوني أن أصلَ سَلَفه من مدينة بَسْطَة بالأندلس انتقلوا منها بعد سقوطها بيد الإسبان.

كان لبعض أفراد هذه العائلة شهرة بالعلم والقضاء والعدالة. وأقدم من عُرف منهم بتطوان الفقيه العلامة القاضي أحمد طانية كان قاضياً بها عام 1040 وهو من تلاميذ أبي حامد العربي الفاسي، توفي بتطوان عام 1063 كما ذكره أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *(ابتهاج القلوب)* في ترجمة أبي حامد المذكور وَوَصَفَه صاحبُ *(الإعلام بمن غَبر)* بالفقيه الفاضل وفي عام 1071 و1080 كان قاضياً بتطوان الفقيه العلامة عبد القادر طانية وهو ابن الأول.

ومن عدول هذه العائلة الفقيه العدل محمد بن عبد الكريم طانية ووالدُه عبد الكريم، وقد وَقَفَ الأستاذ محمد داود على نسخة من *(مواهب الجليل، بشرح مختصر خليل)* للحطاب، نسخها عام 1119 محمد بن عبد الكريم طانية التطاوني لأخيه في الله محمد بن مهدي يعقوب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 6 : 173، م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 279، ط. تطوان، م. داود، عائلات تطوان، حرف الطاء، نسخة بخط المؤلف بخزانته الداوودية بتطوان، *تذكرة المحسنين بواسطة موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1454، ط. دار الغرب.

محمد بوخبزة

الطّاهر أو ابن الطاهر أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظلت طائفة منها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغمت على كتابة اسم عائلتها بالحروف اللاتينية هكذا Tahir - Taer.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 803.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طاهر أحمد** بن **عبد القادر** بن علي الحسيني الجوطي : هكذا يسمي نفسه أول شرحه لروضة الأزهار، ويتضح من هذه السلسلة أن بيت المترجم يرجع إلى فريق بني طاهر، الفرجيين : نسبة لأبي الفرج بن إدريس بن عبد الواحد ابن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاهد : الجد الجامع لهذه الشعبة مع باقي أبناء عمهم الأشراف الأدارسة الجوطيين.

وهذا الفريق هم الذين ينعتون بالطاهريين سكان حي حمام الجديد وحي حمام الحرة بمكناس : (حي سيدي عمَرو بوعوادة الآن)، حتى يتميزوا عن الطاهريين الأدارسة بفاس.

تاريخ ولادة المترجم ووفاته غير معروف، غير أنه فرغ من شرحه لروضة الأزهار عام 1035.

ولا يعرف من شيوخه سوى أستاذه إبراهيم السويدي، فيذكر أنه درس عليه أرجوزة روضة الأزهار للجادري، فاستفاد منه معلومات فلكية مهمة كانت المصدر الأول لشرحه على هذه الأرجوزة.

ومن قراءة هذا الشرح يتبين أن مؤلفه كان متضلعا في علم الميقات، المادة التي لا يتقنها إلا من كان عارفا بالحساب.

وفي آخر نفس الشرح يذكر المؤلف أنه استمد فيه من كتب الفقه جهده، ومما يؤكد معرفته بفقه الوثائق : تعاطيه لخطه العدالة بمكناس.

وهذه الخطة مضافا لها اشتغاله بالتاليف : يستتبع ذلك إتقان مادة النحو وشيئا من صناعة الإنشاء.

وهكذا : نتبين بضعة مواد كان المترجم يتوفر على معرفتها، فيتطابق هذا الاستنتاج - في الجملة - مع تحليته من جهة محمد العربي البصري : "كان فقيها حيسوبيا، عارفا بعلم المواقيت".

ويعقب المصدر ذاته بالتعريف بكتاب المترجم : "شرح روضة الأزهار للجادري شرحا مبسوطا جدا... وذيله بالكلام على ذات الذوائب".

ثم يختتم نفس المصدر الحديث عن هذا الشارح قائلا : "وكان من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الخياط"، وهي فقرة تشير إلى جانب السلوك السني للمترجم، حيث كان متبوعه الشيخ الخياط من المدرسة الصوفية الزروقية، فيقول عنه ابن عسكر : "كان من مشايخ الصوفية، وأهل التربية النبوية... وله أتباع صلحت أحوالهم".

أخيراً : نشير إلى أن شرح المترجم لروضة الأزهار لا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة : واحدة منها : خ. ع، د 3268.

وثانية : خ. ع، ك 991 : أول مجموع.

مع قطعة من أوله في خزانة خاصة ضمن مجموع.

ملحق 1

يعتبر عبد القادر والد المترجم جماع الفروع الثلاثة لأسرة بني طاهر، قال في *"الدر السني"* بعدما عدد هذه الفروع : "فكل أولاد ابن طاهر يجتمع في عبد القادر هذا الذي هو ابن مباشر لجدهم طاهر المدعوين به"، وهو إلى هذا من صدور مكناس، ومن أعيان عدولها.

ومن الجدير بالذكر أن حفيد المترجم محمد بضم أوله بن محمد بفتح أوله المدعو حم : هو الذي صار نقيبا على أشراف المغرب خلال الدولة الإسماعيلية، قال في الإشراف

وهو يستعرض الفرجيين : "وكان منهم أبو عبد الله مُحمد الأكبر بن السيد حم بن أحمد بن عبد القادر بن طاهر المذكور: نقيبا، وليها بعد وفاة النقيب أبي محمد عبد القادر الشبيهي سنة تسع وتسعين وألف".

ونتبين من هذه الفقرة اسم أحد أبناء المترجم : محمد المدعو حم والد النقيب، وللمترجم ابن آخر يحمل اسم عبد الرحمن، مذكور في وثيقة مؤرخة في أوائل صفر عام 1042، حسب *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، مصورة خ. ع. 5 ص. 21.

ومن هذه الأسرة العربي بن طاهر الحسني، هكذا ورد اسمه في وثيقتين : إحداهما : مؤرخة بأوائل رمضان عام 1117، والثانية : في منتصف نفس الشهر ونفس السنة. جنى *الأزهار* مخطوط، خ. س 1064 ز.

وقد يكون العربي هذا هو ابن حم بن علي بن عبد القادر، فيكون هو المذكور في سلسلة الأشراف الطاهريين بمكناس.

ملحق 2

توصية وتنويه بوالد المترجم وولده في رسالة صادرة عن المامون وهو ولي عهد والده المنصور السعدي. على بياض يتخلل النص.

عن الأمر العلي الإمامي الماموني الحسني، أيده الله تعالى :

حاكم مكناس محمد بن الأحرش، سلام عليك.

وبعد : فإنا نوصيك أتم الإيصاء بجانب الشريف المكرم العدل : أبي محمد السيد عبد القادر بن طاهر الجوطي، ونؤكد عليك في توقيره واحترامه وعدم هضم جنابه... أهل الحظوة من الشرفاء، لأنه من أعيانهم، وإياك ... جهته شيء من الضرر والتعدي.

وولده الطالب أبو محمد طاهر : لا تترك من يصله بإذاية ولا ضرر، ولا من يطوف بساحته، غير من كانت له دعوى قبله فليحضر ... المجلس الشرعي بعلي مقامنا، وأنت لا تطف لهم بساحة.

... من خدامك أوغيرهم يقربهم بوجه من الوجوه ... قدر منصبهم الشريف لدينا، ومكانتهم من علي مقامنا... لمن يصلهم بوجه من الوجوه.

والسلام... رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وتسعمائة.

مصورة من الرسالة في خزانة خاصة.

انظر عن عبد القادر هذا وبعض أفراد أسرته ملحقين لهذه الترجمة ؛ أثبت هذه السلسلة محمد العربي البصري في مخطوطة *منحة الجبار*، ثانية مجموع، خ. س 941 ز، ص 164، مع *الدرر البهية*، ط ف : 2 : 31، وكانت وفاة عبد الواحد المجاهد عام 663، حسب *الذخيرة السنية* ؛ *منحة الجبار*، ص. 164 ؛ من الوثائق التي كان عدلا شاهدا فيها نشير إلى ثلاثة، واحدة عام 1031 ؛ حسب حوالة أحباس الزوايا بمكناس، مصورة، خ. ع ص. 239 ـ 240 ؛ *منحة الجبار*، ص. 164 ؛ *دوحة الناشر*، ط. ف. ص. 63 ؛ ط. ف. ص. 32 ؛ مخطوط خاص من تأليف محمد الطالب ابن الحاج.

محمد المنوني

ابن الطاهر، أديب صالح، ولد سنة 1914 بأولاد فارس إقليم سطات من أبويه الطاهر بن العربي وايزة بنت قبة.

شارك في العمل الفدائي في صفوف المقاومة المغربية إذ كان وراء تأسيس إحدى الخلايا السرية بقبيلة امزاب دائرة ابن أحمد.

وقد كان عمله موزعا بين مدينة الدار البيضاء ودائرة ابن أحمد حيث كان يقوم بجلب السلاح إلى مقر الخلية بالإضافة إلى مشاركته في العديد من العمليات الفدائية التي استهدفت منشآت المستعمر.

وواصل عمله البطولي بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد رحمه الله بتاريخ 3 ماي 1956 بدائرة ابن أحمد فانضاف بذلك اسمه إلى قائمة شهدائنا الأبرار تغمدهم الله بواسع رحمته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520958.

الطاهر، امحمد، ولد بمدينة أسفي سنة 1929. وانتقل مع أسرته إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1935، بعدما اضطر أبوه إلى التخلي عن عمله، كرئيس للصيادين بمرسى أسفي، بسبب علاقته المتوترة مع أصحاب المراكب والسفن الأجانب (سيما البرتغاليين)، وما قد يترتب عليها من مكائد ودسائس (تلفيق تهمة إحراق شبكة صيد في ملكية أجنبي).

استقرت أسرته في المدينة القديمة بالدار البيضاء، وبالضبط في دار قريبة من سيدي فاتح. وولج كتابا قرآنيا بجوار هذا الضريح، ثم التحق بمدرسة أبناء الأعيان (مدرسة ابن الرومي الآن) بالقرب من جامع ولد الحمراء، حتى حصل على شهادة الدروس الابتدائية في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. اضطر إلى العمل لمساعدة أسرته، فاشتغل في البداية بإحدى محطات البنزين، دون أن ينقطع عن الدراسة (الدروس الليلية في إحدى المدارس)، ثم انتقل إلى شركة للفحم الخشبي بالدار البيضاء، قبل أن يضطر إلى العمل في فرعها بمدينة الرباط مدة قصيرة.



في هذه الأثناء، اندمج الطاهر امحمد في وسط الشباب الفرنسي بسهولة (لعب كرة القدم)، بفضل إتقانه اللغة الفرنسية، قبل أن يعرض عليه أحدهم الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي للمغرب. وبعد موافقته على الاقتراح، بعثه الحزب إلى باريس سنة 1945، صحبة شاب مغربي آخر (عبد السلام بورقية). وقد تلقى هناك تكوينا سياسيا وإيديولوجيا في مدرسة الأطر التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، إلى جانب رفيقه وعدد من أبناء المستعمرات الفرنسية الذين اقتنعوا آنذاك بمبادئه أو تعاطفوا معها (نورد على سبيل المثال اسم فيرجيس Vergès من جزيرة لاريونيون La Réunion، وهو محامي عمر الرداد في قضية مقتل مشغلته الفرنسية، واسم فيلكس هوفويت ـ بوانيي - Félix Houphouëy - Boigny الذي ربط علاقات قوية بالحزب الشيوعي في "إفريقيا السوداء الفرنسية" في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين). صار الطاهر امحمد، بعد عودته، عضوا نشيطا في صفوف الحزب الشيوعي، كما انغمس في العمل النقابي، بحضور مختلف نشاطات اتحاد النقابات L'Union des Syndicats التابع لمركزية س. ج. ت. بالدار البيضاء، والمشاركة في تجمعاته والتدخل في مناقشاته، حتى صار عضوا في المكتب المحلي للاتحاد سنة 1945.

بهذه الصفة، قام الطاهر امحمد بدور كبير وسط عمال مرسى الدار البيضاء من "الأهالي". فقد تجمع منهم خمسمائة في مقر النقابات بزنقة لاصال (زنقة فرحات حشاد اليوم) يوم 8 أبريل 1946، للاحتجاج على تأخر حصصهم من الدقيق بأربعة أشهر، وللمطالبة برفع أجورهم وبتسليم ملابس عملهم. وقام الطاهر إلى جانب مسؤولي نقابي آخر (ألفونس ألوكسيو Alphonse Aloccio)، بحث العمال على التعجيل بتأسيس نقابتهم دون التوقف عن العمل. وفي الوقت نفسه، تدخل الطاهر ورفيقه لدى أصحاب مخازن الحبوب بالمرسى ولدى مكتب القمح L'Office du blé، فحققا مطلب حصص الدقيق. وقد أثار هذا الكفاح حفيظة المراقب المدني رئيس المكتب المغربي للشغل Le Bureau marocain du travail، لأنه لم يرض بأن يتحقق ذلك دون تدخله، فأمر الشرطة باعتقال من عدهم "قادة" الإضراب الخمسة. احتج الطاهر ورفيقه بقوة على المراقب، مما أجبره على إطلاق سراح المعتقلين. ولم تفلح دسائس المراقب في استجابة العمال لدعواته وإغراءاته، بسبب العمل الذي قام به الطاهر وباقي أعضاء المكتب النقابي المحلي.

اكتسب الطاهر من نضاله ثقة عمال المرسى، بل وثقة باقي العمال المنخرطين في النقابة. وما يدل على هذا أن المؤتمر الرابع لاتحاد النقابات المنعقد بمراكش يومي 30 نوفمبر 1946 و1 دجنبر 1946 قرر انتخابه في لجنته التنفيذية، بل وعينه أمينا عاما للاتحاد العام للنقابات بالمغرب إلى جانب هنري برودوم Henri Prud'homme. وبذلك، أقدمت هذه النقابة لأول مرة على تعيين مغربي في ذلك المنصب الرئيسي إلى جانب الأمين العام الفرنسي.

واصل الطاهر نشاطه النقابي الدائب خلال السنوات اللاحقة، وبالأخص سنوات 1947 و1948 و1949، وخاصة في صفوف عمال مرسى الدار البيضاء. فقد كانت تتجمع جحافل من العاطلين كل صباح بالقرب من باب المرسى قبالة الصيد، لعرض قوة عملها على "مركز التشغيل" (المكلف في شركة لا مانوطونسيون ماروكان La Manutention Marocaine بتوفير حاجات السفن إلى العمال). وكان هؤلاء المرشحون للعمل عرضة لألوان من الاستغلال الذي يمارسه عليهم محمد التوزاني "رئيس مصلحة المستخدمين الأهالي" في الشركة ومن دونه من أعوانه ("الكابرانات" Les Caporaux). وقد أفاضت الصحافة النقابية في فضح مختلف الحيل والأساليب التي ابتدعها التوزاني ورجاله من أجل استغلال المياومين الذين أفلحوا في الحصول على العمل كل صباح، من مثل اقتطاع نسبة مهمة من أجورهم كل مساء، وفرض السخرة عليهم في أملاك المسؤول المذكور. وقد وقفنا على عدة تحقيقات وافتتاحيات في جريدة لوبوتي ماروكان النقابية، تشرح مختلف أشكال ذلك الاستغلال. وما يهمنا هنا هو مساعي الطاهر امحمد في النقابة لمواجهة هذا الوضع. فقد تمكن من تأليب أعداد متزايدة من عمال المرسى وتكوين نقابة خاصة بهم، تولى أمانتها، ومن خوض عدة معارك. وكان الهدف هو الوصول إلى ما حققه عمال الموانئ في فرنسا والجزائر، أي تأسيس مراكز مسؤولة عن مراقبة عمليات التشغيل وأداء أجور العمال ووضع بطاقات مهنية تكفل للعمال القدامى والمتمرسين الحظوة في الشغل والضمانات المرهونة بالعقود القانونية.

وبالطبع، لم يكن التوزاني ينظر بعين الرضا لمثل هذه المساعي التي تروم تنظيم العمال والاحتجاج على استغلالهم. فقد عمل منذ البداية على إحباط جهود الطاهر أمين نقابة المرسى والعمل على التخلص منه، حيث أمر رجاله بالهجوم عليه بجوار المرسى في أكتوبر 1946. وربما لم تكن هذه المحاولة الوحيدة لتصفيته. فقد روى لنا أخوه وابنه قصة حادثة السير التي كاد أن يروح ضحيتها، حين داهمته سيارة رجال التوزاني وهو على دراجته النارية بالقرب من بيته في اللوازيس، وقد تمكن من النجاة من الموت بأعجوبة. وقد استخلصت النقابة من هذه الحادثة ضرورة حماية الطاهر أثناء تنقلاته، فسلمته سيارة من نوع ستروين.

كان عمل الطاهر الدؤوب سببا في تجديد الثقة فيه في الانتخابات التي كانت تجري بالنقابة، بدليل إعادة انتخابه أمينا عاما في المؤتمر الخامس للاتحاد العام المنعقد بالدار البيضاء يومي 13 و14 مارس 1948، إلى جانب أمين عام فرنسي جديد، وهو أندري لوروا André Leroy.

وعلى العكس من ذلك، لم تكن سلطات الحماية مرتاحة لنشاط الطاهر النقابي، مما جعلها تعمل على كبحه. فقد أرغمته على مغادرة خريبكة وبوجنيبة وأحاطت السيارة التي نقلته وصحبه بدراجات رجال الدرك النارية حتى وصولها إلى الدار البيضاء، بعدما أفلح في الاتصال باللجنة التي كانت تؤطر إضرابات عمال المناجم هناك وفي حضور تجمع لعمال بولنوار يوم 22 ماي 1948 عبر فيه عن مساندته لهم. بل، ولم تتردد تلك السلطات في اعتقاله وسجنه، فقد ألقي عليه القبض من قبل رجال شرطة بزي مدني يوم 24 أكتوبر 1949، إثر خروجه من مقر النقابة. فقد حضر تجمعا لعمال شركة كوزيما المضربين، وخطب فيهم داعيا إلى تمكين العمال المغاربة من الحق النقابي ومساواتهم بزملائهم الأوربيين في التعويضات العائلية، وحث العمال على الاتحاد والصمود مادامت مطالبهم مشروعة. بعد اعتقاله، مثل أمام محكمة الباشا التي قضت يوم 27 أكتوبر 1949 بسجنه مدة شهر واحد. وقامت تلك السلطات في شهر فبراير 1950 بمنعه من الدخول إلى مرسى الدار البيضاء، كما أنها لم تتردد في منعه من السفر إلى فرنسا في عدة مناسبات ضمن وفود الاتحاد العام، بسبب مغربيته. وسواء كانت هذه المناسبة أو تلك، فقد حظي الطاهر باحترام العمال ودعمهم، وهو ما تثبته كثير من البلاغات والتقارير التي تحفظها صحف الاتحاد العام للنقابات بالمغرب في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين مثل *لوبوتي ماروكان* و*لاكسيون سانديكال*.

واصل الطاهر مسؤوليته في الاتحاد العام كأمين عام إلى نهاية سنة 1950. وبهذه الصفة، وقع، صحبة لوروا، على عقد 11 ماي 1950 الذي فوتت بموجبه جريدة *لوبرتي ماروكان* إلى بيير ماص قطب المجموعة الإعلامية الاستعمارية المشهورة بالمغرب. وقد أثار هذا العقد ما أثاره من ضجة حول مدى صلاحية الأمينين العامين في إبرام العقد. وما يهمنا هنا هو أن اسم الطاهر صار يتردد من جديد في كثير من الصحف.

لم ينقض إلا شهر واحد بعد ذلك، وبالضبط في شهر يونيو، حتى انعقد جمع عام للاتحاد ضرب موعدا للمؤتمر السادس في شهر نوفمبر الموالي. وقبل هذا التاريخ، صعد إلى مكتب الاتحاد العام ثلاثة أعضاء غير شيوعيين، استقلاليان مغربيان، وهما الطيب بن بوعزة ومحمد التباري، واشتراكي فرنسي ما لبث في هذا الجهاز إلا بضعة أيام قبل استقالته، وهو ليونيتي Léonetti. وانعقد المؤتمر السادس في نوفمبر 1950، وفيه أعيد انتخاب الطاهر امحمد في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام، دون أن يحتل من جديد مكانه في أمانته العامة إلى جانب لوروا، بسبب حلول الطيب بن بوعزة في محله. وربما قطع الطاهر امحمد صلته بالحزب الشيوعي والاتحاد العام للنقابات المغربية منذ ذلك التاريخ، فطوى النسيان اسمه إلى الأبد واختفى ذكره في الصحف.

ولذلك، فإننا لا نعلم شيئا عن موقفه من تأسيس الاتحاد المغربي للشغل يوم 30 رمارس 1955، فهل ظل متشبثا بصمته وانعزاله ؟ أم هل وقف موقف عدد من الشيوعيين المغاربة الذين رفضوا المولود النقابي الجديد وعملوا على التصدي له بإحداث لجنة تحضيرية مكلفة بعقد مؤتمر تأسيسي لمركزية نقابية وطنية ديمقراطية، ونذكر في هذا الصدد مورشيح حداوي وعبد الله العياشي على سبيل المثال.

ما نعلمه هو أن الرجل قد اشتغل بعيد الاستقلال، وبالضبط سنة 1958، رئيسا لمصلحة الأمن في شركة السكك الحديدية بالمغرب التي تحولت فيما بعد إلى ملك الدولة المغربية (المكتب الوطني للسكك الحديدية). وألحق مدة أربع سنوات أو خمس بالفيدرالية الوطنية لعمال السكك الحديدية المنضوية تحت لواء الاتحاد المغربي للشغل بصفته رئيس مكتبها. تقاعد من مؤسسة المكتب الوطني للسكك الحديدية سنة 1985، لكن ضغط الظروف المادية أجبره على البحث عن عمل آخر، فاشتغل رئيسا للأمن الداخلي بالمصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء من فاتح فبراير 1986 إلى سنة 1989. وقد توفاه الأجل المحتوم في 2 فبراير 1998.

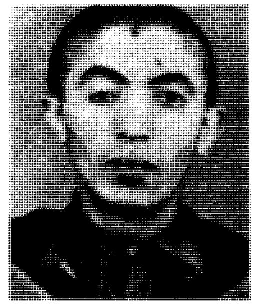
ملف واصل امحمد (امحمد الطاهر)، مصلحة الموظفين بإدارة المصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء ؛ الطيب بن بوعزة، ميلاد *الحركة النقابية العمالية الحرة بالمغرب*، ترجمة عبد الله رشد، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1992 ؛ ألبير عياش، *الحركة النقابية بالمغرب*، ج. 2، *مغربة الحركة 1943 / 1948*، ترجمة نور الدين سعودي، منشورات أمل، الدار البيضاء ؛ نجيب تقي، *مجموعة ماص الإعلامية بالمغرب في فترة الحماية*، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب شعبة التاريخ وحدة المغرب والعالم المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (تاريخ المناقشة يوم 14 يناير 2000)، ج. 1، ص. 362. 364 و404. 415 ؛ *الصحف النقابية* بين 1946 و1950، وخاصة *Le Petit* و*L'Action Syndicale Marocain* ؛ كانت لنا لقاءات مع عدد من أفراد أسرة امحمد الطاهر (واصل)، ومنهم أخوه امجيد حلموني وابنه جميل واصل وزوج بنته حسن. كما استأنسنا ببعض الشهادات التي استمعنا إليها من أصدقائه في العمل الحزبي أو النقابي، ومنهم عبد السلام بورقية ومورشيح حداوي وأحمد شعيرة.

A. Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 2, *La marocanisation 1943-1948*, Casablanca, 1990, p. 162-164, 176, 208, 227, 236, 271, 274 et 307 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 3, *Vers l'indépendance 1949-1956*, Paris, 1993, p. 36, 42, 53, 61, 64-65, 75; 89 et 91 ; *Maroc des origines à 1956, Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb*, Casablanca, 1998, p. 175-176 et 215-216 ; F. Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc 1930-1956*, Paris, 1990, t. 1, p. 309, 484 et 587 ; H. Grimal, *La décolonisation 1919 - 1963*, p. 343 - 344 ; Taieb Ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier libre au Maroc* ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905 - 1955*, Paris, 1984, t. 2, p. 309, 484 et 587 ; J.-M. Rouart, *Omar la construction d'un coupable*, Paris, 1994, p. 80.

نجيب تقي

ابن الطاهر، **طيف علي** بن الطاهر من مواليد 1910 بسوس من أبويه الطاهر بن بيهي وفاطمة بنت محمد.

دفعته غيرته وروحه النضالية إلى المشاركة في المقاومة السرية المغربية حيث انضم إلى الخلية التي كان يرأسها محمد بن الحاج البقالي بمراكش ابتداء من سنة 1953. وقد عرف بين رفاقه المقاومين في المنطقة باسم علي البقال.



ومن الأعمال التي قام بها داخل المنظمة مشاركته في وضع قنبلة استهدفت قطار مراكش بالإضافة إلى مساهماته المادية، وقد بقي كذلك مناضلا وفيا إلى أن اعتقلته قوات الاحتلال حيث قدم إلى المحكمة التي أصدرت في حقه حكما بالإعدام يوم 29 دجنبر 1953 والذي نفذ بتاريخ 22 أبريل 1954 بسجن العاذر، فقد استرخص روحه فداء للوطن رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520933.

ابن **طاهر، عبد الله** بن **الحسين** بن موهب (أو ابن واهب) المدعو بالصقلي بن أحمد بن محمد بن طاهر. ينتسب إلى الفرع المراكشي من أسرة الطاهرين الحسينيين. ولاه الموحدون منصب قاضي القضاة بمراكش وبقي فيه إلى أن توفي. كان مشهوراً بالصلاح والنسك. وعندما أمر الموحدون بإحراق المدونة وأنكروا الرأي في الفروع الفقهية وفرضوا العمل بالمذهب الظاهري عينوا عبد الله مشرفا على تنفيذ هذا الإجراء فتصدى للإفتاء والقضاء بين الناس بمقتضى الظاهرية.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 17 ؛ التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 202.

رشيد السلامي

ابن **طاهر المرسي**، أبو عبد الرحمن عالم أندلسي ترأس ببلده مرسية عند قيام الثورة على المرابطين سنة 539 / 1144، وفشل في الاحتفاظ بها أمام زحف ابن مردنيش الذي تمكن من بسط سيطرته على أغلب مدن شرق الأندلس. وبعد ظهور الموحدين على الأندلس ترك بلده وحل بألمرية سنة 542 / 1147، ومنها خاطب عبد المؤمن بن علي برسالة غريبة المبنى في نصرة إمامة ابن تومرت سماها الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلاً ونقلاً، وحلاه فيها بـ "حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه" (ابن القاضي، *نظم*، ص. 101). وقد اشتهر أمرها عند الموحدين وتناقلتها أدبياتهم. صاغ رسالته في شكل حوار بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، وقد وظف فيها بضاعته من العلوم العقلية التي كان أحد أعلامها المبرزين يومئذ. وأفاد فيها مما ورد في الرسالة المعروفة برسالة الإمامة لابن تومرت.

وكان لابن طاهر كتابات فلسفية، وذكر ابن رشد في كتابه *تلخيص الآثار العلوية* أن ابن طاهر "تحدث عن المواضع المسكونة من الأرض، مستعملاً مقدمات من العلوم الطبيعية، ووفق في ذلك، واستدعى كلامه ذاك ردوداً عديدة من أهل زمانه، انبرى لها هو أيضاً بالرد، فكان رده مشتهراً متداولاً بين أهل العلم"، لكن لم يتبق من تراث ابن طاهر الفلسفي سوى رسالته في المهدي.

بعد وفادته على مراكش سنة 542 / 1147 استقر بها مكرما من لدن الموحدين، وظل مرتسما في هيئة طلبة الحضر إلى وفاته سنة 574 / 1178.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء ؛ *الحلة السيراء*، القاهرة ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، منشورات وزارة الأوقاف ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي ؛ ابن رشد، تلخيص الآثار العلوية ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

محمد المغراوي

الطاهري، حمدون، هو أحمد المدعو حمدون بن محمد الشريف الإدريسي الطاهري الجوطي، ولد بفاس في تاريخ غير محدد في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) وتربى في أحضان عمه مسعود، وتتلمذ للشيخين أحمد بن مبارك السجلماسي ومحمد جسوس. كان يعدُّ من علماء فاس، فقد نعته حمزة المكناسي بالفقيه العالم واعتبره صاحب *سلوة الأنفاس* عاملا محدثا صوفيا مشاركا خيراً دينا خطب في القرويين نيابة عن خطبائها، وأم صلاة الاستسقاء عدة مرات في آخر حياته. أخذ الطريقة الوزانية وصار من أتباعها على يد الشيخ قاسم بن رحمون مقدم فرع زقاق الحجر. وقام بأول زيارة للزاوية الوزانية سنة 1146 / 1734 واتصل بشيخها مولاي الطيب، ولازمه مدة وأخذ عنه الورد الوزاني وسمع منه مناقب أسلافه، فاختار الانقطاع إلى خدمته، وأصبح من أصحابه المقربين بفاس. توجت العلاقة بين الشيخ ومريده الفقيه في آخر حياتهما (فيما بين 1767 سنة وفاة مولاي الطيب و1777 سنة وفاة المؤلف) بتأليف كتاب *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، وهو أقدم نص مناقبي داخلي بلغنا عن الزاوية الوزانية من التأسيس إلى وفاة الشيخ مولاي الطيب. وإذا كان الغرض من تأليفه حسب

ملفوظ ذيباجة الكتاب هو تدوين مناقب الشرفاء الوزانيين والحفاظ على مخزون الذاكرة الوزانية خوفا عليها من الضياع بناء على مصدرين رئيسيين هما قاسم بن رحمون ومولاي الطيب، فإن قراءة فاحصة للنص تجعلنا نقر بأهميته في حياة الزاوية الوزانية، فقد أتى في ظرفية سياسية متأزمة، ذاع فيها صيت مؤسسة الشرفاء الوزانيين وبلغت درجة كبيرة من الإشعاع والتوسع، مما دفع أحد أتباعها حمدون الطاهري إلى تأليف المناقب رجالها للتعريف بهم، ولأجل ذلك نعتبر هذا العمل خطابا إشهاريا تأسيسيا أحاط بأخبار أربعة مشايخ، هم على التوالي مولاي عبد الله الشريف ومولاي محمد ومولاي التهامي ومولاي الطيب، كما تضمن مختلف أنشطة الزاوية الوزانية. ويستفاد من نص التحفة نوع العلاقة التي كانت تربط الزاوية بخدامها، وتتجلى بوضوح وظيفة الفقيه ابن رحمون في ترسيخ تفوق الشرفاء على العامة وتكريس علاقة اجتماعية غير متكافئة بالصحبة.

توفي بفاس سنة 1191 / 1777.

حمدون الطاهري، *تحفة الإخوان*، طبعة حجرية، فاس، 1324 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، نشر على هامش *تحفة الإخوان*، ص. 45 ـ 82 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1899، الجزء الثاني، ص. 72 ؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تح. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 232.

محمد عمراني

الطاهري، محمد بن **عبد السلام** الجوطي المكناسي

قال في حقه صاحب *الدرر البهية* : " له يد في معرفة الفقه وأحكام القضاء وعلم الأصول". وحلاه ابن زيدان في الإتحاف بـ "فقيه علامة مشارك مدرس مفت، موثق، نقاد متضلع، حسن الإدراك، متواضع، له معرفة كاملة ومهارة كافية في صناعة القضاء، وكان مجلسه مجلس تحقيق وتدقيق، وكان ممتع المذاكرة، مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة".

أخذ عن محمد بن الجيلاني السقاط والقاضي أحمد بن الطالب ابن سودة وفضول ابن عزوز وغيرهم وأجازوه إجازات عامة.

تولى مهمة التدريس بالجامع الكبير وبزاوية سيدي قدور العلمي، والمدرسة الفيلالية التي كان إماماً بها. كما تصدر للعدالة بسماط الشهود بمكناس، والنيابة في القضاء مدة طويلة، ثم استقل بقضاء مكناس في عهد السلطان عبد الحفيظ وصدراً من عهد خلفه مولاي يوسف.

وكان من المقربين لمولاي عبد الحفيظ، ولازمه أيام المداولة في شأن عقد الحماية، وله معه مراسلات يُحتفظ بها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بمدينة نانت.

تتلمذ عدد هام من علماء مدينة مكناس على محمد بن عبد السلام الطاهري منهم : مؤرخ مدينة مكناس مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، وعبد القادر بن أحمد العرائشي، وقاضي مكناس محمد السوسي، ومولاي إدريس بن عمر المطهري والباشا حم بن الجيلاني، ومحمد بن مبارك الهلالي وأحمد الترات ومحمد بن المكي السنتيسي وغيرهم من طلبة وقته بمكناس.

ومن مؤلفاته نذكر :

- *نظم رسالة الوضع وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول*.
- *حاشية على منظومة الزقاق*.
- *تقييد في جواز إنشاد الشعر في خطبة الجمعة*.

توفي بمكناس يوم الأحد 4 شوال عام 1339 ودفن بالزاوية الكتنية.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314، ج 2، ص. 52 ؛ الطيب الطاهري، *تطبيب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس*، الرباط، 1985، ص. 26 ـ 28 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1 ـ 3 ـ 4 ـ 5.

الطاهري، مَحمد بن **المهدي** المكناسي، ولد عام 1910 بمدينة مكناس، واشتغل بالفلاحة منذ شبابه فكان تعلمه متواضعاً. إلا أن نظرته السياسية تفتحت ووعيه الوطني اتسع نتيجة احتكاكه بثلة من الوطنيين المكناسيين، فشارك بفعالية في جل التظاهرات الوطنية التي عاشتها مدينة مكناس. ومن بين مظاهر نشاطاته السياسية والوطنية: مقاومته للظهير البربري في ماي 1930 بجانب العلماء والسياسيين بالمدينة ومساهمته في تأسيس فرع كتلة العمل الوطني بمكناس سنة 1934، وبعد التصدع الذي حصل داخل هذه الكتلة في بداية 1937، انضم إلى الحركة القومية التي كان يرأسها محمد بن الحسن الوزاني.

وفي صيف 1937، حين بدأت إرهاصات تحويل مياه وادي بوفكران، حاول الوطنيون بمدينة مكناس إنشاء تنظم لهم في البادية، لذلك قامت في بداية شهر يونيو من نفس السنة لجنة مكونة من ستة أشخاص من بينهم محمد الطاهري بزيارة إلى منابع الوادي المذكور والاتصال بمكان القبائل المستفيدة من مياهه، لتوعيتهم وإثارتهم ضد المعمرين. كما أبلى محمد الطاهري بلاء حسنا في أحداث انتفاضة بوفكران، فتزعم المظاهرة التي انطلقت من جامع الزيتونة إلى مقر البلدية بشارع الجمهورية وكان الناطق الرسمي باسم المتظاهرين وكان في مقدمة المظاهرة الضخمة في ثاني شتنبر 1937، التي قابلتها القوات الفرنسية بعنف شديد، كما انضم إلى إحدى اللجن التي تكونت على إثر الأحداث الدامية لهذا اليوم، وشارك أيضاً صحبة إبراهيم الهيلالي في لجنة المفاوضات مع المسؤولين وهم الباشا أحمد السعيدي والحاج عبد السلام بوزبع ورئيس بلدية مكناس Brunel René "برونيل روني" وكان بمعيته سيدي إبراهيم الهيلالي. كما كان ضمن الوفد المكناسي الذي قدم للسلطان سيدي محمد بن يوسف تقريراً مفصلاً عن الأحداث الماساوية التي عاشتها مدينة مكناس يومي 1 و2 شتنبر 1937. وكان من الموقعين

في 13 يناير 1944 على "عريضة المطالبة بالاستقلال" التي قدمتها الحركة القومية. وقاد مع آخرين حملة جمع التوقيعات المؤيدة لهذه العريضة. وبعد تأسيس "حزب الشورى والاستقلال" سنة 1946 كان من بين أعضائه البارزين بمدينة مكناس، وظل مناضلاً في هذا الحزب إلى أن توفي في10 مارس 1985.

إ. الهيلالي، *التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب أتباع رسم الإمام*، الدار البيضاء، 1986، ص. 37 ـ 49 ـ 83 ؛ ب. بوعسرية، *الموقعون على وثيقة الاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ والجغرافية، مكناس، 1990 ؛ جريدة *الوداد*، عدد 2، السنة 1، سلا، 29 ربيع الثاني، 1356، 8 يوليوز 1937.

رقية بلمقدم

الطاهريون، أسرة إدريسية من بني القاسم الجوطيين، استوطنت مدينة مكناس بعد هجرة الجوطيين الجماعية من جوطة أوائل العهد المريني. استقر الطاهريون بفاس زمن الوطاسيين في حدود سنة 881 / 1476، فانتقلت إليهم خطة النقابة العامة على شرفاء المغرب بعد سقوط الإمارة الجوطية وهجرة أبناء عمهم العمرانيين القسرية إلى تونس، وهي رتبة كانت تناهز الخلافة في المنزلة كما عبر عن ذلك صاحب *الدر السني*، وتجسد المكانة الاجتماعية والسياسية الرفيعة التي احتلها هذه الأسرة خلال العهد الوطاسي والسعدي. احتكر الطاهريون نقابة العامة إلى غاية أن قرر مولاي رشيد سنة 1080 / 1670 تعيين عبد القادر الشبيهي نقيبا عاما بسبب ما لمسه من ضعف في النقيب إدريس بن محمد الطاهري، وحققوا من "الجرايات العظام والخراجات الجسام والعطايا السنية وغيرها" ثروة ضخمة، وتربعوا قمة الهرم الاجتماعي بفاس إلى أواخر القرن التاسع عشر كما يتبين من التراجم الواردة في *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 23 ـ 28.

محمد عمراني

الطاهريون، أسرة من الشرفاء الصقليين الحسينيين، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأشراف دخلوا في بداية أمرهم في خدمة الفاطميين عندما كانوا يحكمون جزيرة صقلية في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي، غادر هؤلاء الأشراف الجزيرة في اتجاه الأندلس. وبعد قيام دولة الموحدين قدموا إلى المغرب وقرر فرع منهم الاستقرار بمراكش تحت حماية ورعاية خلفاء بني عبد المؤمن. وكان على رأس الداخلين إلى مراكش قادما من مرسى أگادير بالسوس الأقصى طاهر بن الحسين بن موهب الذي استخدمه الموحدون على العلف ثم خدمهم أولاده من بعده حيث برز منهم فقهاء وعلماء وقضاة أمثال عبد الله بن طاهر قاضي قضاة الموحدين وولده محمد قاضي الجماعة بمراكش. اشتهر هذا الفرع المراكشي بالطاهريين الحسينيين وبقوافي حظوة وعناية بني عبد المومن إلى نهاية دولتهم. لكن عندما استولى يعقوب بن عبد الحق المريني على عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269 من بقي من الموحدين عنها واضطر هؤلاء الشرفاء الطاهريون مغادرة مراكش واستقروا بقصبة تاوريرت مدة ثم انتقلوا بعدها إلى فاس. وتجدر الإشارة إلى وجود فروع أخرى من أشراف المغرب تحمل لقب الطاهريين مثل الطاهريين الجوطيين الحسنيين والطاهريين الصقليين الحسينيين بفاس والطاهريين الصقليين بسبتة إضافة إلى الطاهريين الصقليين الحسينيين بمراكش. ويشكل تعدد هذه الفروع أحد العناصر التي تسببت في اختلاط الأمور على النساخ. وقد أورد العباس بن إبراهيم التعارجي في كتابه *الإعلام* مجموعة من المصادر التي تناولت أخبار الفرع المراكشي من هؤلاء الأشراف وأكدت صحة نسبهم وسلامته من الريبة ومن ذلك كتاب *الروض الزاهر* في نسب سيدي محمد طاهر للإمام القصار، وكتاب *لمحة البهجة العلية* في بعض أهل النسبة الصقلية للقادري، وتأليف عن الأشراف للسيوطي وكتاب الأنساب لابن جزي وكتاب كنز الأسرار.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 15 ـ 17 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت، 1988، ص. 315 ؛ نفسه، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ضمن كتاب *العبر*، ج. 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 876 ـ 877 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 200 ـ 201 ؛ العباس بن إبراهيم التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1998، ج. 4، ص. 160 ـ 166 ؛ محمد القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، ضمن كتاب، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987، ص. 84، الهامش 5 وص. 94، الهامش، 34.

رشيد السلامي

الطاوس، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 804.

محمد ابن عزوز حكيم

الطاووس، كما هو شائع في المعاجم وفي اللسان الدارج عند العرب طائر مشهور بحسن ألوان ريشه الزاهية، يجمع على أطواس وطواويس. يصنف إلى رتبة الدجاجيات التي تشملPhasianidae وفصيلة التدرجيات Galliformes التدرج والدجاج الحبشي والدجاج الرومي والغرغر والحجل. موطنه الأصلي آسيا الجنوبية ومنه ثلاثة أنواع في العالم : طاووس سنبلي القنبرة Pavo muticus والطاووس الأسود Pavo nigripennis والطاووس الأهلي Pavo cristatus وهو الشائع عندنا وفي أوروبا وآسيا. يسمى بالفرنسية Paon bleu commun وPaon وبالانجليزية Peacok.

تختلف الإناث كثيراً عن الذكور في الحجم وألوان الريش، فريش الذكور أزرق مخضر اللمعان وعلى كل ريشة من الذيل والجناحين زخارف على شكل عين زاهية الألوان، البطن أسود والظهر أخضر ذهبي اللمعان، العنق طويل والرأس صغير جدا عليه لدى الذكور تويج مستقيم من الريش الأزرق والأسود، الجناحان قصيران لا يتعدى طولهما 50 سم عند الذكور، الذيل طويل جدا عند الذكور ويتعدى أحيانا 1,50 سم، المنقار قرني قوي جدا وصغير والقائمتان بنيتان. يبلغ الطول جمعا بين الجسم والذيل عند الإناث 100 ـ 135 سم وطول الذكور 230 سم ولا يتعدى وزن الكبار 1,5 كيلوكرام. يعيش في مجموعات صغيرة ويتغذى من مختلف الحبوب والحشرات والديدان والعناكب والزواحف والنباتات والثمار. يصير ريشه متكاملا بعد ثلاث سنوات من عمره ويغير ريش ذيله كل سنة. يربى مع الدجاج والتدرج والدجاج الرومي والحبشي وهو نادر في المغرب لقلة الإقبال عليه.

كانت بداية تدجينه في الهند منذ أزيد من 20 قرنا وانتشر تدريجيا عبر أنحاء العالم عن طريق التبادل التجاري، وهو طائر كثير الشبه في معيشته بالتدرج، خجول وشديد الخوف يختفي في الأدغال والغابات الكثيفة فتصعب مشاهدته.

يقضي نهاره على الأرض ليبحث عن الأكل ويلتجئ إلى أغصان الأشجار ليلا. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات قليلة العدد ويحسن الطيران ويمشي بسرعة كبيرة بفضل قوائمه الطويلة القوية.

م. رمضاني، *معلمة المغرب*، الجزء 7، ص. 2304 ـ 2305 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

محمد رمضاني

الطائري، مسعود التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ 8 ـ 1 ـ 1996 المقاوم الطائري مسعود، وهو من مواليد سنة 1915 بدوار أزيلا قيادة كتامة دائرة ترجيست من والديه امحمد الراضي وفطمة بنت علي الذرقيتي التحق بصفوف جيش التحرير منذ انطلاقة الشرارة الأولى لعمليات جيش التحرير بالشمال حيث شارك إلى جانب إخوانه المجاهدين ملبيا نداء الضمير الوطني وقد أبلى البلاء الحسن خلال أدائه لواجبه في مواجهة الجيوش الفرنسية حتى بزغ فجر الاستقلال وتم جلاء المستعمر الغاشم.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523585.

طائفة إداولتيت، تتكون هذه الطائفة من مجموعة الفقراء المتصوفة (إفقرن) من مختلف الطرق الصوفية، المنتمين إلى قبيلة إداولتيت المتكونة من إداوسملال وإداوبعقيل وإداوگرسموكت، ينضاف إليها فقراء تازروالت وأبناء السبيل الذين ينضمون إليها أثناء الطواف.

وسُميت طائفة لطوافها على عدد من الدواوير والمزارات بدءاً من ثلاثاء إداوگاكمار، وانتهاء بتامّاشتْ، مروراً بسيدي أحمد أوموسى، وتغمي وأنزي ووجّان والمْعْدَر وأكَلُو وتزنيت. ويستمر طوافها شهراً كاملاً، يبدأ من الأسبوع الأول من شهر يناير الفلاحي، وينتهي في الأسبوع الأول من شهر فبراير الفلاحي.

ويُعتقد أن هذا الطواف بدئ فيه منذ القرن الهجري العاشر على يد الشيخ أحمد بن موسى دفين تازروالت (توفي 971) الذي أثر عنه قوله : "لنصل من لم يصلنا". والهدف من خلق هذا الطواف هدف ديني يتجلى في جمع فقراء إداولتيت مرة كل سنة على ذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتفقيههم ومن ينزلون بهم من سكان الدواوير التي يمرون بها أمور دينهم.

ويتولى قيادة الطائفة شخص يسمى "لْمْقدم"، قد يكون فقيها، أوفقيرا مسنا حافظا لعدد كبير من الأذكار والتصليات وكذا للمؤلفات الفقهية والوعظية المؤلفة باللسان الشلحي مثل كتاب الحوض لمحمد بن علي أوْزَال، ومؤلف الحاج الحسين بن مبارك التاموديزتي، والأمير للحاج علي الدرقاوي. ويكون دور هؤلاء الفقهاء وهؤلاء الفقراء المجالسين هو تنشيط حلقات المذاكرة حول أمور العبادات ورئاسة حلقات الذكر، مما تعم به الاستفادة.

وموكب الطائفة يبدأ بعدد قليل في الانطلاقة، ثم لا يلبث أن يتكاثر المنضمون إليه بتوالي المزارات وانضمام فقراء الدواوير التي يمر بها الموكب، ويصل عدد أفراد الطائفة إلى الأوج عند ضريحي سيدي وگاگ، وسيدي أحمد بن موسى الذي يسميه بعض العامّة "الحج الأصغر"، وقد قدر پول باسكون عدد الفقراء بهذا الضريح يوم 15 ـ 1 ـ 1981 بما يناهز الألفين.

ويكون سير الطائفة على الأقدام، وعندما تشرف على مزار أودوار تبدأ برفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إعلاما للسكان بالقدوم، فيستقبلهم هؤلاء أحسن استقبال بعد أن يطلب منهم المقدم الضيافة. وإذا كان المحل محل ذبح، فأول ما يبدأ به هو ذبح الذبائح المهداة إلى الطائفة، ثم يقصد الموكب المسجد، وإذا صادف الوصول وقت الصلاة صلوا جماعة، ثم يتبعونها بالنصاب اليومي من الأذكار. ثم تعقد حلقات الذكر والوعظ والتفقيه.

ويتولى السكان خدمة الطائفة مدة إقامتها بينهم بما يلزم من أكل وشرب ومبيت. وفي اليوم الأخير يقام دعاء الوداع على أمل اللقاء في العام القادم.

الظواهر الصوفية بسوس، طائفة إداولتيت، بحث الإجازة.

La maison d'Iligh, Pascon, Rabat.

محمد حاتمي

الطّبَايْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tabarra - Tovarri.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 806.

محمد ابن عزوز حكيم

الطباعة بالمغرب، أجمعت معظم الدراسات والأبحاث التي أشارت إلى تاريخ الطباعة بالمغرب، على أن المغاربة كانوا من أواخر الدول الإسلامية إقبالاً على التقنية الجديدة للكتابة، رغم قربهم الشديد من أوربا، حيث لم يستعملوا هذا الفن الجديد إلاّ في العقد السابع من القرن التاسع عشر 1864، وذلك بعد مرور أربعة قرون على اكتشافه من الألماني يوهان غوتنبرغ Johan Gutenberg (حوالي سنة 1453).

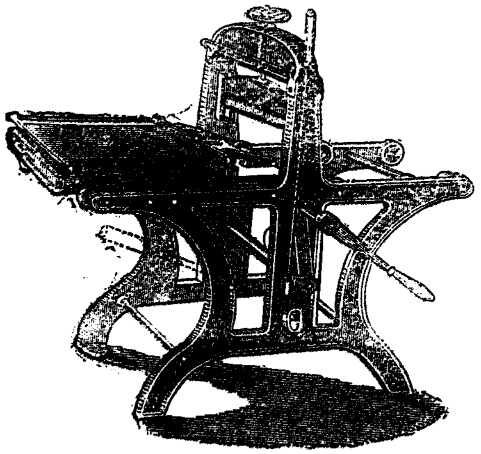
وربما يرجع هذا التأخير إلى سياسة العزلة والاحتراز التي لجأ إليها المغرب لحماية أرضه من الاطماع الأجنبية، أو إلى أسباب اجتماعية ترتبط بالتوجه العام السائد داخل المجتمع المغربي المبني على المحافظة على التقاليد، ورفض أي تغيير وتجديد أو تفتح على أوربا وحضارتها.

ولكن هذا يعني أن المغاربة لم يكن لهم علم حتى ذلك التاريخ بتقنية الطباعة - كما جاء في بعض الكتابات المشرقية - إذ هناك العديد من الإشارات التي تؤكد بأن المغاربة كانوا على دراية بفن الطباعة، وتولدت لدى بعضهم رغبة في تزويد البلاد بها، بل تذهب بعض الدراسات أبعد من ذلك لتجعل المغرب أول دولة عربية استعملت تقنية الطباعة وذلك منذ بداية القرن السادس عشر على يد المهاجرين اليهود. فقد ورد في الموسوعة اليهودية خبر جلب المطبعة إلى المغرب على يد اليهود الفارين من إسبانيا والبرتغال بعد سقوط الأندلس سنة 1492، حيث استقر العديد منهم بمدينة فاس، وهناك استمروا في إنتاج مطبوعاتهم.

وفي هذا السياق قدم يوسف تدغي Joseph Tedghi دراسة مفصلة عن تاريخ الطباعة العبرية بفاس في القرن السادس عشر، اعتبر فيها مدينة فاس مهد الطباعة العبرية فإفريقيا، وربط بدايتها بطرد اليهود من الأندلس واستقرارهم بالمغرب ابتداء من سنة 1492. وقدم المؤلف قائمة الكتاب المطبوعة بفاس حدد عناوين تسعة منها وصدرت في المدة المتراوحة ما بين 1515 و1520 جلها ذات طابع ديني (أجزاء من التلموذ، شروح للطقوس الدينية، تقاويم عبرية، تعليق على الصلوات ...).

وقد عزّز تدغي روايته بعرض صور لبعض المطبوعات العبرية الفاسية، محدداً أماكن وجودها، وعدد نسخها، منها نسخة تامة من كتاب تفسير التباريك والصلوات لداوود بن يوسف أبودرهام David Joseph Abuderham، ذيل بعبارة "تمت طباعته في شهر Kislev من عام 5277 (نوفمبر 1516) بمدينة فاس على يد شامويل نديفوت Shemmuel Nedivot وابنه إسحاق Ishag، وتعرض هذه النسخة حاليا بخزانة Jewish theological seminary بنيويورك.

وقد يكون أن المغاربة المسلمين لم يتعاملوا مع المطابع العبرية بسبب اعتبارها ثقافة دخيلة تتعلق بأقلية غير مسلمة خصوصاً وأن جل منتجاتها ذات طابع ديني يهودي، لذا لم يظهر لها أي أثر في المصادر المغربية.



وقد وردت العديد من الإشارات إلى المطبعة في كتب الرحالات سواء منها السفارية أو الحجارية وصف فيها أصحابها آلة الطباعة بنوع من الدقة والإعجاب، مظهرين رغبتهم لتزويد المغرب بهذا الفن الجديد للكتابة، نذكر من بينها رحلة الصفار إلى فرنسا (ما بين دجنبر 1845 ومارس 1846)، والرحلة الحجازية للغيغائي (1858)، ورحلة إدريس العمراوي إلى باريس سنة 1860 والتي عنونها *"تحفة الملك العزيز بمملكة باريس"* حيث إن هذا الأخير لم يكتف بالوصف والاعجاب بل ختم حديثه عن المطبعة بمطالبة السلطان محمد ابن عبد الرحمان باقتناء آلة الطباعة وذلك بقوله : "ونطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين، أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة ..."

وبعد مرور أربع سنوات على رحلة العمراوي تظهر المطبعة بالمغرب كما أثبتت ذلك الوثائق المحفوظة في *كناشة* الوزير الطيب بليمني بوعشرين (ت. 1286 / 1869 - 1870)، والتي يظهر من خلالها أن دخول المطبعة إلى المغرب لم يكن عملاً مخزنياً، وإنما هو مبادرة فردية تمت على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التملي الروداني (ت. 1282 / 1865)، الذي نقش اسمه في سجل التاريخ بوصفه صاحب مبادرة رائدة.

ولقد قصرت كتب التراجم في الحديث عن هذه الشخصية التي كان لها فضل إدخال المطبعة إلى المغرب، فعدا بعض الإشارات الصغيرة هنا وهناك، يكاد المختار السوسي (ت. 1383 / 1963) أن يكون المرجع الوحيد لهذه الشخصية. ففي

معرض حديثه عن أسرة التمليين خلال العصر العلوي يقول : "نبغ منهم ثلاثة من القضاة علا شأنهم، وخفق أزماناً بندهم منهم : محمدين بن أحمد القاضي التملي (والد الطيب) ... والقاضي الثاني هو الطيب بن محمد ابنه (صاحب المطبعة)، كان يدرس ويداوم على ذلك وهو أدمث أهله خلقاً وألينهم عريكة، أخذ من فاس، ثم كان ينوب عن أبيه، ثم تولى القضاء بعده. توفي سنة 1282. وهو الذي اشترى في حجته المطبعة الحجرية الفاسية الأولى من مصر يريدها لنفسه، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1281، فنقلت من الصويرة إلى مكناسة. وأول ما طبع فيها *"الشمائل"* للترمذي، ثم حولت إلى فاس. وهذه همة عظيمة نادرة له رحمه الله" وختم حديثه بقوله : "فكان لتارودانت وقاضيها السبق في إحداث المطبعة في المغرب وذلك فضل من الله يوتيه من يشاء".

وتفيدنا جميع الروايات بأن القاضي محمد الطيب الروداني، قصد الحج سنة 1280 / 1864، وعند رجوعه مر بمصر - كدأب المغاربة - واشترى مطبعة حجرية جلبها إلى المغرب، كما استقدم معه طبيعاً مصرياً يسمى محمد القياني ليشتغل بها.

وليست لدينا أية وثيقة أو إشارة إلى الثمن الذي اشترى به الروداني المطبعة، ولا الجهة التي اقتناها منها، وإن كنا نعتقد أنه اشتراها من مطبعة بولاق التي كان بها يومئذ قسم للطباعة الحجرية، ولكون الطبيع المصري محمد القياني كان يشتغل بها قبل تعاقده مع الروداني، وربما يكون وكيله ووسيطه في ذلك، المطبعي محمد هاشم المغربي، الذي كان يحظى بامتياز ومعاملة خاصة، إذ سمح له بفتح مطبعة بحارة برجوان بالقاهرة سنة 1861 دون مراعاة للشروط المنصوص عليها في القانون الخاص بالمطابع بمصر.

وتبقى هذه مجرد استنتاجات في غياب أية معلومات عن اتصال الروداني بالطباع المغربي بمصر. فكل الوثائق تبتدئ بالعقد المبرم بين الروداني ومحمد القياني بتاريخ 14 ربيع الأول 1281 / 11 يونيو 1864. فهذا العقد يلقي أضواء كاشفة عن تاريخ دخول الطباعة إلى المغرب، ويوضح نوايا الروداني، وعلى المكان الذي كان يرغب أن يشغل فيه مطبعته. فكما ينص العقد، يلتزم الطبيع المصري بأن يأتي برفقة الروداني إلى مدينته "رودانة" ويشتغل عنده في المطبعة مدة سنة كاملة، تبتدئ من ربيع الأول 1281 / يونيو 1864، وتنتهي صفر الخير 1282 / يوليوز 1865. ومقابل ذلك يتحمل الروداني القيام بجميع لوازم القياني من مأكل ومشرب وملبس حسب رغبته، مع أجرة شهرية بمقدار مائتي قرش مصري. كما نص العقد على أنه قابل للتجديد عند انتهاء السنة. فبنود العقد تظهر أن الروداني اشترى المطبعة لنفسه، وكان يرغب بتشغيلها ببلده تارودانت، بدليل تعهده بتحمل كل نفقاتها ونفقات الطبيع، ولم تظهر في العقد مطلقاً كلمة السلطان أو المخزن، فكيف يفسر انتقال المطبعة من الروداني إلى المخزن ؟ وبالتالي كيف تم تحويلها من مشروع فردي إلى مشروع مخزني رسمي ؟ .. هذه النقطة يكتنفها الكثير من الغموض، فبعض الذين تحدثوا عن المطبعة، أشاروا إلى أن الروداني عند وصوله إلى ميناء الصويرة (القريب من بلده تارودانت) أهدى المطبعة للسلطان محمد الرابع، الذي كان يقيم يومئذ بمدينة مكناس.

ويفترض جرمان عياش أن الروداني ربما اشترى المطبعة لحساب السلطان بصفته تابعاً للمخزن المغربي. ويمكننا أن نضع احتمالاً يرمي إلى أن الروداني عند وصوله بالمطبعة إلى ميناء الصويرة، واجه صعوبات مع موظفي المرسى، فأشار عليه البعض بإهدائها إلى السلطان، فحملها صحبة المعلم المصري إلى مكناس، حيث كان يوجد السلطان حينئذ، وقدمها هدية له، وهذا ما يقترب من رأي المنوني الذي يقول : "إن القاضي الروداني كان في أول الأمر يستخدم المطبعة في اسمه، غير أنه لا يلبث أن يقدمها هدية للسلطان محمد الرابع وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه إلى المغرب".

وفي اتجاه آخر يشير المختار السوسي إلى أن الروداني اشترى المطبعة من مصر ليديرها بنفسه ببلده تارودانت، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن الرحمان فنقلت من الصويرة إلى مكناس. وكلمة حيازة هنا تعني مصادرة، بمعنى أن المخزن صادر المطبعة باسم السلطان. وفي نفس السياق يشير مضمون وثيقة مستمدة من كناشة محمد بن عبد السلام الروندة (ت. 1365 / 1945) وهي عبارة عن حديث أجراه القاضي الروندة مع الطيب الأزرق أشهر طابع مغربي، حيث أخبره عن ظروف دخول المطبعة إلى المغرب، مشيراً إلى وصولها إلى ثغر الصويرة، مخبراً أمين المرسى المدعو الفرنصاوي القباج، وقائد المنطقة عبد الله وبه السوسي بأمرها، فكاتب هذا الأخير السلطان يعلمه بأمر المطبعة، فأصدر السلطان أوامره باحضار المطبعة ومعها الطبيع المصري إلى مكناس. وهذه المعلومات يقول الأزرق أخبره بها الطبيع المصري، دون أن يشير إلى الإهداء والتعويضات، كما أنه تحاشى ذكر الحيازة أو المصادرة كما جاء عند المختار السوسي، وان كان حديثه يوحي بذلك.

وعلى كل فهذه الشهادات جميعها تؤكد حقيقة واحدة، وهي أن القاضي محمد الطيب الروداني يرجع إليه الفضل في إدخال آلة الطباعة إلى المغرب، وقد توفي في نفس السنة ببلده تارودانت، ربما دون أن يشاهد أول ثمرات إنتاج مطبعته.

ويمكننا أن نتساءل عن أسباب اختيار الروداني لمطبعة حجرية، تقنياتها معقدة جداً بالقياس مع المطبعة التبوغرافية أو ما يسمى في المغرب بالسلكية.

قبل معرفة الأسباب لابد من التعرف على طريقة الطبع الحجري أو الليثوغرافي. فكلمة ليثوغرافي Lithography تعود إلى أصل إغريقي، وهي مكونة من مقطعين : حجر Litho وكتابة Graph، أي الكتابة على الحجر. اخترع هذه

الطريقة الألماني ألويز سنيفلدر Aloise Snifelder سنة 1796. والحجر المستخدم فيها مركب من الكلس والطفل والرمل، ينحت جيداً ويصقل بالرمل الناعم وينظف جيداً. أما تقنية الطباعة بالحجر التي كانت متبعة في "المطبعة المغربية" فهي كالآتي :

تبتدئ العملية من الناسخ الذي يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص، وعلى ورق خاص يضغط عليه ـ بعد كتابته ـ بين ورقتين من النشا مبتلتين. وكان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة، وبعد هذا توضع اللوحة الحجرية التي يراد نقل الكتابة إليها في مكبس بعد أن يحمي، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسية، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة الحجرية، ويضغطان مراراً كثيرة، فتلتصق الورقة باللوحة، ثم يربط ظهر الورقة ويفرك بالانامل لكي يسهل نزعها عن اللوحة، فتنتزع عنها تاركة الكتابة عليها، ثم يصب على اللوحة الحجرية مزيج من الماء والصمغ العربي، وتبل خرقة بحبر الطباعة ويمسح بها، فيلتصق الحبر حيث كانت الكتابة. وحينما تبرد جيداً يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر، حتى إذا تنشفت توضع في المطبعة، وتبلل بالماء ثم الحبر، بعدها يكبس الورق على الحجر، فتنتقل الكتابة من المساحة الطباعية إلى الورق مباشرة. ويجب إعادة تبليل اللوحة بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة.

وهكذا نرى أن طريقة الطبع على الحجر كانت معقدة شيئاً ما، فلماذا اختارها الروداني وفضلها على المطبعة التيبوغرافية ؟

يمكن أن نحصر ذلك في عدة أسباب وهي :

1 ـ السبب الديني والثقافي : فالروداني بحكم تكوينه الديني، رأى أن الطباعة الحجرية أكثر ملاءمة لذوق العلماء التقليديين، حيث ستحافظ لهم على تراثهم الذي كان يكتسي من نظرهم طابعاً قدسياً، والمتمثل في الخط المغربي التقليدي، لأن المطبوعات الحجرية تشبه في مظهرها المخطوطات تماماً، فهي لا تمثل أية قطيعة مع الماضي، ولا تتسبب في أي صدام مع العادات الثقافية المغربية.

2 ـ السبب الاجتماعي : إن الروداني في اختياره للطباعة الحجرية، حافظ على وجود طبقة مهمة داخل المجتمع المغربي، ونعني بها طبقة النساخ أو الوراقين الذين كانوا يعيشون من نسخ الكتب، لذا فالطباعة الحجرية ستحافظ لهؤلاء على مصدر رزقهم.

3 ـ السبب الاقتصادي : فالمطبعة الحجرية غير مكلفة كثيراً، فهي لا تتطلب تجهيزاً كبيراً، ولا تستدعي انشاء مؤسسة كبيرة، كذلك بعض المواد اللازمة للطبع يمكن صنعها بالمغرب أو جلبها من مصر، في حين تتطلب المطبعة السلكية تجهيزات وآلات باهظة الثمن تستورد من أوربا التي كان المغاربة يمقتونها آنذاك.

يظهر أن هذه الأسباب جميعها كانت حاضرة في ذهن الطيب الروداني عند عزمه على اقتناء المطبعة، فعرف مزايا المطبعة الحجرية وأدرك أنها سوف لا تحدث قطيعة مع الماضي بل ستضفي عليه فوائد جمة. ومن هنا كان إقبال العلماء المغاربة عليها كبيراً، لكونها تمثل التقنية الأكثر ملاءمة لأذواقهم في القراءة، ولا دراكهم لمزاياها المتمثلة في تكثير الكتب وتسهيل طرق التعليم، ونشر العلم والمعرفة، رغم أن البعض اعتبرها تمتهن الكتاب وتسلبه قداسته، وتعمل على إخماد القرائح وإهمال حفظ العلم في الصدور.

وهكذا، فبمجرد وصول المطبعة إلى ميناء الصويرة، ثم نقلها إلى مكناس، ومنها إلى فاس فدخلت تحت سلطة المخزن، وأصبحت نفقاتها حكومية تتعاون عليها الخزينة العامة والأحباس وذلك خلال الفترة الممتدة من صفر 1282 / يوليوز 1865 إلى آخر سنة 1278 / مارس 1871. وكانت تحمل في هذه المرحلة اسم "المطبعة السعيدة" أو "المطبعة المحمدية" نسبة للسلطان محمد الرابع، وقد استقرت بزنقة "جزاء برقوقة" من فاس الإدريسية، وهو موقع ممتاز لقربه من جامع القرويين ومن السوق التجاري من جهة، ولوقوعه بالقرب من ضفاف وادي فاس لتوفير الماء الضروري لحاجيات المطبعة من جهة أخرى.

أما جهازها التوظيفي، فكان يشتمل على الطبيع المصري، وعلى ناسخ، ومصحح، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين منهم من صار من أقطاب الطباعة كالطيب الأزرق وأخيه العربي.

أما النساخ الذين وُظِّفوا بالمطبعة فكان أولهم محمد بن سليمان الفاسي (ت. 1317 / 1899) الذي كان خطاطاً وكاتباً في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وانتقل مع الطبيع المصري ليباشر تخطيط ونسخ الكتب الأولى. أما المصحح الذي ظهر اسمه في آخر الكتاب الأولى المطبوع بالمطبعة السعيدة، فهو أبو حفص عمر الرندي (ت. 1290 / 1873).

ولم تتعد منشورات هذه المرحلة ستة عناوين، وهي كالآتي :

ـ *الشمائل المحمدية* لأبي عيسى الترمذي، وهو كتاب في السيرة النبوية وقع الاختيار عليه من طرف السلطان تبركاً بالافتتاح، وقد تم طبعه بمكناس سنة 1282 / 1865، في 103 صفحة.

ـ شرح *المقدمة الأجرومية* للأزهري، تم طبعه سنة 1283 / 1866، في 180 نسخة. وهو يعد أهم الكتب في شرح مقدمة ابن أجروم في اللغة، ومن أهم الكتب التي اهتم بدراستها اللغويون المغاربة.

ـ *مختصر الدر الثمين*، أو المورد المعين في شرح المرشد المعين لمحمد ميارة الفاسي، طبع سنة 1283 / 1866، في 301 نسخة. وهو شرح وضعه ميارة على نظم عبد الواحد بن عاشر المسمى *"المرشد المعين في الضروري من علوم الدين"*.

ـ *حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم* لمحمد التاودي ابن سودة. طبع سنة 1284 / 1867 في 300 نسخة، وهو شرح لمنظومة ابن عاصم المسماة "*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" التي تتناول علم القضاء والتوثيق.

ـ *شرح على مختصر خليل* لمحمد بن عبد الله الخَرْشِي المصري، طبع في ستة أجزاء ما بين 1284 ـ 1287 / 1867 ـ 1870، في 600 نسخة. وكان من أكثر الكتب الفقهية تداولاً بالمغرب، وله شرحان الصغير والكبير. والصغير هو الذي طبع على الحجر بفاس.

ـ *قصيدة مولدية* لمحمد بن أحمد الرفاعي المدني، وهي قصيدة في الأمداح النبوية تم طبعها سنة 1287 / 1871. ويظهر أنها آخر ما طبع خلال هذه المرحلة التي كانت فيها المطبعة تحت إشراف المخزن.

ويمكن أن نلاحظ على هذه المطبوعات الاستهلالية التي حظيت بالأولوية في الطبع، المبالغة في إتقانها، تصحيحاً وطبعاً وورقاً. كما يظهر من خلال مواضيعها أن المخزن وظف المطبعة لأغراض تعليمية ولنشر الكتاب المدرسي المقرر للدراسة في القرويين.

وبعد سنة 1287 / 1871 دخلت المطبعة الحجرية مرحلة جديدة من حياتها، حيث توقف المخزن عن الإشراف المباشر عليها بسبب عجزه عن توفير نفقاتها، وأصبحت مؤسسة فردية تحت إشراف الطيب الأزرق، الذي تدرب على الطباعة عند الطبيع المصري ونال إجازة في فن الطبع، وقد سمح له المخزن بالإشراف المباشر على مؤسسة الطباعة، خصوصاً في تدبير مواردها المالية، مقابل تقديمه عشر 1 / 10 المنتوج المطبعي للمخزن الذي لم يتخل عن كامل إشرافه على المطبعة بل ظل يراقب المطبوعات من حيث نوعية النصوص، وجودتها ويحدد نسبة تسويقها، وكيفية توزيعها.

وقد تغير اسم المطبعة في هذه المرحلة فلم تعد تحمل اسم "السعيدة" أو "المحمدية"، وإنما صار اسمها "المطبعة الفاسية" أو "العامرة" وحافظت على نفس المقر الأول وهو زنقة "جزاء برقوقة" وأول ما ظهر ذلك الاسم بآخر كتاب "*دلائل الخيرات*" للإمام الجزولي، المنشور بالمطبعة الفاسية بتاريخ 10 صفر 1289 / 12 أبريل 1872. وقد حقق الطيب الأزرق للطباعة النجاح الكبير وضمن لها الاستمرارية، لذا اعتبر رائد ومعلم الطباعة في المغرب، وهو أول طابع أقدم على طبع القرآن الكريم وذلك سنة 1297 / 1879. حيث قوبل بالرضى من العلماء التقليديين، مما أعطى لأعماله النجاح المطلوب، فعادت عليه بالعديد من الأرباح مكنته من تأسيس مطبعة حجرية ثانية "بدرب الحمام" قرب الجوطية.

كما عرفت هذه المرحلة ظهور طباعين آخرين على رأسهم العربي الأزرق الذي تدرب عند أخيه الطيب، ثم استقر بمطبعته بدرب حسان من حي البليدة بفاس القرويين، التي نشر بها العديد من الكتب المهمة، كما تمكن من تطوير أساليب الطباعة وإتقانها، لذا اعتبر من أبرز العاملين في ميدان الطباعة الحجرية. استطاع الأخوان الطيب والعربي الأزرق نشر أكثر المطبوعات الحجرية من حيث العدد، التي لم تعد تقتصر على المقررات التعليمية، بل شملت جميع فروع المعرفة من علوم تجريبية، ونوازل فقهية، ورحلات وتراجم، ولغة، بالإضافة إلى فنون أخرى.

وقد تدخل المخزن لوقف احتكار الأخوين لميدان الطباعة الذي استمر حتى سنة 1308 / 1890، وذلك بفتح المجال أما مؤسسات طباعية جديدة، لكسر هيمنة آل الأزرق من جهة، وخلق التنافس والتنوع من جهة أخرى، فبرزت أسماء جديدة في هذا الميدان، نذكر منها : أحمد بن عبد المولى اليملاحي، وعبد السلام الذويب، ومحمد البادسي. لكن هذه الأسماء جميعها بما فيها أولاد الأزرق ستختفي عن ميدان الطباعة في عهد المولى عبد الحفيظ (1908 ـ 1912)، الذي صادر حوالي أربع مطابع وأنشأ منها مطبعتين تحت إشرافه المباشر واحدة حجرية بمقر المطبعة الأولى "بجزاء برقوقة"، والثانية سلكية وجعل مقرها داخل القصر الملكي. وبهذا أصبحت الطباعة مرة أخرى مؤسسة مخزنية رسمية.

وخلال عهد الحماية عادت المطبعة الحجرية لإشراف الخواص، وظهرت أسماء جديدة لطابعين وناشرين من بينهم أحمد بن عبد الكريم القادري الذي استخدم مطبعة بحي البليدة بفاس، وهي آخر مطبعة حجرية ظلت تعمل إلى أن دمرها الفرنسيون سنة 1944.

أما الطباعة التيبوغرافية أو ما تعرف في المغرب بالسلكية، فقد ظهرت في المغرب منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر على يد الإسبان بالشمال الذين أنشأوا مطبعة بمدينة سبتة سنة 1820، صدرت عنها جريدة أسبوعية تدعى "*المتحرر الليبرالي الافريقي El Liberal Africano*". وبعد أربعين سنة عند احتلال الإسبان لمدينة تطوان سنة 1860 انشأوا بها مطبعة بساحة الفدان مقابل منزل الباشا، وكانت في ملكية حاكم تطوان الإسباني المهندس العسكري. فاكوندوفالدسين D. Facunodo Valdés وعنها صدرت جريدة "*صدى تطوان El Eco de Tetuan*".

بعد هذا التاريخ انتشرت المطابع في الشمال خصوصاً مدينة طنجة حيث أسس الاتحاد الاسرائيلي مند سنة 1870 مجموعة من المطابع لإصدار الصحف.

كما أنشأ شلمه ابن حيون مطبعته سنة 1891 والتي ستشرع ابتداء من سنة 1907 في إصدار الكتب بالعربية، وفي نفس السنة أنشأ الأخوان اللبنانيان أرتور وفرج الله نمور مطبعة "*لسان المغرب*" التي صدرت عنها جريدة تحمل نفس الاسم، وهي من ضمن المطابع التي صادرها المولى عبد الحفيظ ثم فككها وأرسل أجزاءها إلى مراكش.

أما مدينة فاس مهد الطباعة المغربية، فقد عرفت الطباعة السلكية ابتداء من 1323 / 1905 على يد شخص

سوري يدعى أحمد يمني، كان قد اقتنى مطبعة من الشرق بحروف عربية مركبة واستقر بها بمدينة فاس أكبر مركز ثقافي بالمغرب، واستطاع الاشتغال بها دون أن يتعرض لمضايقة أو معارضة من طرف العلماء المحافظين، خصوصاً أنها تحمل حروفاً غير التي تعودوا عليها في الطبع الحجري ككتابة الفاء بنقطة أسفل والقاف بنقطة واحدة أعلى.

وتجدر الإشارة إلى أن مطبعة أحمد يمني استطاعت نشر تسعة عناوين ما بين سنتي 1324 ـ 1326 / 1906 ـ 1908، وهي نسبة ضئيلة، لكن أهميتها ترجع إلى أولويتها في طريقة وشكل الطبع، وكذلك إلى نوعية منشوراتها التي كانت في معظمها ذات طابع إسلامي صوفي للشيخ ماء العينين، ولأبناء الزاوية الكتانية. وفي آخر سنة 1326 / 1908، اشترى السلطان مولاي عبد الحفيظ هذه المطبعة، ووظف صاحبها للعمل بها، وهي التي أصبحت تعرف بالمطبعة المولوية وجعل مقرها داخل القصر الملكي بفاس.

ومن الواضح أن تبني مولاي عبد الحفيظ للمطبعة السلكية، وإشرافه المباشر عليها، كان وراء النشاط الكبير الذي عرفته هذه المؤسسة، حيث تمكنت من إخراج العديد من العناوين قيمة ونادرة الوجود، في مدة لاتتجاوز الأربع سنوات، وهي فترة حكم المولى عبد الحفيظ، حيث ستتوقف هذه المطبعة عن العمل بعد سنة 1912، لتنتقل آلاتها إلى دار المكينة المخزنية التي أصبحت تعرف باسم مطبعة البلدية.

وبمجرد ظهور المطابع السلكية بالمغرب، غزت آلاتها مختلف المدن بسرعة فائقة ولم تعد متمركزة في مدينة واحدة ـ كما كان عليه الحال بفاس بالنسبة للمطبعة الحجرية ـ بل انتشرت تقنياتها في كل أنحاء البلاد، وهذا ما يؤكد الاهتمام الزائد للمغاربة بفن الطباعة. ومن بين أهم المطابع السلكية التي تأسست خلال فترة الحماية الفرنسية نذكر ما يلي :

ـ المطبعة الجديدة بفاس : تأسست مكان مطبعة البلدية سنة 1923، من طرف شركة فاسية، وفي سنة 1350 / 1931 انتقلت إلى ملكية عبد العزيز بوطالب الذي جعل مقرها بحي الطالعة.

ـ المطبعة الوطنية بالرباط : كانت تسمى عند تأسيسها سنة 1926 بالأهلية، وابتداء من سنة 1929 أصبحت تعرف بالوطنية، كان مقرها بدرب الفاسي بالمدينة القديمة، وهي في ملكية عباس التناني.

ـ مطبعة الأمنية بالرباط : حلت مكان المطبعة الجديدة لفليكس مونشو Felix Moncho الذي أسسها سنة 1926 وجعل مقرها بساحة المامونية. وفي سنة 1937 نقل سعيد حجي مطبعته من سلا إلى هذه المطبعة التي أصبحت تعرف بالأمنية، وكان يطمح بأن يجعل من هذه النواة داراً للطباعة شبيهة بدار الهلال المصرية، لكن وفاته سنة 1942 حالت دون تحقيق هذا المشروع، فانتقلت ملكية المطبعة إلى محمد الصائغ حوالي سنة 1943 وظلت تعمل تحت نفس الإدارة إلى الوقت الحاضر، وقد انتقل مقرها أخيراً إلى وراء فندق باليما.

ـ المطبعة العربية بالدار البيضاء : تأسست سنة 1352 / 1933 بدرب غلف من طرف الفقيه الحسن البعقيلي. وقد كان لهذه المطبعة توجه خاص، حيث تخصصت في نشر الكتب الدينية فقط وكانت لا تقبل طبع سواها، عدا الأوراق التجارية.

ـ مطبعة التقدم الإسلامية بمراكش : تأسست سنة 1932 بروض الزيتون على يد العالم محمد المهدي الشرقاوي، الحاصل على شهادة العالمية من الكلية اليوسفية بمراكش، زار الشرق واطلع على فنون الطباعة بلبنان، كما حصل على شهادة اتقان مهنة الطباعة من مطبعة الجنوب بمراكش.

ـ المطبعة المحمدية (الملكية) : تأسست سنة 1363 / 1944 بمرسوم ملكي للسلطان محمد بن يوسف، لذا حملت اسم المطبعة المحمدية. يعين مديرها بظهير شريف، أول مدير تولى إدارتها هو أحمد رضا اگديرة، ويوجد مقرها داخل المشور الملكي. وأول ما طبع بها كتاب "*الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية*" للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي صدر سنة 1361 / 1945، في 642 ص.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، جزآن، الرباط، 1973 ؛ ج. عياش. *دراسات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1986 ؛ ف. عبد الرزاق، *تاريخ الطباعة في المغرب*، الدار البيضاء، 1996، كناشة ؛ رضوان أبو الفتوح، *تاريخ مطبعة بولاق*، القاهرة، 1953 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، الرباط، 1931 ؛ *النهضة العلمية*، مخ. خ. ح. 11772 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1965، المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ خ. ابن الصغير، *صدفة اللقاء مع الجديد*، الدار البيضاء، 1995 ؛ إ. العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، فاس 1909، م. الغيغائي، *رحلته الحجازية*، مخ ؛ ز. الكتاني، *الصحافة المغربية*، الرباط، 1969 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العليمة*، مخ. خ. ج. 460 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت، 1986 ؛ م. المشرفي، *نزهة الأبصار*، مخ. خ. ج. 5616 ؛ ل. الگندوز، *الطباعة والنشر بالمغرب*، أطروحة دكتوراه في التاريخ ؛ أسعد كرم، *المغرب الأقصى ولغته*، *مجلة المقتطف*، فبراير، 1903 و ع 4 شتنبر 1881.

Encyclopedia Judica, Jerusalem, 1975, t. 11, Coloume 303 ; *Journal Asiatique*, vol. 2, t. 14, 1934 ; A. Laroui, *Les origines sociales*, Paris, 1977 ; A. Peretie, *Les Medrasa de Fès*, n° XVIII, 1911 ; D. Svend, *Histoire du livre*, Paris, 1960 ; G. Delphin, *Fès. son université...*, Paris, 1889 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; J. Baida, *La presse marocaine*, Casablanca, 1996 ; A. Aouchar, La *presse marocaine*, Mohammedia, 1990 ; V. F. La Hoz, *A puntes para la historiza de la imprenta en el norte de Marruecos*, Tetuan 1949 ; D. Bacaiçoa Armaiz, *Inventario provisional...*, Tetuan 1943.

لطيفة الگندوز

الطب في المغرب القديم، نفتقد مؤشرات دقيقة تسعفنا في ضبط محدد للبدايات أو الإرهاصات الأولى للطب بالمغرب القديم ولكن الاشارات الأولية التي تحملها

عظام الانسان Les ossements من مرحلة ما قبل التاريخ وخصوصاً تلك المكتشفة بأعداد كبرى (حوالي 180 هيكلا عظميا) بمغارة الحمام بتافوغالت بالمغرب الشرقي تسمح بالإحاطة ببعض الأمراض التي كانت سائدة حوالي 10.000 سنة قبل الميلاد بالجهة المذكورة، يتعلق الأمر بأشكال من الروماتزمات ناجمة عن الجلوس الطويل (La position assise) حسب الباحث الفرنسي داستوگ (Dastugue) ذكر منها روماتيزم العمود الفقري (Le spondylose) وروماتيزم المفاصل (L'osteoartrose). ثم إن التسوسات والأورام والكسور وآلام الرأس لم تنعدم بالمنطقة وهي تدفع إلى قول بأنه إذا كان الانسان القديم بالمغرب أو بغيره قد تعرض لمثل هذه الأمراض فلاشك أنه اهتدى إلى طرق علاجها، أو على الأقل إلى كيفية التخفيف من حدتها.



فهل الثقب الحاصل في مؤخرة الرأس (La trepanation) المكتشف بمغارة الحمام هو عمل طلسمي أم محاولة جراحية بدائية للتخفيف من آلام الرأس أو من غيرها من الأمراض التي تظهر أعراضها بالرأس ؟

مهما قلنا عن هذه العملية البدائية فإن تكرارها بنقط مختلفة من المعمور دليل على أن نتائجها كانت فعالة خلال هذه العصور الموغلة في القدم، وأنها لا تخلو من دلالات.

جبر أو جمع ولأم الكسور بوسائل بسيطة ظهرت إرهاصاته الأولى بنفس المغارة المغربية : مغارة الحمام. من خلال مثال امرأة متعددة الكسور استطاعت العيش رغم إعاقتها بفضل الرعاية التي خصت بها من طرف الجماعة.

لاشك أنه إلى جانب المداواة والرعاية الاجتماعية لعبت التغذية ونوعيتها دوراً هاماً في حفظ الصحة.

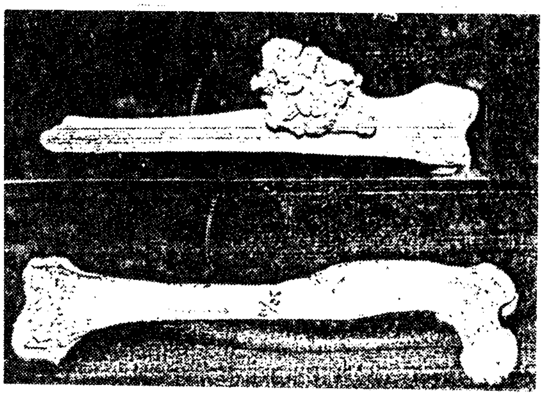
فلا تغيب عنا الكميات الهائلة من بقايا الحلزون، فما وفرته من بروتينات إلى جانب الأطعمة الأخرى النباتية والحيوانية ساعد على حفظ صحة السكان. بل نجت أكلة الحلزون أطفالنا من أمراض الكساح، فهي إلى اليوم وجبة مفضلة عند المغاربة.

هذه الاجراءات والآليات على الرغم من بساطتها هامة، تعلق بها القدماء بفضل غريزة حب البقاء فحفظوا صحتهم بل استعانوا بمن يدبر ويتدارك الخلل الحاصل.

فهل كان المشرف على علاج الحالات التي تستعصي على رب الأسرة كبير الجماعة، هل المعالج هو الكاهن ؟ هل هو ساحر طبيب ؟

لم يكن القدماء ليطرحوا أسئلة من هذه القبيل خلال هذه العصور الموغلة في القدم. كان الأمر سيّان ! فمن يستطيع أن يعيد السكينة والراحة لمتألم هو هذا وذاك.

لا ننسى أن مُسببات الأمراض لم تكن معروفة عند الإنسان القديم بشكل عقلاني تام. لذلك فالعملية السالفة الذكر ليست إلا إجراءً أولياً من ضمن سلسلة إجراءات أخرى اعتمدها القدماء لمحاصرة المرض. ولكن مجملها طواها النسيان وبعضها فقط (كقلع الأضراس، ولأم الكسور، وجراحة الرأس) شكل لبنات أو قواعد للطب بمفهومه العصري.



إذا كانت المعلومات الأولى ترتبط بالانسان القديم : إنسان ما قبل التاريخ فحسب فهذا الانسان لم يعش في فراغ ! لقد أكد علماء ما قبل التاريخ خصوبة الأرض المغربية وسيادة الغطاء النباتي على صعيد واسع وتنوع الوحيش (La faune)، فلا يلزم أن تغرب عنا الأمراض المرتبطة بالمرجات والمستنقعات، والأجمات والأدغال : ولا ندري ما هو مصير الانسان الذي كان له الوحيش بالمرصاد، فإذا لم يُرده قتيلا، وإذا ما أصاب مقتلا في قدم أوْيد من كان يعالجه ويخفف آلامه، بأية وسائل وأدوات كان يداوي جراحه ؟

ولاريب أن الوسط لعب دوراً رائداً في هذا الباب، ونعني بالوسط الجماعة التي عاش وسطها هذا الانسان. لقد كان ولازال - إلى يومنا هذا - قادراً على مداواة نفسه بنفسه بما يتوفر لديه من أعشاب وتوابل عندما يعز طلب المداوي ويجد الدواء بأعلى تكلفة ! ولاشك أن الانتروبولوجيين والاثنوغرافيين وسيتفقون على كون الطبيعة كان لها أيضاً عملها (ما نطلق عليه اليوم اسم المناعة) فهي تساعد على شفاء من قُدِّرله العيش بلا طب شعبي ولا عصري.

بقي أن نعرف نوعية الآلات التي أعتمدها القدماء للجراحة.

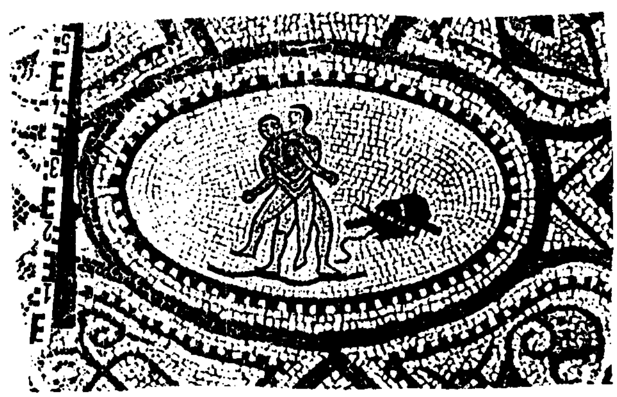
من البديهي أن تكون أدوات من حجر الصوان فهي خير آليات تُعوِّدَ على استعمالها منذ غابر العصور، وقد شكلها

فْق حاجياته ومآربه. فهي طيّعة بين يديه سواء كان كاهنا ساحراً أورب أسرة. فالجميع آعتمد سكاكين الصوان عند قنص الوحيش وسلخ جلودها. وجرحها أو تقطيعها للتزود باللحوم. فكيف لا يلجأ إليها عند عمليات المداواة.

على كل إذا كانت معلوماتنا ضئيلة حول الطب خلال حقبة ما قبل التاريخ واتخذ معظمها طابع الافتراض فبتزايد الاهتمام بتخصص كتخصص الباليوباتولوجي (Paleopathologie) ستنفك الكثير من الطلاسم المتعلقة بهذه الحقبة التي تغيب فيها المصادر المكتوبة وتبقى الهياكل العظمية هي الملجأ الوحيد أمام المهتم بهذا الحقل المعرفي الشيق، وهذه المرحلة الهامة والطويلة من تاريخنا الغميس : ما قبل التاريخ (La préhistoire).

وعلى عكس المرحلة الآنفة الذكر فإن المرحلة اللاحقة والممتدة من ظهور الفنيقيين بالأرض المغربية حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي - تتميز بتنوع مصادر البحث وتعددها النسبي الأمر الذي يُبيح - بعد جمع شتاتها - إمكانية تقديم صورة - صحيح أنها غير تامة - على كل حال هي أوضح للحالة الصحية والطب والأطباء للمغرب غداة فجره التاريخي.

كانت صحة سكان المغرب القديم خلال فجر تاريخه (الالفية الثالثة أو الثانية) مضرب الأمثال. ولا أدل على ذلك قوة العملاق أنطي الذي لم تفرغ جعابه في المصارعة إلا بعد لأي وكان آخر من نازل البطل الاغريقي هرقل. أما قدرة العملاق أطلس فتفوق كل تصور، فهو من أوكلت له مهمة حمل قبة السماء فوق رأسه (انظر المعلمة مادتي أطلس وأنطي). ولا تخلو الأسطورة من حقيقة، بل هي الحقيقة نفسها إذ لكل بلد تاريخه الذهبي.



ولا شك أن التطور الحضاري المستمر أدى إلى تغير نمط عيش الساكنة المحلية مما جعل البعض يحتفظ، بل يتشبث - كما يحصل اليوم تماماً - بعادة مداواة نفسه بنفسه عن طريق الأعشاب والشعوذة فيما التجأ آخرون لطلب الصحة. والشفاء من الآخر هو إله عند البعض كإله الطب أسكولاب (Esculaqpe) وأولاده، وهو شخص قائم الذات ستحدد معالم شخصيته بالتدريج ليحمل خلال العصر الاغريقي - الروماني اسم مديكوس (Medicus).

هذا التأرجح بين الطب وعدمه، بين الصحة والسقم، تسعفنا - لحسن الحظ - المصادر في ترصده.

أقر مؤرخ الاغريق هيرودت (Herodote) (القرن V ق. م.) فكرة صحة جميع سكان قارة ليبيا قال : "... من جهة أخرى لا يوجد بعد الليبيين (Libyens) على الاطلاق رجال سالمون وذوو شخصية قومية إلا المصريون..."

فمصطلح الليبيين الوارد عند هيرودوت كان ينطبق على كل سكان الشمال الافريقي من برقة شرقا إلى رأس سبارطيل غربا، وهيرودوت من خلال مطابقته السالفة الذكر وضع الليبيين على نفس المستوى الصحي مع قدماء المصريين.

وإذا كانت مدينة رومابدورها عاشت لأمد ستة قرون بلا طب ولا أطباء على حد قول الموسوعي اللاتيني بلين القديم (Pline l'ancien) (القرن الأول م) (انظر .Pline, H.N XXIX, 11). فهل معنى ذلك أن جميع ساكنتها كانوا سالمين معافين ؟ وهل ما ينطبق على هذه المدينة العملاقة من قول يصلح بالنسبة لغيرها من مدن العالم القديم وبلدانه ؟

لنتابع استحضار النصوص قبل الإجابة بالنفي أو الإيجاب على السؤالين السابقين ؟

أكد المؤرخ اللاتيني سالوست (Salluste) (ق 1 ق. م.) مقولة مؤرخ الاغريق هيرودوت حول صحة سكان الشمال الافريقي العالية، ولكنه بالغ في الاعتداد بها فقال ما مفاده بأن الرجال مميزون ببنية قوية، رشيقون ولا يشعرون بالعياء.

نعت الجغرافي الاغريقي سطرابون (Strabon) (ق. 1. ق. م) سكان المغرب القديم باسمهم، قال : "المور المسمون أيضاً بالموروزيين من طرف الاغريق شعب ليبي كبير وغني".

وأضاف قائلاً : "الموروزيون يحبون بعض التصنع، يضفرون شعورهم ويعتنون بلحيتهم. يتزينون بالحلي. ينظفون أسنانهم وأظافرهم، ولا تراهم يتنزهون إلا نادراً ليحافظوا على ترتيب وجمالية شعورهم".

وزاد قائلاً :

"يموتون جميعا بالشيخوخة إلا إذا اختصرت حياتهم بالحديد أو بأنياب الحيوانات لأنه إذا كان المرض لا يصيبهم الانادرا فهم تحت رحمة العديد من الحيوانات الشرسة".

فمعالم تدبير الصحة بينة من خلال تصريحات سطرابون، أليست الوقاية خيراً من العلاج ؟ فالحرص على التزين والاناقة والنظافة بنود أساسية لحفظ الصحة، وبلاشك فالأمر لا يشترك فيه كل الموريين. فالتباين الفئوي ضروري لضمان عيش الساكنة وإلا من سيحرث ويحصد ليأكل الكل ؛ من سيعمل ليستريح الآخرون ؟

فالجهد والعناء وعدم ضمان لقمة عيش مريئة هنيئة من تبعات كل ذلك الانهاك الصحي، والخمول والاتكالية والإفراط في الأكل من نتائجهم كذلك الخلل الصحي.

وهكذا فالصورة التي قد مناها عن الوضعية الصحية لسكان المغرب خلال مرحلة ما قبل التاريخ لن تختلف خلال المرحلة الممتدة من بداية التاريخ الأسطوري إلى حدود القرن الأول قبل الميلاد. فقد وجدت الصحة والمرض معا، ولكن وجود الطبيب وغيابه سيان بالنسبة لشعب حَبَاه الله بالقوة وصلابة العود حافظ عليها طويلا بما أنه عاش في تناغم مع بيئته.

ونستحضر في هذا الصدد أحد معمري الشمال الافريقي الذي سئل عن أسباب طول بقائه فأرجع ذلك للتغذية المتوازنة. ومن ضمن التركيبة العجيبة التي تندرج ضمن لائحة طعامه زيت الزيتون، هذا السائل الأزلي الذي قدر القدماء فوائده الجمة وأكد الطب الحديث الأمر.

نستنتج أن القدماء عرفوا الداء والدواء لأن الحالة الصحية ليست واحدة بالنسبة للجميع، وهذا ما أكده الطبيب الافريقي المشهور هيبوقراط (Hippocrate) قال : "من بين الليبيين الذين يسكنون بداخل الأراضي لا أحد في صحة جيدة نظراً لكونهم ينامون فوق جلد الماعز ولايملكون معطفا ولا أحذية مصدرها من هذا الحيوان".

مهما قلنا عن الملبس والمأكل، فلاشك أنه تجتمع أسباب أخرى لحصول المرض، وتتوفر خصوصيات أخرى لحفظ الصحة، فالقدماء انتبهوا لبعض الطرق الوقائية. نقرأ عند هيرودوت في هذا الشأن ما معناه أن الأعمال الوقائية التي يضطلع بها الكل لوقاية أطفالهم من البلعم (La pituite) حرق عروق أعلى الرأس وكذلك الصدغيْن بصوف الأكباش الدسم : ويساعد هذا الإجراء أيضاً على ضمان صحة جيدة.

وكانت تحدث للأطفال تشنجات عالجها الليبيون بممارسة خاصة تتمثل في رش الأطفال المصابين ببول التيس.

وهكذا، فالليبيون عرفوا طرق العلاج والوقاية، وكانت تنجم عن بعضها انعكاسات سلبية (Contre indication) ألمُّوا أيضاً بكيفية الخلاص منها.

وما هي أنواع الأمراض ونسبتها ؟ كم هي نسبة المرض ؟ ما هي طرق العلاج لكل حالة على حدة ؟ هل جميع العلاجات كانت ناجعة ؟ وهل تمكن القدماء من الفلاح في تخفيف انعكاسات بعض العلاجات السلبية ؟

هذه سلسلة أسئلة لا نملك لمعظمها أجوبة شافية كافية لا عند ظهور الفينيقيين بالمغرب القديم حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد ولا بعد ذلك عند احتلال الرومان لمثلثه الخصيب خلال القرن الأول الميلادي. والسبب واضح وجلي فكلما ابتعدنا عن التاريخ المعاصر تغيب العناصر الإحصائية جُملة وتفصيلا، وبالتالي لا نملك حقائق كاملة ولا أرقاماتامة ولا تقويما مناسبا للحالة الصحية والمرضية خلال مرحلة ما قبل الإسلام وبالأساس ما قبل الرومان. على كل، فسلامة الصحة وفق النصوص هي الأمر العام.

لنعد للسؤال الإشكال : روما لم تعرف الطب والأطباء لأمد ستة قرون. فهل معنى ذلك أنها لم تكن على بينة ببعض الممارسات التطبيبية كما هو حال سكان الشمال الافريقي ؟

فهذا أحد مشاهير روما كاتون (Caton) ألف كتاباً طبياً وعالج مرضى منزله بنفسه فقيل عنه : "لقد ألف كتابا في الطب وباعتماده كان يعالج مرضى منزله. لا يُخضعهم للحمية على الإطلاق. وكان يطعمهم الخضر وأطرافا صغيرة من لحوم البط والحمام والأرنب البري، وهي أطعمة خفيفة من وجهة نظره وصحية للمرضى ومن يستعملونها يحلمون أحلاما مزعجة. وبهذا العلاج والحمية فإنه كان يحافظ على صحة جيدة ويحفظ صحة أتباعه".

إذا كانت روما مثل باقي جهات المعمور استعملت لأمد عدة أجيال تجاربها الطبية ونجحت، فإنها لم تعد منغلقة على نفسها فأضحت قبلة للأطباء الأجانب الذين سيزداد عددهم خلال القرن الأول قبل الميلاد فيعفون من الضرائب مثلهم مثل الأساتذة.

وإذا كان الأطباء الغرباء أضحوا موضع ثقة من طرف الرومان ومميزين رغم وضعهم الاجتماعي المتردي إن كانوا عبيداً أو مُعتقين، بل أضحوا مفضلين على الأطباء المحليين، فهل معنى هذا أننا ضبطنا بداية للمسار الحقيقي للطب والأطباء ؟ هل وجود قائمة هامة بأسماء الأطباء الأجانب من خلال مصادر الشمال الافريقي وعلى رأسها النقائش (Inscriptions) تسمح بالقول بأن الطب بالشمال الافريقي شهد نفس المنعطف خلال القرن الأول قبل الميلاد وبعده ؟

على كل، ما هو مؤكد أنه خلال القرن الأول قبل الميلاد اقترن الطب بالمغرب باسم الطبيب الاغريقي أوفوربوس (Euphorbus) الطبيب الخاص للأكلد يوبا II (Juba) ملك الموريطانيتين (المغرب والجزائر) الذي فوض لطبيبه مهمة رصد منافع النبتة العجيبة التي توجد بجبل أطلس حيث الأطولول (Autololes) (انظر المعلمة مادة أطولول) ونعني بها الأوفورب (Euphorbe).

ومما يذكر أن الطبيب الإغريقي أوفوربوس هو أخ الطبيب الذائع الصيت أنطونيوس موزا (Antonius Musa) الطبيب الخاص للامبراطور الروماني أغسطس (Auguste) (ق. 1. ق. م).

ولَمَّا كان هذا الأخير مريضاً بداء الحصاة (Gravelle) بالإضافة إلى إصابته بداء الكبد طبق عليه الطبيب موزا المعالجة بالمياه الحارة، شُفي الامبراطور على إثرها وكنتيجة لذلك تم تخليد هذا الطبيب بتمثال وضع بالعاصمة روما إلى جانب تمثال إله الطب اسكولاب (Esculape). وقد فاقت أجرته السنوية كل عدٍّ إذ وصلت إلى 250.000 سسترس (Sesterces).

عدَّد القدماء دور المياه الحارة في المعالجة. فهي تفيد الشخص المصاب بضربة الشمس، كما تساعد المرهق ليستعيد قواه. إذ كان ينصح بالجلوس في قاعة الحمام الدافئة (Repidarium)، ثم يدخل إلى القاعة الساخنة وبعدها

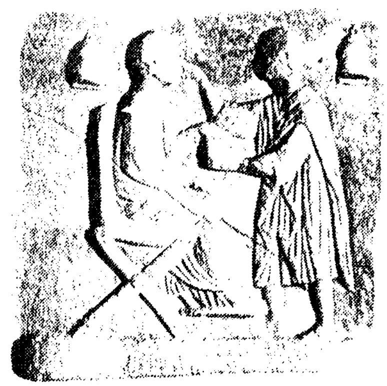
يلج لحوض المياه الحارة (Solium)، ومن ثمة يُدلكُ بزيت الزيتون ليعود مرة أخرى للحوض الساخن.

اهتدى الطبيب موزا لهذا الإجراء، فهل استفاد أخوه أوفوربوس من تجاربه ؟ ما نعرفه هو أنهما معا نصحا المستحمين المعافين (الأصحاء) بأخذ حمام بارد بعد حمام ساخن من أجل مسك جلد الجسم.

هل أدخل أوفوربوس هذه الطرق المشار إليها إلى حمامات الموريطانيتين بما أنه كان طبيب البلاط ليوبا الثاني

على كل فأوفوربوس هو الموحي لهذا العاهل بالعديد من الوصفات. وكما نعلم فيوبا II بدوره متعدد المواهب والثقافات، وقد أوحت له أعمال طبيبه بمصنف (Traité) حول نبتة الاوفورب، هاته النبتة هي المعروفة اليوم باسم علمي هو : (Euphorbia officinales) وقد نصبهُ المتخصصون في علم النبات لحمولتها من السموم.

إذن، الأوفورب - التي أسلفنا تحديدها بمجال الاطولول أي بالجنوب المغربي - استعملت منفردة أو مع تركيبات أو تحضيرات أخرى لعلاج لسعات الأفاعي، وباقي السموم. وهي حسب المؤلفين القدماء من عدة أصناف لانوع واحد ولذا خصصوا لكل نوع فوائده وصلاحياته فمنه ما هو خاص بإفراغ البلعم والمرارة عن طريق الأمعاء. كما يتداوى به لأمراض الفم أو تسوس الأسنان، ومنه ما يسهل.



ومن البديهي أن تاريخ الطب يفهم بالعبر، فوجود طبيب للبلاط بالموريطانيتين يعني وجود غيره من الأطباء نعرف أصنافهم ومراتبهم من خلال التاريخ المقارن كيف ذلك ؟

تتحدث الدراسات المتخصصة في تاريخ الطب الروماني عن وجود أطباء جوالين (Iatrosaphiste) أو (Circulatores) وأطباء زائرين للمرضى طريحي الفراش (Clinicus) وأطباء المدن الملحقين بالمشيخات (Curies) والخاصين بدعم المعدمين ويعرفون باسم (Archiatrus)، بل كان على رأس العبيد الأطباء المنتمون لبعض العائلات الثرية رؤساء من المعتقين يسمون (Superpositus medicorum) أو (Supramedicos) بل أطباء متخصصون كأطباء العيون (Occulistes). وقبل معرفة أي الأنواع عرف بالشمال الافريقي عامة وبالمغرب بشكل خاص باعتماد المصادر المتاحة لا بأس من الإحاطة بإشكالية تركناها قائمة تتعلق بتعريف وتحديد مواصفات ما لمحنا له سلفا ونقصد بذلك الطبيب (Medicus).

حدد هيبوقراط أو أبقراط (V ق. م.) سلفا مواصفات الطبيب الناجح، قال : "يجب أن تكون للطبيب سلطة ويلزم أن تكون له سحنة جيدة وجسم ممتلئ يتناسب مع طبيعته. بالفعل، ويعتقد الناس بأن الذين ليست لهم صحة جيدة لا يستطيعون علاج الآخرين بشكل مناسب. يلزم (أيضاً) أن يكون الطبيب نظيفا وذا مظهر جيد ورائحة عطرة وكتوما. وفكريا يلزم أن يكون متواضعا ليس فقط محافظاً في حياته، وهذا سيزيد من صيته"وبما أن الصحة الجيدة شرط وجوب. فقد رمز للمرض بالنحافة والصحة بالسمنة، بل المريض ظهر هزيلا من خلال فسيفساء جميلة بالجزائر والطبيب صلب العود. ويدعم هذا المشهد ما ذكره هيبوقراط، ويبين المواصفات التي تسري على أطباء بلاد الاغريق تنطبق على زملائهم بالشمال الافريقي إغريقا أم غير إغريق.

يتأكد ذلك من خلال نص أبولي المادوري (Apulée de Madaure) (II . م) الذي ينوه بتواضع الطبيب وصراحته وشجاعته قال : "... يجلس بقرب المريض. يمسك يده يتحسسها ويجس النبضات ويراقب دقات القلب. وإذا وجد فوضى ولا انتظام [في دقات القلب] يعلن بأن الحال ليس على ما يرام. وثرينا (أي المريض الغني) تمنع عنه كل الأطعمة".

هل اعتمد القدماء حلولا أخرى غير الدواء والحمية ؟ يصور سيلز (Celse) بشاعة التشريح وخصوصا تشريح الأحياء (La visection)، والالتجاء للتشريح ليس خاصا بروما ولا بلاد الاغريق فالقديس أو غسطينوس سليل مدينة هيبون (القرن IV م) يذكر بشاعة تشريح الأحياء بل مدى شغف المشرحين بفحص كل جزء على حدة، يقول :

اهتدى القدماء للتشريح، بل بالغ بعضهم في الوحشية بتشريح أحياء لمعرفة مكان الأعضاء وعلاقة بعضها ببعض. واعتبر البعض الآخر تشريح الأموات أفضل بما أنه يبيح معرفة أشياء بالنسبة لطلبة الطب أفضل من جسم جريح.

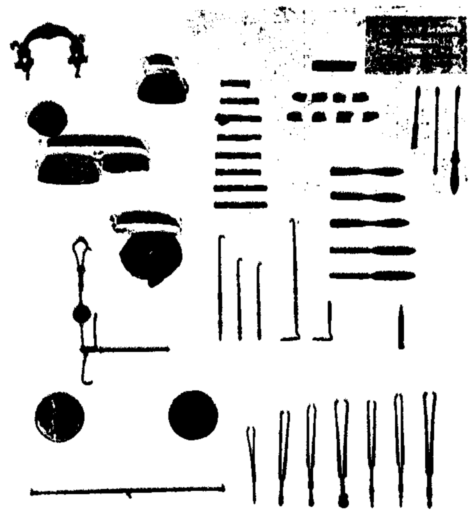
انتبه القدماء لدور الموسيقى في العلاج ومنها نغمات عود الناي التي تصْلح للحد من أزمة عرق النسا (La sciatique) وغيره من الأمراض لمدى ارتباط جسم الإنسان بروحه.

هل اعتمد سكان المغرب القديم بدورهم على الموسيقى للعلاج ؟

لا ندري ولكن حضور الموسيقى بل قدمها أمر مؤكد يذكره الرحالة القرطاجي حانون الذي أنشأ مستعمراته بالسواحل المغربية خلال القرن V ق. م. ونرى أشكالا مختلفة من الأدوات الموسيقية من خلال مختلف آثار المغرب وعلى رأسها فسيفساؤه.

وذكرنا أن كل مشيخة تفترض وجود طبيب يمكن أن

نطلق عليه اسم الطبيب البلدي يعرف من خلال المصادر الأدبية والأثرية بالشرق والمغرب القديمين تحت اسم أركياطروس (Archiatrus)، فهل وجد هذا الصنف من الأطباء بالشمال الافريقي ؟ أجل، تؤكد ذلك نقائش الشمال الافريقي، وأيضاً الفسيفساء بل ومصادره المكتوبة ومن ذلك كتابات القديس أو غسطينوس. ولكن لا نعرف أدنى شيء عنه بالنسبة للمغرب القديم، فهل وجود المشيخات بأهم المواقع المغربية القديمة يفترض وجوده في غياب النقائش أو باقي المصادر الدالة عليه ؟



على كل، القاعدة العامة تفترض أن يكون لكل مدينة أطباؤها. وقد حدد عددهم بالنسبة للمدن الصغرى في خمسة أطباء وبالمتوسطة سبعة وبالكبرى 10 أطباء. وترجع للمشيخات مهمة اختيارهم وتعيين رئيس عليهم ومراقبته، بل وطرد المخالفين منهم. وكانت مكانة الطبيب تحدد وفق كفاءته من جهة وقدمه في المهنة من جهة أخرى. وطبيعي أن لكل قاعدة استثناءً في كل زمان ومكان !

ولاشك أن السؤال الذي سيفرض نفسه، هو حول تعلم الطب وتعليمه.. فهل رؤساء الأطباء هم الذين كانت تسند لهم أيضاً مهمة التعليم ؟

أفادتنا الإشارات المصدرية بأن الطب كان يلقن ببعض مدن الشمال الافريقي الكبرى كقرطاج وهيبون، بل انتقل بعضهم إلى روما ولازم أطباءها. وفرض عليه القانون الرجوع لبلده بشكل إجباري بعد مضي عشرين سنة من مكوثه بالمدينة العملاقة، ولكن لا شيء يذكر عن المدارس الطبية بالمغرب القديم، فهل تفترض أن مدنه الكبرى تضمنت هذه النوعيات من المؤسسات ؟

على كل، للفرق العسكرية أطباؤها وللمسارح المدرجة أطباؤها وللمشيخات دور بَلْ واجب تعيين الأطباء، وبما أن التعليم يسبق الوظيفة سنفترض أنه كانت للمغرب مؤسساته الطبية.

نخلص إلى ترديد مقولة بلين القديم بأن الطب وجد بالمغرب القديم قبل الأطباء وبأن المؤشرات الأولى لوجود طبيب تعود لعصر يوبا الثاني بمعنى أن البلاد لم تتخلف عن الركب. بل زادت إلى معارفها بالعمليات الجراحية (La trepanation) وبفوائد النباتات (L'euphorbe) تجارب الأمم والشعوب الوافدة عليها. وما الحمامات الكثيرة كأمكنة للاسترخاء والاستجمام إلا دليل آخر ينضاف للعناصر المساعدة على حفظ الصحة وتجنب التردد على الأطباء، إلا عند الضرورات القصوى.

وقد قال سنيك (Seneque) الحكيم، : "من سبقونا لم يسرفوا في البذخ فكانوا هم الاسياد ونحن الخدم يقوون أجسامهم بالجهد وبالعمل وبالتعاطي للجري والقنص والحرث... وبذلك لم يكونوا بحاجة إلى طاقم من الأطباء ولكل الآلات الجراحية ولصناديق الأدوية. فتعدد الوجبات ترتب عنه تعدد الأمراض".

ب. البيضاوية، *لمحة عن الطب خلال العصر الروماني من خلال الآثار*، محاضرة ألقيت برحاب كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، شعبة التاريخ، بتاريخ 22 أبريل 1998 : *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الافريقي*، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الآداب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 14 يونيو، 2000.

J. André, *Etre médecin à Rome*, Paris, 1987 ; B. Belkamel, *Histoire de la médecine au Maroc antique*, dans *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, Casablanca, 1995, p. 37 - 45 ; J. Dastugue, *La paléopathologie* in *Histoire générale de la médecine*, Paris, (s.d.) ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

بلكامل البيضاوية

الطب التقليدي بالمغرب، جاء في تعريف منظمة الصحة العالمية بالطب التقليدي أنه "مجموع المعارف والممارسات، القابلة للتفسير أو غير القابلة، لتشخيص خلل عقلي أو اجتماعي والوقاية منه والقضاء عليه، اعتمادا فقط على التجربة المعاشة والملاحظة مما يمرره جيل إلى جيل آخر شفويا أو كتابيا".

ويطلق "الطب التقليدي" بالمغرب، على ما كان سائدا من طرق العلاج قبل مجيء الطب العصري الأوربي، وما ظل موجودا منها إبان الاحتلال الفرنسي بل وحتى يومنا هذا. ويختلف هذا الطب في مجالاته وطرقه ووسائله عن الطب العصري، وقد يكون أحيانا على طرفي نقيض معه، إذ يعتمد على مزيج من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية بالإضافة إلى آليات أخرى ترتبط بالدين والسحر والشعوذة وما إلى ذلك مما يتوسم فيه المعلول كشفا سريعا لما يلم من الأضرار.

وقد ظل المغاربة منذ أمد بعيد، ومايزال بعضهم إلى اليوم، يواجهون ما يطرقهم من العلل، استنادا إلى ما يوفره هذا الطب من آليات العلاج التي يمكن أن نجملها في أربع :

1 ـ الاستشفاء بالحامات

أهم نموذج يصادفنا في هذا الباب هو حامة مولاي

يعقوب، على بعد 20 كلم شمال غرب فاس، التي ارتبطت بشخصية مولاي يعقوب الأسطورية والتي اشتهرت منذ القديم بمائها ذي المذاق الكبريتي، الذي شاع بين الناس أنه يعالج كثيرا مما يلهب الجلد من صنوف الطفح والبثور والدماميل والقروح.

وقد دخل الطبيب وايزجيربير Wesgerbère إلى حامة مولاي يعقوب، خفية في 1898 وأخذ بعضا من مائها لتحليله واختبار مدى صلاحيته للعلاج، وقام بعده أحد كبار الصيادلة، سنة 1917 ويسمى لانيو Lagneau بتحليل مياه الحامة، فإذا هي تحتوي على كميات كبيرة من الأملاح، والكبريت.

2 ـ الاستشفاء بالأضرحة والأولياء

شكلت أضرحة الأولياء أماكن يزورها المرضى وذوي العاهات طلبا للشفاء، وقد يزورها آخرون لتحقيق أغراض دنيوية تتعلق بالربح في تجارة أو البحث عن زوج، أو لطلب الحظ. وكانت زيارة الأضرحة تأتي بناء على نصيحة من أحد الأقارب أو الأصدقاء أو بمن جربوا ذلك.



3 ـ الكتابة والتداوي بالأعشاب

دأب المغاربة في طبهم هذا على التداوي بالكتابة والأعشاب معتمدين في ذلك على مصنفات الطب القديمة، وعلى الخصوص منها كتابان شكلا حجر الزاوية في علاج ما كان يلم بهم من الأمراض، وهما : "تذكرة أولي الألباب" لداود الأنطاكي، وكتاب "الرحمة في الطب والحكمة" لجلال الدين السيوطي، وقد بلغ الاقبال على هذين الكتابين إلى حد استنساخهما عدة مرات.

وتحتوي الوصفات الواردة في الكتابين المذكورين على آيات، وجمل، وجداول وأرقام، بالإضافة إلى بعض النباتات أو نقيعها أو دقيقها. ويقوم "الفقيه" (بسكون الفاء) بكتابة التمائم، أي ما يعرف عند عامة الناس "بالكتْبة" (بفتح الكاف وسكون التاء). وقد يكون ذلك على الورق أو على الأواني أو على البيض أو على عظام بعض الحيوانات.

وغالبا ما يكون "الفقيه" من حفظة القرآن عارفا ببعض مبادئ الطب النبوي، بالإضافة إلى دوره في تعليم الصغار حفظ القرآن. ويؤمه الناس في المسيد ليكتب لهم تمائم لعلاج مرض أو درء ما قد يدور بخلد الانسان من ضربات الجن ووخزه وصفعاته، وقد يستوى "الفقيه" في خيمة صغيرة بأحد الأسواق فيتحلق حوله الناس بغرض أن يكتب لهم. وتسمى التميمة وما يرافقها من وصفات، عند عامة الناس "السبوب" (بسكون السين) ولعلها مشتقة من فعل سبب أو تسبب.



واستعمل الناس إلى جانب التمائم أعشابا وحيوانات للتداوي من بعض الأمراض، فاستغلوا من النباتات أوراقها وازدهارها وحبها ولحاءها وجذورها وألبانها، واستعملوا من الحيوانات بعض أجزاء الجسم كالمرارة والكبد. كما اعتمدوا على بعض الطيور كالغراب والحدأة واللقلاق والبوم. وكانت حوانيت العشابين تكتظ بمثل هذه الأشياء، فما أن يقف المرء أمام حانوت أحدهم حتى يثير انتباهه ما يتكدس أويعلق فيها من الأشياء الغريبة كرأس غزال بقرنيه، وثعلب محنط، وجلد أفعى وهداهيد وفئران وقنافيد وحرابي مجففة بالإضافة إلى أكوام من حزم النباتات.

وهذه أمثلة من الوصفات التي كانت تقدم لعلاج بعض الأمراض بالأعشاب أو الحيوانات :

ـ ضد القبض : يأخذ المصاب لسبعة أيام نقيع الخزامى.

ـ ضد الاسهال : يتناول المريض دقيق الدباغ مع الماء لمدة ثلاثة أيام في الصباح.

ـ ضد الدماميل : يوصى المصاب بقتل حدأة وطبخها في آنية لم تستعمل من قبل، ويأكل منها لمدة ثلاثة أيام.

وإلى جانب الوصفات التي تتضمن مواد نباتية أو حيوانية مما تمت الإشارة إليه، فقد شاع استعمال بعض المعادن كالملح والنحاس والحديدة الحمراء، والحديدة الزرقاء والرصاص والشب والكبريت وغير ذلك، واستغلت هذه المواد في علاجات مختلفة بالتبخير أو التقطير أو التنقيع.

4 ـ الكي والجراحة

الكي هو لمس العضو المصاب بأحد الأدوات المستعملة في الكي كالسكاكين والمخاطف والمحاور بعد أن تحمى بالنار حتى تحمر كالجمر. واستعمل الكي لعلاج البرقان وعرق

النسا وما قد يشوب مفاصل الإنسان ونواشره من الفدع والوكز. وقد يقتصر الكي على ما يسمى "الرشامة" وهو أن يحمى على سكين حادة ويرشق بحدها العضو المريض رشقات سطحية خفيفة.



أما الجراحة فتعتمد الحجامة والفصد واستئصال الأورام وجبر الكسور، إزالة "الجلالة" من العين وقلع الاضراس وختان الأطفال. وكانت الحجامة، وهي استفراغ ما تحت سطح الجلد، وجر ما يحتقن من الدم في عروق الإنسان، تتم عن طريق شرط الأخدعين واستفراغ الدم من قفا الإنسان بواسطة آلة تسمى المحجمة وهي عبارة عن قارورة من الزنك، وتسمى عند عامة الناس "الكيسان"، وتسمى أيضا القارورة.

أما الفصد فيتم عن استئصال ورم أو استفراغ ما في الورم من أخلاط، وأحيانا لاستفراغ ما بجبين الإنسان من الدم المحتقن. وقد شاع بين الناس نوع من الفصد يقضي بشرط العضو الملدوغ لاستفراغ ما خلط بالدم من سم الأفاعي أو العقارب أو العناكب.



واعتمد في جبر الكسور على ما يسمى "الجبيرة" وهي عبارة عن قطع من الخشب الرقيق المسوى، أو أنصاف قطع من القصب، يتم شدها على العضو المكسور حتى تلفه ويضمد ذلك بثوب رقيق مع خليط من الدقيق ومح البيض، ثم يربط ذلك بإحكام وبعد مدة يلتحم العظم ببعضه البعض.

ظل الطب التقليدي موجودا على الرغم من انتشار الطب العصري وظل كثير من الناس إلى اليوم يهرعون إلى العلاج بالرقى والتمائم ونقائع الأعشاب، ويستقسمون في أمور كثيرة من حياتهم بما يشير عليهم به المشعوذون والعرافون. وقلما كانت النتائج المتوصل إليها من ذلك مرضية، مما يثير كثيرا من التساؤلات حول استمرارية هذا الطب على الرغم من عدم نجاعته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ج. السيوطي، *الرحمة في الطب والحكمة* ؛ د. الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب* ؛ أ. بنعاشر الحافي، *تحفة الزائر* ؛ ن. بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب* ؛ ابن قيم الجوزية، *الطب النبوي* ؛ جريدة *"الأحداث المغربية"*، 9 يوليوز 2001 ؛ *الرواية الشفوية*.

L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; M. Nahon, *Notes d'un colon du Rharb (2 juillet 1920 - déc. 1924)* ; M. Akhmisse, *Médecine, magie et sorcellerie au Maroc* ; Dr. Bulit, *Notes sur la thérapeutique indigène dans le sud marocain*, *Hesp.*, 1922 ; A. R. De Lens, *Pratiques des harems marocains, Sorcellerie, Médecine, Beauté* ; J.E. Karmazyn, *Le Maroc en cartes postales* ; *Histoire des sciences médicales*, T. XXVIII, n° 2, 1994 ; A. Poiuponneau, *Moulay Yacoub, ville d'eaux marocaine*, *Maroc - Médical*, Avril et Mai 1923.

بوجمعة رويان

الطب العام في المغرب يوجد فقر كبير في المصادر التاريخية حول تطور الممارسة الطبية بالمغرب. والدراسات المتخصصة في هذا المجال قليلة. وبتجميع المعلومات المتناثرة في العديد من المؤلفات التاريخية والمصادر المختلفة يتبين أن الممارسة الطبية تزدهر تارة وتصاب بالتخلف تارة أخرى، حسب توفر العوامل السياسية والاقتصادية المساعدة أو المعيقة لازدهار الحياة الفكرية والعلمية عموما. وتدل المعطيات المتوفرة على أن أغلب الإنتاج الطبي المغربي مؤلفات ومصادر ومؤسسات تم إتلافه بسبب الصراعات المسلحة الداخلية أو الهجمات الخارجية أو على إثر الأوبئة والمجاعات المتتالية. وينطبق على المغرب تماما ما قاله براون Brown من أنه لم يصلنا ولو واحد من الألف من المؤلفات الطبية العربية المتحدث عنها في فهرست ابن النديم. وقد تحدثت المصادر عن مستشفيات عدة شيدت لكننا لا نجد بقايا لآثارها، ونجهل مكانها وأطباءها وطريقة عملها، وفي كثير من الأحيان نجهل حتى أسماءها.

ولا يمكن الحديث عن تاريخ الطب بالمغرب دون ربطه بأمور ثلاثة :

1 ـ تاريخ الطب وتطوره في الحضارة العربية الإسلامية عموما. لأن حركة العلوم في المغرب في الغالب جزء لا يتجزأ من حركتها في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد برز العديد من الأطباء في هذه الفترة، وكتبوا المؤلفات المتخصصة في ميادين الطب والصيدلة.

ومن أهم الأسماء الطبيب أبو القاسم محمد الوزير الغساني، وقد كان رئيس الأطباء والعشابين بمراكش، وعمل طبيبا خاصا لأحمد المنصور، أما مؤلفه الرئيس فهو : (حديقة الازدهار بشرح ماهية العشوب والعقاقير). اعتبره الدكتور رينو، أحد المهتمين بتاريخ الطب العربي إنجازا جديدا، ووصف الطبيب الغساني بأنه : "عقل متميز في عصره وفي وسطه الذي عاش فيه".

وامتازت هذه الفترة بمجيء العديد من الأطباء الفرنسيين إلى المغرب واستفادتهم من التجربة المغربية وأسماء بعضهم مشورة.

ولم تعرف مرحلة الدولة السعدية بناء مستشفيات كثيرة جديدة. لكن تم توسيع الموجود منها والعناية به. وكثر عدد العشابين (أو الصيادلة) حتى إن حسن الوزان أشار إلى أنه يوجد بفاس في القرن 16 شارع يضم مائة وخمسين دكانا للعشابين. ثم يضيف : "وكانت تلك الدكاكين جميلة ومزخرفة، ولها سقوف جميلة وخزانات. إني أظن أنه لا يوجد في العالم كله سوق للأدوية مثله".

ولقد تظافر عاملان أساسيان على إيقاف هذه النهضة الطبية هما :

- الصراعات السياسية بين خلفاء المنصور الذهبي.
- تتابع الأوبئة والمجاعات التي سببت خسائر بشرية كبيرة، وكانت تجتاح أيضا شبه الجزيرة الايبرية والأقطار المغاربية الأخرى. وفي المرحلة الخامسة بدأ بعض الاهتمام بعد فترة ركود يظهر بالميدان الطبي، وخصوصا أن مولاي الرشيد ثاني الملوك العلويين كان طبيبا وملكا. وكان يحضر الدروس بجامع القرويين ويشجع البحث العلمي بإعطاء منح لطلبة العلم. وتميزت فترة مولاي إسماعيل الطويلة بتطوير التعليم الطبي بجامع القرويين، والاهتمام بحفظ الصحة وخصوصا بوضع قنوات للصرف الصحي في العاصمة مكناس في مستوى عال من الأهمية. وعندما عم البلاد بعض الاضطرابات، لجأ الملوك العلويون إلى إرسال البعثات العلمية إلى الخارج. وممن بعث ضمنها الشريف عبد السلام العلمي الذي أرسل إلى كلية الطب بالقاهرة وعمل طبيبا خاصا للسلطان مولاي الحسن الأول. وله مؤلفات أهمها (ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس) كما ألف كتاب (*الأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة*)، وهو محاولة لإعطاء نظرة على وسائل الطب الغربي آنذاك. لكن على العموم كان هناك ركود علمي عام، أثر في ميدان الطب.

وقد توقف العلاج في أغلب المستشفيات أو تحولت إلى ملاجئ للمرضى النفسانيين.

وتميزت فترة الحماية الفرنسية بأمرين اثنين هما :

- بناء مستشفيات عصرية في مناطق ومدن مختلفة، بعضها لا يزال يعمل إلى اليوم.
- تنظيم حملات واسعة النطاق لمكافحة عدد من الأمراض المعدية. والأمراض الأكثر انتشارا في تلك الفترة ثلاثة : السل والرمد والزهري.

وتشير الإحصاءات المتوفرة إلى أن عدد الأسرة في المستشفيات قد ارتفع من بضعة مئات سنة 1912 إلى أربعة عشر ألف سرير سنة 1955. كما ارتفع عدد الأطباء من مئتي طبيب سنة 1930 إلى ألف وخمسين طبيبا سنة 1955. وقد بقي هذا العدد بعد الاستقلال ثابتا إلى حدود سنة 1972.

لكن النقص الأكبر في السياسة الصحية لسلطات الحماية هو غياب أي تكوين لأطباء أو ممرضين مغاربة، وهو الخلل الذي كان على المغرب أن يعمل على معالجته بعد الاستقلال. وهكذا ثم إنشاء أول كلية للطب بالرباط سنة 1962، وتبعها إنشاء كلية ثانية بالدار البيضاء سنة 1975. ولم تلحق بهما كليتان أخريان بفاس ومراكش إلا سنة 1999. وعلى الرغم من هذا التأخر في التعليم الطبي فقد ارتفع عدد الأطباء المغاربة الذين يمارسون داخل التراب الوطني من 35 طبيبا فقط غداة الاستقلال إلى أكثر من اثني عشر ألف طبيب في بداية القرن الحالي.

وفي موضوع السياسة الصحية كان هناك الاهتمام طيلة العقود الأخيرة من القرن العشرين بالطب الوقائي وبالطب القروي. ووضعت لذلك برامج متعددة ومتنوعة. لكن قلة الموارد المالية المخصصة لقطاع الصحية، وضعف الاستمرارية في السياسات الصحية المتبعة مع تغيير الحكومات المتعاقبة، وعدم وضوح الأولويات، كلها عوامل أدت إلى بقاء عدد من الاختلالات في القطاع الصحي. ومن أهمها استمرار التفاوت الكبير في المؤشرات الصحية بين البادية والمدينة، وبين محور القنيطرة الرباط ـ البيضاء، وباقي المناطق. يضاف إلى ذلك غياب نظام للتغطية الصحية إلى أن صادق البرلمان سنة 2002 على مدونة التغطية الصحية الأساسية والتي بوضع الهياكل والنصوص التنظيمية الضرورية لتطبيقها يرجى فتح عهد جديد للطب بالمغرب.

ع. العزيز بنعبد الله، *طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى*، مجلة اللسان العربي، العدد 3، غشت، 1985، ص. 146. 163 ؛ ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5 ـ 11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

M. Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc le XX siècle*, Casablanca, 1995 ; M. Akhmisse, *Histoire de la médecine au Maroc*, Imp. Eddar El Beida 812/91 ; L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, réédité par le Ministère des Habous et des Affaires Islamiques, Royaume

du Maroc, Rabat, 1980 ; H.P.J. Renaud, *Un essai de classification botanique dans l'œuvre d'un médecin marocain du XVI siècle*, *Mémorial Henri Basset*, publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Paris, 1928, p. 197 -206 ; J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain*, *Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de Sidi-Frej à Fès*, *B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58, 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et névrose*, *Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc*, *Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir*, *la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps, Casablanca, Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine, 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*, idem, p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*, idem, p. 59 ; M. Akhmisse, *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé, *Stratégie en santé mentale 2002*, document interne.

الطب النفسي بالمغرب، الطب النفسي فرع من فروع الطب، برز الاهتمام به منذ عرف الإنسان الاضطرابات العقلية والنفسية وحاول علاجها. ويصعب تحديد البدايات الأولى في هذا المجال بالمغرب، على عكس الطب العضوي الذي كشفت الحفريات أنواعا منه تعود إلى ما قبل عشرة آلاف سنة.

لكن من الثابت أنه منذ دخول الإسلام إلى المغرب الأقصى، ازدهر الطب بمختلف فروعه وخصوصا منها الطب النفسي، وأضحى علما يستفيد من عطاءات الأمم السابقة، وينمو ويتطور بالتجربة والملاحظة. وكان الأطباء يتم تكوينهم ويختبرون وتسلم لهم الإجازات قبل أن يسمح لهم بعلاج المرضى. وهذا ما جعل الباحث الفرنسي لوسيوني يعتبر تطور العناية بالمرضى عموما، وبالمرضى العقليين على وجه الخصوص، "واحدا من مميزات التاريخ المغربي. فربما ليس هناك شيء غيره يعطي فكرة أكثر دقة وأكثر وضوحا على عظمة الدولة المغربية ثم على انحطاطها".

سنتحدث تباعا فيما يخص الطب النفسي عن المستشفيات (البيمارستانات أو المارستانات) والأطباء والطرق العلاجية المعتمدة في تاريخ المغرب، ثم عن تطوره في العصر الحديث وآفاقه المأمولة.

المارستانات :

أقدم مارستان تتحدث عنه المصادر بني من قبل يعقوب المنصور الموحدي (1184 - 1199) وسماه دار الفرج. ورعى فيه عوامل الراحة النفسية من اعتدال الموقع والمناظر الطبيعية وغيرها.

كما اشتهر عن المرينيين وخصوصا أبو يوسف بن عبد الحق المريني (1258 - 1286) بناء المارستانات الكثيرة "للمرضى والغرباء والمجانين" في مدن فاس وطنجة ومكناس ومراكش وسلا. وبرزت بها التخصصات الطبية فكان من بينها الأمراض الباطنية والجراحة والتجبير والكحالة (علاج أمراض العيون). وكانت تلك المستشفيات تقسم إلى أجنحة على حسب التخصصات المختلفة. ويضم تخصص الأمراض الباطنية قسما للمحمومين، وثانيا للمسهولين، وثالثا للممرورين (أي المصابين بالأمراض النفسية). وكان من أشهرها مارستان سيدي فرج بفاس الذي تم بناؤه من قبل أبو يعقوب المريني حوالي 1286 م. وكان يضم عددا من التخصصات الطبية. ثم تحول تدريجيا إلى مجرد ملجئ للمرضى العقليين حوالي القرن السادس عشر. ومن الجدير بالذكر أن الأب جيلبير جوفر الذي زار المغرب مرتين لافتداء أسرى الحرب المسيحيين في نهاية القرن الرابع عشر، قد قام في بلنسية بحملة انتهت ببناء أول ملجئ للمرضى العقليين بإسبانيا سنة 1410 م، على غرار مارستان سيدي فرج. واستمر بناء المستشفيات بوتيرة أقل في عهد السعديين والعلويين إلى أن أمر السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل (1728 - 1757) ببناء قاعة على ضريح سيدي بنعاشر (توفي 1365 م) لاستقبال العديد من المرضى وخصوصا منهم العقليين الذين يأتونه. ثم أضاف إليه السلطان مولاي عبد الرحمان (1822 - 1859) حوالي ثلاثين غرفة ليعرف بمارستان سيدي بنعاشر.

الأطباء :

يهتم الأطباء في الحضارة الإسلامية دائما بدراسة الحالة النفسية والمعنوية للمرضى. وكان كثير منهم يتحدثون عن الطب الروحاني أي النفسي ويفضلونه على الطب الجثماني.

ويتضمن كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان عبد المالك ابن زهر (ت. 1162 م) وصفا غنيا للعديد من الأمراض والأعراض النفسية. وكان يتناولها بنفس الطريقة التي يتناول بها الأمراض العضوية تفسيرا وتشخيصا وعلاجا. وكان يميل باستمرار إلى البحث عن تفسير عضوي لكل عرض نفسي، ولم يلجأ في أي مكان من كتابه إلى أي تفسير غيبي سحري أو غيره مما هو منتشر لدى الناس. وقد بقي تصنيف ابن زهر للأمراض النفسية سائدا ومعتمدا على العموم في المغرب إلى حدود القرن السادس عشر. وله أيضا كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد" ذكر في بدايته أن "الطب طبان، طب للبدن وطب للنفس"، ويبرهن فيه على مدى إيمانه بتكامل النفس والجسد في الصحة والمرض فيقول : "وإن كان شأن طب الأجساد شائع المعرفة فإن طب الأنفس أكثر علاوة وقدرا".

ومن المواضيع التي كثر الاهتمام بها من قبل الأطباء المغاربة المشاكل الجنسية وهي جزء لا يتجزأ من الطب النفسي. وقد خصص لها بعضهم مؤلفات مثل رسالتين في الباه لأحمد بن يوسف التيفاشي القفصي (ت. 1254 م)، و"بهجة المطالع في الحفظ للمجامع" وهي أرجوزة في تقوية الباه وضعها علي بن الطيب أبي الحسن المراكشي للعاهل المريني أبي سعيد عثمان بن عبد الحق (ت. 1231 م)، و"تحفة

العروس ونزهة النفوس في الباه" لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ومؤلف آخر في الموضوع لأبي الحسن العنسي المراكشي وكلاهما من القرن الثامن الهجري.

الطرق العلاجية :

تنوعت الطرق العلاجية للحالات النفسية لدى الأطباء المغاربة وخصوصا في فترة ازدهار الطب. وكان منها بالخصوص :

- العلاج النفساني الذي يهدف إلى توفير راحة البال للمريض وفتح باب الأمل له.

- الأدوية النباتية والمعدنية. وكانت هناك منذ البداية تصنيفات للأدوية ذات التأثير النفسي مثل المنومات والمخدرات والمفرحات والمقويات للباه وغيرها.

- العلاج بالموسيقى. فيحضر المرضى العقليون في المارستان سماع الأجواق الموسيقية ممزوجة بحكي القصص. وفي مارستان سيدي فرج بفاس كان المرضى يجتمعون إلى عهد قريب مرة كل جمعة لسماع الموسيقى الأندلسية.

- العلاج بالاستحمام بالماء الساخن أو البارد أو المعتدل.

- الرعاية الاجتماعية والعمل على دمج المريض في المجتمع تدريجيا. ومن ذلك ما أشار إليه عبد الواحد المراكشي في (المعجب) عند الحديث عن بيمارستان مراكش من أنه إذا نقه المريض، "فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دفع له ماله...".

- ومن المفيد الإشارة أيضا إلى أن أطباء المغرب كانوا يستعملون الإيحاء والتنويم في معالجة مرضاهم. ويتم ذلك بأساليب شتى مثل تعليق زجاجة لامعة أمام المريض، فيتبع حركتها إلى أن يتثاقل ويفقد إحساسه.

تدهور الطب النفسي بالمغرب :

بدأ منذ القرن الخامس عشر تدهور الطب النفسي بالمغرب تبعا لتدهور مختلف العلوم ودخول مجمل الحياة الفكرية في الجمود والانحطاط. لقد تحولت الممارسة الطبية من علم مبني على التجربة وتصور "موضوعي" للمرض والعلاج، إلى ممارسات تنبني على الشعوذة والسحر وزيارة بعض الأضرحة. وتحولت البيمارستانات إلى ملاجئ للمرضى العقليين الذين تتميز حالتهم بالهياج، وخلت من الأطباء والمعالجين. وقد بقي منها قبيل الحماية الفرنسية واحد في كل من فاس ومكناس والرباط ومراكش والدار البيضاء. وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن وسائل علاج المرضى في هذه الفترة اختفت من المارستانات لتترك المجال لممارسات مثل تقييدهم بالسلاسل وعزلهم في غرف مغلقة. وأضحت حياتهم صعبة جدا مع قلة الصدقات ومداخيل الأوقاف التي هي الموارد الوحيدة لإطعام المرضى وتوفير حاجيات تلك المستشفيات. ونجد لدى الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وصفا لحالة مارستان سيدي فرج في آخر القرن الخامس عشر يقول فيها : "وفي هذا البيمارستان حجرات مخصصة للحمقى، أي أولئك المجانين الذين يقذفون بالحجر أو يرتكبون أنواعا أخرى من الأذى، يقيدون فيها بالأغلال والسلاسل. وحواجز هذه الحجرات من جهة الممر وداخل البناية مسورة بعوارض خشبية متينة جدا. وإذا رأى المكلف بتقديم الطعام للحمقى هياج أحدهم انهال عليه بضربات متوالية من عصا يحملها معه دائما لهذا الغرض...". وهذا الوصف ينطبق على المارستانات الأخرى في تلك الفترة.

النهضة المعاصرة

مع دخول الحماية الفرنسية بالمغرب ظهرت بدايات نهضة للسياسات والبنيات الصحية. لكن الدراسات النفسية التي قام بها الأطباء الفرنسيون في تلك الفترة كانت تقوم على دونية المواطن المغربي البيولوجية والنفسية بالمقارنة مع الأوربي، وعلى اعتبار الديانة الإسلامية ذات تأثير سلبي على شخصية الإنسان. وكان هذا التوجه الاستعماري مؤثرا في مستوى العناية بالمرضى المغاربة التي هي أدنى بكثير مما هو موفر للمرضى الفرنسيين.

قسمت الأمراض النفسية في هذه الفترة إلى نوعين هما :

- الحالات الحادة التي تشفى بعد فترة قصيرة، وقد خصص لها أقسام طبية من "الصف الأول" توجد بالمستشفيات العامة في بعض المدن الكبرى،

- الحالات المزمنة، والتي تعتبر في الغالب غير قابلة للعلاج، وترسل إلى "أقسام الصف الثاني" التي توجد بالمستشفى الضخم الخاص بالأمراض النفسية بمدينة برشيد والذي هو أول مستشفى بني في هذه الفترة وذلك سنة 1919.

وعند استقلال البلاد كان يوجد بها إضافة إلى مستشفى برشيد الذي كان يضم 1800 سريرا، خمسة أقسام متخصصة في المدن الرئيسة وتضم في مجموعها حوالي 500 سريرا.

وإلى حدود بداية العقد السابع من القرن العشرين كان الطب النفسي في المغرب يعيش وضعية صعبة على مستويين :

- الأول : على مستوى السياسة العامة التي كانت تقوم على مستشفيات خاصة صغيرة أو أقسام للطب النفسي في عدد من الأقاليم. وتتكلف بعلاج مؤقت للمرضى النفسيين في انتظار نقل المزمنين منهم إلى مستشفى الأمراض العقلية بمدينة برشيد. ويشكل الاستشفاء أساس علاج المرضى، إذ تتجاوز مدته في كثير من الأحيان الخمس سنوات.

- الثاني : على المستوى الكمي، لم يكن بالمغرب أنذاك (1973 م) سوى عشرة مستشفيات أو أقسام متخصصة في الطب النفسي، تضم حوالي 3260 سريرا، 2000 منها توجد بمستشفى برشيد. ولم يكن يعمل بها سوى 19 طبيبا نفسيا و176 ممرضا.

وانطلقت منذ سنة 1973 استراتيجية جديدة تنبني أساسا على العلاج خارج المستشفى، وإشراك الأسرة فيه، وإنشاء أقسام لعلاج الأمراض النفسية في مختلف أقاليم المملكة

واعتبار مستشفى برشيد ذا طابع جهوي ثم إقليمي. وعلى المستوى القانوني التشريعي يقنن ظهير 30 / 04 / 1959 مقاومة الأمراض النفسية والوقاية منها، وينظم البنيات الإدارية والقانونية والطبية الضرورية. لكنه ليس كافيا ويحتاج إلى مراجعة وتطوير.

وبانطلاق الإستراتيجية الجديدة تطور عدد الأطباء النفسانيين ليصبح حوالي 250 طبيبا سنة 2002، يعمل منهم في القطاع العمومي ما يقرب 45٪ أي 112 طبيبا. كما تزايد عدد المراكز الصحية التي توجد بها الاستشارة الطبية النفسية في ربوع المملكة من اثنين في بداية السبعينات إلى 59 مركزا سنة 2002. وهو تطور نوعي في إطار المقاربة الجديدة للصحة النفسية. هذا في الوقت الذي لم يشهد فيه عدد المستشفيات والأقسام الخاصة بالطب النفسي إلا نموا بطيئا. وهكذا لا يوجد سنة 2002 بالمغرب إلا مركزان جامعيان للطب النفسي في كل من المستشفى الجامعي ابن سينا بالرباط والمستشفى الجامعي ابن رشد بالدار البيضاء، وسبعة مستشفيات طبية نفسية في كل مدن برشيد ومراكش ووجدة وفاس وطنجة وتطوان وعمالة سيدي البرنوصي زناتة بالدار البيضاء، مضافا إليها أربعة عشر قسما للأمراض النفسية في مستشفيات مختلفة. وبقي مجموع عدد الأسرة في نفس المستوى الذي كان فيه تقريبا، إذ بلغ سنة 2002 : 1934 سريرا. وهذا العدد يوازي سبعة أسرة لكل مائة ألف نسمة، وهو هزيل جدا إذا قارناه بالمتوسط العالمي (15 سريرا لكل مائة ألف نسمة)، الذي هو أيضا أدنى بكثير من المعيار المحدد دوليا (حوالي 35 سريرا لكل مائة ألف نسمة).

وقد وضعت وزارة الصحة خطة النهوض. بالصحة النفسية تتضمن عددا من الأهداف الطموحة على مستوى التحسيس بالطب النفسي وأهمية علاج الحالات النفسية وتغيير بعض الجوانب السلبية في النظرة الشعبية إليها، وعلى مستوى المقاربة العلاجية بالتأكيد على أهمية الأسرة والوسط الاجتماعي في تخفيف المعاناة النفسية والتكلف بالمرضى النفسيين. كما تتضمن الخطة أهدافا طموحة في عدد الأسرة والأقسام الطبية النفسية والأطباء والممرضين المتخصصين، لكن ضعف الإمكانات المالية المرصدة وصعوبة الوضعية الاقتصادية العامة تجعل تحقيقها يحتاج إلى ابتكار وجهود مضاعفة.

ولا يمكن أن نغفل هنا أهمية الجمعيات المتخصصة وعطاءاتها في مجال الصحة النفسية وهي اليوم كثيرة، وهذا من الجوانب الإيجابية التي تجعل الأمل واسعا في مستقبل أفضل إن شاء الله.

ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5 . 11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain, Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de sidi-frej à Fès, B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58, 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et nevrose, Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc, Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir, la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps, Casablanca, Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine, 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*, idem, p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*, idem, p. 59 ; M. Akhmisse, *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé, *Stratégie en santé mentale 2002*, document interne.

سعد الدين العثماني

الطبّال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Tabaler - Atabaler - Tabalet - وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Tabar وTamborer.

ومن أفراد هذه الأسرة الذين ذكرتهم الوثائق :

الطبال، أحمد الذي كان يملك ثلاثة سفن قرصانية برتين كان يغير بها على مدينة سبتة، وذات يوم تعرض له الأسطول البرتغالي واستولى على سفنه الثلاثة، وكان ذلك سنة 935 (1528).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 805.

محمد ابن عزوز حكيم

الطبجية، جمع طبجي واللفظة تركية الأصل، يعني شقها الأول "طوب" "Top" المدفع، في حين يدل شقها الثاني، أي "جي" على المهنة المزاولة من طرف الشخص المقصود، ومن ثمة إطلاقها على من كان يختص من الجند بالخدمة في سلاح المدفعية. ومعلوم أن هذا النوع من السلاح، شأنه شأن السلاح الناري بصفة عامة، لم ينتشر استعماله في الجيش المغربي، على نطاق واسع، إلا بعد تولي الشرفاء السعديين الحكم في البلاد، وبالخصوص على عهد العاهلين عبد المالك بن عبد الله الغالب (986.984 / 1578.1576) وصنوه أحمد المنصور الذهبي (1012.986 / 1603.1578)، إذ استعمل كلاهما الأسرى المسيحيين والعلوج والأتراك في هذا التخصص الحربي. ومعلوم كذلك أن هذين العاهلين، قبل

تقلدهما الأمر بالبلاد، أقاما ردحا من الزمن في الديار التركية، الأمر الذي تسربت معه عادات وتقاليد تركية إلى المغرب، بحكم تشبع الرجلين بالثقافة التركية وإلمامهما بالتنظيمات والتقنيات الحربية عند الأتراك العثمانيين. على أننا لانجد أثرا للفظة الطبجي أو الطبجية عند كل من عبد العزيز الفشتالي في مؤلفه *مناهل الصفا* ومحمد الصغير الإفراني في كتابه *نزهة الحادي*، إذ يرد عوضها عسكر أو *عساكر النار*، أو *جيش النار*. ويبدو أنها صارت شائعة الاستعمال عند الإخباريين المغاربة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. فالضعيف مثلا في تاريخه، يستعمل هذه اللفظة باستمرار وكلما كان عليه ذكر معركة من المعارك استعمل فيها سلاح المدفعية والمهاريس.

على أن هذا المصطلح وما شابهه من المصطلحات العسكرية التركية الأخرى، كلفظة طابور مثلا، قد صار شائع الاستعمال في تنظيمات الجيش المغربي، بعد أن تقرر تأسيس نواة عسكرية جديدة، دعيت بجيش النظام أوعسكر النظام، غداة وقعة إسلي سنة 1844، ابتداء بتجربة الأتراك العثمانيين في هذا الميدان. وهكذا، تفيد وثيقة مخزنية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1264، الموافق 16 مارس 1848، أن قائد جيش النظام بمدن شمال المغرب، تطوان وطنجة والعرائش، عبد السلام أقلعي، قد عاد من رحلته إلى مصر، وفي حقائبه خمسة وثلاثون كتابا في فنون وتقنيات الحرب الحديثة، هدية من خديوي مصر الباشا محمد علي إلى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، مما ساهم في دعم استعمال المصطلح العسكري التركي في تنظيمات الجيش المغربي.

وإلى حدود أواسط القرن التاسع عشر، ظل الجيش المغربي يتكون أساسا من رماة وخيالة قبائل الگيش وعبيد البخاري وحراك القبائل، إذ لم يكن عدد الطبجية أي المدفعيين من هؤلاء جميعا يتعدى بضع مئات من الأنفار. ولاشك أن اعتماد المسؤولين، في المقام الأول، على عنصر الخيالة أي الفرسان، ليعكس مفهومهم وتصورهم للعملية الحربية برمتها، حيث لم تتغير وجهة النظر هذه عما كان عليه الأمر أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية ظلت تعتمد على تاكتيك الكر والفر، وبالتالي ترجيح سلاح الفروسية على باقي التنظيمات العسكرية الأخرى.

ومع تقدم القرن التاسع عشر واحتكاك عناصر الجيش المغربي بمحاربي الجيوش الأوربية الحديثة، وبخاصة بعد وقعة إيسلي من جهة، ووقائع حرب تطوان من جهة ثانية، تبين للجميع أهمية ودور سلاحي المدفعية والمشاة في حسم أطوار ووقائع الحرب الحديثة. فقد شاهد الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن عن كثب، وبمعيته قواد الجيش المغربي والقبائل، أثناء وقعة إيسلي سالفة الذكر، ما كانت تحدثه من رعب وهلع ودمار قنابل العدو في صفوف المحاربين المغاربية وهم يتساقطون كأوراق الشجر. ولهذا، اتجهت عناية المخزن إلى الاهتمام بسلاحي الرماة والمدفعية.

ولم يكن السلطان المستنجد به ليضع هذا النوع من العتاد الحربي الخطير وذخيرته، إلا في أيد أمينة، أي من يحظى منه بثقة كاملة. وكان هذا شأن ثلة من ذوي النسب الشريف، من قرابة العاهل الحاكم، كالأمرانيين المكناسيين مثلا، وعدد من أغوات، وقوات طوابير العسكر النظامي والگيش.

وتقدم المصادر معلومات وبيانات عن نوعية وعدد قطع العتاد الحربي الثقيل الذي كان يسخره، بواسطة هؤلاء الطبجية، مغاربة كانوا أم أجانب، في حروبه وحملاته العسكرية، على امتداد القرن التاسع عشر. وكان هذا العتاد يشتمل على مدافع ومهاريس من أنواع وأحجام وعيارات مختلفة، برونزية وحديدية، تم الحصول عليها إما عن طريق الشراء، وإما قدمت للعاهل الحاكم من إحدى الدول الأوربية، علما بأن اعتماد المغرب على مشترياته من السلاح من أوربا، وبالخصوص إنگلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا يعود إلى عشرات السنين قبل الشروع في إنجاز مشروعه التحديثي. وكانت عملية جلب العدة والذخيرة من هذه البلاد، تتم على يد مغاربة وأجانب. فكان منهم عدد من أعوان المخزن الكبار، كالوزير الصدر على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، الطيب بليمني بوعشرين، أو أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس، أو الحاجب موسى بن أحمد البخاري، أو وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، أو النائب السلطاني بطنجة مَحمد برگاش وولده الحاج مُحمد وثلة من أمناء المراسي والمستفادات، ومن كبار التجار المغاربة النشيطين. وكان ينضاف إلى هؤلاء بين الفينة والأخرى، وسطاء آخرون سواء من السلك الدبلوماسي كالقنصل الفرنسي أوغست بوميي (Auguste Beaumier)، أو السفير الإنجليزي الشهير جون دراموند هي (John Drummond Hay)، أو من التجار والعسكريين الأجانب، كالتاجر الإنجليزي جمس كرتيس (James Curtis) أو الألماني هاسنر (Haessner)، أو الفرنسيين گوتش (Gautsch) وبرونشفيگ (Braunschvig)، أو الضابط الإنجليزي هاري ماك لين (Harry Mac Lean).

وكان السلطان يصحب في تنقلاته، عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل والذي كان يتكون من مدافع ميدانية، وأخرى جبلية أو رشاشة، ومدافع الهون كذلك. فقد وصل عدد هذه القطع المدفعية مثلا، أثناء الحملة العسكرية التي استهدفت قبيلة الأعشاش المنتفضة ضد قوادها، في صيف سنة 1895، 29 مدفعا، من أنواع وعيارات وأحجام مختلفة، علاوة على 4 مدافع هون (mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع گاردنر (Mitrailleuses Gardner).

الخزانة الحسنية، قوائم حسابية، محفظة سيدي محمد بن عبد الرحمن، سنة 1284 / 1864 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 80، وثيقة

بتاريخ 16 شوال 1303 / 18 يوليو 1886 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 243 ؛ محفظة مولاي الحسن، الوثائق الزيدانية، مجلد 29، وثيقة رقم 246 ؛ كناش رقم 10933، وثيقة بتاريخ 16 محرم 1284 / 20 مايو 1867 ؛ كناش رقم 309، وثيقة بتاريخ 17 شوال 1293 / 5 نونبر 1876 ؛ كناش رقم 117، وثيقة بتاريخ 14 ذي القعدة 1300 / 18 سبتمبر 1883 ؛ كناش رقم 348، وثيقة بتاريخ 17 جمادى الثانية 1301 / 14 أبريل 1884 ؛ كناش رقم 443، وثيقة بتاريخ أواسط رجب 1318 / العشر الأواخر من دجنبر 1900 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة مراكش، وثائق سنتي 1262 و1263 / 1846 و1847 ؛ وثائق فانسن بباريز والتي نرمز إليها على النحو الآتي A.G.V. : A.G.V., 3h1, Manuel de l'officier dans l'empire du Maroc, année 1844 ; A.G.V., 3h1, Rapport Marois - Strohl, 1877 ; A.G.V., 3h9, Rapport n° 30, juillet 1895 ; A.G.V., 3h16, année 1909 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1933.1929، ج. 2 وج. 5؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين*، المحمدية، جزءان، 1977 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. گنون، تطوان، 1964 ؛ م. العربي المشرفي، *ذخيرة الأواخر والأوائل فيما يتضمن من أخبار الدول*، مخطوط خ. ع، ك 2659، جزء 2، ص. 28.27.

A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque de la dynastie saadienne*, *H.-T.*, vol. XIII, 1972.

مصطفى الشابي

الطبخ المغربي، الذي أصبح اليوم محط اهتمام العديد من الجهات والأطراف : (مستثمرين في السياحة وأصحاب البرامج التلفزيونية وصحفيين وكتاب للعديد من المجلات والمؤلفات في الطبخ وشركات الضيافة والتموين وغيرها...). هذا الطبخ من الصعب جدا تناوله والبحث فيه بكيفية علمية تاريخية ؛ فما نتلذذ به اليوم من مأكولات ومشروبات وحلويات ليست وليدة فترة قصيرة ؛ بل هي نتاج لسيرورة تاريخية طويلة بدأت منذ ظهور الإنسان على هذه الرقعة من العالم (آثار ما قبل التاريخ).

وللبحث في الموضوع علميا ووضع تصور تاريخي أولي لا بد من الأخذ بمنهج تكاملي بحيث نرجع إلى المصادر المكتوبة للبحث في الأصول والبدايات والتطور ؛ وفي حالة انعدامها ننطلق من الميدان، مما هو موجود، ولحسن حظ الباحث الميداني أنه سيجد الكثير من عناصر الطبخ المغربي ما تزال على ما هي عليه منذ أزمنة بعيدة إن لم نقل إنها بقيت كما ظهرت، خاصة في بعض المناطق وعند بعض الفئات من السكان، وتكملة للميدان يمكن الرجوع إلى المتاحف والآثار والدراسات الأنطروبولوجية على قلتها وعلاتها.

برجوعنا إلى المصادر المكتوبة لم نجد إلا مصدرين أو ثلاثة تعرضا للموضوع بشكل مفصل أحدهما اعتبر مفقودا ويعود الثاني إلى الفترة المرينية (فضالة الخوان) ؛ وبعد العصر المريني ظهرت كتابات متنوعة معظمها رسائل وأرجوزات تؤرخ لدخول مادة جديدة إلى المغرب مثل الشاي، وكيفية التعامل معها واستعمالها، إضافة إلى مقامات قليلة ألفت على غرار فن المقامات في المشرق تصف ما هو معروف في وقتها من مأكولات ومشروبات (وهي متأخرة جدا)، وما عدا ذلك لا نكاد نجد في المصادر المختلفة إلا إشارات عرضية وبعض المأكولات والمواد الغذائية والولائم ؛ وينفرد الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*) بمدنا لمعلومات مفصلة ودقيقة تساعد على تكوين صورة ونظرة تاريخية عن الطبخ المغربي والمأكولات في نهاية العصر الوسيط وبداية التاريخ الحديث (*وصف إفريقيا*).

والمغرب بحكم موقعه الجغرافي كان منتهى هجرات العديد من الشعوب، وحتى بعد فتح الأندلس وتوسع الإمبراطورية الإسلامية ظل يلعب الدور نفسه بحكم وجوده في الزاوية الشمالية الغربية للقارة الإفريقية أي إليه كانت تنتهي الطرق البرية ؛ وهذا التأثير الجغرافي تجلى في تنوع ساكنته :

(البربر بأصنافهم الثلاثة والزنوج (السودان)، والعرب بصنفيهم : الهلاليون والمعقليون ثم العناصر الأندلسية). هذا على المستوى الإثنوغرافي أما على المستوى الحضاري فبحكم موقعه على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط فقد تلقى تأثيرات الشعوب والحضارات المحيطة به : (الفينيقيون والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيون والإيبيريون والدويلات الإيطالية وغيرها...).

هذه التأثيرات وأن تفاوتت نسبها والتعرف عليها من خلال الوثائق والآثار فإننا يمكن أن نلمسها في كثير من المجالات في المغرب ومنها الطبخ المغربي ؛ لقد قيل قديما : إذا أردت معرفة المستوى الحضاري لشعب معين فانظر إلى فنونه ومطبخه ؛ والمطبخ المغربي غني ومتنوع منذ القديم والشهادات الأولى للرحالة الذين زاروه تثبت ذلك، فالتاجر البغدادي ابن حوقل (ق. 4 / 10) قال لما زار بلد أغمات : "... وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها فقد جمعت فنون المآكل كلها ذات الصرود والجروم..." (*صورة الأرض*، 91)، ويؤكد ذلك أبوعبيد البكري (ق. 5 / 11) بصيغة أخرى : "... سوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك.." (*المغرب*، 153).

انصهرت في المطبخ المغربي كثير من التأثيرات الحضارية فأعطته التميز والهوية - التي أعجب بها الجميع - وليس من التعصب أو الشوفينية القول بمطبخ مغربي بل إنه استحق الصفة والهوية علميا وعن جدارة ؛ ويمكن استنتاج ذلك من استعراض المراحل التاريخية التي مر منها، بدءا بمرحلة ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وإلى اليوم ؛ ويمكن للباحث أن يجد آثارا وتعايشا في المطبخ المغربي للمراحل التاريخية كلها مثل مرحلة الالتقاط والصيد وبداية الزراعة إلى ظهور

الخبز والكسكس وصولا إلى الشاي (ابتداء من ق 18 م) ثم الطبخ العصري المرتبط بفترة الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب.

تبتدئ المرحلة الثانية حسب ما يستنتج من قراءة المصادر المكتوبة من بداية العصر الوسيط حيث ارتكز الطبخ المغربي على مواد الصيد والقنص وبقايا الالتقاط والتي اختلفت من منطقة إلى أخرى (من الساحل نحو الداخل ومن الشمال إلى الجنوب) ومن فصل إلى آخر ؛ ثم اللحوم المشوية (*أحسن التقاسيم*، 238) ؛ ورغم أن الكسكس (الكسكسو) من المأكولات الأساسية الأصيلة في المطبخ المغربي فإن الإشارة إليها في المصادر قليلة وتعود الإشارة الأولى إلى التاريخ الحديث لكن ذلك لا يعني عدم وجودها أو انتشارها، فالكسكس كان الأكلة العادية بل هي ما ميز البرابرة وخاصة منهم فرع البرانس : "نحن قوم نحلق الرؤوس ونلبس البرنوس ونأكل الكسكس" *(العبر)*. الإشارة المتأخرة عن الكسكس ترجع إلى أمر غير عادي فقد وردت مرتبطة بالتصوف والصلاح : "...إن قدور مطبخته الكبرى - (عبد الله الكوش المراكشي) - يطبخ فيها ثوران مرة واحدة ويذبح في كل يوم البقر والغنم والإبل وعنده بلاط مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية..." (*دوحة*، 108).



يمكن ملاحظة بداية تطور المطبخ المغربي إن لم نقل تحوله الكبير في المرحلة الثالثة التي يمثلها العهد المرابطي والموحدي والعصر المريني الأول، حيث عرف المغرب تطورا سياسيا كبير إذ أصبح يحكم إمبراطورية شاسعة فازداد الاحتكاك بشعوب وأجناس كثيرة وصحب ذلك تطور وازدهار اقتصادي (تجاري وفلاحي) كان له انعكاس على المطبخ المغربي، بدخول مواد جديدة وطرق مبتكرة للطبخ وتحضير الوجبات وتقديمها. وبصفة عامة فالمطبخ المغربي في العصر الوسيط - الأعلى والأوسط - لم يعرف بهارات وتوابل كثيرة وخضرا متنوعة *(التشوف)* وأهم ما سجلته المرحلة هو بداية الاهتمام الرسمي بالمطبخ المغربي، فالخليفة الموحدي عبد المومن أمر بتأليف كتاب في الطبخ.

وتبتدئ المرحلة الرابعة من العصر المريني الثاني حيث ازداد الارتباط بالأندلسيين، وبداية هجرتهم نحو المغرب، ويمكن القول إن الحضارة المغربية الأندلسة بدأ تشكليها منذئذ ويمكن ملامستها والوقوف عليها في شتى المجالات : المعمارية والفنية وفي اللباس والعادات والتقاليد والحياة الدينية والطبخ. وقد مست التأثيرات في المطبخ بالخصوص طرقا جديدة في الطبخ وإدخال مواد جديدة من توابل ومخللات ومصبرات وحلويات وأساسا طرق التحضير والتقديم (*وصف إفريقيا*).

امتدت هذه المرحلة إلى النصف الأول من ق. 20 (دخول الفرنسيين والإسبان إلى المغرب) مع بعض التأثيرات الإضافية خاصة العثمانية والتي يمكن إعطاء أمثلة منها في "الطاجين بالبرقوق واللوز المقلي والبيض واللحم". أما الطاجين المغربي فمعروف منذ نهاية العصر الوسيط : "طاجين بالخضر" و"طاجين الحوت" (*بهجة الناظرين*، 125) وبتتبعنا للمصادر ومقارنتها بالميدان وببعض الدراسات يمكن أن نقف عند كل عنصر على حدة فالتأثير السوداني مثلا نلمسه في الوصفات التي تعرف خليطا من اللحم سواء اللحم الباطني (التقلية) أو الخارجي المعروف بـ"هرتوكة" خليط من لحم الرأس البقري وأطراف من لحم بقرة يطبخ في الماء مع شحمه وكذلك الرأس المبخر والكرعين "هرگمة" وغيرها... ونلمس التأثيرات الأندلسية في "الخليع"، اللحم المفروم، الأسماك المقلية، قلي بعض الخضر كالفلفل... الخ.

ويشكل المطبخ المغربي اليوم ثالثة الأثافي التي تقوم عليها السياحة : (الكسكس - الطاجين - المشوي - الشاي المنعنع).

المعمار التقليدي في المدن العتيقة (الأقواس، الزليج - القاشاني النقوش والزخرف، النحت على الخشب) وفي البوادي، القصبات القصور حيث الأصالة والبساطة.

الفنون : الموسيقى الأندلسية (في المدن) الملحون والفنون الشعبية في البوادي وإذا أضفنا إلى ذلك اللباس التقليدي : في البوادي والمدن. الجلباب الأبيض الطربوش الأحمر والبلغة الصفراء للرجال في المدن والقفطان للنساء واللباس البدوي (حسب المناطق) فإن مقومات الهوية المغربية تكتمل.

ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ميراندا، *كتاب الطبخ في المغرب والأندلس*، مجلة المعهد المصري بمدريد، 1961 - 1962 ؛ البتوري، *شرح الأرجوزة الفائقة*، مخطوط ؛ الزموري، *شرح أرجوزة الزموري في أتاي*، م. د. 1709 أ. المكناس، *خارطة أثرية للمغرب القديم* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1926 ؛ ابن خلدون، العبر، 1967 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ليدن، 1938 ؛ البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عسكر، دوحة *الناشر*، الرباط، 1976 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين*، مرقون، كلية الآداب بالرباط.

P. Ricard, *Gâteaux berbères*, *Hesp.*, VI, 1926 ; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

الطبل، آلة موسيقية إيقاعية أسطوانية الشكل، ارتبط استخدامها بكثير من أنماط الموسيقى المغربية، وخاصة منها الأنماط الشعبية والبدوية. ويدل شيوعها في هذه الأنماط على قدمها بالمغرب ومنذ أن تسربت إلى مناطقه الجنوبية الصحراوية من البلاد الافريقية رفقة العناصر الزنجية التي استقرت بهذه المناطق.

وقد واكبت الطبول في البدء المواكب الملكية منذ العهد المرابطي، فأصبحت على حد تعبير ابن خلدون من شارات الملك، "فلما كان عهد الموحدين زادت كبرا وضخامة، وأصبح استعمالها مقصوراً على السلطان ومحظوراً على من سواه من العمال، فإذا تحرك موكب الملك أخذت الطبول تدق خلف ساقته، وليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره لأنها من خصائصه".

وقد زاد شأن الطبول علوا عند بني مرين حتى بلغت في موكب أبي الحسن المريني مائة طبل. ومع تفكك الدولة المرينية وقيام بني وطاس لم تعد الطبول بمفردها ترافق المواكب الملكية، بل الحقت بها الأبواق ؛ فلما آل الحكم إلى المنصور السعدي تقلص دورها الرسمي لفائدة آلات النفخ النحاسية، وأخذ حضورها يتقوى في المحافل الشعبية لتصبح على العهد العلوي الآلة الأكثر استعمالا في المجموعات الشعبية من قبيل أحواش تاليوين، وطوائف كناوة، وفرق الطبالين والغياطين.

والطبول بالمغرب متنوعة الأشكال مختلفة الأحجام. وأكبرها الطبل المعروف باسم "گانگا"، وهو زنجي الأصل ويستخدم في رقصة الدست إحدى رقصات أحواش، وطبل كناوة الذي يضرب طرفه الأعلى بقضيب معقوف الرأس بينما يضرب طرفه الأسفل بقضيب صغير يمسك باليد اليسرى. ومنها أيضاً :

- الطبيلة. وهي طبلة مزدوجة تستخدمها في الغالب المعلمات في الغناء الحضري.

- ادجون، وهو طبل صغير أشبه بالدف، ويستخدم في مصاحبة أغاني منطقة الريف. وهناك طبول أخرى منتشرة في الأقاليم الجنوبية المغربية، ومنها :

- طبل "الكونتا"، وهو الذي يستخدمه الحراطين والعبيد، ويطلقون عليه أيضاً اسم "الدندون".

طبل "الگدرة". وهو عبارة عن جرة من طين تضرب عليها الراقصات الصحراويات بأيديهن في مصاحبة "رقصة الگدرة" الشهيرة.

طبل "الايگاون". وهو طبل ضخم مستدير، قاعدته نصف قرعة مجففة تغطي أعلاها قطعة من الجلد السميك، وتشد أجزاءه عشرة حبال متينة. والايگاون - مفرده ايگيو - هم منشدو الشعر الحساني في أقاليم الجنوب المغربي.

والطبول في الغالب مصنوعة من عود على شكل دوائر، باستثناء طبل "الكونتا" الذي يصنع من القرن المجفف، وهي أيضاً مغلفة بالجلد من أحد الجانبين، وقد يغلف بعضها من الجانبين معا كطبول كناوة.

ومن الطبول ما يوضع على الأرض كطبل الگدوة وطبيلة المعلمات، ومنها ما يحمل على الكتف كطبول غياته بالقرب من تازة أو كطبول كناوة.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المطبعة التجارية، ص. 209 - 257 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ص. 308.

Odette de Puigaudeau, *H.-T.*, V. IV, fasc. 3, p. 347, 1968

عبد العزيز بن عبد الجليل

طبودة، الحسين، ولد سنة 1916 بكزناية بيرو تيزي وسلي، دائرة أكنول إقليم تازة.

كان من الوطنيين الغيورين على بلادهم الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل الحرية والاستقلال ورمز السيادة المغربية. وقد شارك بشكل فعال في عملية تأسيس جيش التحرير بالريف استعداداً لخوض المعركة الحاسمة ضد العدو. وفي 1 - 10 - 1955 شارك إلى جانب رجال المقاومة في أول عملية هجومية ضد جنود الاستعمار بمركز تيزي وسلي حيث انطلقت العمليات المسلحة.

انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 6 يوليوز 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521666.

الطبوع مصطلح موسيقي ينحصر تداوله في الموسيقى الأندلسية بدول المغرب العربي. وقد قابله المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932 بمصطلح "المقام" في الموسيقى العربية المشرقية.

وقد انتقل تداول هذا المصطلح إلى غناء شعر الملحون بالمغرب منذ أن تبنى هذا الفن بعض طبوع الموسيقى الأندلسية.

ويبدو مفهوم "الطبع" أوسع دلالةً من مفهوم "المقام" الذي ينحصر في الدلالة على "السلم الموسيقي". ذلك أن الطبع ينسحب - مفهوماً أيضاً - على الخصائص اللحنية ذات التأثيرات النفسية، وبذلك فهو يشكل إحدى أهم خصائص المدرسة الموسيقية بالمغرب والأندلس.

وفيما تدل المصادر على أن مصطلح "المقام" لم يكن شائعاً قبل القرن الرابع عشر / الثامن إذ أن أول مصدر يرد فيه ذكره هو مخطوط *"درة التاج لغرة الديباج"* لقطب الدين الشيرازي المتوفى سنة 1310 / 710، فإن مصطلح "الطبع" يعود بنا إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فنجد ابن الخطيب يذكر أنه نقل عن الششتري (ت. 668) طبوع الذيل، وعرق عرب، ورمل ماية.

ويرتبط استعمال "الطبع" بمبدإ التأثير الذي تعكسه نظرية الايتوس Ethos اليونانية. وقد اكتست هذه النظرية أهمية كبرى منذ القرن الثالث. وعرض لها الكندي وإخوان

الصفا بتفصيل. وهي تتصل بالفكرة السامية القديمة لشرائع صائبة حران وبنظريات قدماء اليونان التي تزعم أن كل كائن على وجه الأرض متأثر بكائن آخر سماوي، وبذلك فهي تضع مقابلات تجريدية ميتافيزيقية بين الظواهر الطبيعية وبين عناصر ومقومات العمل الموسيقي :

- نغمات السلم السباعي : تقابل الكواكب السيارة السبعة.

- ملاوي العود الأربعة، وأوتاره الأربعة، ودساتينه الأربعة : تقابل البروج الأثني عشر.

- اوتار العود : تتعامل مع الطبائع الكونية، وهي الرياح والفصول والأمزجة والقوى العظيمة والألوان والعطور وأرباع دائرة البروج والقمر...

وقد كانت الموسيقى اليونانية العتيقة قائمة على مجموعة من المودات Modes شكل كل واحد منها سلماً متميزاً يتكون من جنسين أو عقدين Tetracordes، ولما اهتم الفلاسفة اليونان الأقدمون بنظرية الايتوس، فإنهم صنفوا هذه المودات (طبوع) بحسب أصناف التأثير التي تحركها، كمشاعر الألم والسعادة والحكمة والشجاعة، وأحاسيس الحزن والبكاء والنياحة.

وقد استمر تعدد هذه المودات أمراً قائماً حتى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد عندما حصر سان امبرواز (St. Ambroise) قس ميلانو الطبوع الاغريقية في أربعة أصبحت تعرفُ فيما بعدُ بالطبوع الأصلية Modes authentiques.

وقد تنكّر منظرو الموسيقى الأروبية لنظرية الايتوس ابتداء من عصر النهضة (1685 ـ 1750).

أما المنظرون والفلاسفة العرب فكانوا ـ منذ عهد الكندي ـ يؤمنون بارتباط الظواهر الطبيعية بأوتار العود الأربعة، وحتى عند مازاد زرياب في هذه الآلة وترا خامسا فإنما ليكمل في عوده قوى الطبيعة الأربع ويقيم هذا الوتر مقام النفس من الجسد. وبذلك يتضح أن صنيعه لم يكن لرغبة في توسيع المساحة الصوتية للعود بقدر ما كان استجابة لغرض تجريدي.

ويعكس الجدول التالي صورة ارتباط أوتار العود بالظواهر الطبيعية عند العرب :

الأوتار	الألوان	العناصر الكونية	الطبائع البشرية	الصفات
الزيد	أصفر	النار	الصفراء	حار / رطب
المثنى	أحمر	الهواء	الدم	حار / يابس
المثلث	أبيض	الماء	البلغم	
التم	أسود	التراب	السوداء	
وتر زرياب	أحمر دموي	الحياة	الروح	

وابتداء من عهد الفارابي حدث عزوف واضح من النظرية الميتافيزيقية للطبع الموسيقي، وقام بديلاً عنها اتجاه طبيعي رياضي وتجريبي يعتمد على فيزيائية الصوت الموسيقي.

ويبدو أن المدرسة المغربية الأندلسية حافظت على النظرية العتيقة، وتوجهتها بابتكار نظرية تجريدية حديثة هي نظرية "شجرة الطبوع" التي تجسد ارتباط الطبوع الأهلية والفرعية بالطبائع. وفيما يلي جدول ببيان هذا الارتباط كما في *كناش الحايك* :

الطبوع الأصلية	الطبوع الفرعية	الفصول	الطبائع
الذيل	رصد الذيل ـ استهلال الذيل ـ عراق العجم ـ عراق العرب ـ مجنب الذيل ـ المشرقي	الخريف	السوداء
الزيدان	الاصبهان ـ العشاق ـ الحصان ـ الحجاز الكبير	الشتاء	البلغم
الماية	رمل الماية ـ انقلاب الرمل ـ الحسين ـ الحجاز المشرقي ـ الرصد ـ الزوركند	الربيع	الدم
المزموم	غريبة الحسين ـ حمدان	الصيف	الصفراء
الغريبة المحررة	لا يتفرع عنه شيء	—	—

ومن المنظرين المغاربة الذين اهتموا بنظرية الطبوع ونسبتها إلى الطبائع :

- محمد البوعصامي في رسالته "إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع". وقد كان حيا في منتصف القرن الثاني عشر.

- محمد بن الحسين الحايك في كناشه الشهير باسمه. وقد انتهى من جمعه عام 1214.

- أحمد احضري في كتابه *ديوان الأمداح النبوية* وذكر النغمات الطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة. وقد كان حياً أواخر المائة الثانية عشرة.

- الحاج محمد بن العربي الدلائي في كتابه *"فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار"* وقد توفي عام 1285.

- إبراهيم التادلي في كتابه *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*. وقد توفي عام 1311 ومن المنظومات الرجزية التي ألمت بهذا الموضوع :

- منظومة الفقيه والقاضي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي المتوفى عام 955. وقوامها أحد عشر بيتاً، ذيلها محمد بن علي الوجدي الغماد المتوفى عام 1033 بأربعة أبيات أخرى في نفس الموضوع.

- منظومة العالم الموسوعي عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1040. وهي تحت عنوان : *المجموع في علم الموسيقى والطبوع*.

- منظومة الأديب سليمان الحوات الحسني المتوفى عام 1231 وعنوانها : *كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*.

اخوان الصفا، *الرسائل*، ج. 2، ص. 186 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج.3، ص. 238 ؛ الكندي، *أجزاء خبرية في الموسيقى*، المقالة الثانية، تح. زكريا يوسف، بغداد،

1962 ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 31 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص. 61 ؛ فارمرء، *تاريخ الموسيقى العربية*، ص. 177.

الطبيلة، أحد أنواع الطبول بالمغرب وهي عبارة عن طبلتين صغيرتين صنعتا من طين مطبوخ، إحداهما أكبر من الأخرى، ويربط بينهما حبل متين.

ولكل طبلة فوهتان متفاوتتان في الاتساع، ويغلق أوسعهما بقطعة من الجلد. وعند استخدام الطبيلة فهي توضع على الأرض، وطرفاها المغلقان إلى أعلى، فينقر عليهما بكلتا اليدين بواسطة قضيبين من عود.

تستخدم هذه الآلة في أوساط المعلمات، وهن المطربات اللائي يرددن الأهازيج الشعبية في المناسبات العائلية كالعقيقة والختان وحناء العروس والزفاف، كما تستخدم في أوساط عيساوة، وهي عند هؤلاء تعرف باسم "الطار".

وقد تبنت هذه الآلة في السنوات المتأخرة مجموعة ناس الغيوان واعتمدتها كآلة رئيسية لضبط الإيقاع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطجين أو الطاجين، هكذا جاء رسمه في إشارة تكاد تكون يتيمة وردت عند عبد العظيم الازموري في *بهجة الناظرين*، فقد عدد المؤلف مكرمات جده الأعلى من آل أمغار دفين تيط (مولاي عبد الله أمغار حاليا)، ومنها أنه كان يكاشف بأشياء غيبية من قبيل ما يدور في خلد زواره ومتمنياتهم، ومن ذلك ما جاء في الكتاب بخصوص ثلاثة متصوفة زاروه في بيته بتيط فلم يجدوه فذهبوا إلى حيث قيل لهم إنه موجود، وهو بستان يشتغل فيه بنفسه ؛ وفي طريقهم إليه كان كل واحد منهم يقول للآخر ما يريد أكله عند الشيخ : فقال أحدهم تمنيت أن آكل عنده الخبز والبطيخ وقال آخر تمنيت أن آكل عنده الخبز والعنب، أما الثالث فتمنى أن ياكل عنده الخبز والحوت، فكان لكل واحد منهم ما تمنى. ومن ذلك طاجين الحوت (*بهجة*، 126).

والطجين من فعل طجن طجنا وطجن الشيء قلاه ومنه الطاجن والطجين وهو ما يقلى فيه وجمعه طياجن وطواجن - والفعل من الدخيل على العربية - وإذا عدنا للإشارة الواردة في بهجة الناظرين في منطقة دكالة وتساءلنا : هل يتعلق الأمر بالإناء الذي قدم فيه الحوت أم بطريقة تحضير الحوت وطهيه فالمعروف اليوم أن اسم الإناء انتقل ليشمل المحتوى وطريقة الطبخ، فأصبح الحديث عن الطاجين الفاسي والمكناسي وطاجين أسفي والمراكشي والرباطي إلى غير ذلك مما هو مفصل ومشروح في كتب الطبخ.

فالمقصود هنا طريقة الطبخ والمواد المطبوخة والمحضرة أو المقدمة في الطاجين، أما الإناء نفسه فتشير كتب الطبخ اليوم إلى الطاجين السلاوي وهو الطاجين المعروف والموجود في الأسواق اليوم وهو من فخار، بني اللون، قطره وظهر غطائه وجوانبه مطلية بالبرنيق، فهل الأصل في صناعته مدينة سلا ؟ المصادر لا تسعفنا في الجواب، لكننا يمكن أن نخرج بمقارنة الإشارات الواردة في المصادر الوسيطية وبما هو عليه الحال اليوم، فمراكز صناعة الخزف التقليدي متعددة في المغرب وقد عرفت بعضها تطورا كبيرا حتى أصبحت مصنوعاتها متميزة مثل أسفي وسلا وفاس ومراكش وغيرها.

لكن المصادر الوسيطية تعطي السبق في صناعة الفخار لدكالة. وبرجوعنا للإشارة في *بهجة الناظرين* والتي تعود إلى القرن السادس (12 م) نستطيع القول إن الطاجين ظهر أول ما ظهر في دكالة وأنه سابق بزمن غير يسير عن الطاجين السلاوي وأن شهرة مدينة أسفي اليوم - وكانت ضمن مجال دكالة التاريخي - وتمثيليتها للخزف المغربي لم تأت من فراغ ؛ بقي أن نتساءل مرة ثانية : هل الطاجين كإناء أو ماعون، والطاجين كمحتوى وطريقة للطبخ، هل هو مغربي أصيل أم أنه مستورد ؟

من الصعب الإجابة على السؤال باليقين، فالمسألة ولا شك ترتبط بعلاقة المغرب بالأندلس وخاصة بعد الارتباط السياسي في عهد المرابطين والموحدين، فالأندلس كانت على درجة كبير من التقدم والتطور في الكثير من شؤون الحياة ومنها الطبيخ وقد تأثر بذلك الأمراء والملوك والأعيان المغاربة العرب والبرابرة، فألفت لهم كتب في هذا الميدان بطلب منهم.

ومن ضمن ما تتطرق إليه هذه الكتب أدوات ومواعين الطبخ. ولا شك أن التأثر ظهر في دكالة باعتبار العلاقة والارتباط بينها وبين الأندلس بحرا كان نشيطا إن لم نقل مزدهرا وطبيعي أن يتبلور التأثير الأندلسي في قاعدة الإقليم مدينة أسفي؛ أما الطاجين السلاوي فلا شك أنه تطوير للطاجين الدكالي في طريقة الصنع وفي رخص التكاليف مما جعله ينتشر أكثر في فترة تراجعت فيها مدينة أسفي ودكالة عموما بسبب الاستعمار البرتغالي.

ومن الناس (رواية شفوية) من يعتقد أن الطاجين كأداة وكطبيخ من تأثير تركي. وهذا مستبعد بسبب الفارق الزمني الكبير، فالعثمانيون لم يظهروا على مسرح الأحداث ولم يصلوا في توسعهم إلى حدود المغرب إلا في القرن 16 م، والإشارة التي وردت في المصدر المذكور تعود إلى القرن 12 م. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الإشارة الثانية عن الطاجين كأداة طبخ تعود إلى بداية العصر المريني في المغرب والأندلس ويتعلق الأمر بكتاب *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان* لابن رزين التجيبي فقد استعرض مواعين وأدوات المطبخ والطبخ ومنها "طاجين الحديد" ص. 9.8 و"طاجين فخار" ص. 13، فإنشاء هذه الأدوات ومواعين الطبخ ووصفات الطبخ التاريخية تعود إلى الحضارة المغربية الأندلسية التي بدأ تشكلها منذ وصول المغاربة إلى شبه الجزيرة الإيبيرية لتتضح أكثر في العهد المرابطي والموحدي وتبلغ درجة اكتمالها في العهد المريني وما بعده.

أما التأثير التركي فقد لا يتجاوز وصفة من الوصفات المطبخية مثل الطاجين بالبرقوق.

الماجري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب بالرباط، ش د ج ع 1986.1985 ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ، الدار البيضاء، 1989 ؛ معيار الاختيار، المحمدية، 1976 ؛ ميراندا، *الطبخ في المغرب والأندلس* (تحقيق)، مجلة المعهد المصري بمدريد 1962.1961.

محمد حجاج الطويل

الطحطاح، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرفط الهبطية، انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 809.

الطرابلسي، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكانت من بين الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1840. وكان جل أفرادها يتعاطون للصيد البحري، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 811.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرابَلْسي، أسرة سلوية أصلها من طرابلس الغرب، ينسب أهلها إلى الشرف، وعرف منها أشخاص عملوا في الجهاد البحري وكان منهم فقهاء وأدباء مثل إبراهيم الطرابلسي المولود سنة 1260 والمتوفى سنة 1365 بسلا بعد أن عُمِّر طويلاً، كان من شعراء الملحون السلاويين، وسلام الطرابلسي الذي كان سنة 1181 / 1768 من رؤساء البحر، وكان يقود سفينة "المعونة" ذات 330 بحرياً و45 مدفعاً نحاسياً، ومَحمد الطرابلسي فقيه وعدل بسلا كان سنة 1300 لا يزال بقيد الحياة.

م. الفاسي، شعراء *الملحون السلاويون في المناهل*، العدد 33، ص. 22 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ كتاب هوست *الدانماركي عن المغرب*، سنة 1179 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ ابن زيدان، الإتحاف، 3 : 262 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 58، وذيل، *الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ الوثائق الملكية ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 268 ؛ تاريخ الضعيف، ص. 195؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, 90.

مصطفى بوشعراء

الطرابلسي، أمجد بن **حسني** الدمشقي، شاعر وكاتب، وباحث ومحقق، وأستاذ جامعي ووزير، من أصل سوري. أقام بالمغرب إحدى وثلاثين سنة أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط. ولد بحي السريجة بالعاصمة السورية دمشق في 10 رجب 1334 الموافق 13 ماي 1916. كان والده ضابطا في الجيش العثماني، ثم ضابطا في الجيش الفيصلي، وأمه تنحدر من أسرة دمشقية تعرف بأسرة عمر باشا. وكان الحبة الأخيرة من عنقود الأسرة، كما يقال. فقدَ أمجد أمه سنة 1918. أي بعد سنتين من مولده، وفقد والده سنة 1925 ؛ فكفله جده. [وكان أول ما نشره، في مجلة الرسالة، أبريل 1934، وهو تلميذ في التعليم الثانوي قصيدة بعنوان : *خيال أمي غابْ*. تنظر في ديوانه : كان شاعراً، ص. 125].

وبالرغم من يُتمه المبكر، فقد نشأ أمجد في جو محافظ، مفعم بالرعاية والحنان، تسري فيه روح الدين الإسلامي الحنيف ؛ ممّا طبع شخصيته ونفسيته، وكان له بالغ الأثر في تربيته وتكوينه على مدى عمره. وكان والده ذواقة للأدب، حادَّ الذكاء، ملمّاً بالفرنسية والألمانية. ولعل روح هذا الوالد كان لها بعض الأثر على أمجد ؛ إن لم نقل الأثر العميق في ميوله الأدبية وحبه للكلمة.

بدأ تعليمه في كتاتيب دمشق، ثم بالمدارس الرسمية حيث أحرز على الشهادة الابتدائية ؛ فالتحق بعدها بـ"ثانوية عنبر" سنة 1927. وهي الثانوية التي كانت "تضم - كما قال عنها أمجد في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق - في عداد أساتذتها ثلاثة من فحول العربية كلهم أساتذتي، ولكل منهم عليَّ من الفضل ما لا يسعه عرفاني بالجميل، إثنان منهم كانا عضوين عاملين في المجمع، هما : عبد القادر المبارك وسليم الجندي، والثالث كان يشق طريقه إلى المجمع وهو محمد البَزَم. أعلام ثلاثة أحالوا المدرسة آنئذ إلى مجمع آخر بعلمهم الغزير ودروسهم الشيقة".

وظل قريبا من أستاذه محمد البَزَم مدة سنوات سبع، وقد تتلمذ له في الصفين السابع والثامن. وكان أستاذه هذا يلقبه بالنابغة، وهو بعدُ في السنة الثانية، "حتى أخذ رفاقي في الصف ينبزونني بهذه التسمية، بدلاً من تلك التي خصني بها أبواي"، كما جاء على لسان أمجد. فقد كان الأستاذ محمد البَزَم، يتحدث عن الطبع المتوقد لتلميذه أمجد، ويبدي إعجابه بنبوغه المبكر، وكان يجره جراً إلى قاعة الأساتذة ليقرأ في حضرتهم ما كتبه من إنشاء.

وكان يكافئه بين الفينة والأخرى، كما يكافئ كثيراً من زملائه، بأن يشتري له كتاباً، من أمهات كتب الأدب، ويضع عليه عبارة إهداء بخطه وإهدائه.

في هذه الثانوية العتيدة تفتقت عبقرية أمجد الطرابلسي، ومنها بزغت أسماء كثير من الأدباء والمصلحين في بلاد الشام.

من "ثانوية عنبر" هذه حصل أمجد على شهادة البكالوريا قسم الفلسفة سنة 1934، وهي سنة التي بدأ فيها ينشر شعره في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات ؛ وهو لا يزال بعدُ تليمذاً في المرحلة الثانوية. وأخذ اسمه منذ ذلك الحين طريقه إلى الأوساط الأدبية في العالم العربي.

كان عمره يناهز التاسع عشرة حين رحل إلى قرية "جبات الزيت" في الجنوب من بلاد الشام، مروراً بالقنيطرة، سنة 1935 ؛ ليكون معلما بها. وفي السنة الموالية انضم إلى صف المعلمين، وبعد حصوله على الشهادة فيه ؛ ندبته وزارة المعارف سنة 1937 لتدريس اللغة العربية في ثانوية الكلية العلمية الوطنية في دمشق. وكان زميله فيها المرحوم خليل مردم بك الرئيس الأسبق للمجمع العلمي العربي.

وفي أواخر سنة 1938 أوفدته الحكومة السورية إلى فرنسا على نفقتها للتخصص في الأدب، وذلك إثر نجاحه في مسابقة مُعَدَّة لذلك.

كان من المقرر أن يعود أمجد من رحلته الدراسية بعد ثلاث سنوات، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون عودته إلى وطنه، فعقد العزم على مواصلة البحث والدراسة، فهيأ ليسانس في الأدب سنة 1941، ثم دافع عن أطروحته للدكتوراه في اليوم السادس من يناير سنة 1945 بباريس، تحت إشراف المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (1900 - 1973). وخلال إقامته وغربته بباريس تزوج أمجد رفيقة دربه، السيدة الفاضلة : مونيك.

وعاد أمجد إلى وطنه ليعمل مدرسا في ثانوية التجهيز، وهي تحمل اليوم اسم "جودة الهاشمي" سنة 1945.

وفي سنة 1946، وبعد أن تم إنشاء كلية الآداب، جامعة دمشق، كان أمجد أول أستاذ يُعين بها لتدريس الأدب العربي، فبدأت رحلته المجيدة في تدريس التراث الأدبي، والنقدي، وترسيخ البحث في مجالات ذلك التراث. فكان من المؤسسين للتعليم الجامعي في بلاد الشام، وتميز أمجد في مساره العلمي بروح وطنية منقطعة النظير، وأبدى تفانيا في حب العربية وتراثها. وظل يدرس بكلية الآداب، جامعة دمشق إلى حدود سنة 1958.



وفي سنة 1958 تم الاتفاق على الوحدة بين سوريا ومصر، وفيها عيَّن الرئيس جمال عبد الناصر د. أمجد الطرابلسي وزيراً للتربية والتعليم في الإقليم السوري، ووزارة الثقافة مضافة إليها ؛ وكان ذلك في أول تعديل لحكومة الوحدة (24 ربيع الأول 1378 الموافق 7 تشرين الأول 1958). وأعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة في 5 ربيع 1381 الموافق 16 آب 1961 فتسلم د. أمجد الطرابلسي وزارة التعليم العالي في دولة الجمهورية العربية المتحدة.

وفي سنة 1960 صدر في الخامس عشر من يونيو قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بإنشاء مجمع اللغة العربية الموحد في إقليمي الجمهورية. وصدر قرار رئيس الجمهورية برقم (57) لسنة 1961 بتسمية كل من شكري فيصل ومحمد مبارك وأمجد الطرابلسي أعضاء في مجمع دمشق.

واستقال الأستاذ أمجد من وزارة التعليم العالي بتاريخ 1 جمادى الأولى 1381 الموافق 10 تشرين الأول 1961، وكان ذلك إثر استقالة الوزراء السوريين من حكومة الوحدة. وتبدَّد حلم الوحدة في 28 أيلول / سبتمبر 1961. واعتزل د. أمجد الطرابلسي العمل في هذا الميدان.

ومنذ أواخر سنة 1962 حل بأرض المغرب، وأقام الفترة الأولى من حياته بمدينة الدار البيضاء، ثم استقر بالرباط إلى يوم رحيله عن المغرب.

جاء الأستاذ أمجد إلى المغرب، وهو في أوج عطائه العلمي ؛ فوهب حياته وعلمه للتعليم الجامعي بالمغرب، وكانت الجامعة المغربية تتحسس حينئذ طريقها، فكان أحد الأعمدة التي قامت عليها. كرَّس حياته للبحث العلمي فيها، وأفنى حياته في تكوين أجيال من الباحثين المغاربة، وظل يدرس ويؤطّر بحوث الإجازة ودبلوم الدراسات العليا وأطروحات الدكتوراه إلى أن تقاعد سنة 1992. وقد درَّس في كل من الرباط وفاس (بكلية الآداب) ومراكش (كلية اللغة). وبقي بالمغرب سنة بعد تقاعده، ثم رحل إلى باريس في أكتوبر 1993 ليقضيَ بقية حياته بها.

كان الأستاذ أمجد من العقول المدبرة لمسار التعليم الجامعي بالمغرب، ومن المؤسسين لأكاديميته، والمتفانين في رعايته وتوجيهه، والعاملين على تحديد هويته. وشهد له الناس بالفضل لما أسداه من خير كثير للجامعة المغربية.

أحب الأستاذ أمجد بلاد المغرب، ووهب تعليمها الجامعي كل ما يملك من وقت وطاقة وعلم. وتعلق به طلبتها، وحل من نفوسهم مكانة خاصة جعلت منهم مريدين له.

وبعد انقطاع عن مجمع اللغة العربية بدمشق دام عشر سنوات، كان الاحتفال باستقبال الأستاذ أمجد سنة 1972 ؛ ومما قاله عن ارتباطه، منذ طفولته، بالمجمع : "كان لي هذا المجمع منذ تفتحت عيناي على أدب العرب، وتمرس لساني بلغة العرب ؛ وطناً في وطن، وأهلا إلى أهل. في "ظاهريته" تعلمت كيف أقرأ، وفي ندواته ومحاضراته كيف أفكر وأسمع. لا أذكر على وجه التحديد متى بدأ ترددي على قاعة الظاهرية ومحاضرات المجمع، فقد غاصت ذكرياتي عن كل هذا مع ما غاص في الماضي من خيالات الطفولة وصور

الصبا. ولربما تسرَّبْتُ إلى هذه المرابع وأنا تلميذ في (تطبيقات عنبر) أحبو إلى الحادية عشرة من سني".

ومما قاله د. شكري فيصل عن د. أمجد في حفل الاستقبال هذا:

"كان من هذا الجيل الذي يؤمن بالعمل فوق ما يؤمن بالنظر، والشعارات عنده لا تقوم مقام التطبيق، والأمنية لا تنقلب بالترداد واقعاً، والنصر ليس أنشودة.

كان من هذا الجيل الذي لا يوازن بين حق الوطن وحق المواطن؛ ولكنه يعطي الوطن قيمة صوفية عميقة مجردة؛ تتضاءل كل قيمة أخرى أن تطاولها، بله أن تقاسمها الوجود".

كيف كانت صورة أمجد في المغرب؟

ـ كان من الرموز الثقافية في الجامعة المغربية، منذ التحق بها سنة 1962. وظل خلال مدة إقامته بالمغرب الأستاذ النموذجي للأستاذ الجامعي.

ومن آثاره العلمية:

أولاً: في مجال تأليف الرجال:

كان رؤيته التعليمية أن يتولّى تكوين الأجيال وإعدادها، ويلتزم بتأليف الرجال لا بتأليف الكتب. وهكذا تخرجتْ على يديه في كل من سوريا والمغرب أجيال أصبحت لها مراكز كبرى في الإدارة والسياسة والتفتيش والتعليم الجامعي.

وقد كان الطلبة يوم قدومه إلى المغرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليد. فقرَّ عزمُه مع ثلة من علماء المغرب على إعداد باحثين مغاربة. وأغلب أساتذة هذه الجامعة اليوم هم من طلبة الأستاذ أمجد، أو هم من طلبة طلبته.

ثانياً: في مجال التحقيق وتأليف الكتب:

أ ـ في مجال التحقيق:

1) زجر *النابح لأبي العلاء المعري* (مقتطفات)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ط 1: 1385 / 1965 ـ ط 2: 1982 [وهو كتاب رد فيه أبو العلاء على من تكلموا على أبيات من لزوم ما لا يلزم، ورموه بسببها بالكفر؛ فألف هذا الكتاب للرد على الطاعنين في دينه. وقد أتيح للأستاذ أمجد العثور عليها في قسم المخطوطات بالمتحف البريطاني، لندن سنة 1954. وقال عن موضوع الكتاب ـ في مقدمة التحقيق ـ: "هو أحد التصانيف العلائية التي تكشف لنا عن الصراع الذي كان يدور في حياة أبي العلاء نفسه حول آثاره وآرائه ومسلكه في حياته وبين نفر من خصومه"، ص. 15 ـ ط].

2) *الصاهل والشاحج لأبي العلاء*، حققه في المغرب تلبية لرغبة مجمع اللغة العربية، الذي زوده بمخطوطتين ثمينتين؛ تضمهما الخزانة الملكية بالمغرب. وقبل أن يُخرج الكتاب محققا في سلسلة منشورات المجمع، بادرت د. عائشة بنت الشاطئ إلى إخراجه، وأصدرت تحقيقا باسمها؛ فتألم الأستاذ أمجد مما وقع. وظل تحقيق الأستاذ أمجد للكتاب مخطوطا، ولا يُعرف إلى اليوم المصير الذي آل إليه. ومن حسن الحظ أن الأستاذ أمجد كتب دراسة هامة حول "الصاهل والشاحج "نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1974، وتقع في ثمان وثلاثين صفحة.

ـ في مجال النقد الأدبي:

3) *النقد واللغة في رسالة الغفران* (دروس وحاضرات ألقاها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية بكلية الآداب، خلال العامين الدراسيين: 1949 ـ 1950 و1950 ـ 1951)، مطبوعات الجامعة السورية، دمشق، 1370 / 1951).

4) *نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة* [أطروحته للدولة تحت إشراف ريجيس بلاشير (1900 ـ 1973)، دافع عنها سنة 1945] (الطبعة الأولى بالفرنسية، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق التابع لجامعة الصربون، 1956 ـ ترجمها إلى العربية: د. إدريس بلمليح، ط 1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1993).

5) *شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين* (جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1957).

ب ـ في مجال دراسة المصادر:

6) *نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب* (خمس، طبعات، أولها بمطبعة الجامعة السورية 1956، وآخرها سنة 1986 بالمغرب).

جـ ـ في مجال الإبداع الشعري:

7) ديوان شعر، عنوانه: *كان شاعراً* (من مطبوعات المجلس القومي للثقافة العربية 1993، وقد أهدى ديوانه إلى زوجته فقال: إلى رفيقة الدرب منذ خمسين عاماً، أم أولادي، وجدة أحفادي، مونيك الحبيبة، زوجتي).

ملاحظة: ما نشره الأستاذ أمجد في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات، من أوائل سنة 1934 إلى أواخر 1940 يقدم ديوانا كبيراً لها.

ثالثاً: المقالات والمحاضرات:

له محاضرات ومقالات كثيرة نشرت في المجلات والدوريات، وما تزال موزعة في العالم العربي ولم يكتب لها الجمع. ومحاضراته تتوزعها عواصم الوطن العربي.

وفي يوم الأحد الثالث من شهر ذي القعدة 1421 الموافق ليوم 28 يناير 2001، انتقل إلى رحمة الله الأستاذ أمجد الطرابلسي، أستاذ الأجيال. وكان ذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد، ودفن بمقبرة كوربفوا (Courbevoie) بباريس يوم الأربعاء 31 يناير 2001، عن سن يناهز 84 سنة.

عباس أرحيلة

الطرابلسي، الرايس سالم من الرياس المشارقة ذوي الأصول الطرابلسية، والذين انخرطوا في صفوف الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبد الله. وقد بادر السلطان المذكور اعتباراً لأهمية الرايس سالم إلى إنشاء

سفينة عظيمة من أجمل القطع في أوراش مصب أبي رقراق سنة 1174 / 1760، من "طبقتين، وأنفق فيها مالا كثيراً.. ولما طلعت وأراد الخروج بها في البحر، ولم تقدر على الخروج لكبرها، أفرغ ما فيها وأخرجها بحيلة. وقد أنفق عليها نحو الأربعين قنطاراً أو أشد".

وقد تعرضت سفينته هذه في ذي الحجة سنة 1178 / 1765 إلى تهديد مباشر من طرف الأسطول الفرنسي المحاصر لمصب أبي رقراق، اضطر معها الرايس سالم إلى اللجوء بها وببقية السفن إلى داخل النهر قرب منارة حسان طيلة فترة الحصار والقصف. ونظراً لبراعته الملاحية، تبوأ الرايس سالم مرتبة رئيسية في الأسطول، وكان في سنة 1766 يقود فرقاطة من أكبر قطع الأسطول المغربي، مجهزة بأربعة وخمسين مدفعا، ويسير طاقما مكونا من ثلاثمائة وثلاثين رجلاً.

الضعيف، ص. 170 و172 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج.3 ، ص. 164 . 165 و256 و259 . 260، وأيضاً : Chenier, "*Journal*...", p. 103.

الطرابلسي، الرايس عميرة من الرياس المشارقة، طرابلسي الأصل كما يدل على ذلك لقبه، التحق بصفوف الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، عاملاً بمرسى تطوان ؛ وكان في سنة 1186 / 1772 يشرف على سفينة غليوطة صغيرة مجهزة بستة وعشرين مجذافا وبمدفعين ويشرف على طاقم مؤلف من خمسين رجلا.

Chenier, "*Journal*...", p. 125-127.

الطرابلسي، الرايس يوسف هو الآخر من الرياس الطرابلسيين أصلا، والملتحقين بصفوف البحرية المغربية على عهد سيدي محمد بن عبد الله منذ سنة 1178 / 1766، حيث باشر عمله على متن سفينة سنبك مجهزة باثني عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وعشرين رجلا، وارتفعت كفاءتها الهجومية سنتين بعد ذلك إلى أربع وعشرين قطعة مدفعية. وقد تلقى في تلك السنة ظهيراً سلطانيا، يحدد مهمته الملاحية هو والرايس قدور شايب عينو.

وواصل الرايس يوسف مهمته البحرية على متن غليوطة مجهزة بعشرة مدافع وبطاقم مؤلف من مائة رجل، سنة 1772 ؛ وكان في سنة 1784 يعمل انطلاقا من مرسى سلا تحت إشراف الرايس عبد الله العسري، حيث ذكر ضمن الرياس الذين استفادوا من إنعام السلطان في تلك الفترة، ويبدو أنه استقر نهائيا بمدينة سلا، وتزوج بها. كما شارك في سنة 1203 / 1789 تحت إمرة المبعوث الرسمي القائد محمد الزوين ضمن البعثة المغربية الموجهة بدعم عسكري إلى السلطان العثماني.

العسري، *كناش*، ص. 34 و39، والضعيف، ص. 19 . 96 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 259 . 260 و261 و362 . 363 ؛ أيضاً : Chenier, "*Journal*...", pp. 111-112 et 125-127.

حسن أميلي

الطرايفي، أسرة قديمة بفاس، كان لهم شهرة أيام المرينيين، ومنهم الوزير عبد الله الطرايفي الذي ينسب إليه منزه الطرايفي بحومة الزيات حتى الآن، وهو اليوم في ملك ورثة الشيخ عبد الله الفضيلي آتي الترجمة. وقد وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 951 فيها ذكر حسن بن رحو الطرايفي، وفي أخرى أن لأولاد الطرايفي جناناً خارج عجيسة.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 3.

محمد حجي

الطربوش لم يكن الذكور المغاربة، على عكس ما أصبح سائداً اليوم، يغادرون بيوتهم دون تغطية رؤوسهم أبداً إما بعمامة أو طاقية أو طربوش. ذلك أن ترك الرأس حاسراً كان يعتبر إخلالا بالآداب وخرقا للتقاليد. زيادة على أن تغطية الرأس كانت علامة من علامات الرجولة ومظهراً من مظاهر استكمال اللباس والزينة لدى الذكور، إلى درجة أن حاسر الرأس مثله مثل الشخص الأمرد كان يصعب تصنيفه مع الذكور.

والطربوش كلمة فارسية أصلها سربوش انتقلت من إيران إلى تركيا ثم إلى سائر البلدان العربية وتحولت سينها إلى طاء في معظم البلدان العربية الإسلامية في المشرق والمغرب.

وقد انطلق استعمال الطربوش في البلدان العربية من مصر على وجه الخصوص منذ عهد محمد علي باشا الذي سعى في إطار تطويره الامبراطورية الإسلامية التي كان يتوق إلى إحداثها وترسيخ أركانها عبر عدة إجراءات، إلى تحديث اللباس العسكري فعمل على تعويض عمائم الجنود بالطربوش. وقع ذلك بتداء من سنة 1823 وبقي استعمال الطربوش مقتصراً على الجنود إلى أن بادر ابنه إبراهيم باشا إلى ارتدائه فكان أول من باشر وضعه على رأسه. ولم يتأخر والده بدوره عن التخلي عن العمامة العريضة المستديرة الكبيرة وتعويضها بالطربوش فكان ذلك إيذانا ببداية انتشاره في صفوف الأعيان من المدنيين أولا ثم بين باقي سكان مصر والبلدان المجاورة لها فيما بعد. وبسبب تزايد الطلب على الطربوش أنشأ محمد علي مصنعا له بالقاهرة كان ينتج 720 وحدة في اليوم لتلبية حاجات الجنود والمدنيين على حد سواء (*Revue des études islamiques*, tome 34, fasc. 2, p. 206).

ومن مصر انتقلت صناعة الطربوش فيما بعد إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وبلاد الشام وتنوعت أحجامه وأشكاله وتعددت باختلاف الوظائف والبلدان، فكان منه النوع المصري والشامي والتونسي والمغربي. وهو وإن كان يصنع في جميع الأقطار المذكورة من صوف ملبد أحمر، فإن علوه وسطحه وأهدا به كانت تختلف من بلد إلى آخر فكان المصري هو الأعلى والأكثر هدبا والأقل تسطيحا وكان

التونسي هو الأقصر والأكثر ميلا إلى الاستدارة وكان المغربي في منزلة وسط بينهما.

وكان هذا الطربوش المغربي من عدة أنواع معظمها كان ينتج في مدينة فاس وهي التالية :

- طربوش الطاسة : ويسميه بعضهم أيضاً "الطربوش التونسي" لأن شبيها له ينتج في تونس، وهو بشكله المعروف الحالي غطاء الرأس التقليدي الذي يرتديه التونسيون مع زيهم التقليدي في العديد من المناسبات الوطنية والدينية. وهو يدعى في المغرب "طربوش الطاسة" لأنه يشبه في مظهره الآنية التي كان السقاء التقليدي يوزع الماء على الناس للشرب فيها في أسواق المدن والبوادي مما يعرف عند المغاربة بالطاسة. كما كان البعض الآخر يسميه "طربوش الشوشة" لوجود هدبة ناتئة من صوف ملبد أسود في أعلى قمته. من الناس أيضاً من كان يسميها البلوطة لأنها تشبه بلوطة في شكلها (انظر مادة الشاشية). وقد انتشر استعمال هذا الطربوش في عهد الحماية خاصة في صفوف الفئات الاجتماعية الوسطى من التجار والبحارة والحرفيين وغيرهم.

- الطربوش الفاسي : ويسميه المشارقة الطربوش المغربي لاختلافه عن مثيله السائد في بلدان المشرق العربي من حيث إنه أقل ارتفاعاً وأكثر تسطحا وأهدابه أقل سمكا وازدحاما وعدداً، لكن صوفه أكثر تلبيداً ودكا من المشرقي. وبما أن فاس كانت هي أكبر مركز لإنتاجه فإن المغاربة يسمونه "الطربوش الفاسي". وقد انتشر ارتداؤه في صفوف جيل الحركة الوطنية والجيل الجديد من الشباب والمتأنقين من مغاربة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن (20).

- الطربوش الطويل : وهو يختلف عن سابقيه في أنه لا يتخذ من صوف ملبد ولكن من قماش قطن أو كتان أو موبر أو صوف دقيق النسج. وتختلف ألوانه باختلاف الأشخاص وهو يشبه في مظهره الخارجي نصف قطعة بطيخ مفرغة من الوسط ينتشر انتشاراً واسعاً طربوش شبيه له لدى مسلمي الهند والباكستان وماليزيا وكذا أندونيسيا والبلدان المسلمة المجاورة لها، إلا أنه أقل اتساعا واكتنازاً منه. وقد شاع استعماله إلى جانب طربوش الطاسة والطربوش الفاسي في المغرب في صفوف الوطنيين ورجال المقاومة أيام الاستعمار فكان المغاربة يسمونه بسبب ذلك "الطربوش الوطني" أو "طربوش أولاد الوطن"، وهو نفس الطربوش الذي "كان يرتديه المرحوم الملك محمد الخامس" وهو "من الجوخ الأبيض أو السنجابي مرتفع قليلاً ويضغط وسطه العلوي إلى الأسفل بحيث يكون مقعراً.

- الشاشية : وهو طربوش من نفس لون ومصدر طربوش الطاسة لكنه مخروطي الشكل كان يرتديه المرتبطون بالوظائف المخزنية من المسلمين. وكان اليهود يستعملون نوعا خاصاً منه شبيها بطربوش الطاسة لكنه أصغر منه وأكثر التصاقا بقمة الرأس ولونه دائماً أسود. (انظر مادة الشاشية).

م. بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، 1984 ؛ علي طعمه، *المغرب تاريخه حضارته وحقيقته*، بيروت دون تاريخ، منشورات الهيثم للصحافة والطباعة والنشر.

F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris [s.d.] ; Bruno Barbey, Tahar Benjelloun, *Fès immobile, Fès immortelle*, Paris, 1996 ; R. Arie, *Notes sur le costume égyptien dans la première moitié du XIXe s*, in *R.E.I.*, tome 34, fasc. 2, Paris 1968 ; M. Jalade, *Mohamed ben Youssef tel que je l'ai vu*, Paris, 1956 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris 1984 ; J. Mercanton et B. Rouget, *Maroc, terre et ciel*, Lausanne 1954 ; K. Azoulay [et al.], *Essaouira, Mogador, parfums d'enfance*, Paris 1991.

محمد بوسلام

ابن **طربية، يونس** بن **سليمان** الجذامي يكنى أبا الوليد ويعرف بكنيته ابن طربية أو ابن طريحة. ولد بقصر كتامة من أسرة عربية أندلسية سكنت المدينة التي عرفت خلال القرن 6 هـ/ 12 م إقبال عدد من الأسر الأندلسية عليها من مختلف مدن غرب الأندلس بالخصوص. وقد عرفت المدينة بفضل هؤلاء الأندلسيين ازدهاراً علمياً تمثل في عدد من كان بها خلال القرنين 6 هـ و7 هـ من العلماء والصلحاء. وفي هذه البيئة العلمية النشيطة نشأ أبو الوليد بن طربية، فدرس على جلة من علماء قصر كتامة كقاضيها أبي محمد بن فليح الحضرمي. ثم رحل إلى الأندلس لاستكمال تكوينه العلمي، فأخذ عن مجموعة لا بأس بها من علمائها، منهم أبو محمد بن عبيد الله، وأبو الحسن نجبة بن يحيى، وأبوذر الخشني وأبو الحسن بن الصائغ وأبو القاسم الملاحي وأبو عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد الفهري وأبو عبد الله بن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول المترجم في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس، فحصل بذلك علما غزيراً جعل منه عالماً مرقوماً. ونظراً لما كانت عليه غرناطة آنئذ من تألق علمي، فقد اختار الإقامة بها. وكان تضلعه في العلم ومشاركته في غير ما فنّ، مع حظ من قرض الشعر سبباً في إقبال الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه، وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أخص تلاميذه الأندلسيين في هذه المرحلة أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز القرشي وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمر سعد بن خالص.

وفي حدود سنة 610 / 1213 أو بعدها بقليل غادر أبو الوليد بن طربية الأندلس متوجها إلى المشرق، فنزل بتونس وقتاً، وأقبل عليه فيها مجموعة من طلبة العلم. ثم شد الرحال قاصداً مدينة طرابلس التي حظي فيها بتقدير خاص اعترافا بعلو كعبه في العلم، فعين بها قاضياً. ومن المعروف أن خطة القضاء في ذلك العصر كانت من الخطط التي لا يليها إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والنزاهة وكرم الأخلاق.

لا تعيّن مصادر ترجمة ابن طربية المدة التي قضاها قاضيا بطرابلس، وعلى كل حال فقد قرر سنة 627 / 1229

مغادرتها متوجها نحو القاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها، وفيها أصبح أستاذاً بدار الحديث الكاملية خلفا لعالم أندلسي كان قد هاجر إلى مصر قبل أكثر من عقدين من السنين، هو أبو الخطاب ابن الجميل المعروف بابن دحية. وظل مترجمنامدرسا بهذه المدرسة إلى وفاته سنة 647 / 1249.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، (د. ت)، 4 : 230 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، 8 : 473 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، 1995، 5 : 304.

ابن **طربية**، **يونس** بن **يوسف** بن سليمان الجذامي، أبو الوليد المعروف بابن طربية أو ابن طربجة. من أهل قصر كتامة، وأصله من عرب الأندلس. ولا تتوفر معلومات عن نشأته وأسرته، طلب العلم بمدينته وتتلمذ على جلة من علمائها كأبي محمد بن فليح، ثم رحل إلى الأندلس لاستكمال دراسته، فأخذ عن مجموعة من علمائها كأبي محمد بن عبيد الله، وأبي الحسن نجبة بن يحيى، وأبي ذر الخشني، وأبي الحسن ابن الصائغ، وأبي القاسم الملاحي، وأبي عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله ابن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس. واستقر به المقام بمدينة غرناطة.

اشتهر ابن طربية بتضلعه في العلم ومشاركة في غير ما فن، فأقبل الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أبرز تلاميذه الأندلسيين أبو محمد عبد العزيز بن عبد القوي القرشي، وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمرو سعد بن خالص.

لاشك أن الظروف التي أعقبت معركة العقاب قد دفعت ابن طربية إلى مغادرة الأندلس والهجرة نحو المشرق بعد سنة 610 / 1213. وعلى عكس كثير من أهل المغرب والأندلس الذين كانوا يرحلون إلى المشرق في طلب العلم، فإن ابن طربية رحل وهو عالم متضلع، فكانت وجهته الأولى مدينة تونس التي سكن بها وقتا وأخذ عنه بها جماعة، ثم شد الرحال من جديد إلى المشرق فحل بمدينة طرابلس وسكنها مدة متوليا القضاء بها، ولاشك أن سمعته العلمية كانت قد سبقته إليها، حيث لم يكن يلي خطة القضاء خاصة بالمدن الكبرى إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والورع، وظل قاضيا بها إلى سنة 627 / 1230. ومنها توجه إلى مصر فحل بالقاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها أيضا، ولم يلبث أن أصبح أستاذا بدار الحديث الكاملية خلفا للعالم السبتي الشهير أبي الخطاب بن الجميل المعروف بابن دحية، والذي كان قد رحل إلى مصر سنوات قبل ذلك هربا من يعقوب المنصور الموحدي. واستمر ابن طربية أستاذا بهذه المدرسة إلى أن وافاه أجله سنة 641 / 1243.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، ج. 4، ص. 230 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج. 8، ص. 473 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، ج. 2، ص. 366.

محمد المغراوي

الطرجمان (أسرة) ← **الترجمان**

الطرّاح، نسبة إلى شخص مرتبط بالفران التقليدي وهي مهنة آيلة إلى الانقراض، والطراح نوعان : الطراح الداخلي الذي يعمل داخل الفرن كمساعد "للمعلم" وهو الشخص المكلف "ببيت النار" المشرف المباشر على "خبر" العجين وإنضاجه، وهو في نفس الوقت مكلف بتسلم العجين من الزبناء وتسليمهم الخبز بعد إنضاجه "خبزه" واستخلاص أجرة ذلك وتسليمها لصاحب الفران ؛ وتتلخص مهنته في معرفة الألواح التي تحمل العجين سواء كان خبزا أو حلويات "الوصلة" أو "اللاطة" فهو يعرف كل وصلة وأصحابها وما تحمله من خبز ونوع الخبز وعدده. وبعد تسلم العجين يركنه في رفوف داخل الفران وعليه أن يراقبه إلى أن يخمر وتبدأ عملية الطرح أي تقديم الألواح "لوصالي" إلى المعلم الذي يسحب منه العجين بمهارة ويأخذ الطراح الألواح ليرتبها جانبا وهكذا، وبعد اكتمال إنضاج الخبز تأتي عملية إعادته إلى الألواح الخشبية بالترتيب. فيطلب المعلم من الطراح أن يقلب الطرحة ويعني عددا معينا من "الوصلات". الطرحة الكبيرة تتكون من 12 وصلة والصغيرة من 16 أي أن ترتيب العجين داخل بيت النار عكس ترتيب الطراح للألواح، وأحيانا يطلب منه أن "يسقط وصلة أواثنتين" بمعنى أن يركنها جانبا لسبب أولآخر أو لعدم اكتمال نضج عجينتها، فالطراح هنا يجب أن يكون فطنا وذا ذاكرة قوية حتى يسهل مهمة "المعلم" إذ يجب عليه أن يعرف ما تحمله كل وصلة من خبز عددا ونوعا ويعرف أصحابها حتى يسلمها لهم عند طلبها ومعه تتميز به شخصية الطراح من فطنة وخدمة الزبناء ومعرفة البيوت، فإن المثل القائل "ظاهر لحيا على وجه الطراح" لا يبدو سلبيا سواء تعلق الأمر بالطراح الداخلي أو الخارجي الذي يختلف عمله عن الأول في كونه يطوف بدروب الحي وأزقته ويجمع ألواح العجين من أمام أبواب البيوت، وقد جاءت هذه المهمة لتعوض عادة تاريخية اختفت، ذلك أن ربات البيوت لم يكن يحملن العجين بأنفسهن إلى الفرن بل لم تكن تتعدين الباب فكل مار من الزقاق أو الدرب سواء كان طفلا أوشابا أو رجلا، وسواء كان من علية القوم من العلماء والأعيان أم من عامة الناس إلا ويحمل العجين إلى الفرن، ولا يقتصر عمل الطراح الخارجي على جمع العجين وإيصاله إلى الفران وإعادته بعد خبزه بل يساعد الطراح الداخلي في عمله في أوقات الازدحام وكثرة الطلب.

بحث ميداني ؛ شريط وثائقي عن : الطراح الدكالي في المدينة العتيقة بالرباط ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط 1956 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965.

محمد حجاج الطويل

ابن **الطرّاحة، إبراهيم**، اشتهر كمغنّ وموسيقي في عصر بني مرين. وتدل الأخبار القليلة التي ألمت بذكره على أنه كان معاصراً للسلطان أبي الحسن المريني، ومن بعده لابنه أبي عنان، وأنه كان في مجالسهما بمثابة كبير الموسيقيين المغنين وزعيم المزمزمين - وهم المسمعون بالمفهوم الحديث - يرأس حضورهما لمجالس *السماع* في حفلات المولد النبوي.

وقد وردت الإشارة إلى ابن الطراحة - عرضا - في كتاب *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن* لمحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني (الجد)، كما عرض لذكره ابن القاضي صاحب *الجذوة* عند ترجمته لمحمد بن عبد الرحمن المومناني الحسني، فنقل أن الحسين هذا اجتمع مع جماعة من أصحابه في مجلس ومعهم المغني إبراهيم ابن الطراحة فاقترح بعض الحاضرين على ابن الطراحة أن يغني لهم قول بشار بن برد :

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضْنَ عني بالعيون الفواتر
وكن إذا ابصرنَني أو سمعْن بي سعين يُغلِّقْنَ الكُوا بالمَحَاجر

وكان قد تقرر من عادة ابن الطراحة أنه لا يغني من الشعر ما انتهى إلى محمد بن يعقوب أو سمع منه ؛ وكان أبو يعقوب إذ ذاك في أول ظهوره معه، فقال ابن الطراحة لمقترح ذلك عليه : كلامكم عندي لا أرده والأمر ممثل ؛ فإن شئتم فاقترحوا على سيدنا أبي الحسين زيادة على البيتين، فأنشد بديهة :

فوا أسفا ولى الشباب وقدْ غدا ينافرني من كان بالأمس زائري
فلولا مشيبي ما أضعت مودتي ولا عاد محبوبي القريب منافري

محمد ابن شريفة، *مقدمته لكتاب إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، لمحمد البوعصامي، تح. عبد العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995، ص. ك و ل ؛ أحمد ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، القسم الأول، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص. 224 - 225.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطرّاف، اسم أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز التطواني، وقد عرفت بهذا الاسم لأن جل أفرادها كانوا يتعاطون حرفة الإسكافي المرقع للأحذية ؛ وإليهم تنسب زنقة الطرافين بالمدينة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1631.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرُّون، أسرة فاسية عريقة جاءت إلى فاس من القصر الكبير، وأصلهم من بني أمية من الأندلس، ذكرهم صاحب *بيوتات فاس الصغرى* ونقل عنه ذلك مؤلفا *إزالة الالتباس وزهر الآس*. واشتهر آل الطرون بتولي مناصب القضاء في عهد الوطاسيين، فكان عبد الرحمن بن محمد الطرون ذو اليد الطولى في العلوم، قاضياً بفاس الجديد، ثم عزل وخلّف ولديه الفقهيين أحمد ومحمد الطرون. كان أحمد كأبيه فقيهاً متمكناً بينما كان أخوه محمد تاجراً استنابه أخوه في الأحكام، "لأنهم كانوا يولون من كان غنياً وإن لم يكن من أهل العلم لينكف بماله عن أموال الناس والرشا".

الطرُّون، أحمد بن **عبد الرحمن** تولى قضاء فاس الجديد وكان أبيه، وكان على اتصال وثيق بالوطاسيين يناصرهم ويرى مع غيره من علماء المدينة عدم خلع بيعتهم، لذلك لقي محمد المهدي الشيخ عنتاً كبيراً في الدخول إلى فاس للمرة الثانية بعد تغلبه على أبي حسون الوطاسي وأشياعه من أتراك الجزائر، بسبب موقف علماء مدينة فاس منه ودعوتهم إلى التمسك ببيعة الوطاسيين. فلما تمكن محمد الشيخ من الدخول إلى المدينة يوم السبت 24 شوال عام 961 أمر بقتل القاضي أحمد الطرون وأخيه محمد كما قتل الفقيهين الكبيرين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : 28 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1300، 3 : 250 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 4 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. ع. الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1.

محمد حجي

طُرِّيرُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Torrero وTerrero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1097 / 1686.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 816.

محمد ابن عزوز حكيم

طرّيس أو **طوريس** (دي -) **ديِيكو** Diego de Torrés، كاتب إسباني ولد حوالي سنة 1526 بمدينة أموسا من بلاد كامبوس قشتالة. ولما أدرك الثامنة عشرة من عمره تاقت نفسه إلى السفر، فذهب إلى إشبيلية حيث مكث سنتين تعرف خلالهما على نبيل يدعى نيكولا نونيز الذي كان صهره الراهب فيرناند گوميز يعمل بالمغرب على افتداء الأسرى، بأمر من الملك "دم يوحنا"، فأقنعه بالذهاب إلى المغرب لمساعدة الراهب في مهمته على أمل أن يخلفه متى أصبح قادراً على ذلك رغم صغر سنه.

قبل دييگو دي طريس عرض نيكولا نونيز، ولو أنه أبدى بعض التحفظ أو التحسر، لأن عملا كهذا ليس من شأنه أن يدر عليه ما كان يحلم به - كشاب طموح - من غنى ورغد عيش. لكن يبدو أنه كانت تتجاذبه إلى ذلك نزعة دينية ورغبة في أن يخلع عليه الملك يوماً مّا مسوح الرهبنة مثلما خلعها على سلفه گوميز. وأخيراً أبحر من قادس في سفينة كراڤيل قاصداً مازيغن (الجديدة) فأسفي، ومن هناك توجه

إلى مراكش حاملا ما أتى به من بضائع. فدخلها يوم عيد القربان (أوائل شهر يونيو) من سنة 1546 / ربيع الثاني 953. حيث استقبله الراهب فيرناند گوميز، وسكن بجواره في دار أعدت له في الحي الخاص بالنصارى (الديوانة الكبيرة). وقدّمه إلى الشريف محمد المهدي الشيخ، الذي لم يكن في ذلك الوقت - حسب عبارة المترجم - مشتغلا إلا بسياسة مملكته، لا يتحدث عن محاربة أحد ما عدا حاكم الجديدة البرتغالي الذي كان يتحرش بسكان المناطق المجاورة ويغير على مسارحهم وحقولهم.

وأول واقعة حربية سمع بها دي طوريس وهو بمراكش وسجل بعض أحداثها عن مشاهدة هي المعركة الذي جرت حول أزمور بعد إغارة البرتغاليين على هذه المدينة وأسرهم فيها الشيخين عبد الله بن ساسي ومحمد الكوش (زاد المترجم وسيدي كانون) والكرة العنيفة التي قام بها فريق من جيش محمد المهدي الشيخ، فقضوا على الحامية البرتغالية بالجديدة بعد أن أثخنوا حاكمها جراحا وقتلوا ابنه وكبار ضباطه، وأسروا بعضهم. وهنا أخذ گوميز، بطلب من حاكم الجديدة، يفاوض الشريف في افتكاك الأسرى، فتطلب ذلك أموالا باهضة، اضطر معها كوميز إلى الذهاب إلى لشبونة لإحضار المال اللازم وإطلاق سراح المغاربة الذين أسروا في أزمور. لم يتمكن گوميز من إنجاز ما تعهد به في الأجل المحدد في ستة أشهر، الأمر الذي تسبب في مضايقات للمسيحيين المقيمين بمراكش، وبذلك لم يعد إلى المغرب على ما يبدو، فخلفه منذ ذلك الحين دييگو دي طريس وأصبح مكلفا بقضية فداء الأسرى المسيحيين.

مكث دييگو في المغرب مدة لا نعرف مداها بالتحديد، ولكنها قد تناهز ثلاثين سنة، إذ نجده يواصل أحاديثه المتسلسلة عن تحركات الشرفاء السعديين ونشاطهم السياسي والعسكري والاجتماعي والعمراني إلى ما بعد وفاة عبد الله الغالب (981 / 1574) إلاّ أنه لم يشر إلى عبور المتوكل إلى البرتغال وتطارحه على ملكها سبستيان، وبالتالي لم يتحدث عن معركة وادي المخازن، إلا إشارة عابرة وردت في ختام الكتاب وهو يخاطب ملك اسبانيا والبرتغال (فيليب الثاني) مقدما له كتابه هذا محرضا إياه على اكتساح المغرب مهوّنا أمره عليه، ومؤكدا عليه في نفس الوقت أن يعد للحملة عدتها مادام ملوك المغرب قد طوروا جيشهم وأسلحتهم وأخذوا يقاتلون أحسن "منذ مدة من الزمن". وعلق في الهامش على هذه المدة بأنها سنة 1578، أي سنة معركة وادي المخازن.

هكذا يكون دي طوريس غادر المغرب قبل سنة 984 / 1577 وألف كتابه *تاريخ الشرفاء Histoire des Cherifs* بعد مدة من معركة وادي المخازن ربما في العقد الأخير من القرن السادس عشر. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ديسكو دي طوريس نفسه، *تاريخ الشرفاء* الفصل 54 ؛ م. حجي وم. الأخضر، *تقديم الترجمة العربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

الطرّيس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث كانت تقطن مدينة طوريس Torres بإقليم جيان Jaén وكانت تحمل اسم البولو Polo وعندما هاجرت إلى المغرب واستقرت بتطوان حوالي سنة 979 (1572) وجدت بها أسر أندلسية أخرى تحمل اسم البولو اتخذت اسم البولو ذ الطريس Polo de Torres. ومع مر الأيام أصبحت تعرف باسم الطريس، ورمعنى الكلمة بالاسبانية البرج وهي من أنبل العائلات التطوانية.

ويبدو أن أفراد هذه الأسرة كانوا يشغلون مناصب إدارية في مدينتهم الأصلية بالأندلس حيث نجد أن جل من أتى منهم إلى المغرب أسندت إليهم وظائف مخزنية في الإدارة وفي الجمارك.

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ مخطوط Isidro de las Cagigas, Familias tetuanies de abalengo.

الطرّيس، الحاج أحمد بن **محمد** بن العربي بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني عين خليفة لوالده النائب السلطاني في الشؤون الخارجية بطنجة سنة 1310 / 1892. وفي شهر ماي 1902 بعثه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس السفارة التي مثلته في مراسيم تتويج الملك الإسباني ألفونصو الثالث عشر Alfonso XIII.



وعلى إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان عينه الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي العلوي أول باشا للمدينة في عهد الحماية يوم 4 جمادى الثانية 1331 / 11 ماي 1913.

وكانت إدارة الحماية تسند إليه رئاسة جل المجالس واللجان المشتركة التي أحدثت بالمنطقة من سنة 1913 إلى سنة 1920 ؛ وعندما أنشئ المجمع العلمي المغربي يوم 20 ديسمبر 1916 تم انتخاب الباشا الطريس رئيسا له ؛ وقد زاول منصب الباشوية إلى أن وافته المنية في 21 ربيع الأول 1339 / 3 ديسمبر 1920.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ ابن عزوز حكيم، سفارة الحاج أحمد الطريس بمدريد سنة 1902 (تحت الطبع).

الطريس، عبد الخالق بن **أحمد** بن محمد بن العربي، زعيم قاد الحركة الوطنية بشمال المغرب لمدة 24 سنة أي منذ استلامه مشعل الوطنية من يد أبي الحركة الحاج عبد السلام بنونة في سنة 1932 وعمره 22 سنة ؛ وكان شغله الشاغل العمل على المحافظة على الوحدة الترابية لوطنه المهدد بالانقسام بحكم الحماية المفروضة عليه سنة 1912 ؛ الأمر الذي جعله زعيم الوحدة بلا منازع.

ازداد بتطوان يوم 7 ماي 1910 وحفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه محمد بن مخوت ؛ وفي سنة 1925 التحق بالمدرسة الأهلية التي كان يديرها الفقيه محمد داود، وكان في نفس الوقت يحضر الدروس الفقهية التي كان يعقدها علماء المدينة في المساجد وبخاصة مسجد سيدي بركة بالسوق الفوقي.

وفي يوليوز 1927 توجه إلى فاس حيث التحق بجامع القرويين إلى غاية شهر سبتمبر 1928.

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة توجه إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف، ومنه انتقل في شهر مارس 1929 إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وكان من بين أساتذته طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وعبد الحميد العبادي الذين منحوه شهادة الكفاءة في الأدب والتاريخ.

وأثناء إقامته بالقاهرة إلى غاية شهر يونيو 1931 أنشأ مع زملائه الطلبة المغاربة المقيمين بمصر جمعية الدفاع عن القضية المغربية، وكان ينشر في الصحف المصرية مقالات ضد الظهير البربري كان يوقعها بالحرف ط. خ. ع. وكان أول مغربي وجه رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أثناء زيارته لمنطقة بلاده بالمغرب.

وعند وجوده بتطوان أثناء العطل الصيفية، كان يشارك في التحركات الأولية للحركة الوطنية بالشمال، مثل حفلة الاستقبال التي أقيمت على شرف الأمير شكيب أرسلان بتطوان في شهر غشت 1930، وكان من بين مؤسسي الهيأة الوطنية السرية الأولى يوم 5 سبتمبر 1930.

وفي شهر أكتوبر 1931 التحق بجامعة السربون الفرنسية وعين مستشارا بجمعية طلبة الشمال الإفريقي المسلمين بباريس ؛ غير أنه أرغم على العودة إلى مسقط رأسه بطلب من أعضاء الهيأة الوطنية الذين رأوا أن الحركة كانت بحاجة ماسة لكفاءة وحيوية الشاب الطريس لمواجهة السياسة المتبعة من لدن المقيم العام الإسباني لوبيث فيرير Lopez Ferrer الذي كان يمانع في تطبيق مطالب الأمة الموجهة إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بتاريخ فاتح ماي 1931.

وعاد الطريس إلى تطوان في أوائل شهر مارس 1932، وقد برهن على أنه كان أهلا للثقة التي وضعتها فيه رجال الحركة حيث لم تمر على وجوده بالمدينة سوى أسبوعين حتى تمكن من تأسيس يوم 23 مارس جمعية الطالب المغربية التي كانت الأولى من نوعها في مغرب الحماية ؛ وفي فاتح أبريل قام بإعادة تنظيم الهيأة الوطنية وجعلها تتكون من جماعة علانية وأخرى سرية ؛ والطريس هو الذي أدار المفاوضات التي أجرتها الهيأة مع المقيم العام حول كيفية تطبيق مطالب الأمة خلال شهري أبريل وماي من نفس السنة ؛ وبمعية الحاج عبد السلام بنونة كان من بين مؤسسي الجمعية الإسلامية الإسبانية التي أنشئت بمدريد يوم فاتح يونيو وكان الأمير شكيب أرسلان نائب رئيسها الوزير الإسباني رافولس Rafols.

ومن يوم 25 إلى 28 غشت من السنة المذكورة شارك في المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بعاصمة الجزائر.

وفي شهر أبريل 1933 زار الأمير شكيب أرسلان بجنيف ؛ وما إن عاد إلى تطوان حتى تقدم يوم 9 يوليوز بملتمس يحتوي على مطالب إضافية لمطالب الأمة ليوم فاتح ماي 1931.

وفي شهر يناير 1934 توجه إلى مدريد صحبة الحاج عبد السلام بنونة من أجل أن يسلم إلى رئيس الحكومة الإسبانية مذكرة تحتوي على مجموعة من الإجراءات التعسفية التي اتخذها المقيم العام ؛ وفي فاتح مارس أنشأ جريدة *الحياة* التي كانت أول جريدة وطنية عربية رأت النور في عهد الحماية بالمغرب.

ولتنفيذ خطته الرامية لتعميم التعليم الحر بالمنطقة أنشئت في 18 ماي 1934 لجنة وطنية تمكنت في ظرف وجيز من إنشاء خمس عشرة مدرسة حرة في كل من تطوان والقصر الكبير والعرائش وشفشاون وأصيلا ؛ والطريس هو الذي اهتم بتعليم الرجال في دروس ليلية أحدثت في المدارس المذكورة لأول مرة في الشمال ؛ وباقتراح منه أنشأت إدارة الحماية المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي أسندت رئاسته إلى العلامة أحمد الرهوني يوم 19 أكتوبر 1934.

وفي شهر غشت من نفس السنة أسس مع قيدوم الصحفيين الإسبان بالشمال الأديب رافايل ذي رودا Rafael de Roda النقابة الحرة للصحفيين المغاربة والإسبان.

وفي شهر أكتوبر 1934 عين مديرا عاما للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية، ونظم إدارتها على غرار النظام المصري، وخصص ميزانية من مداخيل الأحباس لمساعدة التعليم الديني وبخاصة الكتاتيب القرآنية.

وبطلب من الطريس وافقت إدارة الحماية على إحداث عيد العرش بالشمال واحتفل به لأول مرة بصفة رسمية يوم 18 نوفمبر 1934.

وعندما قدمت كتلة العمل الوطني بالجنوب مطالبها إلى السلطان والحكومة الفرنسية، أيدها الطريس بمذكرة موجهة إلى السلطان وببرقية إلى وزير خارجية فرنسا.

وبصفته مديرا للأحباس قام بإعادة بناء مدرسة لوقش وزودها بمكتبة تم جلبها من مصر. وكان يوم تدشين المدرسة في 7 أبريل 1935 يوما مشهودا في تاريخ تطوان. والطريس هو الذي فكر في إحداث عيد الكتاب العربي على غرار عيد

الكتاب الاسباني وقد تقدم باقتراحه إلى المقيم العام يوم 24 أبريل من السنة المذكورة ؛ كما أنه يعود إليه الفضل في تأسيس المعهد الحر للدراسة العربية الثانوية العصرية والذي تم تدشينه يوم 5 نوفمبر من نفس السنة.

وفي يوم 2 سبتمبر قدم استقالته من مديرية الأوقاف احتجاجا على مصادرة جريدة *"الحياة"*.

وفي منتصف شهر نوفمبر توجه الطريس إلى مدريد من أجل تقديم مذكرة احتجاج على السياسة المتبعة من إدارة الحماية ؛ وفي يوم 25 من الشهر المذكور ألقى محاضرة بالمجمع العلمي الإسباني حول العلاقات المغربية الإسبانية.

وبفضل انخراطه في سلك الماسونية شأنه في ذلك شأن جل العناصر الوطنية بالشمال تمكنت الحركة الوطنية من الحصول على منجزات عديدة لصالح المنطقة في كثير من الميادين تحققت بمساعدة العناصر الماسونية الإسبانية المتمركزة في عهد الجمهورية في الحكومة والإدارة والأحزاب والصحافة.

وعندما قام الجنرال فرانكو بالانقلاب التي أطاح بالجمهورية انطلاقا من شمال المغرب في شهر يوليوز 1936، لم يكن رجال الحركة الوطنية في ركاب المتمردين كما يزعم البعض اليوم دون الإتيان بأية حجة وثائقية تثبت ادعاءاتهم، بل لدينا من الوثائق تم نشرها في مجلة *"الوثائق الوطنية"* ما يثبت أن الطريس كان أول من فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره ومثل ذلك جرى لباقي العناصر البارزة في الحركة ؛ وهناك مراسلات من الطريس إلى الخليفة السلطاني وإلى المقيم العام الجنرال أورگاث Orgaz تشهد بأن الحركة الوطنية التزمت الحياد في النزاع القائم بين الإسبانيين وفي نفس الوقت عبرت عن معارضتها لإقحام الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية : الأمر الذي جعل المقيم العام يطالب بتقديمه أمام المحكمة العسكرية، غير أن الخليفة مولاي الحسن بن المهدي حال دون ذلك بتدخله لدى الجنرال فرانكو الذي أمر الكولونيل بيگبيدير Beigbeder بفتح باب المفاوضة مع الطريس. وكانت البادرة الأولى أن فرانكو وافق على انعقاد المؤتمر الثالث لطلبة بشمال إفريقيا المسلمين بتطوان من يوم 21 إلى 27 أكتوبر 1936 ؛ هذا المؤتمر الذي كان سينعقد بفاس من يوم 7 إلى 12 سبتمبر وحالت الإقامة الفرنسية دون ذلك.

وفي يوم 18 ديسمبر من نفس السنة تمكن الطريس من تأسيس حزب الإصلاح الوطني الذي ظل يرأسه لمدة عشرين سنة ؛ وللحصول على موافقة النظام الفرنكاوي على الحزب المذكور قبل الطريس منصب وزير الأوقاف في الحكومة الخليفية يوم 19 ديسمبر، غير أنه قدم استقالته منه سنة يوم 27 مارس 1937.

وفي سنة 1938 مثل الطريس أقطار المغرب العربي في المؤتمر البرلماني العربي للدفاع عن فلسطين الذي عقد بالقاهرة.

وفي سنة 1941 قام الطريس بمحاولة الحصول على مساعدة ألمانيا من أجل تحرير المغرب حيث توجه إلى برلين، وعند عودته بدأ يخطط لتنفيذ الخطة المتفق عليها وهي اكتساح وسط المغرب انطلاقا من شماله وصحرائه، غير أن موقف إيطاليا من المشروع حال دون تنفيذه، لأن موسوليني Mussolini كان يطالب بضم تونس والجزائر والمغرب إلى ممتلكات إيطاليا بعد انتصار المحور على الحلفاء ؛ والجدير بالذكر أن هذه المحاولة كانت سبب الحكم بالإعدام على الطريس غيابيا من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بمدينة Meaux يوم 17 يوليوز 1943.



وعلى إثر إنزال القوات الأمريكية بجنوب المغرب أنشأ الطريس مع الشيخ المكي الناصري الجبهة القومية للحركة الوطنية المغربية بتطوان يوم 18 ديسمبر 1942 ؛ وباسم هذه الجبهة تقدم الزعيمان يوم 14 فبراير 1943 بأول وثيقة للمطالبة باستقلال المغرب وجهت إلى قناصلة دول الحلفاء في كل من تطوان وطنجة ومدريد ولندن.

وعندما تأسست بمصر جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945 كان الطريس أول زعيم مغربي وجه إلى أمينها العام عزام باشا مذكرة بتاريخ فاتح أبريل يطالب فيها باهتمام الجامعة بالقضية المغربية ؛ ويعود الفضل إلى الطريس في موافقة الحكومة الاسبانية على أن يكون لشمال المغرب ممثل في اللجان الثقافية العربية ابتداء من سنة 1946.

وكان الطريس أول زعيم أخبره الملك محمد الخامس بأنه يعتزم القيام بزيارته التاريخية إلى طنجة، وذلك لكي تكون

مشاركة رعاياه بالمنطقة الشمالية مشاركة مكثفة تأكيدا للوحدة، وكذلك كان الأمر في شهر أبريل 1947.

وعلى إثر اللقاء السري الذي جرى بين جلالة الملك والطريس بدار المنبهي بطنجة، توجه الطريس إلى القاهرة في شهر ماي حيث قام بحملة واسعة للتنديد بالسياسة المتبعة من لدن النظام الفرنكاوي بالمنطقة ؛ الأمر الذي جعل المقيم العام الإسباني الجنرال ڤاريلا Varela يمنعه من العودة إلى مسقط رأسه، وكان ذلك سبب المظاهرات الدامية التي جرت بتطوان يوم 8 فبراير 1948 حيث استشهد 21 وجرح 232 وألقي القبض على 1214 من الوطنيين وعلى رأسهم أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني الذين نقلوا إلى سجن سبتة.

وعند حلول الذكرى الرابعة لزيارة الملك لطنجة شارك الطريس في التوقيع بالمدينة المذكورة على الميثاق الوطني ليوم 9 أبريل 1951 والذي كان يضم حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الوحدة المغربية ؛ وكان ذلك سبب محاكمة كل من الطريس والزعيم علال الفاسي والشيخ المكي الناصري بتهمة القيام بعمل من شأنه أن يخل بالأمن العام بالمنطقة الدولية.

وكان الطريس لاجئا بطنجة منذ سنة 1948 عندما اضطر النظام الفرنكاوي للسماح له بالعودة إلى تطوان لاستئناف نشاطه الوطني، وذلك للحيلولة دون أن يستمر المهدي بنونة رئيس مكتب حزب الإصلاح بنيويورك في حملته ضد السياسة الإسبانية بمنطقة الشمال في الوقت الذي كان فيه فرانكو يطالب بانضمام بلاده إلى هيأة الأمم المتحدة ؛ وقد قبل الطريس الاقتراح لأن الحالة في المنطقة السلطانية كانت تنذر بالانفجار بسبب توتر العلاقات بين القصر الملكي والإقامة الفرنسية، فكان من مصلحة البلاد أن يعود الوضع في الشمال إلى ما كان عليه من قبل، وعاد الطريس لتطوان يوم 10 فبراير 1952.

وعندما استفحل أمر المؤامرة المدبرة ضد العرش في جنوب المملكة، رأى الطريس أنه يجب على الشمال أن يجدد بيعته للملك الشرعي، وقد استجاب لندائه حل العلماء والشرفاء والأعيان في جميع أنحاء المنطقة. وقام العلامة أحمد الرهوني بتحرير وثيقة تجديد البيعة التي وقعها آلاف المواطنين وختمها الطريس بتوقيعه يوم 29 أبريل 1953 ؛ هذه الوثيقة غيرت مجرى التاريخ لأنه بموجبها ظل أكثر من مليون ونصف من سكان الشمال متشبثين ببيعتهم للملك محمد الخامس طيلة المدة التي قضاها بالمنفى.

وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسي على العرش في شخص الملك محمد الخامس يوم عرفة 20 غشت 1953 أصدر الطريس باسم حزبه بيانا ندد فيه بخرق الحكومة الفرنسية لمعاهدة الحماية التي التزمت فيها بالدفاع عن ملك المغرب وعن ولي عهده، وطالب بتدخل كل من الأمم المتحدة والجامعة العربية، كما دعا إلى عدم ذبح الأضحية وأن تكون خطبة الجمعة باسم الملك الشرعي في جميع مساجد المنطقة ؛ وفي نفس اليوم وجه إلى كل من المقيم العام الاسباني وإلى رئيس الدولة الاسبانية رسالتين يخبرهما فيها بأن سكان الشمال لا يريدون بالملك محمد الخامس بديلا ؛ وبناء على ذلك كان حزب الإصلاح الوطني هو وحده الذي ظل يدافع عن الملك الشرعي داخل الوطن. وكانت *"الأمة"* الجريدة الوحيدة التي تصدر بالمغرب وتفضح الأعمال الوحشية للاستعمار الفرنسي وتنشر إخبار الفدائيين. واستجابت حكومة مدريد لإدارة سكان الشمال فلم تعترف بابن عرفة لسببين : الأول لأنها لم تستشر من حكومة باريس فيما أقدمت عليه يوم 20 غشت لأن أمر الملك يخص أيضا منطقة حمايتها، والسبب الثاني هو أنها كانت تنوي استغلال الانفصام الذي وقع بين شمال المغرب وجنوبه لتحقيق هدفها الدفين الرامي إلى فصل الشمال عن الجسد المغربي حسب ما تقره الوثائق السرية التي نتوفر عليها.

وكان الطريس على بينة من المخطط الاسباني ورغم ذلك قبل منصب وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الخليفية الذي عرضه عليه المقيم العام الجنرال گارثيا ڤالينيو Garcia Valiño ؛ وظل الطريس في المنصب طيلة المدة التي قضاها الملك الشرعي في المنفى، غير أنه ما إن عاد جلالته إلى ملكه حتى قدم الطريس استقالته يوم 9 يناير 1956 ؛ الأمر الذي أفسد على الاستعمار الاسباني خطته وأصبح الطريس في خطر حيث أعدت عناصر حزب الفلانخى La Falange خطة للقضاء عليه، وقد اطلع عليها الطريس فما كان عليه إلا أن يفر إلى طنجة، وبعد أسبوعين من لجوئه لطنجة تم توحيد حزب الإصلاح الوطني مع حزب الاستقلال يوم 16 مارس.

واستمر بطنجة إلى أن استدعاه جلالة الملك فتوجه إلى الرباط حيث تم تعيينه يوم 19 يونيو أول سفير للمغرب بإسبانيا. وفي يوم 28 قدم أوراق اعتماده إلى الجنرال فرانكو ؛ وفي الغد عين رئيسا للوفد المغربي الذي كلف باستلام إدارة الشمال من يد السلطات الإسبانية.

وفي يوم 31 يوليوز عين سفيراً قيماً على إدارة الشمال إلى أن تم إدماجها في الإدارة المركزية في شهر يناير 1957 ؛ وفي يوم فاتح مارس عين سفيرا بمصر ولبنان وسوريا ؛ وهو الذي رفع العلم المغربي لأول مرة بمقر جامعة الدول العربية يوم فاتح أكتوبر 1958.

وفي فاتح سبتمبر 1960 عين وزيرا للعدل ؛ وعندما كان الملك محمد الخامس بجنيف وولي العهد مولاي الحسن بالولايات المتحدة الأمريكية تولى الطريس سلطات رئيس الدولة من يوم 16 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر 1960 ؛ وفي شهري نوفمبر وديسمبر من نفس السنة ترأس وفد المساعي الحميدة بعدد من دول القارة الأمريكية.

وعند وفاة الملك محمد الخامس كان الطريس هو الذي

حول عقد البيعة للملك الحسن الثاني في 10 رمضان 1380 / 26 فبراير 1961.

وفي يوم 8 مايو 1961 قدم استقالته من وزارة العدل لأسباب صحية؛ وفي يوم 12 يونيو عين سفيرا بالقاهرة للمرة الثانية ومنح وسام العرش من الدرجة الأولى.

وعاد الطريس من القاهرة في منتصف نوفمبر 1962 للمشاركة في حملة الاستفتاء على الدستور، كما شارك في الحملة الانتخابية التشريعية في شهر ماي 1963 وانتخب ممثلا عن مدينة تطوان بالبرلمان الأول وذلك إلى أن تم الإعلان عن حالة الاستثناء بالبلاد يوم 7 يونيو 1965.

وقد وافته المنية بطنجة يوم 27 ماي 1970 ودفن بضريح سيدي المنظري بتطوان في اليوم التالي.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان؛ ابن عزوز حكيم، *يوميات زعيم الوحدة*، جزآن، الرباط، 1990.1992؛ في ركاب زعيم الوحدة، ج. 1، تطوان، 1999؛ *نضال الطريس في ساحة الوحدة*، الرباط 1980.1985؛ من *مذكرات الزعيم*، ج. 1، الرباط 1982؛ *الطريس المفترى عليه*، تطوان 1987؛ *موقف الشمال من الاعتداء على العرش*، تطوان 1984؛ *وثائق تشهد*، جزآن، الرباط 1980.1981؛ *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج. 1، تطوان 1980؛ *أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة*، 4 أجزاء، الرباط 1987.1988.1895.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca, 1994.

الطرّيس، عبد الخالق بن **محمد** بن المهدي. فقيه تطواني حل محل والده في منصب أمين الديوانة لأول مرة بالعرائش سنة 1216 (1801) ثم بطنجة وتطوان في عهد السلطان مولاي سليمان، وذلك إلى غاية سنة 1236 (1821) حيث عاد إلى مسقط رأسه وبه وافته المنية في السنة التالية.

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*. Paris - Casablanca 1994.

الطرّيس، العربي بن **عبد الخالق** بن محمد بن المهدي، كان هذا الفقيه التطواني من أبرز أمناء المخزن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي كان يخصه بعطف بالغ حيث نجده يقول عنه في رسالته إلى باشا تطوان بتاريخ 13 محرم 1257 / 7 مارس 1841 مايلي: "قد خدم ونصح أصلحه الله ورضي عنه وبارك له في عمره وولده وماله وأقر عينه في الدارين، وقد أنعمنا عليه بألف مثقال... وذلك كله قليل في حقه فإنا لم نجد أنصح منه".

وفي يوم 4 شعبان 1258 / 10 سبتمبر 1842 عندما عينه السلطان أمينا بديوانة الصويرة من أجل إصلاح أمر مرساها نجد العاهل المذكور يقول في رسالة وجهها إلى باشا تطوان ما يلي: لم نر أحداً يضبط أمرها غير خديمنا الأمين الحاج العربي الطريس لما بلوناه من حزمه وضبطه، وقد كنا خاطبناه بذلك فامتنع فلم نردْ جبره، وقد تعين جبره اليوم، فبوصول كتابنا هذا إليك خاطبه بذلك ورغبه فيه حتى يجيب ولو جبراً، فإنا لم نجد عنه محيداً، وسهل له الأمر بأنا لا نطيل مكثه بها فوق سنة إن شاء الله ويتوجه لأهله يقيم فيهم الأربعة أشهر والخمسة. ويترك من يرضاه خليفة حتى يرجع لمحله، ولا يقبل منه عذرا في ذلك».

وقد امتثل الطريس أمر السلطان. وفي يوم 28 شعبان 1258 / 4 أكتوبر 1842 حل بمراكش ومنها التحق بالصويرة كأمين مرساها وعامل المدينة في آن واحد؛ وبها مكث إلى أن وافته المنية سنة 1270 (1854).

وتستنتج من كناشه الخاص أنه كان ينفق مالا كثيرا في شراء العبيد من أجل تحريرهم.

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان؛ قسم المخفوظات بالمكتبة العامة بتطوان.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Torres*, Paris, Casablanca, 1994.

الطريس، محمد بن **العربي** بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني قضى حياته في خدمة المخزن في عهد السلاطين سيدي محمد بن عبد الرحمن ومولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، فكان أول منصب أسند إليه كأمين مرتين سنة 1284 (1867) وفي يوم 21 ذي القعدة 1292 / 12 ديسمبر 1875 عين أمينا للمستفاد بالدار البيضاء ولم يظل فيه سنة كاملة حيث قدم استقالته منه يوم 28 شوال 1293 / 16 نوفمبر 1876؛ وأعيد تعيينه في نفس المنصب في رمضان 1294 / سبتمبر 1877 غير أنه قدم استقالته منه في شهر ربيع الأول 1295 / 19 مارس 1878.



وفي يوم 18 جمادى الثانية 1296 / 9 يونيو 1879 عين عاملا وأمينا للمستفاد بنفس المدينة؛ ومرة أخرى قدم الطريس استقالته من المنصبين في ربيع الأول 1300 / فبراير 1883؛ وفي السنة التالية أسندت إليه خلافة النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد بركاش بطنجة.

وفي سنة 1306 / 1888 ترأس السفارة التي بعثها السلطان مولاي الحسن الأول لتهنئة البابا ليون الثالث عشر

Léon XIII بمناسبة الذكرى الخمسينية لتربعه على كرسي الڤاتيكان.

والطريس هو الذي ترأس الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد يوم 15 يناير إلى يوم 7 أبريل من سنة 1906 ؛ وحيث إنه اعتبر القرارات التي اتخذتها الدول الأوربية في المؤتمر تدخلا في الشؤون الداخلية لوطنه فقد امتنع عن توقيع العقد النهائي الصادر عن المؤتمر.

ومن المعلوم أن الفترة التي تولى فيها الطريس المنصب الخطير المتمثل في النيابة عن السلطان في الشؤون الخارجية، كانت فترة خطيرة في تاريخ المغرب المعاصر حيث كثرت فيها المطالبة الأجنبية بأشياء كثيرة تتنافى مع السيادة المغربية، وكانت كل من فرنسا وإسبانيا تتدخل في الصحراء المغربية، وعمت الفوضى بسبب ظهور الفتان بوحمارة سنة 1902 ؛ وكانت زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة سنة 1905، وحوادث الدار البيضاء واحتلالها مع احتلال وجدة ؛ في هذه الفترة برهن الطريس عن كفاءته وحنكته السياسية والديبلوماسية العالية.

وتشهد آلاف الوثائق التي يضمها الأرشيف الذي تركه النائب الطريس على ما قام به من أعمال خطيرة واتخذ من مواقف حازمة دفاعا عن استقلال وسيادة ووحدة المغرب في الظروف الحرجة التي مرت بها البلاد في الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية تتكالب على المغرب وتعقد الصفقات السرية التي أدت إلى فرض الحماية عليه بعد وفاة النائب الطريس بأربع سنوات حيث إن وفاته كانت بطنجة يوم 16 شعبان 1326 / 13 سبتمبر 1908.

وبخصوص الأرشيف المذكور يجب أن نقول إنه لا صحة لما زعمه البعض من أنه يوجد في حوزة الحكومة الإسبانية، لأن الحقيقة هي أنه صار بعد وفاة النائب في حوزة ولده الباشا أحمد ثم أصبح في ملك حفيده الزعيم عبد الخالق الذي فوته إلى الحكومة الخليفية في عهد الحماية. وقد قمت بتنظيمه. وهذا الأرشيف يشكل اليوم قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان. وقد قام مؤرخ المملكة بتصوير جميع وثائقه التي توجد حاليا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان ؛ *أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان* ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان* ؛ ابن عزوز حكيم، *النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد بن العربي الطريس* (تحت الطبع).

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Tares*, Paris, Casablanca, 1994.

الطرّيس، محمد بن **المهدي** بن محمد. فقيه تطواني زاول منصب أمين الديوانة في كل من تطوان وطنجة والصويرة والدار البيضاء من سنة 1793 إلى سنة 1800 وكان يعمل بدار المخزن بمكناس حيث أصابه الطاعون ومات على إثره هناك سنة 1216 (1801).

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان*.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*. Paris - Casablanca 1994.

الطرّيس، المهدي بن **محمد**. كان هذا الفقيه أول فرد من أسرته التطوانية عين في سلك أمناء الديوانة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله من سنة 1770 إلى سنة 1790 حيث عين بديوانة طنجة ثم بالعرائش فسلا والرباط، وكان أمينا بمرسى الصويرة عندما تولى المهندس الفرنسي كورنو Cornut بناء تحصينات المدينة المذكورة، وقد وافته المنية بتطوان سنة 1206 (1792).

أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان*.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*. Paris - Casablanca, 1994.
محمد ابن عزوز حكيم

الطرز (البلدي)، ما كان المغاربة يقتصرون على تفصيل الملابس والأقمشة والأردية والمنتعلات والأحزمة والحقائب وغير ذلك مما يحتاجون إليه في مجال اللباس والغطاء والفراش بل يسعون كل حسب طاقته وقدرته إلى تجميلها وتأنيقها بما يضفي على الهندام الأناقة والرشاقة اللازمتين.

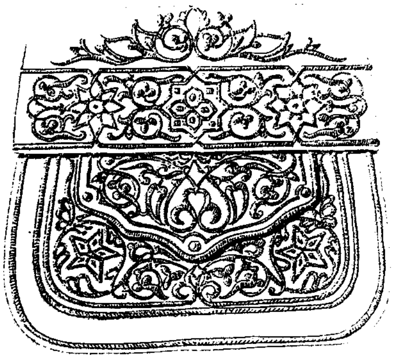
وكان هذا الهاجس حاضرا لدى أهل الحواضر أكثر من سكان البوادي ولدى الإناث أكثر من الذكور، فكانت العملية الأولى في تحضير اللباس تبدأ بالخياطة ثم يليها الطرز الذي يسمى أيضا "الرقيم" و"الرشيم" كما تسمى الطرازات "الرقامات" و"الرشامات". وكان الطرز المتداول في المغرب من أنواع متعددة أهمها "طرز الحساب" الذي يدعى أيضا "طرز الغرزة" و"طرز العلجة" أو "طرز العلوج"، وتشتهر بهما مدينة فاس، ثم طرز "الرّندا" الذي يسمى أيضا "طرز الشبكة" أو "الخنتليت" السائد في الرباط وسلا و"طرز البزدادا" و"طرز الكانبا" المنتشر في طنجة وتطوان وشفشاون زيادة على أنواع أخرى من غير ما ذكر توجد في أزمور وأسفي وغيرهما.

ولقد ازدهر الطرز في المدن المغربية العريقة التي وفد إليها المهاجرون من العواصم الكبرى في المشرق والمغرب الإسلامي كدمشق وبغداد وقرطبة وغيرها (لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ص. 280). وكانت هذه المدن المغربية هي فاس وتطوان والرباط وسلا ووجدة ومكناس والشاون وأزمور. وكان طرز فاس يحتل مرتبة الصدارة بين سائر المدن "بسبب دقة إنجازه وروعة أشكاله وتناسق ألوانه وتنوع أغراضه" (H. Terrasse, *Les arts décoratifs*, p. 99).

ولم يكن الطرز في المدن السالفة الذكر يمارس إلا في أوساط العائلات العريقة النازحة من الأندلس وبعض العائلات الأهلية المترفة، لكن نطاقه اتسع تدريجيا حتى ساد معظم الحواضر إلى حد أن جل النساء المغربيات أصبحن يعتبرنه من المبادئ الأساسية في تربية بناتهن. لذا كانت جل الأمهات الحضريات عندما تحتفلن ببلوغ بناتهم سن الرشد

تبادرن إلى وضع إبرة وكشتبان وخيط من حرير في أيديهن حتى يسهل عليهن تعلم فن الطرز. وكانت كثير من الأسر الحضريات "تأخذ بناتها منذ أول صيام لها إلى دار المعلمة الطرازة لتتعلم الطرز بالإبرة والحلقة تحت إشرافها" (G.S. Colin, *La vie marocaine*, p. 12).

وفي فاس كانت جل النساء تمارسن الطرز الذي كاد أن يتحول إلى حرفة نسوية قائمة بذاتها دون أن يكون لها كيان رسمي أو تنظيم حرفي علني لأنه كان ينجز كله داخل البيوت، فمنه كانت "تكسو الفتاة نفسها وتقتني صورتها [شورتها] وتشتري ما تحتاج إليه من حلي، كما [كانت] تستعين به الأم على مصاريفها الخاصة فلا تنتظر عطاء الرجل، وبواسطته أيضا تطرد الغنية الملل عن نفسها وتبين براعتها في الإبداع" (محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس*، ص. 39).



وكانت الماهرات من الطرازات معروفات بالاسم والسكنى في جل الحواضر لدى الحرفيين وسائر الناس ممن يحتاج إلى صنعتهن. وقد بلغ عدد الطرازات في فاس في بداية القرن 20 حسب أمين السرارين الحاج محمد السبتي 2500 معلمة متخصصة في الطرز بخيوط الذهب (الصقلي) و2000 معلمة في الطرز بخيوط الحرير (الصابرة). وفي الرباط كان المجتمع المحلي يعتبر الطرز أرقى ما يمكن أن تشتغل به النساء المحظيات والفتيات المصونات. أما في تطوان فكاد الطرز بخيوط الحرير أن يتحول إلى صناعة منزلية تمارسها جل التطوانيات وكان يشغل ألفا من العاملات من مجموع ساكنة تعدادها وصل إلى حوالي 25.000 (A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, p. 146).

وكان الطرز، الذي يُنجز إما على الثوب أو الجلد، يتم إما بخيوط الذهب أو خيوط الفضة أو خيوط النحاس أو خيوط الحرير. إلا أن الطرز الذي كان سائدا هو الطرز بخيوط الحرير.

- الطرز بخيوط الحرير : لم يكن الطرز بخيوط الحرير يقتصر على الثوب بدون الجلد ولا على أردية الإناث دون الذكور لكنه كان أكثر استعمالا في الأثواب وملابس الإناث. وكان أكثر ما يطرز في ملابس النساء هو السبنيات وأطواق الأعناق وأطراف الأرجل وحواشي الأكمام وأسافل الملابس الدفينة والتحتيات والشرابيل والخمر وأردية الحمام ومناديل الرؤوس. أما ما كان يطرز من ملابس الذكور فهو الأحزمة والحقائب ووعاء دليل الخيرات وسروج الخيل ولوازمها. وكان الطرز إما من النوع الخفيف الذي لا يغطي إلا أجزاء معلومة من الملبوس، مما كان في متناول السواد الأعظم من الناس، أو من النوع الثقيل الذي يبدأ من تغطية الأجزاء المعرضة إلى النظر لتشمل كل أجزاء الملبوس بأشكال مختلفة الوضع والترتيب، مما لم يكن في متناول غير الفئات المترفة.

- الطرز بخيوط الذهب والفضة : لم يكن الطرز بخيوط الذهب والفضة يتعدى نطاق نخبة النخبة من أهل المخزن والأعيان وكبار الأثرياء. وكان يقتصر على أحزمة الذكور والإناث (المضمات) ومنتعلات النساء وسروج الخيل الفارهة التي كان يمتطيها رجال المخزن والقواد والباشوات ومن في مرتبتهم في الأعياد والمناسبات. وكانت الأوضاع المادية المبسوطة لهؤلاء تسمح لهم بارتداء أقمصة وقفاطين منسوجة من حرير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة مما كان يسميه عامة الناس "المزردخان" أو "الخريب" في فاس و"حرير ما نقل عليه" في الرباط وسلا.



وكانت ترتبط بالطرز وتدور في فلكه مجموعة من الحرف نذكر منها على وجه الخصوص حرفة الحرارين وصناع خيوط الذهب والفضة والنحاس. وعليه فقد كان الطرز لا يستغني عن الحرارين والقطانين وصناع "خيط المجبود" أي ما يدعى عند عامة الناس "تاصقليت". وكان لا يمارس هذه الحرفة الأخيرة إلا فئة قليلة من الصناع المسلمين، أما معظمها فكان من اختصاص اليهود الذين أتقنوا صناعته وتفننوا فيها داخل أسوار الملاحات التي كانوا يقطنون بها (إلى جانب صناعة الحلي والمجوهرات). وقد أغدقت "مليخت الصقلي" هذه، أي صناعة الصقلي، على بعضهم أموالا طائلة رفعت آل الكوهن منهم في فاس على الخصوص إلى أعلى مراتب الثروة والجاه. وكانت أكبر أسواق خيوط الذهب والمعادن النفيسة في فاس توجد بجوار سوق الصرافين والصياغين، وفي الرباط إلى جانب السكاكين والسراجين. ومن بين أكبر السراجين المتعاملين مع اليهود والذين كانوا يوظفون أموالا

طائلة في شراء "سلك المجبود" لاستعماله في طرز الركائب والسروج لفائدة قواد وأعيان مختلف القبائل نذكر الحاج محمد السبتي ومحمد الشرايبي وإدريس السقاط الذين كانوا يدرجون ضمن كبار الأعيان والأثرياء في فاس.

وكانت أشكال الطرز وألوانه وأغراضه تقتبس من الواقع الحضاري الذي تعيش ضمنه الطرازات، وهويتميز بوفرة النماذج الموروثة أبا عن جد مما ينقل من مجال الهندسة المعمارية الإسلامية وعالم الأشجار والأزهار والورود. أما الاقتباس من عالم الحيوانات فكان قليلا إلى منعدم في الطرز المغربي، ما عدا في طرز أزمور حيث كانت الطرازات الأزموريات تمثلن تنانين خرافية وحيوانات خارجة عن سياق الحضارة الإسلامية التي من مرتكزاتها الأساسية "ألا ترسم المخلوقات حيوانية كانت أم بشرية" (محمد الشياظمي والحاجي السباعي، مدينة أزمور، ص. 56).

لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، د. ت. تحقيق أحمد مختار العبادي ؛ محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس*، تطوان، 1976 ؛ عبد الحنين المكناسي، *الطرز المغربي*، الرباط، 1985 ؛ محمد الشياظمي والحاجي السباعي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط، 1987.

P. Ricard, *Les broderies marocaines*, Alger, 1918 ; *Le souq el Marktan et les broderies de Fès*, *F.M.* ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux 1930 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; L.J. Nacivet, *Le filet brodé marocain*, in *F.M.*, n° 4 ; M. Guerard, *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc*, *Hesp.*, t. 8, 1967 et *Hesp.*, t. 9, 1968 et *Hesp.*, t. 10, 1969 ; *Musée des arts d'Afrique et d'Océanie : Broderies marocaines*, Tours 1991 ; A.M. Goichon, *La broderie au fil d'or à Fès*, *Hesp.*, t. 26, 1939 ; F. Alaoui, *Manuel de broderie marocaine classique*, Salé 1969 ; H. Gayot, *La broderie de Fès*, Rabat, 1959 ; *Etude sur la broderie de Meknès*, Rabat, 1956 ; *Etude documentaire sur la broderie de Salé Moderne*, Rabat, 1955 ; L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, vol. 37, 1er et 2e trim, 1950 ; J. Jouin, *Les thèmes décoratifs des broderies marocaines*, *Hesp.*, vol. 21, fasc. 1 et 2, 1935 ; P. Larrea, *El Bordado in Sidi Ifni*, *Archivo del instituto de estudios africanos*, Madrid, 1954 ; G. Matha, *Contribution à l'étude de la broderie au Maroc*, in *Hesp.* vol. 8, 1967 ; M. Vicaire, *La fabrication du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, vol. 24, 1er et 2e trim., 1937 ; J. Galloti, *Les métiers d'art au Maroc*, *F.M.*, n° 4 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris [s. l.] et [s. d.] ; J. Delanazière, *La décoration marocaine*, Paris, [s. l.] et [s. d.] ; A. Chenail, *Dessins d'arts marocains*, Rabat, 1930 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953.

محمد بوسلام

الطُّرطوشي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tortosa وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 813.

الطرف، رأس يقع بشاطئ قبيلة الحوز التطواني شمال مدينة مرتين ؛ ويعرف أيضاً باسم "الكرورة" وبرأس كدية الطيفور وقد أطلق عليه الإسبان اسم كابونيگرو Capo Negro أي الرأس الأسود.

Comision historica de las campañas de Marruecos. *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

الطَّرفاء، أو الطَّرْفة أو الطَّرَفَة أو الأثْل أو العريش بالعربية أو تَامّايْتْ أو أمّايْ بالأمازيغية أو تاماريسْ Tamaris بالفرنسية، أسماء لأنواع جنس تاماريكْسْ Tamarix الذي ينتمي إلى فصيلة الطَّرْفاوِيّات Tamaricaceae.

يمثل الجنس في المغرب بحوالي 10 أنواع طبيعية شجيرية باستثناء نوع واحد شجري. تتميز الأنواع بأوراقها الحرشفية، وأزهارها الصغيرة جدا والمجمّعة على شكل عناقيد. الأزهار مكونة من 4 أو 5 سبلات و4 أو5 بتلات و5 أسدية و3 كربلات.

أغلب الأنواع تعيش في المناطق الجافة لكن على ضفاف الأنهار والبحيرات والضايات والسبخات من سطح أتربة ذات فرشاة مائية جوفية قريبة بحيث تتفاوت درجات الملوحة حسب الأنواع. وتجدر الإشارة إلى أن الأوراق والأغصان الفتية تفرز على سطحها الكمية الزائدة من الملح تفاديا لظاهرة التسمم. مما يجعل الأوراق والأغصان تظهر مكسوة بتراكمات ملحية بيضاء اللون. وتعود هذه الظاهرة إلى أن أنواع الطرفاء التي تعيش في الأراضي المالحة تكون ملزمة بامتصاص الملح من التربة لتمكنها من امتصاص الكمية الكافية من الماء، ثم يفرز بعد ذلك الملك الزائد لتفادي أي تسمم.

لأنواع الطرفاء استعمالات عديدة، منها التي يستخدم خشبها، ومنها التي تستعمل في التطبيب التقليدي، ومنها التي لها منافع أخرى.

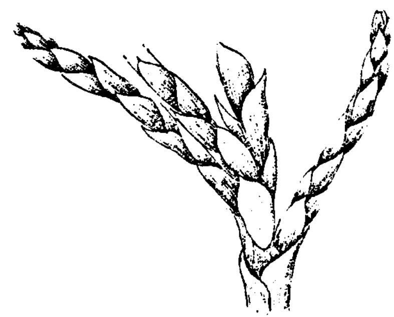
نظرا لصعوبة التمييز بين بعض أنواع الطرفاء، سوف لانتطرق إلا لأهمها :

- الأثْل أو لـثْل أو تَـلاّيَا أو الطرفاء الشجرية أو الطرفاء المفصلية أسماء عربية لنوع تَاماريكْسْ آرْتيكُولاتا Tamarix articulata أو الطرفاء عديمة الأوراق أو تَاماريكْسْ آفيلاّ Tamarix aphylla.

شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م، جميلة المنظر، ذات تاج مُتَهدِّل ولون أخضر فضي. قشرة جذعها مشققة. قشرة أغصانها سمراء اللون. أوراقها شبه منعدمة (الطرفاء عديمة الأوراق)، إذ لا تظهر إلا على شكل أغمدة اسطوانية محيطة بالأغصان، مما يعطيها مظهرا مفصليا (الطرفاء المفصلية). لون الأغمدة أخضر فضي. ازهراراتها على شكل سنابل مُجمّعة في عُثكُول غير كثيف. تتركب الزهرة من 5 سبلات و5 بتلات و5 أسدية وقَلَم واحد حامل 3 مياسم. ثمارها علبية ذات شكل هرمي، وحجم صغير جدا لا يتعدى 3 مم.

يعيش النوع طبيعيا على ضفاف الأنهار والسواقي والضايات، في المناطق الجافة والصحراوية الموجودة ما بين المحيط الأطلسي غربا وبلاد الهند شرقا. يحبذ الأتربة الطميية والطينية. ولهذا لا يصادف النوع طبيعيا في المغرب إلا في جنوب البلاد حيث ينظم تشكيلات تكون أحيانا كثيفة جداً ولا سيما طول وادي درعة ووادي زيزْ ووادي غُريسْ وروافد هذه الأنهار. لكن الإنسان غرس هذه الشجرة منذ أقدم العصور، فساعدها كثيرا في الانتشار في مجالاتها الطبيعية وخارجها وذلك لأجل أغراض عديدة.

يعتبر الأثْل الشجرة الوحيدة من هذا الجنس التي تعطي خشب النجارة والأثاث بكمية لا يستهان بها في المناطق الصحراوية، وذا جودة رفيعة. ففي هذا الشأن، يقال إن منبر النبي محمد (ص)، قد يكون صنع من خشب الطرفاء الشرقية Tamarix orientalis التي يعتبرها بعض الباحثين من نفس النوع المدروس هنا وهو الأثل المفصلي.



إضافة إلى هذا، يستخدم خشب النوع في صنع ركائز الخيام والسروج المحمولة على الجمال، وبعض الأواني وغير ذلك. كما يحرق خشب النوع كوقود أو يستعمل في صناعة الفحم أو القطران. كما استعمل في تكوين مصدات الرياح أو للتزيين في الحدائق أو طول الطرق.

وفي بداية السبعينيات من القرن العشرين ميلادي شرع في استخدام الأثْل من طرف مصالح المياه والغابات في عملية تثبيت الكثبان الرملية الصحراوية التي تهدد في زحفها مساكن ومزروعات أهالي الواحات.

ومن أهم الاستعمالات الأخرى تلك التي تخص ما يسمى العفْصة البلدية بالعربية أو تَاكَاوْتْ بالأمازيغية. وتَاكَاوْتْ ليست تِيكّيوْت التي هي الدغموس (انظر الدغموس)، بل تضخم يظهر على بعض أغصان الأثل وينتج عن بعض الطفيليات الحيوانية. يتراوح حجم العفصة ما بين حبة جلبان وحبة جوز. تستخدم العفصة في الدباغة والصباغة وتلوين الشعر الأشيب باللون الأسود. وأشهر المناطق المنتجة لأجود مادة من العفصة هي تافلالت وغريس وأغمات. وهكذا اشتهر الجلد الفلالي والأغماتي، وكانت كميات كبيرة من العفصة تصدر من هذه المناطق إلى فاس ومراكش والجزائر وليبيا وأوربا حيث كان قسط من هذه المادة يستخدم لصناعة الحبر، مما حفز سكان المناطق المنتجة على غرس الأثل على طول السواقي لتلبية الطلب المتزايد للعفصة.

تستخدم العفصة أيضا وحدها أو مخلوطة مع أوراق وحسب الأثل أو الشب في عدة مجالات كالوشم أو في التطبيب التقليدي مثل معالجة أمراض الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي والسل والجدري وكذلك للإجهاض وغير ذلك.

وبفضل هذه الفوائد الجمة فقد ذكر الأثل والعفصة لدى الأطباء العرب مثل ابن البيطار وعبد الرزاق والوزير الغساسي الذي يخبرنا أن هذه المادة كانت تستعمل في صناعة الحبر.

ـ الطرفاء الفرنسية أو الطرفاء الكنارية أو علميا تَامَاريكْسْ كَالّيكَا Tamarix gallica أو تَامَاريكْسْ كَانَارِيينْزِيسْ Tamarix canariensis : شجيرة يتراوح علوها ما بين 2 و6 م. أغصانها رقيقة وذات لون يميل إلى الحمرة. أوراقها ذات لون أخضر يميل إلى الزرقة، صغيرة جدا، وذات قاعدة موسعة، بيضوية إلى رمحية الشكل. أزهارها مجمعة في سنابل محمولة في طرف الأغصان الفتية الحولية، وذات لون وردي أو أبيض.

يصادف النوع في المنطقة المتوسطية والجزر المجاورة لها، والصحراء الشمالية والوسطى. أما في المغرب فإنه يوجد في جل أنحائه ما عدا الجبال العالية. يعيش على ضفاف الوديان والبحيرات والضايات التي تكون مياهها عذبة أو قليلة الملوحة.

يستعمل النوع كنبات زينة نظرا لجمال أزهاره، وكذلك في تثبيت الكثبان الرملية ذات فرشاة مائية جوفية قريبة من السطح. كما يستخدم في التطبيب التقليدي.

ـ الطرفاء الإفريقية أو تَامَاريكْسْ آفْريكَانَا Tamarix africana : شجرة أوشجيرة يتراوح علوها ما بين 3 و5 م. تتميز بأوراقها ذات الحواف الشّفّافة وأزهارها كبيرة الحجم نسبيا والتي تظهر قبل الأوراق وعلى الأغصان المعمرة، وبلون أبيض.

الموطن الأصلي للنوع هو الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية حيث يعيش على الضفاف الصخرية والحجرية للأنهار.

استعمالات النوع قليلة جدا مقارنة مع النوعين السابقين.

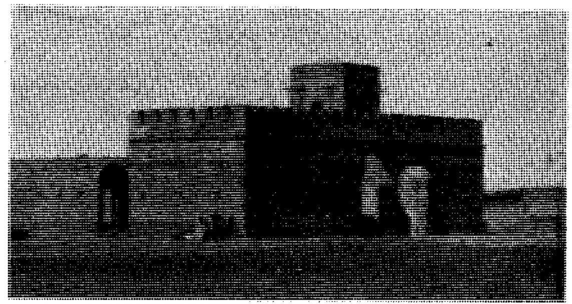
A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, Rabat, 2000 ; J.Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

طرفاية (مدينة) تقع مدينة طرفاية على الساحل الأطلنتي على بعد 213 كلم جنوب غرب مدينة طان طان

وعلى بعد 100 كلم شمال مدينة العيون، تبلغ مساحة مدارها الحضري حوالي 25 كلم2 يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلنتي ومن الجنوب والشرق جماعة الطاح القروية.

تطورت مدينة طرفاية عند رأس جوبي حيث أنشأ بها مستكشف انجليزي عند نهاية القرن التاسع عشر 1882 قلعة تعرف إلى يومنا هذا باسم كازامار (دار البحر)، وقد احتلها الإسبان سنة 1916 وتم استرجاعها إلى حظيرة الوطن سنة 1958. غير أن الفضل في شهرة طرفاية يعود إلى الطيار الفرنسي سان إكزوبري الذي ذكرها في كتاباته (بريد الجنوب) خصوصاً وأنها كانت محطة مهمة للطائرات ونقطة ربط داخل خط البريد الجوي الذي فتح سنة 1925 للربط بين الدار البيضاء وسان لويس بالسنيغال.



وتعتبر سنة 1975 منعطفا مهما في تاريخ المدينة وذات دلالة رمزية حيث شكلت نقطة تجمع واستقبال المتطوعين المشاركين في المسيرة الخضراء المنحدرين من مختلف أنحاء الوطن، ومنها أعطيت انطلاقة عبور هذه المسيرة نحو الأقاليم الصحراوية الجنوبية التي ظلت تحتلها إسبانيا منذ أمد بعيد.

كانت المدينة تشكل عاصمة إقليم طرفاية، لكن بعد استرجاع الأراضي الصحراوية الجنوبية تم إلحاقها بإقليم العيون لتشكل مركزاً لجماعة قروية تابعة لدائرة الداورة. وعلى إثر التقسيم الإداري الذي شهده المغرب سنة 1992 رقي مركز طرفاية إلى بلدية تنتمي إلى إقليم العيون التابع بدوره لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وتعتبر طرفاية في نفس عاصمة لدائرة طرفاية المشكلة من أربع جماعات قروية هي : اخفنير، الداورة، الطاح، الحكونية.

إن عدد سكان طرفاية حالياً (سنة 2002)، بالاعتماد على نسبة النمو السنوي المسجلة بين سنتي 1971 و1994 (6,3٪) لا يقل عن 6700 نسمة. وبذلك تكون هذه المدينة قد سجلت نفس وتيرة النمو القوية التي عرفتها باقي المدن الصحراوية المغربية. وهكذا فقد انتقل عدد سكان طرفاية من 1104 فرد سنة 1971 إلى 2909 سنة 1982 ثم 4506 سنة 1994.

ولم يكن هذا التطور ممكنا دون المجهودات التي سجلتها المدينة على مستوى خلق البنيات التحتية المتمثلة بالخصوص في ميناء طرفاية الذي يعد أهم محرك لعجلة التنمية والمتنفس الاقتصادي لمدينة طرفاية. فقد أصبح يكتسي بعدا جهويا اذ يعد ثاني ميناء بالجهة بعد ميناء المرسى. فبعدما لم يكن يشكل في الستينيات سوى مرفأ صغير تحتمي فيه قوارب الصيد التقليدية من لجة المحيط الأطلنتي العالية، فقد أصبح اليوم يشكل مع الملحقات والوحدات الصناعية التابعة له أهم قطب اقتصادي بالمدينة.

شيد هذا الميناء سنة 1982 على مساحة 39,6 هكتارا يغطي فيها الحوض البحري مساحة 17 هكتارا، ويبلغ طول حواجزه 1720 متر، أما طول الأرصفة فيصل إلى 214 متر. ونشاط هذا الميناء موجه بالأساس إلى الصيد البحري وتصدير الرمال والملح. وتجدر الإشارة إلا أنه يحتل مكانة رائدة في ميدان صيد السردين وذلك نظراً لانفتاحه على المصايد الأطلنتية الغنية المرتبطة بتردد التيار البحري البارد الذي يمر من سواحل طرفاية والمعروف باسم الكناري غير أن هذا النشاط يعرف نوعا من عدم الانتظام ويعاني نوعا من ضعف التطور بسبب غياب بعض التجهيزات الأساسية داخل الميناء مثل الماء الشروب، وشبكة التطهير، وعدم ربط المركز بالشبكة الوطنية لتوزيع الطاقة الكهربائية. فالمركز يعتمد على محطة حرارية صغيرة لتوليد التيار الكهربائي.

إن مشكل الماء الشروب لا يقتصر على الميناء فحسب بل تعانيه المدينة بشكل عام بسبب ضعف الموارد المائية المحلية، ويعتمد في تزويد المدينة بالماء الشروب على تحلية المياه الجوفية بحجم لا يتجاوز 800 متر مكعب في اليوم. لكن أهم العوامل المعرقلة لنمو المدينة والتي لا تهدد مستقبل الميناء فحسب بل المدينة ككل يتمثل بشكل أساسي في ظاهرة زحف الرمال. إن موقع طرفاية الجنوبي الصحراوي المتميز بالتردد القوي للرياح، وشكل وطريقة رسم ساحلها تجلعها تعرف تعرية ريحية جد نشيطة تتجسد في تكوين وتحريك الكثبان الرملية التي تشكل عائقا حقيقيا أمام تنمية المدينة والمجال المحيط بها، فالكثبان الرملية تتسبب في خلق متاعب يومية للسكان، وتؤدي إلى دفن التجهيزات مثل الطرق وعرقلة السير العادي للميناء الذي يتعرض حوضه للطمر المتواصل. ومصدر هذه الرمال هو تفتت القشرة الصخرية الكلسية المكونة للصخر الأم على طول الساحل، هذه الفتاتات الرملية تلقي بها التيارات البحرية فوق الشواطئ لتحملها الرياح التجارية (الأليزي) الآتية من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية إلى داخل المدينة.

وللحد من مشكل الترمل اتخذت بعض التدابير في إنشاء سور واقٍ في التسعينيات لحماية المدينة، إلا أن هذا الحاجز أصبح دون جدوى الآن أمام تعاظم ظاهرة زحف الرمال، وتعد فكرة انشاء حزام اخضر على شكل غابة الحل الأنجع لتثبيت الحقول الرملية. إلا أن تدبير مشكل الترمل يبقى صعبا ومعقدا ورهينا بالإمكانيات المادية والبشرية المهمة التي تفتقر إليها المدينة.

عبد اللطيف رمان

طرق موريطانيا الطنجية، تعتبر الطرق في عهد الاحتلال الروماني، وسيلة لانتقال الإنسان بثقافته وتجاربه ومنتوجاته، وقد استعملتها الدول لنقل جيوشها قصد توسيع نفوذها. ومن هذه الدول روما التي لجأت إلى إنشاء الطرق ومدها لتيسير تغلغل احتلالها واستغلال خيرات البلدان المحتلة. لذلك فروما نظمت الطرق وأنشأت الجسور والقناطر ووضعت العلامات الميلية عليها قصد معرفة المسافة وتسهيل نقل الجيوش والبضائع.

وإذا كانت روما قد اهتمت بطرق الولايات في باقي أنحاء الامبراطورية الرومانية، فإن طرق موريطانيا الطنجية كانت أقل تنظيما وجودة من طرق إيطاليا وإسبانيا إذ أن جلها غير مبلط وبدون علامات الأميال. وقد كان للعلامة الميلية أهمية خاصة في الطرق، إذ أنها تسجل المسافات على طول الطرق الرومانية. وقد سميت بالميلية لأن وحدة قياس المسافات كانت الميل الذي يساوي 1،55065 كلم. وكانت المسافة في إيطاليا مقاسة انطلاقا من روما، وفي الولايات انطلاقا من عواصمها.

ونظراً لغياب العلامات الميلية والتبليط في طرق موريطانيا يمكن اعتبارها مجموعة من المسالك التي كانت مطروقة منذ القديم من طرف السكان الأصليين، واستمر الرومان في استعمالها خلال فترة حكمهم بعد أن أدخلت عليها بعض التحسينات وأضيفت إليها بعض القناطر على الأودية والمجاري المائية.

وكانت شبكة موريطانيا الطنجية تتكون من قسمين :

أ ـ طريق يمكن أن نسميها إلى حد ما ساحلية.

ب ـ طريق أخرى داخلية، ويوجد على رأس هذين الطريقين طنجيس.

أ. الطريق الساحلية : يبلغ طولها 175 ميلاً تنطلق من طنجيس، وتتجه إلى زيليس عبر أدمير كوري ثم تتجه نحو طابيرني وليكسوس. وعند الخروج من ليكسوس تبتعد الطريق عن الساحل وتمر بفريجيدي ثم تتجه إلى بناسا على الضفة اليسرى لنهر سبو، ثم تسير محاذية لنهر سبو إلى تموسيدا. وما بين تموسيدا وسلا تمر الطريق بغابة المعمورة مع تفادي المستنقعات الموجودة على ضفاف نهر سبو، ومن سلا إلى أدمير كورسيوس (خريطة رقم 1).

ب ـ الطريق الداخلية : طولها 148 ميلا تنفصل عن الطريق الساحلية بعد 18 ميلا جنوب طنجيس عند محطة أدمير كوري التي لا تزال آثارها ظاهرة للعيان. ومنه إلى وادي لكوس عند أوبيدم نوفوم عبر أدنوفاص. ثم تستمر الطريق في اتجاهها نحو الجنوب إلى تريمولي ثم فوسبيتشيانس، ومن هذا إلى جليدا، ثم العين الكبريتية، أكودا كيكاي. ثم تتجه إلى وليلي التي تعتبر أهم قاعدة للاحتلال الروماني في الداخل، ومنها إلى المحطة النهائية في هذه الطريق وهي طوكولوسيدا. كما كان هناك اتصال بري بين وليلي وسلا عبر طوكولوسيدا، وبين طوكولوسيدا وتموسيدا عبر ألبيوم (الخريطة رقم 2). وبالإضافة إلى هذين الطريقين الرئيسيين كانت هناك بعض الطرق الفرعية. وهذه الطرق، أو على الأصح محطاتها، ذكرت من طرف عدد من المهتمين، وخاصة عند مسالك أنطونين، منها بابا، وتمودا. فهل كانت هناك طريق تربط هذين الموقعين، أم أن الاتصال بهذين الموقعين كان يتم بواسطة طرق فرعية تنطلق من الطرق السابقة ؟ بالنسبة لتمودا مثلا من المعروف عنها أنها كانت ترتبط بطنجيس عبر البنيان، وأما بالنسبة لبابا فليس من المستبعد أن تكون هناك طريق تربطها بأوبيدوم نوفوم من جهة، وبتريمولي من جهة ثانية، وربما بفوسبتيشيانيس (الخريطة رقم 1).

ولكن ألا يمكن الحديث عن طريق آخر يمر بوادي ورغة ويوصل بالبحر الأبيض المتوسط ؟ هذا الطريق الذي كان مع ذلك معروفا بغناه كما يذكر البكري. ويتم الوصول إلى البحر بعبور جبال الريف عن طريق روافد ورغة والاتصال بنهر غيس. وليس من المستبعد أيضا أن يكون هناك طريق آخر يمر بوادي اللبان شمال إيناون، يمكن من الوصول إلى مليلية بعد عبور وادي مسون. ولم يعر أحد أي اهتمام لهذه الطرق نظرا لاستحواذ ممر تازة على كل الاهتمام واستعمال إيناون من طرف طرق المواصلات العصرية، بالإضافة إلى اكتشاف آثار رومانية في بوحلو. وهذا الموقع الذي يوجد بعيدا في اتجاه الشرق ويبعد عن وليلي بحوالي 130 ميلا، كيف كان الاتصال بينه وبين وليلي ؟ هل كان هناك طريق يجمع بينهما ثم يمتد عبر ممر تازة إلى موريطانيا القيصرية أم أن الاتصال بينهما كان يتم بواسطة قوافل عسكرية فقط ؟ على كل، هذا تساؤل يصعب الإجابة عليه الآن مادام مشكل الاتصال بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية مطروحا للمناقشة، مع العلم أن هناك من الباحثين من يشكك في أن بوحلو كان تابعا للنفوذ الروماني.

والجدير بالذكر أن صاحب مسالك أنطونين يذكر أن شبكة طرق موريطانيا الطنجية مستقلة تمام الاستقلال عن موريطانيا القيصرية، وأن الاتصال بين طنجة في الطنجية وبورتوس ديفان (وهران) في القيصرية يتم بواسطة البحر. كما أن لوحة بوتينگر قد ضاع جزؤها الغربي وتتوقف في اسبانيا عند الشاطئ المتوسطي وعلى شط الحضنة بالجزائر.

أما الأماكن التي ذكرها الجغرافي رافين فيصعب تحديدها بالترتيب. هذا بالإضافة إلى أن علامات الأميال تتوقف عند طريق (Numerus - Syrorum - ad Fratres) للامغنية تمور بالقيصرية. وقد رفض الكاتب سلامة في عمله المتعلق بالطرق الرومانية في شمال إفريقيا الفرضيات العشوائية نظرا لغياب الوثائق.

ونفس الانطباع يتركه لدينا تفحص ما ذكره بطليموس الجغرافي عن المنطقة الفاصلة بين الموريطانيتين. فإذا أخذنا لائحة مراكز موريطانيا الطنجية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، ونقلناها على مربع تبعاً للأحداثيات، نجد أن عدداً

منها يقع في المغرب الشرقي وأنها تتبع ممرا بريا. وهذا ما اعترف به العالم مولير ناشر بطليموس، وما جعل شاتلان وكاركو بينو يدافعان عن فكرة وجود اتصال وممر دائم الاستعمال بين الموريطانيتين. والجدير بالذكر أن بطليموس حصل على معلوماته من المسافرين بين الطافا (بالقيصرية) وطوكولوسيدا (بالطنجية) وترجم أيام السفر إلى إحداثيات رياضية على الشكل التالي :

طوكولوسيدا 715 عرضا، 33,30 طولا

تريسيديس 9 عرضا، 33,10 طولا

مولوكات 10,10 عرضا، 33,05 طولا

بينتا 9,30 عرضا، 32,50 طولا

كالافا 11 عرضا، 32,40 طولا

الطافا 12,30 عرضا، 31,10 طولا

فيلاكوفي 12,40 عرضا، 32 طولا

وتتمثل الصعوبة في نقل هذه المراكز على الطبيعة، إذ أنها أكبر من خريطة شمال إفريقيا التي وضعها بطليموس والتي تتضمن خطأين :

1 - إن الساحل المتوسطي من طنجة إلى رأس بون يتجه إلى الشرق والجنوب الشرقي بدلا من الشرق والشمال الشرقي كما وضعه بطليموس.

2 - أن الساحل الأطلسي يتجه إلى الجنوب - الجنوب الشرقي بدلا من الجنوب - الجنوب الغربي، كما ذكره بطليموس. ولذلك فقد عرف تخطيط الخريطة حركة مزدوجة في الأخطاء مما أدى إلى نقص في الفروق بين خطوط العرض. وعليه فإن المراكز الساحلية فقط هي التي أمكن تحديدها بدون خطإ مع شيء من الحظ. أما بالنسبة للداخل فيجب ترجمة معطيات بطليموس وتصحيحها انطلاقا من تصحيح خطئه الأساسي. واعتماداً على كل ما سبق، فإن الاتصال البري بين الموريطانيتين لم يكن دائما مما دفع الرومان للاهتمام بالاتصال البحري. وعلى ذكر الاتصال البحري فالطرق البحرية في موريطانيا الطنجية كانت تربط بين طنجيس وسبتة من جهة وروسادير (مليلية) من جهة أخرى، ثم من روسادير عبر البحر إلى موريطانيا القيصرية. وليس من المستبعد أن يكون هناك اتصال بحري بين طنجيس وليكسوس، وسلا، وربما موگادور (الصويرة). نظرا لأهمية هذه المراكز، ولكونها مراكز تصدير الحبوب والأسماك المملحة إلى إيطاليا.

أما الطرق النهرية فالجدير بالذكر أن معظم الأنهار المغربية غير صالحة للملاحة بالإضافة إلى أن اتجاهها شرقي - غربي بينما اتجاه التدخل الروماني شمالي - جنوبي - ولذلك لم يستفد الرومان كثيرا من استعمالها.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المورو والرومان بين 144و285 ميلادية*. د.د.ع. الرباط، 1980 ؛ *حدود موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني*، مجلة *تاريخ المغرب*، عدد 3، 1983، ص. 69 - 80 ؛ *نهاية الوجود الروماني*، مجلة *أمل*، عدد 24، سنة 2001، ص. 115 - 140 ؛ عبد الله العروي، *تاريخ المغرب*، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط، بيروت، 1978.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, v. 14-15 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'initinéraire d'Antonin*, *Hommages à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 ; ID, *L'archéologie marocaine de 1955 à 1957*, *B.A.M.*, tome 2, 1957, pp. 222-229 ; R. Mareshal, *Le limes de Tingitane au sud de Sala colonial*, *CRAI*, 1924 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes Tingitanes*, *CRAI*, 1955, pp. 228-288 ; *Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine*, Alger, 1951 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, Paris, 1942 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs*, Paris, 1893 ; M. Rachet, *Rome et les berbères*, Bruxelles, 1970 ; R. Thouvenot, *Une colonie de Mauritanie tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941 ; *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.L.*, LXIV, n° 1-2, 1962 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; R. Roget, *Le Maroc chez les autres anciens*, Paris, 1924 ; L. Chatelain, *Sala romaine*, Rabat, 1931 ; ID, *Le Maroc des romains*, Paris, 1961 ; R. Rebuffat et Pallu, *Thamusida*, I, Paris, 1971 ; La Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud - Est du Maroc*, *Hespéris* 1934, t. XIX, pp. 107-127 ; M. Ouachi, *Situation de la Maurétanie Tingitane*, in Mémorial du Maroc, vol. I, Nord Organisation, 1983, p. 215-232 ; ID, *Les rapports militaires*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 233-246 ; *Les rapports politiques*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 247-256.

مصطفى أعشي

الطرق والمسالك. الطرق تاريخيا ليست هي الطرق اليوم من الناحية الهندسية والتقنية فهي حسب ما جاء في المصادر :

1 - مسالك ويقصد بها الطرق الكبرى العابرة للأقطار والرابطة ما بين البلدان.

2 - سبل وهي الطرق الثانوية الرابطة ما بين المدن والجهات في البلد الواحد.

3 - ممرات وهي الطرق الثلاثية أو الرابطة ما بين مختلف أجزاء الجهة الواحدة.

1 - يمكن تحديد المسالك التي كانت تخترق المغرب وتربطه بباقي الأقطار والمناطق في ست طرق كبرى :

أ - أول هذه المحاور ربط ما بين المدن البربرية في جبال درن والسودان خاصة نفيس وأغمات، وهذه المحاور ليست في الحقيقة إلا جزءا من محاور أكبر كانت تخترق الصحراء الكبرى منذ القدم ثم أعيد تنشيطها ابتداء من منتصف ق 1 هـ / 7 م، وزودت بالآبار وعبدت بعض أجزائها الصعبة، وكانت الأهداف من هذه العملية الرسمية تجارية بالدرجة الأولى وتتمثل في التوغل في بلاد السودان لجلب الذهب ؛ وكانت هذه المحاور تنطلق من مدينة أغمات لتلتقي عند مدينة نول مكونة مسلكا واحدا يخترق الصحراء الكبرى في جزئها الغربي، وقد عرف هذا المسلك في المصادر بأسماء مختلفة : المحور الصحراوي الغربي وطريق الذهب وطريق العبيد.

ب - المسلك الثاني : فاس - تامدولت - السودان : كانت مضايقة القبائل الصحراوية والسوسية للأدارسة ومراقبتها للطرق العابرة للصحراء واحتكارها لحق المرور والخفارة، وكذا فشل الأدارسة في بسط سلطتهم على تلك القبائل، وبعد العاصمة فاس عن الجنوب ؛ كان ذلك دافعا قويا للأدارسة

لبناء مدينة تامدولت التي استقطبت بسرعة نشاط القوافل الصحراوية ذهابا وإيابا وقد اختير لبنائها موقعا ممتازا كان السبب الرئيسي في نجاح المشروع كوفرة الماء والفلاحة والغابة ووجود معدن فضة إضافة إلى المكانة الاستراتيجية التي احتلتها المدينة بتحكمها في الممرات والخوانق المخترقة لجبل باني.

ج ـ المسلك الثالث : فاس ـ أغمات ـ سجلماسة ـ السودان : يعتبر أهم مسلك في شمال إفريقيا وأكثرها رواجا ونشاطا في العصر الوسيط ومابعده، وقد عرف في المصادر العربية التاريخية والجغرافية بأسماء مختلفة مثل طريق التمر وطريق الملح وطريق التبر وقد ارتبط نشاطه ببناء مدينة سجلماسة في بداية القرن الثالث (9 م) حتى إنه استقطب معظم الحركة التجارية مع السودان وأصبح المحور الأكثر نشاطا رغم صعوبة اختراقه لجبل درن في فصل الشتاء وتحكم عدد من الممرات والخوانق (تيزي) في حركته، ورغم طوله الذي يصل إلى ثلاثة أضعاف المحور المباشر فاس ـ سجلماسة فإنه ظل المحور الأكبر استعمالا من قبل المسافرين والقوافل التجارية طيلة العصر الوسيط وما بعده إلى مطلع القرن العشرين وذلك بسبب الظروف الطبيعية التي كانت ملائمة في فصل الشتاء وتوفر الأمن، والتقائه قبل اختراق جبل درن بالمحور الثاني (أغمات ـ تامدولت ـ السودان) فهو يستفيد من الدير الجنوبي لجبل درن خاصة في فصل الشتاء حيث الدفء وقلة العواصف الثلجية وفي الصيف حيث وفرة المياه الباردة والمراعي والثمار، ويسير بمحاذاة الدير الجنوبي حتى وادي ورزازات ومن ثمة يخترق جبل درن ويسير في اتجاهين نحو مدينة فاس (طريق الدير أو الطريق الساحلي) وأحيانا والظروف الأمنية والطبيعية ملائمة يتم اختصار الطريق إلى النصف تقريبا فلا يصل المحور إلى ورزازات بل يخترق جبل مگون في اتجاه أغمات ثم مراكش وأحيانا يتخذ اتجاها أقرب باختراقه جبال فازاز عند مر زاد.

د ـ المسلك الرابع : فاس بسجلماسة : أقرب المسالك الرابطة ما بين فاس وسجلماسة يخترق جبال فازاز ودرن الشرقي عبر ممرات وخوانق طبيعية، إلا أن قساوة الظروف الطبيعية في فصل الشتاء كانت تعيق استعماله فيضطر المسافرون والقوافل إلى اتباع المسلك الثالث عبر أغمات ؛ ومن نهاية الدولة الموحدية وطيلة العصر الحديث أصبح المسلك محفوفا بمخاطر قطاع الطرق وابتزاز القبائل للمارين.

هـ ـ المسلك الخامس : سجلماسة ـ تلمسان ـ المراسي المتوسطية : كان من أكثر المسالك نشاطا ورواجا تجاريا في فترات متقطعة من التاريخ الوسيط والحديث وإلى مطلع القرن العشرين، وقد ارتبط نشاطه أكثر بالظروف السياسية وبتوفير الأمن، فالمسلك يخترف من بدايته إلى ضواحي تلمسان مناطق صحراوية مقفرة ومفازات تكون في حالة ضعف الدول أو الحكام المحليين مصيدة للقوافل والمسافرين، فيضطر هؤلاء في حالة انعدام الأمن إلى سلوك الطريق الطويل (حوالي خمسة أضعاف طريق فاس ـ سجلماسة) إما فاس سجلماسة عبر أغمات أو سجلماسة عبر وجدة وفجيج.

و ـ المسلك السادس : طنجة ـ سبتة ـ تلمسان ـ القيروان عبر ممر تازة : هو أقدم المسالك الرابطة بين المغرب والمشرق والأكثر نشاطا عبر التاريخ وقد سلكته مختلف الشعوب والهجرات إلى المغرب والأندلس وسلكه الغزاة والتجار والحجاج وفيه تصب الكثير من المحاور والسبل.

2 ـ السبل أو الطرق الثانوية : اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بالطرق الكبرى (المسالك) التي ارتبطت بالتجارة الصحراوية ولم تهتم بالطرق الثانوية والثلاثية إلا نادرا ؛ فالسبل تربط في الغالب ما بين الحواضر والتجمعات السكنية المحيطة بها، والتي تتحول في بعض الفترات من السنة أو بحسب الظروف الأمنية إلى قطع من المسالك ؛ وتتجمع السبل في الغالب عند نقط معينة مثل المدن الكبرى وملتقيات المسالك والحصون والمداشر والرباطات، وإذا تتبعنا شبكة السبل التي اعتمدنا في رسمها على الإشارات الواردة في المصادر التاريخية وأوصاف الرحالة وكتب الحوليات والتراجم وغيرها فإننا نجد أن هذه الشبكة تكاد تغطي كل التراب المغربي مع تفاوت في الكثافة والنشاط التي اختلفت حسب الزمان والمكان.

3 ـ الممرات أو الطرق الثلاثية :

تشكل شبكة أوسع من الأصناف الأخرى للطرق وتنتهي إلى السبل والمسالك ولكن ذلك لا يعني أن هذه الممرات كانت خاضعة لهندسة أو أعراف معينة تنتهي بها حتما إلى السبل بل وجد من الممرات ما ينتهي مباشرة إلى المسالك ؛ والممرات تخضع أكثر من غيرها من أنواع الطرق إلى مشيئة القبائل والبطون وأحيانا إلى العشائر والدواوير التي تمر بها ويخضع استعمالها لإذن مسبق. ولا يتدخل المخزن في ذلك إلا في حالة نزاع واصطدام بين القبائل لذلك حرصت هذه الجماعات السلالية على الحفاظ على استقلالها وحرية تنقلها باتخاذ ممرات تفضي بها إلى السبل والمسالك مباشرة.

وتنتهي شبكة الممرات في الغالب إلى المدن والقرى والمداشر والدواوير الواقعة على السبل المؤدية إلى ملتقيات المسالك، فقرية مكول وادندون ـ في المثال الذي أوردناه ـ تنتهي إليها ممرات الجهات الواقعة فيها وتعتبر هذه القرى محطات هامة على السبل المؤدية إلى المحاور الكبرى.

وخلاصة القول :

1 ـ قد تطابق أنواع الطرق التي عرضنا لها تصنيف الطرق المعمول به حاليا في بلادنا (طرق رئيسية وطرق ثانوية وطرق ثلاثية) إلا أن التطابق لا يعني التجهيزات والتقنيات أو الاتساع والتعبيد وما إلى ذلك، بل يعني فقط كثافة المرور وكثرة الاستعمال، وعند إمعان النظر في المصطلحات والكلمات الدالة على الطريق في اللغة العربية نجدها متداخلة ومتشابهة وتوظف في الغالب كمرادفات ولا نكاد

نجد الفرق الدقيق بينها مثل ما نجده في لغات أخرى كالفرنسية مثلا، فكل كلمة أو مصطلح له معنى ودلالة محددة تتطابق والواقع على الأرض في البادية (Route, Chemin, Voie, Piste, Sentier...) وفي المدينة (Rue, Boulevard, Avenue, Passage, Passerelle...) أما في العربية فالتداخل كبير ما بين الطريق والمسالك والممر والسبيل والجادة والمحجة وأمهات الطرق...

2 - إن المسالك والطرق رغم خلوها من أية هندسة أو علامات التحديد فإنها ليست مطموسة أو متنقلة كما ادعى بعض الدارسين الأجانب ؛ فالمسالك قارة ومعروفة ومميزة عن غيرها من الأراضي والتنقل عبرها لم ينقطع إلا في الفترات الصعبة مثل فترات الحروب والكوارث الطبيعية.

3 - المسالك وغيرها من أصناف الطرق خاضعة لأعراف وقوانين شرعية ووضعية ولم يكن ثمة تسيب أو صدفة.

4 - دراسة شبكة الطرق التاريخية ومقارنتها بالشبكة العصرية الحالية تبين أن سلطات الحماية الفرنسية لما أقدمت على بناء شبكة الطرق الحديثة في المغرب لم تنطلق من فراغ، بل اعتمدت على الشبكة التاريخية ولم يتم التخلي عنها جزئيا أو الانحراف عنها إلا للضرورة التقنية والهندسية، فالمحاور الكبرى التي تربط شمال المغرب بجنوبه اقتفت آثار المسالك الكبرى - فاس - مراكش عبر دير الأطلس المتوسط أو عبر السهول والهضاب الأطلنتيكية.

5 - وبخصوص علامات الطريق من ألواح المسافات والاتجاه وغيرها. فملاحظة الدارسين الأجانب في محلها أي أن المسالك في المغرب خلت منها لكن مؤسسة "الرتب" "والنزالة" والدليل كانت كافية لتدليل الصعاب وحل المشكل. أما بخصوص المسافات فالمقاييس المتبعة كان معمولا بها : مثل الميل والفرسخ والمرحلة واليوم وغيرها.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر 1911 وباريز 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار...*، الاسكندرية، 1958 ؛ الحميري، *الروض العطار...*، بيروت، 1957 ؛ البيذق، *أخبار المهدي...*، الرباط، 1971 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، جزءان، الرباط، 1980 ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، م خ. ع. بالرباط (والمطبوع) ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الونشريسي، *المعيار*، نشر وزارة الأوقاف، بيروت، 1981 ؛ ابن رشد، *فتاوى ابن رشد* ؛ أبو الفداء، *تقويم البلدان*، باريس، 1860 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ والبيضاء 1989 ؛ العبدري، *الرحلة*، الرباط، 1968 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، بدون تاريخ ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن حمادوس، *لسان المقال*، م. خ. ع. بالرباط ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 - 1955.

B. Roseberger, *Tamdult, H.-T.*, t. XI, fasc. unique, 1970, p. 103-140 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien*, Paris, 1982 ; R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1961 ; Vanaker, *Géographie économique...*, *AES* Mai-JUin, 1973; J. Celerier, *L'Atlas et la circulation...*, *Hesp.*, 1927, t. 7, p. 447-497 ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

الطُرْمُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Turmo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1155 (1742).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 814.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرنباطي، أحمد مرابط وولي صالح، عاش في العصر العلوي الأول، تربى على يد الولي الصالح سيدي قاسم بن رحمون، وكلاهما من أتباع القطب الكبير المولى الطيب صاحب وزان، فبه تمت تربيتهما الصوفية. كان أحمد الطرنباطي من الملازمين للأوراد والأحزاب وذكر الجلالة والاجتماع مع الإخوان. فاقتبس من شيخه الأنوار، وأشرقت عليه الأسرار، واعترته الأحوال، فصاح ونطق بالمغيبات والأخبار وبشر وأنذر وصدقه الله في كل مقال.

توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر أو ثلاثينيات القرن الثامن عشر بفاس في بداية عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، يوم صارت الظرفية السياسية تتأزم بشكل مطرد في المغرب عامة، وفي فاس على وجه الخصوص التي كان سكانها ناقمين على عاملهم أبي علي بن عبد الخالق الروسي. فلما تولّى هذا العامل الإشراف هو بنفسه على تجهيز الولي الراحل، وأقام له جنازة حضرها الخاص والعام، أصبح القبر منبوشا والجثة مجردة من كفنها، فأعيد الدفن بكفن جاء به شيخ الولي الفقيه سيدي قاسم بن رحمون فلم ينبش القبر أحد.

م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، مكتبة الطالب، 1407 /1986، 4 مجلدات، المجلد الرابع ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني ؛ محمد بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، المجلد الأول.

الطرنباطي، إدريس هو الفقيه الحسيب الأريب، ولد الشيخ العالم القاضي محمد بن مسعود، كان إمام مسجد الأنوار بحومة سيدي العواد بفاس، توفي يوم خامس عشر رجب عام 1276. ودفن في جوار رمس أبيه، بأعلى مطرح الجلة بالقباب خارج باب فتوح بفاس. خلّف أربعة أولاد من أمّين مختلفتين. فمنهم من عقب ومنهم من لم يعقب فانقطع فرعه. وكان منهم رجال اعتكفوا على العلم والعبادة، وآخرون اشتغلوا بالحرف أو التجارة. وبقي بعض فروعهم بفاس،

وانتقل البعض الآخر إلى مراكش والصويرة وجهات أخرى من البلاد.

م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1422 / 2002، مجلدان؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، ثم سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

الطرنباطي، محمد بن **مسعود** بن أحمد الأموي العثماني الأندلسي أصلا الفاسي منشأ ودارا، كان من كبار علماء عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولديه بعده المولى يزيد والمولى سليمان، قال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* هو "الشيخ الفقيه الأديب اللغوي النحوي الأريب العالم العلامة المشارك المحقق الفهامة البركة النفاع الذي له في سماء المعالي علوّ وارتفاع". مهر في علم النحو، وكان له عناية خاصة بألفية ابن مالك، له تأليف في شرحها في مجلدين، يعتبر من أغرب الشروح، وأقبل عليه الطلبة فانتفعوا به. ومن تآليفه أيضا "بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام"، لعله اقتبسه من قانون أبي علي اليوسي. وله تقييد في نوني التوكيد، وآخر في البسملة، والحمدلة، وآخر في الخنثى المشكل، وشرح على توحيد رسالة ابن أبي زيد. تخرج على يد كبار علماء عصره، أمثال الشيخ محمد جسوس، أخذ عنه الحديث والتصوف، والشيخ محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، أخذ عنه الفقه والحديث، والشيخ عبد الكريم اليازغي أخذ عنه الفقه وعلوما أخرى، والشيخ عبد الرحمان المنجرة أخذ عنه التفسير وصحيح البخاري، والشيخ عمر الفاسي أخذ عنه علوم النحو، والشيخ محمد ابن إبراهيم الدكالي، أخذ عنه الألفية والرسالة والحديث. وتخرج على يديه علماء جلة وشخصيات فذة، مثل الفقيه العالم الشيخ عبد القادر الكوهن والعالم المشارك العربي بن محمد الدمناتي، ومثل السلطان العالم المولى سليمان بن محمد الذي أخذ عنه العربية والأدب والفقه لما كان الشيخ قاضيا بسجلماسة. وقد قام بأعباء القضاء هنالك وأيضا بثغر السويرة. وحج سنة 1193 م واجتمع ببعض علماء المشرق، منهم الشيخ مرتضى الحسيني الذي كتب له على شرحه على الألفية. ومن لطيف نظمه هذه الحكمة في بيتين:

اعتقد فيّ جميلا   فاعتقاد السوء ظلم
جاء في القرآن يتلى   إن بعض الظن إثم

توفي شهيدا بالطاعون يوم الاثنين 6 محرم عام 1214، ودفن بأعلى مطرح الجلة في القباب خارج باب فتوح بفاس.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس...*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني؛ م. بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس...*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، 1422 / 2002؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، ثم سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

طرُوخيـيُو ماشاكون، فرانثيسكو Trujillo Machacon, Francisco من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب. حل بتطوان برتبة قبطان بالجيش الإسباني وعين مراقباً بقبيلة بني عروس في شهر أكتوبر 1932 وذلك إلى غاية شهر مارس 1935 حيث نقل إلى نيابة الأمور الوطنية بصفته خليفة مكلفا بمراقبة البلديات والجماعات المحلية.

وفي شهر فبراير 1937 ورتبته آنذاك كولونيل أسند إليه المقيم العام الكولونيل بيگبيدير Beigbeder مهمة العلاقات مع الحركة الوطنية.

وقد ظل في منصبه إلى أن استقل المغرب في شهر أبريل 1956؛ وتشهد الوثائق الوطنية بأنه كان مستقيما ومعتدلاً حيث كان يعمل على إيجاد الحل المناسب للمشاكل القائمة بين رجال الحركة وإدارة الحماية على جميع المستويات، الأمر الذي جعله المسؤول الإسباني الوحيد الذي نظمت له حفلة وداع من المغاربة.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان؛ أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان.

الطّرياني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Triana وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 815.

محمد ابن عزوز حكيم

الطرياني، موسى بن **علي**، من أهل قصر عبد الكريم، وينسب إلى طريانة Triana، وهي المنارة التي أمام إشبيلية. كان شيخا نحويا أديبا شاعرا، ظريفا خفيف الرّوح. زاره الأديب ابن سعيد المغربي بقصر عبد الكريم وأخذ عنه وأورد في كتبه مقطوعات من شعره. وكان أبو عمران الطرياني يتردد على مراكش لخدمة بعض أرباب الدولة الموحدية، خاصة أحمد بن جرج الذهبي شيخ طلبة الحضر الذي كان يكرمه ويحسن إليه.

توفي سنة 639 / 1241.

ابن سعيد المغربي، *اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط. 2، 1980، ص. 202؛ *المغرب في حلى المغرب*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج. 1، ص. 214؛ *الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار المعارف، ط. 3، 1977، ص. 38؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 5، ص. 210.

محمد المغراوي

الطريحة، من طرح الشيء ألقاه. ومن مشتقاتها مختلفة الدلالة نجد مثلاً "الطَّرْح" ومعناه عند الفلاحين في البوادي المغربية أن "تسقط البقرة حملها ميتا". و"الطّرح" عند رواد المقاهي الشعبية، جولة من اللعب بالأوراق "الكارطا" و"الطّرْحة" عند أصحاب المخابز "الوصلات" التي تأتي من الدور، وعليها عجين الخبز، لطهيه في بيت النار.

و"الطّرْحة" طيلسان ؛ وهو لباس يلقى على الكتف، ويلبس مع العصامة (*الصبح*، 4 : 42) وقد لبسها الخليفة العباسي المقتدر، عندما بويع بالخلافة سنة (467 /1074 - 1075) (العبيدي، *الملابس*، 105)، أما الطريحة في اللسان المغربي الدارج فتعني الإلقاء بالشخص وطرحه أرضا، والانهلال عليه بالضرب، بواسطة عصا أو سوط. ثم انتقل معنى الطريحة، للدلالة على حصد الهزيمة النكراء. فيقال "أعطى فريق لفريق أو شخص آخر طريحة" إذا هزمه شر هزيمة.

أما عند الحرفيين التقليديين، فإن مفهوم الطريحة، له معنى آخر. فالمقصود بها، عند اللّبّاطين والدّبّاغين، والمشتغلين بالصناعة الجلدية، وحدة حسابية، تضم ست جلدات، خاصة من جلود الأغنام والماعز. (*معلمة المغرب*، 12 : 3918)، وتجمع عندهم على "طريحات". ويقومون باقتنائها من أسواق، مخصصة بكل نوع من الجلود، بكبريات المدن، كما هو الشأن في مراكش مثلا. ويعمل الدباغون، على جمع الطريحات من الجلود، على شكل دفعات، إلى أن يتم العدد المطلوب تصنيعه منها. وهو في الغالب، ما بين عشر وعشرين طريحة. وقد يزيد عدد الطريحات، خاصة إذا تعلق الأمر، بدباغة جلود الأغنام، لأن دباغتها أسهل بكثير، من دباغة جلود الماعز. ومجموع الطريحات التي تشكل الدفعة المراد تضيعها، يسمونها "القصرية". وأما جلود "قصرية" البقر والجمال، فلا يتم اقتناؤها بالطريحات، وإنما بالتقسيط.

والملاحظ أن عدد "القصاري، ج. القصرية" يختلف حسب قوة رأس مال المعلم الدباغ. فإذا كانت له قوة مالية كبيرة فإن العدد يصل إلى خمس أو ست"قصرية" كل واحدة تضم ما بين عشر إلى عشرين طريحة.

وقد جرت العادة، أن كل "قصرية" من الجلود يدفع بها للدباغة تضم طريحتين يخصص ربحهما للصانع، لتحفيزه على إتقان العمل. وعندما تدبغ جلود الماعز تسمى "الزواني،" ويتم بيعها بالتقسيط في سوق خاص بها، في حين أن جلود الأغنام المدبوغة تباع في سوق "البطانة" إما بالتقسيط أو بالجملة وعلى شكل طريحات.

أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ؛ محمد قنديل، *التعريف بمصطلحات صبح الأعشى*، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 ؛ صلاح حسين العبيدي، *الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي*، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980 ؛ عبد السلام السعيدي، دار الدبغ، *معلمة المغرب*، ج. 12، نشر مطابع سلا، 1421 - 2000 ؛ البحث الميداني.

عبد السلام السعيدي

طريدانو، أسرة أندلسية واسمها الحقيقي طوليدانو نسبة إلى مدينة طليطلة (طوليدو أو طوليد) ومازالت أسر في إسبانيا وغيرها تحمل هذا الاسم. ولا يعرف ما إذا كانت أسرة طريدانو من ضمن الأسر التي هاجرت من الأندلس إلى الرباط في بداية القرن السابع عشر أم أنها أتت قبل ذلك إلى المغرب بعد سقوط غرناطة ضمن من هاجر من المسلمين واليهود في العهد الوطاسي وفي العهد السعدي الأول وتوافدوا على بعض المدن المغربية. وهي من أسر الإسلاميين الذين حسن إسلامهم. وربما كانت طريدانو من الأسر التي قطنت البحيرة بالرباط قبل أن يختط السلطان مولاي سليمان ملاحه. واسم طريدانو مرتبط بلقب بن مسعود. ومن أقدم من عرف منها بنعيسى بنمسعود طريدانو الذي كان ناظر أحباس الرباط وتوفي سنة 1335 /1917.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 278.

طريدانو، بنعيسى، فقيه ناسك عاش خلال القرن التاسع عشر، لازم الشيخ إبراهيم التادلي فأخذ عنه كل العلوم المتداولة وكان الشيخ يقدره ويحبه، ولذلك اختاره وصيا على أولاده، شيوخ القاضي محمد بن إبراهيم والفقيه الصوفي عمر عاشور وغيرهم، اشتغل بالتدريس فدرس بالزاوية القاسمية *المرشد المعين* و*همزية البوصيري* وكان يسرد *الشفاء*. تعاطى للشهادة، وكانت له عناية كبيرة بمطالعة كتب التصوف ومع ذلك كان يتطارح على أعتاب الملوك، وتعاطى للتجارة ورشح عدلا بمنجرة الأحباس الكبرى واستخدم عدلا بمرسى الجديدة وغيرها في عهد كل من السلطان مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وحج واعتمر. وفي عهد الحماية ولي نظارة الأحباس الكبرى إلى أن توفي في 8 رمضان 1335 /1917 ودفن بالزاوية الرحمانية.

م. بوجندار، *الاغتباط*...، ص. 278 ؛ دينية، *مجالس*...، ص. 317.

طريدانو، المكي بن **عبد الحميد** الرباطي، كان يدعى أيضاً ابن مسعود. من علماء الشباب بالرباط درس بمسقط رأسه على كثير من شيوخ عصره ذكرهم مؤلف كتاب *من أعلام الفكر المعاصر* وأشهرهم الشيخ محمد المدني ابن الحسني. كما درس بسلا على الشيخ زين العابدين ابن عبود.

كنت أتصل به أيام الطلب في مجالس الشيخ ابن الحسني بالجامع الكبير بالرباط حيث ختمنا عليه في نحو

عامين كتاب جمع *الجوامع* من الأصول لابن السبكي بشرح المحلي وجل حواشيه المطبوعة والمخطوطة، فكان المترجم آية من آيات الله في جودة الفهم وسرعة البديهة والجرأة في إبداء الملاحظات بين يدي الشيخ الوقور الذي لم يكن أحد من الطلبة غيره يجرؤ على مقاطعته أثناء التقرير المحكم. ولم يكن طريدانو السارد بين يديه مع أنه أحق بذلك، فكان السارد الرسمي يتضايق من تدخله لكن سائر الطلبة يستحسنون ذلك مع لثغة خفيفة حلوة في لسانه. وأتصلُ به كذلك في مجالس الشيخ ابن عبود بمدرسته بحي بارمادة بسلا نهاراً في دروس متنوعة وبالمسجد الأعظم ليلاً في مجالس التفسير.

يُذكر للمترجَم *تقييد على نظم ورقات* إمام الحرمين للشيخ المدني ابن الحسني، ومحاورات مع شخصيات علمية ووطنية كانت تزور الرباط فيحرص على الاتصال بها :

"وكان من النشيطين في الحركة القومية يبذل مجهودات جباره في ذلك وقد فتح منزله سنة 1944 لوفود الحركة قصد التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال" الاشارة إلى عريضة 13 نونبر 1944 التي أكد بها القوميون عريضة 11 نونبر 1944 وأيدوها بإيعاز من محمد الخامس.

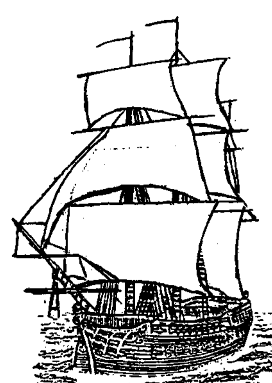
تقلب المترجم في منصب إدارية وقضائية سامية، وعزل أيام الازمة المغربية لنشاطه الوطني ثم بعد الاستقلال أعيد إلى منصبه بالمحكمة العليا للجنايات بالقصر الملكي إلى أن وافاه الأجل يوم السبت تاسع صفر عام 1384 .

إثر عملية جراحية أجريت له بالدار البيضاء ودفن بزاوية الشيخ جوار الزاوية الحمدوشية بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 396 ـ 398 ؛ معرفة شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج. 9.

محمد حجي

الطريدة (Tartane)، الطراد والترتانة، من المراكب الدائرية المستعملة في الملاحة المحيطية. وقد تميزت أصلا بشكلها المستطيل وغاطسها المسطح وحمولتها الخفيفة.



وكانت مؤهلة في البحر الأبيض المتوسط لأشغال الصيد والملاحة الساحلية، وللعمل في المراسي غير العميقة.

لكنها عرفت ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م) تعديلات هامة مكنتها من الاستعمال في الملاحة الجهادية الشبجية بفعل تجسير سطحها وتعزيز تصريتها من صار إلى صاريين أو ثلاثة، مع تضاؤل أعداد مجاذيفها، وهذا ما جعلها من الأنواع المنتشرة خلال القرن المذكور. لكنه يبدو أنها قد فقدت أهميتها خلال القرن الموالي.

درويش النخيلي، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1974، ص. 89 ـ 92.

S.I.H.M. 1, série , *Pays-Bas*, T. V, intro., p. XIII ; *France*, T. III, p. 43 ; Brunot, p. 250 ; Coindreau, p. 99 et Corrales, *La flotte*, p. 79 - 80.

حسن أميلي

طريف، معركة تنسب إلى مدينة طريف المطلة على بحر الزقاق بأقصى الجنوب الغربي من الأندلس. تعرف عند المؤرخين المسلمين بوقعة طريف وعند المؤرخين المسيحيين بمعركة سالادو Batalla del Salado وذلك لوقوعها بمحاذاة نهر صغير يحمل نفس الاسم أي Rio de Salado الذي يصب في البحر المحيط شمالي مدينة طريف.

تشكلت الأطراف المشاركة في هذه المعركة من حلفين كبيرين، حلف المسلمين الذي يضم قوات من الأندلسيين والحفصيين ويتزعمه الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن وحلف المسيحيين الذي انخرطت فيه جيوش البرتغال وأراغون وجنوة ويتزعمه الجيش القشتالي بقيادة الملك ألفونسو الحادي عشر Alfonso XI المدعم بنفوذ وطموحات الكنيسة في شخص البابا بونوا الثاني عشر (1334 ـ 1342)، والجدول التالي يقدم صورة واضحة عن تفاصيل مكونات القوتين المتحاربتين كما وردت في المصادر الإسلامية والأوربية :

مكونات الجيوش المتحاربة في معركة طريف

جيش المسلمين بقيادة أبي الحسن		
بنو مرين	بنو الأحمر	الحفصيون
ـ بنو مرين مغراوة ـ المرتزقة ـ المتطوعة ـ كافة أهل المغرب ـ أسطول من حوالي 100 قطعة بقيادة محمد بن علي العزفي	ـ غزاة زناتة ـ الفرسان ـ حامية الثغور ـ رجل البدو	ـ أسطول من 16 قطعة بقيادة زيد بن فرحون

جيش النصارى بقيادة ألفونسو 11			
قشتالة	البرتغال	أراغون	من جهات أخرى
ـ فرسان ـ نبلاء قساوسة ـ بعض غزاة الأندلس بزعامة سليمان بن عثمان بن أبي العلاء	ـ أمراء ـ فرسان ـ نبلاء ـ قساوسة	ـ أسطول	ـ متطوعة أوربيون ـ فرسان من ليون ـ وغاليسيا وطليطلة ـ قساوسة ـ أسطول جنوي

جاءت الاستعدادات المغربية والمسيحية لهذه المعركة في ظروف سياسية وعسكرية متباينة، فقد سبق للسلطان أبي الحسن أن قام بمحاولات عسكرية استهدفت استعادة النفوذ المغربي على الأندلس في وقت خفت فيه روح الجهاد وركدت ريحه عند ملوك بني مرين بعدما كان له بالأندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق والجزء الأول من دولة خليفته يوسف، وذلك لانشغالهم بمشاكل المغرب الداخلية وبمناوشات بني عبد الواد ملوك تلمسان.

وقد حاول أبو الحسن التعبير عن هذه الرغبة في مرحلة أولى بسن سياسة التدخل من بعيد من خلال دعم ملوك غرناطة في مقاومة التحركات المسيحية وإمدادهم بالعون المادي والعسكري ثم تعزيز الحاميات المرينية في بعض الثغور الأندلسية. في مقابل ذلك استغل النصارى انشغال ملوك المغرب بمشاكلهم الداخلية وبحروبهم مع بني عبد الواد وتوقف جوازاتهم إلى الأندلس فترة طويلة فاسترجعوا قوتهم وكونوا حلفا بزعامة قشتالة ليدشنوا سلسلة هجومات عسكرية على العديد من المناطق الإسلامية الأندلسية التي تحيط بمملكة بني الأحمر بغرناطة، فأصبحت هذه الأخيرة بدورها مهددة بالخطر المسيحي الذي اقترب كذلك من الثغور المطلة على العدوة المغربية والخاضعة للنفوذ المريني خاصة جبل الفتح والجزيرة الخضراء وطريف.

كان لهذه التهديدات دور كبير في انتقال أبي الحسن إلى مرحلة ثانية من سياسته تجاه الأندلس وتتمثل في التدخل العسكري وإرسال جيوش مرينية بقيادات مغربية تمكنت سنة 733 / 1333 من استعادة جبل الفتح والجزيرة الخضراء، تلتها حملات أخرى هذه المرة بقيادة الأمير أبي مالك عبد الواحد ولي عهد السلطان الذي هزم الأسطول القشتالي في معركة بحرية سنة 740 / 1340 ثم قتل في نفس السنة وهو يحارب النصارى في عقر دارهم.

باستشهاد أبي مالك تنطلق المرحلة الثالثة من سياسة أبي الحسن الأندلسية ليتحول إلى مواجهة خطر النصارى بشكل مباشر حيث أشرف شخصيا على استعدادات المغرب العسكرية واستنفار الجيوش وتجهيز الأساطيل من مختلف المراسي المغربية بالإضافة إلى الأسطول الحفصي بقيادة زيد بن فرحون الذي انضم إلى الأسطول المريني مشكلا أسطولا ضخما تصل عدد قطعه إلى حوالي مائة أو مائة وأربعين تحت القيادة العامة لمحمد بن علي العزفي. ثم ارتحل أبو الحسن إلى سبتة لمعاينة عبور المجاهدين إلى الأندلس فوصلت الأخبار إلى صاحب قشتالة ألفونسو الحادي عشر (1312 ـ 1350) فأرسل أسطوله إلى بحر الزقاق لمنع الأسطول المغربي من العبور فالتحم الأسطولان في موقعة المِلَند الشهيرة يوم السبت 6 شوال سنة 740 / 15 أبريل 1340 لتنتهي بظهور المسلمين على النصارى. لقد دعم هذا النصر البحري مسير الجيوش المغربية نحو الأندلس ومكن السلطان من إجازة عساكره التي قدر عددها بحوالي 60.000 جندي، بعد ذلك أجاز السلطان في أسطوله مع خاصته وحشمه كعادته في حركاته العسكرية فنزل بطريف وشرع في الهجوم عليها يوم 3 محرم من سنة 740 بحضور أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الاحمر (733 / 1333 ـ 755 / 1354) صاحب غرناطة على رأس جيش من الغزاة والفرسان، فنصبوا على طريف المنجنيق وأخذوا بمخنقها في هذه الأثناء لجأ ألفونسو إلى دعوة ملوك المسيحية لمساندته في حربه ضد أبي الحسن المريني، وتمكن بالفعل من استقطاب زعماء النصارى والحصول على دعم كل من ملك أراغون بيدرو الرابع (1336 ـ 1387) Pedro IV وملك البرتغال ألفونسو الرابع (1325 ـ 1357) Al Fonso IV وجنوة وتجنيد حوالي 13.000، حسب المصادر الأوربية، من فرسان ومتطوعة من مختلف أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية بالإضافة إلى حضور الكنيسة التي باركت هذا التحالف وأعطت للحملة صبغة حملة صليبية.

في الجانب الآخر استمر نزول المسلمين على طريف ستة أشهر متتالية فنيت خلالها أقواتهم ووهنت أجسامهم خاصة بعد أن أحكم الأسطول القشتالي قبضته على بحر الزقاق فقطع بذلك الإمدادات عن جيش المسلمين. ساهم هذا التكتيك الحربي بشكل كبير في تغيير مسار المواجهة على الأرض، وشجع النصارى على الاقتراب أكثر من طريف بل وتمكنوا من تسريب أفراد منهم إلى داخل المدينة ليلا في غفلة من العسس وتهاون منهم واختبأوا في بعض أماكنها ينتظرون الفرصة الملائمة. بعد ذلك زحف ألفونسو الحادي عشر إلى أبي الحسن ودخل الطرفان في مواجهة عنيفة ظهر على إثرها الأفراد المختبئون داخل المدينة فجأة وهاجموا المسلمين على حين غرة من الخلف فاضطرب فسطاط السلطان ودب الذعر بين أهله وانتهب كل ما فيه من متاع وغيره، ودافعت النساء عن أنفسهن فأدرك الجيش حينها أن الخطر

يهدده من الخلف وأنه وقع في الفخ فانكسر المسلمون بعد يوم واحد من المواجهة وحلت الهزيمة في ضحوة يوم الاثنين 7 جمادى الأولى من سنة 741 / 30 أكتوبر 1340 حسب أغلب المؤرخين وإن كان قلة منهم يذكرون تاريخا آخر هو 7 جمادى الثانية 741 / 28 نوفمبر 1340.

عندما تيقن أبو الحسن من حدوث الهزيمة تراجع للاحتماء ببقية الجند ونجا بأعجوبة من الأسر ولحق بالجزيرة الخضراء ثم منها إلى جبل طارق حيث ركب سفينة إلى سبتة، أما ابن الاحمر فقد خلص هو الآخر إلى بلده غرناطة يجر ذيول الهزيمة في حين غادر ألفونسو الحادي عشر أرض المعركة مزهوا بالنصر الذي حققه ومفتخرا بكونه صنع للمسيحية انتصارا كبيرا لم تشهد له مثيلا إلا في معركة العقاب سنة 609 / 1212 ضد الموحدين.

بحث المؤرخون، مغاربة وأندلسيون، في أسباب هذه الواقعة العظمى، فردوا ذلك إلى دور الجيش الكمين الذي زرعه النصارى داخل مدينة طريف والذي انقض على المسلمين من الخلف وقلب كفة الحرب لصالح المسيحيين، ولكن نفس المؤرخين ألمحوا إلى عنصر آخر مفاده أن أبا الحسن لم يحالفه الحظ في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة النصارى بالنظر إلى سلسلة الانتكاسات والمحن التي تعرض لها هو نفسه قبيل معركة طريف، بدءا بحصاره الطويل لتلمسان واحتلاله لها سنة 737، ثم تمرد ولديه الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك عليه بعد مرضه الذي كاد أن يموت فيه وكذلك ثورة ابن هيدور، وانتهاء باستشهاد ولده أبي مالك بالأندلس والذي أثر كثيرا في نفسيته مما جعله يندفع إلى حرب طريف مكسور النفس وغير مهيئ لخلق شروط الانتصار.

أما المؤرخون الاسبان والبرتغال فقد أرجحوا انتصار التحالف المسيحي إلى أسباب كثيرة منها ما يرتبط بالمعجزات فزعموا أن بركات المسيح حلت عليهم يوم المعركة التي شاركهم فيها أيضا القديسون والقديسات. ومنها كذلك ما يعود إلى اتحاد النصارى وعزمهم على إنهاء خلافاتهم واستئصال المسلمين في إطار ما يسمونه بحروب الاسترداد Reconquista. أسفرت معركة طريف على مقتل وأسر أعداد كبيرة في صفوف المسلمين تقدرها المصادر البرتغالية برقم مبالغ هو 57.300. وكان من بين القتلى بعض حظايا السلطان والوزراء وثلة من قضاة وعلماء وفقهاء المغرب والأندلس، حمل أكثرهم إلى الجزيرة الخضراء ومنها نقلوا في السفن إلى حيث دفنوا بمقبرة بني مرين بشالة. ومن بين الذين أسروا ولد السلطان الأمير أبو عمر تاشفين الذي بقي معتقلا عند ملك قشتالة إلى حدود سنة 748 / 1347 وقد عانى من التعذيب والقسوة حتى قيل أنه أصيب من جراء ذلك بلوثة عقلية اشتهر على إثرها بلقب الموسوس. ونورد فيما يلي قائمة بأسماء بعض القتلى حسب ما جاء في المصادر :

قائمة بأسماء أشهر شهداء معركة طريف من المسلمين

اسم الشهيد	مرتبته
- فاطمة بنت السلطان أبي يحيى الحفصي	زوجة السلطان أبي الحسن
- عائشة بنت أبي يحيى بن يعقوب المريني	ابنة عم السلطان
- أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتي	وزير أبي الحسن
- أبو مجاهد غازي بن الكأس	وزير أبي الحسن
- محمد بن يحيى بن بكر الاشعري المالقي	قاضي الجماعة بغرناطة
- محمد بن عبد الملك	قاضي
- ابن سلمون الكناني	عالم وفقيه
- أبو القاسم محمد بن أحمد الغساني	من أهل العلم بمالقة
- أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي	من علماء غرناطة
- أحمد بن حزب الله الخزرجي	فقيه وخطيب من أهل فاس
- أبو عبد الله محمد بن أبي زرع	من فقهاء فاس
- محمد بن محمد بن عبد الملك	فقيه
- محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي	فقيه
- أبو جعفر أحمد بن خال القتوري	خطيب
- عبد الله بن سعيد والد لسان الدين ابن الخطيب	فقيه
- الأخ الأكبر للسان الدين بن الخطيب	فقيه

ومن بين الدخائر التي فقدت في هذه الواقعة وغنمها النصارى نذكر المصحف العثماني الذي كان أبو الحسن يحمله معه في حركاته للتبرك به. فظل يتابع أخباره ويبحث عن قراره إلى أن تمكن من استرجاعه من يد البرتغاليين بفدية ضخمة من الذهب وذلك سنة 745 / 1344. كما فقد السلطان علمان، الأول كان قد صنع له والثاني لوالده السلطان أبي سعيد، ولايزال العلمان يوجدان ضمن محتويات كاتدرائية طليطلة بإسبانيا، وهما الآن معلقان على جدران قاعة الثياب المقدسة. لكن من أبرز نتائج هذه المعركة أولا سقوط كثير من الثغور المرينية بالأندلس بعد عامين في يد القشتاليين كالقلعة Alcala la Real والجزيرة الخضراء وطريف ولم يعد تحت نفوذهم إلا بعض الحصون والحاميات والموانئ الصغيرة، وثانيا وهي النتيجة الأكثر دلالة، أن واقعة طريف شكلت بداية لمرحلة حاسمة بالنسبة للحضور المغربي بالأندلس والتي تميزت بانقطاع العبور المريني ثم المغربي إلى الأندلس نهائيا مع استثناء بعض المحاولات القليلة وغير المؤثرة سواء في أواخر عهد أبي الحسن أو في عهد خلفه أبي عنان وكأن لسان حال ابن الخطيب يقول بكل حسرة وتأثر في الإحاطة : "وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأرزاء، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الأعداء". ولذلك ليس بغريب أن يعتبر الاسبان هذه الواقعة واحدة من أكبر حروبهم ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ويؤرخون بها لانتصاراتهم في حروب الاسترداد، بل أكثر من ذلك جعلوها حاسمة في تاريخ العالم كله.

ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج. 2، ص. 180 ؛ ج. 3، ص. 23، 65، 389، 391، 404 ؛ ج. 4 : 320، 321، 322، 331.

332، 442 ؛ *إعمال الأعلام*، تح. ليفي بروفنسال، 1956، القسم الثاني، ص. 305، 335، 337 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، طبعة بيروت، 1983، ص. 46 - 47، 51 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، ط. 2، 1978، ص. 102، 105 - 106، 108 ؛ النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، ط. بيروت، د. ت، ص. 146 - 147، 161 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، تح. علي عبد الواحد وافي، ط. 3، القاهرة، ج. 3 : 1042 ؛ *العبر*، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4 : 223 ؛ *العبر*، دار الكتاب اللبناني، 1968، ج. 6 : 732 ؛ *العبر*، دار الكتـاب اللبناني، 1978، ج. 7 : 544 - 564، 776 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981، ص. 225، 307، 361، 362، 461 ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976، ص. 166 ؛ ابن مريم، *البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*، الجزائر، د. ت.، ص. 126، 184 - 190، 214 - 219 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين*، تونس، 1966، ص. 76 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 119، 304، 434، 435 ؛ *درة الحجال في أسماء الرجال*، ط. القاهرة - تونس، 1970، ج. 2، ص. 118 - 121 ؛ محمد حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، ص. 192 - 193 ؛ أحمد باب التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، بيروت، د. ت، ص. 68 - 69، 143، 167، 237 - 239، 245 - 248، 267 - 270 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 1، ص. 606 ؛ ج. 5، ص. 385 - 387؛ ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت، ج. 6 : 127 - 129 ؛ الناصري، *الاستقصا*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3 : 134 - 137 ؛ ج. 4، ص. 41 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 116 - 117 ؛ محمد كمال شبانة، *يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة*، القاهرة، 1969، ص. 116 - 120، 134 - 140 ؛ السياسة الخارجية لمملكة غرناطة في منتصف القرن 8 هـ / 14 م، مجلة البحث العلمي، العدد 14 - 15 (مزدوج)، 1969، ص. 183 - 186 ؛ محمد العروسي المطوي، *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص. 245 ؛عبد الحق المريني، *شعر الجهاد في الأدب المغربي*، الرباط، 1996، ج. 1، ص. 370 - 374.

Bofarull y Mascaró, *Colección de documentos del archivo General de la corona de Aragon*, t. VII, n° 31, *Batalla del Salado*, Barcelona, 1851 ; A. Gimenez Soler, *La corona de Aragón y Granada*, Barcelona, 1908, p. 269 ; *Crónica de D. Alfonso IV*, éd. Lisbonne, 1936, p. 131 - 138, 168, 170, 172 - 173 ; Diego Catalán, *La oración de Alfonso XI en el Salado*, in *"Boletin de la real academica de la historia"*, 1952, t. 131, p. 247 - 271 ; Luis Seco de Lucena Paredes, *La Fecha de la Batalla del Salado*, in *"Al-Andalus"*, 1954, vol. XIX, fasc. 1, p. 228-231 ; J.A. Robson, *The catalan fleet and moorish sea - power (1337 - 1344)*, in *"The english historical review"*, vol. LXXIV, 1959, (London), p. 386-408 ; R. Ricard, *La relation portugaise de la bataille du Salado (1340)*. *Hesp.*, T. XLIII, 1956, p. 7 - 27 ; José Joaquim Nunes, *Crestomatia arcaica*, Lisboa, p. 45-60 ; Calalán Menéndez Pidal, *Gran crónica de Alfonso XI*, Madrid, 1956, T. II, p. 230 - 231, 320 - 323, 332, 403, 426 - 427 ; Ch. E. Dufourcq, *Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe s.*, in *"Anuario estudios mediévales"*, 1970 - 1971, V. 7, p. 44 ; R. Thoden, *Abu-l-Hassan Ali, Merinidenpolitik swischen nordafrika und spanien in den jahren 710 - 752 H / 1310 - 1351*, Freiburg, 1973 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane aux temps des nasrides*, Paris, 1973, p. 102 - 103 ; Ibid, *Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe s.*, in *"Etudes sur la civilisation de l'Espagne musulmane"*, Leiden, 1990, p. 22 - 33 ; M. Garcia Fernandez, *Les relaciones internacionales de Alfonso IV de Portugal y Alfonso XI de Castilla en Andaluciá : la participatión portuguera en la gran Batalla del Estrecho*, 1325 - 1350, in *Actas das II Jordanas Luso - Espanholas de historia medieval*, Oporto, 1987, t. 1, p. 201-216 ; Ibid, *Las relaciones castellano - Marinies en andalucia en tiempos de Alfonso XI, la participacion norterafricana en la guerra por el control del Estrecho*, 1312 - 1350, in *"Actas de relaciones de la peninsula iberica con el magreb, siglos XIII - XVI"*, Madrid, 1988, p. 261 - 266 ; Juan Torres Fontes y..., *la expansión peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, Madrid, 1990, vol. I, p. 399 - 406 ; vol. II, p. 589 - 594 ; M.A. Manzano Rodriguez *La intervención de los benimerines en la peninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 130 ; A. Huici Miranda, *Las grandes Batallas de la reconquista durante las invasiones africanas*, Madrid 1956, p. 342-377.

رشيد السلامي

طريفة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tarifa نسبة لمدينة طريف الواقعة قرب الجزيرة الخضراء ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 817.

محمد ابن عزوز حكيم

الطريفي، أبو **محمد عبد الله** بن موسى، وأصله علج من نصارى مدينة طريف ثم دخل في خدمة بني مرين وتولى خطة صاحب السقيف ثم وزارة البلد الجديد بفاس، وكان بذلك المنصب مسؤولا على مفاتيح البلد وقائما على فتحها وإغلاقها في أوقات معلومة. وصف عند مترجميه بالوزير الثقة والمخلص الناصح والحسن الوجه، ولذلك كان مزاحما للحاجب أحمد القبايلي الذي تسبب في عزله ومقتله، ثم للحاجب فارح بن مهدي إلى أن عينه السلطان أبي سعيد عثمان الثالث حاجبا له مكانه بعد سنة 806 / 1403 فعد من فضلاء الحجاب وصاحب الرأي والمشورة عند سلطانه. وعندما ساءت العلاقات بين السلطان وصاحب إفريقية أبي فارس عبد العزيز الحفصي، حاول هذا الأخير الانتقام فبعث إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة يلح عليه في الإفراج عن أحد أمراء بني مرين المعتقلين والمرشحين للملك وهو الأمير السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم والاسراع في تسريحه إلى المغرب الأقصى للتشغيب على سلطانه ومحاربته. فأجازه البحر حتى نزل فاس في ذي الحجة من سنة 813 / 1410، فخرج الحاجب عبد الله الطريفي لقتاله فكبا به فرسه فقبض عليه الأمير السعيد وأمر به فأحرق في نفس السنة.

ينسب للطريفي بناء مسجد السوق الكبير بفاس الجديد المعروف اليوم بمسجد للا غريبة، الذي حبس عليه كتبا كثيرة نقلت فيما بعد إلى خزانة القرويين، كما ينسب إليه أيضا منزه الطريفي بفاس.

ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 41 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 47 ؛ ابن فركون، *ديوان ابن فركون*، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1987، *مقدمة المحقق*، ص. 93 - 94 ؛ *الديوان*، ص. 167، 178 ؛ ابن حجر العسقلاني، *إنباء الغمر بأنباء العمر*، بيروت، 1986، ج. 6، ص. 236 - 237 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 125 - 126،

4، ج. 1954 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 511، 457 ص. 86 ـ 88، 90.

رشيد السلامي

ابن **طُريِّقة السعيدي**، أسرة تطوانية عالمة مجيدة، أصلها من مدينة تلمسان ومنها انتقلوا قديما إلى قبيلة بني سعيد قرب تطوان، ثم وفد منهم أفراد على تطوان ذكر منهم الفقيه الرهوني في عمدة الراوين خمسة عشر فردا بين عدل وقاض ومفت، واستدرك عليه الأستاذ داود فبلغ بهم أكثر من عشرين نفرا. وهذه أسماؤهم مع حيثياتهم الأقدم فالأقدم.

ـ الفقيه القاضي عبد المجيد بن يوسف ابن طريّقة السعيدي، كان قاضيا بتطوان عام 1053 ـ 1073، وهو أخو عبد الكريم الذي بعده.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، تطوان، ص. 245 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 2 : 112.

ـ الفقيه العدل عبد الكريم بن يوسف ابن طريّقة. كان من عدول تطوان عام 1040ـ وهو أخو القاضي عبد المجيد المذكور قبله.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 205، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 36، مخطوط.

ـ الفقيه القاضي المفتي الخطيب محمد بن طريّقة، تولى قضاء تطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، طبع تطوان، ص. 245.

ـ الفقيه العدل سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1093 ـ 1095.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 295 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص و7 : 37.

ـ المفتي الخطيب القاضي محمد ابن طريّقة، كان قاضيا بتطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 245.

ـ المفتي العدل العلامة السيد عبد الكريم بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، ذُكر في عدول تطوان من عام 1126 إلى 114 ثم ناب عن القضاة بعد ذلك.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296.

ـ الفقيه العدل السيد محمد الطاهر بن قاسم ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1129 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296 ـ 327، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة نائب القاضي السيد محمد بن أحمد بن عبد المجيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1136 ـ 1150 ثم ناب عن القاضي عام 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن محمد الطاهر ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1142 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن عبد الله ابن طريّقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1142.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة السيد محمد بن أحمد ابن طريّقة السعيدي، ناب عن القضاة بتاريخ 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288، طبع تطوان ؛ ومختصره، ص. 249، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1159 ـ 1164 ويظهر أن هذا غير سعيد سابق الذكر لأنه كان 1095.

م داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي والمفتي السيد محمد العربي بن قاسم ابن طريّقة السعيدي، ناب عن القاضي عام 1156 ـ 1157 ثم استقل قاضيا عام 1161 وكان من العدول عام 1122 إلى 1146 ـ 1175 ووصف بالنزاهة والعدالة وإتقان التوثيق.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 289، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، مختصر *عمدة الراوين*، ص. 104 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة السيد أحمد بن قاسم ابن طريّقة السعيدي وهو أخو محمد العربي المذكور قبله. كان من عدول تطوان عام 1161 ـ 1171 ـ 1187 وناب خلال ذلك في القضاء عام 1166.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 290 ـ 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس السيد العربي ابن طريّقة. أفردتُ له ترجمة.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طريّقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1194 ـ 1198 وهذا غير تسميته سابق الذكر لأنه كان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن أحمد ابن طريّيقة السعيدي، كان عدلا عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

الفقيه العدل السيد عبد الله بن محمد بن طاهر ابن طريّيقة السعيدي، كان عدلا عام 1197. وقد يكون هو الذي تولى القضاء بعد ذلك عام 1213 ـ 1217.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136.

ـ الفقيه العدل السيد عبد الرحمن بن قاسم ابن طريّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد عبد الرحمن بن سعيد ابن طريّيقة، أفردتُ له ترجمة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 259، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد عبد السلام بن قاسم بن محمد بن طاهر ابن طريّيقه السعيدي، كان عدلا عام 120 .

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن علي ابن طريّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1146.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136، مخطوط خاص.

ـ محمد بن يوسف ابن طريّيقة، وهو أخو عبد المجيد وعبد الكريم. كان عدلا بتطوان عام 1026.

العمدة، 7 : 36.

وهذه العصبة من هذه العائلة الماجدة كان من أفرادها معَمّرون يتعاطى أحدهم العدالة والفتوى والقضاء ويؤخّر ثم يُعاد إلى القضاء أو الشهادة كما يعلم من تتبع نشاطهم في الرسرم والوثائق.

ابن **طريّيقة، عبد الرحمن** بن **سعيد** السعيدي التلمساني الأصل، الفقيه العلامة المفتي المدرس المؤلف القاضي، أحد أعلام بني طُريِّقة بضم الطاء وفتح الراء وكسر الياء المشددة على صيغة التصغير كما قال شيخنا الرهوني، وقبله الشيخ أبو العباس ابن عجيبة، ولكن يلاحظ أن المنطوق في هذه الصيغة إلى الآن هو (طْريـيقة). كان المترجم له إلى قيامه بالقضاء مدرسا نافعا ودرس كثيرا من المواد في المعقول والمنقول كما وصفه بذلك تلميذه المؤرخ عبد السلام السكيرج وصرح أنه قرأ عليه *تفسير القرآن*، و*رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، و*مختصر خليل* و*المرشد المعين*، على الضروري في علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر وهذه المتون كلها في الفقه المالكي. كما قرأ عليه *ألفية ابن مالك* في النحو، وكان له نشاط في التدريس فله إسهام مهم في التأليف، فقد ذكر السكيرج أنه شرح *ألفية ابن مالك* في النحو شرحا حافلا، كما شرح شواهده النحوية معنيا بالتعريف بقائليها معتمدا في ذلك على (معاهد التنصيص، شرح شواهد التلخيص) للعباسي، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، و*شرح البردة* للبوصيري في المديح النبوي شرحا ممتازا، وله تقاييد وفتاوى وفوائد. وقد فقدت إلا شرح البردة والألفية، وقد كان الأول موضوع أطروحة لأحد طلبة كلية الآداب بتطوان تحت إشراف الدكتور عبد الله الترغي المرابط، وقد اطلعت على هذا الشرح وهو في مجلد كبير، وطريقته فيه جامعة فهو يُعنى بإعراب البيت وشرح مفرداته وتصريفها وإيضاح ما ينطوي عليه البيت من نكت بلاغية ومحسنات بديعية، ثم إيضاح معنى البيت و شرح حوادث السيرة النبوية معتمدا في ذلك على كبار الأئمة كالقاضي أبي بكر ابن العربي والقاضي عياض، وفي النحو والبلاغة على سيبويه وابن مالك والجلال المحلي والسعد التفتازاني. وينقل أحيانا عن شيخه محمد بن الحسن الجنوي، وشيخ تطوان أبي العباس الورزيزي، وصنيعه في النقل صنيع عالم متضلع مشارك واسع الاطلاع ذي اعتدال ونفَس عال، ويستطرد أحيانا بأدنى مناسبة لحرصه على الإفادة كما فعل عند شرحه لبيت البوصيري : محمد سيد الكونين والثقلين الخ فذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم المروية وشرحها شرحا مفيدا، كما فعل في أسماء الله تعالى الحسنى فنقل منظومة أحمد بن عبد العزيز الهلالي برمتها وشرحها كذلك. وفرغ المؤلف من شرحه هذا في 23 شوال عام 1212.

وبالجملة فهذا الشرح من أنفس وأفيد شروح البردة وما أحراه بالنشر.

أما شرح الألفية فهو شرح كامل وحافل في نحو 500 صفحة من القطع الكبير توجد نسخة منه بخط المؤلف لما فيها من إقحام وتشطيب وزيادة وتطرير وتصوير، فرغ منه في 4 رجب عام 1219 وذكر في أوله أن سبب تأليفه أنه رأى في المنام أنه شرع في شرح الألفية على هذا الأسلوب، فاستخار الله تعالى، وشرحها كذلك.

ظل المترجم له على هذه الطريقة المرضية من الانقطاع للتعليم والتأليف مع القضاء لم يرم بريبة ولم يؤثر عنه شين إلى أن توفي رحمه الله بتطوان في عام 1227.

أبي محمد عبد السلام السكيرج، *نزهة الاخوان، وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان*، ص. 41 ـ 60 ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط تطوان.

ابن **طريّيقة، العربي** السعيدي النّجار، التطاوني الدار. وقد علم أن أصل سلف هذا الصالح من تلمسان، ثم استوطنوا قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان، ومنها قدموا إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري ومازال

فرعهم بالقبيلة المذكورة، قال شيخنا الرهوني في (العمدة) : ولا يبعد أن يكونوا من مهاجري غرناطة، فنزل بعضهم بتطوان، وبعضهم ببني سعيد.

كان المترجم له مشاراً إليه بالصلاح والعلم، وكان يُدَرِس العلم بزاوية الشرفاء (لعله يريد زاوية مولاي محمد الوزاني قرب باب التوت) وكان حسن الأخلاق، لَين الجانب، صابرا على الإقراء، كثير النفع للمبتدئين والغرباء، (وكان إذا عاتب أحدا من طلبته، أو أمره بشيء، يقول : يا حبيبي لا تفعل كذا وكذا إذا فعل، ويوم الخميس كان يجرده لعيادة المرضى، وربما سافر إليهم خارج البلد، وكانت داره بعيدة، فلم ينتقل منها لاحتساب الأجر، مع كِبر السن وضعف البدن.

وكان محققا لعلم الحساب والفرائض، يستحضر مسائله ضرورة، فكان المفروغ إليه في ذلك العلم، مع مشاركته في علوم أخرى، وكان يقرأ الحكَم لابن عطاء الله ليلة الخميس والجمعة.

توفي سنة ثمان أو سبع وسبعين ومائة وألف.

أزهار البستان في طبقات الأعيان، لأحمد ابن عجيبة، مخطوط خاص، والزيادة الأولى لداود والأخريان من نسخة الكتاني من *أزهار البستان* ؛ *موسوعة أعلام المغرب* نقلا عن *تذكرة المحسنين*، تنسيق د. حجي، طبع دار الغرب، ص. 2380 وقد تصحفت فيه ابن اطريبقة إلى ابن طريفة، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، لأحمد الرهوني، 5 : 135 ـ 136، مخطوط خاص، *تاريخ تطوان*، لمحمد داود، 3 : 66، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

الطفيبر، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، كان بعض أفرادها يتعاطون حرفة السمسارة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 826.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طفيل** أو الطفيل القيسي أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد من أشهر علماء وفلاسفة الإسلام بالأندلس والمغرب في القرن السادس من مواليد أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس (يرجح تاريخ 494 هـ) بوادي آش، شمال شرق غرناطة.

كان ابن طفيل كما يقول المترجمون له "أحد فلاسفة المسلمين، متحققا بجميع أجزاء الفلسفة ... هذا مع اتساع في العلوم الإسلامية" فهو بهذا المعنى فيلسوف وطبيب وفلكي كما أنه فقيه وأديب وشاعر وربما في سلوكه ومذهبه تطلع إلى مقام عال من التصوف وقد عده عبد الواحد المراكشي "أحد حسنات الدهر في ذاته وأذواته". حريص على الجمع بين الحكمة والشريعة.

يعرّف الأستاذ محمد بن شريفة بثلاثة من مشايخه وهم أبو محمد الرشاطي وعبد الحق بن عطية وأبو الفضل جعفر بن شرف صاحب كتاب في النحو على طريق البرهان.

أما ما نقلته المصادر القديمة والحديثة من أنه أخذ علوم الفلسفة على الفيلسوف أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة فلا صحة له حيث يصرح ابن طفيل نفسه في مقدمة رسالته حي بن يقظان أنه له يلق شخص ابن باجة.

نعته ابن أبي زرع في *روض القرطاس* (ص 2) بالوزير الطبيب.

وقد يكون لقب الوزير ليس إلا لقبا شرفيا لا مهنيا يمارس فيه الشخص عملا ما إداريا إذ كانت هذه المهمة موكولة إلى الكتاب.

وقد زاول مهمة الكتابة مع أحمد بن ملحان الطائي بوادي آش بعدما أسس بها هذا الأخير إمارة حوالي سنة 539. ثم استخدم الخليفة عبد المؤمن بن طفيل بعد قدومه إلى مراكش سنة 546 كاتبا لابنه أبي سعيد عثمان مع زميله أبي الحكم بن هرذوس أثناء ولاية أبي سعيد على سبتة وطنجة ثم على غرناطة.

بلغ ابن طفيل حظوة كبيرة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بعد أبيه عبد المؤمن. كان أبو يعقوب شديد الشغف به وكان ابن طفيل يقيم عنده بالقصر أحيانا ليلا ونهارا، لا يظهر حسب عبارة صاحب المعجب. وكان من أطبائه بل أولهم في فترة ما حيث سيُعفَى من هذا المنصب لكبر سنه حوالي 578 ويخلفه أبو الوليد بن رشد.

وكان بن طفيل قد قدم هذا الأخير مع مجموعة من العلماء إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف في بداية عهده وذلك حوالي سنة 520.

ويترجح أن ابن طفيل وكل إليه تدبير شؤون نخبة طلبة الحضر التي عني بتكوينها نظام الموحدين موازية لفئة طلبة الموحدين. وعلى هذا يكون نشاط مجالس المذاكرة التي تعرض لها المؤرخون والعلماء أنفسهم ومن بينهم أبو الوليد بن رشد قد استمر لمدّة ما في إطار مؤسسة دولة، القيم عليها أحد المبرزين من حكماء العصر.

اشتغل ابن طفيل بالطب والفلسفة والعلوم الفلكية.

وفي هذا الميدان الأخير، كاد يغير النظرية الفلكية السائدة منذ بطليموس وقبل كوبرنيك وقد ذكر ذلك تلميذه البطروجي حيث قال نصا :

"وقد علمتَ يا أخي أن أبا بكر ابن الطفيل رحمه الله تعالى كان يذكر لنا أنه عثر على هيئة وأصول لتلك الحركات غير ذينيك الأصلين الذين وضعهما بطليموس ودون أن يضع فلكا خارج المركز أصلا ولا فلك تدوير (eccentric or epicyclic spheres) وتصح معه تلك الحركات جميعا ودون أن يلزم عنها شيء من المحال وكان قد وعد أن يكتب فيه ومكانه من العلم بحيث لا يجهل".

لم يحتفظ التاريخ بكثير من أعمال ابن طفيل سوى قصته الشهيرة حيّ بن يقظان، وأرجوزته في الطب وبعض الأشعار.

قصة حي بن يقظان وآسال وسلمان هي عمل من طراز فريد في تاريخ الفلسفة. اتخذه بن طفيل نوعا أدبيا غريبا للشروع في تلقين مبادئه الفلسفية ونظرياته في الطبيعة وما بعد المستمدة من كل متقدميه من الفلاسفة خصوصا الذين يذكرهم في مقدمة قصته، ابن باجة والفارابي وابن سينا والغزالي، وأرسطو. ولاشك أن ميله إلى التصوف حاضر في عبارته. وقد صرّح أنه لم يبن له الحق إلاّ باتباع كلام أبي حامد الغزالي وكلام أبي عليّ بن سينا و"صرف بعضها إلى بعض".

وهذا يؤكد أنه كان إنصار لفلسفة ابن سينا بالأندلس قبل وفي زمان ابن رشد.

أما القصد الأول المصرح به في بداية رسالة حيّ بن يقظان، فهو بث أسرار الحكمة المشرقية لابن سينا.

وأما اتخاذه أسلوب القصة للعبارة عن أحوال قد يشاهدها من هو أهل لها من أهل الولاية فهو ابتكار أدبي وحكمي لتجاوز امتناع أو تعسر البوح بفحوى التجربة الصوفية. يقول ابن طفيل إن الحال التي يصل إليها العارف أو صاحب الولاية والتي شاهدها حسب زعمه هو نفسه "لا يستطيع من وصل إليها وانتهى إلى حد من حدودها أن يكتم أمرها أو يخفي سرها بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها مجملة كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضر. فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون وصنف آخر ممن عنى بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين".

دون تفصيل وإن كان ممن لم تحذقه العلوم قال فيها بغير تحصيل حتى إن بعضهم قال في هذه الحال "سبحاني، ما أعظم شأني، وقال غيره أنا الحق ..."

وقد تجنب هو مثل هذه التصريحات باتخاذه القصة كوسيلة للعبارة حتى يبقى القول تابعا لسبيل التمثيل والمجاز لا لسبيل التحقيق.

تتلخص قصة حيّ بن يقظان في حكاية أطوار حياة إنسان نشأ في جزيرة خالية بمعزل تام عن الجنس البشري استطاع بعد ثمانية عقود من عمره وبكل عقد سبعة أعوام أن يدرك بمجرد عقله وبغير مرشد ولا معلم سائر العلوم التي تعاطاها العلماء الطبيعيون والحكماء حتى فهم العالم الطبيعي بعلله ومبادئه ثم ارتقى إلى اليقين بموجود واجب الوجود وانكشفت له أخيراً أمور حسب إدراك ذوقي ليس للعبارة القدرة على الإدلاء بمضمونها. ثم يتحقق من موافاة ما انتهى إليه بمجرد عقله بما أتت به أفضل الشرائع التي تأتى له أن يعرفها بعد لقائه بالجزيرة بأسال وهو شخص قدم من جزيرة مجاورة أهلها على تلك الشريعة.

وتأويل القصة قد يكون كله قائماً على الفصل والربط ما بين ما تسميه الصوفية الحقيقة والشريعة.

آثرت رسالة حي بن يقظان في جانبين أساسيين في الثقافة الفلسفية الأوروبية بعد القرن السابع عشر :

- لم تعرف ترجمة لحي بن يقظان إلى اللاتينية في العصر الذهبي للترجمات العربية اللاتنية ما بين القرنين الثاني والثالث عشر. بل وجدت ترجمة عبرية مع شرح لموسى الناربوني سنة 1349.

نشر هذه الرسالة في أصلها العربي في أواخر القرن السابع عشر (1671) المستعرب الإنجليزي إدوارد بوكوك وقام بترجمتها إلى اللاتنية ابنه إدوارد، كما قام بترجمة النص العربي سيمون أوكى في نفس الفترة. وقد اطلع الفيلسوف الألماني الكبير لايبنز على الترجمة اللاتينية التي نعتت القصة بقصة الفيلسوف العصامي (Philosophos autodidactus).

من المؤكد أن رسالة حي بن يقظان كان لها الأثر الملموس في ترويج أفكار الفلاسفة الملقبين بفلاسفة الأنوار. وكان قصد ناشرها إدوارد بوكوك الأب ومترجمها إلى اللاتينية إدوارد بوكوك الابن سنة 1671 هو إعطاء مثل سام لمنهج ديني طبيعي مستقل عن تقليد شرعي خاص حسب ما فُهِمَ عن حي بن يقظان وأنه وصل بمجرد بحثه العقلي الخالص إلى إدراك مبدإ أول يجب أن يعتقد فيه أنه هو المعبود الواحد الأحد.

من الراجح أيضا أن قصة حيّ بن يقظان هي المصدر الأدبي الأساسي وإن كان عن طريق غير مباشرة لقصة روبنسون كروزو *(Robinson Crusoé)* الشهيرة التي نشرها مؤلفها الانجليزي دانيال دوفو (Daniel Defoe) سنة 1719.

توفي ابن طفيل بمراكش سنة 581 وحضر السلطان جنازته لمكانة الرجل عند أبيه وخدمته لدولة الموحدين.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في أخبار المغرب*، نشرة، دوزى، ص. 172 ـ 175 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، نشرة عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، نشرة طورنبيرغ، أوبسالا، 1843 ؛ لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، نشرة محمد عبد الله عنان، 1973 ـ 1977 ؛ المقري، *نفح الطيب*، نشرة إحسان عباس، 1968، ج 1 ـ 5 ؛ حنا الفاخوري الجر، *تاريخ الفلسفة العربية*، الطبعة الثانية، بيروت، 1982، ص. 354 ـ 38 ؛ محمد بن شريفة، *ابن طفيل، السيرة والمؤلف*، تدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي، دار الغرب الإسلامي، 199، ص. 325 ـ 334.

History of Muslim Philosophy; edited and introduced by M. M. Sharif, Wiesbaden 1963, vol. I, chap. 27, Ibn Tufayl by Bakhtyar Hussain Siddiqi, p. 526 - 540 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, Paris, 1972, t. II, p. 718-735 ; L. Gautier, *Ibn Thofayl, sa vie, ses œuvres*, Paris 1909, Paris, 1983 ; *Hayy Ibn Yaqzan, Roman philosophique* d'Ibn Tufayl, éd. et trad. Beyrouth, 1936 ; M.-A. Goichon, *Avicenne, Le livre des directives et remarques, (Kitab al-'isarat wa-l-tanbihat)*, traduction avec introduction et notes, Beyrouth - Paris, 1951, p. 483 - 526 ; S. Munk, *Mélanges de philosophie juive et arabe*, Paris, 1955, p. 410 - 418 ; Conrad Lawrence, *The world of Ibn Tufayl*, Brill 1995 ; *An andalusian physician at the court of the muwahhids, Some notes on the public carrier of Ibn Tufayl", Al-Qantara*, vol. XVI, fasc. 1, Madrid 1995 ; Hillel Fradkin, *"The political thought of Ibn Tufayl"*, in *The Political Aspects of Islamic Philosophy, Essays in Honor of Muhsin Mahdi*, Cambridge Massachusettes, 1992, p. 234 - 261 ; Idem, *Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan, on the relationship of mysticism. Prophecy and philosophy*, Ph. D., diss. University of Chicago, 1978 ; Abdelali Elamrani-Jamal, *Expérience de la vision contemplative et*

forme du récit chez Ibn Tufayl, dans Le voyage initiatique en terre d'Islam, ascensions célestes et itinéraires spirituels, sous la direction de Mohammad Ali Amirmoezzi, Louvain-Paris, 1996, p. 159 - 172 ; D. Gutas, *Ibn Tufayl on Ibn Sina's Eastern Philisophy, Oriens*, vol. 34, (1994), p. 222 - 241 ; Ahmad Hasnaoui, *Encyclopédie philosophique universelle*, t. III, *les œuvres philosophiques*, Paris, 1992, art Ibn Tufayl, p. 607 ; Sami S. Hawi, *Islamic naturalism and mysticism, A. philosophic study of Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan*, Leiden, 1974 ; P. M. Holt, *An oxford arabist : Edward Pococke (1604 - 91)*, in *Studies in the History of Near East*, London ; G. E. Hourani, *The principal subject of Hayy Ibn Yaqzan. Journal od near eastern studies*, 15 (1956), p. 40 - 46 ; Muhsin Mahdi, *The philosophical literature*, in *the Cambridge history of arabic literature, Religion learning and sciences*, London, 1990, p. 76 - 105, (*Abbasid period*, (edt, M. J. L. Young, J. D. Latham and R. Serjeant).

عبد العالي العمراني

الطقس، يعبر الطقس عن الحالة التي يكون عليها الغلاف الجوي فوق منطقة فترة معينة. وحالة الغلاف الجوي هاته إنما هي متغيرة ومتطورة باستمرار، لذلك يقترن الحديث عن الطقس بإمكانية رصد هذه الحالة وترقب تطوراتها المحتملة، فهو بالتالي يعبر عن الحالة الآنية للغلاف الجوي وما ستؤول إليه هذه الحالة في غضون الساعات المقبلة إلى حوالي يومين أو ثلاثة.

ويتولى تحديد خصائص الطقس في منطقة معينة وكذا عملية التكهن بتطوراته المحتملة علم الأرصاد الذي خطا خلال السنوات الأخيرة خطوات جبارة إن على المستوى المعرفي والمنهجي أو على مستوى الأدوات المعتمدة والأساليب المتبعة للزيادة في تدقيق عملية التنبؤ بأحوال الطقس وذلك باعتماد حواسب ذات سرعة فائقة لمعالجة رياضية معقدة للمعطيات وكذا استعمال وتطوير تقنيات النماذج العددية للتنبؤات.

وحالة الغلاف الجوي من جهة ثانية هي التي تحدد الملامح الأساسية الآنية لعناصر المناخ من حرارة ورطوبة جوية وتهطال ورياح... الخ، والحالة المهيمنة على الغلاف الجوي إنما تصوغها ما يسمى بالوضعية الجوية العامة والتي تعني تموضعاً معيناً لمراكز تأثير فعالة أي لخلايا مختلفة لضغوط مرتفعة ومنخفضة تكون هي المسؤولة عن تواتر معين للكتل الهوائية ولنوعية معينة لحركات وتنقل الهواء.

وإبراز الخصائص النوعية للوضعيات الجوية المتعاقبة والمترددة على منطقة معينة يحدد ما يسمى بأنماط الطقس والتي تمكن من التعرف على مختلف تجليات الحالة التي يكون عليها الطقس عندما تسود فوق منطقة ما وضعية جوية معينة حيث إن نزوع خلايا الضغوط الجوية المؤثرة إلى التموضع باستمرار في أمكنة معينة يترتب عنه خلق ظروف جوية خاصة بكل نمط من أنماط الطقس الذي يعبر في نهاية المطاف عن نوعية الظروف الجوية السائدة في تلك المنطقة من حيث الإطار العام الغالب على حركة الهواء عند تلك المنطقة وطبيعة الكتل الهوائية المهيمنة والذي يمكن رصدها من التعرف على مختلف السمات العامة لطقس ومناخ تلك المنطقة.

يبدو أن أول تحديد لأنماط الطقس في المغرب يعود إلى سنة 1925 على يد Dedebant وJury تلتها عدة محاولات لتدقيق خصائصها في عدة مقالات من بينها Queney (1943) وNoin (1963) وDelannoy (1971) وBenarage (1997).

ويميز بشكل عام في المغرب ما بين حوالي 15 نمطا من الطقوس ينتمي 6 منها إلى الأنواع الأكثر ترددا وهي على التوالي :

نمط الشركي

نمط الطقس الصحو الغربي

نمط مؤخرة الجبهات الباردة

نمط الطقس الصحو الشمالي الشرقي البارد

نمط المنخفض الصحراوي غير المستقر

نمط نشوء اضطراب محلي عند سواحل البرتغال

أما الأنماط ذات الترددات الأقل فهي :

نمط الطقس المضطرب الغربي

نمط الطقس المضطرب الشمالي الغربي

نمط الطقس المضطرب الشمالي

نمط الطقس المضطرب الشمالي الشرقي

نمط الطقس المضطرب الجنوبي الغربي

نمط الطقس المضطرب الشمالي الإيبيري

نمط نشوء اضطراب عند خليج أگادير

نمط نشوء اضطراب عند خليج قاديس

نمط نشوء اضطراب عند جزر البليار

وتجدر الإشارة إلى أن سيادة كل نمط من الأنماط في المغرب تصاحبه حالة جوية معينة تتحدد من خلالها في كل مناطقه خصائص نوعية مصاحبة تطبع كل عناصر الطقس من حرارة ورطوبة ورياح وتساقطات. كما أن التعرف على كل هذه الخصائص المرتبطة بكل نمط من هذه الأنماط يساهم بشكل واضح في إبراز الخاصيات الأساسية للمناخ المغربي في كل تجليات تغيراته الفصلية المميزة لطبيعته كمناخ متوسطي.

S. Benaarafa, *Variabilité et impacts climatiques des types de temps sur Rabat*, in *Aspects de la variabilité du climat marocain*, Edit. A. Bellichi, Rabat, 1997 ; A. Jury, G. Dedebant, *Les types de temps au Maroc*, Paris, 1925 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech, RGM*, n° 20, 1971 ; P. Queney, *Types de temps en Afrique du Nord et au Sahara septentrional*, Alger, 1943 ; D. Noin, *Types de temps d'été au Maroc, Ann. Géogr.*, n° 389, t. 62, 1963.

علي البليشي

الطقطوقة الجبلية صنف من الغناء ينتشر في الحواضر الشمالية الغربية للمغرب كطنجة وتطوان، وبين أوساط القبائل المتساكنة بالمناطق المجاورة لهما. وأكثر هذه القبائل ممارسة للطقطوقة قبائل بني گرفط، وأهل سريف، وبني زكار، وبني يدر، وبني عروس حيث يوجد ضريح المولى عبد السلام ابن مشيش.

والطقطوقة الجبلية بدوية الطبع راقصة الحركة، وهي تتشكل من مقدمة آلية وثلاثة أقسام غنائية. وتنضوي تحت ما يعرف بأغاني جبالة، وضمنها يدخل العرض الراقص المعروف باسم العرضة، وهي "رقصة الصينية" التي تحمل أكواب الشاي وتُزيّنُ بالشموع، ويقوم بها الرجال وقد ارتدوا زي النساء.

تتناول موضوعات الطقطوقة أغراضا شعرية متنوعة، وخاصة منها المديح والغزل والوصف. ويجري أداء الطقطوقة وفق النسق التالي :

أ - مقدمة آلية حادة الايقاع، ذات طابع ارتجالي محض. وتتناوب على عزف فقراتها الكمنجات والكنبري. ووظيفتها تقديم الطبع الموسيقي للمقطوعات الغنائية، وبذلك فهي شبيهة بالبقية التي تمهد لميزان النوبة الأندلسية.

ب - القصيدة وهي فقرة غنائية موضوعها المديح النبوي أو مدح المولى عبد السلام ابن مشيش. وتغنى على إيقاع هادئ وصارم.

ج - العيطة : هي غير العيطة الحوزية. موضوعها الغزل والوصف. ويجري إنشادها على إيقاع قائم على خمس ضربات : واحدة سريعة (كروش) تتلوها أربع بقيمة ضعف الأولى (سوداء) مما يجعل الميزان تساعيا (8/9)، وخلال ذلك يكون الغناء جماعيا، ثم يتحول الإنشاد إلى إيقاع الكَباحي : ثلاث ضربات سريعة من جنس الكروش تسبقها ضربة من جنس السوداء، مما يعطي ميزانا خماسيا (8/5)، يكون الإنشاد خلاله في تحاور بين المجموعة وبين المنشد المنفرد.

د - لاَ لاَ يَلاَلي : أغنية سريعة تؤديها المجموعة الصوتية على ألحان رشيقة معززة بالعزف على سائر الآلات، وعبرها يمتد الايقاع لتنتهي على ميزان الدريدكة (8/6).

عبد العزيز بن عبد الجليل

طكولوسيدا، معسكر روماني يوجد في المنطقة الجنوبية لوليلي حيث يبعد عنها بحوالي 4,5 كلم على الطريق الرابطة بين مولاي إدريس زرهون ومكناس وبالضبط في المنطقة المعروفة بتاقورارت.

لقد ورد اسم هذا الموقع عند بعض المؤرخين القدامى نذكر من بينهم الإشارة التي وردت عند مرحلية أنطونان وكذلك تلك التي وردت عند الجغرافي بطوليمي وعند المؤرخ المتأخر الرافيني حيث ورد اسم طوكولوسيدا على الشكل التالي Tocolosion.

لقد تم التعرف على هذا الموقع من شارل تيسو أواخر القرن التاسع عشر، وقد تمت زيارته في سنة 1888 من هنري دولمارتينير.

في سنة 1953 قام جون براديز بصورة جوية للمنطقة مكنته من التعرف بدقة على تصميم هذا الموقع وبعد ذلك قام صحبة موريس أوزينا بحفريات فيه.

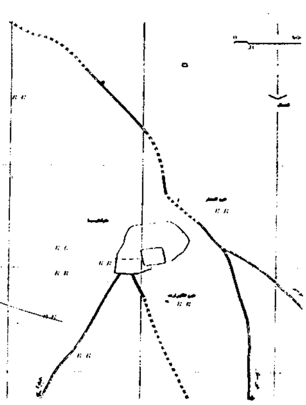
يصفه أوزينا على الشكل التالي : يقع معسكر طوكولوسيدا على بعد 4,5 كلم جنوب وليلي في مكان يعرف بتاقورارت فوق هضبة تمكن من مراقبة الأراضي المجاورة بعيدا في اتجاه الشمال الغربي.

ومن بين الذين اشتغلوا على هذا الموقع ريموند توفنو R. Thouvenot حيث قام بحفريات مكنته من اكتشاف سور على عمق مترين من سطح الأرض، يبلغ طول هذا السور 1750 م، ومن خلال اللقى الأثرية التي عثر عليها وخاصة قطعة نقدية عثر عليها تحت عتبة الباب الجنوبي، تم تحديد فترة بنائه تحت حكم الإمبراطور كلود الأول. غير أن فريزول Frezoul يقترح أن يؤرخ سور طوكولوسيدا بـ30 سنة قبل بناء سور وليلي المؤرخ بفترة مارك أوريل.

إن الاستبارات التي قام بها موريس أوزينا M. Euzennat خارج المعسكر، قد مست مستويات أثرية تهم مكونات مدينة غير معروفة كانت توجد بجوار المعسكر. ومكنت أخرى من التعرف على شكله ومساحته ومكوناته والتي يمكن التعرض إليها على الشكل التالي : مساحته تقدر بـ2,5 هكتار، يحيط به سور يتشكل من كتل إهليليجية الشكل غير منتظمة، هذا المعسكر له شكل مربع أو شبه مربع، بالإضافة إلى بابه الجنوبي، تم التعرف بواسطة الصور الجوية على أبوابه الثلاث الأخرى الموجودة في الجهة الشرقية والغربية والشمالية.

ولقد مكنت النقائش المأتمية التي تم العثور عليها بهذا الموقع من التعرف على الفيالق العسكرية التي كانت ترابط بهذا المعسكر وهي على التوالي الجناح الأغسطي الأول الغالي Ala I Augusta Gallurum، وجناح الرماة الحامي السوري Ala I Hamiorum Syrorum. ولا يستبعد موريس أوزينا أن وجود هذه الوحدات هي التي كانت السبب في بناء المعسكر الذي يتسع لحشد 500 فارس. والملاحظ أن الفيلق الأول أي Ala I Augusta Gallurum لم يعرف إلا بمنطقة وليلي حيث كان ثابتا بمعسكر طكولوسيدا.

واعتمادا على الأبحاث الأثرية السابقة الذكر يمكن تصنيف المراحل التاريخية الكبرى التي عرفها المعسكر إلى ثلاث وهي :



تصميم تقريبي لمعسكر طوكولوسيدا و منطقته.

ـ المرحلة الأولى : ترجع إلى ما قبل الحكم الكلاودي
ـ المرحلة الثانية : مرحلة الفلافيين
ـ المرحلة الثالثة والأخيرة هي التي عرفت استقرار العديد من القبائل المجاورة.

وإلى حدود الثمانينات كان موقع طكولوسيدا يعتبر آخر نقطة استقرار رومانية في اتجاه الجنوب، ومكونا من مكونات الليمس الجنوبي. غير أن التحريات الأثرية التي أقيمت بعد ذلك قد ألغت هذه الفكرة وأصبح هذا المعسكر داخلا ضمن المجال الروماني بحيث إن آخر موقع استقرار روماني يوجد على بعد 2 كلم شمال مدينة مكناس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1877 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes de Tingitane, CRAI*, 1955 ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, Paris, 1944 ; M. Euzennat, *Les limes de Tingitane, la frontière méridionale*, Paris, 1989.
حسن ليمان

الطّلاسم، ظهرت منذ القديم مع ظهور أولى أشكال السحر. وما السحر إلا ما جاءت به الشياطين ضداً على الدين. ولذلك كان السحر منذ بدايته عبارة عن فن قلب قوى الكلمات والحروف والصور والأشكال عن أساسها وأصلها اللذين جاءت عليهما منذ خلقتها الأولى.

إن هذا المفهوم عن السحر في بدايته يجعل السحر مجّرد علمٍ عن قلب قوى الأشياء والظواهر والصور والكلمات، أي تحريفها عن مواضعها الأصلية كما ذكر ذلك كتاب الله عز وجل في سياق وصفه لبعض ممارسات بني اسرائيل (سحرتهم وأحبارهم المتضلعين في علم الكتاب) وهم يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما علموه في صورته الأصلية ومن بعدما أدركوه من العلم والمعرفة عن قواه النورانية الأولى وتصريفاته في عالميْ القوى والفعل، وبتعبير أبسط، في عالميْ الباطن والظاهر.

غير أن الأسماء والأشياء والظواهر الكونية والطبيعية والإنسانية والحيوانية وغيرها، وكذا الأفعال والمطالب والمطلوبات والأهداف والغايات والأسباب والمسببات والنتائج، كل هذا، يتطلب الإلمام بها قولاً وكتابة وفعلاً تجريد أسفار عديدة وملء مجلدات، وبذل الكثير من الجهد والوقت، ولذلك استنبط الإنسان (والكلام هنا عن السحرة العلماء والكهنة المتضلّعين) رموزاً يسيرة يرمز كل منها إلى اسم أو فعل أو معنى أو إلى مخلوق أو إلى ظاهرة من الظواهر أو إلى سبب من الأسباب أو نتيجة من النتائج، حتى إذا أراد الساحر الفاعل أن يأتي أمراً سحرياً استبدل ما يتصل بهذا الأمر من الأسماء والأفعال والظواهر والأسباب والمسببات المذكورة بالرموز اليسيرة الدالة عليها، وهكذا يسعه أن يختزل أمراً بالغ الكبر والأهمية هائل الحجم والوزن في رسم صغير ضئيل لا يقل وزناً وقوة عن الأمر المذكور في كلّيته.

ومن هنا جاءت الطلاسم عبارة عن رسوم وحروف وعلامات وأشكال يسيرة دالّة على أمور كثيرة وكبيرة ومعقدة، فكان الطلسم يفعل نفس الفعل الذي يختزله في رسمه وشكله ودلالاته.

ويكتسب الرمز أو الرسم العلامة هذه الدلالة القوية والفعلية والمؤثرة من خلال ممارسة طويلة يأتيها الساحر بواسطة التركيز العقلي، ويتمكّن بفضلها من جعل المعنى المراد يترّكز في الرسم موضوع الطلسم.

وقد قيل قديماً في هذا المعنى : "السرّ ليس في النّون، بل في سحنون" كناية عن وجود السّر المودع في حرف النون، أساساً، في القوى العقلية والسحرية التي يتمتع بها الساحر أو الفقيه سحنون بفضل جهاد عقلي نفسي ومعرفي وتركيز داوم على ممارسته سنين طويلة وهو يعالج ذلك الحرف حتى صار مجرّد رسمه إياه بقلمه أو بريشته أو يراعه بمثابة طلسم قوي وفاعل يشع بالقوى والمعاني والفعاليات التي أودعها الساحر في رسم الحرف ذاته.

إن الطلسم من هذا المنظور، يتكون من رموز أو حروف أو رسوم أو علامات، أو من بعضها أو من جميعها، بحيث يكون راسمها وواضعها قد ركّز فيها بقوى عقله وبما لديه من الصنعة السحرية مجموعة من الدلالات والمعاني والأفعال ممّا يرغب في تنفيذه بمقتضى ذلك الطلسم.

وهكذا سمعنا عن طلاسم يتم بها إيصاد أبواب عملاقة أو كوّات صغيرة يسيرة دون كنوز وأموال أو أمتعة أو أواني أو كتب ووثائق مودعة خلفها، حتى لا يصل إليها أحد، اللهمّ إلا إذا كان هذا الواصل على علم بأسرار الطلسم وبأساليب فتحه، أو مكتسباً لعلم يفوق العلم الذي كان لدى واضع الطلسم، فيؤهله ذلك للتغلب على معوقاته وييسر له بالتالي مهمة فتحه وفك شيفراته وضرب دلالاته بدلالات وقوى ومعانٍ عكسية تتغلب عليها بل على خُدَّامها من القوى والعقول الخفية (شيطانية أو غيرها) فيتمّ الفتح وينتهي الأمر إلى الوصول الفعلي إلى المخبّآت.

يُفهم من هذا أن الطلسم في حدّ ذاته لا يعدو أن يكون مجرد خطوط وحروف وعلامات يسيرة وعادية، مهما كانت أشكالها معقدة وملتوية، وإنما القوة الحقيقية للطلسم في صانعه وواضعه الذي تعلم كيف يكتسب قوى طبيعية خفية، هي القوى التي يكتسبها السحرة بممارساتهم المختلفة، وتعلم كيف يوظف تلك القوى ويسكنها في الحروف والرموز والعلامات التي يستعملها في صياغة طلسمه أو طلسم شيخه ومعلمه إن كان يتصرف بالاستمداد من هذا الأخير.

ومرة أخرى، يسع المرء أن يردد وهو على يقين من صحة ذلك : "إن السر ليس في الطلسم، بل في صانعه بكل تأكيد" !!!

م. عزيز الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998، جامعة محمد الخامس، الرباط ؛ م. التهامي الوكيلي، *الإلحاد*، مؤسسة دار الأعماق، الرباط.
Papus, *Docteur Gerard en cause : - ABC, illustré*

d'occultisme (premiers éléments d'études des grandes traditions initiatiques, Paris ; - *La cabbale (Tradition secrète de l'Occident)*, Paris ; A. Raymond, *Parapsychologie pratique pour tous*, Paris, 1990 ; *Parapsychologie et l'invisible*, Paris, 1990 ; Mircea Eliade, *Images et symbole*, Paris, Essai sur le symbolisme magico-religieux.

محمد عزيز الوكيلي

ابن الـطّلبّ، **مَـحمد** بن الـطلبّ بن محمد الأمين بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي، المعروف بمحمد بن الطلب. ولد سنة 1188 / 1775. بمضارب قبيلته ادا يعقوب ببلاد تيرس جنوب المغرب. اشتهر بشعره الرصين ومعارضته لفحول شعراء العرب. ويعكس شعره شدة شغفه ببادية تيرس وتحكمه في ناصية اللغة العربية الجزلة. وقد شهد له بالنبوغ الشعري علماء عصره، فمما قاله فيه العلامة محمذ فال ابن مْقَالِّ التندغي : وهذا عربي أخره الله"، وقد اعتبره بعض دارسي أدب شنگيط ممثل المدرسة القاموسية وهو حكم فيه كثير من التمحل، كما اعتبره البعض رائد حركة البعث الشعري في الصحراء.

له مؤلفات ضائعة في الفقه والنحو والأدب، منها :

- تسهيل التسهيل، وهو نظم عقَد فيه كتاب التسهيل لمحمد ابن مالك.
- نظم خليل.
- ديوان شعر كبير، ويقال انه اختصر كتاب الأغاني.

أحمد بن الأمين الشنگيطي، *الوسيط من تراجم أدباء شنگيط*، ص. 94، ط 4، مطبعة المدني، القاهرة، 1989 ؛ أحمد ولد الحسن، *أسلوب ابن الطلب اليعقوبي*، كلية الآداب، تونس، 1980، مرقونة ؛ الخليل النحوي، بلاد شنگيط *المنارة والرباط*، ص. 526، تونس، 1987 ؛ عبد الله بن محمد سالم بن السيد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، عبد الله بن محمد سالم بن السيد، ص. 220، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، 1990 ؛ سيدي محمد بن محمد عبد الله بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 123، منشورات سعيدان، تونس، 1996.

محمد الظريف

ابن **طَلْبَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Montalban وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 261.

محمد ابن عزوز حكيم

الـطلبة (في العهد الموحدي) يمثل الطلبة إحدى طبقات النظام الموحدي، بعد أهل العشرة، وأهل الخمسين وأهل السبعين، ويأتي بعدهم الحفاظ وهم أيضاً من أهل العلم والمعرفة، وإن كانت لهم وظائف تختلف عن وظائف الطلبة. وتحيل كلمة طلبة على طلب العلم، واستعملت في بداية أمر الموحدين لتصف حال مجموعة من أتباع محمد ابن تومرت الذين انبهروا بشخصيته ولازموه من أجل الإفادة من علمه، بعد رجوعه من المشرق. ونجد من بين هؤلاء : عبد المؤمن الكومي وأبو محمد البشير وإسماعيل إيگيگ. انخرط هؤلاء الأتباع منذ البداية في مشروع ابن تومرت، فكانوا يتصدون بإشارة منه للمنكرات، ثم بايعوه بهرغة وتينمل حينما باح بالمهدوية، ثم أرسل نجباء تلامذته إلى مختلف القبائل يدعون إلى بيعته، ويزرعون في الناس محبته، لما يذكرونه من فضائله وكراماته. ولقد اضطلع هؤلاء الدعاة بكل مهام الدعوة، فكانوا يجندون الأتباع ويعلمونهم القرآن والتوحيد. ومنهم من قتل أثناء الدعوة كأبي موسى ابن تموِيق وأبي محمد عطية، فاعتبرهما ابن تومرت شهيدين واستباح دماء وأموال من قتلهما.

تعددت وظائف الطلبة على امتداد العهد الموحدي، فقد تقلدوا وظائف دينية وإدارية وعسكرية، ولنا في ترجمة أبي الحسن ابن القطان (ت. 628) نموذج للحظوة التي بلغها بعض طلبة الموحدين، فقد كان "رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة". وكان الطلبة مسجلين في ديوان الجند، ويتقاضون الرواتب والكسوة ويحملون السلاح كغيرهم من رجالات الدولة الموحدية. وقد جرت العادة أن يسير في موكب الخليفة في ترحاله خمسون من طلبة الموحدين يقرأون القرآن وشيئاً من الحديث وتواليف ابن تومرت في العقائد باللسان المصمودي وباللسان العربي، فإذا فرغوا وقف الخليفة وبسط يديه ودعا. وكانوا يرافقونه عند نزوله وهم مشاة إلى غاية خيمته، وكان هذا دأبهم في كافة حركات الخلفاء.

ويبدو أن طلبة مجلس الخليفة بالحضرة كانوا أكثر حظوة من غيرهم، واستفادوا من كرم وعناية الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي اصطفى ثلة من علماء الغرب الإسلامي لمجلسه العلمي، وسماهم طلبة الحضر تمييزاً لهم عن طلبة الموحدين. وقد أشار المراكشي إلى أن عددهم لم يكن منتظما، فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون في أخرى. وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه للمناظرة وامتحان الواردين من أهل العلم هو "بيت الطلبة". وحينما يدعوهم الخليفة لمجالسه العلمية، فقد كان يبتدئ الحديث بنفسه بإلقاء مسألة من العلم. وقد اشتهر كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب بالمشاركة في المناظرة ولا ينفصلون عن المجلس إلا بعد الدعاء. وفضلاً عن هذا فقد اضطلع طلبة الحضر بعدد من المهام منها : الكتابة والترسل ونظم الأشعار في المناسبات الجليلة وإلقاؤها بين يدي الخليفة، وحضور مجالسه بمناسبة بيعة أو بروز أو تمييز أو استقبال، وتقديم المشورة والنصح والتطبيب والإشراف على خزانة الكتب بالقصر، وتعليم السادة وأبناء الأشياخ، والقضاء والخطابة والإمامة. ونظراً لأهمية هذه الهيئة، فقد اغتنى بها الخلفاء منذ عهد عبد المؤمن الذي أسعفهم بمال محترم على وجه القراض، بسبب ما رآه من ضعف أحوالهم والإقلال الظاهر عليهم، فاكتسبوا من

تجارتهم الكثير، وكان ذلك أصل غناهم، هذا فضلاً عن البركات التي يتوصل بها طلبة الحضر في كل شهر على التوالي والاستمرار. كما عينوا على رأس طلبة الحضر مزواراً، كان أولهم أبو الحسن الإشبيلي إلى غاية وفاته سنة 567. وكان ابن صاحب الصلاة يسميه "شيخ طلبة الحضر". ثم خلفه أبو محمد المالقي إلى أن توفي بمراكش سنة 547، ثم أبو الحسن ابن القطان في عهد المنصور، وأحمد ابن عتيق البلنسي تـ. 607.

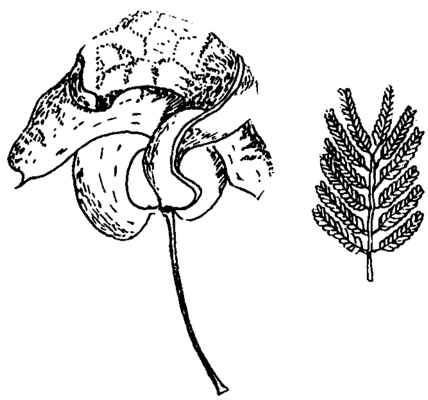
ويندرج الحفاظ ضمن الطلبة وإن كان صاحب *الحلل الموشية* يصفهم بصغار الطلبة. ويفهم من كلام ابن القطان وصاحب الحلل أن اختيار عبد المؤمن بن علي للحفاظ يعكس بره بمن انضم إليه وتكريمه للأعيان وأهل البيوتات ؛ ولهذا فقد استدعى الصبيان النجباء الحفاظ من كافة حواضر الدولة الموحدية لحفظ القرآن وكتاب الموطأ وكتاب أعز ما يطلب وغير ذلك من تآليف المهدي، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، وهم نحو ثلاثة آلاف، وكان يعدهم لشغل مختلف المناصب الإدارية في الأقاليم، ولذلك فقد صاحب تدريسهم بتدريبات عسكرية ورياضية متنوعة. فلما تم له ما أراد، عزل أشياخ الموحدين عن الرئاسة، وجعل دورهم يقتصر على تقديم المشورة لهؤلاء الحفاظ، وهو ما تؤكده عدة رسائل موحدية تبتدئ بذكر الطلبة ثم الأشياخ والأعيان والكافة. وفعلاً فإن الطلبة كانوا يشكلون أعلى هيئة في الجهاز الإداري في الأقاليم، إذ كانوا يساعدون السادة من بني عبد المومن في مختلف المهام الدينية والإدارية والعسكرية. وأبرزت هذه الرسائل طبيعة المهام التي كانت تسند إليهم، كولاية الأقاليم وقيادة الجيوش والأساطيل "طلبة الاسطول" بل والإشراف أحيانا على الجبايات والمصاريف. على أن أخطر أدوارهم إنما يتمثل في التمهيد لانتشار مبادئ عقيدة الموحدين والاحتراز عليها من الخطر الذي يتهددها من الصوفية وغيرهم. وعلى هذا الأساس فهم بمثابة عيون الدولة التي تترصد في كل مكان خصوم الموحدين.

كتاب الحلل الموشية ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب* ؛ محمد المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين* ؛ أحمد عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، مرقون ؛ أسكان الحسين، *الدولة والمجتمع على عهد الموحدين*، مرقون.

محمد فتحة

الطلح أو السَّنْط أو الميمُوزا أسماء لجنس نباتي يسمى علميا أَقَاقْيَا Acacia ويلفظ خطأ أكَاسْيَا وهو من فصيلة السنطيات Mimosaceae التي تنتمي إلى الفصيلة الفوقية للقرنيات Leguminosae.

يشمل جنس أقاقيا أنواعاً شجرية وأخرى شجيرية، بعضها مشوك وبعضها غير مشوك. أوراقها مركبة وريشية ثنائية أو على شكل عنيقات ورقية مفلطحة تشبه الأوراق وتؤدي وظيفتها، ذات أذنتين صغيرتين أو كبيرتين ومستحيلتين إلى شوكتين، أو منعدمتين. ازهاراتها على شكل كبيبات رؤيسية الشكل، كروية أو سنبلية، وحيدة أو مزدوجة أو استثنائيا حُزْمِيَّة في إبط الأوراق، أو متفرقة على شكل عَنَاقيد وعَثَاكيل طرفية. أزهارها صغيرة، كثيرة العدد، صفراء، أو بيضاء استثنائيا. كأس الأزهار ذو 5 أسنان حرة. لكل زهرة أكثر من 20 أسدية. ثمارها قرنية ومختلفة الأشكال والأحجام.



يشمل الجنس أربعة أنواع طبيعية من بينها نوع واحد قبسي خاص بالمغرب، وكذلك عشرات الأنواع المدخلة للتزيين ولاستعمالها في التشجير وفي محاربة التصحر والانجراف والتعرية.

- الأنواع المغربية والإفريقية : تتميز الأنواع الطبيعية بالمغرب وتلك الموجودة في البلدان الافريقية والأمريكية بأوراقها المركبة الريشية الثنائية وبأذناتها الشوكية :

- الطلح، أو الطلحة، أو الخروب بالعربية أو أمْرَادْ بالأمازيغية أو علميا أَقَاقْيَا رَدْيَانَا Acacia raddiana : شجرة قد تصل قامتها إلى 15م أو أكثر، ذات هيئة مظلية الشكل. أوراقها متبادلة، ريشية ثنائية. أذَنَتَاهَا شوكيتان بيضاء ذَوَتَا طول يتراوح ما بين 2 و4 سم. أزهارها مجتمعة في كبيبات، ذات كأس مزغب، وبتلال جرداء، ذات لون أبيض يميل إلى لون القشدة الثمار قرنية الشكل ومجتمعة من 1 إلى 5 لكل كبيبة، مفلطحة ومقوسة عل شكل دائري أو حلزوني.

ينظم النوع منظومات بيئية شبه سهبية في المناطق الصحراوية من المحيط الأطلنطي إلى الخليج العربي. وتصادف منظوماته البيئية المغربية من فِگيگْ إلى أدْرَارْ سْطُون شرق الداخلة والگويرة. حيث تقدر المَساحة المغطاة بما يقارب مليون هكتار تقطن منظوماته أتربة طميية أو طميية رملية أو رملية، ولا تخرج عن النطاق الصحراوي ذي الشتاء الدافيء والمعتدل، والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء.

يعتبر النوع ذا قيمة رعوية عالية وذلك بفضل أوراقه وثماره، وخاصة من طرف الجمال. كما يعطي خشب الخدمات

والحطب، والصمغ أو تيفيزاً محليا، ويستخدم لعدة أغراض في التطبيب التقليدي باستعمال الصمغ الأحمر اللون على الخصوص، وخشب الجذور المسحوق. كما تدخل الأزهار المجففة في وصفة "رَأس الحَانُوت" الصحراوية.

- الطلح، أو الطلح المغربي بالعربية أو تَادُوتْ أو عَادُول بالأمازيغية، أو علميا أَقَاقْيَا گُومِّيفِيرَا Acacia gummifera : شجيرة يتراوح علوها ما بين 5 و6 م. أوراقها ريشية ثنائية مكونة من 6 إلى 10 أزواج من الوريقات. أذَنَتَاهَا شوكيتان ذَوَاتَا طول يتراوح ما بين 1 و15 سم، بيضاوتان ضاربتان إلى الاحمرار. الأزهار صفراء. القرون مجتمعة من 1 إلى 3 لكل كبيبة، مستقيمة وتشبه قون اللوبياء الخضراء، طولها يبلغ ما بين 10 و17 سم، متدلية ومفلطحة ومحززة.

إنه النوع القبسي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب حيث كان يشكل في القديم منظوماته البيئية في سهول الحوز والرحامنة والجزء الجنوبي من تادلة والشاوية. فاجتثت تشكيلاته في كامل مجاله الطبيعي لأجل الزراعة، ولم ينج منها إلا بعض التشكيلات المجاورة لبعض الأضرحة والقبور، كما هو الشأن بالنسبة للبطم الأطلسي في المغرب الشرقي. خارج مجال منظوماته البيئية الخاصة به، يساهم الطلح المغربي بأفراد متناثرة في منظومات أخرى للعرعر البربري ولأرگان. وفي كل الحالات، يعيش الطلح المغربي في الطابق تحت المتوسطي ذي البيومناخين شبه الجاف والجاف الدافئين والمعتدلين.

بالإضافة إلى كونه نباتاً رعوياً، يستعمل الطلح المغربي في التطبيب التقليدي لعدة أغراض، ويعطي الصمغ الذي كان في الماضي يصدر عن طريق ميناء الصويرة، وله نفس ميزات الصمغ العربي كما يعتبر خشب الطلح المغربي أو تَادُوتْ بعد سقيه في الزيت، من أهم مصادر الأنواع الخشبية المستعملة لترصيع الأدوات والأثاث المصنوعة من جذر العرعر البربري (انظر العرعر). يستعمل خشب الطلح المغربي شديد الصلابة وذي اللون الأسود لتعويض خشب الأبنوس الذي كان يستورد من المناطق المدارية لَمَّا كانت كلفته في متناول تجاري الصويرة. فعلاوة على جمال خشب العرعر البربري ذي اللون الأحمر والمزركش، يزدان الأثاث باللون الأسود لخشب الطلح المغربي، وباللون الأصفر لخشب الليمون. ويستخدم خشب الطلح المغربي أيضاً في صناعة آلة الموسيقية. وتستعمل الثمار كذلك كمادة دباغية.

- الطلح أو تَمَاتْ أو أَقَاقْيَا إيهْرَنْبِيرْجْيَانَا Acacia ehrenbergiana : شجيرة يبلغ علوها من 3 إلى 6 م، ذات أوراق ريشية ثنائية مكونة من 8 إلى 20 زوجا من الوريقات. أذنتاها مشوكتان وذاتا طول يتراوح ما بين 2 و7 سم. أزهارها صفراء. قرونها دقيقة، متدلية، متعرجة أو مستقيمة، أو منجلية الشكل.

يصادف النوع في المناطق الصحراوية والمدارية عن افريقيا الشمالية وفي شبه جزيرة العرب. أما في المغرب فهو ينظم تشكيلاته الخاصة به أو مختلطا مع النوع الأول في المناطق الصحراوية جنوب جبل الباني غرب زاگورة، إلى فم الحصن وماسا ثم الساقية الحمراء ووادي الذهب. يقطن الأتربة الطميية الطينية أو الطمييةالرملية.

إنه نوع متعدد الفوائد، فهو رعوي ومنتج لخشب الخدمات وللحطب، وللصمغ. ويستعمل في عدة حالات من التطبيب التقليدي. وتجدر الإشارة إلى أن صمغ هذا النوع يستعمل في التجليد التقليدي للكتب.

- الطلح الأبيض عربيا أو أُفْرَارْ أمازيغيا هو أَقَاقْيَا آلْبِدَا Acacia albida أو فَايْدِيرْبْيَا آلْبِدَا Faidherbia albida.

إنه نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه 25 م. يتميز عن الأنواع الأخرى بجذعه ذي اللون الأبيض، وبأوراقه الريشية الثنائية المكونة من 7 إلى 17 زوجا من الوريقات، وبأذنتيه المشوكتين الصغيرتين إذلا يتعدى طولهما 2 سم، وبأزهاره المُجَمَّعَة على شكل سنبلي، وبثماره المفلطحة.

إنه نوع شائع في النصف الشمالي من إفريقيا المدارية حيث يلعب دوراً مهماً. لكنه بالنسبة للمغرب نوع نادر جداً إذ لا يصادف إلا في جنوب وارقزيز الغربي شرق المسيد حيث يمثل ببضع المئات من الأفراد المتناثرة في الوديان والمنخفضات من المنطقة الصحراوية الدافئة.

وفي المناطق التي يكثر فيها، يستعمل النوع في التطبيب التقليدي. وإنه ذو قيمة رعوية عالية بفضل أوراقه وثماره.

- الطلح الشوكي أو شوك النصارى عربيا هو علميا أَقَاقْيَا هُورِّيدَا Acacia horrida : إنه نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و7 م، ذو أوراق ريشية ثنائية مكونة من 3 إلى 6 أزواج من الوريقات، وأذنتين شوكيتين طويلتين إذ من الممكن أن يبلغ طولهما 10 سم، وثمار مقوسة قليلا.

المصدر الأصلي للنوع هو جنوب افريقيا، ومنها أدخل إلى البلدان الحارة والمعتدلة كالمغرب، وذلك لتشكيل أسيجة حية مشوكة من المستحيل اختراقها من طرف الانسان أو الدواب. يستعمل النوع لهذا الغرض بدون ري في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة. أما في البيومناخات الجافة والصحراوية فإن الري ضروري.

- الأنواع الاسترالية : يشمل الجنس ما يقارب 600 نوع أدخل منها في المغرب أكثر من مائة نوع، لكن عدد الأنواع الأكثر استعمالا في التشجير لا يتجاوز الأربعة وتسمى كلها الميمُوزَا، وتتميز عن المجموعة الأولى بكونها غير مشوكة. تشمل هذه المجموعة الأنواع التي لها أوراق مركبة ريشية، وتلك التي لها أعناق ورقية صلبة تلعب دور الأوراق.

تستعمل الأنواع في عملية التشجير ومحاربة التصحر والانجراف وللزينة، ولأغراض أخرى. كما تستخدم بذورها في التطبيب التقليدي.

ـ الميموزا اللينة الأوراق أو أَقَاقْيَا مُولِّيسيمَا Acacia mollissima : شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م. لها أوراق ريشية ثنائية تشمل كل واحدة منها من 10 إلى 20 زوجا من الوريقات، ذات لون أخضر، مزغبة على وجهها السفلي. ثمارها ذات طول يتراوح ما بين 5 و10 سم، مستقيمة.

ونظراً لنموه السريع، أدخل النوع للزينة وللتشجير في الأراضي الرملية بغية إنتاج القشرة المحتوية على نسبة عالية من الدباغة. وأكبر المساحات المشجرة من هذا النوع تصادف في غابة المعمورة.

ـ الميموزا الزرقاء أو أَقَاقْيَا دَ آلْبَاتَا Acacia dealbata : نوع يُمَيَّز من بعيد عن النوع السابق بلون أوراقه الخضراء الضاربة إلى الزرقة.

يستعمل النوع في الحدائق، ويباع في أسواق الزهور لكي تستعمل أوراقه في الباقات.

ـ ميمُوزَا الأعناق الورقية المُزَرَّقة أو أَقَاقْيَا سيَانُوفيلاً Acacia cyanophylla : نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و8 م عديم الأوراق، ويتميز بأعناق ورقية صلبة وذات لون ضارب إلى الزرقة، وطول قد يصل إلى 30 سم. ثماره مفلطحة وذات طول يتراوح ما بين 7 و13 سم وعرض لا يتعدى نصف سم.

يستعمل النوع للتشجير وللزينة ولتحسين المراعي وكذلك لتثبيت الكثبان الرملية الساحلية الموجودة في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها.

ـ ميمُوزَا عُرْف الدِّيك أو أَقَاقْيَا سيكْلُوبْسْ Acacia cyclops : نوع شجيري لا يتعدى علوه 3 أو 4م. يتميز بأعناقه الورقية ذات العروق المتوازية وبثماره القرنية الملتوية وبذوره السوداء المحاطة بخيط أحمر.

يستخدم النوع لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق وفي نفس الظروف البيئية، وكذلك في الأراضي الصلصالية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, La *pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

طلحة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفراد منها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم العائلة بالحروف اللاتينية هكذا : Talha، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 (1749).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 819.

محمد ابن عزوز حكيم

طلحة (الحاج ـ)، ثائر بسوس (ق 13) تشير مختلف مصادر العصر الوسيط (ابن أبي زرع، ابن خلدون) إلى سيطرة عرب معقل على سوس خلال الفترة المرينية (674 ـ 870 / 1275 ـ 1465)، حيث ملكوا قصوره وفرضوا مختلف الجبايات على السكان، وساد الاضطراب وعدم الاستقرار. وبهدف إعادة الأمن ومد نفوذ المخزن المريني للإقليم، قام المرينيون بعدة حملات عسكرية، بهدف وضع حد لتلك الاضطرابات. وفي هذا الإطار قام السلطان أبو مالك ابن أبي يوسف يعقوب المريني بغزو سوس سنة 668 / 1270. وبعد خمس سنوات من ذلك (1275) ثار عرب السوس، وبعد هزيمتهم، أدوا للمخزن المريني ذعيرة مقدارها 18 ألف جمل.

غير أن كل ذلك لم يحل دون تجدد ثورات أخرى، اضطر معها المخزن إلى إرسال عدة حملات عسكرية سنة 1279 و1284 نحو الإقليم، وفيها تم طرد عرب السوس نحو الساقية الحمراء. وبعد سنتين من ذلك (سنة 1286) عاد سوس نحو الاستقلال عن المخزن بزعامة ثائر مغمور يعرف بطلحة بن علي.

لم تذكر لنا المصادر الشيء الكثير عن هذا الثائر. فقد أشار إليه إشارة مقتضبة كل من ابن خلدون (*تاريخ*، 6 : 70) وابن أبي زرع (*روض القرطاس*، 407). وما يفهم من ذلك أن طلحة ثار بالسوس سنة 682 / 1286. ولا شك أن طلحة ينتمي إلى القبائل العربية التي استقدمها الزكندري لمساعدته ضد الموحدين.

وفي خضم الحملات العسكرية التي قام بها المرينيون ضد إمارة بني إيدير، ظهر طلحة بن علي مستغلاً بعد السلطة المركزية عن سوس، وضعف نفوذها به. وتشير المصادر إلى سيطرته على كل سوس. وللسيطرة على سوس لا بد من توفره على قوة تمكنه من ذلك. وغالب الظن أن ثورته ما هي إلا استمراراً لثورة بني إيدير ومحاولة منه لإنعاشها بعد الحملات العسكرية التي قادها المرينيون بسوس. غير أن المخزن المريني توصل إلى استمالة قسم من قبائل عرب ذوي حسان إلى جانبه، فاستطاع القضاء على هذا الثائر وأرسل رأسه إلى السلطان المريني.

صفوة القول أن ثورة طلحة تعكس الصراع الدائر في سوس بين المخزن المريني والقوى المحلية التي يتزعمها بنو إيدير، ولا شك أن هذه الثورة تدخل ضمنها، حيث بقي سوس رغم مقتل طلحة، شبه مستقل عن المخزن المريني إلى حدود سنة 1334، وهي السنة التي توافق مقتل آخر أمراء بني إيدير. وما قمنا به لا يعدو أن يكون إلا عرض موضوع مازال بكراً، يحتاج إلى من ينفض عنه الغبار، وأثرناه لمن يرغب في البحث عن جوانب غامضة في تاريخ علاقة المخزن المريني بسوس.

ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973.

R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen*, Casablanca, 1989.

محمد حنداين

ابن **طلحة، الصباحي عبد السلام** فقيه، كان آية في الحفظ وتحقيق التجويد والقراءات. مارس خطة العدالة بسلا حوالي عام 1283 / 1866، ثم صار نائباً عن القاضي. كان المترجم من أشياخ أحمد الناصري ـ صاحب *الاستقصا* ـ الذي ختم عليه ثلاث ختمات بالقراءات السبع، وعنه تلقى فن التجويد وحفظ المتون.

ابن **طلحة، الصباحي محمد** فقيه، كان كثير الأوراد والصيام وقيام الليل. حضر في الهجوم الفرنسي على مدينة سلا يوم 26 نونبر 1851 وأظهر ثباتا عظيما. قرأ عليه أحمد بن خالد الناصري القرآن بحرفي ابن كثير ونافع، ولازمه إلى أن توفي. وقد أشاد صاحب *الاستقصا* بالمترجم في رسالة بعث بها إلى صديقه الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي بتاريخ فاتح ذي الحجة عام 1299.

أ. الناصري، *رسالة إلى الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي*، ضمن كناشة ؛ م. الصبيحي، خ. ص، رقم 250، ص 1 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 174.

محمد السعديين

الطلَيْط أو **الطليْطي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من مدينة طُلَيْطلة ـ وقد حرف اسم المدينة عند النسبة إليها ـ وهم من الأنصار ولعل انتقالهم إلى فاس كان بعد سقوط غرناطة لأنهم لم يشتهروا بالحاضرة الادريسية إلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مع الشيخ عبد القادر الطليط آتي الترجمة. وهناك طليطون علماء آخرون تذكرهم كتب التراجم منهم : الطليط عبد القادر الحفيد، كان من عدول فاس الموثقين. والطليط، مسعود بن عبد القادر الجدّ الفقيه الفلكي الميقاتي، تولّى توقيت القرويين وتوفي عام 1104.

الطليط، عبد القادر بن **علي** الفاسي، حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالفقيه المشارك الخطير، الصدر الشهير، الموقت العدل الحيسوبي الكبير... أحد عدول فاس الموثقين المشهورين بالضبط والاتقان والتحفظ في الدين".

اشتغل مدة طويلة بالتدريس في القرويين وأخذ عنه جمّ غفير من نجباء طلبة المدينة، ومنهم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي مؤلف *الأقنوم* و*ابتهاج القلوب* وغيرهما. ولعله الوحيد الذي عرّف في أحد كتبه بشيخه المترجم قائلاً : "ولزمت شيخنا أبا محمد عبد القادر بن علي الطُّليط الأنصاري الأندلسي في الحساب والتوقيت والتعديل وغير ذلك، فسمعت عليه *روضة الأزهار* للجادري، و*رسالة الربع المجيب* للماردينى، و*رسالة الربع المقنطر* له أيضاً، و*رسالة الأزورقالي*، و*منهاج الطالب* لابن البناء، وغير ذلك، *كمطمح ابن أبي الرجال*، وشرحه لابن قنفوذ، وكتب أخرى اختصرنا ذكرها".

تدل هذه الشهادة من الشيخ عبد الرحمن الفاسي وحدها على مكانة المترجم وتمكنه من علوم الحساب والفلك والتوقيت بصفة خاصة. وذكر أيضاً أن للشيخ الطليط *تقييداً* في وفيات أهل زمانه. ولم نر أحداً آخر ذكر هذا التقييد أو نقل عنه.

توفي عبد القادر الطليط بفاس عام 1077 / 66 ـ 1667.

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1546 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 6 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي الكتاني، الدار البيضاء، 2002، ج 1، 581.

محمد حجي

الطليطلي أو **الطيلطلي، مسعود** بن عبد القادر الأنصاري الأندلسي الفاسي عالم مشارك ومتضلع في علم التوقيت الذي أخذه عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. وسبق لوالده أن برز في هذا الفن وتولى بعده رئاسة التوقيت بمنار جامع القرويين عدة سنوات إلى أن نقله السلطان المولى إسماعيل إلى مكناس وأسند إليه رئاسة توقيت جامع قصبته وظل في هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة بفاس سنة 1104.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 3 : 60، تح. د. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 291 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 355.

محمد ماگامان

طليق (عرب -) اتحادية قبلية تستوطن اليوم أحواز مدينة القصر الكبير، وتضم عدداً من القبائل والبطون تتعاطى لأنشطة فلاحية تقليدية وعصرية ؛ لا يعرف لهذه الاتحادية بداية صريحة في المصادر التاريخية، فهي غير مذكورة لا ضمن موجة الهجرات الهلالية ولا ضمن القبائل المعقلية التي دخلت إلى المغرب ابتداء من عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (*العبر*، 6). ولا يمكن الاهتداء إلى معرفة أصول هذه القبيلة الكبيرة وبداية أمرها إلا بالرجوع إلى قبيلة الخلط الهلالية ذلك أن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر لا يَرد فيها ذكر للطليق الا بصحبة الخلط (*الضعيف*، 145 ـ 181 ـ 248 ـ 318 ...)، فالخلط إحدى القبائل الهلالية الثلاث الكبرى : الخلط سفيان ورياح، وهي التي لعبت أدواراً عسكرية وسياسية في عدد من المعارك الداخلية والخارجية سواء في عهد الخليفة يعقوب المنصور أو في عهد ابنه الناصر ؛ ولكن دورها كان أكبر بعد دخول الدولة الموحدية في طور الضعف فقد كانت لها مواقف متذبذبة ومتلاعبة أحياناً دون أن تكون لها القدرة على الزعامة والحسم السياسي لصالحها ؛ فالخلط إذن كانت قبيلة

كبيرة ذات قوة وجاه ولم تذكر طليقاً، مما يجعلنا نعتقد أن طليقا اسم حديث ويمكن تحديد بدايته وهوية القبيلة اعتماداً على السياق التاريخي والنصوص القليلة الواردة في بعض المصادر الحديثة :

ذكرت مصادر التاريخ الحديث، ومنها كتب (الوفراني وابن عسكر والفشتالي) ومن أخذ عنهم، أن قبيلة الخلط استمرت في مواقفها وفي سياستها السابقة فهي خاضعة للمخزن وفي خدمته عندما يكون قوياً وتتمرد أو تتلاعب عندما يضعف. ولم تكن لديها سياسة قارة فهي كانت تخالف غريمتها وعدوتها التقليدية سفيان، وقد جرَّت كثيراً من الويلات والهزائم على الخلفاء الموحدين المتأخرين، وساهمت إلى جانب قبائل أخرى في عدم الاستقرار الذي عرفه المغرب في العهد المريني الثاني وفي العهد الوطاسي ؛ وفي العهد السعدي لم تستطع متابعة سياستها المتذبذبة والمتلاعبة بعد فترة خمول طويلة هي التي قال عنها ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائين من السنين بذلك البسيط الأفيح زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف..." ابن خلدون هنا يتحدث عن نهاية الخلط كقوة عسكرية وسياسية.

حاول الخلط استرجاع أمجادهم ودورهم مع السعديين، فلما ظهر أمر السعديين إبان فترة محمد الشيخ المهدي انحازوا إليه وكانوا في خدمته وتمكن من تحقيق النصر علي خصومه الوطاسيين بفتحه فاس وطرد أبي حسون منها، لكن عودة هذا الأخير مدعوماً من أتراك الجزائر الذين جهزوا له حملة عسكرية استطاع بها إلحاق الهزيمة بالشيخ المهدي واسترجاع فاس، ولما استتب للسلطان السعدي محمد الشيخ المهدي الأمر في النهاية انتقم من معارضيه وخصومه من علماء وفقهاء وانتقم من الخلط الذين كانت لهم يد في هزيمته أمام الاتراك فأسقطهم من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة..." (*استقصا*، 2 : 176).

ولما آل أمر الحكم في المغرب إلى دولة السلطان أحمد المنصور السعدي وكانت معركة وادي المخازن وساهم فيها الخلط بشجاعة وبسالة عندئذ اختار "النصف منهم وردهم إلى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية..."(*استقصا*) من هنا يمكن القول إن طليقاً كانت بدايتها مع العهد السعدي وتحديداً في عهد أحمد المنصور عندما أطلق أو طلّق قسماً كبيراً من الخلط وأعفاهم من الخدمة وجعلهم من عامة الناس واحتفظ بقسم آخر منهم في الجندية ومع توالي الأحداث وضعف الدولة السعدية عاد من طرد من الخلط إلى الغرب بعدما كان المنصور قد طردهم إلى الصحراء.

تميز الخلط منذئذ إلى فريقين : الطليق أي المحررون أو المطرودون من خدمة المخزن والباقون ضمن ديوان الخدمة أو الجند (*Archive Marocaine*). وبتوالي القرون ذاب الجزء في الكل أي أن الطليق كانوا أكثر عدداً من الخلط سواء بالتكاثر الطبيعي أو بالتحالف والولاء فتكونت اتحادية كبرى أخذت اسم الطليق بينما احتفظت الأقلية (المخزنية أو الجيش) بالاسم القديم. وهذه ظاهرة عادية عرفتها الكثير من القبائل في المغرب نذكر منها على سبيل المثال :

(هنتاتة - سكسيوة) و (الحارث - أولاد مطاع) ومنها أيضاً (الخلط - الطليق) : وبعض القبائل الكبرى امحى اسمها، والبعض مثل الخلط مازال مذكوراً وموجوداً في أكثر من منطقة.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ ابن عسكر، دوحة *الناشر*، الرباط، 1976 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ اليفراني، *نزهة الحادي*، الرباط ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954.

Michaux-Bellaire, *Archives marocaines*, 1913, p. 65-74: De Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, *La dynastie Saadienne*.

محمد حجاج الطويل

الطليقي، موسى بن **محمد** بن مُعَرَّف الشاوي أصلاً. شيخ ركب الحاجّ المغربي. يرفع نسبه إلى الشرفاء الأدارسة. درس بفاس وأخذ عن الشيخ أحمد الشاهد المصباحي، والشيخ أحمد أبي الرواين. وصار عالماً صوفياً جزولي الطريقة من مريدي الشيخ أبي المحاسن الفاسي ومحبيه. ولما أسندت إليه رئاسة ركب الحجيج الفاسي قام بها خير قيام عدة مرات فأحسن السيرة والتدبير وحافظ على سلامة وأمن الحجاج. وقد وصف المؤرخ محمد القادري ركبه بالأبهة والعظمة فقال : "وكان يجتمع له ركب عظيم في شارة حسنة وزي جميل يخرج فيه أهل فاس وغيرهم في الأخبية المنوعة..."

وتقديراً لأهمية ركب الحاج فقد كانت مشيختها من الخطط الدينية المشرفة التي يراعى في اختيارها عدة اعتبارات قد تجتمع كلها أوجلها في شيخ الركب منها الولاء للسلطة - النسب - الجاه - العلم - الإقدام - المروءة. والمترجم توفرت فيه هذه الصفات فهو شريف وعالم وصوفي ومحسن التدبير وخبير بأحوال طريق الحاج ؛ وهذا مازاده تقديراً ورغبة في التبرك بركبه سواء في الذهاب أو العودة من طرف الفاسيين وعلى رأسهم الشيخ أبو المحاسن الفاسي. وظل موسى الطليقي في مشيخة الركب إلى حين عودته من الحج سنة 1003 ووفاته في مطلع عام 1004 بازاجن بين وزان وشفشاون.

أبو حامد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، الطبعة الحجرية ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 59، تح. د. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 26، تح. هاشم العلوي القاسمي ؛ *ممتع الأسماع*، محمد المهدي الفاسي، ص. 129، تح. عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد.

محمد ماكامان

الطماطم عامة أو البَنَدُورَة في الشرق العربي أو مَاطِيشَة أو طُومَاطِيشْ في المغرب أسماء لنوع نباتي

يسمى علميا ليكوبرسيكوم إسكولينتوم Lycopersicum esculentum وينتمي إلى الفصيلة الباذنجانية Solanaceae التي تشمل أهم الأنواع الخضرية كالبطاطس والفلفل والباذنجان بالإضافة إلى التبغ وأنواع أخرى. والموطن الأصلي لهذه الأنواع هو أميركيا الوسطى.

أصناف الطماطم أعشاب حولية أو معمرة في بعض الحالات لكن زراعتها لا تدوم أكثر من فصل واحد. إنها نبات عشبي كبير متفرع وقائم من الممكن أن يتراوح علوه ما بين 30 سم و3 م. أوراقها مفصصة. ازهراراتها عنقودية الشكل. أزهارها صفراء اللون وصغيرة الحجم. أما ثمارها فإنها تختلف في الحجم والشكل واللون حسب اختلاف الضروب، إذ يتراوح وزن الثمرة الواحدة ما بين غرامين بالنسبة للطماطم البرية ونصف كيلوغرام بالنسبة للطماطم المغروسة ذات الثمار الغليظة. كما يختلف وجه الثمار حسب الضروب فمنها الملساء ومنها المضلعة.



يعتقد أن الموطن الأصلي للطماطم يقتصر على منطقة البيرو والإكوادور، ومنها انتشرت شمالاً قبل عهد كولمبوس حتى المكسيك حيث استأنسها الإنسان للمرة الأولى. ثم أدخلت إلى جنوب أوروبا والمنطقة المتوسطية من طرف المستكشفين الأسبان حيث أكلت ثمارها لمدة طويلة قبل استهلاكها في أوروبا الشمالية وشمال أميريكا. وذلك بعد مدة طويلة كان الإنسان يعتبر الثمار سامة كما هو الشأن بالنسبة لأوراق وسيقان وبعض ثمار الأجناس الأخرى لفصيلة الباذنجانيات التي لا يستهلكها الأهالي ولا الحيوانات، لأنها شديدة السمومة. ولهذا انتشرت زراعة الطماطم في البداية كنبات زينة كان يسمى تُومَاتُل وتفاحة الحب.

ونظراً لأهميتها كخضرة ثمرية تستعمل في عدد كبير من المأكولات المحضرة في كل دول العالم فإن ضروب وأصناف الطماطم تكاثرت وانتشرت زراعتها لتشمل جميع المناطق الحارة والمعتدلة من القارات الخمس وحتى الباردة منها بفضل استعمال الدافئات (انظر "الدافئات"). وهكذا أصبحت أهميتها تكاد تقارب أو ربما تتجاوز أهمية البطاطس.

أما في المغرب فإن الطماطم عرفت بعد إدخالها إلى المنطقة المتوسطية الأوروبية قبل أن تنتشر إلى الجانب الافريقي منها ثم إلى الجانب الآسيوي. لكن الزراعة بالمغرب لم تعرف نمواً متزايداً إلا بعد العشرينيات من القرن العشرين الميلادي. مما جعل المساحة المخصصة لها تتزايد سنويا، الشيء الذي مكن المغرب من تصدير جزء من هذا المنتوج إلى أوروبا، ولا سيما بعد الاستقلال. ففي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين لم تكن المساحة المخصصة لزراعة الطماطم تتعدى 13 ألف هكتار، فبلغت في أواخر التسعينيات ما يناهز 23 ألف هكتار أي ما يعادل 10٪ من المساحة الإجمالية المخصصة سنوياً لجميع الخضراوات. وكان الانتاج المغربي من الطماطم آنذاك يقدر بحوالي 500 ألف طن سنويا في أوائل الثمانينيات وبلغ مليون طن في أواخر التسعينيات. ولم يتم ذلك إلا بفضل استعمال تقنيات جديدة، وتنويع وتمديد فترة الزراعة على طول السنة، وكذلك اتساع مساحة الزراعة المغطاة أو الدافئات التي بلغت 3,70 ألف هكتار في موسم 1998 - 1999 بعد أن كانت من قبل لا تتجاوز 1,68 ألف هكتار في موسم 1988 - 1989.

زراعة الطماطم بالمغرب ثلاثة أصناف، فهي مبكرة أو موسمية أو صناعية.

- الزراعة المبكرة : تنجز على طول الساحل البحري الممتد ما بين السعيدية وواد لاو، وما بين الرباط وسيدي إيفني. كان هذا الصنف من الزراعة يعتمد على درجات الحرارة المرتفعة نسبيا في فصل الشتاء. والمناخ الأكثر ملاءمة للبواكير بصفة عامة هو الذي يصادف في الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنطي أي سوس وماسة لكون الحرارة الدنيا ترتفع في اتجاه الجنوب. وبفضل هذا المناخ الملائم كان المغرب أول المنتجين للبواكير في المنطقة المتوسطية. لكن ظهور الدافئات جعل هذه الزراعة تنتشر في عدة دول متوسطية وغيرها، وتعرف تزايداً في الكمية المنتجة والمردودية. وتجدر الإشارة إلى أن مساحة زراعة الطماطم المغطاة لموسم 1983 - 1984 كانت تساوي 646 هـ بمنطقة الدار البيضاء والجديدة و20 هـ بمنطقة سوس وماسة، فتزايدت سنوياً حتى بلغت 3,70 ألف هكتار في موسم 1998 - 1999، بينما تقلصت مساحة الزراعة غير المغطاة فأصبحت لا تتجاوز 1,5 ألف هكتار. وللمزيد من الايضاح حول التوزيع الجغرافي لهذه الزراعة والكميات المنتجة نورد الجدول المرافق (انظر جدول 1) المتعلق بموسم 2000 - 2001. يلاحظ من خلال هذا الجدول أن مجموع المساحة الإجمالية لزراعة الطماطم المبكرة بلغ 4,7 ألف هكتار وأن الإنتاج وصل 446 ألف طن سنوياً. أي ما يعادل 50٪ من الكمية المنتجة على الصعيد الوطني. وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الكبير من الإنتاج المبكر للطماطم المغربية يصدر إلى الخارج وخاصة في اتجاه أوروبا. فإذا كانت الصادرات من هذا المنتوج تبلغ في الثمانينيات حوالي 100 ألف طن فإنها تضاعفت مرتين ما بين 1996 و1999 لتصل إلى 200 ألف طن سنويا، ثم تراجعت في السنوات الأخيرة بعد 1999

بسبب العولمة والمنافسة الإسبانية والبرتغالية ولا سيما بعد رفض المغرب تجديد عقدة الصيد البحري في المياه المغربية مع المجموعة الأوروبية. ونشير أن تراجع الصادرات إضافة إلى الأضرار الناتجة عن الذبابة البيضاء كانا من أهم الأسباب التي أدت إلى انخفاض الإنتاج الوطني من الطماطم المبكرة بنسبة 10٪ ما بين موسم 1998 ـ 1999 إذ كان الإنتاج 560 ألف طن على مساحة تقدر بحوالي 5,2 ألف هكتار، وموسم 2000 ـ 2001 (انظر أعلاه). وتمثل التراجع كذلك في الإنتاجية التي انخفضت من 108 طن في الهكتار في موسم 1998 ـ 1999، إلى 95 طن في الهكتار في موسم 2000 ـ 2001، أي ما يعادل 14٪ من الانخفاض في الإنتاجية.

جدول 1 : مناطق وكميات الطماطم المبكرة لموسم 2000 ـ 2001 بالمغرب

المنطقة	لزراعة المغطاة		الزراعة الطبيعية العارية	
	المساحة (هـ)	الإنتاج (طن)	المساحة (هـ)	الإنتاج (طن)
سوس وماسة	2720	355000	500	11000
الجديدة	180	11500	240	8100
دكالة	130	8000	225	8000
آسفي	96	9000	120	6000
قلعة السراغنة	30	1000	-	-
الصويرة	20	1400	-	-
وادي الذهب	14	2000	-	-
الرباط وسلا	12	700	90	5000
سطات	10	800	45	2200
مناطق أخرى	28	2600	240	13700
المجموع	3240	392000	1460	54000

ـ الزراعة الموسمية : وهي إما صيفية وإما خريفية. وتنجز الصيفية منها على الخصوص في المناطق القارية من المغرب حيث تتوفر عملية السقي بينما تقتصر الخريفية على الساحل. وتقدر المساحة المخصصة لهذه الزراعة بحوالي 13,64 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000. أما إنتاج هذا الموسم فكان 371,24 ألف هكتار.

يخصص إنتاج الزراعة الموسمية كله للاستهلاك الداخلي.

ـ الزراعة الصناعية : وهي الزراعة المخصصة لصناعة معلبات الطماطم كالهريسة والعصير والصلصة وغيرها. وقد أقيمت هذه الزراعة على مساحة 6,72 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000، فأعطت 245 ألف طن. وأهم مناطقها هي لُوكُس (1,24 ألف هكتار) والغرب (5,46 ألف هكتار) وتادلة (20 هكتاراً).

وتستهلك الطماطم نيئة أو مطبوخة مع مواد غذائية أخرى. ففي شهر رمضان الكريم يستعمل معجون الطماطم في تحضير شربة "الحريرة" التي تعتبر أهم طعام وجبة الإفطار بالنسبة للصائم.

يقدر استهلاك الفرد المغربي للطماطم بحوالي 22 كيلو سنوياً دون أخذ استهلاكه لمعجون الطماطم المعلبة بعين الاعتبار.

ـ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والمياه والغابات : وثائق تقنية ـ الرباط.

محمد هشمي وعبد المالك بنعبيد

طمطم (بير ـ)، على مسافة 40 كم شرق فاس تتوسط منطقة بير طمطم منخفضي واد سبو وواد إيناون. وهي هضبة متموجة كلسية بالجنوب يغلفها الصلصال بالشمال. يتراوح ارتفاعها بين 550 وأزيد من 650 م. يتناقص منها الارتفاع في اتجاه مجرى واد سبو (350 م، 8 كم جنوباً) ويميل أقل حدة في اتجاه واد إيناون الذي تشغله حالياً حقينة سد إدريس الأول (150 م، 30 كم شمالاً). وبذلك تكتسي المنطقة طابع متون وحادورات يمكن وصفها بأراضي بينهرية قليلة المنابع والموارد المائية السطحية.

يتجانس الارتفاع وطبيعة الأشكال الطبغرافية في مجموع الأراضي بين رأس تبودة وعين السبيت غرباً وفي اتجاه سيدي مبارك وأهرمومو جنوباً وكذلك من جهة أولاد عياد شمالاً. نفس الخاصيات المورفلوجية والجيولوجية يتقاسمها محيط هضبة بير طمطم مع منطقة سايس على مستوى الإطار العام :

ـ هضبة تاهلا ويشكل بير طمطم واحداً من زواياها الثلاث إلى جانب أهرمومو وواد أمليل ؛

ـ مقدمة الريف والمجموعة الريفية بالشمال ؛

ـ بويبلان (3190) وكتلة تازكا (2000 م) في الجنوب والشرق.

تتميز هذه الهضبة بتكوينات الزمن الثاني الممثلة في صخور الكلس والدلومي الجوراسية وتنزل بدءاً من بير طمطم (حيث يبلغ سمكها 115 م) بميل قوي (10٪) في اتجاه الشمال. تخترقها الثنية التي ترافق الحاشية الشمالية للأطلس المتوسط وتتميز بانكسارات جنوبية ـ شمالية شرقية يتسرب عبرها طين وجبس الترياس نحو السطح. ويعتبر الصلصال آخر إرساب تخلف عن غمر بحر الميوسين كما عم مجموع المنطقة جنوب الريف.

وتنضاف إلى بير طمطم خاصية أخرى تتمثل في انتشار مواد بليوسينية وكلس بحيري لا تختلف عن مثيلاتها بمنطقة سايس حيث يعتبرها المؤلفون استمراراً لبحيرة كانت تشكل مصبا لأودية سبو وإيناون القديمة تراكمت بها إرسابات سميكة من الإتاوات النهرية القديمة. ويعتبر بير طمطم منطلق تعمق واد إيناون في اتجاه وضعه الحالي وذلك منذ أوائل الفترة الرباعية. ولعل هضبة بير طمطم شاهد على هذا التحول الباليوجغرافي من حيث كونها تشكل المستوى الطبغرافي الأعلى بالمنطقة.

جماعة بير طمطم القروية (376 × 570) وتتوسط

جماعات رأس تبودة، عين تمكناي، عزابة وهي محسوبة على إقليم صفرو وجماعات أولاد عياد، واد الجمعة، الولجة المحسوبة على إقليم تاونات.

وهو مجال يقرب من حاضرة فاس من جهة الشرق يتألف من آيت سغروشن وبني يازغة وآيت يوسي ثم قبيلة بني سادن التي يعتبر بير طمطم مركزاً لها. كما أنها منطقة ذات كثافة سكانية لا تتجاوز 100 ن / كم2 علماً أن مدينة فاس تمارس عليها استقطاباً كلياً وإفراغاً مستمراً للسكان.

بير طمطم، عند ملتقى طرق أهرمومو وتازة مجال محسوب على دير الأطلس المتوسط يتميز بوضع طبغرافي انتقالي عند قدم الجبل تتوفر فيه شروط مناخ معتدل ذي أمطار سنوية تتركز بين نونبر وأبريل بمعدل 550 مم (500 مم بفاس، 700 مم بتازة، و1500 مم بتازكا)؛ فيما تتراوح الحرارة بين 24° صيفا و11° شتاءاً.

ولسيادة التربة الحمراء الكلسية أو ذات قطاعات متجددة طينية سوداء غنية بالمواد العضوية وقع إيجابي يسمح بتطور فلاحة بورية ناجحة تستفيد كثيراً من تقنيات المكننة؛ وتعتمد بالأساس زراعة الحبوب والقطاني وبدرجة أقل مغروسات الزيتون.

وتكتسي بير طمطم أهمية قصوى من حيث الموارد المائية إذ يخترقها نفق مطماطة (قناة تحتأرضية بطول 13.5 كم، وبقطر 3.5 م) بواسطته يتم نقل ما بين 400 و600 مليون م3 / سنة من سد علال الفاسي (آيت يوب، على واد سبو) لتنضاف إلى 700 مليون م.م المجمعة في واد إيناون. وبذلك يتضاعف حجم حقينة سد إدريس الأول (ما بين 1100 و1300 مليون م3 / سنة) كما أن المحطة الهيدركهربائية عند عتبة خميس أولاد عياد (أسفل قناة بطول 3.9 كم) تكسب المنطقة بنية تحتية تنموية حقيقية. ورغم ما توفره مصادر المياه من انعكاسات إيجابية يبقى خصاص سكان منطقة بير طمطم من الماء ملحوظاً ولو في أبسط مظاهر استهلاكه.

M. Combe, *Le couloir de Taza, Ressources en eau du Maroc*, t. 2, *plaines et bassins du Maroc atlantique*, Rabat, 1975 ; A. Laouina, *Observations géomorphologiques dans la région du Moyen Sebou*, *RGM*, n° 23-24, 1973.

بوشتى الفلاح

طمْطُومة، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة غزاوة اشتهر منها المسمى أحمد بن عيسى الذي كان يزاول مهنة الدلالة في المجوهرات بسوق الغرسة الكبيرة في أوائل القرن الماضي؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 820.

ابن **طمَيُو**، ويكتب أيضاً مُنْطميُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tamayo؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 263.

ابن **طميُور**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت وكان من بين أفرادها فقهاء لم تذكر منهم الوثائق سوى:

- قاسم بن قاسم، فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1126 إلى سنة 1131.
- محمد بن أحمد فقيه كان بقيد الحياة سنة 1156.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

Isidro de las cagigas, *Familias tetuanies de abulango.*

محمد ابن عزوز حكيم

طنجة (تين كا - تين يگي - تينجيس - تينتديا)، لقد ارتبطت نشأة طنجة بأساطير عديدة، تظهر في أدبيات الإغريق والرومان استعرضها أبراهام لاريدو (Abraham Larédo) في كتابه *"طنجة من الأسطورة إلى التاريخ"* الصادر سنة 1966 م، حيث ذكر باختصار ما ورد عنها لدى الإغريق والرومان، فيذكر أن بعض هذه النصوص ربط تأسيس طنجة بقصة الطوفان وما وقع بعد هذا الحدث مباشرة من صراع بين العملاق أطلس رمز القوة البحرية لدى "الإيجيين" والعملاق "أنطي" زعيم المورين انتهى بمصرع أنطي وزواج أطلس من أرملته طنجة. ويذكر أيضا أن ابن "طنجة" من "أطلس" واسمه سوفاك قتل أطلس وبنى مدينة سماها "طنجة" تخليدا لذكرى أمه.

وفي رواية أخرى لأسطورة مشابهة تذكر أنه حيث توجد مدينة طنجة وحيث يلتقي البحر بالمحيط انتصر "هرقل" على "أنطي" وتزوج من زوجته طنجة التي أنجبت له "سوفاكس" الذي بنى مدينة أطلق عليها اسم أمه طنجة. ويذكر ميشيل بونسيك أن سكان طنجة القدماء كانوا يعتقدون أن نشأتها ترجع للقوة الخارقة التي كان يتمتع بها الرب "هرقل" أو "ملقاط" الذي شق المضيق الذي يفصل بين قارتي أوربا وإفريقيا، والذي يسمى الآن مضيق جبل طارق، وذلك بعد أن اشتكى المور من غزوات جيرانهم في الشمال. وهناك تأويل أسطوري آخر لأصل اسم طنجة راجع إلى اسم أميرة أسست المدينة تخليدا وتذكارا لها. وعلاوة على هذا، فهناك لوحة أسطورية أخرى تضع طنجة في سياق حادث الطوفان المذكور في الكتب المنزلة، ويعزز هذا الطرح أسماء أماكن في محيط طنجة تذكر ببعض الأنبياء، كنوح عليه السلام، وموسى عليه السلام صاحب الخضر عليه السلام، وذي القرنين صاحب السد وياجوج وماجوج.

وملخص الأسطورة المتعلقة بالطوفان أن نوحا عليه السلام رست سفينته فوق جبل طنجة، ومن ذلك المرتفع أطلق حمامة لاختبار مدى انحسار الماء وما لبثت أن عادت وفي

منقارها طين، فصاح النبي فرحا وهو يقول : "الطين جاء" ويقال إن اسم طنجة درج من هذه العبارة.

ومن المعروف أن اسم طنجة ذكره، منذ القديم، بصيغ مختلفة العديد من الرحالة والكتاب القرطاجيين، والإغريق، والرومان، والمسلمين، منهم حانون وبلينوس الشيخ، وبطليموس الجغرافي، وليون الإفريقي، ومارمول، والبكري، إلخ. فيذكر ليون الإفريقي (حسن الوزان) أن المدينة قد أسست في العصور القديمة، واستنادا إلي رأي خاطئ لدى بعض المؤرخين فإن هذه المدينة من بناء ملك اسمه شداد بن عاد (بوزيدون أو بوصيدون) الذي كانت له السيادة على العالم، وأنه أراد أن يبني مدينة شبيهة بالفردوس الأرضي، إلى آخر الأسطورة. ثم يضيف : لكن المؤرخين الثقاة يقولون بأن الرومان هم الذين بنوا طنجة على ساحل المحيط في العصر الذي كانوا يحكمون فيه غرناطة وإسبانيا، على بعد ثلاثين ميلا من أعمدة هرقل".

أما مارمول فيذكر في مؤلفه عن *إفريقيا*، أن طنجة مدينة أسسها الرومان، وإن كانت الخرافات الأهلية تعزو تأسيسها إلى أمير قوي هو شداد بن عاد بينما تذكر مصادر أخرى أن أصل قرية طنجة أمازيغية صغيرة تدعى "تنكة" وذلك قبل أن تصبح مركزا تجاريا فينيقيا. ويبدو أن هذا الافتراض هو الأقرب إلى الصواب وسنتأكد من ذلك عند تحقيق معنى اسم طنجة، وذلك على الرغم من أن معظم الروايات ترجع نشأة المدينة إلى الفينيقيين أو الرومان.

وخلاصة الأمر، أن الأساطير والروايات المتعددة اختلفت حول أصل طنجة وتاريخ نشأتها الأولى، وحول اسمها، ومن وضعه وفي أي عصر أو دولة. كما اختلفت الآراء حول معنى اسم طنجة، وقد اقترحت أصول ومعان لاسمها بناء على ما ورد في النصوص القديمة من الأساطير أو بناء على اجتهادات في فقه لغات الأمم التي ارتبط موقع هذه المدينة بتاريخها.

ومن الممكن أن يساهم المنهج الأثري في اقتراح معنى جديد، متى كان أشمل وأوسع، وقد يكون أكثر إقناعا مما هو مقترح في المصادر السابقة.

والملاحظ أن اسم طنجة كما ورد في النصوص التي تحكي هذه الأساطير، كان متشابها لكنه متعدد الرسم والصيغ كما يذكر أحمد التوفيق إذ ورد على النحو التالي :

Tinga تينكا أو تنكا أو تين كا.

Titga تيتكا أو تتكا.

Tingis تينجيس أو تينكيس أو تنيكي أو تنكي.

Tintdia تنتديا.

وينطق الاسم في العربية "طنجة" و"Tanger" في الفرنسية و"Tangier" في الإنجليزية، ولعل ما يمكن الاهتداء إليه والاعتماد عليه هما صيغتان وردتا في نقود الفينيقيين، الذين وصلوا إلى طنجة قبل الإغريق والرومان وهما Tinga تينكا وTitga تينكا، مما يوحي بأن الاسم كان محليا وأصيلا في اللغة الأمازيغية لغة أهل البلد وجده الفينيقيون أمامهم عند نزولهم بالسواحل المغربية فنقلوه بشيء من التحريف ليتماشى مع لغتهم. وكان أصله "تي ن ئكّي" أي العالية، رددته الأهازيج الشعبية (طنجة يا العالية)..

أما اسم طنجة كما يكتب وينطق اليوم في العربية، فقد دخل إلى أقدم النصوص الإسلامية كما يرسم وينطق بها اليوم، لأن طنجة كانت من أول مرتكزات الفتح الإسلامي في المغرب الأقصى كما كانت مرتكز الجواز إلى الأندلس، لذا جاء الاسم في العربية مكتوبا بشيء من التصحيف ليتماشى مع التعريب. ويبدو أن حرف التاء في آخر الكلمة تاء للتأنيت اقتضتها صياغة التعريب، بينما حرف الطاء في أولها من حرف التاء فلربما جاء تفخيما اقتضاه الحرف الذي بعده وهو النون أما حرف الجيم (معطشة) في طنجة فهو نفس الجيم البدوية (غير المعطشة) كما يقال، فيكون رسم طنجة ونطقها في اللغة العربية هو رسم معرب للاسم الوارد عند الفينيقيين، ومن نقل عنهم من بعد وهو "تينكا" وفيما يتعلق بالصيغة الواردة في النصوص اللاتينية فهي تينجيس.

أما "Tingis" أو تينكيس، فتنطق في العربية طنجيس وهي نفسها الواردة لدى الفينيقيين بزيادة حرف السين، التي تكررت في أواخر أسماء عدد من المدن في إيبيريا، أو في شمال إفريقيا، كما وردت في أوصاف الجغرافيين وغيرهم من كتاب العهد الروماني. ويذكر أن العلماء المختصين يقررون أن المعرفة بلغة الفينيقيين محدودة جدا، ولا يستطيع أحد أن يحسم في طريقة نطقهم لحركات الأسماء، لما يكون فيها من إمالة على غرار إمالة اللبنانيين لفتحه لحرف الأخير في بعض الكلمات نحو الكسر.

ويذكر الأستاذ أحمد التوفيق حول معنى اسم طنجة أن ما ينبغي إبرازه في هذا المقام أن اسم طنجة أو تنكا Tinga قد ورد في نقود الفينيقيين مفصولا إلى شطرين تين "Tin" گا "g". وفي محاولة لتفسير معنى طنجة في لغات مختلفة تناولته، نجد أن مادة ط ن ج في اللغة العربية قليلة وليس في لسان العرب لابن منظور سوى كلمة الطنوج بمعنى الأسفار، وفعل طنّج بتشديد نونه ويعني الغريب بمعنى تفنن في الكلام، وهذا يعني أن الاسم ليس له معنى في اللغة العربية فهو علم أعجمي. ومن الملاحظ أيضا أن المحاولات اللاتينية لشرح معنى اسم طنجة تربطه دائما بالنسق الأسطوري بأعلامه ووقائعه كما حكاه الإغريق ثم الرومان، وهي مصادر أجنبية، وعدم الالتفات إلى الجذور الأصلية والمحلية، كما تتضمن جهلا بالآثار الأمازيغية والفينيقية أو تجاهلا لها، كذلك فعل من أراد أن يجد للاسم تأويلا عربيا في عبارة الطين جاء المرتبطة بالطوفان.

والواقع أن كل من تناولوا اسم طنجة من حيث أصله ومعناه ابتعدوا به عن اللغة المحلية أي اللغة الأمازيغية، مع أنها أقرب اللغات إليه.

وحتى عند الرجوع إلى الأمازيغية في شرح اسم طنجة فإن الباحثين تعاملوا معه باعتباره كلمة واحدة تنكا "Tinga" وارتباط اسم طنجة بقصة الطوفان، ومن ثم ربطوا الاسم بشعب ذي سيلان عن قدم المرتفع الذي تقع فيه طنجة.

ويمثل التداعي بين الدلالات المحتملة والوقائع المذكورة دون التأكد من صحتها في هذه الحالات إغراءات خطيرة للبحث. ومن هذا القبيل أن نجد أقرب الكلمات الأمازيغية في اللغة اليوم إلى اسم طنجة كلمة تاضنكة ومعناها المرجة الكبيرة العالية، ولا تعوز القرائن لترجيح هذا الاسم سواء من جهة وقوع طنجة على مضيق بحري شديد الهيجان، أو من جهة موضعها المشرف عليه، والذي يكاد يشبه في شكله موجة من أمواج البحر المتلاطم، أو طرفا من اليابس يعاند أمواج البحر التي ترتطم عند أقدامه، وهي كسابقتها لا تدل على حقيقة الاسم المقصود. أما صيغة تين كا "g" "Tin" وهي الكلمة المفصولة إلى شطرين "تين كا" فقد بحث أحمد التوفيق فيها بقصد القياس بكلمات مماثلة في الصيغة والرسم، ووجد عددا من أسماء الأماكن التي لها معنى أمازيغي، وأشهر تلك الأسماء اسم "تينغير" وهو مركب من "تن" التي تفيد الوصف والنسب في الأمازيغية وتعني هنا صيغة التأنيث، والضمير يعود على المحلة أو العمارة أو المدينة ذات الجندل، أو ذات الصواري، أو تعني "التي في". أما الشطر الثاني وهو "غرة" فمعناه في الأمازيغية عرف الجبل، أو الأكمة أو المرتفع وهو أصلا بهمزة تحتها، وكسر في أوله "إغر" فهي إذن "تن إغر" ولكن الهمزة استثقلت لدواع يدخل فيها نسيان المعنى الأصلي أو تناسيه، فيكون أصل الكلمة طنجة تنك المركبة بالقياس على ما سبق من أن "تن" تعني ذات أو المنسوبة إلى والشطر الآخر "كا" وأصله "إكا" فحذفت الهمزة ومعناه في الأمازيغية الأعلى أو فوق أي "تين كا" تعني الواقعة في المرتفع أو الأعلى أي ذات الارتفاع أي العالية.

ومن المعروف أن أسماء الأماكن تدل في معظم الأحيان على معان تتصل بالشكل الطبوغرافي للموقع ولا تخفى أهمية التحصين وصفة المنعة التي يوفرها العلو بالنسبة للمدن الواقعة على الممرات البرية أو البحرية. وهذا ما يبرر كثرة ورود أسماء مواقع في جميع أنحاء العالم، وبلغات مختلفة لها معنى الموقع المرتفع أو الحصن العالي. فطنجة إذن هي العالية في لغة الأمازيغ، وهو في حق طنجة حقيقة جغرافية طبوغرافية لها ورود في الفولكلور الشعبي في "طنجة العالية" كما يذكر أحمد التوفيق.

ويكتب شاتلان عن طنجة سنة 1939 ما يلي :

"مدينة تاريخية كبيرة يختلط ماضيها بالأسطورة، بحيث أن بانيها هو الرب أنطي ابن الرب بوصيدون والربة الأرض حسب بومبينيوس ميلا (5، 26) وبلينوس الشيخ (7، 2). وقد تمكن البطل الإغريقي الأسطوري هرقل من صرع أنطي. واعتمادا على نص اقتبسه بلوطارك (Sertorius, 9) عن يوبا الثاني فإن هرقل تزوج من أرملة أنطي تينكي "Tingé" وأنجب منها ولدا اسمه صوفاكس (Sophax) قام بإنشاء مدينة طنجي.

والجدير بالذكر هنا أن كل النصوص الكلاسيكية تقريبا (بومبينيوس ميلا وبلينوس الشيخ وسترابون، وبطليموس وديون كاسيوس إلخ..) تضع طينجي في أقصى شمال غرب المغرب وعلى الجزء الجنوبي الشرقي من مضيق جبل طارق. تعطي طينجي بالظهر لهضبة مرشان التي يفصلها عن الجبل الكبير وادي ليهود. ويبدو أن طينجي القديمة بنيت على الهضبة، وفق ما يذكره بونسيك، في كتابه *"أبحاث أثرية في طنجة وناحيتها"*، وأنه توصل إلى معرفة خطوط تسوية المدينة القديمة وباستعمال التصوير الفوطوكراميتري، وأنه متأكد من أن الطرق القديمة بطنجة، تطابق تقريبا الطرق الحديثة وهذا يعني أن طنجة الحالية مبنية على طنجة القديمة.

ونظرا لتحكمها في الشق الجنوبي لمضيق جبل طارق يبدو أنها قديمة جدا وتعود إلى عهد سابق على اتصال السكان الأصليين بالفينيقيين وأنها بالتالي لم تكن مستوطنة فينيقية.

ويجب التذكير هنا بالدور الذي لعبته طنجة في عهد الملوك المور أمثال إيفطاس واسكاليس وبوكود خلال الحروب الأهلية الرومانية. ويخبرنا ديون كاسيوس بأنه خلال معاهدة السلام سنة 40 قبل الميلاد منح أوكتافيوس سكان مدينة طنجة حق المواطنة الرومانية ؛ ولذلك عندما اعتلى الملك بوخوس عرش موريطانيا لم تكن طنجة تابعة له، مما يؤكد أنها كانت مدينة مستقلة.

ونظرا لوجود طنجة الحالية فوق طنجة القديمة فلم تجر فيها التنقيبات وإنما عرفت بعض الاستبارات أجراها بونسيك في السوق الصغير استخرج منها عددا من الكتابات يبلغ عددها خمسينا (50) منها ما هو متعلق بالوالي بيسيوس بويتوينياس (Besius Betuinianus) في عهد الامبراطور تراجانوس، وكتابات أخرى ذات موضوعات دينية وثنية ومسيحية.

كما تم استخراج مجموعة من المواد الأثرية أشهرها تمثال المرأة الملتحفة ومجموعة من المسكوكات والقناديل وتماثيل صغيرة وكتابات، كل هذه المواد معروضة بمتحف القصبة بطنجة.

والجدير بالذكر أن طنجة الحالية تمدنا بين الفينة والأخرى بمواد أثرية عند حفر أسس عمارة أو بناية من البنايات في طنجة. ففي زنقة الصباغين اكتشف سنة 1935 مجموعة من المواد الأثرية في ظرف زمني متقارب. وخلال وضع أسس عمارة بنك المغرب عثر على أسس بناية يبدو أنها تعود لعهد الاحتلال الروماني، وقبل هذه السنوات وخلال الإعداد للبناء في منطقة الرهبان الفرانسيسكان الإسبان، عثر في عمق عدد من الأمتار على فسيفساء يعرف باسم فسيفساء أورفي (Mosaïque d'orphée).

وعلى ما يبدو، فحتى الأسوار الحالية للمدينة قد تكون استمرارا لأسوار مدينة طنجة في العصر القديم.

وفي سنة 1958 أجرى مونطالبان استبارات في المنبت البلدي واكتشف بقايا بناية اعتقد أنها حمامات. إلا أن بونسيك وبعد إجراء حوالي اثني عشر (12) استبارا في المنطقة تبين له أن حمامات مونطالبان عبارة عن تحصين عسكري صغير أهمل في وقت ما وتحولت بوابته الرئيسية المدعمة ببرجين إلى حمام. وكان الهدف من هذا التحصين هو حماية المدينة وخليج طنجة والمنطقة الشرقية، من القبائل التي تسكن الجبال المجاورة. ويكاد يكون تصميم هذا التحصين مربع الشكل طوله 27 م وعرضه 26 م ويبدو أن هذا التحصين معزول ولا وجود لأبنية مهمة مجاورة له كما تؤكد ذلك الاستبارات.

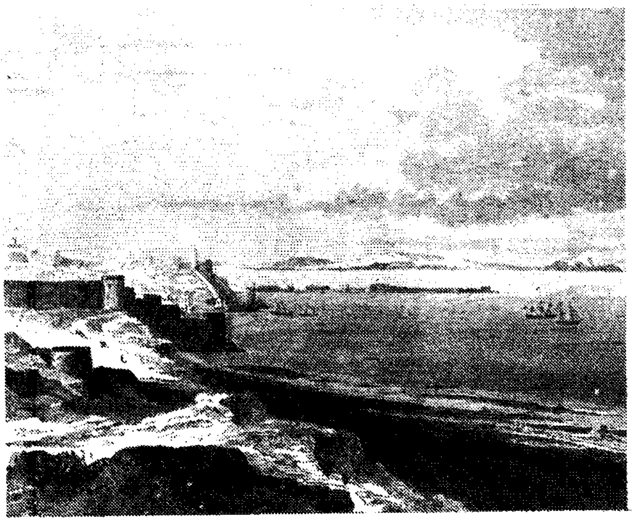
كما استخرجت مجموعة من المواد تتضمن مصابيح تعود للقرنين الثاني والثالث الميلاديين ونقود من عهد تراجانوس ودقلديانوس وقسطنطين الأكبر. والشيء الذي يجب التأكيد عليه حول ماضي طنجة هو طابع الأصالة وتميزها الخاص، وهذا ما حاول بونسيك أن يؤكده من خلال الأبحاث الأثرية التي أجراها وهو أن طنجة كانت لها علاقات متينة مع عالم البحر المتوسط وإسبانيا. وهذا التميز لا نجده في باقي المدن المغربية القديمة، فطنجة هي التي أطلق اسمها على الولاية الرومانية التي أحدثت بعد مقتل الملك الموريطاني بطليموس سنة 40 م بحيث أصبحت الولاية تحمل اسم موريطانيا الطنجية. ولذلك ليس من المستبعد أنها كانت عاصمة الولاية الرومانية موريطانيا الطنجية وليس وليلي.

م. مصيلحي فتحي، *بحوث في جغرافية مصر*، ستبين الكوم، 1993 ؛ أ. التوفيق، *حول معنى طنجة من أعمال ملتقى طنجة في التاريخ المعاصر*، طنجة 1990، ص. 33 - 41، الرباط، 1991 ؛ ليون الإفريقي، *وصف إفريقيا*، ج. 2، ص. 208 - 209، الرباط ؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، جزء من *كتاب المسالك والممالك*، بغداد، ص. 108، دون تاريخ ؛ مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية ما بين المور والرومان من 144 إلى 285 م*، د. د. ع. مايو 1980، كلية الآداب، الرباط.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 2 ; M. Besnier, *Découverte d'une necropole romaine à Tanger*, *R.M.M.*, VI, 1908 ; S. Biarnet et A. Perette, *Les sépultures antiques du plateau du Marshan à Tanger*, *A.M.*, XVIII ; Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris 1943 ; L. Chatelain, *Découvertes d'une statue romaine à Tanger*, *CRAI*, 1935 ; Id., *Tingi (Inscriptions)*, *Bulletin de la société de Géo.* de France, 1915 ; Id., *Tngi (Inscriptions)*, *CRAI*, 1935 ; J. Marion, *Peuplement de Tanger à l'époque romaine*, *Hesp.* XXXV, 1948 ; Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, Paris 1921 ; M. Ouachi, *Tanger création et mythologie*, *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983 ; D. Ponsich, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tanger*, *BAM*, V, 1964 ; Id., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; M. Tarradell, *El Benian, Castellum romano entre Tetuan y Tanger*, *Tamuda*, I, 1953, p. 302 - 309 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, *Mémoire de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, IX, 1878.

مصطفى أعشي

طنجة، توجد في موقع استراتيجي هام يتحكم في الطريق البحرية الرابطة بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهو ما جعلها محط أطماع أجنبية منذ أقدم الأزمنة. فمنذ تأسيسها في القرن السابع قبل الميلاد وقعت طنجة في قبضة العديد من المحتلين، بدءا بالفنيقيين، ومروراً بالقرطاجانيين، والرومان، والوندال، والبرتغاليين والإنجليز. وقد ترك الاحتلال الأجنبي بصماته واضحة على شخصية المدينة، وخاصة الاحتلال الأوربي الحديث من سنة 1471 إلى سنة 1684، الذي جعل منها بعد تحريرها ثغرا ومرسى محصنة، تشكل الحاميات العسكرية العمود الفقري لساكنتها. وهذا الطابع العسكري الذي ميز تاريخ طنجة هو الذي منعها من اكتساب بنيات ومؤسسات حضرية كتلك التي نجدها بالمدن الداخلية.



وبعد الفتح الإسلامي اكتسبت مدينة طنجة أهمية خاصة كنقطة وصل بين المغرب والأندلس. كما جعل منها عمال الخلافة الأموية بالمشرق مقرا لحكمهم. وتفيد الروايات التاريخية أن المولى إدريس بن عبد الله قد قصدها في نهاية القرن الثامن للميلاد، قبل أن يستقر بمدينة وليلي. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المدن الداخلية كوليلي وفاس مركزا للحكم، في حين فقدت طنجة أهميتها، حتى في مجال الربط بين المغرب والأندلس، بعدما تألقت مدينة سبتة كحاضرة وكجسر بين العدوتين.

وبدأت الأطماع الأوربية حول مدينة طنجة تظهر مع بداية القرن الخامس عشر للميلاد. فبعد احتلالهم لمدينة سبتة في سنة 1415 حاول البرتغاليون عدة مرات احتلال طنجة، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في سنة 1471، لتبقى المدينة في يدهم قرنين من الزمن. وفي سنة 1671 انتقلت ملكية المدينة إلى الإنجليز عندما قدمت طنجة كجزء من مهر الأميرة كاترين دي براگانزا، التي زُفت إلى ملك إنجلترا، شارل الثاني. وكان الإنجليز حريصين على أن تُصبح المدينة قاعدة بحرية في خدمة الأسطول الإنجليزي، ومحطة تجارية على

الطريق البحري الرابط بين إنجلترا ومستعمراتها في آسيا. لذلك فإنهم لم يهتموا إلا بالتحصينات، في حين دمروا جل البنايات ذات الطابع الديني. وبطبيعة الحال، فقد ظلت المدينة خلال الاحتلال الإنجليزي مقطوعة عن حوزها، بل إن المدينة كانت خلال جل هذه المرحلة تعيش حصارا شبه دائم من طرف القبائل المجاورة، مع ما كان يتخلل ذلك من هجومات المجاهدين، خاصة في وقت لم تتمكن فيه بعد الدولة العلوية الناشئة من مد سلطتها إلى المناطق الشمالية. وقد احتفظ التاريخ بأسماء مجاهدين استطاعوا أن يحولوا حياة المحتلين إلى جحيم، أمثال الخضر غيلان الذي ضيق بالإنجليز إلى درجة أصبحوا معها يفكرون في إخلاء المدينة. ولم يقبل بعقد هدنة معهم إلا عندما شعر بالتهديد من جهة الجنوب، عندما تقدم العلويون باتجاه المناطق الشمالية.

وإذا كان العلويون قد تمكنوا من القضاء على غيلان فإنهم كانوا مطالبين بمواصلة الجهاد ضد المحتلين الإنجليز وتحرير الثغور الأخرى المحتلة من طرف الإسبان، حتى يعززوا مشروعيتهم السياسية ويُبرروا تصديهم لحركات جهادية محلية، كحركة غيلان بفحص طنجة، أو حركة أولاد النقسيس بمدينة تطاون. وحاول الإنجليز الوصول إلى صيغة تفاهم مع مولاي إسماعيل تُمدد على أساسها الهدنة بين الجانبين، لكن الاعتبارات السياسية التي جعلت من تحرير الثغور المحتلة أولوية بالنسبة للعلويين، والضغوط العثمانية لتحويل نظر المولى إسماعيل بعيدا عن حدوده الشرقية ومطالبته بجهاد النصارى، قللت من حظوظ التوصل إلى "هدنة دائمة" كما كان يأمل الإنجليز. لذلك قررت الحكومة الإنجليزية، أمام اشتداد الحصار المضروب على طنجة، إخلاء المدينة في فبراير من سنة 1684.

وبعد تحريرها عهد المولى إسماعيل بحكمها إلى "الجيش الريفي" بقيادة علي بن عبد الله التمسماني. وكان على هذا القائد أن يُعيد بناء المدينة ويُعمرها بعناصر القبائل الريفية التي اتخذها العلويون حليفا، وجعلوا منها جيشا يحررون به الثغور، ويوظفونه في كبح جماح القوى المحلية بمنطقة جبالة. وفي نفس الوقت كلف المولى إسماعيل قائد طنجة بإدارة الشؤون الخارجية والعلاقات التجارية والسياسية مع الأوربيين. ومنذ ذلك التاريخ تحولت مدينة طنجة إلى "بوابة المغرب الديبلوماسية"، ومقر القنصليات الأوربية. وعقب وفاة هذا القائد خلفه ولده أحمد بن علي الذي استطاع أن يوسع سلطته لتشمل مجموع الشمال المغربي، خاصة خلال فترة الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727، إذ تمكن أحمد بن علي الريفي بفضل مداخيل التجارة مع أوربا أن يكسب الأتباع، ويستميل جزءا من جيش العبيد، وأن يمنع مولاي عبد الله بن إسماعيل من مد سلطته إلى القسم الشمالي من المملكة، وذلك إلى حدود سنة 1743 عندما قُتل هذا القائد في مواجهة حاسمة بين الطرفين.

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر استطاع السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يقلص من هيمنة الجيش الريفي عندما أسكن بالمدينة فرقة من جيش العبيد. إلا أن أسرة أحمد بن علي الريفي كانت عبر خدمتها الطويلة للدولة قد أصبحت من الأسر المخزنية التي يصعب الاستغناء عنها. لذلك فإنها توارثت قيادة طنجة ونواحيها لعدة أجيال خلال القرنين الثامن والتاسع عشر.

ومن جهة أخرى يمكن القول إنه خلال القرن التاسع عشر اكتسبت طنجة معالم وسمات لازالت تشكل إلى اليوم جزءا من شخصية هذه المدينة. ومن جملة التطورات التي طبعت المدينة خلال هذا القرن تزايد الحضور الأوربي في المجالين الديبلوماسي والتجاري، بتزامن مع اشتداد الضغوط الاستعمارية. وقد تجلى الحضور الأوربي قبل كل شيء في وجود القنصليات الأوربية، ونمو جالية من الأوربيين تتكون من موظفي القنصليات وأسرهم، وكذلك من التجار الأوربيين الذين استقروا بالمدينة خلال النصف الثاني من القرن. ومن العوامل التي جعلت الدول الأوربية تنقل مقرات قنصلياتها من الرباط إلى طنجة تكليف المخزن لقائد طنجة بالكلام مع ممثلي هذه الدول. كما أن الأوربيين استفادوا من قرب المسافة بين طنجة والقارة الأوربية، ومن وجود مواصلات بحرية أكثر سهولة بين هذه المدينة والعديد من المراسي الأوربية. وابتداء من سنة 1845 تم ترسيم وضعية طنجة كعاصمة ديبلوماسية عندما قرر السلطان أن يعين بها نائبا عنه يمثله لدى الهيئات القنصلية الأوربية. وبهذا الإجراء تم تقليص اختصاصات قائد المدينة الذي أصبح يشرف على إدارة الشؤون المحلية دون غيرها.

وفي المجال التجاري ظلت حصة مرسى طنجة بالنسبة للمعاملات مع الخارج ضعيفة، إذ لم تتجاوز هذه الحصة عند منتصف القرن 20٪ من مجموع التجارة المغربية مع أوربا. وكانت تجارة المدينة تتم أساسا مع جبل طارق ومراسي جنوب إسبانيا، وتمثلت في تصدير الماشية والمواد الفلاحية واستيراد السلع الأوربية كالقطنيات والسكر والشاي. وجاءت الاتفاقية المغربية ـ البريطانية لسنة 1856 لتعطي دفعة قوية للحركة التجارية بالمدينة، إذ شهدت هذه الأخيرة فتح عدة مؤسسات بنكية، وتنشيط حركة المواصلات البحرية مع العديد من المراسي الأوربية.

وبموازاة مع هذا النمو الاقتصادي شهدت طنجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نموا ديموغرافيا ملحوظا. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة من 5.000 تقريبا في سنة 1810 إلى 20.000 في سنة 1878، وكانت المجموعة اليهودية تمثل خمس السكان تقريبا. أما الجالية الأوربية فكان عدد أفرادها يقدر بحوالي 700 في سنة 1860، بينما لم يكن هذا العدد يتجاوز المائتين تقريبا في سنة 1832. ومن المؤكد أن توقيع المغرب لسلسلة من الاتفاقيات مع الدول الأوربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدى إلى

تضخم هذه الجالية التي وصل عددها إلى 5.000 فرد عند نهاية القرن. وقد صاحب هذا الارتفاع في نسبة الأوربيين ظهور العديد من المؤسسات الجديدة التي لم يعرفها من قبل المجتمع المغربي التقليدي. ومن هذه المؤسسات ما كان يعرف بالمجلس الصحي المكون من الهيأة القنصلية، والذي كانت مهمته تدور حول الوقاية من الأوبئة ومنع انتشارها. كما ظهرت بالمدينة أولى المدارس الأوربية، وكذلك مدارس الجمعية اليهودية العالمية. كما شهدت طنجة دخول الطباعة الحديثة وصدور عدد من الصحف باللغات الأوربية، في البداية على الأقل.

وعند بداية القرن العشرين استقطبت مدينة طنجة أنظار العالم أجمع، وذلك نتيجة ازدياد حدة التنافس الاستعماري حول المغرب، وانكشاف الأطماع الامبريالية تجاهه، خاصة بعد الاتفاق الانجليزي - الفرنسي لسنة 1904. واتخذت ردود الفعل المغربية على هذه الأطماع شكل اختطاف بعض الشخصيات الغربية بالمدينة. وكان من وراء أشهر عمليات الاختطاف الشريف مولاي أحمد الريسوني. وفي سنة 1905 تصدرت طنجة الأحداث الدولية بزيارة إمبراطور ألمانيا وليام الثاني، الذي جاء ليؤكد "حقوق ألمانيا" في المغرب. إلا أن مصير طنجة كان في النهاية مختلفا عن مصير بقية البلاد. فبينما تم تقسيم المغرب إلى منطقتي الحماية الفرنسية والاسبانية في سنة 1912، اتفقت الدول الغربية على أن تُفرد المدينة بوضع دولي خاص يحول دون إلحاقها بإحدى الدولتين الحاميتين، وهو الأمر الذي كانت بريطانيا تعارضه بشدة. لكن هذا "الوضع الخاص" لم يتحدد إلا في سنة 1925 بعد أن انشغلت أوربا بالحرب العالمية الأولى وما أعقبها من إعادة ترتيب الأوضاع الأوربية.

وكانت مسألة طنجة قد أثيرت دوليا لأول مرة في مؤتمر الجزيرة الخضراء (1906)، لكن المشاركين في هذا المؤتمر فشلوا في حسم المسألة، إذ كانت كل من إسبانيا وفرنسا تطالب بإدراجها ضمن منطقة نفوذها، بينما كانت بريطانيا ترى في ذلك إضعافا لهيمنتها على البوغاز وتهديدا لمصالحها البحرية في البحر المتوسط. ولم تنكب الدول الغربية على مسألة طنجة إلا في سنة 1923 عندما عقد بباريس مؤتمر لتحديد المعالم الرئيسية لوضع طنجة ومنطقتها. والاتفاقية التي تمخضت عن هذا المؤتمر هي التي حددت الوضعية التي عرفتها المدينة حتى استقلال البلاد في سنة 1956، باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية عندما استغلت إسبانيا ظروف الحرب لتربط المدينة بمنطقة حمايتها بين سنتي 1940 و1945.

وكان النظام الخاص الذي أحدث للمدينة ينص على حيادها السياسي والعسكري، وبقائها مفتوحة للتجارة الدولية دون قيود : كما نصت اتفاقية باريس على أن يدير شؤون المدينة ومنطقتها مجلس يضم ممثلي الدول الغربية المهتمة بما عرف بالمسألة المغربية. وكما كان الحال في منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية فإن منطقة طنجة بقيت كذلك من الناحية المبدئية على الأقل، تحت سيادة السلطان. لذلك سمح لهذا الأخير بتعيين "مندوب" يكون واسطة بين السلطان ورعاياه بالمنطقة الدولية.

وكانت لهذا النظام الدولي انعكاسات هامة في المجالين الاقتصادي والمالي. ذلك أن مدينة البوغاز أصبحت سوقا مالية نشيطة تضم حوالي 85 وكالة بنكية في سنة 1950 مقابل 4 وكالات فقط عند بداية القرن العشرين. وفي سنة 1950 كذلك كان عدد الشركات التجارية المسجلة بالمدينة يناهز 4.000. لكن الإنجازات الاقتصادية التي شهدتها طنجة ومنطقتها ظلت هشة، ودون مستوى تطلعات الدول الغربية بسبب القطيعة التي ميزت علاقة المدينة بمحيطها المغربي. ومع ذلك فإن الرخاء الاقتصادي النسبي الذي عرفته طنجة خلال الفترة الدولية جعل منها قطبا للهجرة القروية، خاصة من منطقة الحماية الإسبانية بسبب فقرها، وغياب سياسة إسبانية للتنمية. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة خلال هذه الفترة إلى أربعة أضعاف ما كان عليه في البداية. وكان الأوربيون يمثلون حوالي ربع ساكنة طنجة التي وصلت في سنة 1952 إلى ما يناهز 164.000 نسمة ؛ ونسبة الأوربيين هذه كانت، بطبيعة الحال، أعلى نسبة للعنصر الأوربي على مستوى الحواضر المغربية ككل.

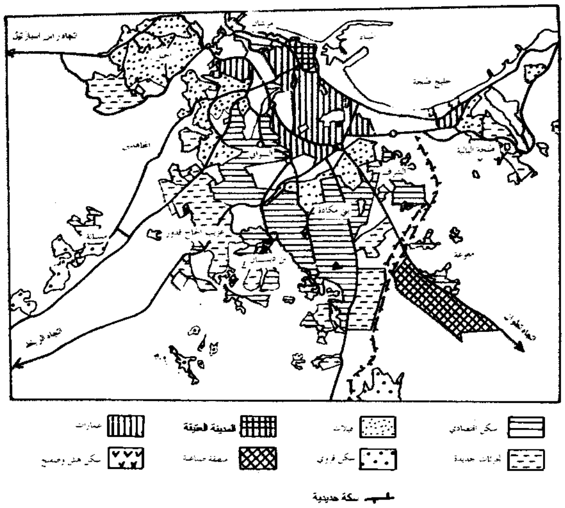
إن إخضاع مدينة طنجة ومنطقتها لنظام دولي وعزلها عن بقية البلاد خلال فترة الحماية لم يحل دون مساهمة أهلها في المقاومة والكفاح من أجل الاستقلال. فمدينة طنجة وفرت الملجأ للعديد من الوطنيين الهاربين من بطش السلطات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية. ويبقى أهم حدث بارز ارتبط بتاريخ طنجة خلال مرحلة الوصاية الاستعمارية هو خطاب السلطان محمد بن يوسف في أبريل من سنة 1947، والذي أكد فيه ثوابت الكفاح الوطني، أي الحق في الاستقلال، والوحدة والانتماء إلى الأسرة العربية. لكن طنجة لم تستفد كثيرا عندما تحقق الاستقلال. ذلك أن إلغاء النظام الدولي أدى إلى هروب رؤوس الأموال الأجنبية وانهيار الرخاء الاقتصادي الهش الذي ساد قبل 1956. وكان من نتائج إلغاء الحواجز بين منطقة طنجة وبقية البلاد أن تدفقت على المدينة أفواج المهاجرين من القبائل المجاورة بحثا عن ظروف عيش أفضل. وهكذا كان عدد سكان طنجة في سنة 1982 يقترب من 300.000 نسمة يعيش جزء كبير منهم في الأحياء الهامشية مثل بني مكادة، والدرادب، والسواني. وفي غياب استراتيجية تنموية متكاملة تهم طنجة ومحيطها المتمثل في منطقة الحماية الاسبانية السابقة تبقى الحياة الاقتصادية بالمدينة معتمدة إلى حد كبير على تجارة التهريب والمخدرات والهجرة إلى أوربا.

Résidence Générale de la République Française au Maroc, *Ville et tribus du Maroc*, VII : *Tanger et sa zone*, Paris, 1921 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, 4 vol. ; *Horizons Maghrébins* (revue), numéro spécial sur *Tanger*, Printemps 1996.

محمد المنصور

طنجة (المدينة)، تقع مدينة طنجة في أقصى الشمال الغربي من المغرب، حيث تشرف على مدخل مضيق جبل طارق. وقد احتلت المدينة في موضعها الأصلي الجزء الشرقي من الهضبة المطلة على خليج واسع، طوله نحو 5 كلم، هو بمثابة مرفأ طبيعي كان من دون شك من أهم العوامل التي حددت نشأة وتطور المدينة.

مدينة طنجة



ابتداء من أواخر القرن 18 بدأت طنجة تكتسب تدريجيا دورا بارزا في علاقات المغرب مع القوى الأوربية. فقد اختارها السلاطنة لتكون مقرا للبعثات الدبلوماسية الغربية في محاولة لإبعاد هذه الأخيرة عن العاصمة فاس والتقليل من ضغوطها على المخزن. كما أن تنشيط الملاحة البحرية عبر بوغاز جبل طارق كنتيجة لشق قناة السويس، زاد من الأهمية الاستراتيجية للمدينة. وقد ساعدت المزايا التي يتسم بها مرفأها بالنسبة لدخول السفن المتزايدة الحجم على الحسم في الصراع بينها وبين الموانئ المجاورة وعلى رأسها تطوان والعرائش. وبذلك أصبحت طنجة الميناء الرئيسي للمغرب إلى أن انتزع منها الصدارة ميناء الدار البيضاء في مطلع القرن 20. وقد واكب هذه التحولات تزايد سريع في ساكنة المدينة التي توافد عليها المهاجرون من المدن المغربية الأخرى ومن أرياف شمال البلاد، علاوة على جالية أجنبية كبيرة. وهكذا تضاعف عدد السكان عشر مرات ما بين 1810 و1910، مارا من 5.000 إلى 50.000 نسمة.

وقد أفضى التفتيت الاستعماري للتراب المغربي إلى قيام منطقة دولية تشمل طنجة وضواحيها حدد نظامها بموجب اتفاقية 1923. وإذا كانت هذه الأخيرة قد نصت على مبدأ الوحدة الترابية للبلاد وسيادة سلطان المغرب مع التأكيد على حياد المنطقة الدولية والمساواة الاقتصادية بين الدول، فإنها في الواقع، على غرار نظام الحماية في باقي أجزاء البلاد، أعطت للأجانب السلطة الحقيقية في المجالات السياسية والاقتصادية. فإلى جانب المندوب السلطاني الذي يخضع له الرعايا المغاربة أنشئ مجلس تشريعي دولي ولجنة مراقبة يشرفان على تدبير شؤون المنطقة وعلى الجالية الأجنبية. وبعد فترة توقف خلال الحرب العالمية الثانية، بين 1940 و1945، استولت خلالها إسبانيا على طنجة، أعيد تفعيل النظام الدولي في صورة مجددة وذلك بانضمام الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعة الدول المشاركة فيه. وقد عرفت المدينة خلال هذه الفترة ازدهارا اقتصاديا متميزا مستفيدة في ذلك من وضعها كـ"جنة ضريبية" حيث الرسوم الجمركية منخفضة والضرائب جد محدودة، إضافة إلى ضمان حرية الصرف وتجارة الذهب. يشهد على هذا الازدهار ارتفاع عدد السكان الذي وصل في بداية الخمسينيات من القرن العشرين إلى 164.000 نسمة، من بينهم 42.000 من الأجانب، واتساع رقعة المدينة وتوسيع مينائها. غير أن هذا الازدهار كان مبنيا على اقتصاد هش قائم على المضاربة والتهريب وتملص الشركات الأوربية من أداء الضرائب، من خلال إقامة مقرات اجتماعية وهمية بطنجة للاستفادة من امتيازاتها. لذلك ما فتئ أن انهار اقتصاد المدينة بعد الإعلان عن نهاية النظام الدولي (أكتوبر 1956) عقب استقلال المغرب، بالرغم من الإبقاء على حرية التجارة والصرف خلال فترة انتقالية انتهت سنة 1959 بالدمج النهائي للمدينة ووضع حد لنظامها الاقتصادي الخاص. وقد تسبب ذلك في اندلاع أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة استوجبت تدخل الدولة. وقد اتسم هذا التدخل بالخصوص، مع مطلع الستينيات، بتدعيم دور المدينة كبوابة رئيسية لدخول المسافرين بحرا إلى المغرب من خلال توسيع وتجهيز الميناء، وتعزيز البنيات السياحية وإعطاء تحفيزات ذات طبيعة ضريبية بالأساس لجلب الاستثمارات. كما أنشئت منطقة تجارية وصناعية حرة بالميناء وهيئت منطقة صناعية جديدة عند مخرج المدينة في اتجاه تطوان.

جاءت نتائج هذه السياسة متباينة. فعلى المستوى السياحي، كانت النتائج هزيلة بالنظر إلى ما كان منتظرا حيث أن الطاقة الإيوائية للمدينة لا تتجاوز اليوم 8٪ من المجموع الوطني. كما يشهد فشل إنجاز مشروع التهيئة السياسية لخليج طنجة على محدودية النشاط السياحي بالمدينة. وقد بقي هذا الأخير منحصرا بالأساس في سياحة العبور بموازاة مع وظيفة طنجة كأكبر ميناء للمسافرين بالمغرب (2,6 مليون مسافر سنة 2000)، ينافسه في ذلك ميناء سبتة المحتلة. في حين يحتل مطار طنجة المرتبة الرابعة على الصعيد الوطني بحوالي 300.000 مسافر سنة 2000.

أما على المستوى الصناعي فقد استطاعت طنجة أن ترقى إلى المرتبة الثانية وطنيا بعد الدار البيضاء من حيث عدد العاملين في هذا القطاع. وقد تعزز النشاط الصناعي مع مطلع القرن الحالي بفتح منطقة صناعية وسكنية جديدة باكزناية على مساحة 129 هـ، والمنطقة الصناعية الحرة للمطار المتخصصة في الصناعات التصديرية على مساحة إجمالية قدرها 345 هـ. غير أن بنية هذه الصناعة التي وإن

كانت تعرف تنوعا متزايدا مازالت تتسم بسيادة قطاعي النسيج والألبسة اللذين يمثلان حوالي نصف المؤسسات الصناعية وأكثر من ثلثي اليد العاملة التي يطغى عليها الطابع النسائي.

وتعد طنجة قطبا رئيسيا في شمال المغرب من حيث الخدمات (أبناك، تأمين، خدمات طبية...) إلا أن إشعاعها التجاري والخدماتي يعاني من الموقع المتطرف للمدينة بالنسبة لمناطقها الخلفية. وهو المشكل نفسه الذي يحد من رواج البضائع بالميناء الذي سجل أقل من 3 ملايين طن سنة 2000. غير أن الإمكانات التي يتيحها موقع طنجة على إحدى أكبر الممرات البحرية في العالم لم يتم استغلالها لحد الآن بشكل كافي. وهذا بالضبط ما يُتوخى من مشروع إنشاء ميناء طنجة المتوسطي في واد الرمل، على بعد 45 كلم إلى الشمال الشرقي من المدينة، والذي سيختص في إعادة توزيع البضائع على نطاق الجهة الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط. ويعد هذا المشروع نواة لمنطقة حرة صناعية وتجارية وسياحية يراد منها تنشيط اقتصاد المنطقة الشمالية من المغرب.

ولقد شهدت طنجة منذ الاستقلال انفجارا سكانيا وعمرانيا. ارتفع عدد السكان من حوالي 150.000 نسمة سنة 1960 إلى 497.147 سنة 1994. وتشير التقديرات إلى أن هذا العدد تجاوز 600.000 سنة 2000. ويعزى هذا النمو السريع إلى الجاذبية الهجرية التي تمارسها المدينة على نطاق مجمل الأقاليم الشمالية من المغرب، بل وتتجاوزه من خلال استقطابها المتزايد للمرشحين للهجرة السرية نحو الخارج من جهات أخرى مغربية وإفريقية، كما يعزى إلى اتساع الرقعة الحضرية بانضمام عدد من القرى المجاورة إلى المدينة.

وواكب هذا التزايد الديمغرافي انفجار في المجال الحضري. فإلى حدود الربع الأول من القرن 20 شكلت النواة القديمة داخل الأسوار والتي تشرف عليها القصبة، المقر التقديري للسلطة المخزنية، المجال الرئيسي لتوسع المدينة. ثم شرعت المدينة في الامتداد نحو الشرق على هضبة مرشان، ونحو الجنوب على طريق فاس، والجنوب الشرقي في اتجاه شاطئ الخليج. كما شهدت منطقة الجبل، في الضاحية الغربية، انتشار سكن الفئات الاجتماعية الثرية. وقد عرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية طفرة سريعة على المستوى العمراني. لكن احتدام الهجرة القروية ضخم من المشاكل الحضرية والمتمثلة في ظهور وتزايد حجم الدواوير وأحياء السكن غير المنظم المحيطة بالمدينة كدشر بَندبان وطنجة البالية وبني مكادة. وبعد الاستقلال عرفت طنجة فترة وجيزة من الركود استغل خلالها الرصيد السكني الشاغر بعد مغادرة أعداد كبيرة من الأجانب للمدينة. لكن مع نهاية الستينيات احتدت من جديد حركة التوسع المجالي كنتيجة للهجرة. فإلى جانب الجاذبية الناشئة عن تطور الأنشطة الصناعية والخدماتية، شكلت الهجرة الطاردة من الأرياف، خصوصا من جبال الريف، أحد الأسباب الرئيسية لهذا التوسع. كما شكلت الاستثمارات العقارية للمهاجرين المغاربة بالخارج، حتى من خارج طنجة، رافعة مهمة لتنشيط حركة البناء بالمدينة.

غير أنه بالرغم من المجهود المبذول على مستوى التخطيط الحضري، من خلال وضع مخططين توجيهيين للتهيئة الحضرية (وضع الأول سنة 1983 والثاني سنة 1997) وتصاميم التهيئة الحضرية، احتدمت ظاهرة التوسع العشوائي للنسيج الحضري وما يصاحبها من مشاكل سوء التجهيز. وتجلى ذلك في الانتشار الكبير لأحياء السكن العشوائي (حوالي ثلث السكن بالمدينة في أواخر القرن العشرين). ويهدف مخطط توجيه التهيئة الحضرية الحالي إلى إعادة تنظيم المجموعة الحضرية لطنجة من خلال اختيارات كبرى أساسية أهمها :

1 - توجيه توسع النسيج الحضري على ثلاثة محاور :

- محور شرقي على طول ساحل الخليج مخصص للسكن والأنشطة السياحية والثلاثية (مكاتب وتجارة) مع بناء محطة سككية جديدة على طرفه الشرقي،

- محور جنوبي للسكن الكثيف والأنشطة وتقوية المراكز الحضرية لأحياء بني مكادة وكاسابراطا وبنديبان، وفتح مجالات جديدة للتعمير بين طريق الرباط وطريق المطار،

- محور جنوبي غربي على طول طريق المطار بتخصيص مجالات لأنشطة القطاع الثالث الأعلى والأنشطة ذات التكنلوجيا العالية إلى جانب منطقة للوظائف الجامعية.

2 - تنمية مركز جديد للأنشطة الصناعية والخدماتية باكزناية والذي شرع في إنجازه.

3 - الحفاظ على الصبغة الطبيعية والترفيهية للضاحية الغربية بمنطقة رأس اسبارتل.

4 - إنشاء طريق دائرية خارجية تسهل الربط بين المداخل الرئيسية للمدينة من الجنوب إلى الشرق.

جهة **طنجة - تطوان**، في أقصى الشمال الغربي للمغرب. يحدها غربا المحيط الأطلسي وشرقا البحر الأبيض المتوسط وشمالا مضيق جبل طارق، وهي بالتالي تطابق في مجملها ما اصطلح على تسميته من الجغرافيين المحدثين بشبه الجزيرة الطنجية (نسبة إلى مدينة طُنجس الرومانية) التي تمثل أقرب الأراضي الإفريقية إلى القارَة الأوربية.

إداريا تتكون هذه الجهة من عمالتي الفحص - بني مكادة وطنجة - أصيلا وأقاليم تطوان والعرائش وشفشاون، والتي تضم في المجموع 100 جماعة، منها 13 جماعة بلدية و87 جماعة قروية على حوالي 11.570 كلم2. قدر عدد سكان الجهة بـ2,3 مليون نسمة سنة 2000، 57٪ منهم حضريون.

تتكون التضاريس بالأساس من الطرف الغربي لسلسلة جبال الريف. يتسم جزؤها الغربي بالانفراج وقلة الارتفاع حيث تتعاقب التلال والجبال المنخفضة من جهة والمنخفضات من جهة أخرى. لكنها تأخذ طابعا جبليا كتليا ويتزايد

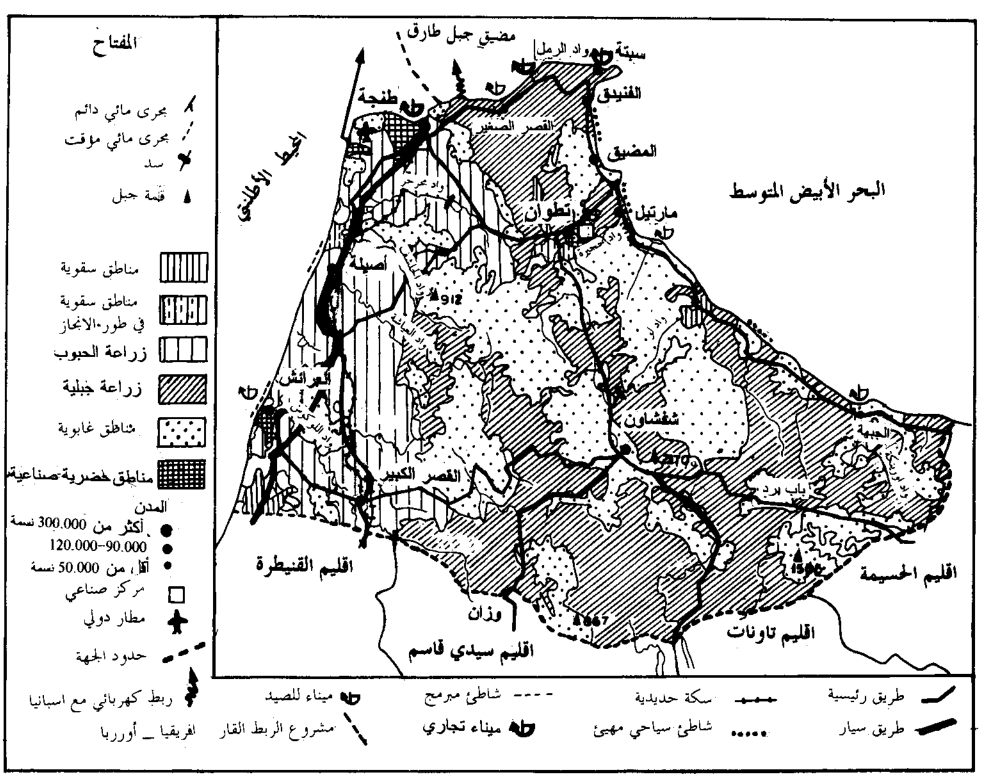
ارتفاعها في اتجاه الشرق حيث يتراوح علوها ما بين 1.600 و2.100 م (2.170 م بجبل بوهلة جنوب مدينة شفشاون). وتشرف هذه الجبال على الشاطئ المتوسطي بأجراف تتراجع عند مصاب الأودية لتفسح المجال لظهور سهول ساحلية صغيرة تصلها بالبحر شواطئ رملية متقطعة باستثناء الساحل التطواني الذي يمتد على حوالي 20 كلم من سبتة إلى الرأس الأسود.

ويوافق القسم الغربي من الجهة منطقة الهبط التي يشير اسمها إلى انخفاضها مقارنة بالمنطقة الجبلية المحاذية لها شرقا. ويتكون الهبط من هضاب منخفضة تعلوها طبقة من الصخور الرملية. وتنحدر عموما نحو الغرب في اتجاه الشاطئ الأطلسي. بينما يزداد ارتفاعها في اتجاه الجنوب الشرقي لتتصل بتلال مقدمة الريف بمنطقة جبالة حيث يناهز الارتفاع 300 م. وتتخلل هذه الهضاب سهول فيضية ذات طبيعة صلصالية تحمل أتربة ثقيلة، ينفرد من بينها سهل لوكس بحجمه الكبير نسبيا حيث يمتد على حوالي 30 كلم طولا و10 كلم عرضا.

تنتمي الجهة في مجملها إلى المجال المتوسطي شبه الرطب بينما تنتمي حاشيتها الشمالية القصوى والمرتفعات الجبلية إلى النطاق، الرطب، في حين يتسم الشريط الساحلي المتوسطي الشرقي بطابع شبه جاف نظرا لوجوده في وضعية محجوبة عن التيارات الجوية الغربية المطرة. وقد عملت رطوبة المناخ من جهة ووعورة التضاريس من جهة ثانية على ترسيخ الطابع الغابوي المتميز للمنطقة، حيث تشمل الغابة أكثر من ثلث مساحة الجهة. وتتسم الغابة بتنوع كبير في الأصناف النباتية مما يعطيها أهمية متميزة على المستويين الإيكولوجي والبيولوجي. وضمن هذا التنوع تبرز بعض الأصناف النباتية كشجر الأرز الذي يظهر ابتداء من ارتفاع 1.300 م جبال الريف الأوسط وشجر البلوط القطني Chêne tauzin والتشنة Chêne zene من ذوي الأوراق النفضية. ويسود البلوط الفليني باقي المناطق الغابوية. كما تنفرد الجهة بوجود الغابة الوحيدة لشجر الشوح Sapin بالمغرب بالقرب من مدينة شفشاون. غير أن الغطاء الغابوي شهد تراجعا كبيرا منذ الفترة الاستعمارية إذ مازال يتهدده الاجتثاث من أجل توسيع المجال الزراعي وبالأخص المجال المخصص لزراعة القنب الهندي المعروف بالكيف والذي ينتشر انطلاقا من الريف الأوسط.

ومن الناحية الزراعية تعتبر التلال والجبال مجالا لزراعة متعددة المحاصيل يمارسها فلاحون تقليديون متجذرون. فحول القرى المعلقة على السفوح ينتشر مشهد زراعي مُسيج بنباتات طبيعية يعد من المظاهر المميزة لجبال الريف الغربي. ويطابق هذا المشهد البساتين أو كما تدعى "الجنانات" حيث تتركز المغارس (التين والزيتون والكروم...) وبعض الزراعات التي تحظى بعناية خاصة من حيث التسميد والري كالشعير العلفي وزراعات الخضر. وفي أسفل السفوح والمنخفضات تنتشر الزراعات الموسمية في تلاؤم مع طبيعة التربة : زراعة شتوية (قمح وشعير) على الأراضي الخفيفة والأراضي التي ينصرف منها الماء، وزراعة ربيعية (ذرة بيضاء وقطانيات وزراعات زيتية، خصوصا الفول السوداني، والتبغ) فوق الأراضي الثقيلة الميهة. كما تستفيد تربية الماشية من

جهة طنجة تطوان



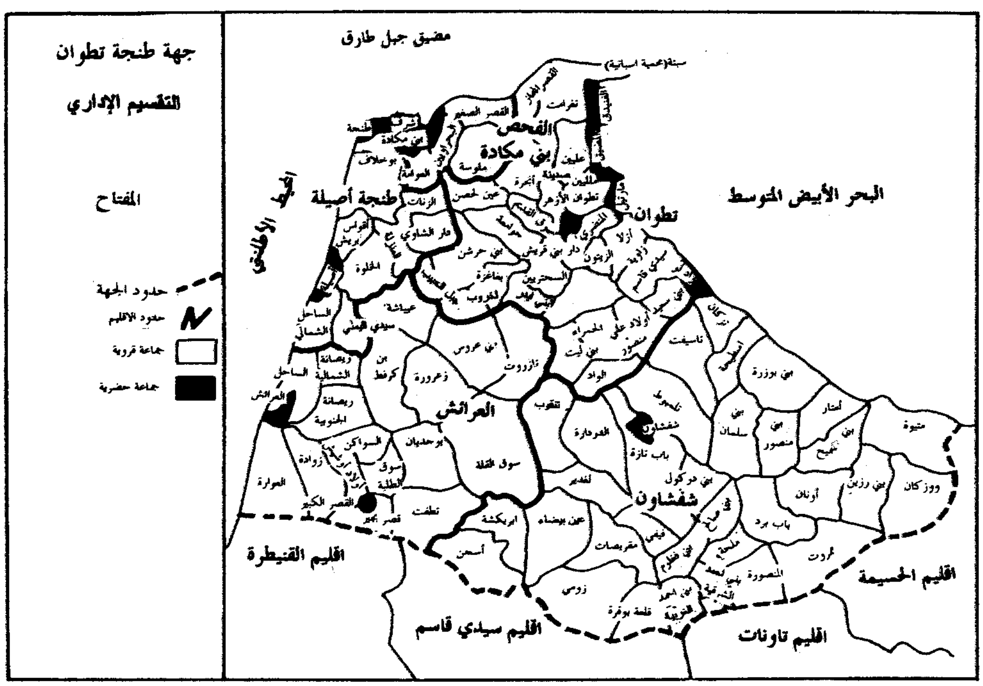
التكامل الموجود بين المراعي الغابوية على المرتفعات والأراضي الراقدة والحصائد في المنخفضات. وفوق الهضاب الغربية تنتشر عموما فلاحة تسود فيها الحبوب (قمح وشعير وقطانيات) مقترنة برعي واسع.

وقد تطور الري في إطار دوائر مسقية انطلاقا من سدود على كل من واد لاو وواد أجراس وواد لوكس. ويعتبر هذا الأخير أهم هذه السدود إذ يغطي حوالي 29.000 هـ من الأراضي المسقية على امتداد وادي لوكس الأسفل وفوق هضبة الرمل بالإضافة إلى 11.000 هـ في قطاع الدرادر - المرجة. الواقع خارج الجهة على حدود منطقة الغرب. تحتل الزراعات السكرية المرتبة الأولى من بين الزراعات المنتشرة داخل الدائرة المسقية للوكس (21.000 هـ من قصب السكر و7.000 هـ من الشمندر السكري) وتغذي معملين للسكر بطاقة 80.000 طن في السنة. ويأتي الفول السوداني في المرتبة الثانية ضمن المزروعات الصناعية. كما تغذي زراعة البقليات، خصوصا منها الفلفل الأحمر والطماطم، الصناعة الغذائية التي تحتضنها بالخصوص مدينة العرائش. ومنذ بضع سنوات عرفت الزراعة المبكرة لتوت الأرض الموجه للتصدير نجاحا كبيرا مستفيدة من لطافة المناخ وجودة تربة رملية خفيفة ملائمة وقرب المنطقة من السوق الأوربية. كما يرتبط التطور الحديث لتربية الأبقار باتساع رقعة الزراعات العلفية واستعمال بقايا بعض المنتجات كأعلاف مثل الشمندر وقصب السكر.

وعلى الرغم من توفرها على واجهة بحرية طويلة فإن الجهة لا تنتج سوى كميات محدودة من الأسماك لم تتعد 20.000 طن سنة 2001 بنسبة 4٪ من الإنتاج الوطني، موجهة بالأساس لتغذية جانب من الاستهلاك الجهوي. ويعزى ذلك لمحدودية الثروات السمكية التي يعتمد استغلالها على أسطول يطغى عليه الطابع التقليدي، ينطلق من موانئ طنجة والعرائش والمضيق.

وانطلاقا من بداية الستينيات علقت آمال كبيرة على السياحة، اعتبارا لما تزخر به المنطقة من شواطئ رملية جميلة ووجود أكبر البوابات البحرية لدخول المسافرين إلى المغرب والمتمثلة في ميناءي طنجة وسبتة (عبر مركز الفنيدق بالنسبة لهذا الأخير) والقرب من إسبانيا وما يتيحه ذلك من فرص لاستقطاب السياح الوافدين على هذا البلد. وقد بذلت الدولة مجهودا ملحوظا لتطوير هذا القطاع بالجهة من خلال إعطاء امتيازات للمستمرين وتعزيز التجهيزات الأساسية (كتوسيع ميناء طنجة الذي أقيمت به محطة للمسافرين وتوسيع المطار...) وتهيئة شاطئي خليج طنجة وساحل تطوان. غير أن الطابع الموسمي للنشاط السياحي بالمنطقة وقلة تنوع المنتوج السياحي كانا من العوامل التي قلصت من أهمية هذا القطاع حيث تراجعت نسبة جهة طنجة - تطوان من الطاقة الإيوائية الوطنية من 25٪ في أواخر السبعينيات إلى 16٪ في مطلع القرن الحالي.

وبموازاة مع ذلك بذلت مجهوات لتنمية النشاط الصناعي بإعطاء امتيازات للجهة في إطار قوانين الاستثمار الصناعي، وتجهيز منطقتين صناعيتين في كل من طنجة وتطوان انضافت إليهما مع مطلع القرن الحالي المنطقة الصناعية الحرة للمطار والمنطقة الصناعية لكزناية في ضاحية طنجة.



وتشغل الصناعة الجهوية حوالي 10٪ من اليد العاملة الصناعية بالمغرب (1996) وتوفر 5,5٪ من قيمة الإنتاج الصناعي الوطني. تمثل مدينة طنجة أكبر قطب صناعي بالجهة بما يقارب ثلثي عدد المؤسسات الصناعية كما تحتل المرتبة الثانية على الصعيد الوطني من حيث عدد اليد العاملة الصناعية. لكن بالرغم من اتجاهها النسبي نحو التنوع فإن الصناعة الطنجية مازال يهيمن عليها قطاعا النسيج والخياطة اللذان يشغلان أكثر من 75٪ من اليد العاملة الصناعية.

كما توجد مدينة طنجة على رأس شبكة حضرية جهوية مكونة من 8 مدن كبيرة ومتوسطة وما لا يقل عن 12 مركزا حضريا صغيرا. لكن وظيفتها كقطب حضري جهوي تعاني من موقعها المتطرف بالنسبة لتراب الجهة. غير أن هذا الوضع لا يمنعها من مزاولة جاذبية كبيرة إزاء المهاجرين القرويين، شأنها في ذلك شأن مدينة تطوان مما يفسر الوثيرة المرتفعة لنمو ساكناتهما حيث سجلتا معدلا سنويا لنمو الساكنة يقدر بـ4,4٪ بالنسبة للأولى و4,1٪ بالنسبة للثانية مقابل 3,6٪ كمتوسط بالنسبة لمجموع الوسط الحضري وذلك خلال الفترة ما بين 1982 و1994.

ويبقى في النهاية أن الموقع الاستراتيجي للجهة، المطل على مضيق جبل طارق الذي يعتبر من أهم الممرات البحرية في العالم، عند نقطة تقارب بين القارتين الافريقية والأوربية، هو أبرز الامتيازات التي تحظى بها حاليا جهة طنجة - تطوان. وهذا ما يجعلها تلعب دور الربط بين القارتين من خلال خطوط العبور البحري عبر المضيق انطلاقا من طنجة وسبتة ومن خلال خطوط الربط الكهربائي وأنابيب الغاز الجزائري بين المغرب وأوربا. ومن المنتظر أن يتقوى هذا الدور بعد إنجاز ميناء طنجة المتوسطي الذي سيتكفل بإعادة توزيع السلع ضمن الحوض الغربي للأبيض المتوسط. ومن دون شك سيزداد هذا الدور متانة في حال إنجاز مشروع الربط القار بين إفريقيا وأوربا. وفي المقابل يجر هذا الموقع بعض المصاعب على المنطقة أبرزها التهريب والهجرة السرية. فالتهريب الذي يمر أساسا عبر مدينة سبتة المحتلة التي تستفيد من وضعيتها المتميزة كمنطقة حرة يغذي أسواقا تتجاوز الإطار الجهوي. وهكذا أصبح التهريب، الذي تم التساهل معه بذريعة إيجاد منافذ للتخفيف من تفشي البطالة، عبارة عن اقتصاد خفي ينخر جهود التنمية الاقتصادية ليس للمنطقة الشمالية فحسب بل للمغرب ككل. كذلك ساهمت الجاذبية التي تمارسها أوربا على المهاجرين من بلاد الجنوب، والصعوبات المتزايدة أمام هؤلاء لاجتياز الحدود الأوربية بصورة قانونية، في تحويل الجهة إلى إحدى أكبر نقط تجمع المهاجرين السريين من المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء في انتظار فرصة للعبور نحو الضفة الشمالية.

ويبقى في النهاية أن موقع الجهة يخول لها أن تصبح قاعدة خلفية للانتاج والتصدير نحو السوق الأوربية القريبة مما يمثل امتيازا مؤكدا بالنسبة للمستثمرين.

محمد الرفاص

ابن **طنْجة**، أسرة تطوانية فرع من الأسرة اليعقوبية الشريفة وقد انقرضت بتطوان.

ابن **طنجة، عبد العزيز** فقيه تولى خطة العدالة بالمدينة سنة 1023 (1614).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 264.

محمد ابن عزوز حكيم

طنجي، وتكتب أيضا معرفة وبألف أمام الطاء، هم رحالة صحراويون من بعض إزركيين - إحدى القبائل الصحراوية المحاذية للمحيط الأطلنطي ما بين واد نون والساقية الحمراء - أيت سعيد، أولاد امبارك أيت واعزيز، جاؤوا من أدراد موريطانيا حسب بعض الروايات، وحسب رواية أحد أحفاد الأسرة أنهم جاؤوا من الحوض بموريطانيا.

بقيت منهم بعض الأسر بإمارة الترارزة الموريطانية، حل جدهم بأيت باعمران منذ قرنين ونصف تقريبا. خلف الجد محمد ثلاثة ذكور وأنثيين وهم على التوالي لحسن ولد محمد، علي ولد محمد ومحمد ولد محمد أما الأنثيان فهما عيشة بنت محمد ومكبولة بنت محمد.

وقد استقرت هذه الأسرة الحوضية بالقرب من إحدى فخوذ أولاد الدليم التي سبقتها إلى عين المكان، عرفت هذه الفخذة من أولاد الدليم بأهل محمد ولد عمر.

لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى قدح نحاسي كانت تملكه هذه الأسرة، حيث كانت تطبخ فيه الطعام وتكرم الضيف خصوصا الرحالة منهم وعابري السبيل عبر الطريق الساحلي الذي يربط واد نون بأيت باعمران ثم عبر تزنيت.

فإذا حلت "أكوابير" القادمة من جهة القبلة، بأرض أيت باعمران يقولون : أين نجد طعامنا، فيقولون عند أهل طنجي أي صاحب الطنجية. فاتخذ الأبناء هذا اللقب اسما للعائلة، كما أن هذا الاسم يحمل بعض الأفراد من قبيلة العروسين والركيبات وأولاد الدليم، بل لازال من يحمل هذا الاسم بموريطانيا.

معلومات حصلنا عليها من أحد أفرادها إضافة إلى أحد الباعمرانيين.

الطنجي، أحمد بن عبد الرحمن، كان يعرف بالحرمل. من أهل طنجة، وسكن مراكش وقتا، كان فقيها صوفيا صاحب كرامات وكشف وأحوال. رحل إلى الحج وطاف في البلاد ووصل إلى بيت المقدس وبلاد العجم، واستقر به المقام

بمصر فسكن الإسكندرية، وتكونت له علاقات متينة بشيوخ التصوف بمصر مثل الشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحيم القناوي السبتي الذي زاره بقنا بصعيد مصر. وصار أبو العباس الطنجي أحد شيوخ التصوف المغربة الذين أثروا بعمق في النشاط الصوفي بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين بما كان له من صيت وأصحاب وأتباع.

توفي سنة 612 / 1215 ودفن بالفسطاط.

ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، المطبعة الملكية، ج. 1، ص. 346 ؛ ابن أبي المنصور، *رسالة صفي الدين بن أبي المنصور*، تح. ديني جريل، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1986، ص. 20، 63 ـ 68 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1984، ص. 432 ؛ ابن الطواح، *سبك المقال*، تح. محمد مسعود جبران، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص. 56.

محمد المغراوي

الطنجي، سعيدُو، هو المعلم سعيدو الطنجي. كان من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20).

اشتهر ببراعته في عزف الكمان زايد نقط. وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

وقد أخذ عنه عمر الجعايدي والحاج عبد السلام بنيوسف وأحمد بن المحجوب زنيبر، وشكل هؤلاء الثلاثة امتداداً لأسلوبه في عزف الكمان وتعزيز دوره في الأجواق الأندلسية بالمغرب.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 112.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الطنجي، علي بن **عبد الرحمن** بن تميم اليفرني، أبو الحسن : من أهل فاس وعرف بالطنجي، فقيه حافظ أخذ عن أبي الحسن الصغير الزرويلي وغيره. برع في علم الفرائض والحساب، وألف تقييداً على *المدونة*. تتلمذ عليه الفقيه محمد بن سليمان السطي الذي أخذ عنه علم الفرائض.

توفي سنة 734 / 1334.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ج 1، 228 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 325 ؛ محمد مخلوف، شجرة *النور الزكية*، بيروت، دار الكتاب العربي، ص. 218 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ج 3، ص. 245.

الطنجي، محمد بن **محمد** بن موسى، يكنى أبا الفرج، فقيه حافظ صالح ورع، أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله محمد بن موسى الطنجي، وعن خيرة علماء فاس في عصره مثل أبي مهدي عيسى المغراوي وعبد الله العبدوسي، والأستاذ أبي عمران موسى بن عبد المؤمن، وأبي عبد الله النيجي، وصهره الفقيه محمد القوري والفقيه أبي سعيد بن أبي محمد السلوي. ومن الآخذين عنه أحمد المنجور جود على يديه القرآن الكريم.

كان خطيبا بجامع الأندلس بفاس.

توفي بها في حدود سنة 889 / 1484 أو 893 / 1488.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1، ص. 243 ؛ درة *الحجال*، ج. 2، ص. 140 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 559 ؛ المنجور، *فهرس المنجور*، ص. 59.

محمد المغراوي

الطنجية، لون من الطعام المراكشي، سمّي باسم القدر الذي يُطبخ فيه : الطنجية، مستطيلة الشكل تصنع من الطين بعروتين ويطلى داخلها بالبرنيق. يطهى بها اللحم بطريقة مميزة بواسطة حرارة رماد نار الحمام البلدي المعروف باللسان الدارج "بالفرناطشي". ويطلق اسم الطنجية على لون الطعام المعد في هذا الإناء الطيني ويجمع على "طْنَاجِي". وطرق إعداد الطنجية خاصة ومختلفة عن الطريقة المعروفة عند عموم الناس في إعداد وجباتهم، إذ يتطلب إعدادها مواد معلومة وإمكانيات مادية وزمنية مهمة. لذلك فهي تقضي وقتا طويلا في حرارة رماد موقد النار "الفرناطشي". وعليه فإن طهي الطنجية لا يعني توفير الإناء والمواد فحسب، بل يشترط خبرة الشخص ـ الذي يسهر عليها ـ وبدرجة حرارة الرماد التي توضع فيه، لأن المناسبة التي من أجلها تعد الطنجية تكون خاصة، وهي المعروفة عند المراكشيين "بالنْزَاهَة". وكما يمكن أن تكون الطنجية طعام المناسبات، فهي أيضاً كانت ولفترة طويلة وجبة كل يوم عند الْمَعلْمين الصْنَايْعية من الجيل السابق بالأحياء القديمة بمراكش. أما اليوم فقد تغيرت أحوال الجيل الجديد من هؤلاء الحرفيين والصْنَايْعيَة وتأثرت حياتهم بضرورات العصر المبنية على السرعة في كل شيء.

وذكر الباحث الفرنسي (Brunot) أن الطنجية بفاس هي خليط من الخضر واللحم والتوابل تطهى في إناء بنفس الاسم يدعى الطنجية، توضع برماد نار الحمام (*هسبريس*، 1921 : 127).

وقد انفرد ابن الخطيب بمعلومة تشير إلى لون الطعام المطجن الذي يراد به طبخ اللحم بغير مرق. وهذا يتطلب طريقة إعداد خاصة، وهو ما وصفه بالمطجَّنَات حيث قال : "المطجنات ما يطبخ في الفرن من اللحوم والطير في الأوعية بغير مَرَقَةٍ" (*مفردات لسان الدين*، 86). وعليه، فعماد المطجنات حسب وصف ابن الخطيب ـ فضلاً عن عملية الطبخ في الفرن ـ هي طبخ اللحوم في الأوعية بغير مرق. فضلاً عن ذلك، فهو طعام يعد دون خضخضة (*لسان العرب*، 7 : 144) أو تحريك. وفي آداب الأكل عند المالكية إجازة مسح اليد بعد اللعق فيما لا غمر فيه وما فيه غمر يندب غسلها بعد لعقها لوجود المرق (*الفواكه الدواني*، 2 : 316). فحكم إعداد المطجنات يقتضي الإدام عند التحضير دون غمر بالماء. وهذا

عكس ما إن حضر طعام فيه غمر يعلوه إدام فهو يلطخ اليد عند الأكل لما لهذا الطعام من كثرة المرق. وكما لا يجوز التفاضل في الجنس الواحد من سائر أنواع الإدام كالسمن والزيت، فإنه لا يستقيم اعداد الطنجية إلا بما يكفي من الإدام الذي ينوب عن استعمال الماء (*الفواكه الدواني*، 2 : 75).. ويؤكد هذا عبارة ابن الخطيب "بغير مَرَقَة" وهو عدم استعمال الماء البتة في الإناء. وتعد الطنجية عموماً من لحوم البقر والغنم وخاصة ذيولها حيث يوجد دهن السمن بها، أو الجزء المسمى بالْمَلْجْ (عند العامة) ويوضع معه نوع خاص من الجمر. كما تعد الطنجية لوجبة الإفطار من كراع (البقر والغنم) بإضافة بعض القطاني كالحمص أو اللوبية.

وتستعمل الطنجية كإناء لحفظ العديد من المواد، كالسمن والعسل والخليع والإدام المذاب.. ويضع بها أهل أنجرة الزيت، كما يقول (Westemarck). لكون هذا الإناء مبرنق - (أي مْجَلَجْ باللسان الدارج) - يمنع من الرشح ويحفظ المواد الموضوعة به على طبيعتها من غير تلف. ويقول (Brunot) : إن الطنجية بفاس تستعمل للحليب والسمن وصنع الخميرة للعجين. وحين التنابز بالألقاب بالمجتمع الفاسي كان يقال للمتلعثم في كلامه "خلاص يا طنجية الخميرة" (هسبيريس، 1921 : 127).

مفردات لسان الدين بن الخطيب، منشورات عكاظ، الرباط، 1988؛ السقطي، *في آداب الحسبة*، باريس، 1931 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ ابن سالم النفراوي، *الفواكه الدواني*، بيروت، 1415 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ج 7، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، العراق، 1978 ؛ مجلة هسبيرس لسنوات 1921، 1922، 1923، 1925، 1931، 1933، 1938.

Westemarck, *Cérémonies du mariage. dans les Archives berbères*, vol. 2, fasc. 1, p. 13.

عبد الرزاق ازريكم

الطنجيون، من النصوص الجغرافية التي تعرضت للقبائل الموريطانية نص الجغرافي بطليموس الذي ذكر القبائل التي كانت تسكن موريطانيا الطنجية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب والشرق ومع ذلك فلم يتعرض بطليموس للطنجيين إذ اقتصر حديثه على مدينة طنجة فقط. ومن الذين أشاروا إلى الطنجيين فيلوسطاط في حياة أبولونيوس تيان (Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, I) الذي عاش في العهد الفلاقي (69 - 96 م). يذكر فيلوسطاط أن الطنجيين قبيلة متوحشة تعيش في المنطقة المتصلة مع رأس أبينا الذي قد يقصد رأس شبه جزيرة سبتة أو أبيلا التي تعني أحد أعمدة هرقل الواقع في موريطانيا الطنجية. وليس من المستبعد أن تكون لكلمة الطنجيين علاقة بمدينة طنجة وأن يكون الطنجيون يستوطنون المناطق القريبة من المدينة التي تحمل اسمهم.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية في موريطانيا الطنجية بين الرومان والرومان من سنة 140 إلى 285 م*. د. د. ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980، ص. 97.

J. Desanges, *Catalogue de tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, 1.

مصطفى أعشي

الطنطان، إذا انطلقنا من البواعث المرتبطة بطبيعة الموقع، وجدنا أن كلمة الطنطان تعني البئر الرنانة التي كانت معروفة لدى مربي الإبل على مصب وادي درعة بالمحيط الأطلسي شمال الصحراء. ففي بداية القرن العشرين كان مصب وادي درعة من أشهر المواقع المعروفة بأهميتها كمرتع للماشية وكتراب للف الساحلي لقبائل تكنة. كانت قبيلتها آيت لحسن وازرگيين قد تخصصت في ارتياد هذا الموقع في تربيتها للإبل مما أهلها لتبني صيغة "لف ايت الجمل". وقد يكون هذا الوضع سبباً مباشراً في التجاء هذا اللف إلى البئر الرنان (الطنطان). فهو يفتح أمامها مجالاً واسعاً لاحتكار الموارد النباتية للغطاء الكثيف الذي يميز مصب وادي درعة.

تتحدد إذن أهمية البئر في موقعه الساحلي الذي جعله يثير اهتمام الضباط الإسبان الواردين على المنطقة من جزر كناريا المجاورة. وقد اشتهرت في الرواية المحلية مجموعة من الثنائيات التي تواجه الباحث حين يحاول أن يتبين مراحل ظهور مدينة الطنطان. من بين هذه الثنائيات نجد تربية الإبل ومراقبة المجال، نمط العيش الترحالي وحماية الخيام، نمط العيش وتربية الخيول، الرماية والقنص، التحالف القبلي وحماية الجار، الخ ..

خلال الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ الإسبان يعززون مواقعهم بالمنطقة. وكان العامل الذي ساعد على اهتمامهم بموقع الطنطان تحديداً هو ردود الفعل القبلي الرافض. فقد أدى اهتمام الإسبان بالبئر إلى انطلاق المعارضة القبلية عبر رفض الفصائل المحلية لأي اتصال مباشر مع الضباط الإسبان. وغداة الاستقرار الفعلي الاسباني سنة 1932، أخذت الإدارة العسكرية الإسبانية ترتب أمورها لانطلاقة تكون منسجمة مع حاجيات الرحل إلى موارد غذائية وغيرها.

وتدريجيا ظهرت نقطة الطنطان على الخارطة الإسبانية على بعد 21 كلم جنوب مصب وادي درعة. وقد كانت الإمدادات الغذائية تصلها عبر البحر من الطرفاية جنوباً. تبرز أهمية هذا المعطى الغذائي بالنسبة للوسط الترحالي من خلال ندرة المنتوج الكافي محلياً من حيث اقتناء المنتوجات المصنعة أو تزويد الفصائل المحلية بالمواد الأولية. فقد تضافرت عدة عوامل جعلت من مربي الماشية يعيشون أوضاعاً صعبة خلال الثلاثينيات التي عرفت الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 والظروف المناخية غير المواتية في مطلع الثلاثينيات بما فيها من غزو للجراد وسنوات فلاحية عجاف إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية لاقتصاد الموانئ الغربية.

هكذا ومن هذا المنطلق القاضي بالابتعاد عن سياسة التصلب، جعل الرحل يتنقلون تحت المراقبة الفعلية للإدارتين

الاسبانية والفرنسية بين الحدود المرسومة ابتداءاً من سنة 1934. وقد تمت دشرة الطنطان تحت الحماية الأمنية والسياسية للإدارة الإسبانية إلى أن أصبحت مدينة من الحجم الصغير. هكذا اضطرت الفصائل المحلية أمام ازدواجية الإدارة السياسية الفرنسية والاسبانية إلى تبني سياسة مزدوجة، وجهها الأول هو طلب الإذن بالمرور من المنطقة المراقبة فرنسا إلى منطقة مراقبة إسبانيا، معتمدين على نوع الجوار المباشر، ووجهها الثاني الاندماج في تيار الجهاد ضد المد المسيحي كما كان يراه سكان الصحراء عموما.

وكانت الإدارتان الفرنسية والإسبانية تعتبران خط العرض 40 °27 بمثابة الحد الفاصل بين التراب المغربي والصحراء الغربية. وهو ما لم يكن يدخل بخلد الفصائل المحلية التي كانت ترابها ومجال ترحالها يمتد على جنوب وشمال هذا الخط. وقد حرصوا في مختلف اللقاءات التي كانوا يقومون بها مع الإدارتين معا على توضيح موقفهم الرافض لكل تجزيء ترابي يعارض المقاييس التاريخية القائمة لمراقبة المجال الترحالي. ولكي يكونوا منطقيين مع أهدافهم، حرصوا على تبليغ السلطان محتوى ما وصلت إليه هذه اللقاءات غداة اجتماعاتهم مع مسؤولي الإدارتين الاسبانية والفرنسية.

ومع استقلال المغرب بدأت معالجة قضية الصحراء. فقد أمضى وزير الخارجية أحمد بلافريج اتفاقية Cintra مع الحكومة الإسبانية بتاريخ 7 أبريل 1956 خولت للمغرب استعادة المنطقة الممتدة من وادي درعة إلى الطرفاية. وأصبح من الشروط الأساسية لقيام العمران بمدينة الطنطان الاستقرار والسكن. ولكن الظروف المعيشية القاسية التي تختص بها الفصائل المحلية قد انعكست آثارها على أنماط سلوكهم التي ارتبطت بالهجرة إلى الخارج (أوربا) أو ممارسة التجارة غير المقننة مستفيدين من الطابع الجبائي الخاص الذي يعفي المنطقة من الضرائب. في هذه الملابسات أصبحت مدينة الطنطان مدينة حدودية ذات خصوصية اقتصادية واجتماعية وسياسية.

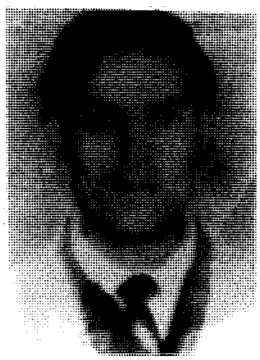
وفي السياق الرامي إلى حفز الاستثمار وتسهيله، اتجهت الجهود المبذولة إلى تنمية قطاع الصيد البحري. وأصبح ميناء مدينة الطنطان يشد الانتباه بما يوفره من ثروة سمكية. إلا أنه يقع على بعد حوالي 20 كلم من المدينة مما يحد من حركية هذه الأخيرة ومن ظروف نموها. وإذا كانت الدولة قد انتهجت سياسة تسهيل مأمورية البناء بالمدينة، فإن المشكل الذي ظهر جليا خلال الستينيات هو عدم صلاحية الموقع. فاضطرت الوزارات المعنية بقطاع التعمير إلى وضع حد للتوسع العمراني لأن هشاشة الأرض لا تسمح بتجاوز طابق واحد لكل بناية. وهو ما أجهض كثيراً من مشاريع الاستثمار المحلية.

مصطفى ناعمي

الطنك، بوشعيب، ولد بدوار أولاد بوعلال، بني إبراهيم (قبيلة امزاب) ناحية ابن أحمد سنة 1929. وولج الكتاب القرآني "الجامع" فحفظ القرآن الكريم على يد والده.

هاجر إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1936 صغيرا، مع والده الذي شارك بأحد جوامع درب الاسبان "درب الاسباليون". ثم استقر عند أخواله بزنقة القاهرة في درب الشرفاء الطلبة، دون أن يقطع صلته بعائلته وبمسقط رأسه. وظل يتنقل بين أقربائه في الدار البيضاء، وخاصة بالقرب من عرصة ابن مسيك، ولربما اشتغل مع أخواله في بيع المواد الغذائية كالسكر.

وحانت الحرب العالمية الثانية، فكان من أفراد القوات المغربية المجندة ببرشيد للالتحاق بالفيلق الثالث للفرسان المغاربة الموجهين إلى جبهات القتال في أوربا. وقد التزم بالعمل في الجيش الفرنسي مدة أربع سنوات ابتداء من يوم 16 أبريل 1940. لكنه ما لبث أن فر من الجندية وفسخ العقدة وألغيت خدمته العسكرية يوم 7 يونيو 1940، دون أن نعلم سبب ذلك.



لا نعلم شيئا عن حياة الرجل في الأربعينيات ولا عن بداية عمله في الحقل الوطني، غير أنه انخرط في خلية تابعة للمقاومة بكريان ابن مسيك، تعاقب على تسييرها اسعيد بونعيلات ثم بوشعيب ولد السطاتية. وبعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، انضم بوشعيب "الطنك" إلى منظمة اليد السوداء في التشكيلة التي كانت تحت مسؤولية الفقيه محمد البصري بابن مسيك من يناير 1954 إلى 2 ماي 1954، وكان معه فيها بوشعيب ولد السطاتية وكراوة والمعطي وسيدي عمرو ولد الصغير (المهذب) وسي محمد بن حمو (صادق) وحسن (محراش) والمكي السفناج والمعلم الطاهر الصياغ. وقد شارك في تصفية إبراهيم ولد الحمرية بكريان الرحامنة التابع لكريان ابن مسيك، حسب ما هو مقيد بملفه في المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

ألقي عليه القبض يوم 2 ماي 1954 على يد القائد امحمد بن بوعمرو المستقدم من زعير في إطار "حركة القياد" على الدار البيضاء (أبريل 1954)، فأودع بمعتقل عين الشق

"الفوريان" ونال حظه من التعذيب، إلى جانب باقي أفراد مجموعته، ثم أمر قاضي التحقيق لدى المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء يوم 22 يونيو 1954 بإيداعه في السجن، بعدما وجه إليه ثلاث تهم، وهي "القتل العمد وتكوين عصابة من المجرمين وحيازة السلاح والذخيرة". فاقتيد إلى السجن المدني المعروف في مدينة الدار البيضاء باسم "حبس اغبيلة"، قبل أن ينقل يوم 3 ماي 1955 إلى السجن المركزي في بور - ليوطي. وقد ظل قابعا هناك، حتى جرت عملية الهروب الواسعة منه يوم 30 سبتمبر 1955، بفضل الخطة التي رسمها جماعة من المقاومين. وقد تمكن عدد من المعتقلين من الفرار والإفلات، ومنهم على سبيل المثال الفقيه البصري وإدريس الحريزي وعبد الرحمان الصحراوي والعربي بوگلب ورحال المسكيني، في حين سقط منهم عدد آخر قتلى، مثل أحمد الصباغ (وهبي) وبوشعيب "الطنك". إلا أنه يصعب الجزم في الطريقة التي استشهد بها المترجم له، فالوثائق الرسمية تتحدث عن وفاته يوم 30 سبتمبر 1955 تنفيذا لحكم الإعدام فيه بالرصاص داخل السجن. بينما لا تستبعد بعض الشهادات الشفوية أن تكون إدارة السجن قد أطلقت كلابها البوليسية على الفارين وأن تتعرض أجسام بعضهم للنهش حتى الموت، مثل "الطنك". أما رفيقه بوشعيب ولد السطاتية، فيؤكد أن حراس سطح السجن هم الذين قتلوه وأحمد الصباغ، بعدما أنجزا الدور الرئيسي في عملية إيداع باقي الحراس في الزنازن وسمحا لكثير من المقاومين بالفرار.

وثائق حصلنا عليها من السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له في لقائنا بها يوم 5 أبريل 2000 وهي : - شهادة سجن المعتقل الاحتياطي بوشعيب بن محمد بتاريخ 2 يناير 1967 ؛ رخصة رئيس الحامية العسكرية للدار البيضاء وقاضي التحقيق العسكري لفاطمة بنت بلقاسم وحادة بنت العربي بزيارة بوشعيب بن محمد في السجن المركزي بالقنيطرة بتاريخ 15 يونيو 1955 (تاريخ الرخصة 13 يونيو 1955) ؛ رسالتان من المعتقل بوشعيب بن محمد من سجن القنيطرة إلى خاله بالدار البيضاء ؛ شهداء الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، محرم 1409 / غشت 1988، ج. 2، ص. 168 ؛ ملف الشهيد بوشعيب الطنك، رقم 523497، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ شهادة بوشعيب مخلص أحد مقاومي ابن مسيك والمعروف بنسب "ولد السطاتية" وشهادة روشدي العياشي أحد المحكومين بالإعدام القابعين مع المترجم له في سجن القنيطرة ؛ شهادة الفقيه محمد البصري عن بوشعيب "الطنك" بصفته رئيس خليته، وردت في محاضرة ألقاها عن تاريخ المقاومة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بابن مسيك ؛ شهادة السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له

نجيب تقي

طَنَّان أو الطَّنَّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tena ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 821.

الطنيطن، اللقب الذي اشتهرت به فرقة من أسرة الحايك المنحدرة من قبيلة الحوز التطواني، ولا زالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 827.

طنين سبتة، جريدة خطية بالعامية المغربية تعد الأولى من نوعها رأت النور بأرض المغرب حيث كانت تطبع في مطبعة حجرية بمدينة سبتة السليبة، وكانت بمثابة ملحق لجريدة إسبانية تحمل عنوان *El Eco de Ceuta* (صدى سبتة)؛ أسسها القنصل الإسباني الملحق بإدارة الحاكم العام بالمدينة فيليبي ريثو راميريث Felipe Rizzo Ramirez بحكم أنه كان يتقن اللهجة المغربية، وكان يساعده في تحرير الملحق الترجمان ميكئيل بوسوطيل Miguel Busutil.


ولا غالب إلا الله
طنين سبتة

صدر العدد الأول من *طنين سبتة* مع العدد الأول للصحيفة الإسبانية يوم 16 فبراير 1883 ؛ وتوقفت النشرة العربية في العدد 40 بتاريخ 8 ديسمبر من نفس السنة، في حين استمرت النشر الإسبانية تصدر إلى يوم 13 يناير 1887.

وكانت تصدر في اليوم الأول والثامن والخامس عشر والأخير من كل شهر ميلادي في أربع صفحات من حجم 40 × 26 سنتيمترا، وكان ثمن العدد 10 سنتيما من البسيطة والاشتراك الشهري بـ25 سنتيما.

Ibn Azzuz Hakim, *La prensa española en el Norte de Marruecos*. Ceuta 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

الطوابع البريدية بالمغرب. إن تاريخ الطوابع البريدية واسع وفي غاية التعقيد، فقد تعددت المكاتب البريدية بسبب الظروف السياسية التي مرت بها البلاد في العصر الحديث، ذلك أن أهم ما تميزت به العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وجود بريد تابع لمكاتب أجنبية، فقد عرف المغرب خلال هذا القرن معاملات مع بعض الدول الأوربية أدت - بسبب احتياجات هذه الدول للتراسل السريع داخل المملكة أو خارجها - إلى إحداث مكاتب بريدية أجنبية تؤمن على الخصوص الخدمات البريدية مع الخارج لأن المغرب آنذاك لم يكن قد صادق بعد على اتفاقية الاتحاد البريدي العالمي... ومن الممكن أن نتناول هذا الموضوع بشيء من الإيجاز في الفقرات التالية :

1) المكاتب الإسبانية :

في الفترة الممتدة من 1860 إلى 1903 استعملت الطوابع الإسبانية في المغرب بدون توشيح. وفي المدة المتراوحة ما بين 1903 و1914 استعملت الطوابع الإسبانية أيضا ولكن وشحت بعبارات *"Correo Español - Marruecos"*.



2) المكاتب الفرنسية :

أول مكتب فرنسي بالمغرب افتتح أعماله بطنجة سنة 1862 واستعمل طوابع فرنسا الموجودة آنذاك. ثم أحدثت فرنسا مكاتب أخرى في بعض المدن المغربية الساحلية. وفي الفترة الممتدة من 1891 إلى 1911 استعملت هذه المكاتب طوابع فرنسية بعد توشيحها بالعملة الإسبانية (السنتيمات والبسيطات)، ولكنها في سنة 1902 أصدرت طوابع طبعت خصيصاً على نمط الطوابع الفرنسية تحمل اسم "Maroc" ووشحت هي الأخرى بالعملة الإسبانية.

3) البريد المحلي :

أُحدث بالمغرب ما بين سنة 1891 و1906 بريد داخلي كانت تدبره مؤسسات خاصة (فرنسية، وألمانية، وإسبانية، وقنصلية بريطانية وإيطالية)، وقد أصدرت هذه المؤسسات طوابع خاصة تستعمل بين مدينة وأخرى، وبذلك كان كل طابع يحمل اسم مدينة المصدر ومدينة المورد... وقد عرف من خطوط هذا البريد خمسة عشر خطاً :

1891 مزگان - مراكش
1892 طنجة - فاس
1892 موگادور - مراكش
1894 فاس - صفرو
1895 طنجة - أصيلة
1896 تطوان - الشاون
1896 طنجة - تطوان
1896 القصر الكبير - وزان
1897 تطوان - القصر الكبير
1897 فاس - مكناس
1898 طنجة - القصر الكبير
1898 طنجة - العرائش
1899 أسفي - مراكش
1900 موگادور - أگادير
1906 دمنات - مراكش

ونظرا للظروف التي أنشئت فيها هذه الخطوط فقد كان محكوما عليها بالتوقف في مدة قصيرة، إذ تبين من خلال بعض الوثائق أن بعض الخطوط لم تمكث سوى بضعة أسابيع من تاريخ إحداثها.

4) البريد الحربي لمدينة مليلية :

استعمل البريد بمدينة مليلية المحتلة الطوابع الإسبانية بدون توشيح، ولكنه خلال سنتي 1893 و1894 استعمل طوابع خاصة ذات صبغة عسكرية.

5) المكاتب البريطانية :

افتتحت مكاتب البريد البريطاني أعمالها بإدارة بريد جبل طارق في بادئ الأمر أي من سنة 1898 إلى 1907 واستعملت مجموعات من طوابع جبل طارق بعد أن وشحت بلفظي "Morocco Agencies"، وكانت قيمتها الاسمية بالعملة الإسبانية. ومنذ سنة 1907 أصبحت المكاتب البريطانية تستعمل مجموعات من الطوابع الإنجليزية كانت في معظمها موشحة أيضا بالكلمتين المذكورتين. وبقيت الطوابع الإنجليزية تستعمل في المكتب البريطاني بتطوان إلى أن تم سحبها نهائيا غداة الاستقلال (1956).

6) المكاتب الألمانية :

افتتح المكتب البريدي الألماني أعماله بمدينة طنجة سنة 1899، ثم أحدثت مكاتب ألمانية في مدن مغربية أخرى مثل الدار البيضاء وفاس ومراكش والصويرة والرباط والعرائش وتطوان. وقد استعملت هذه المكاتب طوابع ألمانية موشحة بالسنتيم أو البسيطة مع لفظ "Marocco". وفي سنة 1914 أغلقت المكاتب الألمانية في المنطقة السلطانية، وفي سنة 1919 أغلقت في المنطقة الخليفية.

7) البريد المخزني :

سعى السلطان مولاي الحسن الأول إلى إدخال تنظيمات جديدة شملت عدة قطاعات حيوية من ضمنها قطاع البريد، ذلك أن هذا السلطان أصدر أوامره في سنة 1892 بتنظيم

البريد المخزني بهدف وضع حد لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب. وهكذا أحدث البريد بأمر سلطاني بين المدن الآتية :

الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدار البيضاء وأزمور والجديدة وأسفي).

الرباط ـ مراكش (مرورا بالدار البيضاء وأزمور)

الرباط ـ تطوان (عبر العرائش وطنجة)

الرباط ـ فاس

الصويرة ـ مراكش

أسفي ـ مراكش

مكناس ـ فاس

فاس ـ طنجة (عبر القصر الكبير)

القصر الكبير ـ العرائش

والمتتبع لأسماء هذه المدن (ويبلغ عددها ثلاثة عشر) يجدها كلها مدنا ساحلية كانت مفتوحة للتجارة وبها جاليات أجنبية أو مدنا داخلية تمثل حواضر المغرب وعواصمه التاريخية.

واستعملت للبريد المخزني أختام تختم بها المراسلات بعد أن تؤدى عنها قيمة حملها إلى "الأمين" وهو الشخص الذي كان مكلفا بالتحصيل بالجمارك وغيرها وأصبحت من بين مهامه أيضا استلام المراسلات وتوجيهها إلى وجهتها واستقبال الرسائل الواردة وإحالتها على أصحابها.

ووضع لكل مدينة من المدن المذكورة خاتمان، أحدهما مثمن الشكل والآخر مستدير الشكل. وقد كتب داخل الخاتم المثمن اسم المدينة وعبارة المحوط أو المحوطة بالله، بينما كتب على المستدير اسم المدينة وعبارة المحوط / المحوطة بالله أو المصون / المصونة بالله... ويغلب على الظن أن الأختام المثمنة الأضلاع كانت تستعمل لختم الرسائل المتبادلة بين الخواص، في حين احتفظ بالأختام المستديرة للمراسلات التي كانت تجري بين موظفي الحكومة.

وفي سنة 1912 (أي في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ) أصدر البريد المخزني أول طابع مغربي وكان بحجم صغير تمثل صورته قوسا بداخله جامع عيساوة بطنجة. وهذا الطابع عبارة عن سلسلة سداسية قيمتها الاسمية بعملة "المزونة" (1، 2، 5، 10، 25، 50 مزونة). وفي سنة 1913 أعيد طبع السلسلة نفسها ولكن على ورق مغاير وبحواشي عريضة.

8) الحماية الإسبانية بالشمال :

باشرت مكاتب البريد بعد فرض الحماية الإسبانية إصداراتها الأولى بمجموعة من الطوابع البريدية في سنة 1914 بعد توشيحها بكلمة Marruecos، ثم أصدرت في سنة 1915 وما بعدها طوابع إسبانية بعد توشيحها بهذه الكلمات Protectorado Español en Marruecos. واعتبارا من سنة 1928 أصبحت مكاتب البريد تصدر مجموعات عادية وتذكارية وبطاقات خصيصا لهذه المنطقة وهي طوابع يمثل كثير منها مناظر البلاد ومظاهر الحياة الشعبية نقلا عن لوحات فنية أنجزها الرسام الإسباني "بيرتوشي".

9) منطقة طرفاية :

احتلت القوات الإسبانية منطقة طرفاية واستعملت هناك في سنة 1916 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلميت "Cabo Jubi" واعتبارا من سنة 1919 أصبح مكتب البريد لهذه المنطقة يستعمل طوابع إسبانية أو طوابع منطقة الشمال بعد توشيحها باللفظين المذكورين أي Cabo Jubi. وفي سنة 1950 ضمت المنطقة إلى الصحراء الغربية، ثم أعيدت إلى المغرب سنة 1958.

10) منطقة سيدي إفني :

ابتداء من سنة 1941 استعمل مكتب البريد لهذه المنطقة طوابع إسبانية موشحة بسطرين "Territorio de Ifni". ومنذ سنة 1950 أصبحت السلطات تصدر مجموعات منوعة من الطوابع المخصصة للمنطقة وهي في معظمها طوابع جميلة المظهر تمثل طيورا وأزهارا وأسماكا وحيوانات ورياضات بدنية وغير ذلك. وفي سنة 1969 استرجعت حكومة المغرب هذه المنطقة.

11) الحماية الفرنسية :

في سنة 1914 استعمل البريد في المنطقة التي فرضت عليها الحماية الفرنسية 17 طابعا من المجموعة الخاصة بالمغرب بعد توشيحها بعبارتين Protectorat Français، ثم استعملت بعد ذلك أربع مجموعات منها مجموعتان تذكاريتان للصليب الأحمر ومجموعتان للأجور المستحقة (واجب الحيازة). وفي سنة 1917 صدرت أول مجموعة مخصصة للمغرب إبان الحماية وهي عبارة عن سلسلة مؤلفة من 17 طابعا تمثل مآثر ومنشآت مغربية مثل صومعة حسان والكتبية وباب المنصور بمكناس. ثم تتابعت الإصدارات المختلفة وكلها تحمل اسم المغرب باللغتين الفرنسية والعربية. وآخر طوابع الحماية صدر في سنة 1955.

12) منطقة طنجة :

وأخذت منطقة طنجة وضعا دوليا كما هو معلوم، وفيها باشرت أعمال البريد ثلاثة مكاتب أجنبية :

- المكتب الفرنسي (1918 - 42)
- المكتب الإسباني (1921 - 57)
- المكتب البريطاني (1927 - 57)

وهذه المكاتب كانت تستعمل طوابعها بعد توشيحها بكلمة "طنجة" بالأحرف الأوربية.

13) البريد البحري الفرنسي للدار البيضاء :

فيما بين سنتي 1943 و1945 منحت السلطات الأمريكية في أفريقيا الشمالية للبريد البحري الفرنسي في الدار البيضاء حق استعمال أحد الطوابع الجوية الأمريكية بعد توشيحها بحرفي R. F. (أي الجمهورية الفرنسية) وذلك للتخليص على المراسلات الجوية لبحارة القوات البحرية الفرنسية الموجهة إلى الولايات المتحدة وكندا.

14) الصحراء المغربية :

في الفترة الممتدة من 1905 إلى 1921 استعملت إسبانيا في الصحراء المغربية المحتلة مجموعات من الطوابع كتبت عليها هذه العبارات Colonia de Rio de Oro (أي مستعمرة وادي الذهب)، وجل هذه الطوابع تمثل صورة الملك ألفونسو الثالث عشر. وفي سنة 1924 أصدرت إسبانيا طوابع صغيرة تمثل صورة رجل من بدو الصحراء كتبت في أعلاها هذه العبارات Posesiones Españolas del Sahara Occidental (أي الممتلكات الإسبانية للصحراء الغربية). وخلال الفترة ما بين 1926 و1941 استعملت طوابع إسبانية بعد توشيحها بكلمتي Sahara Español. وفي الفترة الممتدة من 1943 إلى 1975 خصصت سلطات الاحتلال لتلك المنطقة مجموعات عديدة من الطوابع ذات الموضوعات المنوعة كانت في البداية تحمل عبارتي Sahara Español، واعتبارا من سنة 1960 أصبحت تحمل اللفظتين España Sahara.

وتجدر الإشارة إلى أن إسبانيا استعملت في بلدة الگويرة في سنة 1920 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلمة La Agüera. وفي سنة 1923 خصصت لهذه البلدة مجموعة أخرى من الإصدارات كتبت عليها هذه العبارات Sahara Occidental La Agüera.

كما أشير إلى أن هناك 26 طابعا صدرت في الفترة ما بين 1949 و1951 باسم Africa Occidental Española.

15) فترة الاستقلال :

عندما أعلن استقلال المغرب أصدر بريد المنطقة الشمالية خلال سنتي 1956 و1957 مجموعة من الطوابع بالعملة الإسبانية. وفي نفس المدة أصدر بريد المنطقة الجنوبية مجموعة أخرى من الطوابع بالعملة الفرنسية. وبعد هذا التاريخ أصبحت وزارة البريد تصدر الطوابع لتستعمل في كل مناطق المملكة الموحدة. وطوابع فترة الاستقلال هذه طوابع متنوعة في موضوعاتها وتعنى بأهم الأحداث الوطنية والعالمية كذكرى المسيرة الخضراء المظفرة، كما أنها طوابع جميلة من حيث ألوانها الزاهية وطباعتها المتقنة لأنها طبعت في مطابع أوربية مشهورة... وتضم مجموعة فترة الاستقلال بعض الإصدارات التي ارتفعت قيمتها الطوابعية بشكل لافت للنظر ونخص بالذكر منها :

- الذكرى الأربعون لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني (1969).
- كأس العالم لكرة القدم (1974).
- سباق الزوارق الشراعية / موشح (1984).

أما بخصوص عدد الطوابع البريدية التي صدرت في فترة الاستقلال إلى غاية كتابة هذه السطور (أغسطس 2002) فيتضح ذلك في الإحصاء التالي :

- طوابع تذكارية	848
- طوابع عادية	153
- طوابع للبريد الجوي	21
- بطاقات تذكارية	26
- طوابع أجرة مستحقة (طوابع تغريم)	23
- طوابع المصالح الرسمية	4
المجموع الكلي	1.075

محمد السوسي البهاوي

الطوابق النباتية والسلاسل النباتية التعاقبية. الطوابق النباتية مستويات نباتية تتجلى كأحزمة أفقية تتوالى على السفوح الجبلية ما بين قدمها وقمتها. والأحزمة النباتية الأفقية توافق في الحقيقة مجالات السلاسل النباتية التعاقبية. وذلك بسبب انخفاض الحرارة مع تزايد الارتفاع من القَدَم في اتجاه القمة. فمع انخفاض الحرارة تأفل تدريجيا أنواع نباتية بينما تظهر أخرى بفضل ازدياد كمية الأمطار. وبعبارة أخرى، يظهر كل نوع نباتي عندما تكون كمية الأمطار تساوي على الأقل أدنى ما يتطلبه، ويأفل في الحالات الطبيعية عندما يصير لا يتحمل البرودة. ولا يحدث هذا إلا في إطار عشائر نباتية تتميز بأنواع نباتية تتعايش في ظروف بيئية خاصة بها.

إن لكل سلسلة نباتية تعاقبية مجالا بيئيا يتميز بظروف مناخية وترابية متجانسة من حيث كمية الأمطار ودرجات الحرارة والصخرة الأم... ففي هذا المجال يتم التطور الديناميكي للعشائر النباتية المنتمية لسلسلة تعاقبية واحدة، فيكون إما تقدميا في اتجاه العشيرة الأوجية التي هي أكثر توازنا مع الظروف البيئية، وإما تراجعيا ابتداء من العشيرة الذروية وانتهاء بالعشيرة العشبية الممثلة لآخر مرحلة من التدهور البيئي. وهكذا تتميز السلسلة التعاقبية في بدايتها بالعشائر النباتية الرائدة، وفي نهايتها بالعشيرة الذروية التي تؤشر على بلوغ النضج والاستقرار التام. وخلال هذا التطور تعرف العشائر النباتية تغيرات في التركيبة النباتية من حيث عدد الأنواع وفي الكمية وكذلك في سمك التربة ومستويات الاستهلاك التي تزداد تشعبا في اتجاه الأوج. إن هذا التعاقب التقدمي يؤدي إلى ازدياد تدريجي في الكتلة الإحيائية حتى تبلغ كميتها القصوى في العشيرة الذروية فتصير ثابتة.

وكما أن لكل عشيرة نباتية مميزاتها من الأنواع النباتية الخاصة بها، فإن لكل سلسلة تعاقبية مميزاتها من العشائر النباتية الخاصة بها إذ لا توجد قط في مواطن غيرها من السلاسل النباتية التعاقبية المجاورة لها.

تتوالى السلاسل النباتية التعاقبية إما عموديا حسب الطوابق النباتية أساسا بفعل تغيرات عامل الحرارة وأيضاً، في مرتبة ثانية، بفعل تغيرات كميات الأمطار. وإما أفقيا بسبب تغيرات كميات الأمطار بالدرجة الأولى في حالة بقاء عامل الحرارة قارا (انظر مناخات وبيومناخات المغرب).

وهكذا يتميز كل طابق نباتي بسلاسله النباتية التعاقبية

جدول 1 : الأنواع المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية في المناطق البيومناخية

السلاسل الجبلية مناطق بيومناخية	الريف والمغرب الشرقي	الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى	الأطلس الكبير والسهول الغربية	الأطلس الصغير وجبال ساغرو والباني وواد قزيز
شديد الرطوبة	- الشوح المغربي - الأرز الأطلسي - بلوط الزان البلوط الزغبي			
رطب	- الشوح المغربي - البلوط الأخضر - الأرز الأطلسي - البلوط القرمزي - البلوط الأخضر - بلوط الزان - البلوط الزغبي - الزيتون البري - البلوط الفليني	- الأرز الأطلسي - الزيتون البري - بلوط الزان - البلوط الأخضر - البلوط الفليني		
شبه رطب	- البلوط الأخضر - الزيتون البري - البلوط الفليني - البلوط القرمزي - العرعر البربري	الأرز الأطلسي - الزيتون البري - بلوط الزان - العرعر الفواح - البلوط الأخضر - البلوط الفليني - العرعر البربري - القتنات الشوكية	- الأرز الأطلسي - العرعر الأحمر - البلوط الأخضر - العرعر الفواح - العرعر البربري	- شجرة دم الأخوين - العرعر البربري - البلوط الأخضر
شبه جاف	- العرعر البربري - البلوط القرمزي - البلوط الأخضر - البطم الأطلسي	- البلوط الأخضر - القتنان الشوكية - العرعر البربري - العرعري الأحمر - العرعر الفواح	- البلوط الأخضر - الطلح المغربي - العرعر البربري - القتنات الشوكية - العرعر الأحمر - أرگان - العرعر الفراح	- أرگان - العرعر الأحمر - العرعر البربري - القتنات الشوكية
جاف	- البطم الأطلسي - الحلفاء	- الحلفاء	- الطلح المغربي - أرگان - الحلفاء	- أرگان - الطلح الصحراوي - الزقوم

التي تختلف من منطقة إلى أخرى حسب الظروف البيومناخية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم الطوابق النباتية التي تتوالى عموديا حسب الارتفاع، يعتمد على الدراسة الفيتوسوسيولوجية أي دراسة اجتماعية التشكيلات النباتية، بينما يرتكز ما كان يسمى بالطوابق البيومناخية حسب مفهوم أومبرجي Emberger وسوفاج Sauvage (انظر مناخات وبيومناخات المغرب)، أساسا على تغيرات كميات الأمطار التي تتزايد تدريجيا من البيومناخ الصحراوي إلى البيومناخ شديد الرطوبة، مروراً بالجاف، وشبه الجاف، وشبه الرطب، والرطب. ومعلوم أن لكل بيومناخ أشكالاً صنفت حسب معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة، وسميت بالصفات الآتية : الدافئ والمعتدل، والقارس، والبارد، والبارد جداً، وشديد البرودة، وأن البيومناخات تتوالى عموديا وأفقيا (جدول 1).

وتفاديا لأي لبس، واعتمادا على هذا التمييز الواضح

جدول 2 : الأنواع النباتية المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية
في مستويات الطوابق النباتية حسب المناطق الجبلية

المناطق الجبلية / الطوابق النباتية	الريف وبني يزناسن والأطلس الكبير الشرقي	الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى	الأطلس الكبير الأوسط وساغرو	الأطلس الصغير الأطلس الكبير الغربي
فوق الجبلي المتوسطي	. الأرز الأطلسي	. القتنات الشوكية . العرعر الفواح	. القتنات الشوكية . العرعر الفواح	. القتنات الشوكية
	2300 م	2500 م	2700 م	2900 م
الجبلي المتوسطي	. الشوح المغربي . الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر	. الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . العرعر الفواح	. البلوط الأخضر . العرعر الفواح	. البلوط الأخضر
	1800 م	2000 م	2200 م	2400 م
فوق المتوسطي	. الشوح المغربي . الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان . البلوط الزغبي	. الأرز الأطلسي . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان العرعر الأحمر	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر
	1400 م	1600 م	1800 م	2000 م
المتوسطي	. البلوط الأخضر . بلوط الزان . البلوط الزغبي . البلوط الفليني	. البلوط الأخضر . البلوط الفليني . بلوط الزان	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر . السرو الأطلسي	. البلوط الأخضر . العرعر الأحمر . السرو الأطلسي
	1000 م	1200 م	1400 م	1600 م
المتوسطي الدافئ	. العرعر البربري . الزيتون البري . العرعر الأحمر . البلوط القرمزي . البلوط الأخضر . بلوط الزان . البلوط الفليني . البطم الأطلسي	. العرعر البربري . البلوط الأخضر . البلوط الفليني . العرعر الأحمر . الزيتون البري	. العرعر البربري . العرعر الأحمر . البلوط الأخضر . السرو الأطلسي . أرگان	. العرعر البربري . العرعر الأحمر . البلوط الأخضر . أرگان
	سطح البحر	سطح البحر	500 م	700 م
تحت المتوسطي			. الطلح المغربي . أرگان	. أرگان . العرعر الأحمر . العرعر البربري . الطلح الصحراوي . الزقوم

الذي يبين أن المفهومين مكملين لبعضهما البعض، أوصى الباحثون في هذا الميدان بأن يخصص للمفهوم الأول عبارة "الطوابق النباتية" لأنها تتوالى عموديا ، ويكتفى للمفهوم الثاني بعبارتي "المناطق البيومناخية" و"البيومناخات" لأنها تتوالى عموديا أو أفقيا ، الشيء الذي يبطل استعمال لفظ "الطابق" للمفهوم الأخير.

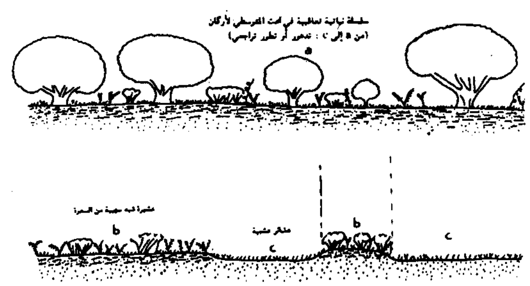
وقد أثبتت الأبحاث المتعلقة بالطوابق النباتية المتوسطية أن المغرب المتوسطي - أي دون مجاله الصحراوي - بتنوعه التضاريسي والبيومناخي والبيولوجي يظهر كل الأشكال المصادفة بالمنطقة المتوسطية، بل وينفرد بوجود طابق نباتي خاص به وهو الطابق النباتي تحت المتوسطي.

وسنتطرق هنا دون الخوض في التفاصيل إلى الطوابق النباتية المتوسطية والسلاسل النباتية التعاقبية التي تميزها ، وذلك ابتداء من مستوى سطح البحر إلى قمم أعلى الجبال المغربية (جدول 2) علما بأن المغرب الصحراوي الموجود جنوب جبل الباني وجبل وارقزيز والمحور الرابط بين اسمارة وبوجدور، لا يشمل جبالا عالية. ونشير كذلك إلى أن أنواع الصنوبر لا تنظم سلاسل نباتية التعاقبية خاصة بها ، بل تمثل

مراحل شبه غابوية للسلاسل التعاقبية الغابوية المنظمة من طرف الأنواع المذكورة في الجدول 2 وأسفله :

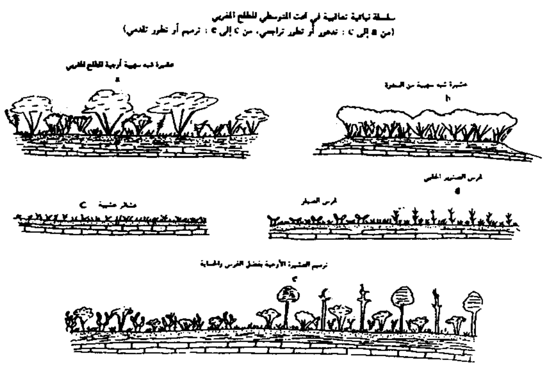
ـ الطابق النباتي تحت المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الخاص بالجنوب الغربي للساحل الأطلنطي للمغرب، ما بين آسفي شمالاً وبوجدور جنوباً. وهو يشمل كذلك سهول الرحامنة والحوز والشياظمة وحاحا وسوس ودرعة السفلى وساحل الساقية الحمراء. ويرتفع من سطح البحر إلى حدود 500 م على سفوح الأطلس الكبير الغربي و700 م على سفوح الأطلس الصغير. بيومناخاته صحراوية وجافة وشبه جافة. وهو يوافق ما يسمى بالمنطقة البيئية الماكارونيزية المتميزة عن غيرها ببيومناخات ملطفة بفضل تأثير المحيط الأطلنطي وبأنواع نباتية خاصة أهمها النوعان القبسيان من بين الأشجار وهما شجرة أرگان Argania spinosa وشجرة الطلح المغربي Acacia gummifera اللتان تنظمان أهم السلاسل النباتية التعاقبية. كما تصادف سلاسل نباتية تعاقبية منظمة من طرف أنواع أخرى على مساحات محدودة كالعرعار الأحمر Juniperus phoenicea، والعرعار البربري Tetraclinis articulata، وأجگال أو شجرة دم الأخوين Dracaena draco ssp ajgal، والسماق الأبيض Rhus albida، والسماق الثلاثي Rhus tripartitum، وأنواع الطرفاء Tamarix spp، والطلح الصحراوي Acacia raddiana، والزقوم Balanites aegyptiaca. لكن العشائر النباتية الأوجية أو شبه الأوجية اندثرت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالطلح المغربي (انظر طلح) أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى.

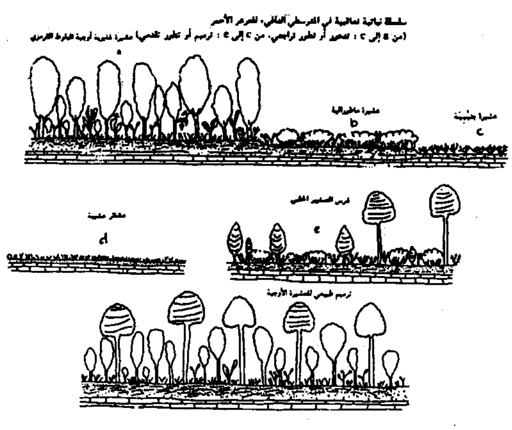


ـ الطابق النباتي المتوسطي الدافيء :

إذا استثنينا الطابق النباتي تحت المتوسطي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب، فإن الطابق المتوسطي الدافيء يُؤوي العشائر النباتية الأكثر تطلبا للحرارة مقارنة مع الطوابق النباتية المتوسطية الأخرى. إنه كذلك الطابق النباتي الأكثر امتدادا والأكثر تنوعاً، إذ أنه يمتد ما بين سطح البحر و1000 م في الريف والمغرب الشرقي، و1200 م في الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. كما يقع سقفه على ارتفاع 1400 م في الأطلس الكبير الأوسط وصاغرو، و1600 م في الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير. أما مناطقه البيومناخية فهي إما جافة أو شبه جافة أو شبه رطبة أو رطبة أو محليا شديدة الرطوبة.



ويُؤْوي أيضا عدداً كبيراً من السلاسل النباتية التعاقبية التي تنظمها أنواع أرگان Argania spinosa، والبطم الأطلسي Pistacia atlantica، والزيتون البري Olea oleaster، والخروب Ceratonia siliqua، والعرعر البربري Tetraclinis articulata والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea، والبلوط القرمزي Quercus coccifera، والبلوط الفليني Quercus suber، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، ومحليا بلوط الزان Quercus faginea، والسرو الأطلسي Cupressus atlantica، وغيرها من الأنواع الشجرية.



لكن العشائر النباتية الأوجية لهذه السلاسل النباتية التعاقبية انقرضت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالبطم الأطلس (انظر بطم) والزيتون البري (انظر "أزمور" و "زيتون") أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى، وذلك بسبب ضغط وأنشطة ساكنة بشرية عالية الكثافة في هذه المستويات.

ـ الطابق النباتي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الموالي للمتوسطي الدافيء. ،يتموقع ما بين 1000 و1400 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1200 و1600 م بالهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 1400 و1800 م بالأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو، وما بين 1600 و2000 م بالجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وفي هذه المجالات تكون البيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة أو شبه جافة واستثنائيا جافة.

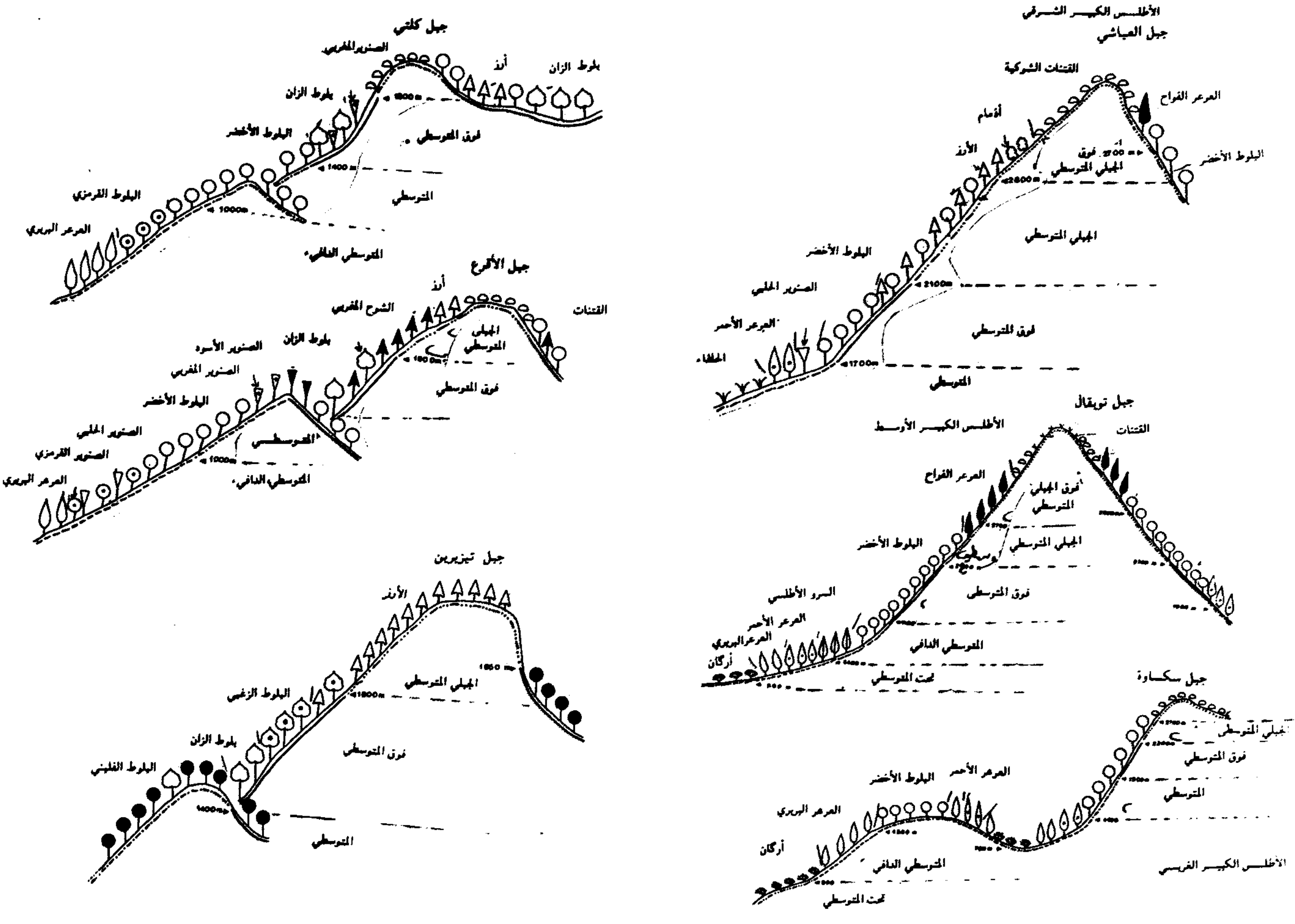
يتميز الطابق المتوسطي بوجود العشائر النباتية الأوجية للسلاسل النباتية التعاقبية الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية على مساحات مجالاتها، التي تعرف ضغطا بشريا غير مفرط نسبيا مقارنة مع المتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي. ومن أهم تلك السلاسل النباتية التعاقبية الغابوية، نذكر تلك التي تنظم من طرف أنواع البلوط، كالبلوط الأخضر Quercus rotundifolia والبلوط الفليني Quercus suber وبلوط الزان Quercus faginea والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica. أما السلاسل التعاقبية شبه السهبية فهي للعرعر الأحمر Juniperus phoenicea .

وبصفة عامة يُؤوي الطابق المتوسطي والطابق فوق المتوسطي أجمل وأكبر غابات أنواع البلوط في المغرب.

ـ الطابق النباتي فوق المتوسطي :

يحتل الطابق النباتي فوق المتوسطي المستويات الموجودة ما بين 1400 و1800 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1600 و2000 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. وما بين 1800 و2200 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير وجبل صاغرو، وما بين 2000 و2400م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وتكون البيومناخات في هذه المستويات شديدة الرطوبة، ورطبة، وشبه رطبة، واستثنائيا شبه جافة.

في هذه المجالات تنظم السلاسل النباتية التعاقبية من طرف أنواع البلوط الأخضر Quercus rotundifolia، والبلوط



الفليني Quercus suber، وبلوط الزان Quercus faginea، والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica، والشوح المغربي Abies maroccana، والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea والدردار Fraxinus dimorpha، علما بأن تشكيلات هذين النوعين الأخيرين شبه سهبية، بينما العشائر الأوجية للأنواع الأخرى غابوية.

- الطابق النباتي الجبلي المتوسطي :

إنه أعلى الطوابق المتوسطية الغابوية لأن شدة البرودة في الطابق الموالي في اتجاه الأعلى لا تسمح بتشكيل العشائر الغابوية، بالرغم من وجود بيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة في جل مناطقه. ويتموقع الطابق ما بين 1800 و2300م في الريف، ومـا بين 2000 و2500 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 2200 و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، وما بين 2400 و2900 م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير وفي جبل سيروا من الأطلس الصغير.

وتنظم في هذه المستويات السلاسل النباتية التعاقبية ذات الشكل الغابوي من طرف الشوح المغربي Abies maroccana والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، بينما تشكل شبه السهبية من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera، ومحليا من طرف البلوط الأخضر Quercus rotundifolia .

- الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي العلوي الذي لا يوجد إلا على قمم الجبال العالية. فهو يكاد لا يظهر في الريف إلا على قمة تيديغين ما بين 2300 و2456 م وفي بيومناخ شديد الرطوبة. أما في السلاسل الجبلية الأخرى فهو يغطي قمم الجبال التي تتجاوز 2500 م في الجزئين الشرقيين من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، و2900 م في جزئه الغربي وجبل سيروا. وجل بيومناخات هذه المستويات الأطلسية رطبة في الشمال وشبه رطبة في الجنوب.

يظهر الطابق مستويين. يتميز المستوى السفلي بسلاسل نباتية تعاقبية شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera الذي فقد جل عشائره الأوجية بسبب الضغط البشري المفرط. أما المستوى العلوي فهو يُؤوي السلاسل النباتية التعاقبية السهبية المنظمة من طرف القتنات الشوكية المتحملة لأقصى البرودة.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Bref aperçu sur la zonation altitudinale de la végétation climacique au Maroc. Ecologia Mediterranea*, 8 (1-2) : 301-315, Marseille, 1982 ; *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissances sur la végétation du Maroc : phytogéographie, phytosociologie et séries de végétation. Lazaroa* 14 : 21 - 97, 1994 ; L. Emberger, *Remarques critiques sur les étages de végétation dans les montagnes marocaines. Bull. soc. bot.* Suisse, vol. Jubil Rübel, 46 : 614-631, 1936 ; P. Ozenda, *Sur les étages de végétation dans les montagnes du bassin méditerranéen. Doc. Cartogr. Ecol.*, Grenoble, XVI : 1 - 32, 1975 ; Ch. Sauvage, *Etages bioclimatiques. Atlas du Maroc. Notice explicative*, planche 6b. Rabat, 1963.

عبد المالك بنعبيد

ابن أبي **الطواجين الكتامي، محمد**، ثائر مغامر غريب الأطوار، ينتمي إلى قبيلة كتامة التي كانت بطونها منتشرة في المنطقة الجبلية التي تقع بها اليوم قبائل آل سريف وبني يسف وسوماتة شمال وشرق قصر كتامة. لم تتحدث المصادر المعاصرة عن هذا الثائر ربما لأنه لم يصطدم بالموحدين.

نشأ فيما يبدو بمدينة قصر كتامة التي كانت أسرته تقيم بها. وكان أبوه يشتغل بأمور السحر والشعوذة، فتعلم ابنه هذا عنه ذلك. وتاقت نفسه إلى الزعامة، فاستغل بداية تدهور أمر الموحدين وأعلن العصيان بالمنطقة الجبلية الواقعة شمال القصر الكبير بعد سنة 620 / 1223، وصار له بها أتباع كثيرون من مختلف القبائل الجبلية، خاصة بني يوسف وبني حسان، تمكن بهم من بسط نفوذه على المنطقة. واستغل الاشاعات عن تعاطيه للسحر والشعوذة والإتيان بالخوارق في التأثير على هذه القبائل، وتمادى في هذا السبيل حتى سولت له نفسه إعلان النبوة وتشريع الشعائر، وكان يدعي أيضاً الاتصال بالجن، فأغرى أتباعه بذلك واستسلموا له، إلى حد أنه صار مطلق اليد في التصرف في المنطقة، فأصبح يفرض على القبائل الخاضعة له أن تسلمه بناتها. ومن المثير أن المصادر المعاصرة لم تتحدث عن أبي الطواجين ويعود السبب فيما يبدو إلى أنه لم يصطدم بالموحدين، نظراً لانحسار ثورته في منطقة وعرة ومنعزلة.

ولا نعلم شيئاً عن مضمون دعوة ابن بي الطواجين والشرائع التي شرعها، ولا ندري هل كان هدفه إحياء دور قبيلة كتامة بالمنطقة والذي توقف بمجيء المرابطين، أو أن الأمر كان يتعلق فقط بمغامرة شخصية على شاكلة المغامرات السابقة التي عرفتها منطقة غمارة منذ ظهور المتنبي حاميم الغماري في القرن الرابع الهجري. وعلى كل حال فإن ثورة ابن أبي الطواجين لم تدم طويلا خصوصا بعد تماديه في ارتكاب التجاوزات الأخلاقية واصطدامه بحركة التصوف التي كانت تحظى بتقدير سكان المنطقة، فلا شك أن أبرز أولياء وزهاد المنطقة الجبلية وهو مولاي عبد السلام بن مشيش الحسني قد قام بدور ما في وجه انحرافات هذه الحركة، فأغرى ابن أبي الطواجين بعض أتباعه بقتل هذا الشيخ، فاغتالوه سنة 625 / 1228 بجبل العَلَم الموجود بقبيلة بني عروس على بعد حوالي 70 كلم جنوب غرب تطوان حيث يوجد ضريحه اليوم. ولم يطل الأمر بابن أبي الطواجين فاغتيل أثناء وجوده بوادي لَوْ سنة 626 / 1229 على يد شاب من قبيلة بني سعيد أرغم ابن أبي الطواجين أهله على تقديم بنت لهم إليه، وقد تنكر هذا الشاب في هيئة فتاة وتمكن من طعنه بخنجر فقتله. وبلغ من تعلق قبيلة بني

حسان به أن طالبت بتسليمها جثتة لدفنه عندها، بعد أن قرر بنو سعيد إحراقها. وبموته انتهت فصول حركة قبلية شاذة كانت واحدة من بين عدد آخر من الحركات القبلية المناوئة للموحدين، والتي لقيت مصيراً مماثلاً.

ابن خلدون، العبر، بيروت، دار الفكر، 1981، ج 7، ص. 297 ؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن للفاسي، فاس، طبعة حجرية ؛ الناصري، الاستقصا، الدارالبيضاء، دار الكتاب، ج 2، ص. 223 - 234.

محمد المغراوي

الطوب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tobo - Tobi .

وقد اشتهر أحد أفراد هذه الأسرة بتطوان كان يبيع اللّبن الجيد فأصبح كل لبّان يعرف بالطوب. ومنهم علي بن مومن الطوب، تاجر تطواني كان يملك عدة عقارات بالمدينة وهو الذي بنى بحومة السويقة حماما كان يعرف بحمام الطوب الذي تحول سنة 1150 (1737) إلى الزاوية التي عرفت بزاوية الخلانجي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية .

محمد ابن عزوز حكيم

الطوبي، ميلود المقاوم استجاب لنداء ربه بتاريخ 28 أبريل 1995 المقاوم الطوبي ميلود وهو من مواليد سنة 1927 بقلعة السراغنة من والده عمر بن الفاطمي وأمه ايزة بنت المعطي، انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة مبكرة حيث شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية جريئة ضد أهداف استعمارية ضمن خلية المنطقة السرية التي كان ينتمي إليها وبسبب نشاطه هذا تم اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية حيث قضى بالسجن مدة ولم يتم الإفراج عنه إلا عند بزوغ فجر الاستقلال.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523812.

ابن **طوجة** أو **طجة**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس. وأول الحاملين لهذا الاسم حسب ما عثرنا عليه من المصادر ينتمي إلى القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حسب ابن أبي زرع الذي أورد في روض القرطاس شخصا باسم أبي محمد عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج (هكذا) من أصحاب الإمام أبي عمر بن عبد البرّ. وذكر أنه توفي سنة 507 هج وقال : (كانت له جنازة عظيمة لم ير مثلها). وجاء في تقاييد هذه الأسرة أن هذا الجد كان من كبار الفلاسفة المعاصرين لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. ولم يظهر شخص يحمل اسم بن طوجة في المصادر إلا بعد حوالي خمسة قرون بعد حلول الأسر المهاجرة من المدن الأندلسية برباط سلا إثر قرار الطرد الذي أصدره الملك الإسباني فيليب الثاني سنة 1609 في حقها. فكانت هذه الأسرة من ضمن البيوتات التي عدّها محمد بوجندار من أهل الحل والعقد ومن أشياخ الأندلس الذين وصفهم بالجمهوريين إشارة منه إلى ما سمي بجمهوريات أبي رقراق وهي الكيانات الثلاثة التي تأسست مستقلة عن السعديين أواخر دولتهم عند مصب أبي رقراق بالقصبة الأندلسية - أو قصبة الاوداية فيما بعد - وبالرباط وسلا كما ذكر ذلك مويط ودي كاستري. ولم نعد نجد اسم هذه الأسرة ضمن المترجم لهم من أعيان الرباط سواء عند محمد بوجندار أو عند غيره وسواء في بقية القرن السابع عشر أو خلال القرن الثامن عشر، إلا أنه في عهد المولى إسماعيل الذي أمر قائده أحمد بن يعزى العرائشي (بتحقيق أحساب وأنساب ساكني حضرته المكناسية... وبتدوين ذلك في ديوان خاص) جاء اسم بن طوجّة ضمن الأسر الأندلسية القاطنة بمكناس سنة 1121 / 1710. وفي القرن التاسع عشر ورد اسم الحاج علي بن طوجة الذي كان يدعى علاّل وقد ولد سنة 1830 تقريبا وعاش عمراً طويلاً امتد قرنا وثلاث سنوات حسبما جاء في وثيقة عائلية ذكرت أن تاريخ وفاته هو 6 شوال 1351 الموافق لـ 1 يبراير 1933. كما ورد نبأ وفاته في جريدة *السعادة* في عدد 7 يبراير 1933. وكان الحاج علي هذا حيسوبيا ومنخرطا في الطريقة التجانية. ودفن في مقام الولي الصالح سيدي العربي بن السايح. وقد خلف ابنه محمدا وهو أشهر أفراد هذه الأسرة خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد ورد اسم محمد هذا في وثيقة لأسرة بن طوجة وجاء فيها أنه ولد سنة 1292 / 1875. ومن الغريب أن يذكره المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان ضمن الطلاب المتوجهين إلى إيطاليا لتعلم اللغة الإيطالية والفنون العسكرية والملاحة سنة 1295 / 1878، إذ يتضح بجلاء أن ابن زيدان أخطأ في سنة توجيه هذه البعثة التي حصلت في الحقيقة سنة 1888. ومما يزيد في تأكيد خطإ ابن زيدان أنه ذكر اسم الحسين الزعري السلاوي من ضمن الطلبة المبعوثين في الرحلة مع أن مذكرة هذا الأخير تؤرخ الرحلة بسنة 1888. مما يدل على أن ابن زيدان خلط بين سنة 1295 وسنة 1306 / 1888 أي بفارق 11 سنة، ومن المعروف أن الحاج أحمد معنينو سبق أن نشر مذكرة الزعري التي تصف البعثة الطلابية ومراحل الدراسة (انظر مجلة *دعوة الحق* عدد 1 السنة 12، 1968 من ص. 143 إلى ص. 148).

وعرف أبناء ابن طجة بتدوين الأحداث التي كانت تمر بها أسرتهم وكذا بعض الأحداث الأخرى. ومن جملة ذلك أن محمدا هذا ولد سنة 1292 / 1875، وكان عمره إحدى عشر سنة لما أوفد السلطان مولاي الحسن البعثة التي كان هو من أفرادها إلى إيطاليا. وحسب مذكرة الزعري التي تأخرت وفاته إلى 1375 / 1955 والتي أوردها محمد المنوني كذلك

في كتابه *مظاهر يقظة المغرب الحديث* فإن البعثة كانت تضم فتيانا مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة (فكان ابن طجة البالغ 11 سنة استثناء). وقد دون محمد بعض وقائع هذه البعثة المتوجهة إلى مدينة طورينو فمنها ما جاء مطابقا ومنها ما جاء مخالفا لمذكرة زميله الحسين الزعري. وقد تكفل الأستاذ معنينو في مقال له عن هذه الشخصية بهذه المقارنة فلا حاجة إلى تكرار كلامه (ارجع إلى مجلة *دعوة الحق*، عدد 275، يوليوز 1989. ص. 253 إلى ص. 257). وحسب مذكرة ابن طجة حصل السفر سنة 1887 لكن أفراد البعثة نزلوا في طنجة ومكثوا فيها شهرين قبل أن تقلهم باخرة فركاطة الحاملة لاسم أفونداطوري (Affondatore) وقصدوا جنوة. وفي نونبر من السنة نفسها وصلوا إلى طورينو. وفي سنة 1892 التحقوا بالمدرسة البحرية ليفورنو (Livorno) ويقول إن رجوعه من إيطاليا إلى المغرب كان في 4 يونيو 1897 على متن فرقاطة ليبانتو (Lepanto). واستخدمه السلطان ضابطا في الباخرة الحربية التي حملت اسم *الحسني* ثم باخرة بشير الإسلام. ورعيا لصلاته مع زملائه الطلبة من الأجناس الأخرى أثناء مقامه في إيطاليا فقد زار بلدان بعضهم مثل تركيا واليابان. وبعد أن انتهى أمر البحرية في تاريخ لم تشر إليه مذكرته رجع إلى الرباط في عهد مولاي عبد العزيز. وفي 27 نونبر 1907 اشتغل رئيس طابور رقم 1 بطنجة إلى أن انتهى هذا الطابور سنة 1925. وسافر إلى مسقط رأسه ثم رجع إلى طنجة ليعمل في الطابور الثاني إلى أن انقضى هذا الطابور في فاتح مارس 1929. ومن جملة وثائقه أو سمة ملكية منها واحد من الدرجة الخامسة أنعم به عليه المولى عبد الحفيظ في ربيع 1330 / 1912 وثان من درجة ضابط سجل فيه : (الرتبة الرابعة قائد لطابور المشاة طابور الأمن رقم 1 طنجة). تسلمه من مولاي يوسف.

ولما رجع إلى الرباط تزوج من زينب بنت الحاج الجيلالي المدغري أبا حنيني وكان رئيساً لمرسى الرباط بتاريخ 10 رجب 1319. وفي سنة 1326 رزق بمولوده الوحيد الذي مات في سنته الأولى. وهكذا انقطع عقبه. ولما تقاعد عن العمل في الجيش اشتغل بالتجارة في سوق السباط وكانت تجارة بسيطة. وكان له أخ أصغر منه اسمه عبد الرحمان توفي عن سن باكر (29 عاما) وخلف ولدين أحمد المزداد سنة 1903 وعبد الكريم المولود بعده بسنتين. وتوفي محمد بن الحاج علي بن طجة في 26 ربيع 2 : 1365 هج 29 ماي 1976 ودفن بالرباط.

وكان محمد قد اختار ابن أخيه أحمد ليكفله ويتخذه ابنا له فلما كبر أدخله المدرسة الحربية بمكناس بتاريخ 15 أكتوبر 1920 وتخرج منها في دجنبر 1923 ورحل إلى فرنسا. وفيها تزوج فتاة فرنسية لم يطب له العيش معها فتزوج من فرنسية أخرى أنجب منها عدة أولاد. وشارك في الحرب العالمية الثانية وأخذ أسيراً لدى الألمان. ولما رجع إلى المغرب جاء برتبة قبطان ومعه بنته الكبرى. وعمل مع المغفور لهما محمد بن يوسف والحسن الثاني كرئيس مكتب التجنيد العسكري برتبة عقيد (كولونيل). وقد توفي يوم الجمعة 28 يبراير 1981 ودفن بالرباط.

أما عن ابن أخيه عبد الكريم الذي ولد سنة 1905 فقد تبناه جده علال وقد ورث تجارة عمه في سوق السباط. وتوفي يوم الجمعة 30 رجب 1403 / 13 ماي 1983 ودفن بالرباط أيضاً.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، حرره وعلق عليه محمد الهاشمي الفيلالي، المطبعة الوطنية، شارع القناصل، الرباط، 1936، ج 2، ص. 99 ؛ محمد بوجندار، *مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح*، مطبعة الجريدة الرسمية، الرباط، 1345، ص. 218 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1990، ج 2، ص. 467 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، يناير، 1973 من ص. 134 إلى ص. 142 ؛ أحمد معنينو، القائد أحمد بن علي بن طوجة الرباطي، مجلة *دعوة الحق*، عدد 275، يوليوز، 1989 من ص. 253 إلى ص. 257، وثائق أسرة بن طوجة، روايات شفوية للأستاذ عبد الحق بن طوجة في 25 / 4 / 2001، محمد وزوق، *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 317.

عبد الإله الفاسي

الطود، أسرة الطود الحسني، أسرة شهيرة بمدينة القصر الكبير، وهم حسب محمد بن الخطيب القادري في *نشر المثاني*، ج 3، ص. 171 "من بني عمران الادريسيين الذين ببلاد الهبط". ويضيف أن تسميتهم بالطود نسبة إلى جبل عال ببلاد الهبط استقروا به عند نزوحهم إلى المغرب، وهو "جبل الحبيب".

كما تنص جميع الظهائر التي بين أيدي أفراد الأسرة على أنهم شرفاء حسنيون نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.

أما استقرارهم بالمغرب، فمما تواتر سماعا عن الآباء والأجداد أنه تم عن طريق عبورهم إليهم من الأندلس، إلا أنه لا يُدرى بالضبط متى كان دخولهم الأندلس، ولا متى عبروا منه إلى المغرب.

وقد تكثف وجود أسرة الطود بمدشرين رئيسيين هما مدشر "الجبيلة" ومدشر "دار ابن آصدوق"، ومن هذين المدشرين نزحوا إلى مدينة القصر الكبير أساسا بحيث صار اسم "الطود" مقرونا بهذه المدينة زمناً طويلاً. وكان نزوحهم إليها على مراحل متباعدة عن بعضها. فهناك ظهير سلطاني للمولى عبد الملك بن السلطان المولى إسماعيل مسلم للفقيه المحتسب بمدينة القصر الكبير مولاي مسعود الطود الحسني، مؤرخ بفاتح رمضان عام 1140 هـ وينص على أن مولاي عبد الملك يجدد لمولاي مسعود حكم ما بيده من ظهير والده المقدس وظهائر أسلافه المنعمين، ويقره في وظيف الحسبة التي بيده بالقصر الكبير.

وقد نزح أفراد من آل الطود قبل هذا التاريخ إلى مدينة فاس، ولا يعلم إن كانوا قد قصدوها من القصر الكبير أم من جبل الحبيب. فقد ورد في *النشر*، ج 3، ص. 171 ذكر لأحمد ابن أحمد الطود العمراني المتوفى عام 1118 هـ وأنه كان له حفيد هو محمد بن علي بن أحمد من المصاحبين لصاحب النشر.

وكان آخر من نزح من آل الطود من جبل الحبيب إلى مدينة القصر الكبير عام 1234 هـ هو الفقيه الطاهر بن الطيب بن عبد السلام بن العربي الطود الادريسي الحسني، وكان بصحبته شقيقه الطيب. وقد نزح بعض أفراد الأسرة أواخر القرن التاسع عشر من القصر الكبير إلى قبيلة "بني زروال" قصد أخذ العلم عن مشاهير علمائها، فاستقروا بمدشر غفساي وخلفوا فيها عقبا من الجنسين، ومازال نسلهم هناك إلى اليوم يعرفون بأبناء الفقيه الطود تارة، وبأبناء الفقيه القصري تارة أخرى، وانتقل بعضهم إلى مدشر "تَزْغَدْرَة" من نفس القبيلة.

ومن آل الطود من نزح من القصر أيضاً إلى دكالة واستقر بها وعقب ما شاء الله أن يعقب من الخلف، واختاروا الاستقرار أولا بـ "بولعوان" حيث اشتهروا هناك - مع طول المدة - بشرفاء بولعوان، أو بالطود الفاوقي، وبقيت صلتهم قائمة بأبناء عمومتهم بمدينة القصر الكبير، وهم من فرع أولاد ابن التهامي الطود الذين نزحوا إلى القصر الكبير قبل نزوح الطاهر الطود إليه ويسكنون اليوم مدينة سطات ومدينة الدار البيضاء. أما حفدة الطاهر الطود - وهم الذين يشكلون الاغلبية، فينتشرون اليوم في مدن القصر الكبير وطنجة والرباط.

وقد عرف أبناء الطود القصريون بسمات ثلاث

1 - الحرص على دراسة العلم، فقد كان منهم القضاة والعدول والمفتون والوعاظ والمحتسبون ونظار الأوقاف والأدباء والشعراء.

2 - وطنيتهم الصادقة، وكراهية الأجنبي والشجاعة والجهر بالحق، والمواقف النضالية المتصلبة مما جر عليهم مشاكل مع المستعمر وترك بصمات نضالية واضحة في الحركة الوطنية بالشمال خاصة في القصر الكبير ومدينة تطوان.

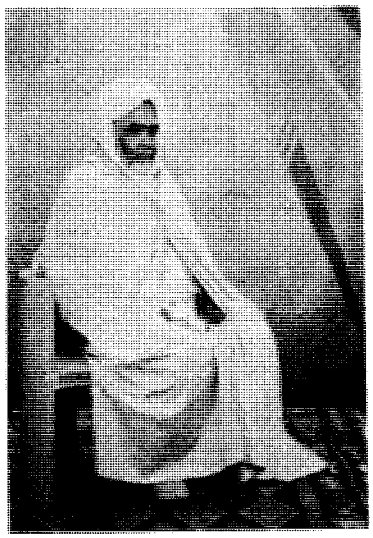
3 - اشتغال معظمهم بالفلاحة حتى يكونوا أحراراً في مواقفهم.

كما كان لأغلبهم ولوع بفن السماع وطرب الآلة.

محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 3، ص. 171 ؛ *وثائق وظهائر عائلية، وروايات شفوية.*

الطود، أحمد بن عبد السلام الحسني بن الطاهر، فقيه مشارك متضلع في العلوم الدينية مبرز في الفقه المالكي حتى نعت بـ "مالك القصر الكبير"، وكان له الباع الطويل في علم التفسير والحديث والأصول والفرائض، والفلك وعلم الكلام، والتصوف إلى جانب علوم اللغة بجميع فروعها، كما كان على اطلاع كبير بالسير والأنساب، ومحيطا بشؤون الأوقاف شرعيا وتاريخيا، مما أهله لأن يصبح مرجعا ومستشاراً لوزارة الأوقاف بالحكومة الخليفية بتطوان، فلا تبتّ في أمر من أمور الأوقاف إلا بعد استشارته.

ولد أحمد بن عبد السلام الطود بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1241 / 1857، وتلقى تعليمه الأولي بها حيث تعلم القراءة والكتابة، واستظهر القرآن الكريم وحفظ بعض المصنفات والمتون العلمية عن مشايخ بلدته. ثم شد الرحلة إلى العاصمة العلمية فاس، وطالت مدة دراسة وإقامته بها، فأخذ عن فطاحل علمائها في وقته أمثال محمد بن التهامي الوزاني، وعبد الملك العلوي، وأحمد بن الطالب ابن سودة، والعلامة جعفر الكتاني وغيرهم.



وعاد بعد ذلك إلى مدينته القصر الكبير مليء الوفاض علما وتجربة فاستفاد منه رعيل من أبنائها، حيث مارس مهمة التدريس بالجامع الأعظم العتيق بها، كما زاول خطة العدالة، ثم خطة القضاء، ومارس مهمة الإفتاء في النوازل العويصة بمزيد من المهارة. وقضى أزيد من خمسين سنة إماما وخطيبا للجمعة والأعياد الدينية بالمسجد السالف الذكر. كما أسندت إليه نظارة الأوقاف بإلحاح لا مزيد عليه، فقبلها على مضض، ثم استقال منها بعد وقت وجيز.

ومما أثر عنه، أنه كان لا يُرى إلا في إحدى الحالات : إما كاتبا معلقا ومحشيا بقلمه في طرر الكتب التي لا يتوقف عن مطالعتها، وإما قارئا تاليا للقرآن الكريم والاذكار والتسابيح، وإما مصليا للفروض والنوافل. ولم يخلف الفقيه إنتاجا محرراً بخط يده إلا أنه يُروى أنه ألف عدة منظومات منها منظومة في علم الفلك شملها الضياع كما شمل العديد من وثائقه القيمة المختلفة المواضيع خاصة نوازله الفقهية وفتاواه وأحكامه.

توفي سنة 1371 / 1951 عن سن يناهز الرابعة

والتسعين، ودفن بضريح العالم أحمد بن علي بن يوسف الفاسي بحي القطانين بالقصر الكبير.

وثائق عائلية : كناشة السي محمد بن عبد القادر الطود وهي ملكية خاصة.

الطود، عبد السلام بن **أحمد** الحسني بن عبد السلام ابن الطاهر.

ولد بمدينة القصر الكبير أواخر سنة 1916 / 1334 وتلقى دراسته القرءانية بكتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد شيخيه الفقيهين الشقيقين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وعبد السلام. وبعدما تلقى دراسته العلمية الأولية على شيوخ بلدته وفي مقدمتهم والده الذي بعثه إلى مدينة فاس للانتهال من حياض شيوخ القرويين، فحضر دروس العلماء : أمثال الشريف الطاهر الكتاني والفقيه محمد بن الطاهر بناني، وعبد الهادي بن عبد الواحد ابن المواز، والقاضي محمد بن إدريس البدراوي، والفقيه العلامة عبد الحي الكتاني وغيرهم.

وعندما تأسس المعهد الخليفي بتطوان، بدا له أن يلتحق به لإتمام دراسته فيه، وفي سنة 1938 سعى زعيم حزب الوحدة المغربية الشيخ محمد المكي الناصري في إرسال بعثة طلابية كبيرة إلى القاهرة ضمت بعض أبناء مدن الشمال المغربي. فسافر عبد السلام بن أحمد الطود إلى القاهرة ضمن هاته البعثة وتابع دراسته بدار العلوم جامعة القاهرة، حيث تخصص في علوم التاريخ.



لم يشذ عبد السلام بن أحمد عن أفراد عائلته فقد كان مثالا للوطنية الصادقة تجلت في نشاطاته المتعددة. فعندما نجحت عملية إنزال الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر سنة 1947 كان عبد السلام اذ ذاك على أهبة مناقشة أطروحته "بنو عباد بإشبيلية". وأثناء الاستعراض الكبير الذي أقيم على شرف المجاهد الخطابي الذي شارك فيه طلبة البعثة المغربية، اقترح عبد السلام على زملائه أن يرددوا - عند مسامتتهم للسرادق الذي يشرف منه المحتفى به على الاستعراض - نشيد الثورة الريفية الذي رددته الجيوش الريفية عند تحريرها لمدينة شفشاون.

وكان عبد السلام متمكنا من النشيد نصا وتلحينا، فدرب طلبة البعثة عليه، فكانت مفاجأة كبرى أثرت في مشاعر بطل الريف الذي التقطت له صورة وهو يذرف دمعتين تأثرا، والصورة نشرتها جريدة مراكش وقتئذ في مدينة طنجة.

ورجع عبد السلام إلى وطنه فانخرط في سلك التعليم لمادة التاريخ بالمعهد الرسمي بتطوان، ثم عين مديراً له، وكان حلو المعاشرة جذابا في شعبيته، وفي تدريسه الأمر الذي شد إليه قلوب تلاميذه.

كما انخرط في حزب "المغرب الحر" الذي أسسه جماعة من الشباب المثقف بمدينة تطوان. فكان عبد السلام الطود العنصر المنشط المحرك في الحزب وتولى إدارة جريدته التي كانت تحمل اسم الحزب. وكان من دعاة حرية المرأة، وشهدت الصحف حواراً ساخنا بينه وبين المعارضين له.

وفي سنة 1956 عاثت بعض العناصر فساداً في شمال المغرب فتعرض لهم عبد السلام الطود بقلمه على أعمدة صحيفة الحزب "المغرب" بمنتهى الصراحة والشجاعة المعهودة فيه، وسماهم بأسمائهم وأطلق عليهم اسم : "جيش التخريب"، فاختُطف وزميله في الكفاح المجاهد إبراهيم الوزاني وهما جالسان يتناولان القهوة بمقهى "كونتيننتل" الواقعة بأكبر شوارع مدينة تطوان في 14 يونيو 1956 في الوقت الذي اختطف ابن عمه عبد السلام بن الهاشمي الطود بالقصر الكبير. وتعرض للتعذيب حتى الموت.

خلف الطود مؤلفا مطبوعا عن بني عباد بإشبيلية، وعدداً من المواضيع المخطوطة عن تاريخ الأندلس، لم يكتب لها بعد أن تطبع. هذا إلى جانب مقالاته الصحيفة العديدة.

وثائق عائلية ؛ المهدي المومني التجكاني، دار بريشة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص. 11 . 28 . 34 . 35 . 40 . 57 . 75 . 104 . 105 . 125 . 129 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، مطبعة سبارطال، طنجة، ص. 125 . 128 ؛ جامع بيضا، *نقاش حول حرية المرأة في الصحافة المغربية*، ندوة *دور المرأة في المقاومة*، ص. 108 . 109 ؛ *جريدة النهار*، 17 رجب 1369 / 5 ماي 1950 ؛ *جريدة الرأي العام*، 9 محرم 1377 / 6 غشت 1957 ؛ *جريدة الديموقراطية*، 30 غشت، 1957.

الطود، عبد السلام بن **الهاشمي** الحسني بن الطاهر علامة مشارك، متضلع في الفقه والأحوال، كان يتحلى بسجايا عالية وفضائل رفيعة، وشخصية قوية كما كان مهاب الجانب ذا شجاعة أدبية وذكاء وقاد.

ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1270 / 1887، تلقى دراسته الأولية على يد شيوخ بلدته وأسرته ثم شد الرحال إلى مدينة فاس، حيث أم جامع القرويين وقرأ على شيوخه

أمثال: الفقيه عبد السلام بن عبد النبي غازي، والفقيه القاضي مولاي أحمد بن المامون البلغيثي، والفقيه العلامة الصوفي أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ العلامة أبي شعيب الدكالي، والفقيه محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم.

وعندما عاد إلى بلدته مارس خطة الوكالة الشرعية زهداً منه واستنكافا من الوظيف، فكان وكيلا مقتدراً يُعجز أمهر القضاة ويحرجهم متى شعر بانحرافهم، ويبهرهم بخبرته الفقهية.



كان عبد السلام بن الهاشمي الطود من مؤسسي الحركة الوطنية بالقصر الكبير، وعضوا في اللجنة الفرعية لحزب الاصلاح الوطني به، ساهم بتفان وشجاعة في نشر الوعي الوطني والسياسي بين أبناء بلدته قبل تأسيس الحزب المذكور من خلال ما كانت تقوم به جمعية *الطالب المخزنية* في نشاطات سرية تمهيداً لظهور الحركة الوطنية العلنية المتمثلة في الأحزاب فساهم في تأسيس الخلايا السرية بالمدينة، وتطوع بشجاعة منقطعة النظير في جنح الليل لترويج المناشير السرية والصحف والمجلات العربية الشرقية المحظورة آنذاك، ثم يجمعها ممن سلمت له لتوزع من جديد على من لم يتوصل بها، وذلك لقلتها، مستعملا الصرامة مع من تخول له نفسه إفشاء السر، أو التقرب إلى الحكام بدلالتهم على مصدرها، وكان المؤطرون يقدرون تضحيته وإخلاصه، كما يهابونه لما وهبه الله من قوة الشخصية.

وفي الأربعينيات عندما حاول أذناب الاستعمار وبعض ضعاف النفوس الترويج لفكرة الانفصال بين شمال المغرب وجنوبه وقف عبد السلام بن الهاشمي الطود شجى في حلق هؤلاء، فعارض بشدة ووقف هو وأسرته من أبناء عمومته في وجه هاته المحاولة بكل ما أوتي من قوة. فألقى عليه القبض، وجاء في رسالة مؤرخة بـ 27 ربيع 1366 (19 يبراير أو 20 مارس 1947) موجهة من ابن عمه الغالي الطود إلى عبد الخالق الطريس بتطوان، أن الباشا (باشا القصر الكبير) محمد بن مصطفى الرميقي (عين في فاتح شوال 1342) قام بجلد الوكيل الشرعي عبد السلام بن الهاشمي خمسمائة جلدة وعمره آنذاك حوالي ستين عاما. ثم طوف به في المدينة. ثم نفي بعد ذلك إلى مدينة العرائش لمدة أربع سنوات. وفي سنة 1952 التقى بابنه الهاشمي الطود الذي أرسل من قبل المناضل محمد بن عبد الكريم الخطابي في مهمة سرية بالمغرب، وذلك في الجامع الكبير بمدينة سلا بحضور المجاهد الحاج أحمد معنينو.

وكان من المعارضين لإدماج حزب الاصلاح الوطني في حزب الاستقلال، لذلك أوقف نشاطه في هذا الحزب وأصبح يميل ويعطف على حزب الشورى والاستقلال.

وفي 14 يونيو 1956 اختطف من بيته ليلا من قبل عصابة من جيش التحرير ولم يعرف مصيره منذئذ، وجاء في كتاب *دار بريشة* أنه عذب حتى الموت.

وثائق عائلية ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، 1952 - 1956، ص. 50 ؛ المهدي المومني التجكاني، *دار بريشة*، مطبعة النجاح، الدا البيضاء، 1405 - 1987، ص. 10 ؛ محمد بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980، ص. 24 ؛ *تظاهرة كبرى لحزب الإصلاح الوطني بالقصر الكبير*، جريدة الحرية، 23 يبراير، 1940 ؛ *الأساليب الفاشستية*، جريدة الديموقراطية، بالفرنسية، 30 - 9 - 1957.

الطود، الغالي بن **المختار** بن الغالي بن الطاهر.

رائد الوطنية بمدينة القصر الكبير، رجل صنعت طينته من عنصرين اثنين عاشا يتصارعان داخله إلى أن لقي ربه هما: حب الوطن، وبغض الاستعمار فبذل من أجل ذلك كل ما يملك من عزيز وغال.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1323 / 1905، استظهر القرآن الكريم بكتاب القطانين على شيخه الفقيه الحاج أحمد بن الحاج علي الريسولي، كما أخذ العلوم الأولية وبعض المصنفات عن شيوخ بلدته. ثم رحل إلى فاس فتتلمذ على فطاحل علماء القرويين خلال العشرينيات الميلادية أمثال عبد الهادي الهرار وعبد الرحمن ابن القرشي وأحمد بن الجيلالي الامغاري ومولاي عبد الله الفضيلي ومحمد بن إدريس البدراوي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي، وبوشتى الصنهاجي. وفي مدينة فاس التقى بعبد الخالق الطريس - قبل سفر هذا الأخير إلى مصر - وكان يقاسمه السكن. ونشأت بينهما صداقة متينة زاد من قوتها حبهما للوطن.

كما تشبع بالأفكار السلفية من روادها وتلك الأفكار كانت من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى تبلور الحركة الوطنية.

ومن الإرهاصات المنبئة بصدق وطنيته انضمامه - وهو بفاس - إلى مجموعات الشباب الوطنين التي كانت تنشط في خلايا سرية، وكانوا يطلقون على بعضهم أسماء مستعارة، فأطلقوا على الغالي الطود اسم غاندي وبقي هذا الاسم لصيقا به يطلقه عليه رفاقه ومن هم في سنه من أبناء عمومته.

ولما عاد إلى مدينة القصر الكبير 1347 / 1931 مارس خطة العدالة وانخرط في سلك التدريس. كما واصل عمله بنشاط ملحوظ في صفوف كتلة العمل الوطني بالشمال، حيث شارك في بعض اجتماعاتها السرية التي كانت تعقد غالبا بمنزل الفقيه الصفار بتطوان، وقد نشط أيما نشاط في تطبيق مقرراتها في مسقط رأسه فشرع في تأسيس الخلايا السرية وتهيئتها مذكيا الشعور الوطني في نفوس أفرادها. وفي هذا الإطار سعى إلى تأسيس جمعية *الطالب المغربي* الأولى، قبل ميلاد حزب الإصلاح الوطني بزعامة صديقه عبد الخالق الطريس. كما كان يراسل باستمرار جريدته *الحياة* التي أصدرها في تطوان في فاتح مارس 1934. وعانت جمعية الطالب المغربي الأولى ما عانته من محاربة المستعمرين لها ومضايقتها مما أدى إلى حظرها وإغلاق مقرها. وبعد إعلان قيام حزب الاصلاح الوطني في 11 نونبر 1936 كان الغالي الطود أول رئيس لفرعه بالقصر الكبير، وعضو اللجنة التنفيذية بتطوان. فسعى من جديد 1937 في إحياء جمعية *الطالب المغربية* كفرع لنظيرتها بتطوان. فعرفت هذه الجمعية بالقصر الكبير تحت قيادة الغالي الطود وفي ظل الحزب نشاطا ملحوظا حيث ألقيت في مقرها عدة محاضرات ونظمت عدة ندوات مختلفة المواضيع شارك فيها المترجم كما شارك فيها ابن عمه المهدي الطود وشخصيات سياسية ووطنية من الزائرين لمدينة القصر الكبير والوافدين عليه في مختلف جهات المغرب كالحاج أحمد معنينو، كما أقيمت بمقر الجمعية حفلات تكريمية لعلماء وأدباء ووطنيين أمثال تقي الدين الهيلالي والتهامي الوزاني وغيرهما مما لا يتسع المجال لشرحه.



وكان الغالي الطود يحرص أشد الحرص على إقامة مهرجانات خطابية في المناسبات الدينية والوطنية والقومية، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ذكرى عيد العرش، وذكرى إصدار الظهير البربري ووعد بلفور خاصة وأنه كان رجلاً قوميا مؤمنا بضرورة وحدة العرب والمسلمين. وهكذا كان يأمر أبناء الحزب وأنصاره في ذكرى الظهير البربري ووعد بلفور بحمل الشارات السوداء على أذرعهم اليمنى طيلة اليوم، وبالتجمع في المساجد لقراءة اللطيف وإلقاء الخطب، ثم التظاهر وإرسال عرائض الاحتجاج وإخراج الصدقات.

وكان بيته قبلة الوطنيين الفارين من المنطقة السلطانية قبل التحاقهم بمدينتي طنجة أو تطوان كالحاج أحمد بلا فريج وعبد الوهاب بن منصور والحاج أحمد معنينو وغيرهم.

وكان قلمه بليغا ولاذعا وهو يكتب في الصحف الوطنية منددا بما يفعله الحكام الاسبان وعملاؤهم من قواد وشيوخ فاضحا ممارساتهم وضربهم للمواطنين الجبليين من قبائل بني سريف وبني زگار وغيرهم وجلد أجسادهم بالسياط.

وكثيراً ما استدعاه الحاكم الاسباني بالعرائش آمراً إياه بالتوقف عن نشر مقالاته اللاذعة. لذلك كثيراً ما جلد وزج به في غياهب السجون على يد عملاء الاستعمار، وأتلفت محاصيل أراضيه الزراعية، ونهبت وقتلت مواشيه. ومما زاد حنق الاستعمار الاسباني عليه أنه كان منذ سنة 1945 يدعو إلى الاستقلال والوحدة بين أطراف المغرب المجزأة بين إسبانيا وفرنسا والادارة الدولية، وكان يدعو إلى ذلك في خطبه في المهرجانات وفي محاضراته ومقالاته الصحفية وفي قصائده الشعرية التي كان يخص بها السلطان محمد بن يوسف الذي تلقى منه مراراً - بواسطة عبد السلام الفاسي - رسائل شكر خاصة على قصيدته التي مطلعها :

لك الشعب الكريم أتى يشيد ... تفضل فأنت فاتحه المجيد

ومما جاء فيها :

غدا يستوهب الشعب اتحادا ... وفي أكناف دولتكم يعود
فلا تبقى الحواجز والجمرك ... ولا يبقى الجواز ولا الحدود
غدير الشمال زادك عزا ... مضت به في عزمكم الوعود
لرفع عماد عرشك قد تبدى ... ليوثا في الشمال لها ربود

وقد كانت هاته القصيدة سببا في متابعة الاستعمار له ولأسرته فاضطر للهجرة إلى طنجة الدولية وقتئذ، وأرغم على تقديم استقالته كمدير للمدرسة القرآنية، ولبث سبعة أشهر في طنجة ثم أرغمته الادارة الدولية على الخروج منها بعدما استصدرت قراراً من المندوب السلطاني الحاج محمد التازي بتاريخ 16 يونيو 1947 يمنعه من الخروج من المغرب من طريق البر والبحر.

وحددت له السلطات الاسبانية الاقامة الجبرية بمدينة العرائش تحت الرقابة المشددة. وحلت جمعية الطالب المغربية التي كان يرأسها الغالي الطود ونهب مقرها، وسرق أثاثه، ونهبت خزانة كتبه الغنية النادرة، وحول إلى نادي للصيادين الاسبان نكاية بالأسرة الطودية.

كما كان الغالي الطود مؤمنا بالوحدة القومية والقضايا العربية والإسلامية ففي قصيدة له بمناسبة عيد العرش في 18 نونبر 1947 جاء :

يا أيها العرب الخلصاء إنكم ... إن اتحدتم حباكم بارئ النسم
هذي فلسطين تحت النير صامدة ... بين الحراب وبين الظلم من أمم
عار علينا بني الإسلام إن نجحت ... زعينيفة من شذاد الافق في الحرم

لبث الغالي الطود تحت المراقبة في مدينة العرائش إلى أن مات المقيم العام الاسباني باريلا (1891 ـ 1951) في 24 مارس 1951 الذي كان ألد عدو للحركة الوطنية. فالتحق بالمنطقة الجنوبية وجاب ربوعها. وفي سنة 1952 حل بمدينة فاس وزار ابن عمه إدريس الطود الحسني الذي كان حينئذ مدير مدرسة الفتح الحرة، وكانت فرنسا وقتها تؤلب البربر ضد العرش، وكان الجلاوي والجنرال گيوم وأعوانهم يقومون بجمع العرائض ويجتمعون برؤوس القبائل لإيغار صدورهم على العرش العلوي فانتهز الغالي فرصة وجوده بإتزر واتصل برؤساء القبائل هناك بواسطة ابن عمه المذكور، وأمضوا عرائض أخرى مضادة لما أمضاه گيوم والگلاوي يعلنون فيها تبرأهم من هاته العرائض وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد، وقد حمل هاته العرائض إلى فاس محمد ولد الخليفة بوزيان وسلمها إلى الغالي الذي حملها بدوره إلى الرباط وسلمت إلى السلطان محمد بن يوسف شخصيا. ثم عاد الغالي إلى القصر الكبير، وناضل بشدة بعد نفي السلطان في غشت 1953. ونظم عدة مظاهرات ورفع عدة احتجاجات للمحافل الدولية والمنظمات السياسية وللبابا والفاتيكان. كما قام بدور هام جداً حين أحبط وزملاؤه من الوطنيين محاولات فرنسا لكسب تأييد لها في سياستها ضد السلطان ونفيه والاعتراف بابن عرفة ملكا شرعيا وحمل الأئمة على الخطاب له في منابر جوامع شمال المغرب، لكن الوطنيين وعلى رأسهم الغالي تصدوا لذلك وأبلغوا سفراء الدول العربية بمدريد فهدد هؤلاء بقطع العلاقة مع نظام فرانكو فورا إن أيد السياسة الفرنسية أو سار في ركابها.

ونتيجة للتهديدات والمؤامرات والاختطافات التي تعرض لها رجال أسرة الطود بعد عودة السلطان محمد الخامس من المنفى، اضطر الغالي إلى الخروج متسترا في 4 غشت 1956 ولجأ إلى إسبانيا ومنها إلى مصر حيث احتضنه بصدر رحب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي وظل هناك إلى أن أذن له بالعودة إلى المغرب وكان وصوله إلى القصر الكبير في غشت 1960.

وظل يمارس مهنته كعدل كما كان له نشاط فلاحي يساعده على العيش إلى أن توفي في 16 شتنبر 1985 ودفن بروضة سبعة رجال بمدينة القصر الكبير.

ولم يترك الغالي مؤلفات لكنه كان يكتب في الصحف الوطنية *كالحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر والرأي العام* مما لو جمع لكون رصيداً وطنياً سياسياً غزيراً.

وريقات كتبها الغالي الطود عن ذكرياته لكنه لم يتممها ؛ *وثائق عائلية* ؛ م. ابن عزوز، *وثائق تشهد*، الرباط، مطبعة الساحل، 1980، ص. 19 ؛ أعداد كثيرة من الجرائد الوطنية، الحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر ؛ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بنانت.

الطود، الفضيل الحسني، الفضيل بن محمد بن أحمد بن عبد السلام.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1933، تعلم القراءة والكتابة بكتاب الفقيه السيد أحمد الريسوني بالقصر الكبير، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده الفقيه العلامة محمد بن أحمد الطود في الدين واللغة والآداب، وجده أحمد الطود في الحساب والدين واللغة، ثم التحق بمعهد مولاي المهدي بتطوان وقضى فيه سنتين، ثم عاد إلى القصر الكبير حيث واصل الدراسة على يد أبيه وجده كما أدخل إلى المعهد الديني حيث تابع دراسته مدة من سبع سنين. وتقدم بعد ذلك في سنة 1954 لاحتياز مباراة لاختيار المعلمين، فنجح وعين معلما بـ"حد الغربية" نواحي مدينة أصيلة، ثم تقدم لمباراة الدخول للمدرسة الإقليمية للمعلمين بالرباط حيث أمضى نحو سنة عين بعدها معلماً بمدينة طنجة سنة 1957، ثم انتقل بعد عشر سنوات للعمل بمدينة القصر الكبير إلى أن أحيل على المعاش بها سنة 1994.

وتوفي بمدينة القصر الكبير في 4 أبريل 2002.

وثائق عائلية.

الطود، محمد بن **عبد القادر** بن الطيب، عدل مبرز مرموق، وطني صادق، كريم سخي مضياف. وجيه مقدام، تلقى تعليمه الأول عن مشايخ مدينة القصر الكبير ـ مسقط رأسه ـ حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والكثير من المتون العلمية. ثم رحل إلى مدينة فاس وأم جامع القرويين فأخذ عن كبار الشيوخ به أمثال : محمد گنون، ومحمد القادري ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بن سودة وغيرهم. وبعد أن ملأ وطابه من لذة العلوم، عاد إلى مدينة القصر الكبير، فمارس خطة العدالة وتولى خطبة الجمعية والأعياد بالمسجد الأعظم خلفا لابن عمه أحمد بن عبد السلام بعد وفاته، كما شغل مهمة كاتب المجلس البلدي



عندما سمحت السلطات الحامية بتأسيس المجالس البلدية المنتخبة بالشمال في بحر الثلاثينيات. إلا أنه كان يعتمد في عيشه أساساً على فلاحة الأراضي الشاسعة التي ورثها عن والده.

كان المترجم يتمتع بوطنية فياضة ورثها عن أسلافه زادها احتكاكه بشيوخ السلفية بمدينة فاس رسوخا، فكان بيته مقراً للنشاطات الوطنية وقبلة لاستضافة كل الوطنيين القادمين إلى القصر الكبير على اختلاف مشاربهم كما كان صريحا ذا مواقف صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية مما تسبب له في مشاكل متعددة.

فسجن سنة 1932، والسبب كما حكاه المترجم له في كناشته أن السلطات الإسبانية الاستعمارية بمدينة القصر الكبير، والباشا الرميقي، رخصت لليهود بتاريخ 28 يونيو 1933 بعرض مسرحية من شأنها أن تثير حفيظة المسلمين وغضبهم وتمس كرامتهم بإهانة سلفهم. وفي يوم العرض وبينما المتفرجون اليهود والإسبان يتوافدون على المسرح، إذا بعبد القادر الطود وابن عمه الغالي يعلنانها صرخة مدوية في الجمهور "أن حي على الجهاد في سبيل الله" فاجتمعوا عن بكرة أبيهم وقاموا بمظاهرة عظيمة، ورفعوا احتجاجهم إلى السلطات الاسبانية على هذا الاعتداء على كرامة الاسلام، وفي أثناء المظاهرة تحرش اليهود بالمسلمين، ووقع اصطدام بينهم وكانت معركة و (ثورة) لم تتغلب السلطة الاسبانية عليها إلا بعد جهد كبير استمر من 28 يونيو إلى 2 يوليوز 1933.

وبإيعاز من الباشا الرميقي الذي أصيب المسلمون برزء عظيم على يديه، وكان من خلصاء الباشا البغدادي بفاس، وامتاز عنه بفرط ميله وافتتانه بحب اليهود الذين بذلوا له 5000 بسيطة كي يأذن لهم بعرض مسرحيتهم. ألقى القبض على الوطنيين من بينهم : محمد بن عبد القادر الطود أو ابن عمه الغالي الطود والفقيه التهامي الدغاي، والتاجر التهامي بن أحمد ابن جلون الفاسي القصري، والهادي بن المعلم الحراق والشريف اليعقوبي التطواني، وظل محمد بن عبد القادر الطود وزملاؤه في السجن إلى أن جاء أمر من المقيم العام بتطوان - بعد تدخل الزعماء الوطنيين بها - بأمر الباشا الرميقي بإطلاق سراحهم في الحين، إلا أنه ظل يتربص الدوائر بالمترجم وأفراد عائلته فعزل الكثير منهم عن مهامه وسجنهم.

ولم يفت كل ذلك من عضده ولم تتغير مواقفه من عملاء سلطات الحماية، وخاصة الباشا الرميقي مما لا يتسع المجال لعرضه هنا. ومازال بعض شيوخ مدينة القصر الكبير يذكرون خطبتيه اللتين ألقاهما يوم عيد الأضحى، ويوم الجمعة التي تلت نفي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953. فأبكى بذلك المصلين وألهب حماسهم.

توفي في شهر دجنبر 1956 عن سن يناهز الخامسة والسبعين، ودفن بخلوة سيدي قاسم بن الزبير المصباحي.

وثائق عائلية ؛ كناشة من تأليف المترجم له في ملكية أحد أولاده ؛ م. بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980.

الطود محمد، المهدي بن الحاج عبد الكبير بن عبد السلام بن الطاهر بن الطيب، فقيه علامة مشارك في كثير من رياض المعارف الاسلامية وضروب الثقافة والعلوم، أديب شاعر، خطيب مصقع، كان يتميز بفهم ثاقب، وذهن وقاد، وذكاء قلب نادر، وسرعة بديهة، وفصاحة لسان. ازداد سنة 1913 / 1331 بمدينة القصر الكبير، ونبغ مبكراً، إذ استظهر كتاب الله استظهارا متقنا قبل إتمام الحادية عشرة من عمره بكُتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد الشيخين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وشقيقه عبد السلام، وبعد حذقه في تحصيل القرآن الكريم واستظهاره والإلمام بقواعد تجويده دراية وأداء زانتهما عذوبة صوته، انصرف لحفظ المتون العلمية المختلفة المواضيع، وتلقى دراسته العلمية الاولية على شيوخ بلدته، في طليعتهم عمه الشقيق العلامة المحقق، أحمد بن عبد السلام بن الطاهر الطود الحسني وابن عمه الفقيه العدل المبرز محمد بن عبد القادر الطود والفقيه العلامة السيد أحمد مومن والفقيه الحسن السوسي البوعقيلي، والفقيه العلامة الشريف أحمد المجول. كما أخذ عن قاضي القصر الكبير الفقيه الصوفي الورع العلامة المحقق الشريف الحاج أحمد بن الطاهر الزواق الگنوني الحسني الذي كان يعرف في الوسط القصري بالزواق الثاني لاستقضاء شقيقه بالقصر قبله، كما عاشر المترجم العلامة الطاهر بن مالك المراكشي طيلة سنوات إقامته بالقصر الكبير.

ثم ألحقه والده بجامعة القرويين بفاس ولما يتم الخامسة عشرة من العمر، الأمر الذي شكل صعوبة وأخذاً أو رداً في شأن إلحاقه بما كان يعرف وقتئذ بـ "النظام" أي التسجيل قانونيا والحصول على حق التمتع بالسكن الطلابي، حيث بقي مدة يتلقى دروسه بكيفية اختيارية وهو يقيم ضيفا مكرما عند أخواله آل برادة بفاس، إلى أن أذعن شيخ الجماعة إذ ذاك أحمد بن الجيلالي لإجراء استفسار واستفتاء لجميع الشيوخ الذين كان المترجم له يواظب على حضور دروسهم، فشهدوا بجديته وبنباهته وسرعة تحصيله، فحل مشكله وأسكن مع ابن عمه الغالي الطود الحسني بمدرسة العطارين بالغرفة 7. وممن أخذ عنهم من أعلام القرويين وأساطينها في وقته، السادة العلماء : العباس المزطاري المكناسي والعباس بناني وعبد العزيز بن الخياط والحسن الزرهوني وبوشتى الصنهاجي ومحمد شقيقه والحسين بن الوليد العراقي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي وعبد الهادي بن المواز ومولاي الشريف التگناوتي ومولاي عبد الله الفضيلي وعبد الرحمن بن القرشي ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن الغريسي والشيخ أبو شعيب الدكالي

الصديقي والشيخ عبد الحي الكتاني. وقد ساعده نبوغه ونباهته على التكوين المستظرف الآخذ من كل فن طرف، دون انشغال بالكماليات عن الاساسيات مما جعل منه الفقيه المحقق واللغوي المدقق والأديب الكاتب المدقق والشاعر المجيد. وإثر عودته إلى مسقط رأسه، ساهم في الميدان الثقافي والأدبي والفني والوطني والسياسي حيث استهل نشاطه العملي بإلقاء دروس في الفقه واللغة بمسجد سيدي علي بن العربي المجاور لبيت أسرته، ومسجد سيدي سعيد الزبيري الذي كان والده الحاج عبد الكبير يتولى الإمامة به، فاستفادت من عطائه نخبة من الطلبة استفادة ملحوظة.



وعين عدلا مبرزاً من الدرجة الأولى بتاريخ 5 ماي 1937 بعد اجتيازه مباراة العدول، وكان التحاقه بسلك العدالة تحت إلحاح وتأثير عمه العلامة سيدي أحمد الطود فقد كان المهدي يوصي دائما ويردد قائلاً :

"من أراد أن يسعد فلا يؤم ولا يشهد، ولا يتقدم على أولاد أحد". وكان يسأل الله أن يغنيه عن رزق العدالة فاستُجيب دعاؤه.

اهتم المترجم منذ وجوده بفاس بكل ما يتصل بالحركة الوطنية وروادها هناك، فكان من المؤسسين الأوائل للحركة الوطنية ـ بمسقط رأسه ـ في حظيرة "حزب الإصلاح الوطني" بزعامة عبد الخالق الطريس، إذ عمل عضوا بارزا في اللجنة الفرعية للحزب بمدينة القصر الكبير التي كان يرأسها ابن عمه المناضل الغالي الطود، الذي كان يركن إليه ويستشيره باستمرار في مهمات الأمور، ويوكل إليه مهمة تحرير الوثائق الهامة والتقارير الموجهة إلى مختلف الجهات، والمقالات والبيانات والاحتجاجات المراد نشرها بالصحف الوطنية الجهوية آنذاك لسيلان قلمه وسلاسة أسلوبه. كما تطوع لتحمل مسؤولية الجانب النقابي والعمالي داخل الحزب، إيمانا منه بجدوى تأطير الطبقة العاملة، ولما كان للصناع والعمال والحرفيين من كبير الثقة به والاطمئنان إليه لتواضعه وحكمته. وساهم قبل ذلك في تأسيس "جمعية الطالب المغربية" الأولى والثانية إلى جنب رئيسها الغالي الطود. وأثرى ـ كذلك ـ صحف الحزب وغيرها بمقالاته السياسية والدفاعية والتوجيهية فكتب في كل من : "*الحياة*" و "*الحرية*" و "*الريف*" و"*المغرب الحر*" كما راسل صحيفة "*الميثاق*" لسان رابطة علماء المغرب بصورة مستمرة ومكثفة. وكان في طليعة المؤسسين أيضاً للمدرسة الأهلية الحسنية الحرة بالقصر الكبير ومن ألمع الأساتذة المتطوعين بإلقاء الدروس بها، وابتكر مشروع "حديث الاربعاء" لتدريب تلاميذها على الكتابة والخطابة، إضافة إلى تطوعه بإلقاء الدروس الليلية لفائدة الطبقات الشعبية بمركز الحزب.

وفي أواخر الثلاثينيات (1937 ـ 1938) استجاب لرغبة زميله في الكفاح الوطني إبراهيم الوزاني فالتحق بمدينة تطوان لمؤازرة في تحمل أعباء المؤسستين التاريخيتين : "مكتب الدفاع الوطني" و"المهجر"، اللتين أعدتا خصيصا لأيواء اللاجئين السياسين الفارين من الأحكام الصادرة في حقهم من قبل الفرنسيين فيما كان يسمى وقتئذ بالمنطقة السلطانية. فأجاد المهدي الطود في الاشراف على سير المؤسستين وأفاد. فهو بالإضافة إلى مواساة النزلاء وبعث الامال في نفوسهم واظب على إصدار نشرة يومية سياسية باسم "مكتب الدفاع الوطني" يندد فيها بسياسة الادارة الفرنسية. وكانت تلك النشرة تصدر باللغة العربية، وتترجم إلى الفرنسية والاسبانية والانجليزية والالمانية، ويتم توزيعها على أوسع نطاق في المنطقتين الخليفية والسلطانية، ويبعث بها إلى القنصليات والسفارات إلى أن أغلقت المؤسستان من قبل السلطات الاسبانية.

والمترجم له أول من حمل مشعل النهضة المسرحية بمدينة القصر الكبير لدى عودته من فاس، متأثراً بنشاط روادها هنالك وفي طليعتهم عبد الواحد الشاوي ومحمد القري إيمانا منه بأن المسرح وسيلة من أهم وسائل التوعية الوطنية والسياسية والاجتماعية، فكون فرقة تمثيلية بمسقط رأسه من شبيبة جيله، دون أن يطلق عليها اسما ولا صفة، حتى لا تمتد إليها أيدي المستعمر. وأثرى الفرقة بإنتاجه المسرحي الهادف كروايات : "الوصي الظالم" و"حسن الجوار" "والفتاة المتعلمة" و"العجوز الماكرة" و"العامل" وهذه الأخيرة أعدها خصيصا لتلاميذ المدرسة الاهلية الحسنية الحرة، فضلاً عن المحاورات الهزلية القصيرة المستوحاة من صميم المجتمع وواقعه. هذا علاوة على ما اقتبسه وأخرجه من قصص غيره كرواية "في سبيل التاج"، ورواية "أبطال الحرية" ورواية في محبة البلاد، وما حوره أو نشر شعره وبسطه كرواية "بلال بن رباح" الشعرية. وغير ذلك مما يطول ذكره، كما زود فرقته بنشيد وطني من نظمه وتلحينه، يُردّد في بداية تشخيص كل رواية، ومطلعه :

صفا الجو حان السـرور نهضنا بملء الصـدور
نبيد أماني الغــــرور لنزري براضي الوهـن

ولم يثنه نشاطه الثقافي والسياسي والوطني عن إرضاء نزعته الروحية والاجتماعية فمارس الإمامة في عدد من مساجد القصر الكبير، وناب عن عمه في إلقاء خطب الجمعة، وإحياء سنة التراويح عشاء وفجراً بالمسجد الأعظم خلال شهر رمضان لمدة أربع عشرة سنة إلى أن عين - دون علم منه - شيخا للمعهد الديني بالعرائش في فاتح أكتوبر 1952، فكانت رحاب المسجد الأعظم بالقصر تكتظ بعشاق تلاوته وتجويده، كما واظب على سرد صحيح البخاري بين فترة التراويح وإقامة صلاة الصبح، وصحيح مسلم قبيل صلاة العصر على كرسي الحديث بالمسجد المذكور. وقام بنفس المهام تلبية لرغبات السكان والسلطات الدينية والإدارية بمسجد المصباحية بالعرائش. وكان له إلى جانب ذلك إلمام واسع وموهبة مرموقة بفني السماع والانشاد وموسيقى الآلة حفظاً وأداء وتذوقا. كما كان له أيضاً مبادرات شيقة في شعر الملحون من أروعها قصيدة مطولة على لسان "هواري بومدين". واستدعي بصفة شخصية سنين عديدة للمشاركة في إحياء كل من ليالي المولد النبوي وذكريات وفاة المغفور له محمد الخامس. وكان يتمتع بصوت رخيم مؤثر، وملكة موسيقية وتمكن من الانغام، وتحكم في الطبوع وقدرة فائقة على التخلص من طبع إلى طبع ومن نغم إلى آخر.

وهو إلى جانب كل ذلك، شاعر مفلق، يعتبر من رواد العربي العمودي في عصره، عالج مقاصد الشعر المتعارفة وزاد عليها الا العشق والهيام بالدنيويات، كما نظم في سائر بحوره المتعارفة والمحدثة، وغالب نتاجه ملحمي نضالي ذو طابع إسلامي عربي مغربي صرف. وقد نسخ كثيراً مما تحمله مجموعة "الحايك" في موسيقى الآلة من صنائع وموشحات وبراول وأزجال فحول مقاصدها من الغزل والنسيب إلى مقاصد وطنية. كما نظم عدة أناشيد دينية ووطنية نذكر من بينها نشيد الاكاديمية الملكية العسكرية بمكناس :

يا أخي في السـلاح يا أخي في الكفاح
ضع يدك في يــدي وافتخر وانشــد
نحن ضباط الغــد دائما نفتــدي
بالدماء الوطــن

وقد برزت موهبته الشعرية ولما يزل في بداية التحاقه بالقرويين. إذ كانت أولى مبادرته الملهمة في مناجاة روح المولى إدريس. له ديوان يجمع معظم ما أنتجته قريحته الشعرية لم يطبع بعد. أما إنتاجه النثري فهو أكثر من أن يعد في هذا المجال. فهو إلى جانب شاعريته المرموقة، ناثر مجيد ذو قلم سيال وأسلوب رصين، ونفس طويل، موسوعي الثقافة والتكوين.

انتدبه زميله العلامة عبد الله گنون بإلحاح كبير لتسيير شؤون فرع "رابطة علماء المغرب" بالعرائش فلبى رغبته. كما أقره على ذلك خلفه الشيخ محمد المكي الناصري لسابق معرفته به في ميدان الكفاح الوطني والمجال العلمي والثقافي.

كان رحمه الله حلو المعاشرة، عذب النكتة، سريع الإجابة، مؤنس المجالس، لطيف المعاشرة، وطيء الكنف، لين الجانب، متواضعا تواضع العلماء. فهو على العموم نموذج محرر وصورة معبرة عن الشخصية ذات الطابع المغربي الصرف في جميع مظاهر حياته. وعلى حد تعبير زميله الأستاذ الالمعي عبد القادر الساحلي : "إن المهدي الطود مدرسة إسلامية مغربية وطنية جامعة فذة". فارق الحياة في فجر يوم الأحد 18 ربيع الثاني 1412، الموافق 27 أكتوبر 1991 ودفن بمقبرة الولي الصالح سيدي علال بن أحمد العسري.

وثائق عائلية ؛ ترجمة مطولة للمهدي الطود بقلم ابنه عبد الكبير.

رقية بلمقدم

طورديسياس، معاهدة Tordesillas المعاهدة المبرمة بمدينة طورديسياس البرتغالية يوم 7 يونيو 1494 بين ملك البرتغال خوان الثاني Juan II والملكة القشتالية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica ؛ وكانت هذه المعاهدة الثانية المبرمة بين المملكتين بخصوص اقتسام المغرب بينهما، وبمقتضاها "تنازلت" البرتغال عن "حقها" في مدينتي مليلية وغساسة لصالح قشتالة ؛ وقد تمكن الإقطاعي القشتالي دوق مدينة سيدونة Duque de Medina Sidonia من احتلال مليلية يوم 17 سبتمبر 1497 ومدينة غساسة يوم 13 سبتمبر 1506.

Rumen de Armas. *España en el Africa Atlantica*, t. I, Madrid 1956.

طورون، خـوسي انطونيـو Turon José Antonio جنرال إسباني ازداد ببرشلونة يوم 24 فبراير 1804، وبحكم انتماء أفراد أسرته إلى الخدمة العسكرية فقد التحق بالأكاديمية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط الصف سنة



1829، وعندما حصل على رتبة كولونيل سنة 1843 عين رئيساً الحرس الملكي وبهذه الصفة شارك في الحملات العسكرية لقمع المحاولات الانقلابية التي جرت في بلاده من سنة 1844 إلى سنة 1849، كما كان على رأس الفرقة العسكرية التي توجهت إلى إيطاليا لنصرة البابا بيبو التاسعPio IX سنة 1850.

وحيث إنه كان من أنصار الجنرال اودنيل O'donnell في عملية تصحيح الأوضاع بإسبانيا دفاعاً عن الملكة ايسابيل الثانية Isabel II ؛ فقد أسند إليه الجنرال المذكور رئاسة الفيلق الاحتياطي في الجيش الذي غزا المغرب في شهر نوفمبر 1859.

وعند احتلال تطوان عين حاكماً عسكرياً عاماً بالمدينة يوم 9 يوليوز 1860، ذلك إلى غاية يوم 30 أبريل 1862 حيث سلم مفاتيح المدينة إلى الباشا اشعاش.

م. ابن عزوز حكيم، *معلمة تطاون*، الجز الأول، تطوان، 2001 ؛ *حرب تطاون في صور* (تحت الطبع).

Evaristo Ventosa, *Historia de la guerra de Africa, 1860*, Barcelona, t. II.

طوري دي لامورا Torre de la Mora البرج الذي كان شاهداً على سقوط مدينة سبتة بيد البرتغاليين الذين اطلقوا عليه اسم طوري دي لامورا Torre de la Mora (برج المرأة المغربية) نسبة للمرأة السبتية التي كانت توجد به عند اقتحام المدينة يوم 21 غشت 1415 وألقت منه بحجارة قتلت أول محارب صليبي وطأ أرض المغرب اسمه ڤاسكو ذي أطايْدي Vasco de Ataide ؛ واحتفظ البرتغاليون وبعدهم الإسبانيون بالحجارة داخل خزانة توجد حالياً ببلدية سبتة السليبة.



Sureda Blanes, *Abyla Herculana*, Madrid 1925, p. 182.

محمد ابن عزوز حكيم

الطوسي، سيدي إدريس بن بوشعيب من مواليد سنة 1934 بالجديدة من أبويه بوشعيب بن الميلودي وفاطنة بنت محمد، عمل بمناجم الفوسفاط بخريبگة، ونتيجة اتصاله بعدد من الرفاق بدأت تتكون لديه وطنية ووعي بقضية المغرب الكبرى.



شارك في أحداث خريبگة الشهيرة مشاركة فعالة. ومن الأعمال التي قام بها أثناء هذه الانتفاضة تخريب وتحطيم مصالح المستعمر. وأمام اشتداد قوة الانتفاضة وأعمال التخريب لجأت قوات الاحتلال إلى استعمال الرصاص حيث أصيب الطوسي سيدي إدريس فسقط قتيلا وذلك بتاريخ 21 غشت 1955 مضيفا اسمه إلى لائحة شهداء الحرية والكرامة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520887.

الطوطسي، الحسن أيت شعيب، والطوطسي نسبة إلى أيت طوطس، وهي إحدى فخذات خمس أهل الواد المنضوي تحت لواء قبيلة أيت عتاب المعروفة بغربي جبال الأطلس المتوسط.

كان المترجم أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن ناصر صاحب زاوية تامگروت بوادي درعة، لعله أخذ عنه بواسطة، إذ لم يشر الخليفتي الذي انفرد بترجمته إلى أنه لقيه. على أن قبيلة أيت عتاب التي يوجد ترابها في مجال عبور، لأنه غير بعيد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، كانت من بين القبائل التي انخرط كثير من سكانها في سلك الطريقة الناصرية في عهد الشيخ أحمد الخليفة 1085 / 1129. وبناء على ذلك فقد يكون الطوطسي من بين تلاميذ الناصريين الأوائل الذين انبثوا في الجهات النائية لنشر التصوف بين السكان.

وقد اشتهر المترجم بالتقوى والزهد والاجتهاد في الدين بكثرة الصلاة والصيام وساهم مع سائر تلاميذ تلك الجهة في تأسيس سلسلة من الفروع التابعة للزاوية الناصرية، التي اعتبرت امتداداً لها في نشر العلم والتصوف والتحكيم في النزاعات التي كانت تنشب لأتفه الأسباب بين الناس بسبب

انتشار الجهل والبعد عن مراكز السلطة، ولاسيما في أثناء الأزمات.

وكانت وفاة الطوطسي قبل وفاة والد مؤلف كتاب *الدرة الجليلة* إذ توفي عام 1182 / 1769.

الخليفتي، *الدرة الجليلة*، ص. 349 ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

طوطو، الحسن بن أحمد المدعو بـ (طوطو) ولد عام 1342 الموافق لسنة 1923 بتمنار بالصويرة من أسرة متوسطة الحال.



كان عنصرا مهما في منظمة اليد السوداء بالدار البيضاء. ومن العمليات التي قام بها بتصفية بعض الخونة بشركة كوزيمار بالدار البيضاء وإطلاق الرصاص على شرطي بدرب بوشنتوف بالبيضاء، تم اعتقاله يوم 17 ربيع الأول 1373 (24 نونبر 1953) وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة حكما بالإعدام في حقه بتاريخ 26 شعبان 1973 (30 أبريل 1954) من أجل تهمة القتل العمد وتكوين عصابة مخربين وحيازة السلاح والمتفجرات.

أعدم بسجن العاذر بتاريخ 22 ربيع الثاني 1374 (18 دجنبر 1954).

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 26.

طوطو، العريفة بنت بوشتى السفياني، ولا صلة لها بأولاد ابن طوطو الذين ورد ذكرهم في المنزع اللطيف في تقييد ما اشتملت عليه مدينة مكناس من البلديين في عهد مولاي إسماعيل.

كانت طوطو "عريفة" في قصر حريم السلطان مولاي إسماعيل، وتمتعت عنده بمكانة وحظوة كبيرتين. ومن أولادها : القائد قاسم، والحاج سليمان والتومية وهنية المعروفة بالنسيم وهي التي تزوجها زين العابدين بن المولى إسماعيل وخلفت له ولداً هو الشاد بالله وبنتا هي لالة مليكة. استطاعت العريفة طوطو أن تتملك ثروة هامة من العقارات داخل مدينة مكناس وخارجها، من جملتها أراضي شاسعة بمنطقة بني موسى عرفت بجنان العريفة وبها برج يعرف أيضاً - حتى اليوم - ببرج العريفة، وإلى هذه الأراضي جر المولى إسماعيل الماء من وادي بوفكران عبر ساقية مخصصة لري زياتين منطقة حمرية تمر فوق جدار عميق إلى أن يمر ماؤها فوق أقواس باب ثلاثة فحول.

ويبدو أن مهمتها كعريفة قد طغت على اسمها فأصبحت لا تعرف إلا باسم : "العريفة".

حوالة أحباس صغرى مكناس، رقم 4، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 175.

رقية بلمقدم

طوطي (الجنرال) : هو من كبار الضباط الفرنسيين الذين تولوا مهام عسكرية وإدارية بالجزائر وبشرق المغرب، فقد عُيِّن المترجم له حاكما لولاية وهران بغرب الجزائر ومندوبا ساميا لمناطق الحدود منذ 13 يناير 1911 خلفا للجنرال ليوطي الذي استُدعي لتولي مهام أخرى بفرنسا. وتَبيَّنَ من الأحداث التي وقعت بشرق المغرب أثناء سلطته أنه لم يكن على دراية بأوضاع مناطق الحدود بين المغرب والجزائر. وكان من دعاة التدخل العسكري انطلاقا من غرب الجزائر لاحتلال مدينة فاس خلال أحداث سنة 1911، إلا أن محاولته عبور وادي ملوية في شهر أبريل من السنة نفسها مُنيت بالفشل، واضطر إلى التراجع نحو وجدة أمام تكتّل قبائل أحواز تازة بزعامة قبيلة بني وراين. عُرف هذا الضابط أثناء مهمته بوجدة بخلافه مع السلطات المدنية الفرنسية بشرق المغرب، التي اتهمها بممارسة التعسف تجاه المغاربة بهدف انتزاع الأراضي منهم، حيث أقدم على اعتقال المندوب الفرنسي بوجدة وبعض أعوانه. كما اعتقل قاضي وجدة وأربعة عدول بتهمة تورطهم في نزع الملكية بشكل تعسفي من عدد كبير من المغاربة وتفويتها للمستوطنين الفرنسيين. وأثارت هذه القضية ضجة بشرق المغرب، فحاولت الحكومة الفرنسية تدارك الأمر، فأرسلت لجنة برلمانية من أجل التحقيق في النازلة. وخلُصت اللجنة المذكورة إلى تبريئ جل الأظناء الفرنسيين، وتبيّن أن الجنرال طوطي قد تجاوز الاختصاصات المخولة له بهدف التغطية على محاولة منح بعض الامتيازات لأحد معارفه في شركة فرنسية كبرى متخصصة في تملك الأراضي بشرق المغرب. وقد عكست بعض الكتابات المغربية المعاصرة لهذه الفترة جانبا من هذه النازلة، ونقصد بذلك الفقيه الحجوي في مخطوطه "تقاييد مخزنية"، حيث سجل ما يلي : "في 28 شوال من السنة (1329)، وقعت نادرة بوجدة...، وذلك أن الجنرال طوطي قبض على قاضيها الحاج العربي المشرفي وعدوله ... وسجنهم في سجن المحلة الفرنسوية، وبعده دخل دورهم العسكر وبحث عن الأموال والأوراق وطابع المحكمة الشرعية، وذلك لما ارتكبوه من ظلم المسلمين وسلب أموالهم وأراضيهم وبيعها للمعمّرين ببخس الثمن، مما لا يقدر أحد

أن يصدقه من المظالم الفاحشة التي دام عليها هؤلاء الظلمة مدة خمس سنين".

وقد رفع نائب المندوب السامي المغربي بوجدة (محمد بن عبد الواحد) مذكرة إلى رئيس لجنة التحقيق الفرنسية الموفدة إلى المدينة، حيث ندّد بتوقيف القاضي وإيداعه السجن دون اتفاق مسبق وتشاور مع المخزن كما نص على ذلك اتفاق 14 يناير 1910 الموقع بباريس، واحتج أيضاً على الكيفية المهينة التي عومل بها القاضي الذي اقتيد إلى السجن مكبّل الأيدي أمام العامة، واحتج أخير على تعيين قاض جديد دون الرجوع إلى السلطات المغربية. فاستجابت لجنة التحقيق الفرنسية للمطالب المخزنية وأطلقت سراح القاضي وأربعة عدول.

وبناء على نتيجة التحقيق قررت الحكومة الفرنسية إعفاء الجنرال طوطي من مهامه بوجدة في نهاية شهر دجنبر 1911 ونقله للعمل بفرنسا، وعيّنت موظفا مدنيا خلفا له، اقتصرت مهمته في الإشراف على الإدارة المدنية بمناطق الحدود بين المغرب والجزائر.

الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 - 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
Rapport d'ensemble sur l'affaire d'Oujda, Décembre 1911, Carton n° 360 / Tanger - Maroc ; Centre des archives diplomatiques de Nantes (France).

عكاشة برحاب

الطويل، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة انجرة حيث كانت تعرف باسم الشاط واتخذت اسم الطويل عندما هاجرت إلى تطوان، وقد أنجبت عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء :

- محمد بن عبد الكريم الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1201 إلى 1208.
- عبد الرزاق بن عبد السلام الذي كان يعمل وكيلاً شرعياً سنتي 1240 و1241.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 831.

الطويلب، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب اشتهر بعض أفرادها بتجويد القرآن الكريم حيث تذكر الوثائق المقرئين :

- محمد بن عبد الصمد المقرئ بجامع الرزيني كان بقيد الحياة سنة 1201.
- أحمد بن المختار المقرئ بجامع السوق الفوقي كان بقيد الحياة سنة 1214.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 832.

الطُوَيلبْ، أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 حيث انتخب عضو القيادة المركزية للثورة.
- قرية الثورة يوم 11 يناير 1915

وقد شارك في 38 معركة.

م. ابن عزوز، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طويـر الجنة، الطالب أحمد** المصطفى التشيتي الوادني الشنقيطي، أصله من أغمات (ناحية مراكش)، ذلك أن جده السابع قدم منها إلى شنقيط، وهو ما يفسر زيارته لرجال أغمات خلال رحلته الحجية مرورا بالمغرب. فقد توجه إلى الحج سابع جمادى الأولى عام 1245 / 1830، وتلاقى بمراكش السلطان عبد الرحمان ابن هشام الذي أكرم وفادته وأنزله بجامع الولي الصالح سيدي ميمون الصحراوي، وأوصى به خيرا قائده على العرائش محمد أشعاش ليركبه من هذا الثغر باتجاه الإسكندرية بعد أن تعذر الذهاب إلى الحج برا عبر الجزائر التي كانت قد دخلتها قبل فترة وجيزة القوات الفرنسية.

أبحر ابن طويّر الجنّة صوب المشرق في فاتح جمادى الثانية 1246 / 17 - 11 - 1830، وكانت السفينة التي أقلته ملكا لأحد تجار فاس المقيمين في مدينة Livourne الإيطالية، التي عرفت في المصادر المغربية بالگرنة، واضطر إلى المكوث بهذه المدينة أياما بفعل تطبيق الحجر الصحي "الكرنتينة" على الحجاج المسلمين كما جرت العادة بذلك، وهذا ما أزعج كثيرا هذا الحاج الصحراوي، الذي اعتبر الاحتراز الصحي اعتقادا فاسدا مناقضا لمعتقد أهل السنة.

توقف ابن طوير الجنة في الإسكندرية، ومصر (القاهرة) حيث زار عددا من أضرحة الأولياء والعلماء، ثم سافر من السويس إلى ينبع البحر في الحجاز ليبدأ بعد ذلك شعائر الحج، وبعد قضائها ركب البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى طرابلس الغرب، ولقي من علمائها قاضيها البنغازي، ومن هنالك توجه بحرا إلى تونس مارا بجزيرة جربة، وبقي ستة أشهر في تونس منتظرا مركبا يحمله إلى جبل طارق أو طنجة، وكان يود الرجوع إلى المغرب بحرا دون المرور عبر الجزائر، لكن حصل تحول مفاجئ في برنامج عودته جعله يدخل الجزائر، وقد اعتبر ابن طوير الجنة، وهو صوفي، هذا التحول من قبيل الكرامات. وبدخوله التراب الجزائري وقف على واقع تقلص أماكن العبادة نتيجة مباشرة للاحتلال

الفرنسي فكتب بأسى في رحلته المنى والمنة قائلا : "وضيّع النصارى جميع ما في الجزائر من المساجد والجوامع إلا جامع وزاوية الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي".

ركب ابن طوير الجنة رفقة عدد من الحجاج من بجاية على متن مركب حربي فرنسي أقله إلى جبل طارق بعد أن خضع للحجر الصحي مرة أخرى لمدة عشرة أيام، ويبدو أن الفرنسيين في الجزائر أدركوا قيمة هذا الحاج الشنقيطي وإمكانية توظيف تعاملهم الإيجابي معه في تقديم صورة مغايرة غير تلك التي رسمها واقع الاحتلال الاستعماري، فتعاملوا معه بكل الإجلال والحفاوة. وأركبوه الدرجة الممتازة من المركب (القامرة)، وقدموا له المؤن الكافية. وهذا التعامل الخاص مع الحاج ابن طوير الجنة، جعل بعض المعاصرين ينظرون إليه بعين الريبة، فقد شكا مجايله حمدان ابن عثمان خوجة الجزائري في كتابه *"المرآة"* المكتوب عام 1249 /1833 من إرغام السلطات الفرنسية للجزائريين على توفير الراحة لهذا الحاج ورفقائه في طريق أوبتهم من الحجاز إلى شنقيط، وربما حاول الفرنسيون الاستفادة منه باطلاعهم على بعض أخبار المغرب والصحراء لاسيما وأنه سبق وقابل السلطان ابن هشام.

وعند نزول أحمد بن طوير الجنة في جبل طارق، لم تكن حفاوة الانجليز به أقل من حفاوة الفرنسيين، والمرجح أن الاستقبال الحار من قبل حكام جبل طارق تم في إطار الدعاية ومعرفتهم بمكانته لدى عبد الرحمان ابن هشام، ولقائه بممثل فرنسا في الجزائر الدوق دي روفيگو. وتمثل حسن الاستقبال الانجليزي له في ضرب عشرين طلقة مدفعية، واستضافته ثلاثة أيام بكل مظاهر الأبهة، وحضوره التمارين والاستعراضات العسكرية. وعند مغادرته لجبل طارق أطلقت طلقات مدفعية بريطانية ردت عليها السفينة الفرنسية التي حملته إلى طنجة، وقد وجدت الحفاوة التي قبول بها من قبل الفرنسيين والإنجليز صداها في رحلة المنى والمنة، إذ سجل بشأنها "فوجدنا منهم من التبجيل والتكريم ما لا يحصيه إلا الله". وفي مرسى طنجة استقبله قائد مولاي عبد الرحمان ابن هشام محمد أو ميمون الكرواني، وقد غطت وقائع رجوع ابن طوير الجنة من الحج صحيفة Gibraltar Chronicle في عددها المؤرخ في 14 / 1 / 1833 ونعتته بـ"ملك شنقيط"، فقد وصل طنجة إذن منتصف يناير 1833.

وبعد ذلك قضى أسابيع في المغرب، فزار ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش، وتوجه إلى فاس حيث نزل في مقصورة القرويين، واشترى كتبا نفيسة ساعده على اقتنائها السلطان عبد الرحمان ابن هشام، الذي أدخله على زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به، ثم توجه إلى الصويرة، ومنها إلى شنقيط، وبذلك تكون رحلته الحجية استغرقت نحو خمسة أعوام ما بين 1245 ـ 1250 / 1829 ـ 1834. وقد سجل مشاهداته وانطباعاته ضمن مؤلفه رحلة المنى والمنة، التي حظيت ببعض الاهتمام خارج المغرب، إذ تم التعريف بها لأول مرة في *La Revue Africaine* مجلة الجمعية التاريخية الجزائرية، حيث قدم Destaing عرضا لأبرز محتوياتها في العدد الصادر سنة 1911، ثم كانت موضوع دراسة في انجلترة أنجزها Norris سنة 1977 تحت عنوان *The pilgrinage of Ahmed son of the Little Bird of Paradise*.

سجل ابن طوير الجنة في رحلته *"المنى والمنة"* الحفاوة التي قوبل بها من قبل الإنجليز والفرنسيين، لكنه أبدى الحسرة على ضعف دار الإسلام وتراجعها أمام القوى الأوربية، رابطا هذا التراجع باستيلاء الفرنسيين على الجزائر. وانفعل بوضعية مصر وطرابلس، رغم أنهما لم يخضعا بعد للاحتلال الأوربي، ومرد انفعاله إلى الكثافة العددية للأوربيين في هذين القطرين وحصول التمازج بينهم وبين المسلمين. وتقليد هؤلاء لهم في العادات والهندام، مما منحه الانطباع، وهو الوافد من بيئة صحراوية لا صلة لها بأوربا، بأن الغلبة أضحت للأوربيين. وعقد مقارنة بين وضعية المغرب ووضعية مصر وطرابلس بشأن العلاقة مع الأوربيين ليبرهن على ضعف الإسلام في المشرق ومحافظته على هيبته في المغرب استنادا إلى محدودية عدد الأوربيين (الكفار) في المغرب وحصرهم في مناطق معينة. غير أن نقمة ابن طوير الجنة على الأوربيين ونعتهم بالكفار لم تمنعه من الإطراء على ما يحملونه إلى المراسي المغربية من بضائع "...ففي كل حين تنزل سفن النصارى بكل خير في هذه المراسي". وهذا ما يبين نوعا من التنازع في موقفه بين السخط على الأوربيين بسبب ما يترتب عن الاختلاط بهم من سلبيات وبين الإقرار بفوائد العلاقات التجارية معهم.

من أبرز شيوخ ابن طوير الجنة، عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي الذي لازمه حوالي عشرين سنة، وأخذ عنه علومه جميعها. ومن مؤلفاته، فضلا عن الرحلة المذكورة، كتاب *"فيض المنان في الرد على مبتدعة الزمان"*، تعرض فيه لبعض حوادث وقته. وقد توفي سنة 1266 / 1849 ـ 1850.

أ. ابن طوير الجنة، *رحلة المنى والمنة*، مخطوط، الرباط، رقم 380 مكل، ونسخة مصورة ميكروفيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم 1534 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، الرباط، 1975 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط. 2، ج. 2، الدار البيضاء، 1965 ؛ ع. القادر زمامة، *تحليل لرحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة *البحث العلمي*، العدد 28 ؛ م. المنصور، *عرض رحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة *المناهل*، العدد 17، 1980 ؛ أبو القاسم سعد الله، *تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر*، 1983 ؛ الخليل النحوي، بلاد شنقيط *المنارة والرباط*، تونس، 1987 ؛ ع. أفا، *طنجة من خلال رحلة أحمد بن طوير الجنة الشنقيطي*، ضمن أعمال ندوة *طنجة في التاريخ المعاصر : 1800 ـ 1956*، الرباط، 1991.

La Revue Africaine, 1911, pp. 216 - 231 ; H.T. Norris, *The piligrinage of Ahmed son of the Little Brd of Paradise*, Warminster, England, 1977.

أحمد المكاوي

طير أبابيل، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء، وتكاد تكون دائمة الطيران. يشبه خطاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله ولكنه من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينه وبين خطاف الشعر وتسمى خطف وصيص في لبنان وأبابيل في الهند وخطاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وهوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أبابيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. يعد من أنفع الطيور لما يلتهمه في طيرانه من حشرات مضرة للإنسان ولاسيما البعوض.

يصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمائم عديمات القوائم Apodidae. لا يقف ولا يمشي على الأرض بتاتا ويستريح أحيانا على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليتا الشكل ومستدقتا الرأس تساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

تتكون فصيلة السمائم Apodidae من 65 نوعا في العالم منها 6 أنواع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية. خمسة منها تتوالد في المغرب :

- طير أبابيل الأسود يدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Vencejo comun وبالإيطالية Rando ويعد من السمائم الشائعة في المغرب، أسود المنقار قصيره، ريشه بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16 ـ 17 سم ويزن الكبار 30 ـ 50 كراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، يعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل وبين



صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض مرة في السنة 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطريها 16 x 25 ملم وتزن 3.2 ـ 4.2 كرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16 ـ 21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5 ـ 8 أسابيع ويقدم لهم الأبوان الأكل على شكل كرويات صغيرة تتكون من 200 ـ 300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوربا ويهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقضي الفصول الباردة.

- طير أبابيل الشاحب يدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondonne pallido. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهو نادر جدا في أوربا، أسود المنقار واسعه، ريشه بني أسود على الظهر والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثير الشبه بطير أبابيل الأسود ويصعب التمييز بينها، يبلغ طول الجسم 40 كرام، وتبلغ بسطة الجناحين 50 سم وتزن الكبار حوالي 16 سم. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض تحضنها 19 ـ 21 يوما. يقضي هذا النوع فصلي الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

- طير أبابيل الألب أو سمامة الصرود كما يسمى في الشرق العربي، يدعى علميا Apus melba وبالفرنسية Martinet alpin وبالإنجليزية Alpine Swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أكبر أنواع السمائم حجما حيث يبلغ طول الجسم 21 سم ويزن الكبار حوالي 80 كرام وبسطة الجناحين 60 سم. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وفي معظم أقطار حوض البحر المتوسط والشرق العربي. الريش بني أسود على الظهر والجناحين وأبيض شاحب على العنق والصدر والبطن. يهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.



- طير أبابيل فلسطين يدعى علميا Apus affinis وبالفرنسية Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift وHouse swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أصغر الأنواع حجما إذ لا يتعدى طول الجسم 12 سم ويتميز بذيل غير متشعب وببقعة كبيرة من الريش الأبيض على الردف. الريش بني شاحب إلى أسود

على الظهر والجناحين. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويشتو على السواحل الأطلسية المغربية والجنوبية.

- طير أبابيل أبيض الردف يدعى علميا Apus cafer وبالفرنسية Martinet de cafrerie وبالإنجليزية White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من طير أبابيل فلسطين ويختلف عنه في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة البيضاء على الردف. يبلغ طوله 14 سم ومنه مجموعة كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود له في أوربا والشرق العربي. يشتو في إفريقيا الجنوبية.

- طير أبابيل السهول يدعى علميا Apus unicolor وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift. أصغر من طير أبابيل الأسود وريشه بني داكن موحد على الجسم. يبلغ طوله 15 سم ومنه عدة مجموعات تشتو على السهول الساحلية الأطلسية. لا يتوالد في المغرب ولا وجود له في أوربا وفي الشرق العربي. يشتو أيضا على سواحل إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تحظى أنواع طير أبابيل بعطف واحترام من الانسان الذي يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها.

محمد رمضاني، خطاف الشعر، *معلمة المغرب*، الجزء 11 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Elsevier, 1977, 430 p.

طير البقر، كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وأبو بقر وأبو غنم في الشرق العربي والبيوضي وابن الماء في اللسان العربي، نوع من الطيور الشائعة في المغرب يسمى علميا Bubulcus ibis وبالفرنسية Héron garde bœuf وبالإنجليزية Cattle egret. قالت الخنساء في وصفه :

وإذا البيض ليمشين معا كبنات الماء في الماء الكدر

ريشه أبيض ناصع على سائر الجسد وتتميز الذكور بخصلة من الريش المذهب المصفر على الرأس والعنق تظهر خلال فترة التوالد. يختلف هذا الطائر عن البلشون بساقيه المحمرتين وبمنقاره المصفر. يبلغ طول بسطة الجناحين 90 سم وطول الجسم 48 ـ 52 سم. يألف الغابات الصنوبرية والأدغال والمزارع وضفاف الأنهار ويقترب من القرى والمدن، كما أنه يرافق قطيع البقر وغيرها من المواشي ويكثر في المزارع أثناء موسم الحرث ليأكل الديدان والحشرات والخراطين التي يخرجها المحراث والجرار من داخل التراب.

وهو طائر شائع في مختلف المناطق المغربية الشمالية والوسطى لا يصيده الإنسان ويفترسه العقبان والصقور. تم إحصاء أكثر من 20 ملجأ شتويا عبر التراب الوطني يتخذه هذا الطائر مبيتا له ومكانا للتوالد. يضم ملجأ جزيرة أبي رقراق آلاف الوحدات ويعد من أهم المجموعات المغربية إلى جانب ملجأ بوقنادل والصخيرات والمنصورية قرب المحمدية وبوسكورة ومكناس وإيموزار كندر وفاس وضاية أفوركاغ والراشدية وورزازات والعرائش ووجدة. يعيش في مجموعات كثيرة العدد ومعظم أفراده من القواطع يشتون في إفريقيا وآسيا الغربية. يتوالد في المغرب وفي مناطق حوض البحر المتوسط ونادر جدا في أوربا الجنوبية. تبيض الإناث بين فبراير ومارس وتُصنع الأعشاش متقاربة مع بعضها على أغصان الأشجار وتفرش بقطع الأعشاب. يتراوح عدد البيض بين 30 وطول قطرها الكبير 46 ملم، تدوم مدة الحضانة 21 ـ 25 يوما. تغادر الفراخ العش بعد 30 يوما. يتغذى من العناكب والحشرات والديدان يبحث عنها في المناطق الرطبة وفي الضايات وضفاف الأنهار والبحيرات والمزارع.

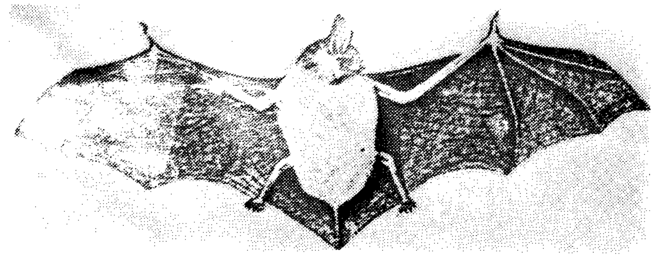
الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et P.E. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982..

طير الليل، كما ينطق به في شمال أفريقيا وفي الشرق العربي وسحاة الليل في بعض مناطق المغرب، حيوان من طائفة مجنحات الأيدي يمثل رتبة خاصة داخل مجموعة الثدييات، ومن أسمائه خفاش وخشاف وهي واردة في اللغة وشائعة في العراق وسوريا ووطواط في مصر والشام والسودان وسحا وسحاة الليل شائعة في شرق جزيرة العرب ويسمى أيضا في الشرق العربي أشرف وطمروق وطرموق. تسمى في المعاجم الوطاويط للكبيرة منها والخفافيش والأذاني والعماش للصغيرة منها وهي أجناس وأنواع يفوق عددها 900 في العالم وليس لها في الطيور في شيء من صفاتها وتكوينها.

طيور الليل ليلية النشاط شكلها كالفأر تماما، تتميز بقوائمها المتحولة إلى أجنحة حقيقية تطير بها في الأجواء وتلتجئ نهارا إلى سقوف الكهوف والمنازل المهجورة وفجوات

الصخور والأشجار وغيرها من الأماكن المظلمة لتنام وتستريح متعلقة ومتشبثة بمخالبها بكل ما تجده في السقوف ورأسها إلى أسفل. يتكون الجناح من جلد رقيق يربط الذراعين والقائمتين الخلفيتين إلى الطرف الأساسي أو النهائي من الذيل حسب الأنواع. تحتوي القائمتان الأماميتان على خمسة أصابع، أربعة منها طويلة جدا وملتحمة فيما بينها بغشاء مزدوج، الإبهام أو الأصبع الخامس قصير وحر منفصل عن الأصابع الأخرى وينتهي بمخلب يستعمل لإمساك حواشي الصخور والسقوف.



تلد الأنثى صغيرا واحدا كل سنة ونادرا صغيرين، ترضعه وتحنو عليه كما تفعل الثدييات، تثبته على القضبان أو السقوف وتعتني به حوالي 30 يوما ثم يتعلم الطيران بعد ذلك ليصير حرا يبحث عن الحشرات كما يفعل الآباء. يعمر سنة على الأكثر. تقضي معظم الأنواع فصل الشتاء25 بداخل الكهوف والمغارات وتكفّ عن الأكل مدة طويلة. منافعها كثيرة للإنسان بأكلها للحشرات المضرة للنباتات. أنواع الوطاويط المصاصة والنزافة تعيش في المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية بأمريكا ولا وجود لها في المغرب.

الخفاش قليل البصر وليس فاقده يكثر نشاطه ليلا فيغادر السقوف بعد غروب الشمس ليلقي بجسمه في الفراغ حتى إذا انتشر الجناحان استطاع أن يرتفع في الجو ويطير بسرعة كبيرة ليلتقط الحشرات الليلية وهي طائرة. ومن خصائصه استخدامه لموجات العودة أو الصدى، أي ما يسمى بالرادار، يتحسس به لتفادي العوائق التي تعترض طريقه ولتحديد مسافة الحواجز وتمييز الحشرات الطائرة التي تشكل قوته اليومي. فهو يحدث أصواتا ذات ذبذبات ترددية عالية تمتد أمامه ثم تنعكس على ما تنعكس عليه أصداء تتحسسها أذناه فترشده الطريق وتكشف له موقع الفريسة. تخرج هذه الأصوات على شكل نبضات متواصلة تأذن للصدى أن يرتد.

تنتمي الأنواع التي تعيش في المغرب إلى رتبة مجنحات الأيدي الصغيرة ميكروكيروبتيرا Microchiroptera تتميز بشعر ناعم وعينين صغيرتين وأذنين كبيرتين. تم جرد 26 نوعا في المغرب، ينتمون إلى 5 فصائل :

ـ فصيلة الخفاشيات Verspertilionidae وتضم 15 نوعا منها الخفاش الأسمر الصغير الشائع في مختلف المناطق المغربية ومناطق حوض البحر المتوسط. يسمى علميا Myotis blythi أو Myotis myotis وبالفرنسية Petit murin وبالإنجليزية Lesser mouse-eared bat وبالإسبانية Murcielago ratonero. شعره أسمر وفمه مخروطي الشكل، يبلغ طوله 6 ـ 8 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنان الأنواع كالتالي : 2 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 38 سنا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Myotis capaccinii ; Myotis mystacinus ; Myotis emarginatus ; Myotis nattereri ; Pipistrellus pipistrellus ; Pipistrellus kuhli ; Pipistrellus savii ; Pipistrellus rueppelli ; Nyctalus lasiopterus ; Eptesicus serotinus ; Otonycteris hemprichi ; Barbastella barbastellus ; Plecotus austriacus ; Miniopterus schreibersi.

يحتمل وجود أنواع من نفس الفصيلة ومن فصائل أخرى في المناطق الصحراوية المغربية التي تحتاج إلى استكشافات علمية ميدانية تتعلق بالتعريف والتوزيع الجغرافي لمجنحات الأيدي.

ـ فصيلة رينوبوماتيدي Rhinopomatidae وتتكون من نوعين يتميزان بمتك مستقيم تعلوه ورقة أنفية بدائية وبأذنين مثلثتي الشكل، صيغة أسنانهما كالتالي : 1 / 2 قوارض، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 28 سنا، يدعى الصغير منهما Rhinopoma microphyllum وبالفرنسية Petit Rhinopome ويسمى الكبير منهما Rhinopoma hardwickei وبالفرنسية Grand Rhinopome. يعيشان في مغاور الأطلس الصغير وفم الحسن وزاكورا وميدلت.

ـ فصيلة ورقيات المناخير العماشيات أو الطمروقيات وتتكون من سبعة أنواع تتميز بأذنين كبيرتين وعريضتين وبورقة منخرية معقدة جهتها السفلية شبيهة بحذوة الحصان يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان واسعان تغطيان الجسد بأكمله. صيغة الأسنان كالتالي : 1 / 2 قوارض، 1 / 1 أنياب، 2 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. من بين الأنواع الشائعة في المغرب عماش حذوة الحصان Rhinolophus ferrumequinus يدعى بالفرنسية Grand rhinolophe fer à cheval وبالإنجليزية Greater horseshoe وبالإسبانية Rinolofo grande herradura . يبلغ طوله 5 ـ 6 سم وطول ذيله 4 سم. يألف المغارات والخطارات وشائع في مختلف المناطق المغربية وفي شمال إفريقيا وأوربا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Rhinolophus hipposideros, Rhinolophus euryale, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus blasii, Hipposideros caffer, Asellia tridens.

ـ فصيلة نكتيريدي Nycteridae وتضم نوعا واحدا يدعى علميا Nycteris thebaica وبالفرنسية Nyctère de la thebaïde. يبلغ طوله 5 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 2 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. يعيش في مغاور وادي الشراط وسوس وماسة وأكادير ويعيش أيضا في أفريقيا وفي الجزيرة العربية.

ـ فصيلة مولوسيدي Molossidae وتتكون من نوع واحد يسمى علميا Tadarida teniotis وبالفرنسية Molosse de Cestoni وبالإنجليزية Free-taillet bat وبالإسبانية Murcielago rabudo.

مظهر وجهه شبيه بالكلب لكون أذنيه منثنيتين ومنحنيتين على جانبي الرأس. صيغة أسنانه كالتالي : 1 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 2 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. شائع في مختلف المغاوير المغربية ويتغذى من الحشرات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ الموسوعة الحديثة، *عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا ـ سويسرا، 1990.
S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

طيراس هانري (1895-1971)، مؤرخ فرنسي يدين له تاريخ المغرب، وبخاصة منه تاريخ فنون المعمار، بما لا يحصى من الأبحاث، وموظف من كبار موظفي سلك التعليم في عهد الحماية الفرنسية. ولد يوم 8 غشت 1895 في قرية فرينيي Vrigny بمقاطعة اللواري Loiret جنوب باريس. وما أن قطع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، فنزل إلى ساحة القتال وأدى الواجب الوطني. ولما وضعت الحرب أوزارها، اجتاز مباراة دخول مدرسة المعلمين الشهيرة في زنقة أولم Ulm بباريس، ،وذلك سنة 1919، وتخرج منها سنة 1920 حاملا لشهادة التبريز، ليلتحق بالمغرب وينخرط في سلك التعليم بالثانويات الفرنسية. لكن هانري طيراس لم يكن ممن يكتفي بتعليم الأطفال والمراهقين، إذ كان من طينة المشغوفين بالنبش والتنقيب والبحث عن السوابق واللواحق، سيما وقد جاءت به الأقدار إلى بلد كالمغرب كان الماضي فيه لايزال حاضرا والحاضر يوحي من ذات اليمين وذات الشمال بالماضي القريب والبعيد. وقد اعتنى طيراس من توه بتاريخ الفنون الإسلامية، وذلك في سياق ما كان للمقيم العام المارشال ليوطي من العناية بآثار المغرب في الإبداع الفني، وما كان من حرصه على إحيائها وصيانتها وإلزام أهل البلاد والدخلاء عليهم من الأجانب على رعايتها وتذوق جمالها. فما أن التحق هانري طيراس بمعهد الدراسات العليا الإسلامية حتى أسندت إليه سنة 1923 إدارة الدراسات الأركيولوجية والفنون الإسلامية. فاشتغل مع هانري باسي Henri Basset بدراسة المساجد والحصون الموحدية، ونشرت حصيلة أبحاثهما في مجلة هسبريس، وهي يومئذ في طور النشأة الأولى. ثم إنه اتصل بجورج مارسي Georges Marçais، الذي كان قطب البحث التاريخي في حضارة الإسلام الغربي وفي تاريخ فنونه، والأستاذ الذائع الصيت في كلية الآداب في الجزائر المحتلة. وبإشرافه أعد هانري طيراس أطروحته لنيل درجة الدكتورة في موضوع الفن الإسباني الموركسي من الأصول إلى القرن الثالث عشر الميلادي وناقشها سنة 1933. مما أهله ليصبح رئيس مصلحة الآثار التاريخية، وهي وظيفة ظل يمارسها إلى أن غادر المغرب بصفة نهائية سنة 1957. وكان له الفضل في نفض الغبار عن كثير من بدائع الإرث المعماري المغربي. وقد عيّن سنة 1941 مديرا لمعهد الدراسات العليا الإسلامية الذي كان بمثابة نواة جامعية شبه متكاملة. وفي سنة 1945 خلف جورج مارسي على كرسي الأركيولوجيا الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر العاصمة، بحيث كان في تلك الحقبة من حياته يدرس في الجزائر ويدرس في الرباط، ويشرف على إدارة معهد الدراسات الإسلامية العليا وعلى مفتشية الآثار التاريخية في المغرب. وذاع صيته وتجاوز الأوساط الجامعية ليمتد إلى عموم من يقرأ باللغة الفرنسية بعد صدور كتابه الجامع عن تاريخ المغرب في مجلدين سنة 1949 . فصار قطب البحث التاريخي في المغرب في السنوات الأخيرة من الحماية. واعترف له بذلك داخل المغرب وفرنسا وخارجهما، بدليل ما نال من ألقاب التشريف والتكليف العلمي، إذ كان عضوا مراسلا لأكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا منذ 1933. كما صار عضوا مراسلا لأكاديمية التاريخ الإسبانية. وانتخب عضوا في معهد الفنون الأدبية الفرنسي سنة 1953، ونال درجة الدكتورة الشرفية من جامعة أكسفورد الإنجليزية سنة 1954. كما خوّل العديد من الأوسمة الفخرية والنياشين التكريمية، ومنها الوسام العلوي من درجة ضابط كبير.

ولقد غادر هانري طيراس المغرب بصفة نهائية سنة 1957 ، دون أن يبتعد عنه لا في المجال ولا في العمل، إذ أسندت إليه إدارة "دار فيلاسكيث"، المعهد الفرنسي في مدريد الذي يأوي إليه كل من يشتغل من الباحثين الفرنسيين بمكونات الحضارة الإسبانية. وكانت تلك هي آخر مهمة قام بها قبل أن يحال على المعاش سنة 1965، ويعود إلى فرنسا حيث وافاه الأجل المحتوم يوم 11 أكتوبر سنة 1971، مأسوفا عليه من قبل كل من له إلمام بما بذله من الجهد والمثابرة من أجل التأسيس لدراسة الفنون المغربية في تجلياتها بين العدوتين. ويمكن اعتبار هانري طيراس من بناة الحماية الفرنسية في المغرب. ولذلك لم يكن مبرءا من كل نزعة استعمارية، فلم يتقبل، بما كان ينبغي لعالم في مستواه من سعة الصدر، الحركة الوطنية المغربية وحاجة المغاربة إلى استرجاع سيادتهم للزحف خطوة أخرى على درب النهضة والرقي. فامتنع عن

زيارة المغرب بعد هجرته منه. ولكن المغرب، لا يمكن أن ينسى ما أسداه له هذا العالم من الخدمات للتعريف بعبقرية أبنائه ومواهبهم في الإبداع الفني عبر العصور.

Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée. n° 12, 2ème semestre, 1972.

إبراهيم بوطالب

الطيطوي (طائر -)، كما في المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية وفي الشرق العربي، جنس طيور من القواطع موطنه الأصل أوربا وآسيا الغربية ؛ يألف المستنقعات والبحيرات الشاطئية والقارية ومجاري المياه ومصبات الأنهار. يصنف إلى فصيلة دجاجيات الأرض الكركيات Scolopacidae طوال الساق والمناقير، يقتات من الديدان والرخويات والحشرات والقواقع بداخل البحيرات. الريش رمادي بني داكن على الظهر والجناحين وأشقر فاتح على الصدر والبطن. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة عليه خطوط بيضاء وبنية داكنة.

منه 8 أنواع تتوارد كل سنة على مختلف المناطق الرطبة والشاطئة المغربية لتقضي فيها فصلي الشتاء والخريف ثم تعود إلى أوربا الوسطى والشمالية لتتوالد.

• الطيطوي الشائع أو زمار الرمل كما هو في الشرق العربي Tringa hypoleucos يدعى بالفرنسية Chevalier guignette وبالإنجليزية Common sandpiper وبالإسبانية Andarrios chico وبالإيطالية Piro-piro piccolo. طول الجسم 19 سم ويزن الكبار حوالي 70 غراما. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويألف البحيرات الشاطئية والقارية، يقتات من العناكب والحشرات والصدفيات والقواقع. يتوالد في أوربا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية بين أبريل ويونيو وينصب العش على ضفاف الأنهار. تبيض الإناث 3 - 4 بيضات رمادية مخضرة شاحبة منقطة بالأسود، يبلغ طول قطرها الكبير 36,4 ملم وقطرها الصغير 26,3 ملم. يحضن البيض بالتناوب بين الزوجين حوالي 3 أسابيع وتبقى الصغار أسبوعين بداخل العش. يشتو هذا الطائر في إفريقيا الشمالية وشواطئ البحر المتوسط. منه مجموعات تقدر بآلاف الأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتستقر في مختلف المناطق الرطبة الساحلية والقارية منذ أكتوبر إلى مارس من كل سنة. يكثر عدده بالأخص في بحيرة مولاي بوسلهام والوالدية والناظور. وقد شوهد طائر من هذا النوع في ضواحي سيدي إفني يحمل خاتما وضع على ساقه في إكوسيا وآخر في بني ملال وضع على ساقيه خاتم في السويد.

• طيطوي مقتال Phylomachus pugnas يسمى حجوالة في بحيرة مولاي بوسلهام ويدعى بالفرنسية Chevalier combattant وبالإنجليزية Ruff وبالإسبانية Combatiente وبالإيطالية Combattente. الريش رمادي أسمر فاتح على الظهر والجناحين. طول الجسم 29 سم عند الذكور و23 سم عند الإناث وتزن الكبار 90 غراما. شائع في مختلف المناطق الرطبة المغربية خلال فصل الشتاء وبداية فصل الربيع. يضع عشه بين أعشاب ضفاف المستنقعات والبحيرات وتلد الإناث 4 بيضات زيتونية شاحبة منقطة بالبني الداكن، يبلغ طول قطرها الكبير 44 ملم وقطرها الصغير 31 ملم. تدوم مدة الحضانة 3 أسابيع وتغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتقوم الأم بحراستها وبتغذيتها من الحشرات.

• طيطوي أحمر الساقين Tringa totanus يدعى بالفرنسية Chevalier gambette وبالإنجليزية Redshank وبالإسبانية Archibebe comun وبالإيطالية Pettegelo. الريش رمادي فضي فاتح. أحمر الساقين وأسمر المنقار، يبلغ طول الجسم 28 سم شائع في مختلف المناطق الرطبة الساحلية المغربية خلال فصل الشتاء والربيع. يكثر عدده في مصب نهر سوس وسبو وملوية والبحيرات الساحلية كالناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى.

• طيطوي أخضر الساقين Tringa nebularia يسمى بالفرنسية Chevalier aboyeur ويبلغ طول الجسم 30 سم، المنقار مسود ومعوج قليلا، شائع على السواحل المتوسطية والأطلنطية وفي البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار والسدود المغربية.

• طيطوي البطائح أو طيطوي الغياض في مصر يسمى علميا Tringa stagnatilis وبالفرنسية Chevalier stagnatile، يألف البحيرات ومصبات الأنهار. نادر في المغرب، منه مجموعات صغيرة تعيش في مصب نهر ملوية وماسة خلال فصلي الشتاء والربيع.

• طيطوي الغابات يسمى علميا Tringa glareola وبالفرنسية Chevalier sylvain، أخضر الساقين وأسود المنقار، يتوالد في المستنقعات المحاطة بالأشجار وفي الغابات، منه مجموعات متعددة تعيش في بحيرات الأطلس المتوسط ونهر تانسيفت ونفيس وسوس ماسة ومولاي بوسلهام والوالدية وسيدي موسى وبحيرة الناظور ومصب نهر ملوية.

• طيطوي مزاح يسمى علميا Tringa erythropus وبالفرنسية Chevalier arlequin، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 30 سم، شائع في مختلف المناطق الرطبة القارية والساحلية ويكثر عدده في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وخنفيس والداخلة وضاية الرومي وضاية عوا.

• طيطوي أبيض الذيل Tringa ochropus يسمى بالفرنسية Chevalier cul-blanc، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 22 سم، يكثر عدده بين شتنبر ومارس في كل البحيرات القارية والساحلية وخاصة منها بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وضاية سيدي علي وأكلمان لعيزيزة وضاية عوا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977 ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982.

محمد رمضاني

الطيفور، أسرة سوسية من الأسر التي تمرست على مشيخة قبيلة العوينة، إلى الجنوب من مدينة تيزنيت. يرجع أصل موطنها إلى قبيلة إيسي بالأطلس الصغير الأوسط، وبالتحديد من قرية أنسيس. ومازال مشهد أحد أجدادها (موسى بن سيار) يزار لها.

نجهل بالتحديد تاريخ استقرار الأسرة بالعوينة، وإن كانت الروايات ترجع فترة قبيل مقتل المتمرد أبي حلايس الذي احتمى بفخذ "أيت بنوح" من نفس القرية. وكان لأسرة آل الطيفور ذكر في سياق الأحداث التي شهدتها العوينة آنذاك. ويبدو أن نفوذ الأسرة الكبيرة داخل فخذ "أيت تلمشت"، أهل بعض أفرادها لتقلد مسؤوليات داخل مجلس "اينفلاس" قبيلة العوينة. وفي هذا الصدد أبان الشيخ إبراهيم بن داوود الطيفور، خلال النصف الثاني من القرن(19)، عن مؤهلات في تدبير شأن القرية، من قبيل الصرامة في تطبيق القوانين العرفية، وتمتين العلاقات بأعيان تيزنيت وأكلو على السواء.

الطيفور، العربي بن **إبراهيم** من كبار رجالات الأسرة، ذاع صيته واشتهر أمره بعد وفاة والده. تزامنت فترة مشيخته مع التحول الذي طال بلده تيزنيت، التي ارتقت إلى مركز مخزني عقب تسويرها من طرف الحسن الأول 1882، وتعيين خليفة مخزني قاربها. ويبدو أن هذا الأمر أثار حفيظة الشيخ العربي الطيفور، الذي لم يكن إلى جانب أعيان العوينة، مستعداً أو مهيأً لتقبل الاطار السياسي والاقتصادي الجديد الذي يمكن أن تدشنه الأجهزة المخزنية بتيزنيت. لأن ذلك سيكون إيذاناً بتقلص وتدني سلطات مجلس الأعيان (إينفلاس) في إطار نظام العرف، لصالح قياد تيزنيت. وقد انحاش محمد بن الحسين الإيليغي إلى جانب الشيخ العربي الطيفور، محاولاً التأثير على القرارات المخزنية من خلال التأكيد على مسألة الحسم في "قيادة" العوينة. بحيث لا تخلو رسائله إلى السلطان من مطالبة هذا الأخير بتعيين الشيخ العربي قائداً على إخوانه أهل العوينة، أو التدخل لتطويق الموقف الذي آل إلى صراع مكشوف بين تيزنيت وأكلو. بل صاحب المترجم إلى مراكش سنة 1307 / 89 ـ 1890 لمقابلة السلطان، كمحاولة لإقناع المخزن بموقف أهل العوينة المؤيد لتعيين الشيخ العربي الطيفور قائداً قريتهم. إلا أن التزنيتيين كانوا يعارضون هذه الفكرة، يقيناً منهم بأن ذلك يعتبر إيذاناً بتوغل نفوذ إيليغ بالمنطقة، وبالتالي ترجيح كفة حلف "تاگوزولت" المعارض. ويظهر في سياق الأحداث أن السلطان قابل اقتراحات زعيم إيليغ بنوع من المماطلة، وحسم الأمر لصاع قائد تيزنيت.

ومهما يكن فإن الشيخ العربي الطيفور، استطاع أن ينشر نفوذ العوينة بعيداً عنها، إذ كانت بعض قرى أيت براهيم تدين له بالولاء، قبل أن يسقط قتيلا في إحدى المواجهات بقرية "أگادير أو فلا" سنة 1308 / 90 ـ 1891.

الطيفور، موسى بن **إبراهيم** من أبرز شخصيات أزغار تيزنيت على الإطلاق خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولد في حدود 1308 / 1890. أبان منذ صغره عن استعداد كبير ومهارة نادرة لتحمل المسؤولية من خلال ملازمة ومصاحبة والده في ترحاله، ومشاركته في مهامه. كما ظهر ولوعه المبكر بالفروسية.

والظاهر أنه كان ما يزال في طور الفتوة عندما اغتيل والده من قبيلة أگلو، وتوالت بذلك الشدائد على العائلة، مما أجبرها على النزوح إلى قبيلة أيت باعمران. وكان خروجها بتواطؤ مع بعض الرؤساء المنافسين والمدعمين من قائد أگلو آنذاك، وخاصة من عائلة إدعلي بن براهيم التمنارتي بقرية "أيت بنوح".

لكن سرعان ماعادت الأسرة إلى العوينة، وكان لها اتصال مبكر بالفعاليات المخزنية بتيزنيت ومراكش. وعندما حل القائد الطيب الكنتافي بسوس 1917، بادر دون تردد، لأسباب نجهلها، إلى استقدام المترجم إلى مقر القيادة بتيزنيت، وأسند إليه مشيخة العوينة، بعد إزاحة الشيخ مسعود بن محمد التمنارتي، وكان ذلك إيذاناً برجوع عائلة آل الطيفور إلى دفة التسيير. ورغم صغر سنه، فقد كان في مستوى تحمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه، واستطاع باستقامته وذكائه وتدبيره المحكم، أن يفوز بثقة رؤسائه بتيزنيت.

ومما يسجل له، دوره الفعال والحاسم في سياق مجموعة من الأحداث التي ميزت أزغار تيزنيت وأحوازه على عهد الحماية :

ـ فمن علو شأنه، مشاركته في المفاوضات التي كانت تتم آنذاك بين قادة المقاومة والجهاد بالأطلس الصغير تحت قيادة الأخوين أحمد الهيبة ومربيه ربه، والقائد المدني الاخصاصي من جهة، ومن جهة أخرى سلطات الحماية، لترتيب استسلام القبائل الجبلية.

ـ كما ارتبط اسمه بما يعرف بـ"طائرة مير اللفت"، فبفضل حنكته وفطنته، استطاع أن ينتقل إلى مير اللفت، وتمكن من تسريح ربابنة الطائرة الفرنسية التي أجبرت على النزول بالمنطقة لعطب تقني أصابها، ونقلهم بأمان إلى مقر القيادة العسكرية بتيزنيت.

ـ عادة ما يتم الركون إلى خدماته في التوسط بين مركز

القرار بتيزنيت وقادة الجهاد بالأطلس الصغير. وأسندت إليه مهام خطيرة في هذا الشأن. وعادة ما تكلّل جهوده بالنجاح. وكان ميالاً إلى السلم، وله من الحنكة ما يبهر حتى خصومه، فصارت كل مهمة أو تفاوض صعب يقترن دائماً باسمه.

وفي سياق هذه الأدوار يقوم بتوثيق الاتصالات بالزعماء ذوي النفوذ بالمنطقة، وغالباً ما يبادر بشكل انفرادي إلى دعوة البعض منهم إلى العوينة للتشاور. لهذا عرف بكثرة مخالطة الناس، ولا تخلو داره من الزوار والعابرين، ومن شدة ذكائه وسعة تجربته أن كان في سياسته تجاه الفرنسيين أقل حماساً، وكان يخفي عليهم الكثير من الأمور في استشارتهم المعتادة له.

من جانب آخر، وصف الشيخ موسى الطيفور بقوة الذاكرة، وكان مرجعاً ثقة في استحضار الوقائع والأحداث التي ميزت تاريخ سوس منذ بداية القرن العشرين. وله قدم راسخة في معرفة القوانين العرفية المعمول بها داخل القبائل السوسية. امتلك قلوب معاصريه بخصاله المتسمة بالشجاعة والكرم، واعتبر من أكبر المحسنين إلى أرباب العلم والتصوف من فقهاء وطلبة وفقراء من جميع الطرق. وفي مدحه قال الشاعر / المغني الحاج بلعيد :

ءاشيخ موسى بن طايفور ءي بدرك لفيعلنك
ليغ تلا تاساست دلهول گر لفيايلا
كرامو ءيگا ءاسمون ءورسول ءيكصض ءيجنجمتن
تلا لكلما ولا القول ءاريكا ءايدانس

ونظراً لخدماته ولمواقفه الوطنية، أنعم عليه محمد الخامس بظهير الامتياز بتاريخ 15 رجب 1349 / 6 دجنبر 1930، كما وشحه بوسام علوي في 27 رمضان 1365 / 25 غشت 1946.

توفي الشيخ موسي الطيفور سنة 1411 / 1990. هكذا انتهت حياة شخصية فذة، ذات وزن كبير بين أعيان قبائل سوس، استطاعت لمدة تنيف عن مائة سنة أن تؤسس حولها نوعاً من الهالة والاحترام، حتى عُدت وجهاً مشرفاً ورمزاً للشهامة والأخلاق النبيلة.

عرف قبائل أيت تيزنيت ؛ رسائل سلطانية ؛ وثائق دار إيليغ ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4.

P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al-Aqsa..., 1821 - 1894*, p. 186.

أحمد بومزگو

طيكشيرا، الفارو ذي Texeira, Alvaro de نبيل برتغالي منحه الملك البرتغالي الفونصو الخامس Alfonso V بمرسوم أصدره يوم 7 مارس 1476 حق امتلاك ناحية تطوان من أجل أن يعمل على تعميرها وترميم المدينة الذي كان قد سبق لبرتغالي سبتة أن حطموها في سنة 1437 ؛ وسبب ذلك أن العاهل البرتغالي علم بمشروع الأمير الشفشاوني مولاي علي ابن راشد الرامي إلى إعادة بناء تطوان ؛ غير أن المرسوم البرتغالي ظل حبراً على ورق في حين تمكن الأمير الراشدي من تحقيق مشروعه سنة 888 / 1483.

David Lopes, *Historia de Arzila*, Coimbra 1924.

محمد ابن عزوز حكيم

الطين في أرض المغرب، تعتبر القشرة الأرضية، على مدى سمكها، جهازاً هائلاً لتدوير ورسكلة المادة المعدنية التي يتكون منها الكوكب الأرضي. وتتدخل الأطيان في أحرج منعطف من دورة المواد المعدنية.

تقوم الصهائر النارية، انطلاقا من جوف الأرض، بتزويد الغلاف الصخري من تحته، وخاصة من خلال نطاقات الفتق والتنامي التي تشقه في عمق البحار والمحيطات النازعة إلى التوسع، فينشأ تنوع بديع من الصخور الأندساسية والاختراقية البركانية.

وتتعرض هذه الصخور، بعد ذلك، للتفسخ متى برزت على السطح، تحت تأثير الغلاف المائي والجوي والأحيائي، فتعزل العناصر الذووبة وترسبها في شكل أكلاس وأملاح وغيرها، ويختلف عن عمليات التفسخ كمّ غزير من المواد الفتاتية منها الرمل والطمي، مع تميز خاص وريادة أكيدة لرصيد وفير من الأطيان.

وهكذا يبدو سطح الأرض، الذي يسمى كذلك نطاق التعرية والتفسخ، على هيئة مجال فسيح للتوزيع والتشتيت الشديدين لكل ما اجتمع في صهائر الأغوار الأرضية بعد أن يكون قد تشكل حسب أنماط متعددة في الصخور المتبردة عن الصهير.

ومن ضمن شتات هذا التقسيط السطحي المبسط للمعادن والبنيات، يحتفظ الطين وحده، وخلافا لكل ما عداه، بسر كل الخلق المعدني قاطبة، لكن في صيغة مختزلة، ضعيفة التبلر، تكاد تكون مرموزة، لكنها مكتملة التكوين من الوجهة الكيماوية. فعلى غرار الغلاف الصخري بالذات، الذي تغلب فيه مواد السليس والألومين، نجد الأطيان مهيكلة في مجملها على صيغة سليكات الألومين، وحسب بنيات متنوعة تعطي للطين تعقيدا لا يحل ألغازه المحسوسة إلا التحليل الإلكتروني (Brindley et al., 1980).

ومن البديع أن نتبين أن بنيات الطين تبدو، من جهة أخرى، كما لو كانت مهيأة لوظيفة بعينها، هي ولا شك أغلى ما يوجد على سطح الأرض، ألا وهي استقبال الحياة. إذ أنها، بعيدا عن ضغوط وحرارة الأعماق، قد جاءت هشة منفذة، تسمح بارتكاز جذور النبات وتسرب مقادير متفاوتة من المياه، نشيطة، توظف العناصر الكيماوية الضرورية للحياة، فتخزنها ثم تسلمها للنبات بقدر الاحتياج إليها. ثم بعد أن تكون قد وفرت الرحم الأولى للحياة لمدة من الزمان، تتوارى تحت توافد رواسب من فوقها، فتعتصر وتغور، بفعل البنائية، وتتحول تدريجيا إلى صخور صلبة متبلورة ثم تعود إلى كنف الصهائر من جديد. ويكون هذا الرجوع إلى حمأة الأعماق من خلال نطاقات الرتق غالبا، أي من تصادم الصفائح الذي يوافق غطس الهامش الأكثر كثافة من القشرة تحت السلاسل الجبلية الحديثة والدائبة النمو.

ودورة من هذا القبيل قد تستغرق أدواراً بأكملها من التاريخ الجيولوجي، متعاقبة على الإيقاع السرمدي للكون. والسر في دوامها جامعة مانعة، تسمح ببقاء الأرض على نفس حجمها وكمال مركباتها بدون زيادة ولا نقصان، يكمن في أن المادة التي تصل إلى السطح وتتشتت في كل الآفاق، وتستطيع، بعد أمد وجودها على هذه الحال، أن تلتئم من جديد، مؤسسة من التلاشي التفسخي ـ الرسوبي نفس صخور الأصل بالتمام والكمال. وحلقة الربط الحرجة بين أوصال الدورة الخالدة هي الطين بالذات. فالطين هو الذاكرة التي تحتفظ بالبنيات العدانية راسخة فيه، وبالعناصر الكيماوية وجزيئات الماء مشدودة بمشحونها الكهربي، تتبادلها داخل التربة مع جذور النبات من خلال الهيئة الوظيفية التي تتقمصها والمدعوة بالمركب الماص، الموزع الرئيسي لأدوار الحياة ضمن التربة. ومتى ابتعد عن الغلاف الجوي وعناصر الحياة على السطح، احتكم إلى قوى الضغط والحرارة التي تصمته وتورقه ثم تولد منه البلورات المعدنية تدريجيا على مدى التعمق، من حوالي 200 درجة إلى ما يناهز 800 درجة، قبل تمام الانصهار.

وتعقيد التطورات يجعل الطين يتوزع على سجلات تصنيفية متنوعة.

فهو، في أول عهده بما يشبه إتلاف الصخور على السطح، يدخل في عداد قطاعات التفسخ. ثم لما يتطور قطاع التفسخ وتنتظم بنيته، مع تدخل فعال للمادة العضوية المتدبلة فيه، يصير تربة متفاوتة التوازن. أما عندما يُطمَر بالتراكم فإنه يصبح من الصخور الرسوبية، مهيّئاً البدايات الأولى لمسلسل الصخور المتحولة حسب ممال تطوري ينتهي طبيعيا إلى بؤر الصهير.

أما التعاريف التحديدية للطين فهي نوعان نسيجية وعدانية.

يعتبر طيناً، على القياس النسيجي الفضفاض، كل مادة فتاتية دقيقة لا يزيد حجم الحبات المفردة منها على 2 ميكرومتر (1000 : 2 مم)، الأمر الذي يجعلها محكمة الشحن الكهربي، تتميز بالخاصية الدبقية التي تقضي بتجاذب الحبات وتكوين المجمعات الترابية. وهو مادة معدنية بالأساس، لها بناؤها البلور ـ كيماوي الخاص بها. لكن يحق لنا، من مدخل التعريف النسيجي، اعتبار كل الفُتات الدقيق، من الحجم المذكور، طيناً، أياً كانت طبيعته، بما في ذلك الدُقاق العضوي، من قبيل الدُبال، الذي يختلط عادة مع أطيان التربة في بوتقة المركب الماص. هذا الأمر هو الذي يفسر مثلا الامتياز الذي يتفرد به السماد الطبيعي عن كل الأسمدة الاصطناعية، المسماة بالكيماوية. إذ أن النفايات العضوية، المستعملة تقليديا في تسميد الأرض، هي في آن واحد أداة تخصيب كيماوي طبيعي ومادة دبقية، مثل سائر الأطيان، تسهم في مجانسة التربة وتقوية مركبها الماص وتحسين توازنها.

لكن الطين في مفهومه العداني هو المرجع التعريفي القويم، إذ يستحق وحده تسمية الطين الحقيقي. ويقتضي تعريفه، مع توفر الشرط النسيجي دائما، أن يكون سليكات ألومين، حسب بنيات منفتحة تقبل ضمنها الكاتيونات وجزيئات الماء.

وتتوزع الأطيان الحقيقية إلى عائلات وأنواع وضروب، يكون الفصل فيها أساسا بحسب كميات السليس، التي نعرف قوامها من التحليل الكيماوي، وهي شديدة التفاوت، منسوبة إلى كميات الألومين التي تعتبر العنصر الأثبت في الصيغة الكيماوية على الإطلاق. ويكتمل التمييز حسب الهندسة البلورية وتدخل عناصر كيماوية أخرى يمكن أن تصير هي الأغلب في حالات قليلة، كما هو الشأن مع عنصر المغنزيوم.

لذا فإن الأطيان مادة ترابية بامتياز، تتوقف عليها المفاهيم الإجمالية للخصوبة والتوازن، وذلك حسب وضعها من حيث الكمّ والنوع. وقد تمثل الأطيان ثروة منجمية بالنظر إلى استعمالاتها حسب خصوصياتها الآلية والكيماوية، وقد تصل إلى المادة النفيسة نسبيا في حال توافر الكاولنيت الخالص الذي يستعمل في إنتاج الخزف الصينية الرفيعة.

وتستعمل الأطيان، التي تنتجها الأرض المغربية، في جل هذه الأغراض، كمادة أولى للزراعة والصناعة والبناء.

وتتوفر مادة الطين بالمغرب في العديد من الطبقات الرسوبية، التي يمكن حصرها على العموم في قسم التاريخ الجيولوجي الذي يبقى في حدود المائتي مليون سنة الأخيرة من السلم. وقاعدة التمييز هي إغفال المستويات التي عرفت التحولات التي أفقدت الطين خاصياته، بإقصاء الأقسام المنتمية لما قبل الكمبري، وكل الحقب الأول إجمالاً. وقد يختفي الطين من مستويات متأخرة لأنها عرفت ضغوطا بنائية هائلة، كما هو الشأن مع الكتل الجبلية للريف الأوسط، حيث أحالت البنائية الآلبية مواد النظام الكريتاسي الأدنى، ذات الأصل الطيني، إلى تراكمات عظيمة من الفليش ومن الشيست الشديد التورق والدكنة المدعو محليا بالفريش.

على العموم، يختفي الطين من الكتل القديمة، حيث عملت البنيات التحويلية على إحالة الصخور الرسوبية الفتاتية إلى حث وكوارتزيت وشيست. وغالب المستويات الطينية الممكن مصادفتها مع ذلك تحت هذه الظروف ناتجة عن تفسخ متأخر أعاد الشيست إلى طبيعته السالفة.

أما المرجعية التنقيبية التي يمكن الاستئناس بها في تحصيل أهم مكامن الطين فهي الأدوار المنتسبة للترياس والجوراسي الأعلى ثم الكريتاسي والميوسين وأخيرا طبقاتية البليوسين والرباعي الواسعة الانتشار.

ـ يُنتج الترياس، خاصة في أدواره العليا، مقادير كبيرة من الطين، واضحة المعالم بألوانها الحمراء، وانتشارها الملحوظ على هوامش الأطلسين المتوسط والكبير، من تحت

الظلفاء الكاربوناتية اللياسية الضخمة، وبمستوى خط أهم العيون التي تغذي مجاري تحويل المياه من الجبال إلى السهول الزراعية. كما أنه راشم أكيد لأغنى مناجم الملح بمختلف أصنافه. وقد يكون في جيوب واسعة ضمن السهول والهضاب كما هو الشأن قريبا من بوفكران والخميسات والمحمدية.

- في إقليم وجدة، تتميز الأدوار البحرية المنتمية للجوراسي الأعلى بوضع خاص لا نرى له شبيها في بيئات الترسب في الأطلسين إلا في أقصى الأطلس الكبير الغربي، في النهاية المعاكسة للمحور الجبلي. وهي سميكة متنوعة السحنات تغلب فيها الأكلاس والطين. ومن ثوابت استغلالها إمكانية إقامة معامل الإسمنت الاصطناعي. وذلك بسبب توقف إنتاج الإسمنت على احتياطي كبير جدا لمقالع الكلس والطين، يؤمّن المواد الضرورية من جير وسليس وألومين، بعيدا عن الكاربوناتات المغنيزية السائدة في جل الجوراسي الأطلسي، والتي لا تتلاءم مع هذا النوع من الصناعة. لذا نجد إمكانات التصنيع من هذا القبيل متمركزة بصفة تفضيلية على طرفي الأطلسين (وجدة وأگادير)، وفي الأحواض النيوجينية (الدار البيضاء وتمارة) على سبيل المثال لا الحصر.

- طبقاتية الكريتاسي غنية كذلك بالمستويات الطينية. جزؤها السفلي في جل الجهات الداخلية قاري الترسيب، أحمر، غني بالأملاح، يشبه الترياس الأعلى إلى حد بعيد باستثناء النشر العام للبزالت، العميق المنشأ، الملازم للترياس. أما الجزء الأعلى فيعرف تداخلا وثيقا لمستويات الكلس والطين، وينتهي على مكامن الفوسفات.

لكن في حوض آسفي - أگادير، يكشف كل الكريتاسي على النزعة البحرية، وتُستعمل مواده كذلك في صناعة الخزف.

- من السهل تتبع أهم مواقع ترسب الميوسين الأعلى والبليوسين الأسفل من فوقه ومعيار الضبط هو أن الأخدود الجيولوجي الضخم الرابط طوليا بين محيط الرباط ومنطقة الغرب من جهة ومنطقة وجدة من جهة أخرى، عبر مكناس وفاس، كان حينئذ هو المضيق الفاصل بين أوربا وإفريقيا. وقد عبأه البحر بالصلصال الرمادي والأزرق المعبر عن الفترة. ورغم غناه بالمعادن الطينية النفوخة غير المناسبة لصناعة الخزف، فإن حذق الصانع يفسر تقاليد الإنتاج وبراعته على طول المحور.

عند هذا المستوى، يمكن أن نعتبر أن تحولاً من نوع خاص قد حصل في تطور أطيان المغرب.

ففي سياق تشييد الجبال القديمة وإلى حدود الكتل الكاليدونية والهرسينية، هناك تضييق واضح للبنيات التحولية على الصخور الطينية التي استحالت إلى سلسلات متورقة أو إلى سحنات حبيبية التبلر، ذات بنيات شريطية تذكر بأصولها الرسوبية الطينية. وقد استمر الوضع ليشمل كتلة القمم الوسطى من جبال الريف الآلبية.

أما خلال المراحل اللاحقة، وإلى حدود البليوسين الأسفل، فإن جل الرواسب الطينية وافقت الأحواض البحرية فجاءت معادنها بعيدة عن أي دلالة مناخية مباشرة. إذ خلال جل الحقب الثاني، غلب الهدوء البنائي، وعمت الغمور البحرية، خاصة في غضون الجوراسي الأسفل والكريتاسي الأوسط.

وفي ظل مراحل البنائية الأطلسية الثلاثية وتراجع البحار عن الجهة، فباستثناء الأخذوذ جنوبي الريف وبعض المجالات المجاورة للسواحل، تكاثرت في البقاع المنكشفة توضعات قارية خشنة ليست بها أطيان تذكر.

لكن ابتداء من مطلع البليوسين الأوسط، أي من حوالي أربعة ملايين من السنين، جاءت جل الأطيان قارية وبالتالي فهي النتاج المباشر للوضع البيومناخي الدقيق لكل المراحل الجيومرفلوجية المتعاقبة على البلاد إلى الآن. ومادامت البنيات العدانية الطينية هي الأشد تعقيدا والأكثر حساسية بكل عوامل التفسخ وبالتالي بتتابع الأوضاع النطاقية، فإنها يمكن بحق أن تعتبر "العلبة السوداء" المسجلة للتاريخ الطبيعي للبلاد، تحدد الإطار البيئي وتفسر وتكمل ما أمكن مصادفته من المواد الأحفورية الثمينة.

- تحتاج مرحلة التحول الحاصلة على مدى البليوسين الأوسط إلى وقفة خاصة وتدل القرائن على أن حدّا فاصلا ظهر في وسط الدور فأنهى بصفة تامة هيمنة المناخات ذات النزعة المدارية وأذن بتأسيس وتطور مناخات جديدة (Fassi, 1999)، ذات إيقاع متوسطي في غالب الأمر، مع بعض التوجه المعتدل في حالات قليلة، استغرقت كل الرباعي.

وكان توفير الظروف المناسبة لاستقرار الأتربة في البيئات القارية لبداية البليوسين الأوسط فرصة الحظ الأخير الثمينة للتسجيل الطبيعي للمناخات الطويلة الأمد التي طبعت العالم على مدى كل الحقب الثاني وجل الثالث. وقد تم هذا التسجيل من خلال طبع الأتربة بأعلى نسب من الكاولنيت معروفة في فسحات المغرب المدروسة، مع أحمرار قاني نادر المثال عندنا.

وتدل أطيان الكاولنيت، بنسب تزيد على الثمانين بالمائة، عن تصريف هائل للمياه مصحوب بحرارة عالية يسمحان بتبديد قوي للسيلس وتنشئة للكاولنيت في ظروف شبيهة بالمداري الحالي.

لكن عمومية الأطيان الفقيرة، بنفس المستوى مع ظاهرة الاحمرار الشامل بسبب التثبيت المتجانس للحديد المحررة في القطاع، تفيدان معا وجود مناخ مداري متغاير الفصول، بعيدا عن الاستوائي المغالي في الرطوبة والمنتج مبدئيا لمعدن الجبسيت أو الألومين الصرف الدال على نزعة البيومناخ إلى التحطيم الكلي للأطيان.

وتوجد أهم المواقع التي درست فيها الظاهرة من حول سهل الغرب في شبه الجزيرة الطنجية وفي غابة المعمورة،

مشوبة بتطورات لاحقة لأن هذه المواقع بقيت مكشوفة على مدى الفترات المتعاقبة. في حين أنها بقيت محفوظة في أصالتها تقريبا تحت مناضد الأكلاس البحيرية التابعة مباشرة أو الحث البحري المغربي، في السايس أو قريبا من الساحل الأطلنتي.

وغنى الأطيان المحلي بمادة الكاولنيت، لا شك يسهم في تفسير تقاليد الجودة الخزفية الظاهرة مثلا في الطاجين السلاوي.

قبل زهاء 3,5 مليون سنة من الحالي، يبدو أن التحول إلى المناخات المتوسطية قد بدأ بمرحلة رخاء في الماء والظل، قريبة من الاعتدال المناخي المعياري، شهدت انتشار البحيرات الواسعة في جل السهول والأحواض الممتدة على هوامش السلاسل الجبلية المغربية. عقبها تميز كل الأتربة المتوالية على التاريخ الطبيعي اللاحق بتنوع كبير للمعادن الطينية، يغلب عليه السمكتيت على رأس طيف من الأطيان الموروثة من إليت وكلوريت، مع متخلف بسيط من الكاولنيت. وهذه الأوضاع المستجدة هي الشاهد على آخر مراحل التاريخ الطبيعي التي طبعت البليوسين الأعلى والرباعي (الفاسي، 2001).

- آخر نسق متكامل عرفه المغرب حتى الآن، هو تسلسل ما اشتهر بالذبذبات البيومناخية، المطيرة والبيمطيرة، على نمط متسارع قوامه الإجمالي لا يخرج عن المناخ المتوسطي، الذي ظهر لأول مرة على وجه الأرض في سياق تقلبات حاسمة حدثت آنئذ، لكن مع تذبذب دوري واضح الاختلاف من حيث الرطوبة والمعدلات الحرارية. وهو في ذلك يتبع حركية بيومناخية كونية استغرقت البليوسين الأعلى وكل الرباعي.

تجلت عوامل الرطوبة، خلال الفترات المطيرة، في التركات الطينية التي تنتسب إلى الكلوريت والإليت، كمعادن موروثة عن تفسخ مترفق بالقواعد الصخرية، دون إفراط ولا تفريط. وقد وصلت في بعض المراحل إلى إنتاج مقادير من الفرميكوليت. وهو معدن شاهد أكيد على إضافة أقساط من التساقط المطري في أوساط الاعتدال الحراري.

ومعدن الفرميكوليت مادة شديدة الحساسية بالتقلبات، رهيفة، لا تحتمل إلا البيئات التامة التوازن، الأمر الذي يصعب معه الاحتفاظ بها من ضمن التركات القديمة. لكنها مع ذلك مؤكدة كإرث واضح في البليستوسين الحديث، المدعو بالسلطاني في الطبقاتية الرباعية المغربية وهناك قرائن تفيد بأن فترات رخاء مماثلة ولا شك حدثت في الرباعي الأوسط، أو الدور العميري المغربي، وكذا في مستهل التحول البيومناخي على عهد المرحلة الثانية من البليوسين الأوسط.

أما عموم الفترات الرطبة نسبيا، مقارنة مع الوضع الحالي، والمنتجة للأطيان الموروثة بوسائل التفسخ المترفق، فقد تكررت زهاء ست أو سبع مرات على مدى الرباعي الذي استغرق 1,8 مليون سنة. ويبدو أن وثيرة التعاقب بين المناخات الرطبة والجافة آخذة في التسارع. حيث أنها كانت من فئة المائتين إلى المائة ألف سنة في الرباعي القديم، والمائة إلى الخمسين ألف سنة في الرباعي الأوسط، والثلاثين إلى العشرة آلاف سنة في الحديث.

برأيي أن هذا التسارع ظاهري فقط، وأن مرده إلى قدرتنا المتزايدة على تلمس علامات التغيير كلما كانت الفترة المدروسة أقرب إلينا، إذ من المؤكد أن فترات التغيير الكبرى تضم في غضونها تقطيعات أدق من التغيير المناخي الثانوي.

أما الفترات الجافة البينية، أو البيمطيرة، فإنها تشبه إلى حد بعيد فترة الهلوسين التي نعيشها حاليا. تعرضت تركاتها الترابية إلى تطورات حولتها جزئيا إلى أطيان السمكتيت (المونمريونيت أو البيدليت غالبا) وذلك إما بالتحويل العداني التدريجي للرصيد الطيني الموجود أو عن طريق التنشئة.

ويرجع السبب في هذا التطور، بالأساس، إلى الانحباس الكيماوي السائد. ويرتبط الانحباس ذاته بالتردي المناخي الذي يضعف التزويد الماءي الطبيعي فيرتفع تركز المحلولات وترتفع معه قاعدية الأوساط. وقد أظهر التجريب المختبري أن الأوساط القاعديةتيسر احتلال السليس للبنيات الطينية المهيكلة على نمط الميكا، كالإليت والفرميكوليت، الأمر الذي يأذن بالنزوع إلى الأطيان النفوخة (Dixon [et al.], 1982).

في مقابل التدهور المناخي المؤدي إلى التجفيف والذي يعد بالطبع سلبيا، فإن التحول إلى السمكتيت داخل الأتربة يعتبر في الغالب إيجابيا لأن الأطيان الجديدة هي الأفضل على الإطلاق والأكثر خصبا بالنسبة لزراعة الحبوب. أما وضعها النفوخ، الشديد التمدد والتقلص تبعا لأحوال الطقس المتقلب في المناخ المتوسطي، فإنه يجعلها غير مناسبة للغراسة الشجرية بالمرة.

أضف إلى ذلك أن نزعة التجفيف إن هي استفحلت، كما حصل في جل المناطق المغربية الزراعية خلال الفترات البيمطيرة للرباعي القديم والأوسط على الخصوص (الملوياتي والتانسفتي)، فإن تركز المحلولات الزائد من الكاتيونات القاعدية - الترابية يؤدي إلى أشكال من الترسب الصلب في التربة يجعلها تتسلح بأصناف القشرة الكلسية العاسفة في الطين الكاسحة له والمؤدية بالتربة إلى حالات التيبس والعقم القاضية.

وقد عرف الرباعي المغربي نوعا آخر من الانحباس أسهم بدوره في الرفع الكبير من مساحات الأطيان النفوخة. إذ حصل أن مختلف الأدوار الرباعية قد عملت على تقوية الشواطئ بسلاسل من الكثبان الرملية، عكفت المحاليل الكلسية على تحجيرها، ورفعت البنائية من مناعتها، فأصبحت مغاليق تُحكم الطوق على أهم السهول الساحلية. ومعلوم ما أدركته هذه الأحواض المغلقة من جاه اقتصادي،

مبني على ثرواتها الزراعية، خاصة في اللكوس والغرب ودكالة. وحتى وإن كان الانحباس هنا ذا طبيعة جيومرفلوجية وبنيوية، فإن التفاعلات الكيماوية المؤدية لتطوير الأطيان تبقى من نفس القبيل، لكن مع نشاط أكبر وإنتاج أسخى بكثير.

ففي حوض مثل الغرب على سبيل المثال، يؤدي الزخم الذي يتم به توافد الكاتيونات من كل صوب إلى السهل، الموجود هنا في المستوى القاعدي العام، وتعذر التصريف الخارجي، إضافة إلى معطيات المناخ التي ترفع تركيز المحاليل، إلى إغناء الأطيان بطريقة التحويل السالفة الذكر. لكن أسلوب التنشئة المطلقة لطين السمكتيت هو الأعم والأنشط في هذه الظروف، حيث تترتب عليه نتائج بيئية ذات فعالية هائلة. ذلك أن الفرز الآلي الذي تقوم به المجاري المائية، على أساس شبكة سبو، وحركية النظام الفيضي، يربط معظم الرمال والأطماء بمحاور الجريان ويرسب الأطيان معزولة في المنخفضات البينهرية. وأكيد أن التنشئة السمكتيتية تضاعف النسيج الدقيق وتزيد من عرقلة التصريف الخارجي فتفاقم ظروف الإغناء السيليسي الذي يزيد من الأطيان النفوخة حسب وثيرة تصاعدية مستمرة.

ويمكن لأتربة أنشئت على هذا المنوال أن تمتص مقادير ضخمة من المياه دون أن تسمح بنفاذها، مضاعفة حجمها، انتفاخاً عدة مرات، ومستحيلة إلى أثقل الأراضي الموحلة. لذا كان سهل الغرب في الماضي أرض المستنقعات والملاريا، وصار أرض خير وثراء بعد أن توفرت لحرثه الآليات الثقيلة القادرة على تحريك الطين المحتقنة وتأهيلها. ويبقى المرجع إلى أن السمكتيت، المقرون بالجفاف الفصلي المتوسطي، هو أساس بناء أتربة التيرس، أهم خزان للقمح وأساس الأمن الغذائي في بلادنا (الفاسي والبدراوي، 1996).

والغاسول، هو الآخر، ضرب من ضروب السمكتيت، يجمعه معها الانتفاخ في ظروف الميهة، لكنه ينتمي إلى قطب مغنيزي صرف، يكاد يكون خاليا من الألومين، وقدرة التبادل الكاتيوني فيه وبالتالي خصوبته متواضعان. وقد تَمّ إلحاقه بالستيفنسيت بعد التردد، بحكم أنها من فصيلة الموغوريونيت المغنيزية الليتيومية (Agard et al., 1952 ; Michard, 1976 ; Pique, 1994). أما مظلة الانتساب المعدني فهي مادة ماحرارية، ذات أصل اختراقي إذن، في حين يدل الظرف التوضعي للغاسول على أنه سحنة رسوبية، يستحق التميز بل والتفرد باسم علمي نوعي : الغاسوليت (Caillère [et al.], 1982).

وتوجد أهم مواقع السمكتيت الرسوبية المتميزة في جيوب مقعرية نيوجينية قارية من مجال ملوية الوسطى، وهي معروفة عند ملقى الويدان، شمال غرب تاوريرت، وفي جبل الغاسول بين القصابي وميسور. يبدو أنها نتاج تراكمات متدرجة بين الهورية والمنقعية والبحيرية. تتوزع موادها بين الجبس والطين المنقعي والكلس البحيري، وقد تضم مستويات من اللغنيت من ضمن المسلسل التفحمي الضعيف.

كذلك الشأن بالنسبة لمنجم الغاسول الذي تكشف مقاطعه عن مستويات جبسية وصوانية من تحت مكمن الغاسول الذي ينتهي بتغطية صلصالية إلى كلسية بحيرية. ولون المعدن أسمر وملمسه شمعي، يميل إلى السواد عند التجفيف. يختص الغاسول بقدرته على امتصاص مقادير كبيرة من الزيوت، من ذلك كفاءته العالية الطبيعية كمادة منظفة.

يمكن أن نجمل استعمالات الأطيان الرسوبية في أنها ملازم حضاري للإنسان المغربي.

فرغم تطور وتنوع المواد المصنعة البديلة، بقي اللجوء إلى الأدوات الطينية راسخا كمادة طبيعية مفضلة. واستعمالها في المعمار أساسي. والتركيز على الآجر والقرميد، بالإضافة إلى بعده الجمالي، سلوك بيئي سليم يسمح بتخفيف الضغط على الغابة والبعد عن المغالاة في توظيف الإسمنت الاصطناعي.

صحيح أن حصر الخزفيات في الاستعمالات الفنية المتروكة للاستهلاك السياحي هو مؤشر غالب على العصر في كل مكان (الفاسي، 2000). لكن هناك ظروف محمودة تجعل المغاربة يحتفظون ببعض الاستعمالات النفعية القديمة على أنها موروث حضاري نفيس ومفيد. يأتي في مقدمة الأدوات التي لازالت مستعملة بتفاوت : خابية (الخليع) وقصعة (الكسكس) والطاجين على وجه العموم. ولا شك أن رسوخ هذه الاستعمالات راجع إلى كون الطاجين مثلا هو إناء التحضير والتقديم كما يدل في نفس الوقت على الوصفات الغذائية، بخصوصياتها المطعمية، بدون فصل ولا تمييز. هذا النوع من المرتكزات الحضارية هو ذاته الذي يضع كذلك الطين الغاسول، مع مواد أخرى مثل الكحل والحناء وغيرها من المشتقات الطبيعية، في سياق سلوك كفاية واستغناء، قوامه الشغف المندمج بأهمية وجمالية الصناعة وبكل متطلبات الذوق وكذا بالهاجس الصحي والتوازن البيئي.

على أن الطين يبقى أولا وأخيرا الرحم الأولى للحياة، ومبتدأ القرار المكين، والكتاب الدائم الذي يدون التاريخ الطبيعي للبلاد بلمسات رفيعة لا تكذب ولا تبلى.

إ. الفاسي وم. البدراوي، *التيرس*، *معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 8، 1996 ؛ إ. الفاسي، *الخزف*، *معلمة المغرب*، الجزء 11، 2000 ؛ *الرباعي المغربي*، *معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 13، 2001.

J. Agard [et al.], *Géologie des gîtes minéraux marocains*, Rabat, 1952 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; G. W Brindley and G. Brown, *Crystal structures of clay minerals and their x-ray identification*. 1980 ; S. Caillère [et al.], *Minéralogie des argiles. Masson*, Paris, 2 VOL., 1982 ; J.B. Dixon [et al.], *Minerals in soil environments. Soil Sc. Soc. Am.*, Madison, 1982 ; A. Pique, *Géologie du Maroc*, Rabat, 1984 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès*, Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

الطيور، تتميز الطيور ببنية هيكلية عظمية ملائمة للطيران وبقائمتين أماميتين تحولتا إلى جناحين وبجسم يكسوه ريش مختلف الأشكال والألوان حسب الأنواع. يقوم المنقار مقام الفم وهو قرني شديد الصلابة وخالٍ من الأسنان. يعرف تصنيف الطيور تعقيدا متراكبا نظرا لكثرة الأنواع وتشابهها في شتى الحالات. فهي تصنف إلى شعب وفصائل وأجناس وأنواع يفوق عددها 30,000 في العالم منها 350 نوعا تعيش بصفة منتظمة في المغرب وحوالي 100 نوع نادرة جدا.

يعرف ريش الذيل بالأفنيك ويلعب دورا هاما في تثبيت وتوجيه الطيران في الأجواء ويستعمل الريش الضيق والطويل على جانب الجناحين للطيران السريع. تتعرض معظم أنواع الطيور إلى نسول سنوي فيتجدد الريش ويتخذ ألوانا زاهية عند الذكور خلال فصل الإخصاب للجاذبية والإغراء الجنسي. يرجع اللون إلى أصباغ تحت جلدية خاصة. تتوفر معظم الطيور وخاصة منها المائية على الغدة الزمكية تقع على مؤخرة الجسم وتفرز دهونا خاصة بنشر هذه الزيوت على مجموع ريشه بمنقاره ليصير كتيما لا يؤثر عليه الماء. حرارة الدم ثابتة لدى الطيور وتتراوح عند معظم الأنواع بين 40 و42 درجة مئوية. يلعب الريش دورا هاما في مقاومة التغيرات الحرارية الخارجية. وفي حالة شدة الحرارة أو البرودة يقوم عدد كبير من أصناف الطيور بهجرات فصلية طويلة المسافة لتبحث عن الأماكن الملائمة لعيشها ثم تعود إلى أماكنها كل سنة وبهذه الطريقة تحافظ على حرارتها الدموية. معظم أنواع الطيور المهاجرة تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتشتي في المغرب منذ بداية الخريف إلى أواخر فصل الصيف ثم تعود إلى موطنها الأصل للتوالد، أغلب المجموعات طيور مائية كالبط والإوز والتم والطيطوي والملاعقي والزقزاق ويفوق عدد الأنواع المهاجرة في المغرب 150. وهناك أيضا مجموعات من الطيور تأتي من إفريقيا إلى المغرب في فصل الربيع والصيف كاللقالق والسنونو وخطاف الشعر والسماني. تقطع الطيور مسافات الهجرة على عدة مراحل لتستريح ثم تواصل طريقها نحو المكان التي تعودت العيش فيه كل سنة، يبلغ معدل المسافة في كل يوم 200.500 كلم. يقوم مركز9 كلم ويبلغ ارتفاع طيران الإوز وضع الخواتم للطيور المهاجرة بدراسات مستمرة لمشاهدة الأنواع المهاجرة عبر التراب الوطني مع وضع الخواتم لبعض منها لاستنتاج المسافات المقطوعة ونمط العيش. يحمل الخاتم أرقاما تتعلق باسم مركز وضع الخواتم وتاريخ وضعها على قوائم الطائر ويوجد مقر المركز بالمعهد العلمي بالرباط.

يختلف شكل وحجم المنقار حسب العادات الغذائية فهو قصير مخروطي لدى آكلات الحبوب كالدجاج والدريس والجاوش، أو طويل ممحص لدى الأنواع التي تبحث عن الأكل في الوحل والبحيرات كالزقزاق وبيبيط ومالك الحزين، أو مسطح وعريض لدى الإوز والبط والملاعقي، أو معقوف شديد الصلابة عند الصقور والبزاة والنسور.

تتميز الطيور عادة بحدة وقوة البصر بواسطة التحدب البارز لقرنية العين التي تمكن الطائر من تمييز الأشياء على بعد مسافات كبيرة. صيوان الأذن على شكل ثقب جانبي بسيط مغطى بالريش ومسمع الطيور غاية في الحدة تدرك الأصوات وتغريد الطيور على بعد مسافات كبيرة. تعتبر حاستا الذوق والشم أقل تطورا عند الطيور مقارنة مع حاستي السمع والبصر. الفم بدون أسنان ويليه بلعوم منتفخ على شكل خزان يعرف بالحوصلة يتم فيها إعداد الأكل وتليينه قبل أن يبلغ المعدة المقسمة إلى تجويفتين.

تعد رتبة الجواثيم أكبر رتب الطيور عددا حيث تضم ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها، مقاييسها متوسطة وصغيرة جدا كالدريس وأبي الحناء والصعوة والخطاف والدوري والسمنة والشحرور. أغلب الأنواع تغرد في فصل الحرارة فقط.

تضم رتبة العوادي في المغرب نوع النعامة فقط يدعى علميا Struthio camelus ورغم توفره على أجنحة فهو لا يستطيع الطيران إلا أن سرعته في العدو تبلغ أحيانا 50 كلم في الساعة.

تتميز رتبة الدجاجيات بأجنحة قصيرة باستثناء السماني. تكيفت قوائمها الخلفية القصيرة مع المشي والركض. المنقار قصير وقوي، طرفه العلوي أطول من الطرف السفلي. تتوفر الذكور على صيصة فوق الأصبع الخلفي تستعمل للدفاع والهجوم. تتميز الديكة بريش زاهي الألوان. منها التدرج والطاووس والحبارة والحجل.

تضم مجموعة الكواسر الطيور الكبيرة الحجم منها رتبة الصقور والبزاة ورتبة البوميات أو الكواسر الليلية. معظم أنواع الكواسر لاحمة نشالة، لها منقار قصير ومعقود وتتكون القوائم من أربعة أصابع تنتهي بمخالب مقوسة متفاوتة الطول. تستعمل للقبض على الفريسة والاحتفاظ بها. والنسور من الكواسر إلا أنها تقتات من الجثث لأن المخالب ضعيفة لا تقوى على الاحتفاظ بالفريسة الحية، تتعدى بسطة الجناحين مترين.

تتميز مجموعة الطيور طويلة الساق بقوائم طويلة لها أصابع ملتحمة فيما بينها بغشاء سباحي متفاوت التطور حسب الأنواع، العنق والمنقار طويلان يساعدان على اصطياد الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الأوحال والمستنقعات والبحيرات والشواطئ. من أشهر الأنواع النحام وأبو ملعقة واللقلق والكروان وبوقصيبة والزقزاق والطيطوي.

تتميز كفيات القوائم بمنقار مسطح يتوفر على رقاق جانبية مقرنة يقوم بتصفية الأكل وعلى ذيلها غدد تحت جلدية تفرز مادة زيتية تجعل الريش كتيمة. تنتهي القائمتان بأربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بغشاء سباحي والرابع الخلفي حر. تضم هذه المجموعة الإوز والتم والبط والنورس

وهي من القواطع تألف الشواطئ والبحيرات ومصبات الأنهار. ويعتبر الطائر الأطيش الشائع Sula Bassana من الطيور البحرية الغطاسة فهو يغطس عموديا في أعالي البحار إلى أعماق تتعدى أحياناً 6 أمتار ليمسك الأسماك بمنقاره. وهو شائع في الشواطئ الأطلسية المغربية خلال فصل الخريف والصيف ويتوالد في فصل بشمال أوروبا. يستريح ليلا على الصخور الساحلية ويقضي النهار في أعالي البحار بحثا عن الأسماك.

م. رمضاني، *تيبيبط*، *معلمة المغرب*، الجزء، 8، ص. 2655 ؛ م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء 4 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ الموسوعة الحديثة، *عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا - سويسرا، 1990.

S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci., série Zoologie n° 41*, Rabat, 1986 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussin d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

ابن **الطيّب** (قرية -) قرية تقع بقبيلة تافرسيت ولم يستطع الجيش الاسباني الاستيلاء عليها إلا يوم 25 ذي القعدة 1338 / 10 غشت 1920 حيث جعل منها مركزاً عسكرياً مكنه من احتلال انوال، غير أن الوجود الاسباني بالقرية المذكورة لم يتعد السنة كلها لأن المجاهدين المغاربة استطاعوا اقتحامه غداة سقوط انوال يوم 15 ذي القعدة 1339 / 21 يوليوز 1921 ؛ وفي يوم 28 ذي القعدة 1340 / 23 يوليوز 1922 تمكنت القوات الاسبانية من احتلال القرية مرة ثانية وجعلت بها إدارة المراقبة طيلة مدة الحماية.

والجدير بالذكر أن رئيس الحكومة الاسبانية الجنرال بريمو دي ريفيرا عندما قرر الانسحاب عن بعض المراكز الامامية توجه في شهر يوليوز 1924 إلى قرية ابن الطيب حيث كانت توجد الثكنة الرئيسية لفرقة اللفيف الاجنبي ليخبر رئيس هذه الفرقة الكولونيل فرانكو Franco بقراره، فكان جواب هذا الأخير أن اللفيف غير مستعد لتنفيذ قرار الجلاء، وهذا ما جعل الجنرال دي ريفرا يعدل عن تنفيذ فكرته فيما يخص ناحية الگرت.

Comisión histórica, *Geografía*, p. 482-484.

محمد ابن عزوز حكيم

الطيّب، إدريس من مواليد سنة 1926 ببني زروال. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز جنان ماس تحت إمرة ابّالبقال وقد شارك في عدة هجومات استهدفت ضرب مصالح المستعمر إلى أن جاء الاستقلال فالتحق بصفوف القوات المسلحة الملكية. توفي بتاريخ 17 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516448.

ابن الـطيبي، **علال** بن **محمد**، ولد سنة 1935 بمنطقة السراغنة، التحق بصفوف المقاومة بالدار البيضاء، شارك في تنفيذ عدة عمليات، القي عليه القبض بمسجد عين الشق بالدار البيضاء، بتهمة المشاركة في صفوف المقاومة، فسجن، كان يقوم بتوزيع المناشير ونقل الأسلحة. توفي بتاريخ 18 دجنبر 1955.



المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 405441.

طيِندا أرطيث، خوليو Tienda Ortiz, Julio مستعرب، كان من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب حيث لعب أدواراً خطيرة منذ أن عين ترجماناً بالقصر الخليفي يوم 8 ديسمبر 1925 لكي يكون على اطلاع مباشر بما يجري بالقصر الخليفي إبان اعتلاء الأمير مولاي الحسن بن المهدي العلوي كرسي الخلافة بتطوان، وفي يونيو 1927 ثم نقله إلى نيابة الأمور الوطنية حيث شغل منصب رئيس مصلحة الأملاك المخزنية وذلك إلى أن عين مراقبا بناحية تطوان سنة 1932 وبناحية العرائش في السنة التالية ؛ وفي يوليوز 1935 عين خليفة لنائب الأمور الوطنية مكلفا بالعلاقات مع الحركة الوطنية من جهة ومع الصدارة العظمى بالحكومة الخليفية حيث كان يصادق على القرارات الوزيرية للصدر الأعظم.

وكان من مساندي الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية في شهر يوليوز 1936، ورغم ذلك فعندما ثبت عليه أنه كان ينتمي إلى منظمة الماسونية أعفي من منصبه يوم 17 فبراير 1937 فغادر تطوان.

أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.

Videmecum de 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

ظ

الظربان، والدلدل والدلدول ونيص وشيظم وشيهم كما هو في المعاجم، حيوان ثديي ليلي النشاط من رتبة القوارض Rongeurs وأكبرها حجما ومن فصيلة الشياهم Hystricidae، يحمل على ظهره شوكا كأنه المسال. يسمى علميا Hystrix cristata وبالفرنسية Porc épic à crète وبالإنجليزية Porcupine. يسمى في المغرب ظربان وضربان وعتيرس الرمل في المناطق الصحراوية الجنوبية وتاروشت بالأمازيغية وفي الجزيرة العربية نيص وفي السودان أبو شوك ويقال له أيضا القنفذ في بعض أنحاء سوريا ولبنان إلا أن القنفذ حيوان أصغر منه حجما ومن آكلات الحشرات Insectivore.

يوجد في العالم عشرون نوعا منها الظربان الهندي Hystrix indica وظربان بورنيو Trichys borneo والظربان المقنزع Hystrix cristata الذي يعيش في المغرب وفي مناطق شمال إفريقيا.



يتميز الظربان المقنزع عن سائر الأنواع بخصلة صغيرة من الشعر الحريري الطويل بيضاء على رأسه، قوائمه قصيرة تنتهي بأظافر قوية تساعده على حفر الغيران التي يعيش فيها طول النهار. الأذنان قصيرتان لا يتعدى طولها 4 سم، لون الجسم كستنائي. يغطي ظهره شوك طويل، مرن على الرأس وعلى النصف الأمامي من الظهر وقوي ونعوظ موجه إلى الخلف على مؤخرة الجسم والذيل. الشوك كستنائي وأبيض بالتتابع ويحمل غالبا خمس إلى عشر حلقات بيضاء فاتحة. صيغة أسنانه كالتالي :

1 / 1 أسنان، 0 / 0 أنياب، 1 / 1 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 20 سنا.

يتراوح وزن الكبار ما بين 10 و15 كيلوغراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 65 ـ 85 سم وطول الذيل 12 ـ 17 سم.

يتكون غذاؤه من العساقيل ومن البصلات المختلفة والنباتات والفواكه والخضر. يفضل العيش في المناطق الجافة المجاورة للحقول المزروعة وخاصة منها خواصر الجبال ذات الكسور. وهو شائع في المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية وخاصة منها مناطق هضاب كمكم وحمادة غير ودرعة وغير موجود في المناطق الصحراوية المغربية الجنوبية. يعيش أيضا في إفريقيا وفي الجزيرة العربية.

الظربان حيوان لطيف يسهل الاقتراب منه ؛ يفضل العزلة وغالبا ما يعيش منفردا، يقضي نهاره بداخل غار عميق يحفره بأظافره ويخرج ليلا ليبحث عن الأكل وهذا النشاط الليلي يجعل منه حيوانا مجهولا عند العامة. أسنانه الطويلة والقوية تساعده على قضم مختلف العساقل الصلبة.

تدوم مدة الحمل 63 ـ 65 يوما وتلد الإناث صغارا مفتوحة العينين يتراوح عددها بين 1 ـ 4، تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 15 سنة.

من بين الإشاعات المعروفة عن الظربان أنه يلقي بأشواكه على أعدائه للتخلص منهم. والواقع أن بعض أشواكه المسنة تزول بسهولة من جسمه كلما ارتجف أو احتك بحاجز أو عدو له.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères. Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

الظّريف، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Atarfe وهو اسم قرية كانت بأحواز غرناطة المسلمة تعرف بقرية الظرف.

والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكر الوثائق هو :

الظريف علي الذي كان أسيرا بفرنسا يحمل رقم 7313. ألقي القبض عليه سنة 1104 (1693) وقد وافته المنية بمدينة قادس يوم 27 ربيع الثاني 1114 (20 سبتمبر 1702).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 835.

محمد ابن عزوز حكيم

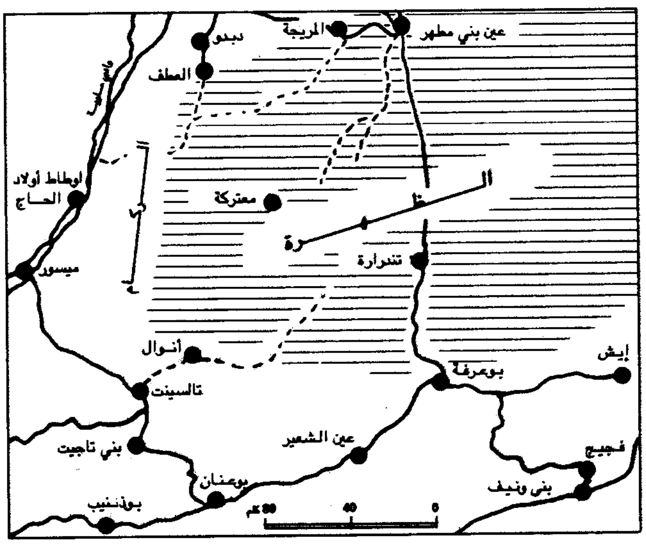
الظل، ظاهرة طبيعية تنتج عن حجز الأشعة بجسم معتم ما ينتج عنه نقص في الحرارة والضوء، مثل ظل جدار أو شجرة أو جبل. استعمل المغاربة منذ القديم تغير ظل جدار أو عصى كمقياس للزمن في النهار وذلك في غياب ساعة آلية أو رملية أو مائية. واستغلوا هذه الظاهرة في المزْوَلة وهي ساعة شمسية لقياس الوقت نهارا، تستعمل خاصة لتحديد أوقات الصلاة، إذ تقسم النهار إلى أقسام متناسبة فيما بينها، سواء طال النهار صيفا أو قصر شتاءا، وبذلك يحددون خاصة أوقات صلاة الظهر والعصر.

لكن الكلمة الأمازيغية التي تعني الظل وهي "أملو" كانت واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجبلية إذ تطلق على السفح الظليل المقابل للشمال أو الغرب، المحمي جزئيا من أشعة الشمس القادمة من جهة الجنوب بالمغرب بناء على موقعه الجغرافي بالنسبة لخطوط العرض. ويكون السفح الظليل عادة أكثر برودة ورطوبة، كما يتأخر به ذوبان الثلوج بالجبال العليا والمتوسطة، ولهذا يبقى مجالا غابويا يستغل في الرعي وجمع الحطب والخشب، وقلما تستقر به القرى لنفور السكان من قساوة برودته شتاء "أصميد". يقابله السفح المشمس أي الشميس المعروف في جبال الأطلس الكبير بـ"أنامر" وبالأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط بـ"أسامر". وقد استعملت كلمة الظل "أملو" في المصطلحات الجغرافية بالمغرب لتعني السفح الظليل UBAC يقابلها السفح المشمس ADRET. وإلى جانب عشرات القرى الجبلية المعروفة بـ"أسامر" أو "أنامر" فإن كلمة الظل "أملو" تطلق على بعض الأماكن خاصة بالجبال وهوامشها وبعض القرى، وقد ارتبطت كذلك بقبائل مثل أيت أمالو من برابرة الأطلس المتوسط، كما أطلقت على فصائل بربرية مهاجرة من بلاد صنهاجة "إزناكن" بالمنحدرات الشرقية لجبل سيروا وحواشي جبال صاغرو وأوگنات، إلى سفوح الأطلس المشرفة على سهل تادلة، خاصة المجموعة التي استوطنت في القرون الأخيرة حوض "واويزغت". وقد ارتبط الإسم ببعض القبائل دون مراعاة موضع استقرارها هل بالسفوح الظليلة أو الشميسة، كما أطلقت على أماكن عديدة بمناطق الدير والأحواض مثل "أمالو ن إغربين" أي ظل الغرباء بالضواحي الشرقية لمدينة خنيفرة.

كتب جغرافية المغرب، وبحوث متنوعة، واستطلاعات وبحوث ميدانية.

أحمد هوزالي

الظهرة، يطلق هذا الاسم على منطقة شاسعة تمتد في شرق المغرب وغرب الجزائر بين سلسلة جبال جرادة - تلمسان شمالا وسلسلة جبال الأطلس الكبير الشرقي - الأطلس الصحراوي جنوبا. وفي الواقع قد يتباين امتداد هذه الوحدة الجغرافية اصطلاحا حسب الأفراد إلا أن استقصاء السكان المحليين الذين يرتحلون باستمرار داخلها وحولها يظهر إجماعا على المدلول العام المتداول وهو كل الأرض التي تحدها الحلقة المكونة من المرتفعات الممتدة في هوامش الهضاب العليا في شرق المغرب. وتتداول الحكايات والأساطير حول أصل هذا الاسم، غير أن مدلوله اللغوي يعكس بوضوح طبيعة السطح الذي يطلق عليه، فحتى وإن كانت بالضاد فإن "الضهر هو بقعة في الجبل يخالف لونها سائر لونه" أو "خلقة في الجبل تخالف جبِلّته" أما بالظاء فالظّهر من الأرض "ما غلظ وارتفع" وقد كان العرب يميزون بين قريش البطاح (المنخفضات) وقريش الظواهر (المرتفعات).



وردت كلمة الظهرة مقرونة بالصحراء في كتابات تاريخية نظرا لقحولة مناخها وندرة السيلان في أوديتها

القليلة وذات التصريف الداخلي نحو الشطوط باستثناء القلة منها مثل وادي زا (الشارف ثم الحي في العالية) الذي يصعب على الكثير من روافده إيصال مياهها إلى السافلة بسبب ضعف انحدارها وهذا ما يميز المنطقة عموما إذ يندُر فيها التضرس أمام الانبساط الشديد الذي يمتد عشرات الكلمترات. ونتيجة لهذه الظروف المناخية والهدرولوجية لا يكسو الظهرة سوى تعاشيب من الحلفاء والشيح وشجيرات سهوبية من السدر لا تنتشر بها سوى بعض أشجار البطم المتبقية في بطون الأودية وقد استقطبت منذ القدم قبائل رعوية أمازيغية قبل أن تلتحق بها أخرى عربية بقطعانها من الغنم والماعز والإبل وقد عُرفت هذه المنطقة ولازالت بجودة لحوم غنمها من سلالة "بني گيل" المسماة محليا "الدغمة" وخيلها العربية الأصيلة الجميلة، وكذلك الكم الوفير خلال السنوات المطيرة.

تتنقل وسط الظهرة بالتراب المغربي قبائل عربية أهمها بنو گيل في الجنوب وبنو مطهر وأولاد سيدي عبد الحاكم وأولاد سيدي علي بوشنافة وأولاد سيدي امحمد بن أحمد في الشمال بينما ترعى في هوامشها قبائل أمازيغية وعربية وهي أيت سغروشن في الجنوب الغربي وأولاد الحاج في الغرب وأولاد عمرو في الشمال الغربي وأولاد بختي وبني يعلا والمهاية في الشمال. وكانت هذه القبائل تتحالف أحيانا وتتصارع أحيانا أخرى فكانت لشرفائها أدوار في المفاوضات وإبرام الصلح والتأطير الديني بفعل نشاط الزوايا المختلفة (القندوسية والكرزازية والدرقاوية والطيبية الوزانية)، وقد لعبت الظهرة التي أفرزت المرينيين دورا في مقاومة الاستعمار وإيواء رموزها أمثال الشيخ بوعمامة.

أما تنقلات هذه القبائل فتحكمها ظروف الأمن ووفرة الكلأ والماء فلم تُفرز تجمعات سكنية تذكر إلا مع أوائل القرن العشرين حيث أقامت السلطات الاستعمارية الفرنسية مراكزها للمراقبة فظهرت تندرارة بسوقها الكبير وبوعرفة بمنجمها ونمت عين بني مطهر حول قصباتها بسوقها على الطريق الرابطة بين وجدة وفجيج وأصبحت المريجة ومعتركة وأنوال مراكز صغيرة بعد أن كانت مجرد نقط ماء للماشية. ومع التحولات المجالية الاجتماعية الحديثة تغيرت ظروف تربية الماشية بتعديد نقط الماء والتنقل بالشاحنات واستعمال الأعلاف المجلوبة فأصبح الرعي جائرا بضغطه الحاد على الموارد الكلئية مما أدى إلى تدهور كبير لمراعي المنطقة مع تنامي تصحرها الذي ساهم فيه الاجتثاث القوي للحلفاء التي كانت تصدر بكثافة لأغراض صناعية، رغم العديد من المحاولات التنموية.

م. غزال، *مظاهر تحول الحياة الرعوية في الهوامش الشمالية من الهضاب العليا الشرقية المغربية (عين بني مطهر)*، د.د.ع الرباط، 1987.

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent*, *B.S.G.A.O.*, 1909 ; J. Despois & R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, , 1975 ; A. El Harradji, *Aménagement, érosion et désertification sur les Hauts Plateaux du Maroc Oriental*, *Méditerranée* n° 1-2, 1997 ; M. Hlal, *Elevage et sédentarisation sur les Hauts Plateaux steppiques de l'Est Marocain, étude géographique*, t. 3° cycles, Univ. Tours, 304 p., 1983 ; H.-M.-P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Alger ; R. Paskoff, *Les Hautes Plaines du Maroc Oriental : la région de Berguennt*, *Les Cahiers d'Outre-mer*, Bordeau, XX, n° 37, 1957 ; B. Tag, *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, T. Etat. Univ. Toulouse, 1987.

عبد الرحمان الحرادجي

ظهر القيطون، فج يقع بقبيلة بني يدر الجبلية، يقول عنه المؤرخ الإسباني كاخيگاس Cagigas بأنه هو الذي يعرف في المصادر المغربية القديمة باسم فج الفرس الذي قتل به السلطان المخلوع الشيخ المامون السعدي على يد المقدم أبي اللف يوم 26 رجب 1022 موافق 10 سبتمبر 1613 انتقاماً منه على تسليمه العرائش للإسبانيين سنة 1610.

وبهذا الفج جرت يوم 14 يناير 1920 معركة كبيرة بين المجاهدين والجيش الإسباني.

Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*.

محمد ابن عزوز حكيم

ظهير، الظهير في اللغة العربية هو العون، والتظاهر هو التعاون، والاستظهار بالشيء الاستعانة به. من ذلك قول الله عز وجل في سورة البقرة، 85 : "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان". وفي الإسراء، 88 : "ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا". وفي الفرقان، 55 : "وكان الكافر على ربه ظهيرا". وفي القصص، 48 : "قالوا ساحران تظاهرا". وفي الأحزاب، 26 : "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم". وفي سبأ، 22 : "وما له منهم من ظهير". وفي الممتحنة، 9 : "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم". ولا غرابة أن يكون الأمراء الموحدون هو الذين تمسكوا بهذا المصطلح المتردد بكل صيغه في القرآن ليشيروا به إلى ما يصدر عنهم من القرارات لأصحابهم وأعوانهم، ولغيرهم من أفراد الرعية على وجه الإنعام جزاء لهم ورضى عنهم، أو على وجه الاستظهار بالكتاب في شؤون الدولة أو الشؤون الخاصة. وكانت تلك القرارات السلطانية تسمى قبل العهد الموحدي "صكا" أو "سجلا"، حتى إذا كانت ثورة المهدي محمد بن تومرت على المرابطين، وخلفه عبد المومن بن علي وأبناؤه، انكب هؤلاء على ترتيب أجهزة الدولة المغربية ترتيبا ملتزما أشد ما يكون الالتزام بمقتضيات الشريعة. ومن ذلك إطلاق لفظة الظهير على ما يصدر من الأوامر والأحكام المخزنية. قال صاحب *صبح الأعشى* : "واعلم أنهم يعبرون عما يكتب في جميع ولاياتهم بالظهائر، جمع ظهير، يفتتحونه بلفظ هذا ظهير..." وقال في مقطع آخر : "وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظهائر والصكوك. فالظهائر

جمع ظهير، وهو المعين، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن يكتب له. والصكوك جمع صك وهو الكتاب [...] ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معنيي الاشتراك فيه، وهو الصفع، واقتصروا على لفظ ظهير". بيد أن معاجم اللغة العربية ظلت تتغافل عن هذا المعنى السياسي للفظ الظهير. لكن المعاجم اللغوية الأوربية سرعان ما وقفت عليه وأثبتته. فقد جعل الراهب القطلاني رايموندو مارتين، في القرن الثالث عشر من الميلاد، في معجمه اللاتيني العربي، لفظ ظهير مرادفا للفظ privilegium. واقتفى أثره في ذلك صاحب القاموس العربي الإسباني بيدرو دي ألكالا، في القرن الخامس عشر، قائلا بأن الظهير هو privilegio. وقد شرح هذا اللفظ المستعرب الهولاندي دوزي Dozy في القرن التاسع عشر، قائلا بأن معناه brevet وprivilège. أما الأمثلة على استعمال لفظ ظهير في العهد الموحدي في مجال نفوذهم على الضفتين، فأكثر من أن تحصى. ويكفي الرجوع إلى بعض الرسائل الموحدية، لنقف مثلا على ظهير صدر لدير من الرهبان سنة 614 هـ جاء فيه : "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين [...] أيدهم الله بنصره وأمدهم بعونه لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة وفقهم الله وسددهم وأنار بصائرهم وأرشدهم وجعل ما يقرب من رحمة الله معتملهم ومعتمدهم، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مكرع ولا مرعى، رعيا لما سعوا له وانتدبوا إليه من المآخذ الذي حبسوا له أنفسهم والمسعى..." وتلك هي الصيغة العامة التي ستسير عليها الدول المتعاقبة على الحكم في المغرب بعد الموحدين في كتابة ظهائر الإنعام والتوقير، أو التولية والإلزام، لا اختلاف فيها إلا بحسب بضاعة الكاتب من الأدب الرفيع ومقام المكتوب له بالأمر السلطاني. ولاغرو أن أرقى ما نقف منه على ذلك هو ما كتب بقلم ابن الخطيب في العهد المريني، أو بقلم الفشتالي في العهد السعدي. وسار العلويون على هذا النهج، إلى أن اشتد الضغط الاستعماري الأوربي في القرن التاسع عشر، وصار الملوك في حاجة إلى إبرام المعاهدات والأوفاق مع الدول الأوربية مثل وفق مدريد سنة 1880 فيصدرون الظهائر التنظيمية بشأنها، كما كانوا يخبرون الرعية بما يتهدد البلاد من الأخطار، فيكتبون بذلك ظهائر تتلى على الجمهور في المساجد، من باب الإشعار والتنبيه والاستشارة، فيكون الظهير عبارة عن صحيفة تخطر الولاة والرعية بما يقوم به السلطان من الأعمال، وأين يوجد في البلاد إذا كان في "حركة" يتفقد جهة من الجهات يمهدها ؛ بحيث كان الظهير هو النطق الرسمي بكل ما يصدر عن الإمام من الأقوال والأفعال في حدود مسؤوليته السلطانية التي هي مسؤولية تنظيمية وليست تشريعية، إذ الشرع منزل ولا يمكن التصرف بمقتضياته إلا بالرجوع إلى أولي الفتيا، مثلما حصل في عهد سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر، عندما لجأ إلى الاستفتاء لفرض المكوس التي كان بعض العلماء يعتبرونها غير شرعية، ومثلما فعل المولى حسن سنة 1886، حينما استفتى العلماء في تصدير الحبوب والقطاني والدواب التي كان تجار أوربا يلحون في تسريحها لفائدتهم. ويوم جاء الفرنسيون بأول مشروع لفرض حمايتهم على المغرب سنة 1905، دعا السلطان المولى عبد العزيز أولي الحل والعقد للاجتماع في فاس للنظر في الأمر، فكان الجواب بالرفض. مما زاد الفرنسيين المتربصين يومئذ باستقلال المغرب يقينا من أن الضغط على السلطان بمفرده أيسر من الضغط على النخبة السياسية أو على الشعب المغربي قاطبة. ولذلك جاء استعمار البلاد عن طريق الحماية، فإنه دخل من جهة القمة. ولذلك تعمدت السلطات الاستعمارية إضفاء صبغة التشريع المطلق على ما صارت تستصدره من الظهائر السلطانية لتتصرف بإدارة البلاد، مراقبة صدورها فلا تصدر إلا مقرونة بتوقيع المقيم العام. ولما صار السلطان هو مصدر القانون العام، كان لزاما أن تسند السلطة التنظيمية للصدر الأعظم ولمن يعمل تحت إشرافه المبدئي من مغاربة وفرنسيين. وهكذا صدرت الظهائر التشريعية الكبرى طيلة الحماية، وهي التي ألبست البلاد لباس الحداثة وأدخلتها عالم المعاصرة في مختلف الميادين، كما يشهد بذلك صفحات الجريدة الرسمية من سنة 1912 إلى 1956. وسارت إسبانيا على هذا النهج أيضا في منطقة نفوذها، مستصدرة من خليفة السلطان في تطوان ظهائر التشريع التي كانت تنشر في جريدة رسمية خاصة بالمنطقة من 1927 إلى 1956. بحيث كان الظهير عند استرجاع الاستقلال هو الوعاء الذي يستبطن إرادة الدولة سواء في ذلك إرادة عاهل البلاد أو إرادة مختلف الإدارات أو إرادة الأمة التي كانت معركة الاستقلال قد أوصلتها إلى درجة من النضج جعل العرش بلسان محمد الخامس يتعهد لها بإشراكها في تسيير الشأن العام عن طريق الانتخاب. وشرع الملك والأحزاب الوطنية في الحين في بناء نظام ملكية برلمانية قائمة على دستور يتبناه الجميع. ولكن الوعد الملكي لم ينجز إلا بعد تربع الملك الحسن الثاني على العرش. وهو الذي استفتى الشعب عبر التصويت المباشر الشامل في دستور دجنبر 1962. وهذا الدستور هو الذي حدد معالم الملكية البرلمانية المغربية في ما هي عليه إلى يومنا من توزيع السلط بين تشريعية وتنفيذية وقضائية، وإسناد مسؤولية الإشراف على سيرها وتعاملها للملك بصفة كونه أميرا للمؤمنين وحامي حمى الملة والدين، محتفظا له بسابق مسؤولياته في النسق الإسلامي، ومعلنا أن الظهير هو وعاء كل نطق ملكي، سواء في حل البرلمان أو عند ضرورة إعلان حالة الاستثناء، أو في تعيين الوزراء والسفراء وكبار موظفي الدولة، أو بالأحرى في قيادة القوات الملكية المسلحة التي هي من مسؤولياته الدستورية. أما السلطة التشريعية،

فإنها تعبر عن قراراتها بالقوانين، بينما السلطة المكلفة بتنفيذ القوانين تفعل ذلك بواسطة المراسيم والقرارات الوزارية. وقد جرى تعديل الدستور سنة 1972 ثم سنة 1996، وتغيرت فيه بعض المقتضيات دون أن يتغير شيء من سلطة الملك الذي يقول الفصل 29 منه بأن الملك يمارس مسؤوليته بواسط الظهائر، فهي تختزل لفظا ومعنى ما كان للعاهل من النفوذ قبل القرن العشرين وما اكتسبه من ذلك في فترة الحماية التي كانت فترة وضع بنيات الدولة العصرية التحتية، ثم بعد استرجاع الاستقلال يوم صارت البنيات الفوقية للدولة تقام وقواعد النظام النيابي في البلاد ترسى على جميع المستويات.

م. أشركي، *الظهير الشريف في القانون العام المغربي*، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1980 ؛ م. ابن شريفة، *من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب، كلمة ظهير مثالا*، الأكاديمية، العدد 14، 1998، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

إبراهيم بوطالب

الظهير البربري، هو الظهير الذي صدر يوم 8 محرم 1349، الموافق ليوم 16 ماي 1930، استصدرته سلطات الحماية الفرنسية لإقامة قضاء عرفي خاص بالقبائل البربرية بقصد عزلها عن باقي سكان البلاد الخاضعين للقضاء الشرعي، فأقامت محاكم عرفية للنظر في قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات وفي المجال الجنحي، وأسندت النظر في القضايا الجنائية للمحاكم الفرنسية. وجاء هذا الظهير متمما لظهائر سابقة ولسلسلة من القرارات الرامية كلها إلى العمل بخطة "فرق تسد" بين سكان المغرب الناطقين بالأمازيغية والآخرين الناطقين بالعربية. لكن الجماهير المغربية المتمثلة في الحركة الوطنية الناشئة والمسندة من الرأي العام الإسلامي عبر العالم كله سرعان ما أرغمت سلطات الحماية على التراجع عن أخطر ما ورد في الظهير باستصدار ظهير أبريل 1934 الذي عاد بالقبائل الأمازيغية إلى حظيرة المحاكم الشرعية. فما هي أصول تلك المكيدة التي انقلبت على مدبريها وكيف استطاعت الحركة الوطنية الفتية إبطال مفعولها ؟

كان للمسؤولين عن الاستعمار الفرنسي تجربة طويلة بسياسة التفرقة لإرساء هيمنتهم على مختلف المجتمعات التي ألحقوها بإمبراطوريتهم، سواء في إفريقيا الشمالية أو في إفريقيا جنوب الصحراء، وسواء في الهند الصينية أو في مدغشقر. ففي الجزائر، راموا عزل منطقة القبائل الناطقة بالأمازيغية عن باقي السكان الناطقين بالعربية. وفي السودان الغربي وإفريقيا الاستوائية، ضربوا قبيلة بأخرى وزاوية بزاوية والمسلمين بغير المسلمين. وفي مدغشقر، حرضوا الأقليات على أغلبية قبائل الهوف. وكذلك في المغرب، فإنه لم تمض سنتان على عقد حمايتهم عليه حتى استصدروا من السلطان المولى يوسف ظهير 20 شوال 1332 الموافق ليوم 11 شتنبر 1914 لتمييز القبائل البربرية عن باقي الساكنة الناطقة بالعربية. وذلك أول ظهير بربري، في فصلين فريدين جاء في أولهما : "إن القبائل الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة ولاة الحكومة". وجاء في الثاني : "تصدر قرارات من الصدر الأعظم بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة الشريفة في تعيين القبائل المتبعة للعوائد البربرية كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبائل والقوانين والضوابط الصادرة بها والسلام". وانكبت سلطات الحماية بعد ذلك على استجلاء أخبار القبائل البربرية وأحوالها، وعلى تدوين أعرافها بقصد إحيائها، فأحدثوا مجلة تحت عنوان *"الأرشيفات البربرية"* *Archives berbères*، وأقاموا سنة 1914 مدرسة خاصة بتعليم مختلف اللهجات الأمازيغية للضباط والموظفين الفرنسيين المكلفين بإدارة شؤونها. ثم إن هذه المدرسة تحولت إلى معهد للدراسات الإسلامية العليا سنة 1921. وحرص المسؤولون عن الحماية منذ البداية على العمل بأداتي القضاء والتعليم للفصل بين الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية في المغرب. ووضعت معالم خطة التفريق بلسان المارشال ليوطي نفسه، وبأقلام ثلة من الضباط وكبار الموظفين لمحاربة اللغة العربية والحيلولة دون تعميق الضمير الإسلامي في صفوف الأمازيغيين، والعناية بالقوانين العرفية على علاتها لتفادي انتشار العمل بأحكام الشريعة. وقد لام ليوطي ضابطا فرنسيا كان قد أشار على قبيلة آيت سغروشن باتخاذ "طالب" يكتب عنها ويؤم الصلوات بها، قائلا : "هذا أمر غير معقول في السياسة البربرية لأننا لسنا ملزمين بتعليم العربية لأناس كانوا في غنى عنها، ذلك بأن العربية هي أداة نشر الإسلام، لأنها تلقن من خلال القرآن. بيد أن المصلحة تلزمنا بالسير بالبربر خارج الإطار الإسلامي. وكذلك علينا من جهة اللغة أن ننتقل مباشرة من البربرية إلى الفرنسية [...] فعلينا أن نحدث مدارس فرنسية بربرية يتعلم فيها الأطفال البربر اللغة الفرنسية. ثم علينا من جهة أخرى أن نتفادى بكل عناية أدنى تدخل في الشؤون الدينية، لأن الإسلام لم يؤثر في البربر، وأعني منهم أولئك الذين احتفظوا باستقلالهم، سوى ببصمات سطحية، فإنهم امتنعوا عن المفاهيم القانونية الواردة في القرآن، ومسطرتهم الوحيدة هي "أزرف"، ولا رغبة لهم في الشرع بأي وجه من الوجوه [...]، فعلى جميع ضباط الاستعلامات أن يتشبعوا بهذه المبادئ، وعليهم بوجه خاص أن يجتنبوا القيام بأدوار دعاة الإسلام في القبائل البربرية". وتجلت هذه الخطة المغرضة بشكل مكشوف في العشرينيات من القرن العشرين، بما كان من شرحها وتعليلها ونشرها في الكتب والمجلات بأقلام أمثال بول مارتي Paul Marty وموريس ليكلي Maurice Leglay وفيكتور بيكي Victor Piquet، وأيضا بما كان من إحداث المدارس الفرنسية البربرية الابتدائية وإحداث ثانوية أزرو، وإطلاق العنان لأعمال التبشير المسيحي بين الأمازيغ

بدعوى أن بعضهم كان في الماضي قد اعتنق النصرانية، وأنهم من أنصار القديس أوغستنوس، وأن لا سبيل للحفاظ بأفريقيا الشمالية في الحظيرة الفرنسية إلا بنشر النصرانية في أبنائها. وتلك وصية من وصايا الأب شارل دي فوكو Charles de Foucauld، كان بعض المستشرقين من أمثال لويس ماسنيون Louis Massignon مقتنعين بها ومستعدين للنضال من أجلها في تلك السنوات.

وكان من مقاصد إحداث المدارس الفرنسية البربرية إعداد الموظفين الأمازيغيين القادرين على تسيير شؤون المحاكم العرفية تحت مراقبة الضباط الفرنسيين، ذلك بأن الهدف المنشود من الأمر كله هو تمكين المعمرين الفرنسيين من الأراضي الجيدة في كل إقليم، مع التحايل على أصحابها من المغاربة بمعارضة الشرع بالأعراف تارة ومعارضة الأعراف بالشرع تارة أخرى، ريثما يتأتى تعميم العمل بالقضاء الفرنسي المقام منذ سنة 1913.

وتجلت أول خطوة نحو إحداث محاكم عرفية في نشرة دورية صدرت يوم 22 شتنبر 1915، وضعها المراقب المدني هنري برونو Henri Bruno بعد أن كشف النقاب عن مجموعة من القوانين العرفية البربرية في الأطلس المتوسط، فتبين منها أن التقاضي بين الأمازيغ ليس من اختصاص الجماعة، وإنما هو بيد حكم يتفق عليه أطراف النزاع. وإذا عجز هذا الحكم عن الحسم في القضية، فإنها تعرض على حكم ثان، ثم على ثالث إن اقتضى الحال. حتى إذا استعصى الأمر نهائيا، فإنه يحال على الجماعة التي تعين قاضيا يفصل فيه. وهذه الطريقة هي التي أقرتها الدورية المذكورة، جاعلة إلى جانب الجماعة كاتبا مكلفا بضبط قرارات الجماعات وأحكام أصحاب التحكيم وما يدور بشأنها من التداول. وكان من المفروض أن ينحصر مفعول هذه النشرة الدورية في ناحية مكناس أول الأمر. لكن انحسار المد الاستعماري بسبب الحرب العالمية الجارية حال دون تطبيق مقتضياتها، ليل المتصرفين بشؤون القبائل البربرية إلى إسناد المهام القضائية إلى الجماعات الإدارية المحدثة بظهير 21 نونبر 1916. وقد جعلت تحت إشراف قواد تعينهم وتراقبهم سلطات الحماية. لكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها واستؤنفت الأعمال الاستعمارية في المغرب فاشتدت حاجة المعمرين إلى المزيد من العقار، حتى صار التصرف بالأعراف القبلية من الضرورات، سيما بعد أن تبين أن بعض مقتضياتها تعوق المعاملات. من ذلك مثلا قانون الشفعة الذي كان يقضي بحق كل عضو من أعضاء القبيلة في شفعة ما يتقدم الغريب عن القبيلة لاقتنائه من عقارها وأراضيها. ولم تكن السلطات الاستعمارية لتغض الطرف عن مثل هذه القوانين. فاستصدرت ظهير 19 شوال 1340 / 15 يونيو 1922، وذلك بعد صدور ظهير 5 دجنبر 1921 القاضي بمسطرة تفويت الأراضي الجماعية في القبائل العاملة بأعرافها، اقتداءا بما نص عليه في هذا الصدد ظهير 26 رجب 1337 / 27 أبريل 1919 في مجال العمل بأحكام الشرع. والعنوان المطول لظهير يونيو 1922 ناطق في حد ذاته بالغاية منه، فهو "الظهير الخاص بتفويت الأراضي من قبل الأهالي المنتمين للقبائل المعترف لها بأعرافها والتي لا تتوفر على محكمة شرعية كلما كان المفوت له غريبا عن القبيلة". وإن دل هذا العنوان على شيء فإنما يدل على شدة الأخذ والرد بين السلطان المولى يوسف وبين الإقامة العامة بخصوص إدارة شؤون القبائل البربرية. فإن الإقامة العامة كانت في حاجة إلى إضفاء الصبغة الشرعية على الجماعات القضائية العرفية التي كانت أعمالها وأحكامها ترفضها المحاكم الفرنسية، فأحرى أن تلتزم بها المحاكم الشرعية. ولذلك لم يقبل المولى يوسف إمضاء ظهير يونيو 1922 إلا في انتظار إقامة المحاكم الشرعية في جميع أنحاء البلاد. أما الأوساط الاستعمارية، فإنها شنت حملة مسعورة على الإسلام وعلى اللغة العربية وعلى قانون الشرع. وراموا تفادي معارضة السلطان المولى يوسف بسلسلة من المناشير الإدارية تلاحقت طيلة سنة 1923 و1924. ولكن المعاملات القائمة على أحكامها ظلت باطلة المفعول في نظر باقي المحاكم المغربية سواء منها الفرنسية أو الشرعية السلطانية. ثم إن حرب الريف التي امتد لهيبها في تلك الأثناء، حملت السلطات الفرنسية على شيء من التروي فيما كات تتوهمه من عدم تمسك الأمازيغ بالإسلام، هذا فضلا عن كون ليوطي لم يكن ليمارس الضغط السافر على السلطان المولى يوسف.

لكن ما أن حل محله على كرسي الإقامة العامة تيودور سطيك Théodore Steeg، وما أن انتهت حرب الريف حتى صار أقطاب السياسة البربرية يتحركون من جديد لإلزام المولى يوسف بإصدار ظهير يقنن القضاء العرفي. لكن السلطان امتنع عن ذلك. فمال تيودور سطيك إلى تفادي معارضته باقتراح توحيد القضاء في المغرب بناء على النموذج الفرنسي. وانتظمت سنة 1927 لجنة برئاسة كبير قضاة المحاكم الفرنسية في المغرب كورديه Cordier بغاية تحويل المحاكم العرقية والمحاكم الشرعية إلى نوع من محاكم السداد تعمل بالقوانين العضوية الفرنسية. ثم إن المولى يوسف توفي فجأة يوم 17 نونبر 1927. وتخلى سطيك عن منصب الإقامة العامة في السنة التالية، فأرجئ الفصل في الأمر. حتى إذا أسند منصب المقيم العام إلى لوسيان سان Lucien Saint، تخلى عن فكرة توحيد القضاء في المغرب، خوفا من أن يكون في توحيد المغاربة ولو في ظل القوانين الفرنسية ما يعارض المصالح الاستعمارية. وفضل الاستفادة من شباب السلطان سيدي محمد بن يوسف لاستصدار ظهير يضفي الشرعية على القضاء العرفي. وانتظمت لذلك لجنة جديدة ترأسها كورديه المذكور وشارك فيها الجنرال نوكيس Noguès مدير الديوان العسكري للمقيم العام، وبينازي Bénazet مدير الشؤون الأهلية، ورولان Roland مدير دار المحافظة العقارية، وبيسونيل Peyssonnel المراقب المدني

لناحية الرباط، وبوسيه Poussié المراقب المدني لمقاطعة زمور، ونقيب المحامين في الرباط ونقيب المحامين في الدار البيضاء، وبعض التراجمة. وأسفرت أعمال اللجنة عن ظهير صدر يوم 8 محرم 1349 / 16 ماي 1930، في ثمانية فصول تقنن القضاء العرفي، وهو المعروف بالظهير البربري، ذلك بأنه لم يكرس فقط مبدأ التفرقة بين سكان المغرب، وإنما رام إخراج الأمازيغ من دينهم بإخضاعهم في المجال الجنائي للمحاكم الفرنسية. ومجمل القول في هذا الظهير أنه قضى بإسناد النظر في النزاعات الصغرى في القبائل الأمازيغية إلى قوادها التابعين لضباط الاحتلال (الفصل الأول). وإنه أحدث محاكم عرفية في الابتداء والاستئناف تفصل في القضايا المدنية بناء على الأعراف فأقفلت أبواب اللجوء إلى الشرع والفقه الإسلامي لتفتح أبواب العمل بالقوانين الفرنسية (الفصلان الرابع والخامس). وألحق نصف سكان المغرب المسلمين بالمحاكم الفرنسية بعد أن تقرر أن "جميع الأمور الجنائية" التي "يقع ارتكابها في النواحي البربرية" يعزى النظر فيها إلى المحاكم الفرنسية دون سواها "مهما كان من مرتكب الجناية" (الفصل السادس). وألح الفصل السابع في هذه الغاية بخصوص القضايا العقارية. ولم يكن يتهافت على الأراضي الجماعية يومئذ إلا المعمرون الأجانب أو بعض أذناب الاستعمار من القواد والشيوخ والمقدمين وما إلى ذلك. وقد جاء صدور هذا الظهير مواكبا لإقامة حفل مسيحي استفزازي في تونس تذكيرا بأيام انتشار المسيحية في إفريقيا الشمالية. كما واكبه الاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر. بحيث لم يعد يخفى على أحد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية عازمة على إحياء الامبراطورية الرومانية وسلطان البابوية الكاثوليكية على القطر بأكمله.

لكن الحركة الوطنية المغربية التي كانت يومئذ في طور المخاض انتهزت صدور الظهير البربري لتنظم صفوفها وتشرع في تعبئة الجماهير المغربية وتفسد المناورات الاستعمارية الرامية إلى النيل من وحدة الأمة المغربية. وجاء التصدي للظهير البربري والاحتجاج عليه على عدة مستويات، كان أولها قراءة اللطيف في أعقاب الصلوات الجامعة في كبريات المساجد حيث يبتهل المصلون مرددين : "اللهم يا لطيف الطف بما جرت به المقادر ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر". ثم خرج الناس بعد ذلك إلى الشوارع متظاهرين صادعين بشعارات الاحتجاج مطالبين بإلغاء الظهير، فسجن من سجن وجلد من جلد في فاس وسلا والرباط ومراكش. وقرئت رسالة سلطانية يوم 11 غشت 1930 في المساجد تذكر بحرمة بيوت الصلاة وبأن الظهير سيء فهمه. واستقبل السلطان سيدي محمد بن يوسف وفدا من شباب فاس ليأخذ بخاطرهم ويؤكد لهم أنه لم يتنازل أبدا عن أدنى حق من حقوق الوطن. وجاء في طليعة خريف تلك السنة رئيس الجمهورية الفرنسية كاسطون دومرك Gaston Doumergue في زيارة رسمية إلى المغرب، وانتهزها المقيم العام لوسيان سان فرصة لمحاولة التخفيف من وقع الصدمة. وكان قد بادر إلى إصدار نشرة دورية لبعض الأوساط المسيحية المهووسة بالتبشير يحثها على شيء من الإمساك والاعتدال.

بيد أن الحركة الوطنية كانت قد انطلقت بزعامة علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج والمكي الناصري في المنطقة الفرنسية، وبزعامة عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس ومحمد داود في المنطقة الإسبانية، متخذة من الاحتجاج على الظهير البربري أرضية لبناء جهاز حزبي عصري لمقاومة الاستعمار في الوقت الذي كان الاستعمار ينهي أعمال "الباسفيكاسيون". فبعد الاحتجاج الجماهيري في صيف 1930، انتقلت الحركة الوطنية إلى الاحتجاج خارج البلاد، لدى الإخوة في الملة والدين قبل كل شيء، فكانت حملة عارمة من أقصى غرب الأمة إلى أقصى مشارقها تفضح السياسة الفرنسية وتبعث ببرقيات التنديد إلى عصبة الأمم، وتكتب المقالات دفاعا عن الحرمة الإسلامية. وتجندت لذلك مثلا صحيفة "فتح" لصاحبها محيي الدين الخطيب. كما تباحث المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس في دجنبر 1931 في النازلة فناقش التقرير الضافي الذي تقدم به ممثل المغرب المكي الناصري، واتخذت الملتمسات المناسبة. وتجند لمؤازرة المغاربة في نضالهم الزعيم الكبير شكيب أرسلان الذي كان من أول من أدرك ما يحاك في الخفاء من الدسائس ضد الإسلام ووحدة الأمة، فحل بالمغرب، وجمع حول شخصه مؤسسي الحركة الوطنية، وسخر صحيفته "الأمة العربية" الصادرة بالفرنسية في جنيف في سويسرا لفضح مكيدة الظهير البربري.

واستعان زعماء الحركة الوطنية أيضا بأحرار الأحزاب التقدمية في فرنسا وإسبانيا. ففي فرنسا وقف المناضل جان كيران Jean Guérin إلى جانب الوطنيين المغاربة لإصدار كتيّب بالفرنسية يحمل عنوان "مسلم بربري" يشرح الخفايا والنوايا من الظهير ويفند مزاعم الاستعمار. كما وقف روبير - جان لونگي Robert-Jean Longuet، حفيد كارل ماركس إلى جانب الوطنيين فأعانهم على إحداث مجلة "مغرب" الشهرية، التي كانت فتحا مغربيا مبينا في مجال الصحافة ومنبرا عجزت الإقامة العامة عن الإطاحة به قبل أن يصدر إثنان وثلاثون عددا منها. وكان من نتائج مؤازرة أحرار اليسار الفرنسي أن اشتد الضغط على الإقامة العامة، فألزم الجنرال نوگيس بالانسحاب من منصبه في نهاية سنة 1932. ثم أحيل المقيم العام لوسيان سان على التقاعد بعد بضعة شهور، وهو يعترف بأن أخطاء قد ارتكبت بإصدار الظهير وأن إصلاحها أمر لا مفر منه. وما أن حل المقيم العام الجديد هانري پونصو Henri Ponso بالرباط في ربيع 1933 حتى انكب على إعادة النظر في الأمر. وصدر ظهير جديد بتاريخ 23 ذي الحجة 1352 الموافق ليوم 8 أبريل 1934 يحتفظ

بالقضاء العرفي في القبائل الأمازيغية في القضايا الجنحية، ويحيل القضايا الجنائية على المحكمة العليا الشريفة القائمة على الشرع.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1947 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات، حياة وجهاد*، الدار البيضاء، بيروت، 1985.1982 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1992.

G. Lafuente, *La politique berbère de la France et le nationalisme marocain*, Paris, 1999.

إبراهيم بوطالب

ع

عَابِدْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alavid ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abed.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1134.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عابد، محمد** ولد بدوار اسيف أيت باعمران. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل ضمن وحداته بكل شجاعة وإقدام من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بتاريخ 25 أكتوبر 1957 إثر انفجار لغم وضعه الإسبان بالقرب من الكزيرة أثناء معركة بين جيش التحرير والجيش الإسباني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501105.

عاتكة بنت **علي** بن **عمر** بن إدريس الأزهر أميرة إدريسية تزوجها يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الثاني أمير فاس، الذي وصفته المصادر بسوء السيرة. وقد كان لهذه المرأة أثر كبير في تحول الدولة الإدريسية من بني محمد بن إدريس بن عمر بن إدريس. فحينما ثار العامة على زوجها إثر تورطه في قضية أخلاقية أمرته بالفرار إلى عدوة الأندلسيين والاختفاء ريثما تسكن ثائرة الناس. وظلت هي بعدوة القرويين لمراقبة الوضع، لكن الأمير يحيى لم يلبث أن توفي بعد ليلتين حسرة وندما على ما ذكرته المصادر، فاستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة.

وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة راسلت عاتكة أباها الأمير علي بن عمر بن إدريس صاحب صنهاجة وغمارة وبلاد الريف مستنجدة به ومبينة له خطورة الوضع، فزحف إلى فاس بجيوشه واستردها من يدي عبد الرحمن الجذامي وأخمد الانتفاضة القائمة فيها، وتمت مبايعته بها سنة 252 / 866، وبذلك انقرض الحكم في سلالة محمد بن إدريس وانتقل إلى أبناء أخيه عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

العاج، يقترن العاج بالفيل الذي حظي باهتمام خاص لدى علماء الحيوان والجغرافيين والرحالة منذ القديم. فحددوا مواطنه ووصفوا أعضاء جسمه ووظائفها وذكروا نمط حياته وطبائعه. ولا ريب أن هذا الاهتمام لا يخلو من دوافع نفعية متمثلة في ما يوفره الفيل للإنسان من لحم وجلد وعاج، وفي استعماله في الحرب. لذا جد القناصون في ابتكار الطرق والأساليب المساعدة على صيد هذا الحيوان الضخم.

غير أن السبب الرئيسي وراء صيد الفيل هي الرغبة في الحصول على العاج للأغراض الفنية والعلاجية. ولئن كانت بعض المصادر تتحدث عن تجارة عظام الفيل وأوجه استعماله الشبيهة بما يعرف عن العاج، فإن معظم المصادر تحصر العاج في الأنياب. إذ يقول الزهري في وصفه لفيل أفريقيا الشرقية : "يخرج من صدغه نابان في وزن كل واحد منهما قنطار وأكثر. ويقال إنهما قرناه، وهما العاج. وإنما سميا بهذا الاسم لأنهما عاجا عن موضعهما أي خرجا" (كتاب، 123).

وقد استفاض العلماء العرب في العصر الوسيط في استعراض منافع العاج الطبية، مؤكدين فعاليته في علاج أمراض جلدية وهضمية، وفي الشفاء من الجذام والكسور، وفي التئام الجراح. كما أشاروا إلى بعض ما يرتبط به من معتقدات شعبية في مجالات الحمل والغراسة وتربية الماشية، الخ ...

ومن غير المستبعد أن يكون المغاربة قد استغلوا العاج في حياتهم اليومية منذ أن توفرت لهم وسائل وتقنيات

اصطياد الفيل. ومن المؤكد اليوم أن هذا الحيوان كان منتشرا بالمغرب منذ ما قبل التاريخ، وخصوصا بجبال الأطلس والصحراء، حيث تم العثور على نقوش صخرية تصور الفيل وعمليات صيده، وعلى بقايا متحجرة من عظامه.

وتؤكد عدة شهادات واردة عند مؤرخي العصر القديم، استمرار وجود الفيل بكثرة بالمغرب في عهدهم. ويذكرون العاج كسلعة رئيسية ضمن صادرات البلاد إلى الخارج، وخصوصا إلى عالم البحر المتوسط. بيد أن بلنيوس الشيخ يزعم أن استعمال العاج من قبل المغاربة اقتصر على أغراض منحطة. حقيقة أنه من الصعب تأويل هذا التلميح، ولكن يجوز لنا أن نفهم منه إشارة إلى استخدام العاج في صنع الأدوات الضرورية للحياة اليومية للمغاربة، دون أن يتعدى ذلك إلى ما هو فني كما كان الحال عند الرومان. ولكن ينبغي عدم الانسياق وراء مثل هذه المزاعم، باعتبارها شهادة أجنبية قد تكون متحاملة و / أو خاطئة. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن كتب الجغرافيا والرحلات العربية الوسيطية تحمل مثل هذه الأحكام عن أفريقيا السوداء، غير أنه تبين فيما بعد مجانبتها للصواب. وثبت أن الأفارقة برعوا في استخدام العاج لصنع الحلي والتماثيل والأقنعة ولترصيع الخشب وزخرفته، وغير ذلك من التحف الفنية ذات الحمولات الدينية في أغلب الأحيان. وفي المغرب نفسه كان السكان الأصليون - حسب سكيلاكس - يشربون في كؤوس عاجية، وتزين النساء منهم بقلائد من عاج منذ العصر الفينيقي.

والأكيد أن العاج المغربي كان من أهم عناصر الحركة التجارية في الدول والإمبراطوريات التي أخضعت المغرب أو تاجرت معه في القديم. غير أن المغرب في هذا العصر لم ينفرد بتزويد الحضارات المتوسطية بحاجاتها من العاج، خاصة وأن الفيل كان يعيش آنذاك بكثير من أرجاء القارتين الأفريقية والأسيوية. وربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بوجود تيارات تجارية - برية وبحرية - تهم العاج، وتربط بين أسواق البحر المتوسط وأعماق القارة الأفريقية منذ الفينيقيين (*Histoire*, 4 : 99). والواقع أنه لا يمكن الركون إلى هذا الاعتقاد بسبب استناده إلى مصادر ثبت غموض معلوماتها واضطرابها. الشيء الذي دفع بمعظم المؤرخين الأفريقانيين إلى رفضها أو التشكيك في صحتها على الأقل. والثابت اليوم أن المبادلات التجارية عبر الصحراء لم تبدأ بكثافة وانتظام إلا بعد الفتح الإسلامي لبلدان المغرب. بينما كان البرتغال أول من اكتشف واستعمل الطريق البحري بين البحر المتوسط وغرب أفريقيا في منتصف القرن (15 م). وإذا صح وصول عاج أفريقيا الغربية إلى الأسواق المتوسطية في القديم، فلا شك أن ذلك تم عن طريق الصحراء، وبكميات قليلة، وبطريقة غير منتظمة، وفي وقت غير سابق للإمبراطورية الرومانية. وعلى العكس من ذلك لم تكتف هذه الإمبراطورية بالتزود بالعاج من شمال القارة الأفريقية، وإنما أحدثت في شواطئها الشرقية مراكز لقنص الفيلة من أجل عاجها ذي الجودة العالية.

والأكيد أن المغرب كان من أكبر منتجي العاج منذ العصر الفينيقي على الأقل. إذ أورد سكيلاكس في هذا الصدد إشارات معبرة عن مكانة العاج في الوجود التجاري الفينقي بالمغرب الذي يعود إلى القرن 10 ق. م. وهي مكانة قوامها الحصول على هذه البضاعة من المستوطنات الفينيقية المنبثة على الشواطئ إلى حدود قرنة (قد تكون هي الصويرة حيث عثر علماء الآثار على عاج خام)، ثم تسويقها - مصنعة أو خامة - في بلدان البحر المتوسط، ومن بينها جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية.

وقد ورثت قرطاج هذه الوظيفة التجارية، لاسيما مع تعد قطعان الفيلة التي ظلت تعيش بمجموع الشمال الأفريقي كما تؤكد رحلة حانون (ق 5 ق. م). وهذا ما أتاح للقرطاجيين تولي دور جمع العاج المحلي وتوزيعه على الأسواق المتوسطية.

ويبدو أن وفرة العاج في المغرب إلى حدود العصر القرطاجي، لم يحل دون استيراد كميات منه، وخصوصا بعد تصنيعه. الشيء الذي يعكس أهمية هذه المادة في المغرب القديم، ليس بوصفها سلعة فقط، وإنما أيضاً كمظهر من مظاهر الحياة الدينية والفنية والحرفية. وبالفعل كشف التنقيب في قبور فينيقية وقرطاجية - بونية عن عدد وفير من التحف الفنية العاجية المختلفة الوظائف. وهي عبارة عن أمشاط ومزهريات وملاعق ودبابيس وأساور وخواتم وتماثيل. والطريف أن بعض هذه اللقى زين بنقوش بشرية وحيوانية نباتية. كما عثر على صناديق خشبية بزخارف من عاج. وهذه الزخارف إما أجزاء دقيقة أو لوحات صورت عليها ورود وسعفيات، وأحيانا حيوانات وشخصيات.

ويرى S. Gsell (*Histoire*, 4 : 100, 163) أن هذه المصنوعات العاجية تعكس - بتنوعها ودقتها وجمالها - جانبا من جوانب التثاقف بين الحضارات المتوسطية. كما يعتقد أن بعض تلك المصنوعات استورد من بلدان أخرى وبالضبط من اليونان.

وقد ظل الفيل المغربي في العصر الروماني هدفا لعمليات صيد واسعة، ليس لعاجه فحسب، وإنما لتلبية حاجات الملاهي الرومانية. وعلى الرغم من كثرة أعداد الفيلة بالمغرب إلى حدود القرن الأول، فإنها لم تصمد أمام الاستنزاف الذي تعرضت له على يد الصيادين.

وإذا كان العصر الروماني شهد انقراض الفيل بشمال أفريقيا، فإن هذا الانقراض لم يكن في واقع الأمر سوى نتيجة لمسلسل من الاستغلال المفرط الموغل فيما قبل التاريخ. والجدير بالذكر أن الفيل المغربي كان أصغر حجما وأقل قوة من الفيل الآسيوي ومن فيل أفريقيا الاستوائية. بيد أن ذلك لم يحل دون تعرضه عبر العصور إلى القنص المكثف للحصول على العاج الذي كان بضاعة شبه ثمينة، ومطلوبة على نطاق واسع في مختلف الأسواق العالمية. وفي

نفس الوقت لم تتردد قرطاج في توظيف الفيل المحلي في حروبها، كما أفرطت روما في استغلاله من أجل ألعابها واحتفالاتها. وكل ذلك أدى إلى القضاء المبرم على الفيل بالشمال الأفريقي.

وعندما فتح المسلمون المغرب في بداية القرن (8 م) كانت البلاد قد تحولت من مصدر إلى مستورد للعاج. ويبدو أن هذا الوضع الجديد لم يؤثر كثيراً على تزود المغرب بهذه البضاعة، لاسيما وقد اقترنت فترة الفتح بظهور مبادلات تجارية نشيطة مع جنوبي الصحراء، حيث توجد "فيلة كثيرة جاوزت العد والحصر" (*آثار*، 26). وفضلا عن ذلك فإن هذه الفيلة تتميز بكبر أنيابها ومواصفات عاجها القابل للتشكيل بسهولة. وهذا ما جعل منه أجود عاج في عالم العصر الوسيط.

حقيقة أن كتب الجغرافيا والرحلات في هذا العصر تشيد بالفيل الهندي وضخامة أنيابه. غير أن عاجه كان هشا ضعيفا وبالتالي غير صالح للأغراض الاحتفالية والصناعية. وهذا ما يفسر كون الهند نفسها كانت من أكبر زبائن العاج الأفريقي.

وبالمناسبة، ينبغي التمييز في أفريقيا السوداء الوسيطية بين منطقتين رئيسيتين لإنتاج العاج، أهمهما شرق أفريقيا حيث بلدان النوبة والحبشة والزنج التي كانت أكبر خزان للعاج في العالم. ويأتي بعدها السودان الغربي الذي يظهر أنه كان أهم مصادر العاج لمغرب العصر الوسيط، بالنظر إلى جوارهما الجغرافي وعلاقاتهما التجارية. والواقع أن مصادرنا تشير تصريحا إلى وفرة الفيلة بالسودان الغربي في هذا العصر، وتطنب في تقنيات قنصها ومجالات استعمال عاجها، غير أنها نادرا ما تعرض إلى تصديره إلى شمال الصحراء، وإلى المغرب الوسيط على وجه التحديد.

ولكن تجارة القوافل مع بلاد السودان، وتوظيف العاج في بعض الحرف الفنية المغربية، قرائن لا تخلو من دلالة وتزكيها بعض المصادر، كجغرافية الزهري (ص. 118) التي تفيد بوصول العاج السوداني إلى سجلماسة. ويظهر أن هذه المدينة القوافلية كانت أهم أسواق العاج المغربية في العصر الوسيط. وبعد الزهري يؤكد ابن الخطيب (*الإحاطة*، 2 : 192) هذه الأهمية في ترجمته لأحد أفراد أسرة المقري التي كانت متخصصة في التجارة الصحراوية. وكان العاج من بين ما يبعثه ممثلها من مدينة ولاته إلى أخيه بسجلماسة. وبعد ذلك ظل العاج السوداني يتدفق على المغرب بانتظام لسد الطلب المحلي وللمبادلات التجارية مع أوربا. وربما أدت الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي في نهاية القرن (16 م)، إلى الزيادة في كميات العاج الوارد من جنوب الصحراء. ولاحظ أحد السفراء إلى البلاط الإسماعيلي في نهاية القرن (17 م) أن السلطان العلوي كان يولي اهتماما خاصا للتجارة مع السودان لتأمين مجموعة من السلع ومن بينها العاج. وخلال القرنين (18 و19 م) كانت فاس سوقا رائجة لهذه البضاعة التي كانت تحمل منها إلى الدول الأوربية.

ولئن كان من المستحيل تتبع تطور تجارة العاج بين المناطق المنتجة والمستهلكة في غياب المعطيات الرقمية، لا يخالجنا شك - بالنظر إلى أهمية الحاجيات في المغرب وأوربا - في أن كميات هذه البضاعة كانت تأتي مباشرة بعد الذهب في الصادرات السودانية إلى شمال الصحراء.

ومثلما أمن الفاتحون المسلمون للمغرب مصدراً غنيا بالعاج، حملوا معهم إليه تقاليد وتقنيات استعماله في الحرف الفنية. فأضيف ذلك إلى الموروث المحلي في هذا المجال. والملاحظ في هذا الشأن أن الإسلام كيف ما أخذه عن الحضارات القديمة مع الواقع الديني الجديد. فجاءت المصنوعات العاجية الإسلامية شبيهة بمثيلاتها السابقة من حيث بعض الزخارف والأدوات والأغراض، بينما اختلفت عنها أحيانا أخرى. والملاحظ أيضاً أن الحرف العاجية الإسلامية بلغت أوجها بكل من مصر الفاطمية والأندلس الأموية. ويمكن القول بأن المغرب كان تابعا للمدرسة الأندلسية في هذا المجال.

ولعل ما يميز الفن الإسلامي المرتبط بالعاج هو طغيان هذه المادة في تطعيم وحشو الخشب الثمين. فكانت الحشوات تستخدم للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وخاصة المضلعات المنبثقة من أشكال نجمية كما هو الحال في الأبواب والمنابر مثلا. بينما شمل التطعيم العلب والأبواب والكراسي، وأحيانا نصب الخناجر وقوائم السيوف. وقد وصلتنا جملة من نفائس العاجيات الإسلامية، التي تعد مفخرة لبعض المتاحف العالمية الكبرى. ولكن مع الأسف لم يبق منها سوى القليل مما يهم المغرب. وقد يكون ذلك من نتائج موقف علماء المالكية من العاج. فبينما أباحه بعضهم إذا كان الفيل مذبوحا، حرمه البعض الآخر في كل الأحوال. وربما كان هذا الموقف من الأسباب التي جعلت المغاربة في الجملة يحجمون عن تصنيع العاج وحده، ويقتصرون على تزيين الخشب به. وهذا ما توحي به شهادات مصادرنا المكتوبة والتحف الفنية الباقية. فهذا ابن خلدون يتحدث عن إحدى ربعات القرآن الكريم التي كتبها السلطان المريني أبو الحسن، "وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة". ويشير مارمول(*إفريقيا*، 2 : 52) إلى مدرسة مجاورة للقصر الملكي بمراكش كانت لها أبواب" كلها من خشب الأرز المزخرف بالعاج المحبوك بالذهب، وبألوان زاهية".

ويحتفظ أحد متاحف باريس بسيف مغربي من نهاية القرن (16 م). وهو ذو قائم عاجي مرصع بالذهب والفضة، الشيء الذي يجعل منه تحفة فنية رائعة. ويعتقد أنه لأحد أفراد الأسرة الحاكمة في الدولة السعدية، وقد يكون المعني بالأمر هو أحمد المنصور الذهبي الذي عرف عنه عشقه للأعمال الفنية الجميلة. ومعلوم أن العاج ظل إلى نهاية القرن (19 م) يستخدم في صناعة مقابض الخناجر والسيوف والسكاكين لعلية القوم من أجل الزينة والتباهي.

والثابت أن أكثر الميادين جدة في الحرف العاجية في علاقتها بالإسلام، هو استعمال هذه المادة على نطاق واسع في صناعة المنابر. ويصدق هذا الأمر على المغرب الوسيط، حيث حرص الحكام على تزيين المساجد الكبرى بمنابر من الخشب الممتاز الموشى بالعاج الطبيعي أو المطلي. وهو حرص يترجم ما للمنبر من رموز سياسية. ومن جملتها أنه المكان الذي يتم فيه الدعاء للحاكم في الجمعة والأعياد، مما يضفي الشرعية على سلطته، ويزكي تصرفاته وسياسته. لهذا كثيراً ما يحمل المنبر اسم الحاكم الذي أمر بصنعه. ومن حسن الحظ أن بعض النماذج من هذه المنابر قاوم الزمن إلى الآن، بينما تعرض معظمها للتلف والضياع، ولم يترك من أثر سوى ما تحتفظ به المصادر من إفادات لا ترقى في الغالب إلى ما يأمله الباحث. ويذكر بعض الرحالة في هذا الصدد أن هشام بن الحكم الأموي أمر سنة 388 / 998 - إبان نفوذه على المغرب - بتزويد جامع القرويين بمنبر موشى بالعاج، بعد أن كانت منابر القرويين السابقة - على ما يظهر - مصنوعة من الخشب فقط. وقد نذهب إلى حد الزعم بأن منبر الخليفة الأموي كان أول منبر مزخرف بالعاج في المغرب. وظلت الخطبة تقام عليه إلى عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر باستبداله بمنبر آخر "صنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج". وصرف عليه من مال الأحباس أكثر من 3800 دينار فضي. واستمر في العمل إلى صدر الدولة المرينية (جنى، 55 - 56).

ويحتوي مسجد علي بن يوسف بمراكش بدوره على منبر رأى فيه أحد الباحثين سمفونية توحد فيها الخشب والعاج بطريقة غاية في التناسق والروعة. وثمة منبر آخر صنع لمسجد الكتبية بمراكش في عهد عبد المومن بن علي وبأمر منه. وهو من أقدم ما بقي من منابر المغرب وأكثرها رونقا وجمالا على الإطلاق، خاصة وقد استغل العاج في زخرفته على نطاق واسع، وبطريقة عالية من الدقة والإتقان. إذ تمت الاستعانة بالمادة المذكورة في إنجاز الشرائط الخشبية المتشابكة، وكتبت بها الآيات القرآنية المحيطة بتلك الشرائط. ويحتوي قوس الأدراج السفلى على تشبيك عاجي واسع معقوف، وتعلوه شرافات قائمة على خلفية من عاج. واستخدام العاج كذلك في المرصعات الهندسية، وهي إما دقيقة عبارة عن تشابيك متعددة الزوايا في المسطحات الخشبية، وإما كبيرة على شكل شرائط واسعة في الواجهات الخارجية للأقواس الجانبية. وفي الزخرفة النباتية يظهر العاج في منبر الكتبية في تيجان الأعمدة وفي السعفيات على وجه الخصوص.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا المنبر يحمل نقيشة تؤكد أنه صنع بقرطبة. ومعلوم أن هذه المدينة كانت أكبر مراكز صناعة العاج في الأندلس الأموية. وهي مكانة حافظت عليها إلى العصر الموحدي. ولا أدل على ذلك من أن المعاصرين اعتبروا منبر الكتبية أجمل منابر الإسلام، ولا يماثله من حيث ضخامة الحجم وكمال النسق وغنى الزخرفة سوى منبر مسجد قرطبة الذي يعود إلى الخلافة الأموية. ومع توالي القرون وغياب الصيانة تعرضت أجزاء كثيرة من منبر الكتبية إلى التلاشي، الشيء الذي فرض - قبل بضع سنوات - ترميمه بمساعدة أمريكية حفاظا على هذه القطعة الفنية التي لا تقدر بثمن.

ويوجد في مسجد القصبة بمراكش أيضاً منبر شبيه بنظيره في الكتبية من حيث غنى الزخرفة وجمالها. ولكن منبر القصبة يفتقد إلى صفائح العاج الكبيرة، ويقتصر على شرائط عاجية ضيقة. بينما تحتل مرصعات العاج فيه حيزا أكبر. وفي الواجهة الداخلية لقوس أسفل الأدراج استعملت نفس المادة لرسم مربعات نجمية. بيد أننا لا نعلم على وجه التحقيق متى وأين صنع هذا المنبر. قد يكون الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور هو الذي أمر بإنجازه، بالنظر إلى كونه باني مسجد القصبة سنة 591 / 1195. ويرى بعض الدارسين (*Sanctuaires*, 269) أن التشابه الكبير بين منبري الكتبية والقصبة يحمل على الاعتقاد بأن هذا الأخير صنع في المغرب بأيادي أندلسية أيضاً.

وبالنظر إلى أن جامع القرويين حافظ على المنبر المرابطي إلى عصر بني مرين كما سلف الذكر، خص السلطان أبو عنان المدرسة التي شيد في فاس بمنبر ظل موجوداً بقاعة الصلاة إلى أن نقل إلى متحف البطحاء حوالي سنة 1952. وقد وقفنا عليه بعين المكان، وتبين لنا أن هيكله من خشب الأرز، وأن الزخارف العاجية تتجاور فيه مع منقوشات من خشب الليمون ومع أشكال مذهبة. ويتركز العاج على وجه الخصوص في قوس الأدراج السفلى، حيث استخدم في ترصيع أعلى القوس والجوانب الداخلية لأعمدته، وفي صفيحة عريضة تحتل مجموع واجهة القوس تقريبا وتحمل اسم السلطان أبي عنان. كما حليت جوانب المنبر بترصيعات هندسية دقيقة الصنع من العاج. وعلى الرغم من محاولات الصيانة المحدودة التي عرفها هذا المنبر، فإنه لا يزال - بالنظر إلى حالته التي عايناها - في حاجة ماسة إلى عملية إنقاذ شاملة شبيهة بتلك التي استفاد منها منبر الكتبية.

والواقع أن الجمع بين الخشب الثمين والعاج في الحرف الفنية بالمغرب - ولا سيما في صناعة المنابر - يعكس ذوق الصناع الرفيع المتمثل في إيجاد تناغم بين مادتين يؤدي إلى خلق أعمال فنية فائقة الجمال. إلا أن عملية الخلق هذه تستلزم جهدا كبيرا ووقتا طويلا قد يصل إلى عدة سنوات، كما هو حال بعض المنابر المحلاة بالعاج. وقد أدرك المعاصرون قيمة المنابر - بالنظر إلى ما كانت تمثله من الناحية المالية والفنية - فعملوا على حفظها وصيانتها، كما هو الشأن بالنسبة لمنبر القرويين المرابطي الذي كان له غشاءان يغطى بهما ولا يزولان عنه إلا يوم الجمعة.

ويدل وصفنا لمختلف المنابر السابقة على أن زخرفة الخشب بالعاج في المغرب توارثتها الأجيال المتعاقبة، وحافظت على طرق العمل والتقنيات والأدوات، على الأقل

إلى العصر المريني. هذا مع أننا نجهل كل شيء تقريبا عن خبرات صقل العاج وتقطيعه وتشكيله وتركيبه. والأكيد أن هذه الخبرات كانت تتطلب قدرات حرفية كبيرة وتكوينا علميا راقيا وخصوصا ما له علاقة بالتذوق الفني. دليلنا على ذلك أن أبا يحيى العتاد الذي صنع منبر القرويين في عهد يوسف بن تاشفين كان شيخا أديبا وإماما في اللغة والشعر.

ولكن هل كان أبو يحيى العتاد هذا مغربيا أم أندلسيا ؟ إن ما يبرر طرح هذا السؤال كون بعض المنابر المزخرفة بالعاج التي بقيت إلى الآن بالمغرب صنعت بالأندلس، الشيء الذي جعل بعض الباحثين يميلون إلى الاعتقاد (Sanctuaire, 269) بأن المغاربة لم يكن لهم من المهارات ما يسمح لهم بصناعة هذا النوع من المنابر. أكيد أن الأندلس كانت من المراكز الإسلامية الرائدة في صناعة العاجيات، وأن هذه الصناعة في المغرب كانت متأثرة بنظيرتها الأندلسية. بيد أن ذلك لا يعني البتة أن كل التحف العاجية التي وجدت بالمغرب صنعت بأيادي أندلسية. فلا ريب أن الروابط الوثيقة والمتعددة بين المغرب والأندلس أسهمت إيجابيا في نقل مجموعة من الحرف الفنية إلى هذا الأخير، بما في ذلك عمل العاج. وأدى إلى ظهور أجيال من المغاربة العارفين بهذا الفن، لعل أبا يحيى العتاد كان واحداً منهم.

بيد أن هذا الواقع لا ينفي أن منزلة المغرب في صناعة العاجيات كانت متواضعة، مقارنة ببلدان مثل الأندلس ومصر والهند والصين، حيث كانت لها أهمية سياسية واقتصادية خاصة. وفي هذا السياق أورد ابن الخطيب (*نفاضة*، 273) إشارة إلى حريق اندلع في أحد القصور المرينية بفاس، حيث أتى على "ثمين السلع من اللك والنيلج والعاج والأبنوس والصندل". واضح أن هذه الإفادة تهم التجارة الفنية المقترنة بالعاج في البلاط المريني. الشيء الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقة السلطة الحاكمة في المغرب بتجارة العاج والصناعة الحرفية المعتمدة عليه. فهل احتكر الحكام البيع والشراء في هذه السلعة، كما كان الأمر في كثير من بلدان أفريقيا السوداء ؟ وهل فرضوا على المتاجرة فيها رسوما كما فعل أباطرة الصين ؟ وهل أشرفوا على إنجاز العاجيات كما كان شأن الخلفاء الأمويين في الأندلس ؟ كل هذه الأسئلة لا تسعفنا المصادر في الإجابة عنها بطريقة شافية وقطعية. ولكن لا بد من لفت الانتباه إلى أن كثيرا من العاجيات المغربية أنجز بإشراف الحكام وبأمر منهم، وإلى أن العاج كان دائما من بين الصادرات المغربية إلى شمال البحر المتوسط.

والحق أن معظم واردات أوربا من العاج كانت تأتي من شرق أفريقيا، وهذا ما يفسر إلى حد كبير سكوت أغلب مصادرنا - عربية وأوربية - عن ذكر هذه السلعة في المبادلات التجارية بين المغرب وأوربا. ومن المرجح أن تكون المدن الأندلسية التي أبدعت في تحويل العاج، اعتمدت - ولو جزئيا - على المادة الأولية القادمة من السودان الغربي عبر المغرب. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الممالك المسيحية - ولا سيما في شبه الجزيرة الإيبيرية - التي أخذت عن مصر والأندلس فن تحويل العاج.

وعندما نجح الأوربيون في الوصول إلى أفريقيا السوداء عن طريق المحيط في منتصف (15 م)، كان العاج - إلى جانب الذهب والعبيد - من ضمن البضائع التي دأبوا على حملها إلى بلدانهم. غير أن ذلك لم يجعل حدا نهائيا للوساطة المغربية في هذا المجال. إذ ظلت فاس مثلا بين القرن (18) ونهاية القرن (19 م) تحصل على العاج السوداني من أجل تجارتها مع أوربا.

م. الزهري، *كتاب الجغرافية*، د. ت. ص. ص. 118 . 122 . 123 ؛ زكريا القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، 1973، مادة فيل، ص. ص. 432 . 433 ؛ نفسه، *آثار البلاد وأخبار العباد*، د. ت. 23 . 24 . 26 . 27 ؛ ضياء الدين ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، 1992، ج 3، مادة فيل، ص. 236 ؛ أ. العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، في الحيوان والنبات والمعادن، 1996، مادة فيل، ص. ص. 72 . 75 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، 1967، ص. ص. 55 . 56 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 1974، ج 2، ص. 192 ؛ نفسه، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، 1985، ص. 273.

H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, *Hesp.*, t. 6, 2e-3e tr., 1926 ; V - *La chaire de la Kotobîya* ; VI - *La mosquée de la Qasba* ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, 1950 ; Olagnier - Rittot, *Sabre marocain de la fin du 16e siècle*. *H-T.*, vol. 4, fasc. 1 - 2, 1963 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1972, Index ; R. Pinder - Wilson, *Adj*, *E.I.*, n. éd. t. 1, 1991.

عبد العزيز العلوي

العار تقرن كلمة "عار" في العرف المغربي بمفهوم الاستجارة وطلب الحماية. فعندما "يرمي العار" شخص على شخص آخر فإن المستجارَ به يصبح تحت ضغط معنوي، بل وتحت طائلة عقاب سماوي، تجعله يُلبي طلب المُستجير، سواء تعلق الأمر بالحماية أو بتحقيق رغبة ما. وقد لاحظ عالم الأنتربولوجيا الفينلندي، ويسترمارك، عند بداية القرن العشرين، مدى أهمية العار لدى المغاربة، وحاول أن يجد له تعريفاً فقال إنه "لعنة مشروطة بعدم تلبية رغبة المستجير" (Conditional curse)، أي أن الذي يستطيع منح الحماية أو غيرها من الخدمات ويستنكف عن ذلك رغم إلحاح المُستجير، فإنه يُعرض نفسه لعواقب وخيمة، لا بد وأن تصيبه في ذاته أو ماله أو أهله. لذلك جرت العادة بعدم "رد العار" وأخذه مأخذ الجد وعدم التهاون في أمره نظراً لجسامة العقاب المرتقب. وأورد ويسترمارك مقولة مغربية شائعة تقول إن "العار يمثل نصف نار جهنم".

إن الحالات التي يتم فيها اللجوء إلى العار كثيرة ولا يمكن حصرها، لكن أكثر الحالات شيوعاً هي التي يلتمس فيها صاحب العار مساندة مُلحة لدفع عدوان، أو الاقتصاص من معتد، أو كسب حَليف لمواجهة خصم. ويُحاط "رمي العار" عادة بطقوس خاصة تُضفي عليه طابع القُدسية والاستعجال، كتقديم ذبيحة أو اللجوء إلى "التعرقيبة" المتمثلة في شل حركة الدابة بقطع أعصاب

رجليها الأماميين. كما قد تكتسي هذه الطقوس شكل تقديم النساء والأطفال لإبلاغ رغبة المستجير. وقد استعمل المستعمرون الفرنسيون والإسبان هذه العادة خلال عمليات الاحتلال فكانوا ينتظرون من القبائل أن تُعبر عن استسلامها بتقديم الذبائح أو "عرقبة" الدواب كإقرار بانهزامها وطمعها في حماية القوة المنتصرة. كما استُعمل العار بعد الاستقلال في العمليات الانتخابية، إذ لجأ بعض المرشحين في البوادي إلى هذه العادة لانتزاع أصوات الناخبين أو كسب تأييد بعض الأعيان الذين لهم تأثر سياسي في أوساطهم. وقد تحفَّظ العلماء من عادة العار، بل منهم من قال بتحريمه لمعارضته للشرع ولارتباطه في نظرهم بممارسات جاهلية ووثنية. ومن أوجه معارضته الشرع أنه كثيراً ما يُستعمل لكسب التأييد للمستجير، ظالماً كان أم مظلوماً. فالكثير من التحالفات القبلية التي كانت تُقام لأغراض عدوانية أنشئت على أساس العار. فيكون وجه التحريم هنا اللجوء إلى الإحراج، بل والإكراه، لاقتراف المحرمات. كما انتقد العلماء الطريقة التي "تُعرقب" أو تذبح بها الدواب، إذ لا يُتلفظ بالبسملة عند الذبح فيحرم بسبب ذلك أكل لحم الذبيحة.

ولعل أهم مظهر انتقده العلماء في عادة العار هو ما يتوجه به الناس إلى الصلحاء. فمحمد بن جعفر الكتاني اعتبر أن الشخص الذي "يرمي العار" على ولي يرتكب سوء أدب تجاه ذلك الولي. واعتبر أن ما يفعله بعض الناس برمي ثوبهم أو عمامتهم على ضريح الولي بقصد العار شيء لا يليق إلا بـ "الجهلة الأغبياء" ... إذ معنى العار لغةً وعُرفاً - يقول الكتاني - ارتكاب ما لا يليق مما فيه معرة أو سبٌّ أوعيب". فكأن المستجير هنا يتهدد الولي بالعار والمعرة إن هو لم يقضِ له حاجته.

لكن "العار" اكتسب دلالات متعددة، ولم يكن دائماً يعني إلحاق السوء والعيب بالمستجار به. ففي كثير من الحالات استُعمل العار بمعنى الاستشفاع والاستجارة مجرداً عن أي مفهوم للإكراه أو الضغط أو إلحاق الضرر بالمستجار به، فعندما يقول قائل: "عاري عليك يا رسول الله !" فإن المقصود هو طلب الشفاعة لا أقل ولا أكثر. وفي هذه الحالة لا يختلف العار عن مفهوم "الزواك" الذي يُقصد به طلب الحماية، وكلها أعراف لجأت إليها المجتمعات التقليدية للحد من العُنف وضمان توازنات مجتمعية ضرورية، خاصة عندما تغيب القوة السياسية الرادعة.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء، 1، ص. 54 - 55.

E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, London, 1926, 2 vol. ; K. Brown, *The curse of westermarck*, *Ethnos*, vol. 47 (1982).

محمد المنصور

العاسوق، وعَوسق وعُويْسق وعويسقة وعَيْسُوق كما هو شائع في المغرب العربي وفي معظم المعاجم جنس طائر من الكواسر النهارية متوسط القد أحمر اللون منقط بسواد. يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. نوعان منه يعيشان في المغرب يشبهان الباز الصغير في شكله وغالبا ما يصعب التمييز بينها :

- العاسوق Falco tinnunculus يسمى في مصر صقرا بلديا وصقر الجرادي وأبا سرقة. يعد من أخف الطيور وأسرعها نهوضا، يسمى بالفرنسية Faucon crécerelle وبالإنجليزية Kestrel وWindhover وبالإسبانية Cernicalo vulgar وبالإيطالية Gheppio. طائر في حجم الحمام يتميز بريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل مستقيم عليه خطوط بيضاء وسوداء. يبلغ طول الجسم 33 - 35 سم ويزن 200 - 300 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 70 - 80 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة الساحلية وبجبال الريف والأطلس والهضاب العليا والشرقية والحوز وتافلالت وتنغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شبيكة وكلتة زمور وشمال موريتانيا. عدة مجموعات تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتنتشر في مختلف المناطق المغربية. يكثر عدده على المناطق الساحلية ونادر في المناطق الغابوية. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى وأحيانا بين جذوع الأشجار العالية. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات وأحيانا 9 بيضات مصفرة منقطة بالأحمر المسود، يبلغ طول قطرها الكبير 4 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين 29 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 27 - 39 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يتكون غذاؤه من صغار الطيور الزواحف والضفادع والفئران والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

- عويسق Falco naumanni يسمى بالفرنسية Faucon crécerellette وبالإنجليزية Lesser krestrel وبالإسبانية Cernicalo primilla وبالإيطالية Grillaio. يختلف هذا الطائر عن العاسوق بحجمه الصغير وبذيله المستدق الرأس، وبريشه الرمادي الأزرق على الجناحين. لون ريش صدره شاحب أبيض منقط بالأسود البني. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء مصفرة. الذيل مستقيم ومحفوف بريش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 30 سم ويزن 100 - 200 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 60 - 70 سم.

يألف السهول والهضاب والأجراف والصخور الصعبة المنال، ونادر جدا في المناطق الغابوية. شائع في المناطق الساحلية الممتدة من طنجة إلى أكادير وفي المغرب الشرقي

وفي الأطلس المتوسط وسهول الغرب، ونادر في المناطق الصحراوية الجنوبية، يكثر عدده في فصلي الربيع والصيف في الحاجب ومكناس والعرائش وسلا والرباط وبنسليمان والرماني والدار البيضاء والجديدة والصويرة والحسيمة والناظور وبركان وگرسيف. منه عدة مجموعات مستقرة في المغرب تضاف إليها عدة وحدات تأتي من جنوب أوربا لتشتو في المغرب. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يتخذ عشه بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى ونادرا بين أغصان الأشجار العالية. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات بيضاء مصفرة منقطة بالأحمر الشاحب، يبلغ طول قطرها الكبير 3,5 سم. يحضن البيض من طرف الأنثى 28 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 26 ـ 28 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر توزيعه الجغرافي على حوض البحر المتوسط وآسيا الوسطى والغربية. يتكون قوته من مختلف أنواع الحشرات وخاصة منها الجراد والخنافس.

م. رمضاني، بولحية، معلمة المغرب، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة، معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Satatut, répartition et écologie, Annales CEEP* (ex. *CROP*), n° 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977.

محمد رمضاني

عَاشِرْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ظل بعض أفرادها هناك وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Agerreta - Ager - Axer. ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ager ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

عاشر الحاج محمد بن عبد الرحمن من وجهاء تطوان. تولى خطة أبي الموارث يوم 8 ربيع الأول 1113 (13 غشت 1701). وفي سنة 1179 (1766) عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله حاكماً عاماً بشمال المملكة ومقره بتطوان وأعفي لكبر سنه سنة 1201 (1787). وكانت وفاته في السنة التالية.

وهو الحاكم المغربي الذي ورد اسمه في معاهدة دولية هي المعاهدة المغربية الاسبانية المبرمة بمراكش يوم 2 ذي الحجة 1180 (1 ماي 1767).

ومن آثاره بتطوان "القنا" الموجود بزنقة المقدم والمعروف بـ "قنا عاش" وهو الذي بنى القنطرة التي تحمل اسمه العائلي والواقعة بكيتان في طريق الزرقاء.

عاشر قاسم من أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال 1078 (أبريل 1668).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1140.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عاشر، أحمد** بن **محمد** بن عمر السلاوي الصالح الشهير أصله من شمينة من أعمال قادس بالأندلس، وبها خلق ونشأ إلى أن حفظ القرآن وقرأ العلم، واجتهد في الطاعات والعبادات، وانقطع لعمل الخير. انتقل إلى الجزيرة الخضراء وأقام بها زمانا مشتغلا بتعليم القرآن، ولقي بها الشيخ الصالح أبا سرحان مسعود الأبله، صاحب المكاشفات والشأن العظيم، فاستأنس به وآنس، وهو الذي أخبره بقرب سقوط الجزيرة في يد النصارى، ودعاه إلى مغادرتها قبل استحكام الحصار. فانصرف عنها ابن عاشر، ورحل إلى المشرق لقضاء مناسك الحج، ثم عاد إلى المغرب، فقصد في البداية مدينة فاس، ثم أقام بمكناس مدة من الزمن. وكانت إحدى أختيه قد استقرت بها، واستفادت من جراية دائمة متعها بها السلطان أبو عنان المريني. انتقل ابن عاشر بعد ذلك إلى سلا ونزل بزاوية الشيخ عبد الله اليابوري، وكان ذا مقام كبير وأحد شيوخ التربية المشهورين، فلازمه مدة طويلة ووجد لديه العون والمساعدة، فقد أسكنه خلوة في الزاوية المذكورة، ويسر له إمكانية كسب قوته بتعليم الأطفال القرآن الكريم. غير أن وفاة الشيخ اليابوري جعلته ينتقل إلى سلا. فاستقر في أول الأمر بزاوية الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عمر غربي جامعها الأعظم. وكان اكتسابه في هذه المدة من نسخ وتفسير وبيع كتاب العمدة في حديث رسول الله (صلعم) للإمام أبي محمد عبد الغني المقدسي، وكان معجبا بهذا الكتاب ولقنه لكثير من أصحابه. وقد وفر له هذا العمل دخلا، سمح له بشراء منزل بالقرب من باب معلقة بسلا، وهنالك اشتهر أمره وقصده الزوار واجتمع حوله عدد من المريدين، لكنه كان يفضل العزلة عن الناس ويقلل من لقائه بهم.

لم يكن الشيخ ابن عاشر يعيش بفضل الفتوح أو الزيارات، ولربما كان ذلك من أسباب اقتنائه لبستان بجهة باب سبتة من سلا، لكن الدخل المترتب عن زراعة هذه الأرض، لم يكن ليغير شيئاً من عوائد الشيخ، فقد كان متقشفا في حياته مقلالا ؛ وباستثناء يوم عيد المولد النبوي ويوم الجمعة اللذين كان يلبس خلالهما أحسن لباسه، وهي جبة خضراء وحزام صوف، فإنه كان يقتصر خلال سائر الأيام على جبة بالية قصيرة الأكمام، وحزام صوفي أسود وينتعل نعلا خشنا في أسفله مسامير. كان الشيخ يضطلع بأعباء حياته بنفسه ويرفض أن يساعده خواص أصحابه إلا في القليل لاعتباره أن ذلك من شأنه أن يحرمه من أجر التعب. أما طعامه خارج أيام صومه، فكان عبارة عن مد قمح في اليوم يصطحب به وجبة من نبات الخبازى وحيوان بحري يسمى السرنبق زيادة على ما يهدى له من سمك في بعض

الأحيان، وشيء من التين اليابس الذي كان يحتفظ به في داره.

لما اشتهر أمره وأصبح له الأصحاب والمريدون، كثر زواره وانحاز لجانبه التائبون ؛ وقد احتفظت المصادر بأسماء عدد من مشاهير زواره ؛ وكان منهم محمد بن أبي بكر الحضرمي مؤلف كتاب *السلسل العذب* الذي خصه فيه بترجمة وافية، وابن قنفذ صاحب كتاب *أنس الفقير* الذي وجده فريداً في الورع، محفوظا من كل شبهة، كثير النفور من الناس، وخصوصا أصحاب الولاية في الأعمال. وقصده ابن الخطيب أيام محنته بالمغرب فلقيه بين القبور في الخلاء "رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة ... شديد الاشمئزاز من قاصده". وحاول السلطان المريني أبو عنان الاتصال به في 757، لكنه لم يوفق إلى مقابلته، لأنه كان يرفض اللقاء بأهل الدنيا. فاعتذر واكتفى منه السلطان بكتاب نصح ودعاء انفرد أحمد الحافي بإدراجه ضمن مؤلفه *"تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر"*. وهي مراسلات لا نجد لها أثراً عند ابن قنفذ والحضرمي. وكان محمد بن عباد الرندي من بين من لازم الشيخ ابن عاشر، وكان من كبار أصحابه ومن خيار تلامذته، وكان له دور بارز في التعريف بطريقة شيخه، وعبر عن ذلك بنوع من التشدد في إحدى رسائله : "فمن حاد عن طريقته (أحمد بن عاشر) في معاملته الظاهرة والباطنة مع الحق ومع الخلق فهو سقيم الأحوال فاسد الأعمال".

كان أحمد بن عاشر من الأفراد الجامعين بين العلم والعمل، المتمسكين بالكتاب والسنة، الناهجين سنن السلف الصالح في الزهد والورع والانقطاع عن الناس كراهة في الشهرة. وكان على جلالة قدره لا يرى لنفسه على أصحابه شفوفا ولا مزية، ويذكرهم دائماً بأنه واحد منهم وليس بشيخهم ولا معلمهم، وينصحهم بكتب العلماء وعدم اتباع ما لا يوجد له أصل في كتب العلم، لكن العلم وحده لا يكفي للخلاص وكثيراً ما كان يكرر "العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر". وأول ماحض عليه التائبين رد التباعات وقضاء الصلوات والورع في المعاملات والاعتدال في الأحوال والاحتياط في الأمور الشاذة في العبادات. كان يصوم يوما ويفطر يوما ويأمر بذلك، وينهي عن الوصال، ويحذر من الإفراط في الخلوة.

وكان الشيخ ابن عاشر يجالس أصحابه وتلامذته لقراءة كتب التصوف في دار محبسة لغرض التربية والتعليم، وكان المتولي للقراءة والإقراء غيره من أصحابه، وكان لا يتدخل إلا لشرح ما أشكل من المسائل، وإلا فالغالب عليه الحذر والتحرز.

أحدث ابن عاشر مدرسة صوفية خاصة وسلك على يده تلاميذ صلحاء أخيار من أشهرهم ابن عباد الرندي ومحمد الزهري وطائفة ممن احتفظ بذكرهم كتاب السلسل العذب لمحمد بن أبي بكر الحضرمي. والظاهر أن ما ميز طريقة ابن عاشر، إضافة إلى اقتران العلم بالعمل، اعتماد أصحابها في عيشهم على كسبهم من استنساخ وبيع عدد من كتب الحلال والحرام، وبهذا يقول الحضرمي نجح في المغرب الفقه في هذا الباب. لما اشتهر به من حث لأصحابه على استنساخ كتبه وقراءتها وتصحيحها حتى فشت في الناس وتعيش من



نسخها جماعة من تلامذته. وكان هذا التوجه يشمل كتب التصوف أيضاً، ومنها *الرعاية والنصائح* للمحاسبي، و*قوت القلوب* لأبي طالب مكي، و*إحياء علوم الدين* للغزالي.

كان الشيخ ابن عاشر من أولياء الله الصالحين، حريصا على إخفاء أمره وطمس كثير من أخباره وسيره. وعلى الرغم من إيمانه بالكرامة وقوله بعدم انقطاعها بموت صاحبها فسيرة هذا الصالح والكرامات المنسوبة إليه تعكس تصوفا معتدلا غاية الكرامة فيه الاستقامة وتقوى الله. ولهذا فقد كان ينهي تلامذته عن الاهتمام بموضوع الكرامة وحفظها.

مرض الشيخ أحمد بن عاشر أربعة أيام قبل وفاته في رجب عام 764 / 1363، ودفن إلى جوار جملة من أصحابه في المكان الذي يوجد به اليوم ضريحه، وهو من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن وفرغ من بنائه في رجب عام 1247 / 1832. والسبب في بناء الضريح والمارستان يرجع إلى ما شاع لدى الناس من كرامات تعزو لهذا الولي الصالح القدرة على شفاء المفلوجين والمصروعين والمقعدين وذوي العمى والرمد.

م. الحضرمي، 1988 ؛ ل. الخطيب، *نفاضة الجراب*، 1986 ؛ م. بن عباد، *الرسالة الكبرى* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، 1965 ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر* ؛ بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*.

محمد فتحة

ابن عاشر، عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا، ولد بفاس سنة 990 / 1582، ذكر الفضيلي أنه من حفدة الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر السلاوي المتوفى سنة 765. وكان يسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين.

حفظ القرآن على يد الشيخ المذرر أحمد بن عثمان اللمطي، والقراءات السبع على يد أبي العباس الكفيف ومحمد التلمساني، وأخذ الفقه عن جماعة من شيوخ العصر كأبي العباس بن القاضي وابن عمه أبي القاسم وابن أبي النعيم الغساني وقاضي الجماعة بفاس علي بن عمران وأبي عبد الله محمد الهواري، والشيخ القصار القيسي، وقرأ الحديث عن سيدي محمد الجنان، وأبي علي الحسن البطيوي، وقد تردد على الزاوية البكرية وأخذ عن علمائها المبرزين. فكان يحضر مجالس مَحمد بن أبي بكر الدلائي في التفسير والحديث، ولما اشتغل أحمد بن القاضي المتوفى عام 1025 في آخر عمره بتدريس *صحيح البخاري* في جامع الأبارين بفاس كان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد ابن عاشر.

رحل إلى المشرق وأخذ عن سالم السنهوري وعن الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يحيى العزي الشافعي، والشيخ بركات الحطاب، وغيرهم، وحج سنةَ 1008، والتقى بالشيخ عبد الله الدنوشري، وأخذ طريق التصوف عن العالم العارف الشيخ سيدي محمد بن أحمد التَجيبي الشهير بابن عزيز دفين الدرب الطويل من فاس ـ المتوفى عام 1022 ـ وعلى يده فُتح عليه بسعة العلم والعمل، ووهم مخلوف في شجرة النور أن مترجمنا فُتِح عليه على يد الشيخ مولاي الطيب الوزاني.

تصدر ابن عاشر للتدريس والمشيخة والخطابة وشارك في جل العلوم، خصوصا علم القراءات والرسم والضبط والنحو والإعراب وعلم الكلام والأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض والمنطق والبيان والعروض والطب، وفاق شيوخه وعصره في جل العلوم، وذكر الشيخ ميارة في شرحه الكبير على *المرشد المعين* أن ابن عاشر "فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات"، وأخذ عنه جماعة من العلماء، نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة المتوفى عام 1072 وهو شارح *المرشد المعين*، وأحمد بن محمد بن أحمد بن علي الزموري الفاسي، الذي أجازه بإجازة قرآنية بتاريخ أوائل شعبان 1035، وتوجد مصورتها بذيل الحركة الفكرية، ـ الطبعة الفرنسية ـ للدكتور محمد حجي.

ومن تلامذة ابن عاشر نذكر محمد الزوين صاحب شرح منظومة *تحفة الأبصار* في أعمار العقار لأبي الفضل العجلاني، مخطوط زاوية وزان، المتوفى بفاس عام 1040 / 1631. والشيخ عبد القادر الفاسي المتوفى عام 1091، والإمام المعمر محمد بن سعيد المرغيثي، والقاضي محمد بن محمد ابن سودة ابن أخت ابن عاشر، المتوفى عام 1076 وغيرهم.

اشتهر الشيخ ابن عاشر بالورع والزهد والاعتكاف والجهاد والتواضع وحسن الخلق، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، مثابرا على التعليم كثير الإنصاف في المباحثة، ومن أقواله المأثورة في شروط الإجازة : "لو لم يجيزوا إلا لمن أتقن ما بَلَغَنا شيء"، وكانت له سلاسة في التعبير وحسن العرض لدروسه في القرويين، ولعل شهرته هاته ازدادت بتأليفه للأرجوزة الشهيرة : *المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*، التي تقوم على العقيدة الأشعرية وفقه مالك وتصوف الجنيد، وهي في 314 بيتا، ابتدأ نظمها حين أحرم بالحج، ثم لما انفصل عن حجه كَمَّلَ ما يتعلق بقواعد الإسلام الخمس، ولخص هدفه منها بقوله :

وبعد فالعون من الله المجيد ... في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك ... وفي طريقة الجنيد السالك

وقد كان للمغاربة عناية فائقة في حفظها وشرحها وختمها، كما اشتهرت خارج المغرب، من الجزائر إلى مصر وفي جل أقطار السودان الغربي. وتنافس عدد من العلماء في شرحها، وأشهر شروحها شرح تليمذه ميارة الذي سماه *الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*. ومن أطرف الشروح على *المرشد المعين* نذكر شرح أبي العباس سيدي أحمد بن مصطفى المعروف بابن علوية السمتغانمي الدرقاوي سماه : *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، وهو شرح

لطيف يعتمد في شرح أبيات المنظومة على الإشارات الصوفية.

وإلى جانب تأليفه للمرشد المعين، ألف الشيخ ابن عاشر مجموعة من الكتب نذكرها كما يلي :

1 ـ *شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن*.

2 ـ *الإعلان بتكميل مورد الظمآن*.

3 ـ *طرر على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط*.

4 ـ *طرر على الشرح الصغير للتتائي على مختصر الشيخ خليل*، المسمى *بجواهر الدرر*، قال فيها الشيخ ميارة : "وهي طرر جيدة بعضها يتعلق بكلام الشرح المذكور وبعضها بكلام خليل، حل فيها مشكلات ورفع بها إبهامات"، وقد أمر بتخريج تلك الطرر العلامة سيدي محمد بن أبي بكر، فأخرجت في أكثر من عشرين كراسا من القالب الكبير، وانتفع بها الناس وانتشرت في البلدان، وقيل إنها استخرجت في نحو أربعين كراسة.

5 ـ *رسالة في عمل الربع المُجَيَّب*، في نحو مائة وثلاثين بيتا من الرجز.

6 ـ تقييد على *العقيدة الكبرى* للإمام السنوسي.

7 ـ *حاشية على الجعبري*.

8 ـ *شرح على مختصر خليل من النكاح إلى العلم*، التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ التوضيح وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة، ونكتا غريبة جلها من بنات أفكاره.

9 ـ *شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح*.

10 ـ *نظم في النكاح وتوابعه من طلاق وغيره*.

11 ـ *مقطعات في جمع نظائر مهمة من الفقه والنحو*.

12 ـ شعر له يوجد ضمن أقدم كناشة مغربية باقية وهي الكناشة الزجالية لمحمد بن قاسم الزجالي المتوفى عام 1072. والكناشة كانت في ملك محمد الفاسي، ولعلها اليوم بالخزانة الحسنية.

13 ـ تقريض على منظومة علي بن عبد الواحد الأنصاري المسماة : *اليواقيت الثمينة، فيمن انتمى لعالم المدينة*، مخطوط الخزانة الحمزاوية.

ويعتبر الشيخ ابن عاشر من سند المغاربة في سلسلة الفقه المالكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذين يروون سنده أبو سالم العياشي في فهرسته عن طريق سيدي عبد القادر الفاسي، وقد احتج بأقواله في الفقه المالكي في 83 موضعا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المصري المتوفى عام 1230 في حاشيته على الدردير في شرح مختصر خليل. وكثيراً ماشهدت المساجد في المغرب ختم نظم ابن عاشر.

توفي الشيخ ابن عاشر ـ رحمه الله ـ بعد مرض مفاجئ قيل بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة، وقيل مات مسموماً بسبب سم وضع له في نوار الياسمين عند اصفرار يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040 / 3 يوليوز 1631، وهو ابن خمسين سنة، ودفن من الغد في مطرح الجنة المعروف أيضاً بمطرح الجلة قرب مصلى باب فتوح بفاس، وبني عليه قوس معروف غرب روضة سيدي يوسف الفاسي بجوار السادات المنجريين، وهو مزار متبرك به.

م. بن أحمد ميارة، *الدر الثمين والمورد المعين*، مصر، 1380، ص. 3 ـ 5 ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، ص. 112 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 59 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 283 ؛ م. الفاسي، *المورد الهني*، مخ خ ع 1234 ك. ص. 185 ؛ ابن علوية المستغانمي، *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، تح. سعود القواص، دار ابن زيدون، بيروت، 1986 ؛ الدسوقي، *حاشية على الدردير*، تح. محمد عليش، بيروت، دون تاريخ ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2، ص. 344 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 327 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 299 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم التاسع، ص. 507 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 274 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، ص. 408 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات*، ص. 224 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 94، وص 102 ـ 104 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1، ص. 145، ج 2، ص. 370 ؛ المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص. 150، وقبس من عطاء المخطوط المغربي، 1، ص. 264، وص. 449، وص 536.

أحمد ايشرخان

عاشر، محمد بن **عبد الرحمن** من أسرة أندلسية، نعرف منها في القرن السابع عشر المدعو قاسم عاشر. وأول ما يعرف عن المترجم له أنه كان من المقربين لدى باشا تطوان علي بن عبد الله الريفي حين عينه سنة 1701 نائب بيت المال. وبرز محمد عاشر على عهد السلطان محمد بن عبد الله ما بين 1766 و1787 بصفته حاكم تطوان، حسبما أعلن عنه في اتفاق 28 مايو 1767 بمناسبة تعيينه وكيلا إلى جانب اللجنة الإسبانية المكلفة بتعيين حدود الثغور المحتلة، غير أن مشاركته لم تظهر في تلك المهمة أو التي تلتها سنة 1784 بخصوص تعيين حدود سبتة، إلى أن أعفاه السلطان من مهمته سنة 1787 لكبر سنه.

مراسلات الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد، سنة، 1767، ملفات، 4351 ـ 4311 ـ 4308 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ م. بن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطوان، 2000.

حسن الفگيگي

عاشور، أسرة الأندلسية رباطية، عرف بعض أفرادها بالجهاد البحري في عهد السلطان محمد بن عبد الله 1757 ـ 1790. فكان هناك شخص يحمل اسم عاشور دون اسم آخر أورده الضعيف (ت. العماري، ص. 196) وكان من رؤساء البحر تكلف سنة 1200 / 1785 بمهمة سفارية لدى إحدى الدول الأوربية صحبة زميله لبُريس.

عاشور، أحمد رايس بحري معاصر للسلطان مولاي

عبد الرحمان بن هشام. ورد اسمه في الوثائق كقائد من رؤساء البحر، إلاّ أنه لم يكن يقود السفن أو يدرب البحرية على غرار الرؤساء البحريين الآخرين، وإنما كان له اطلاع بما سمي بعلم البحر فكان يدرّس علمه للطلبة، ورد اسم الرايس عاشور في رسالة رحمانية موجهة إلى القائد بوسلهام بن علي أزطوط في 5 جمادى الأولى 1257 قال فيها : (وبعد، وصل كتابك مخبرا بأن أهل الرباط عينوا الرايس عاشور للسفر مع من تعين من أهل العدوتين ليتعلم أمور الجهاد صحبة الآسكونة التي أمرنا بسفرها، فتمارض لأن العلم الذي عنده إنما هو بالقول دون الفعل، ولم يتقدم له سفر في البحر فأخروه ووجهوا الحاج أحمد والحاج).

و. الخزانة الملكية محفظة، 7 الموانئ والملاحة، ظهير جمادى الأولى، 1257.

عاشور، أحمد وُلد في 13 أكتوبر من سنة 1919 بمدينة أسفي في عائلة متواضعة كانت تمتهن الحيَاكة أباً عن جد وتعيش في كفاف وعفاف، نشأ الطفل أحمدَ بهذه المدينة وبها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف بالرباط لمتابعة دراسته الثانوية، ثم بعد تخرجه من شعبة تكوين المعلمين، عُيّن معلما بإحدى المدارس الابتدائية بمسقط رأسه، وعمل عدّة سنوات برهن أثناءها عن كفاءته وإخلاصه فتَمَّ تعيينه مديراً لمدرسة ابتدائية مختلطة، وهي الوحيدة التي كانت آنذاك توجد بإفران. وبما أن المدير عاشور كان لا يفتر عن المطالعة والبحث، فقد تمكن سنة 1949 من الحصول على دبلوم اللغة العربية الذي كان يمنحه معهد الدراسات العليا بالرباط، فكان من أوائل الشبان القلائل الذين حصلوا على هذا الدبلوم في ذلك العهد، وبذلك تَمَّ التحاقه بالتعليم الثانوي كأستاذ مكلف بالدروس بثانوية أزْرُو سنة 1951، وظل يعمل بهذه المؤسسة إلى أن نُقلَ، بنفس الصفة، إلى ثانوية أخرى بالدار البيضاء ؛ ثم تقدم سنة 1956 إلى مباراة التفتيش، فكان النجاح حليفه وأُسندَ إليه وظيف مفتش جهويّ للتعليم الابتدائي بنواحي الدار البيضاء، وبعد أن قضى عدة شهور في التدريب بفرنسا نال في نهايتها شهادتين أخريين، إحداهما من معهد لونشان Lonchan، والاخرى من معهد سان كلو Saint Cloud، عاد إلى المغرب



حيث أسندت إليه مهمة مفتش جهوي بالدار البيضاء سنة 1958.

ثم نظراً للكفاءة التي برهن عنها السيد عاشور خلال السنوات التي قضاها بنجاح في ميدان التربية والتعليم، عينته وزارة التعليم في السنة التالية (1959) مندوباً للسهر على التعليم في شمال المغرب وإصلاح الأوضاع التي خلفها الاستعمار الاسباني في هذه المنطقة.

وبما أن المغرب كان في ذلك الوقت لا يتوفر على عدد المعلمين اللازمين لا كمّاً ولا كَيْفاً، فقد أنشأت الوزارة قسما خاصاً بتكوين هؤلاء الموظفين، فنادى وزير التعليم على السيد عاشور وأسند له تسيير هذا القسم، فعمل على إحداث عدد من مدارس المعلمين بمختلف مدن المغرب ونظم دروساً بالمراسلة لفائدة المعلمين غير الرسميين، كما ساهم في تمثيل المغرب في عدد من المنتديات والمؤتمرات الدولية بصفته ممثلا لبلاده في منظمة التربية والتعليم.

ولما عين الدكتور بنهيمة وزيراً للتعليم سنة 1965، أسند مديرية ديوانه إلى السيد عاشور.

وفي سنة 1966، شاءت الاقدار أن نسافر أنا وإياه إلى مرسيليا بفرنسا على رأس وفد من مفتشي التعليم الثانوي، هو بصفته مديراً لديوان الوزير، وأنا بصفتي رئيساً لقسم البحث والعمل التربوي، وذلك بقصد تنظيم تدريب بيداغوجي لفائدة الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا سيفدون على المغرب للتدريس بمختلف الثانويات المغربية. فسافر الوفد على الطائرة، إلا السيد عاشور، لأنه، كما قال لي، كان يشكو من بعض الألم بالقلب، ولما أنهينا مهمتنا بفرنسا، اضطر هو كذلك إلى ركوب الباخرة، ثم في اليوم 13 يوليوز، فوجئنا بخبر وفاته رحمه الله بمدينة مالقا باسبانيا، وكانت سنه لا تتجاوز 46 سنة، ثم نقل جثمانه إلى الرباط وتم دفنه بمقبرة الشهداء. ولقد منح بعد وفاته وسام العرش من درجة ضابط.

معلومات مستقاة من ولده السيد علال عاشور ومن معرفتي الشخصية له.

محمد الشياظمي

عاشور، أحمد بن **العربي** فقيه عالم، متضلع في الحساب والتوقيت، مؤرخ وهو أخو قاضي الجماعة مَحمد عاشور، تفقه عن شيوخ الرباط أمثال ابن العروصي وشارك في عدة فنون، له أنظام في موضوعات علمية وأشعار في أغراض أدبية يوجد بعض الأزجال منها في كنانيش المديح، وكان مولعا بالتقييد، خصوصاً فيما يرجع للهيئة والتعديل والحوادث التاريخية، وله أرجوزة شهيرة في التوقيت أورد المؤلف بوجندار مطلعها.

توفي في أواسط القرن الثالث عشر الهجري.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 49 ؛ م. دينية، *مجالس*.

عاشور، عبد الله بن **محمد** من علماء الرباط الذين اشتغلوا بالعدالة، وكان منخرطا في الطريقة التيجانية وعرف بالأخلاق الفاضلة وكثرة تلاوة القرآن. استخدمه المخزن عدلا في إحدى المراسي.

توفي في 11 ذي الحجة من سنة 1317 ودفن بزاوية مولاي العربي الدرقاوي بالرباط.

م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

عاشور، العربي الفقيه العالم السيد العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرُشي، المعروف بعاشور، من علماء الرباط ووجوهها، قال صاحب الاغتباط : "كان رحمه الله من علماء الرباط وأعيان عدولها أواخر القرن الثاني وأوائل المائة الثالثة بعد الألف".

م. بن الحاج مصطفى بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، دراسة وتحقيق، د. عبد الكريم كريم، الرباط، 1987 ؛ *تذكرة المحسنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2495.

سليمان القرشي

عاشور، عمر (الحاج -) ابن القاضي مَحمد. الفقيه النوازلي الصوفي الشهير كان جامعا بين علوم الشريعة والتصوف. قرأ على شيوخ الرباط كالطيب بسّير والمكي بن أحمد بوجندار والفقيه أحمد بن محمد بن الغازي وأحمد دينية. رحل إلى فاس فأخذ عن الكثير من شيوخها. تصدر للشهادة والإفتاء أيام القاضي أبي زيد البريبري والقاضي محمد بن إبراهيم. أرسله السلطان المولى الحسن إلى طنجة للفصل في قضية شرعية واعتكف على التدريس والإقراء خصوصاً الفقه والحديث والتصوف. من تلامذته الأديب أحمد جسوس والقاضي محمد الروندة والفقيه محمد بن عمرو والفقيه بنعيسى بنمسعود والشيخ فتح الله بناني ومحمد الرندي وغيرهم. اشتغل بالتصوف فتهجد ولبس المرقعة وأصبح تابعا لشيخه المربي عبد الواحد بن علال القصار المعروف بالدبّاغ. ألف عدة تآليف منها شرحه على مختصر خليل سماه *التعظيم والتبجيل*، ومنها شرح كتاب مبادئ التصوف سماه خلاصة التصرف، وله عدة شروح الأول على بردة المديح والثاني لأسماء الله الحسنى سماه *الأذواق العرفانية في الأسماء الإلاهية*، والثالث على المباحث الأصلية في طريق الصوفية. وله ختم على البخاري وختم على *المرشد المعين*. وله كتاب سماه *المقالة المرضية في بعض أحوال الطائفة الدرقوية* وآخر بعنوان *الكشوف الربانية والحقائق العرفانية* وآخر سماه *"الإتحاف بشهود الألطاف"* كما له مصنف في مناسك الحج وله حزب سماه *"حزب التضرع والابتهال"*، وله حكم تشتمل على وصايا ومواعظ ونصائح واشعار. حج في أول أمره واستخدم عدلا بمرسى الدار البيضاء وكذا بدار عديل بفاس.

توفي وعمره يتجاوز السبعين يوم الاثنين آخر ذي الحجة 1314 ودفن بزاوية شيخه مولاي العربي الدرقوي.

بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس*.

عبد الإله الفاسي

عاشور، مَحمد بن **العربي** بن مُحمد بن أحمد بن علي الأندلسي مَحتداً الرباطي مَولداً كان من أكابر العلماء المدرسين المفتين ذوي المشاركة في كثير من الفنون العلمية أخذ عن مشايخ الرباط في وقته كصهره العلامة القاضي ابن العروصي والقاضي أبي عبد الله الغربي وغيرهما، ويقول بوجندار : وقفت له على تأليف ينسب إليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء ألّفه للسلطان أبي الربيع قال في طالعته : "هذا وإن هذه رسالة حفيلة بالنصيحة والهداية، نهَج لي طريقتها وكشف لي حقيقتها سيدنا الإمام الأوحد أمير المؤمنين ابن مولانا محمد أبقاه الله عمدة للدين وقامعا لأهل البدع المعتدين وضعتُها في رَدِّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها وسموها "الافْرَاجَة" تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها محتاجة، وذلك كتشبه الرجال بالنساء وتشبه الرجال باليهود وكالمحاكاة لأناس معينين من قبيلة أو من بلد وكاتخاذ الصور وضرب الرجال آلات اللهو من أكْوالأت ومزاهير وغيرها وأخذهم بذلك أموالاً من غير طيب أنفس أهلها، بل يعطونهم حماية للعرض وتوقيا من الضرب والشتم وسائر أنواع الإذايات وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات" إلى آخر كلامه.

لقد كان القاضي عاشور من العلماء العاملين والقضاة الناسكين متحليا بحلية العلم والفضل متحرياً طريق الإنصاف والعدل، تداول قضاء الرباط ومراكش إلاّ ان ولايته بالرباط لم تكن من قبَل السلطان على ما نُقل عن الأديب ابن عمرو الرباطي الذي قال إنه في يوم الأحَد السابع من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف تعصّب أهل الفوضى بالرباط فأخّروا الفقيه السيد عبد القادر مُرينو عن القضاء ومنعوه الحكم بين الناس وكان والياً عليهم بتولية مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع، ثم في عشية الأربعاء بَعْدَه قدّموا محمد عاشور.

ويضيف بوجندار، لكن أخبرني حفيد المترجم الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور أن ظهير توليته موجود لديهم فلعله بعدما ولي من قبل أهل البلد أخّره السلطان بذلك الظهير، ومع ذلك فلم تدم ولايته بالرباط إلا بضعة أشهر لما كان عليه رحمه الله من الشدّة والصرامة في الأحكام، ومما يحكى في صرامته أنه جاء إليه الوزير ابن إدريس لداره مُتَشفِّعاً في إرجاع عدل عزله عن الشهادة فلم يشفعه وقال له كيف أردّه أنا والشرع عزله ؟ ! قيل وهذه القضية هي التي كانت سبب تأخيره عن قضاء الرباط، لكن بعد ذلك

أُسْنِد إليه قضاء مراكش، فمكث فيه نحو الخمسة عشر عاماً، وكان هو قاضي الجماعة يحكم بمقصورتي المُوَاسين وابن يوسف كما في كتاب *الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام* لابن إبراهيم. قال وكانت فيه حدَّة : سَجَن العلامة محمد السليطن حيث كان يفتي بنقْض أحكامه ويعترض عليه فيها ووقع بينهما لجاج ومنعه من الإفتاء ثم سرّحه السلطان مولاي عبد الرحمان في الحين، وكان لا يقبل من العدول إلا المبرّزين واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم واقتصر عليهم وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين، ولما خلفه في القضاء السيد الطالب بن الحاج ألزمه السلطان بالاقتصار عليهم لشهرتهم بالعدالة والتبريز.

كانت وفاة القاضي محمد عاشور بمراكش في حدود الستين والمائتين والألف، ودفن خارج المدينة بضريح سيدي عمارة قرب دار المخزن.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

عاشور، محمد بن **عمر** من علماء الرباط. درس العلم على كبر سنه فتلقاه من أبيه أبي حفص والشيخ فتح الله بناني وأبي حامد البطاوري والجيلاني بن إبراهيم. ولما استقى من العلوم ما أقنعه بإمكان التبليغ، وخصوصا في العربية والدين، تصدر للتدريس للأطوار الأولى فألقى دروسا في *المرشد المعين ورسالة* ابن أبي زيد. ومن تلامذته عبد الله الجراري الذي يذكر أنه حضر ختمه للمرشد في الزاوية المباركية.

اشتغل بالعدالة فكان من أكثر العدول استقامة. ويذكر الجراري أن عاشور كان أميل إلى التهور منه إلى الحزم واليقظة سواء في هيأته أو في عمله. ورشح عضوا بالمجلس الأعلى للجنايات بالمخزن ثم مستشاراً بنفس المحكمة وبقي يمارس هذه الوظيفة إلى وفاته. غير أن صوفيته وورعه كانا يمنعانه من الانغماس في هذا الوظيف الذي لم تطبق فيه مبادئ التشريع الحق وهو الوظيف المزمل بالدماء المحاط بهضم حقوق الناس.

ونظراً لما تمتع به من اعتبار وما كان لخطبه من تأثير مع الاختصار فقد اختير خطيبا للقصر في عهد كل من مولاي يوسف ومحمد الخامس. ولما كان يعتريه من المرض مايحول بينه وبين ممارسة مهنته فقد استأذن في أن ينيب عنه ابنه الحاج عمر ثم ابنه المعطي. وحظي طلبه بالقبول لما التمس من السلطان توظيف ابنيه في المخزن.

من آثاره العلمية شرح على رسالة لوالده في مناسك الحج، وخطب وتقاييد. كما ترك رسالة كفهرست لأشياخه.

توفي صباح الأحد 30 ربيع الثاني 1366 موافق 23 مارس 1947 ودفن بزاوية سيدي العربي بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*.

عبد الإله الفاسي

عاشوراء بالمغرب أو اليوم العاشر من المحرم. وقيل التاسع منه (*لسان العرب*، 4 : 469) أصبح هذا اليوم من الأعياد التي سنها الرسول - صلع - وصامه وأمر بصيامه (*السنن*، 2 : 326). وكان الشيعة وأتباعهم في فاس، قد جعلوا منه ذكرى حزن على مقتل الحسين بن علي (*فاس قبل الحماية*، 2 : 852) لكن هناك الذين اتخذوه يوم أفراح، تقام فيه الاحتفالات، ومنهم الأمويون بالأندلس وعامة المغاربة، بالمغرب الأقصى (*الخطط*، 2 : 389). ويتم الاحتفال بعاشوراء في المغرب على مستويين : مخزني وشعبي، وكان المرينيون من السباقين الذين اشتهروا بالاحتفال بعاشوراء ؛ خاصة في عهد أبي عنان. واقتفى أثرهم في ذلك، السعديون والعلويون (*فيض العباب*، 149).

جرت العادة خلال الاحتفال الرسمي بهذا العيد أن يقوم المخزن بالعناية بأبناء الضعفاء والمساكين، بتوزيع الملابس الجديدة والألعاب عليهم. وبرعاية السلطان السعدي أحمد المنصور، وبرئاسة القاضي سواء في المدينة أو القرية، كانت السلطة الدينية تقوم، بإعذار أطفال المعوزين (*السياسة والمجتمع*، 260). وكان ذلك يتم في حفل بهيج، تطغى فيه أنغام موسقى الآلة، على صراخ الصغار الذين تم إعذارهم. وللتخفيف من آلامهم وصرفهم عن البكاء، وتسليتهم، توزع عليهم هدايا وألعاب، لإدخال السرور على قلوبهم. وتقدم هبات نقدية لذويهم. (*مناهل الصفا*، 2 : 243) وتعميما للفرحة، كانت السلطة المخزنية تسمح لشخص يرتدي بطانة أضحية العيد ؛ أو جلد العجل الصغير ويضع لحية من الشَّعَر وسبحة من صدفات الحلزون وتسميه العامة "هَرْمَا" بأن يجوب القرى وأحياء المدن، ممسكا عصا. ويقوم بحركات تثير الضحك خاصة عند النساء والشباب والأطفال.

ويبدو أن السلاطين العلويين، قد وسعوا من دائرة الاحتفال بهذا العيد. فبالإضافة إلى إعذار أطفال المعوزين والعناية بهم ؛ كانت تقام في هذه المناسبة حفلة، في رحاب المشور سواء في فاس أو مراكش ؛ يحضرها الخاصة والعامة تسمى "لبساط"، وهو لون مسرحي يقوم على أساس الجرأة وترك الحشْمة، واستعمال طُرَف الكلام والمزاح والدعابة. وكان السلطان محمد بن عبد الله (1757 / 1790) يحضر هذا الحفل (*أبحاث في المسرح المغربي*، 14 و 15).

أما على المستوى الشعبي، فإن الاحتفالات بعاشوراء عند سائر المغاربة ؛ تتعدى اليوم العاشر، إلى بعض الأيام التي تليه. ويتم التهيئ لها انطلاقا من فاتح محرم، خاصة في المدن الأصيلة. إذ تصبح أسواقها زاخرة بأنواع ملابس النساء والأطفال ولعبهم ؛ وبالفواكه المجففة. ويبلغ الاحتفال بهذا العيد أوجه ليلة العاشر من هذا الشهر. فبعد تناول طعام الغداء المشتمل على الكسكس والخضر، والباقي من قديد أضحية العيد "الذِّيَّالة" ؛ تقوم الأم وبناتها أو بعض أقربائها بتهييء "لَقْرشْلاَت" وهي نوع من الحلويات الصلبة بحجم الفول. ولها مذاق شهي. وبعد صلاة العشاء، وبحضور

جميع أفراد الأسرة. وبعد أن تكون البنات والنساء، قد نقشن أيديهن وأرجلهن بالحناء ؛ والكبار والصغار قد ارتدوا، أبهى ملابسهم، يتم خلط هذه الحلويات بأنواع الفواكه المجففة التي اقتناها الأب مثل : اللوز والجوز والتمر والزبيب والحمص والتين ويسمى هذا الخليط "الفاكية" فتبادر الجدة أو الأم بتوزيع "الفاكية" على الحاضرين ودون إغفال الغائبين. وذلك بواسطة قدح، حرصا على قسمة متساوية. وتتم هذه العملية في بهجة وانشراح.

الملاحظ أن مظاهر تخليد هذه الذكرى متشابهة في مدن وقرى المغرب. لكن الاحتفال بها قد يتسع ليشمل أفراد العائلة، التي يكون أحد أبنائها أو إحدى بناتها، في طور الخطوبة ؛ أو أن زواج البنت لا يزال حديث العهد. ففي مرحلة الخطوبة فإن الخطيب هو الذي يعمل على تقديم الهدايا إلى خطيبته حسب إمكانياته المادية وتسمى " التَّفْكَدَة" وتضم بعض الملابس والحلي وبعض رؤوس الدجاج. ويسلَمها أبوه وأمه، إلى أسرة الفتاة. وتشكل هذه الهدية رمز محبة واهتمام وعناية الخطيب بخطيبته. أما في المرحلة التي يكون فيها زواج الفتاة في شهوره أو سنته الأولى، فإن أسرة العروسة هي الذي تعمل على تقديم "التَّفْكَدَة" لابنتها. وتسمى في هذه الحالة "عاشوراء". وبهذه المَناسبة، يأخذ الاحتفال حجما أكبر، ليشمل جميع الأقرباء وجيران الأسرتين. وتقوم أسرة العروس، من جهتها بتهييء وليمة عشاء، في هذه الليلة ولا يحضرها إلا النساء والفتيات من العائلتين. ويتم جلب جوق طرب نسائي "اللَّعَّابَات" وتشكل المدعوات وأفراد الجوقة حلقة يطربن داخلها ويرقصن فيها على أنغام وأهازيج متعارفة عليها بينهن. وقد لا يكتفي المدعون بالبقاء في منزل العروس، كما هو الحال في مراكش مثلاً. بل يخرجن للقيام، بجولة عبر الأزقة القريبة في الحي، رفقة اللعابات ويضربن على التعرجات والطبل والبندير، غير خائفات من ظلمة الليل، ومتحديات لوم الأزواج والأولاد مرددات :

هَذَا عَاشُورْ مَا عْلِينَا لَحْكَامْ   العِيدْ المَيْلُودْ يَحَكْمُو الرَّجَّالْ

أما اللواتي لم تستطعن الخروج فتسترقن السمع والنظر من فوق السطوح. وكانت النساء في فاس، يضفن إلى الخروج إلى الشوارع، صعودهن إلى السطوح لإيقاد شعلة من نار والتغني حولها بأغنية "لَلاَّ مَنَّانَة".

ويختم الرجال والشباب في مراكش هذه الاحتفالات الجماعية وما يرافقها من ألعاب وأهازيج شعبية، بلعبة الدَّقَّة المراكشية الشهيرة. وتقام في ساحات أكبر الأحياء، في المدينة القديمة وتطلق من منتصف ليلة العاشر إلى صباحه. ونقرأ تفاصيلها في (*معلمة المغرب*، 12ـ 4049) ويقوم باشا المدينة، بتكريم فرقة الحي التي تفوقت في هذه اللعبة. بمنحها هبة مالية، تنظم بها نزهة في حدائق أكدال قد تدوم ثلاثة أيام.

وفي صباح اليوم نفسه، ومباشرة بعد انتهاء الدقة، يقوم الشباب بإيقاد شعلة نار يقفزون عليها. ثم يتراشقون بالماء معتقدين أن ماء بئر زمزم، اختلط في هذه المناسبة بماء العيون والسقايات. وأن كل من اغتسل، أو تبلل به في هذا اليوم سوف لن يصاب بأي مرض طيلة السنة (*فاس قبل الحماية*، 2 : 855) وعندما تهدأ دقات التعاريج ونقرات القراقب والبندير، يذهب الناس نساء ورجالا لزيارة قبور أهلهم وذويهم. ولهذا يسمى هذا اليوم أيضاً يوم الزيارة أو يوم البركة. وفيه تؤدى الزكاة ويتم توزيع الهدايا والصدقات على الفقراء والمحتاجين. وكان المتصوف أبو عبد الله البَيْغي الكَمَّاد يطعم الطعام في هذه المناسبة رغم خصاصه المادي (*التشوف*، 271).

وذلك يدل على أن مساعدة الفقراء في هذه المناسبة، ترجع إلى فترة الموحدين إن لم تكن قد بدأت قبلهم. ويبدو أنها عرفت تطوراً انطلاقاً من فترة الحكم المريني (*السياسة والمجتمع*، 261). وكان التجار والحرفيون يشتغلون في عاشوراء معتقدين أن عملهم في هذا اليوم، سيكون مفتاح خير ويُسر وبركات ستعمهم طيلة السنة. بينما كانوا ينقطعون عن العمل في اليومين الموالين. فيسمون اليوم الحادي عشر، من محرم يوم "الربَا" والثاني عشر منه بيوم "قْطِيعْ الصَّبَاعْ" أي أن من يعمل فيه سيصاب بأمراض اليد والأَصابع. وهو ما اعتبره الفقهاء بالمغرب ؛ إضافة إلى مظاهر الاحتفالات الأخرى، ضربا من البدع التي أصبحت شائعة في هذا العيد. (*المدخل*، 1 : 289 *والرحلة*، 2 : 84).

أبو يعقوب يوسف التادلي ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1984 ؛ جمال الدين محمد ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر بيروت، بدون تاريخ ؛ محمد بن محمد بن محمد العبدري الشهير ابن الحاج، *المدخل*، دار الفكر، ج 1، بدون تاريخ ؛ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج، *فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، دراسة واعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1984 ؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، كتاب *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، مكتبة الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ ؛ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*، تح. عبد الله كنون، ج 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط. المهدية، 1964، تطوان ؛ محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت، *الرحلة المراكشية*، أو مرآة المساوئ الوقتية، دار المعرفة، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 ؛ *البحث الميداني*.

عبد السلام السعيدي

العاص، أحمد بن **محمد** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته مزوجة، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ فقد شارك في عدد من المعارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقرية غريب

علال وقدور بقبيلة بني سيدال يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) حيث سقط أسيراً بيد الإسبان وفيها استشهد زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد امزيان.

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

العاصمي، أحمد بن **محمد** بن **الحسن**. ولد بمراكش في أواخر القرن (19 م)، وبها نشأ ودرس. حفظ القرآن، وتابع دروساً في العلوم الشرعية والعربية، لكنه تخصص في علوم الرياضيات والفلك والتوقيت، وهي علوم عرفت تجديداً ونهضة كبيرة في القرن (19 م)، خاصة بفضل جهود سيدي محمد بن عبد الرحمان منذ كان خليفة السلطان بمراكش. وقد ضمت هذه المدينة عدداً من كبار علماء هذه التخصصات أمثال أحمد الصويري ت. 1902 ومحمد البخاري ت. 1926 (المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 : 220 ـ 225 ؛ ط. 1985) وقد حرص المترجم له على الأخذ عمن ادركهم من علماء هذا الجيل. ومن أساتذته الشيخ المعمر مولاي الحاج محمد القنوفي البوعناني الذي سبق له أن رحل للمشرق ودرس بمصر.

اجتهد أحمد العاصمي في تحصيل هذه العلوم حتى صار من أمهر أهل عصره في الرياضيات والتوقيت، وقد وضع حصة لعرض مراكش، لكنه لم يتكلف رسميا بتوقيت أحد المساجد.

وقام بتدريس هذه العلوم في جامع ابن يوسف قبل النظام، وبعد إحداثه في سنة 1938، وأخذ عنه طلاب من طبقات متعددة. كما تتلمذ عليه صنف آخر يضم المتخصصين، وهم إما موقتون رسميون أو ممن سيُرشحون، للتوقيت مستقبلا، وإما أناس لهم اهتمام شخصي وولع بهذه العلوم كلها أو ببعضها. ومن هؤلاء : أحمد بن الطبيب، موقت المسجد العباسي، ثم مسجد ابن يوسف، وأحمد بن محمد الحوزي، الذي برع في علم الفلك وألف رسالة *"إيضاح الادلة في مراصد الركلة"*.

ونزولا عند رغبة تلامذته ألف العاصمي "رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بها من جداول اللوغريتمات وكيفية استعمالها".

كما كان مبرزاً في علم الفرائض، إليه يُلجأ في حل مسائل الميراث العويصة، كالمناسخات من ست درجات أو سبع، وعليه يعتمد حتى كبار القضاة أمثال ابن إبراهيم مؤلف *"الإعلام"* والشيخ العبادي القاضي، بآسفي.

كان قد اشتغل لفترة بتجارة الثياب، وذلك بعد وفاة والده، الذي كان تاجر قماش في القيسارية، ثم مارس خطة العدالة. وبعد إنشاء "مدرسة الفضيلة" الحرة للبنات، سنة 1944 أسندت إليه إدارتها. وفي سنة 1953 أغلقت سلطات الحماية مدرستي الحياة والفضيلة، فخرج من مراكش ولحق بابن أخته مبارك الغراس في الدار البيضاء، وبقي هناك إلى سنة 1955. ثم عاد لمراكش واستمر في إدارة مدرسة الفضيلة، بعدما أعاد الفرنسيون المفاتيح إلى الغراس، إلى أن توفي في 2 ـ 4 ـ 1961 بمراكش.

كان أحمد العاصمي صوفياً، عابداً، ذاكراً، متواضعاً. ساند الحركة الوطنية مساندة روحية بليغة الأثر.

ح. الغراس، *الحياة الفكرية بمراكش في أواخر التاسع عشر وبداية العشرين*، مخطوط.

حياة الغراس

العاصمي، أحمد بن **محمد** بن **محمد** بلحسن العاصمي. تنحدر أسرته من قبيلة بني عاصم اليمنية. ولد بمدينة مراكش بحي الرحبة القديمة درب أعرجان عام 1318 / 1900 ونشأ في عائلة متوسطة الحال، تشتغل بالتجارة، وأقبل على التعليم منكبا على تعلم الحساب والرياضيات والتوقيت، والزيارج والتنجيم والزناتي. وقد أخذ هذه العلوم على الموقت الفلكي الحاج محمد البوعناني، والشيخ ابن كبور.

لم يكتف بما أخذه عن شيوخه، بل كان يَبْحَثُ عن الكتب القديمة التي تدور في دائرة اهتماماته الفلكية والروحانية وغيرها.

إلى جانب هذا كان يشارك في اللقاءات الأسبوعية التي تضم مجموعة الفلكيين أمثال : أحمد الحوزي الجديدي، أحمد الكنسوسي، محمد بن عبد الرازق، ابن الطبيب وغيرهم. وقد أجازه الحاج محمد البوعناني، والفقيه السيد محمد بن عبد السلام بوستة المعروف (بالسي أمان) زاوج بين التجارة والتدريس بمراكش، ثم اشتغل بالعدالة بمدينة آسفي، ثم بمدينة تازا، وآخر المطاف بمدينة مراكش. ونظراً لعزوفه عن هذه المهنة وما يرافقها من متاعب، تخلى عنها لتسند له مهمة تسيير مدرسة (الفضيلة) الحرة للبنات.

توفي عام 1381 / 1961. ودفن بمقبرة باب أدباغ وقد رثاه أخاه الشاعر عبد القادر حسن بقصيدة مطلعها :

يا راقدا ملك الأعنة حقبة ... في الخافقين وكان فينا المرجعا

آثاره : ترك رحمه الله *رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بهما من جداول اللوغاريثمات وكيفية استعمالها* بالإضافة إلى تعاليق وترجمات لجداول اللوغاريثمات.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العاصمي، حسن بن **زيد** هو شيخ قبيلة العاصم إحدى القبائل الخمس الهلالية التي أنزلها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بسهل تامسنا وهي : سفيان والخلط وبنو جابر ومقدم والعاصم.

استمرت زعامة حسن بن زيد للقبيلة طيلة عهد يعقوب المنصور 580 ـ 595 / 1184 ـ 1199 وبنيه إلى عهد الخليفة

المامون، ولما كان الضعف قد دب في أوصال الدولة الموحدية منذ هزيمة العقاب 610 / 1209 ـ 1210 وأصبح السادة من بني عبد المومن يتصارعون بينهم من أجل الوصول إلى السلطة ويعمل كل منهم كل الوسائل لتحقيق هدفه بما في ذلك الدسائس واستمالة القبائل العربية واصطناع الأتباع، فقد استغل حسن بن زيد ـ مثله ـ مثل بقية شيوخ القبائل ـ الظرف ولعب دوراً بارزاً في الصراع الذي احترم حول السلطة ما بين المامون وابن أخيه يحيى.

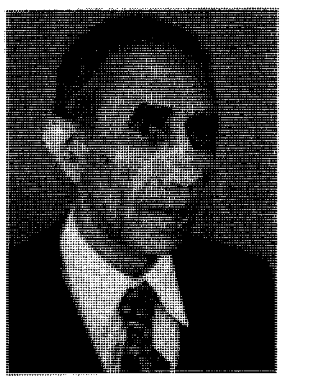
ولما هلك يحي بن الناصر 633 / 1236 أمر الخليفة الموحدي الرشيد بقتل حسن بن زيد الذي كان قد وضعه في السجن بمراكش فانتقلت بعد ذلك مشيخة قبيلة العاصم إلى عائلة أخرى وشخص آخر يعرف بأبي عياد واستمرت في عقبه طيلة عهد بني مرين.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، ج 2 و3، الدار البيضاء، 1954.

محمد حجاج الطويل

العاصمي، عبد القادر حسن مناضل وشاعر. ولد عام 1334 / 1915 تقريباً بمراكش. ونشأ في أسرة متواضعة كانت على شيء من العلم. كان والده يشتغل بتجارة الأثواب. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بالجامعة اليوسفية قبل التنظيم. ولم يكتف بما يدرس بالجامعة، بل كان على اتصال مع بعض رفاقه بثقافة الشرق، وما يصل إلى المغرب من كتب وصحف ومجلات، إلى جانب حفظه للشعر العربي في مختلف عصوره. ويعترف الشاعر أن العنترية كان لها الفضل في تكوينه الأدبي، إذ كان يحفظ الكثير من شعرها قبل أن يتعاطى الدراسة في ابن يوسف.

اشتغل في التعليم الحر وبالأخص في المكتب الإسلامي ـ وقد أصبح فيما بعد يسمى مدرسة الحياة ـ الذي كان يديره الأستاذ إبراهيم الإلغي، ثم بعده الأستاذ امبارك الغراس. ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية إلى أن نال المغرب استقلاله، فعين في أوائله مفتشاً عاماً لحزب الاستقلال في مراكش ونواحيها لمدة ثلاث سنوات، بعدها عين مستشاراً لوزارة الخارجية بضع سنوات إلى أن عين قائماً للأعمال في المملكة الأردنية الهاشمية، ثم في الخرطوم، ثم مستشاراً لسفارة المغرب في



القاهرة، قائماً لأعمال المندوب الدائم للجمهورية العربية. ثم نقل إلى وزارة الخارجية مرة أخرى حيث قضى نحو السنتين وعين قنصلاً عاماً في بنغازي بليبيا لمدة أربع سنوات. ثم نقل إلى وزارة الخارجية، بعدها عين قنصلاً في الجمهورية التونسية. وفي آخر عام 1393 / 1973 رجع إلى وزارة الخارجية حيث بقي فيها بالديوان إلى غاية 1398 / 1977 حيث أحيل على التقاعد.

حياته السياسية: يعتبر عبد القادر حسن، والأستاذ عبد الله إبراهيم، والمناضل محمد الملاخ من المؤسسين للحركة الوطنية بمراكش. وكانت أول حركة قاموا بها هي تقديم عريضتين سنة 1352 / 1933، ساهم بإمضائها بعض علماء مراكش، وأول من أمضى على العريضتين هو شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي وعمره يتجاوز التسعين سنة.

العريضة الأولى تطالب بتنظيم الدروس بالجامعة اليوسفية.

العريضة الثانية تطالب بفتح خزانة ابن يوسف لعموم الطلبة للمطالعة واستعارة الكتب، ولم يستجب لهذه الرغبة إلا سنة 1939 حيث أسس النظام بالجامعة اليوسفية. كما قاموا بتنظيم الخلايا الحزبية، وتأطير الحرف المهنية التي كانت مراكش سباقة لها، فنظموا الصفوف، ووحدوا الهدف للوقوف أمام غطرسة المستعمر الذي حاول من جهة إجهاض هذه الحركة بالاعتقادات والتنكيل والتعذيب، فسجن مرات عديدة مع رفاقه في الكفاح الوطني، وأبعدوا إلى المنافي.

وفي سنة 1364 / 1944 بادر إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال مع ثلة من الوطنيين المراكشيين، وتلا هذا التوقيع السجن والتعذيب إلى أن حلت ذكرى الثورة الفرنسية لسنة 1375 / 1955 حيث صدر عفو عام على جميع المعتقلين السياسيين. وقد نتج عن هذا السجن والنفي أن أصيب بأمراض عديدة منها مرض الكلي، واضطراب مزمن في الجهاز الهضمي والكبد.

حياته الأدبية: لما بدأ ينظم الشعر كان يعرضه على بعض أصدقائه ليعرف رأيهم فيه، وكان لا يجرؤ على نشر أي شيء لانعدام وسائل النشر، ولكن عزيمته وإصراره على الخوض في غمار النشر جعله يبادر سنة 1355 / 1936 بنشر ديوانه (أحلام الفجر)، واتخذت الإدارة الفرنسية موقفا من هذا الديوان حيث أوعزت إلى بعض أذنابها بعد أحداث سنة 1356 / 1937 برفع عريضة تكفير الشاعر بناء على بيت قال فيه الشاعر:

أنا قوة جبارة لا ترى لها مقراً ولو قد جازت فلك النجم

وقد قدمت هذه العريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس. وأثارت رداً معاكساً من طرف العلامة محمد الموقت حيث ألف كتابا سماه *(الجيوش الجرارة في كشف الغطاء عن حقائق القوة الجبارة)*، للرد عليهم، وشرح ما يقصد الشاعر بالقوة الجبارة.

كما نشر المترجم له مقالات وقصص بأسماء مستعارة في جريدة *الأطلس*، وجريدة *العلم*، وجريدة *المغرب*، وجريدة *التقدم*.

إنتاجه المطبوع :

1) *أحلام الفجر* : يضم قصائد نظمها في شبابه، وقدم له صديقه الأستاذ عبد الله إبراهيم. طبع عام 1355 / 1936.

2) ديوان *أغاريد للحرية* : قصائد هذا الديوان كتبت كلها في فترة ما بعد الاستقلال.

المخطوط :

3) *مذكراته النضالية والسياسية* : مرقونة على الآلة الكاتبة.

توفي بمدينة الرباط يوم الأربعاء 15 شوال 1416 الموافق 6 مارس 1996 وأقبر بالرباط.

مذكراته، *جلسات عقدتها معه* ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العاصمي، المهدي بن محمد بن الحسن، ولد بمراكش سنة 1912. حفظ القرآن، وحضر بعض دروس مبارك الغراس في العلوم الدينية، كما أخذ مبادئ في علم الحساب عن أخيه الميقاتي أحمد.

عمل في صناعة وتجارة المصنوعات الجلدية في سوق الشكايرية، ثم انتقل إلى "مكتبة الشعب" في القصور، التي ساهمت بدور أساسي في المجهود الوطني بمراكش، تمثل في بيع الصحف الوطنية، والمطبوعات التي تصل من الشرق، بفضل خدمات "البريد الانجليزي".



يعتبر المهدي العاصمي من مناضلي الحركة الوطنية الأوائل، فقد ساهم في تكوين خلايا الحرفيين والتجار سنة 1936، وفي التهييئ لانتفاضة مراكش الكبرى سنة 1937. وقد عاني من الاضطهاد والاعتقال والنفي. حيث نفي في فبراير 1952 إلى تازناقت، ضمن مجموعة من المناضلين، وذلك بعد نجاح الوطنيين بمراكش في إفشال مخطط السلطة الاستعمارية الرامي إلى تضليل وفود أمريكا اللاتينية أثناء زيارتها للمغرب، وإلى إبراز الحماية كنظام يخدم تقدم المغرب. وأطلق سراحه في ماي 1952. وبعد عدة شهور نفي مرة أخرى إلى الصحراء.

ومن المضايقات التي كان يتعرض لها، إغلاق "مكتبة الشعب" مراراً من طرف السلطات الاستعمارية.

كان شديد الغيرة على الدين والوطن، متميزاً بنكران الذات، وبالتواضع والصبر الجميل على المكاره. كما كان، رحمه الله، صاحب نكتة، دَمِث الأخلاق.

توفي يوم 6 - 1 - 1998 بمراكش.

حياة الغراس

العاطرية (حضارة -) وجدت بقايا الحضارة العاطرية بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في كل شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقاً منها :

كهف الخنزيرة، وكهف دار السلطان، وكهف تمارة، وتيط مليل والعنق ومغارة تافوغالت ومنطقة اسمارة في المغرب ؛ وبئر العاطر، ووادي جوف الجمل، والكهف الأحمر، ووادي سرديس، وجبل عياش في الجزائر ؛ وضواحي بنزرت، ومنطقة قفصة بتونس ؛ وفي وادي ما صودا، ووادي درنه، ومنطقة الجبل الأخضر في ليبيا. وتذهب كاطون طومسون إلى أن الصناعة القاصرية سرعان ما انتقلت إلى الواحات المصرية كسيوة، والداخلة، والخارجة حوالي العصر الحجري القديم الأعلى المبكر، بدليل وجودها في واحة الخارجة فوق طبقة الفالوازية مباشرة ...

ومن خلال المواقع الأثرية المكتشفة الآن، فإن أغلب المواقع العاطرية توجد ببلدان المغرب الكبير وخاصة المغرب والجزائر مما يدفع إلى ترجيح أصلها المغاربي. إلا أن هناك من له وجهة نظر أخرى وخاصة الباحثة كاطون طومسون التي ترجح الأصل الأسيوي لصناعة النصال العاطرية باعتبار أن الحضارة السبيلية بمصر تمثل مرحلة انتقالية بين الموستيرية والعاطرية. كما يذكر رشيد الناضوري أن الصناعة العاطرية تشبه صناعة "الحضارة الفالوازية المستيرية الفلسطينية" في الإنتاج الصناعي وفي انتماء كل منهما لفترة زمنية واحدة.

وقد استعمل الكربون C14 في تحديد تاريخ بعض البقايا المتفحمة التي عثر عليها في بعض المواقد في طبقات كهف هو افطيح في منطقة وادي درنة بليبيا أعطت 43000 قبل الميلاد بينما يقدر عمر الحضارة العطارية في المغرب (تمارة ودار السلطان) بحوالي 45000 قبل الميلاد.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن المواقع وتركزها على الساحل الغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قوياً نحو الجنوب في الصحراء، إلى أن تتوقف بصفة عامة على ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد. يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي

شمال أفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كلا المنطقتين ؛ وأن العلاقات الحضارية هذه المرة، كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً وغربياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال أفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد طرح نقاش حول طريقة وصول هذه الحضارة إلى الصحراء. ويقدم الباحث هوكو افتراضاً ينطلق من أن التعمير العاطري للصحراء بدأ منذ حوالي 30000 سنة ق. م حين اتجهت موجات الإنسان، صاحبة الحضارة العاطرية، من بلدان شمال أفريقيا نحو الصحراء، وانتشرت شمال الصحراء. واستقر أخيراً العاطري في المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية ووصل إلى المرحلة النهائية السابقة على العصر الحجري الحديث. ويعتمد هوكو في هذا الافتراض على التشابه الكبير بين الأدوات النهائية في موقعي مغارة العالية بطنجة في المغرب ودار السلطان قرب الرباط في المغرب أيضاً، العائدين إلى حوالي 25000 سنة ق. م من جهة وأدوات المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية بالصحراء وعدم وجود صناعة ما قبل تاريخية أخرى بها بين الحضارة العاطرية والعصر الحجري الحديث من جهة أخرى.

ويبدو من خلال الدراسات والأبحاث الأثرية التي عرفتها مواقع الحضارة العاطرية أن هذه الأخيرة بدأت في الظهور انطلاقا من العصر الحجري القديم الأوسط (50000 ـ 45000 قبل الميلاد) واستمرت إلى العصر الحجري القديم الأعلى (20000 قبل الميلاد) لتخلفها الحضارة الايبيروموروية في شمال إفريقيا.

م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ *نماذج من التوصل بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى*، مجلة العلوم الإنسانية، العدد السابع، 2001، ص. 7 ـ 48 ؛ **جذور بعض مظاهر** *الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ*، الرباط، 20 دجنبر، 2002 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيمط، **حضارات** *ما قبل التاريخ*، تونس والبلدان المغاربة، اليف، ط 2، تونس، 1993 ؛ ر. الناضوري، *المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري*، بيروت، 1977 ؛ م. أبو المحاسن، عصفور **معالم** *تاريخ الشرق المدني القديم*، بيروت، 1979 ؛ أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف، **دراسات** *في تاريخ مصر الفرعونية*، الأسكندرية، 1999 ؛ م. بيومي مهران، **دراسات** *في تاريخ الشرق الأدبي القديم مصر*، الأسكندرية، 1982.

Caton Thomson, *The ateran industry, its place and signifiance in the paleolithic word*, *JRAI*, V, 1946 ; S. Chevaillon, *Homme et cultures du paléolithique moyen*, *Science et vie* n° 129 ; Reygasse, *Etudes de palethnologie maghrébine*, *Recueil de la société archéologique de Constantine*, vol. 3, (1921 - 1922), Asscoiation française pour l'avancement des sciences, 46è congrès (1922), *Etudes de paléonthologie maghrébine* (Nouvelle série, *l'anthropologie* 25, 1919 - 1920) ; R. M. Gramly, *Neolithic flin implement Assemblages from Saudia Arabia*, *JNES*, 30, 1971 ; Mc. Burney, *The stone age of northern Africa*, London, 1960 ; Id., *Haoua fteah (Cyrenaica) and the stone age of the south-east mediterranean*, London, 1967 ; A. Gilman, *Neolithic of north-west Africa*, *Antiquity*, XLVII, n° 192 december 1974 ; J.F. Ade Ajayi et M. Crowder, *Atlas historique de l'Afrique*, Paris, 1988 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 1966 ; Alimen, *Préhistoire de l'Afrique*, VII, Paris, 1955 ; A. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; H. J. Hugot, *Documents scientifiques des missions Berlier Tenere, Tchad*, Paris, 1922 ; *Limites meridionames dans l'Atérien*, *Actas* N. Coryr, P.P.E.R. 1974 ; Id., *Le Sahara avant le désert*, Paris, 1974 ; Id., *L'Afrique préhistorique*, Paris, 1967 ; Pallary, *Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest, l'Afrique*, 1909.

مصطفى أعشي

ابن أبي **العافية** أبو **القاسم** بن محمد المكناسي الفقيه العلامة النحوي المشارك المقرئ الحيسوبي الفَرَضي.

أخذ الفقه عن أبي زكرياء يحيى السرَّاج، وعبد الواحد الحُميدي وغيرهم، والقراآت عن أبي عبد الله محمد بن أحمد مَجبر المستاري، وأبي القاسم المشترائي، وأجاز له ابن جابر المكناسي في القراآت وفي كل ما تجوز له وعنه روايتُه، وأخذ النحو عن أبي العباس أحمد بن علي القَدُّومي الأندلسي وأبي الحسن الحاجي وغيرهم، والفرائضَ والحساب عن أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، وأخذ عن جماعة يطول ذكرُهم، وكانت له مَلكة جيدة في هذه العلوم وخصوصاً النحو فإنه فيه واحدُ زمانه.

ألَّف شرحاً حافلاً على *ألفية ابن مالك* في النحو في مجلدين كبيرين، وشرحاً على *مقدمة ابن آجروم* في مجلد ضخم، وله تعليق على *شراح ابن أم قاسم المرادي* على *الألفية*.

وُلد سنة 960 (وفي نسخة : ست وتسعين) وهي الصواب لأن ابن القاضي قال عنه : وهو حي من أهل العصر ومعلوم أن ابن القاضي ولد سنة 960 وتوفي 1025.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، 3 : 287، ط. مصر، تح. محمد الأحمدي أبو النور.

ابن **العافية، محمد** بن **أحمد** ابن العافية الزَّجْني المصمودي الفقيه العلامة النسابة المدَرس الفاضل. أصلُه من مجشر (زجّن) أو (ازاجن) كما عند الأستاذ داود نقلاً عن غيره والصواب أنه (أزْجَن) ومازال بهذا الاسم إلى الآن، بقبيلة مصمودة، قرب مدينة وزان.

أخذ عن الشيخ أبي السعود عبد القادر الفاسي وطبقته. وتولى قضاء، مصمودَة العرب، ثم قضاء تطوان عام 1111. له تآليف منها (*دواعي الطرب، في اختصار انساب العَرب*). وقفتُ على مختصر منه في أوراق بخط الأستاذ محمد داود، وهو في أشراف المغرب نَقَلَ فيه تحرير نُقباء الأشراف الموجودين يومئذ بالمغرب لطبقات أنسابهم المتواترة والصحيحة والضعيفة والمنكرة، وقَيَّد شهادة أعيان الشرفاء بذلك، وأدّى هو شهادتَهم، ووَجَّه نسخة للسلطان إسماعيل بن الشريف العلَوي، ونسختَين للقائدَيْن : أحمد بن حَدّو الريفي الحمامي، وعلي بن عبد الله الحمامي الريفي والنسخة الثالثة هي التي أبقاها بيده، وسماها بالاسم المذكور.

توفي رحمه الله بتطوان قاضياً عام 1115.

نشر المثاني، للقادري ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق، د. محمد حجي، 5 : 1896، دار الغرب ؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، نسخة خاصة مخطوطة مصورة ؛ م. داود، تاريخ، 2: 286، ط. تطوان.

العافية، محمد الصُّغَيِّر بن الحاج أحمد الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1029، وهو العلامة الفقيه المجوّد المُدَرِّر العدل الموثق، النحوي الماهر، المتقن الدراكة، صحب الشيخ أبا السعود عبد القادر الفاسي الفهري ولاَزَمه كثيراً في العربية والأصليْن وسائر فنون المعقول والمنقول، مستظهراً الأمهات في ذلك حجة ضابطاً في كل فن.

لم يزل يُعلّم الصبيان بمكتَب رأس الجنان، ويؤمُّ الناسَ مدة حياته بمسجد حومة رأس الجنان، ثم بمسجد السمارين قرب الرصيف.

وبَعَثَه أهلُ فاس لقضاء غَرض لهم إلى رئيس الزاوية الدلائية : محمد الحاج الدلائي، فَخَرَجَ إليها، وأدركته منيتُه بها عشيةَ يوم السبت تاسعَ عشر ـ أو عشرين من محرم الحرام فاتح 1074 وحُمل في تابوت إلى فاس حيث دُفن بروضة سيدي رضوان الجنوي خارج باب الفتوح رحمه الله

الإكليل والتاج، مخطوط ؛ تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1525، ط. دار الغرب.

العافية، محمد العربي بن **محمد** الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1018. وهو الفقيه المتعبد الصالح الحازم الضابط، كان مذرّراً، وانتفع به خلق كثير، منهم الإمامان : محمد وعبد الرحمن ابني أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، ولم تُحْفَظ له صبْوة قط، ولذلك كان مُعظماً محترماً في أعين الخاصة والعامة. صَحب الشيخ الشهير أبا عبد الله محمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي الفاسي، وبعد وفاته صحب الشيخ عبد القادر الفاسي، وكان هذا يثني عليه.

وتوفي سنة 1115.

م. القادري، الإكليل والتاج، مخطوط ؛ نشر المثاني ؛ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 5 : 1896.

محمد بوخبزة

ابن أبي **العافية، موسى** بن أبي **ياسيل** بن أبي الضحاك بن مجدول أمير مكناسة بالمغربين الأوسط ثم الأقصى.

اقترنت أخبار موسى بالصراع بين العبيديين والأمويين حول النفوذ بمنطقة المغرب خلال النصف الأول من القرن الرابع (10 م). ويمكن اعتبار هذا القائد نتيجة منطقية لهذا الصراع. فقد لجأت الخلافة الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس إلى سياسة التدخل غير المباشر في بلاد المغرب من خلال خلق أتباع ينفذون بهم مخططاتهم ويدافعون على مصالحهم. فكان موسى في واقع الأمر صنيعة العبيديين وأداة طيعة وقوية في تحقيق أطماعهم التوسعية بالمغرب وإعاقة المد المرواني به.

ظهر اسم موسى بن أبي العافية لأول مرة على مسرح الأحداث بالمغرب الأقصى سنة 305 / 917 عندما بدأ العبيديون يتطلعون إلى توسيع نفوذهم إلى أبعد نقطة غرب المغرب الأوسط، فأرسلوا قائدهم مصالة بن حبوس في أولى حركاته إلى المغرب الأقصى واستولى على فاس واستنزل صاحبها يحيى بن إدريس ورده إلى طاعة عبيد الله الشيعي وأبقاه أميرا عليهما، ثم عقد لابن عمه موسى على شمال المغرب من الريف إلى وادي أبي رقراق.

ولما عاود مصالة غزو المغرب الأقصى سنة 307 / 919 تأجج النزاع من جديد بين أدارسة فاس وموسى بن أبي العافية الذي أغرى مصالة بيحيى واعتقله ثم طرده ليلتحق ببني عمه بالبصرة وبلاد الريف، فاستبد موسى ثانية بحكم جزء كبير من بلاد المغرب الأقصى بعد عودة مصالة إلى القيروان وأصبح نائب عبيد الله المهدي بالمنطقة ومقيم دعوة الشيعة بها. وبما أن هذا التطور في سياسة العبيديين قد رجح كفة بني أبي العافية على حساب الأدارسة وجعل مصيرهم في يد موسى قام زعيم الأدارسة الحسن بن محمد بن القاسم الملقب بالحجام بإعلان الثورة على ابن أبي العافية سنة 310 / 922 فاستولى على فاس ونواحيها وقتل عاملها للعبيديين ريحان الكتامي، ثم اشتدت الحرب مع موسى عند لقائهما سنة 311 / 923 في فحص الزاد ما بين فاس وتازة وتمكن الحجام من الإيقاع بغريمه وقتل من جنوده عددا كبيرا من بينهم منهل بن موسى. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى تمكن ابن أبي العافية من استعادة نفوذه على فاس بعد ثورة أهلها على الحجام. وبعد إمساكه بزمام أمور المدينة اتجه إلى الانتقام من خصومه ومناوئيه، وعلى رأسهم حامد ابن حمدان الهمذاني الأوربي الذي كان السبب في دخول موسى مدينة فاس، لكنه أدرك الخدعة ففر منه والتحق بمهدية إفريقية. ثم لحق موسى بعدوة الأندلس وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي وولى مكانه أخاه محمدا. ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبي زيد. من جانب آخر جمع موسى أدارسة فاس وأجلاهم إلى قلعة حجر النسر بمحاذاة البصرة وحاصرهم بها مرارا ولم يقلع عنها إلا عندما ارتفعت أصوات رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته يستنكرون فعله القبيح بآل البيت.

بعد أن تيقن موسى من إحكام قبضته على فاس وأعمالها استخلف ولده مدين عليها وزحف نحو تلمسان سنة 319 / 931 فملكها وتغلب على أحوازها وأخرج منها أميرها الحسن بن أبي العيش أحد حفدة سليمان بن عبد الله أبي إدريس الأكبر. بعد ذلك رجع إلى نكور واستولى عليها وجميع أحوازها في شهر شعبان من سنة 320 / غشت 932 ثم عاد إلى فاس مقر حكمه.

بعد استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان نقطة

تحول حاسمة في العلاقات بين العبيديين وحليفهم المكناسي. فهذا التوجه في حملات موسى العسكرية يعلن عن حقيقة طموحاته في توسيع نفوذه على حساب حلفائه ويهدد مصالحهم الحيوية ويؤكد حدوث القطيعة بينه وبين الفاطميين لأن ولاءه لهم كان عن غير ولاء ولا تشيع. ومن الأكيد أن ابن أبي العافية لم يخط هذه الخطوة دون أن يحسب لها ألف حساب وأن يفكر قبل ذلك في حليف جديد لم يكن بالضرورة غير عدو الفاطميين ونظيرهم في القوة العسكرية والطموح السياسي أي أمويي الأندلس. وسواء كان عبد الرحمن الناصر هو الذي فاتح موسى في أمر هذا التحالف حسب ابن خلدون أم أن موسى هو الذي بادر إلى موالاة الناصر لحاجته إليه كما ذهب ابن عذاري، فإن مصالح الطرفين اقتضت التقارب بينهما وخلق تحالف قوي مضاد لعدو مشترك. لقد كان لتحول موسى من الدعوة للعبيديين إلى الدعوة للمروانيين انعكاسات واضحة على طبيعة الصراع بين القوتين وعلى موازين القوى بين حلفائهما بالمنطقة. فقد عززت قرطبة وجودها بالمغرب الأقصى بفضل تحالفاتها مع أمراء زناتة كبني خزرون أمراء سجلماسة وأمراء مكناسة من بني أبي العافية، فأصبح التنافس في الرئاسة والتنازع على الأعمال بين الحيين قويا حتى أنه تسبب في وقوع اصطدامات بين زعيميهما محمد بن خزر وموسى بن أبي العافية حول مجالات نفوذ كل واحد منهما مما كان يضطر الخليفة الأموي إلى التدخل لفك النزاع بينهما. والحقيقة أن الناصر كان لا يثق في موسى لأنه "لم يكن لديه بالموثوق الطاعة، إذ كان والي عبيد الله الشيعي أول نجومه وارتسم بولايته" (*المقتبس*، 5 : 307). ومع ذلك فإن موسى كان يصر على تبعيته المطلقة للناصر وكان يقول عن نفسه : "وأنا عين أمير المؤمنين الكالئة في هذه العدوة" (*المقتبس*، 5 : 371). مع أن الناصر كان يميل لابن خزر ويستمع إليه، ولذلك عاتب موسى على خلافه مع منافسه وصالح بينهما. لكن المعطيات السياسية الجديدة جعلت الناصر يعول كثيرا على ابن أبي العافية في صد الزحف الشيعي على شمال المغرب في الوقت الذي تكلف ابن خزر بحماية مصالح الأمويين في الجنوب. ولذلك لم يتوان خليفة قرطبة في إمداد موسى بكل الوسائل العسكرية والمالية ولتمكينه من القيام بدوره كما كان يدعو البربر إلى مناهضة الخطر العبيدي ومقاومة قوادهم وينصحهم بالتعاون مع حليفه موسى الذي يشير إليه بقوله : "وقائدكم وأمير جماعتهم موسى بن أبي العافية، ولي أمير المؤمنين ومولاه... أن تكون أيديكم مع يده... وجميع أموركم منقادة إليه..." (*المقتبس*، 5 : 327 ـ 3287). لكن صاحب إفريقية لم يكن مستعدا لهذا النوع من الاستسلام أو الاكتفاء بالتحسر على خسارة حليف أساسي لذلك كان رده سريعا في إيفاد قوة عسكرية كبيرة بقيادة حميد بن يصل (أو يصليتن) إلى المنطقة سنة 321 / 933 والذي التقى مع جيوش موسى بفحص مسون قرب گرسيف وتطاحن الفريقان فانكسر جيش موسى وفر إلى عين اسحاق من بلاد تسول وتحصن بها. ثم توجه القائد الشيعي إلى فاس وملكها بعد أن فر عنها مدين بن موسى وولى عليها واليها السابق حامد بن حمدان الهمذاني وانصرف إلى إفريقية. وبعد ذلك بفترة قصيرة ثار أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على والي فاس الجديد عقب وفاة عبيد الله الشيعي سنة 322 / 934 وقتله وبعث برأسه وبولده إلى موسى الذي أرسلهما بدوره إلى الناصر الذي أقر ابن بكر عاملا على فاس تحت نظر موسى. وعادت بذلك الدعوة بالمغرب إلى بني مروان. ولما علم الخليفة العبيدي الجديد أبو القاسم بن عبيد الله بهذه الأخبار جهز قائده ميسور الفتى (الخصي أو الصقلبي) بجيش قوي وسيره إلى المغرب الأقصى سنة 323 / 935 فعجز موسى عن لقائه وتحصن بحصن ألكاي ببلاد الريف، وتقدم ميسور إلى فاس وحاصرها أياما واستسلم له عاملها ابن بكر وقيده وبعث به إلى إفريقية. بقيت فاس منيعة على جيوش ميسور مدة سبعة أشهر فاضطر إلى مصالحة أهلها والارتحال عنهم بعد أن أعطوه أموالا وهدايا وكتبوا بيعتهم إلى أبي القاسم الشيعي ونقشوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم. ثم اتجه ميسور إلى موسى فكانت بينهما حروب طويلة شارك في معظمها بنو إدريس إلى جانب القائد العبيدي الذي تمكن من هزمه وإجلائه إلى نواحي ملوية. وعندما وصل الخبر إلى الناصر بالخطر المحدق بالدعوة المروانية بالمغرب الأقصى بعد هزيمة حليفه عقد العزم على التحدي فأرسل سنة 324 / 936 أسطولا حربيا لنصرة حليفه وتعزيز موقعه أمام ميسور فافتتح مليلة ونكور وأرشقول وجراوة. فاعتز موسى بهذا الدعم وصارت إليه هذه المدائن ورجع إلى بلاده ليعاود حروبه مع ميسور والأدارسة سنة 325 / 937 إلى أن خمد أمر القائد الشيعي بعد أن سخط عليه مولاه أبو القاسم لأمر أنكره منه فقبض عليه ورحل إلى تاهرت وخف بذلك خطر العبيديين عن موسى. غير أن المصادر اختلفت حول مصير موسى بعد سنة 325، فبعضها ذكر أنه بقي طريدا ومشاغبا لميسور في صحراء بلاد ملوية إلى أن قتل وصار ما كان بيده إلى آل إدريس، وبعضها لم يذكر شيئا من ذلك واكتفى بالإشارة إلى أن مدين ولد موسى تولى مكان والده في ولاية أعماله باسم الخليفة الناصر. كما اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة موسى بين سنوات 326 و328 و341. ومع ذلك يبقى التاريخ الأول 326 / 938 الأقرب إلى الصواب، إذ أورد ابن حيان رسالة موجهة من مدين بن موسى إلى الخليفة الناصر بتاريخ ذي الحجة من سنة 326 يخبره فيها بوفاة والده، فأجابه الخليفة بالتعزية بأن وفاة موسى بن أبي العافية كانت بالضبط في شوال من سنة 326.

خلف موسى من الأولاد ثلاثة : مدين الوالي مكانه وأبا منقذ بعده ثم محمدا آخرهم واستمر هؤلاء على مناصرة الدعوة المروانية ومحاربة الدعوة الشيعية وبقايا الأدارسة، ويحكمون ما تحت إيديهم من بلاد ما بين گرسيف ونكور إلى

حدود سنة 363 / 974 عندما انقرضت دولة بني أبي العافية المكناسيين بالمغرب الأقصى وإن كان بعض المؤرخين يمددون هذه الدولة إلى حين قدوم المرابطين سنة 445 / 1053.

ابن حيان، *المقتبس* ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، ط. 3، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، 1934 ؛ ابن الخطيب، *إعمال الأعمال*، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1988؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط.

E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Leyde - Paris, 1950 - 1953, T. II, p. 82, 93 - 101, 104, 106 ; J. Vallvé Bermejo, *La intervención omeya en el norte de Africa*, "*Cuadernos de la biblioteca española de Tetuán*", 1967, T. IV, p. 7 - 39 ; Brignon, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967, p. 72 - 85 ; *Musa B. Abil - Afia*, *E.I.*, Paris, 1993, T. VII, p. 640 - 642 ; F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis, 1981, p. 134, 150 - 151.

رشيد السلامي

العَاقِل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aquil.

العاقل، علي بن محمد كان يزاول خطة العدالة سنة 1028 (1619).

العاقل، محمد بن **علي**، زاول نفس الخطة من سنة 1044 إلى 1074 (1635 - 1664).

العاقل، محمد بن **أحمد**، تعاطى الشهادة سنة 1113 (1701).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 4139.

محمد ابن عزوز حكيم

العالم، مَحمد بن السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي السجلماسي الفيلالي. أمه رومية، قيل إنها من أصل جيورجي تم أسرها في إحدى المعارك، فنقلت إلى الجزائر ومنها اشتريت للأمير المولى إسماعيل، حين كان عاملا على مكناس زمن حكم أخيه المولى الرشيد (Fontin, p. 251) ؛ وقيل إن أصلها إسباني (De Léon, p. 19). ورغم سكوت المصادر عن تاريخ ميلاده، فلا ينبغي بحال أن يكون سابقا لدخول عمه المولى الرشيد إلى فاس سنة 1076 / 1666.

وبناء على ما سبق، فقد يكون تاريخ ميلاد المولى مَحمد العالم حوالي عام 1077 / 1667. وبالتالي فإما أنه ولي ذلك المنصب وهو صغير السن، حيث ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرا، وهذا غير بعيد في بعض الأنباء، وإما أن تكون السيدة مگالي مورسي واهمة حين جعلت تاريخ تعيينه على فاس عام 1090 / 1680 (*Relation de Thomas Pellow*, p. 132 note 284)، بدل عام 1096 / 1686. ومن ثم، لا نستبعد أن يكون له من العمر، حين ولي ذلك المنصب، ما بين ثمانية عشر وعشرين عاما.

يعد مَحمد العالم من أبرز الأمراء العلويين على الإطلاق، حيث وصفه كل من ترجموه بالعلم والدين. قال فيه صاحب *المورد الهني* : "ويقاسون [أي العلماء] معه الشدائد لذكائه وشدة فطنته، مخافة الافتضاح معه في قصور فهم أو نقل" (*الإعلام*، 6 : 8). ومما جاء في *زهر الآكام* : "وهو عالم جليل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي إلى سواء السبيل" (ص. 175). ونوه به محمد بن الطيب القادري قائلا : "كان ماهرا في علوم كالنجوم والبيان والمنطق والكلام والأصول وله مشاركة في علوم أخرى" (*النشر*، 3 : 166). وكان حريصا على مجالسة العلماء مبالغا في تعظيمهم وإكرامهم، فاجتمع حوله جماعة منهم، سواء حين كان خليفة على فاس الجديد أو لما انتقل إلى تارودانت. أخذ العلم عن فحول علماء عصره، كعبد السلام القادري وعبد المالك التاجموعتي وأبي عثمان سعيد العميري ومحمد بن أحمد القسنطيني المدعو الكماد وأحمد بن العربي بن الحاج السلمي ومحمد المسناوي ومحمد بن أحمد الولالي. وقد أجازه معظم هؤلاء.

وبسبب نباهته وعلمه، أسند إليه والده خلافة فاس الجديد - مكان أخيه المولى محرز - وأضاف إليه الولاية على بني حسن، إذ كان السلطان قد فرض عليهم دفع زكواتهم إليه في كل عيد. لكننا لا ندري سبب عزله عن فاس، وتوجيهه إلى تافيلالت حيث قضى مدة من الزمن. لعل ذلك الإبعاد راجع إلى وشاية بعض مقربي السلطان، ممن كان لا يرضيهم تقريب والده له. يذكر ابن زيدان أن المولى إسماعيل كان "يشاوره ويعمل برأيه في المهمات، ويثني عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعي في التفرقة بينهما" (*الإتحاف*، 4 : 62). وفي هذا السياق زينوا له أن يعينه على درعة إبعادا له عنهم، لأنهم ضاقوا ذرعا بما كان يقوم به بجانب والده، حيث كان ينبهه إلى ما يخفونه عنه. فعينه على تلك الجهة، فأظهر من العدل والإنصاف ما جلب له محبة أهلها، فأثنوا عليه وتعلقوا به، وتقرب منه بعض أعيانها وتوثقت الأواصر بينه وبينهم، حتى مدحوه وحلوه بالألقاب السلطانية.

ومن شدة حرصه على العلم، أنه منع على أهل تلك البلاد قراءة البخاري، بسبب ما كان الناس يقعون فيه من الخطأ والتحريف، ومن أصر على القراءة امتحنه في نسخة لا نقط فيها ولا إعجام، فمن أصاب أقره، ومن أخطأ منعه (*الدرر المرصعة*، ص. 252).

إلا أن والده عزله عن درعة ليعينه واليا على مراكش وأعمالها. ويتفق الإخباريون على أنه سار سيرة حميدة في

الرعايا حتى "فرح بولايته العامة والخاصة"، "وزاد اشتهارا وبعد صيت، فدس له بعض خاصة والده ما أوغر صدره عليه" (*الإتحاف*، م. س. ن.)، فعزله من جديد.

ولما فرق السلطان أعمال المغرب على أولاده الكهول، في عام 1111 / 1700، ولاه على جهة سوس وأنزله تارودانت، ورتب معه ثلاثة آلاف من فرسان العبيد. فقام بمأموريته أحسن قيام (الزياني، *الترجمان*، ص. 25). وهنا بلغ ذروة مجده، بحيث لما استقر به المقام في قاعدته تارودانت، أحاط نفسه بجماعة من الفقهاء والأدباء، ذكرهم المختار السوسي (*المعسول*، 18 : 286) ؛ ومعظمهم من أهل الطريقة الناصرية، أخذوها عن الشيخ مَحمد بن ناصر أو عن ابنه أحمد الخليفة. فبالغ الأمير في مجالستهم ومخالطتهم، وكانوا يفدون إليه من كل صوب.

وتؤكد المصادر على ما حصل بين هؤلاء وبين الأمير من وئام لا حد له، فشغفوا به وشغف بهم، فداخلوه بالحديث عن أمر الملك بإيعاز من بعض بطانته (م. س. ن.)، وزينوا له وهونوا عليه أمره، لا سيما وقد توافرت بعض دواعي القيام ضد والده.

وتحفل تلك المصادر بالإشارات إلى ما كان مَحمد العالم ينكره على والده وخاصة تمليك الحراطين، تلك القضية التي أثارت جدلا كبيرا في ذلك العهد. وهنا ننقل ما قاله القادري بذلك الصدد : "ذلك أنه قام على والده منكرا لما هو عليه من تكسيب العبيد والتصرف في بناتهم بغير موجب شرعي" (*النشر*، 3 : 172). وعلل المشرفي تلك الثورة فقال : "وكان مولاي مَحمد ينكر على أبيه أمورا ظن أنها تبيح له القيام عليه فقام وبويع له بالخلافة" (*الحلل البهية*...، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 1463 د، ص. 109).

وهكذا ثار مَحمد العالم على والده بعد مضي ثلاث سنين على تعيينه بإقليم سوس. فلاقت ثورته تأييدا لدى كثير من الناس في سوس ومراكش، لا سيما أهل العلم والمتصوفة. فقد سانده هؤلاء لما توسموا فيه من صحبة أهل العلم والخير، "واتباع طريق الحق وإظهاره، وإخماد الباطل وسبله، فمن أجل ذلك نقضوا بيعة تولية أمير الغرب" (الزرهوني، *الرحلة*...، ص. 222).

وينقل الضعيف سببا متصلا بالرأي السالف فيشير إلى أن الناس بايعوه لأنه شاع لدى البعض "إنه كسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالعدل" (تاريخ، 18). وكان ذلك سنة 1113 / 1702. فقدمت عليه الوفود بتارودانت مبايعة ومهنئة، وتكاثرت جموعه وشمل نفوذه الجهة الجنوبية كلها، من وادي أم الربيع إلى أقاصي البلاد السوسية، إضافة إلى درعة والفايجة (*زهر الآكام*، ص. 177 و193). ولا بد من الإشارة إلى أن أخاه الأمير أبا النصر قد ثار ببلاد درعة، ودخل في طاعة أخيه العالم.

وفي سنة 1114 زحف المولى مَحمد العالم على مراكش، فحاصرها في رمضان. وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف. هذا ما درجت عليه المصادر *كالاستقصا والإتحاف والإعلام*. ويبدو أن الإلحاح على استعمال العنف بهذه الصورة فيه بعض التحامل، لأن مصادر أخرى أقرب إلى ذلك العهد تثبت عكس ذلك (*زهر الآكام*، ص. 177 ونشر *المثاني*، 3 : 166).

ومهما يكن من أمر، فإن العالم لما استولى على مراكش وأحوازها، عزل خدام أبيه، بل منهم من انحاز إليه كالقائد مالك، ثم بعث برؤساء الجيش وكبارهم إلى قاعدة ملكه - مدينة تارودانت - وبقي بمدينة مراكش هو وأخوه أبو النصر، الذي ولي قيادة جيوشه العليا (*زهر الآكام*، ص. 177).

ولما بلغ خبره إلى والده في شوال من العام 1114 وجه إليه ابنه المولى زيدان مع قبائل الغرب وجيوشه، وبعث مولاي مَحمد أخاه المولى أبا النصر لملاقاته، فالتقى الجمعان قرب وادي أم الربيع. وكانت الهزيمة على جيش أبي النصر الذي ولى الأدبار، فاقتفى زيدان أثره ليناجزه بالقرب من مدينة مراكش بموضع يقال له الرميلة، شمال شرقي المدينة المذكورة قبل أن ينزل عليه ويحاصره بها. فوقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها كثير من الناس، وتواصلت هزائم العالم وأخيه أبي النصر طوال السنة، فحاصرهما زيدان (*النشر*، 3 : 167)، ودخل المدينة قهرا في سادس عشر من ذي الحجة. واضطر الثائران إلى الفرار إلى تارودانت للتحصن بها، فاستمرت الحرب بين الطرفين أكثر من سنتين، كان القبض على أحد كبار جيش المولى مَحمد - وهو يومئذ القائد مالك - نذيرا بهزيمته في معركة تاورا، حيث تم اعتقال عدد من الفقهاء الذين ساروا في ركابه وإرسالهم إلى مكناس. وهناك أمر السلطان بإعدامهم. ودخلت جيوش زيدان بلاد سوس في مستهل سنة 1117، واستمرت الحرب بين الفريقين للسنة الثالثة على التوالي، أي إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف، فاقتحمت جيوش زيدان مدينة تارودانت عنوة. وقتل عددا كبيرا من أهلها، سواء كانوا من أتباع مَحمد العالم أو من غيرهم.

ويلخص أحمد الناصري تلك الفاجعة قائلا : "[و] هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم" *الاستقصا*، 7 : 91). ولما قبض زيدان على أخيه بعث به يرسف في قيود الحديد، محمولا على بغلة، إلى والدهما السلطان المولى إسماعيل، الذي قدم لمعاقبته من مكناس. فلقيه بالقرب من وادي بهت، وهو غاضب غضبا شديدا، في رابع ربيع الأول من عام 1118. وكان السلطان قد اصطحب معه العلماء والوزراء والحشم، إذ كان في حاجة إلى استشارة للنظر في تلك النازلة. وبالرغم من اتفاق المؤرخين على أن السلطان سأل الفقهاء عن حكم الله في ابنه الثائر، فإن لصيغة القادري دلالة لها ما بعدها، حيث قال : "فأجابه من كان يبغض مولاي مَحمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورجله من خلاف، وتلا قوله تعالى : "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله... الآية" (*النشر*، 3 : 168).

يظهر أن القادري قد استاء للعقوبة التي أنزلها السلطان بمَحمد العالم، لأن من أفتوا - في نظره - بإقامة الحد لم يفعلوا ذلك عن علم، ولكنهم فعلوه بدافع البغض والحنق على صاحب الترجمة.

وأيا ما كان الأمر، فقد أمر السلطان بأن تقطع يد الأمير الثائر ورجله من خلاف بموضع يدعى عقبة بهت، ومنع الأطباء من مداواته. فحمل إلى مكناس حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الأحد خامس عشر الشهر المذكور، 15 ربيع الأول عام 1118 / 18 يوليوز 1704 (*زهر الآكام*، ص. 179). ودفن بضريح سيدي عمرو الحصيني، خارج القبة عن يسار الخارج منها، وكان قد أوصى أن يدفن بمقبرة عامة المسلمين، وأن لا يبنى عليه. وتولى الصلاة عليه، بوصية منه كذلك، القاضي أبو حامد العربي بردلة (*الإتحاف*، 4 : 82).

وللإشارة فقط، فإن بعض الدراسات الأجنبية تذكر أن المولى إسماعيل تردد في تنفيذ حكم "المحارب" في حق ابنه، فاستشار العلماء ملوحا إلى توظيف "فقه الحيل"، ومستفتيا هكذا : ألا يكفي قطع أصبع من يده وآخر من رجله للاستعاضة بذلك عن قطع اليد والرجل ؟ لكن على الرغم من موافقة العلماء الذين استشيروا في النازلة، فقد أمر بقطع يد ابنه ورجله، تحت تأثير زوجته زيدانة (De La Veronne, p. 20 - 21).

كما تذكر دي لافيرون، استنادا إلى رواية خوصي دي ليون، أن محاولات العلاج كادت تعطي بعض الأكل لولا إقدام زيدانة على تسميم الأمير المحتضر. فتوفي بأثر ذلك، بعد أن طلب أن يكتب على قبره "ابن يتيم الأبوين". ومن خلال *الإتحاف* يتبين أنه لم يعد ينفع مع القطع علاج "لأنه اعتراه إسهال كبدي لانصراف مادة الأعضاء المقطوعة إليه" (م. س. ن.).

وتتفق المصادر العربية والأجنبية على أن المولى إسماعيل ندم على ما فعل بابنه العالم، وأمر ببذل بعض المحاولات لإنقاذه لكن بعد فوات الأوان. ويشير ابن زيدان إلى أن السلطان اغتم لذلك غما شديدا. (*زهر الآكام*، ص. 179 الهامش 452 وابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 65).

وقد خلف مَحمد العالم بعض الآثار العلمية، منها حاشية على تسهيل ابن مالك، وكثيرا من المقطعات الشعرية والأبيات و المساجلات التي كان يناظر بها مقربيه وأصدقاءه الشعراء. منها ما قاله مرحبا بصديقه الحميم عبد الله بن محمد العلوي الشنگيطي المعروف بابن رازگه، حين قدم على والده بمكناس. ومنها قوله مخاطبا شيخه الكماد أيام خلافته بسوس. وهذه الأخيرة مقطعة من خمسة وعشرين بيتا أثبتها ابن زيدان في إتحافه (4 : 78).

وله بعض الرسائل الإخوانية والإدارية تشف عن ثقافة عالية، ليس على الصعيد الأدبي فحسب حيث جاءت مسجوعة سجعا قويا لا تكلف فيه ولا تمحل ينبيء بتضلع صاحبها في سائر أنواع البلاغة، ولكن لأنها تتضمن شواهد متنوعة من القرآن والحديث وكلام العرب والأمثال وغير ذلك.

الشنگيطي ابن زارگه، *الديوان* ؛ الريفي، *زهر الأكمام*، تح. آ. بنعدادة ؛ الدرعي، *الدرر المرصعة* ؛ القادري، *نشر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ السوسي، *المعسول*.

Ch De La Veronne, J. de Léon, T. Pellow, *Relation*.

أحمد عمالك

العالية بنت الشيخ محمد الطيب بن كيران، كان والدها من علماء فاس المشهورين، وكان يعقد مجالس علمية يحضر فيه النساء للتفقه في الدين. كانت لها مشاركة في مختلف العلوم، مع تبريز في علم المنطق الذي اختصت في تدريسه في جامع الأندلس بفاس، وكانت تلقي دروسها من وراء حجاب للرجال وقت الظهر. أما النساء فكن يحضرن دروسها بعد العصر.

ع. العزيز بن عبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية*، 2 : 19 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*.

محمد المغراوي

عامر، فرقة من فرق قبيلة بني احسن، وهم من ذرية عامر بن زغبة الهلالي، والواحد منهم يدعى العَمْري على غير قياس حتى لا يلتبس بفرقة العامر من قبيلة عبدة إقليم آسفي، ولا بقبيلة بني عامر من إقليم السراغنة ولا حتى ببني عمرو وهم العمراويون القاطنون اليوم بنواحي تيفلت من إقليم الخميسات.

يمتد المجال الجغرافي لعامر من الضفة اليسرى لنهر بهت قرب المگرن إلى مشارف مدينة سلا مروراً بالقنيطرة ومهدية عبر الشريط الشاطئي على المحيط الأطلسي، ويحدون شرقاً بأولاد نعيم والصفافعة شمالا، وبغابة المعمورة وفرقة السهول جنوباً وشرقاً.

وينقسمون قسمين وحتى ثلاثة : عامر السفلى من المقرن إلى القنيطرة، وعامر الوسطى : مهدية وأحوازُها وما جاورها، وعامر الحوزية الواقعة بشمال المدينة السلاوية، وأهم مركز للعمريين الحوزيين هو بوقنادل البعيد عن سلا شمالا باثني عشر كيلو متراً.

في أوائل عهد الحماية أحصيت خيام عامر كلها بقياداتها الأربع فكانت 2434 وحدة : عامر التحتية 643، وأولاد سْلاَمة 481، وعامر الوسطى 494، وعامر الحوزية 816، فهم أغزر سكاناً من جميع فرق القبيلة الحسناوية وأكثرهم بطوناً وأفخاذاً، فلا حاجة للكلام عن جميعها لطولها وتعددها.

وقد جعل التقسيم الإداري والجماعي لسنة 1992 فرق عامر ست جماعات قروية وأربع بلديات ومركزاً مستقلاً واحداً : عامر السفلى وأولاد سلامة والمگرن وسيدي الطيبي

والحدادة ومركز مهدية وبلدية معمورة وبلدية أولاد وجيه وبلدية الساكنية، والكل بإقليم القنيطرة. أما عمالة سلا الجديدة فاشتملت على العمريين من بلدية العيايدة والجماعة القروية لبوقنادل.

ومنذ القرن الثامن عشر كان يتولى شؤون فرقة عامر قواد كثيرون من مدنيين وعسكريين، منهم من كانت إيالاتهم واسعة، ومنهم من كانوا عبارة عن أشياخ كبار. ولما انتصبت الحماية الفرنسية لم تترك إدارتُها سوى أربع قيادات.

التقي العلوي، *الهلاليون بالمغرب الأدنى والأقصى*، مجلة البحث العلمي، العدد 35 ؛ ص. 423 ؛ م. بوشعراء، التعريف، 2 صفحات مختلفة ؛ علاقة المخزن، 88 ـ 98 ـ 99 ـ 150 إلى 174 ـ 196 إلى 198 ؛ *تاريخ الضعيف*، 183 ـ 258 ـ 270 ـ 317 ؛ م. بوشعراء، الأصول الاجتماعية لأهل سلا، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية، الوثائق البنسعيدية، الوثائق الصبيحية*.

V.T.M. Rabat, t. II et III passim ; *Répertoire des tribus*. 1955, 19 - 21 - 29.

مصطفى بوشعراء

عَامر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعد أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Amir.

ابن **عَامر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benamir، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abenamir.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

عامر، الحاج محمد من أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1136.

محمد ابن عزوز حكيم

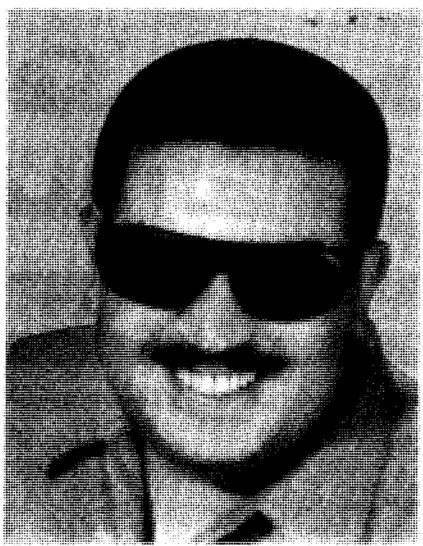
عامر، عبد السلام ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1942، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي إلى غاية السنة الخامسة، ثم توقف عن متابعة الدراسة.

ظهرت بوادر تعلق الفتى الضرير بالموسيقى والغناء وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية، وذلك من خلال ما حفظه من أناشيد على يد معلميها أو في فسحات الترويح بالمخيمات الصيفية. ومن أجل إشباع ميله الفطري نحو الموسيقى فقد أقبل بكثير من الحرص على الاستماع إلى روائع المؤلفات الموسيقية العربية، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى كانت ذاكرته تختزن الكثير من ألحان كبار الملحنين المشارقة سواء منهم القدماء كسيد درويش، وسلامة حجازي، وصالح عبد الحي، وكامل الخلعي، أو المحدثون أمثال رياض السنباطي، ومحمد عبد الوهاب، وفريد الأطرش. وبفضل ما استوعبته ذاكرته من أدوار هؤلاء وموشحاتهم وقصائدهم، فقد نمت ملكته الفنية، كما نمت فيه القدرة على ابتكار الألحان الموسيقية.

ولأنه أحس في نفسه الاستعداد لولوج عالم التلحين فقد شد الرحلة نحو العاصمة، وراح يطرق باب الإذاعة الوطنية حاملا معه مشروع أغنية تتردد أصداء ألحانها في صدره. وبعد محاولات متكررة وفق ـ بمساعدة الشاعر الغنائي عبد الرفيع جواهري ـ إلى المثول أمام بعض الفنانين الموسيقيين كان فيهم الملحن عبد الوهاب الدكالي، والعازف عمرو الطنطاوي، والمغني اسماعيل أحمد، فاستمع إليه هؤلاء وهو يغني بعض ألحانه، ولم يخفوا إعجابهم بما سمعوا.

ولما كانت سنة 1961 استشعر عامر الحاجة إلى النهل من المعرفة الموسيقية من أجل تقوية مؤهلاته الفطرية، فالتحق بمعهد الرباط للموسيقى حيث كان يحضر ـ اختياريا ـ حصص النظريات الموسيقية، وخاصة منها ما ألم بالمقامات والإيقاعات العربية، فيما لوحظ أنه لم يكلف نفسه عناء الإقبال على تعلم العزف على أية آلة موسيقية.

قدّم عبد السلام عامر أول إنتاج موسيقي له عام 1959. وقد تمثل ذلك في أغنيتي "مابان خيال حبيبي" و"قالت لي روح"، وهما معا من كلماته وألحانه وأدائه.



وقد سجلت سنة 1961 تاريخا حاسما في حياته الفنية عندما بدأ تعامله مع مشهوري المغنين بالمغرب، وكانت انطلاقته الأولى في هذا السياق مع المطرب عبد الوهاب الدكالي الذي غنى له من كلمات الشاعر محمد الخمار الكنوني أغنيتي "آخر آه" و"حبيبتي". وسوف تتوالى ألحان عبد السلام عامر بعد ذلك لتكشف عن موهبة فذة وملكة خصبة وعطاء متميز بالتدفق، وهكذا فعلى امتداد ما يقارب

عقدين من الزمن تهيأ لهذا الفنان أن يبدع زهاء ستين عملاً فنياً ما بين قصيدة وأغنية ومعزوفة، وهو رصيد فني شكل في مجمله مرحلة متميزة في مسار الأغنية المغربية خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن.

تعامل عبد السلام عامر ـ كملحن ـ مع الشعر العربي الفصيح في جل أغانيه، كما تعامل مع الزجل المغربي. وقد نهج في التلحين نهجا وسطا بين الاتجاه التقليدي الذي كان يتزعمه أحمد البيضاوي، وبين الاتجاه التّحديثي الذي يعتمد الدراسة العلمية كوسيلة ضرورية لصقل الموهبة الموسيقية والذي كان يتزعمه الفنان عبد الوهاب أكَومي.

وفي وسعنا الوقوف على ملامح هذا التوسط من خلال موقفه من تعلم العزف واستخدام الآلات في التلحين، وكذا من خلال أسلوبه في تلحين أعماله الموسيقية : فقد عرف عنه ـ من جهة ـ أنه لم يتعلم العزف على أية آلة موسيقية ؛ ومن ثم فهو لم يستخدم الآلات في التلحين إلا في أواخر حياته. وعلى النقيض من ذلك فقد كان يتخذ من صوته أداته الأساسية في تلحين الأغاني. وقد برر ذات يوم عزوفه عن استخدام الآلات فذكر أن المعرفة التقنية للآلة تتحكم في نوعية اللحن الذي يبتكره الملحن، كما تحد من طبيعته الفطرية وتصبغه بسمات تقنية تحول دون حرية التعبير الوجداني.

ومن جهة أخرى فقد عرف عنه ـ أيضاً ـ أنه كان من الملحنين المغاربة السباقين إلى تدوين أغانيه بالنوتة، كما كان سباقا إلى ابتكار أسلوب جديد في صياغة ألحانه تميز بالتجديد والتدفق، بعيداً عن المماثلة والمحاكاة.

وقد وجه عبد السلام عامر عنايته إلى تلحين القصيدة المطولة مجدداً بذلك صنيع أحمد البيضاوي وعبد الوهاب اكومي، وهو في تعامله مع هذا اللون الشعري أبان عن مهارة فنية خارقة، واستطاع أن يكسر رتابة الأداء باعتماد أسلوب التحاور الصوتي والآلي، وتوظيف الغناء الإلقائي، واستخدام المؤثرات الصوتية الطبيعية من قبيل صخب الموج وخريرالجدول ورجع الصدى، إضافة إلى امتداد النفس في المقدمات الموسيقية وفي الجمل اللحنية التي تتخلل المقاطع، ناهيك عن حسن تعامله مع المقامات الشرقية وتفننه في الانتقال بينها على نحو يكشف عن معرفة دقيقة بطبيعة سلالمها.

تعامل عبد السلام عامر مع نخبة من كتاب الأغنية كان في مقدمتهم عبد الرفيع جواهري ومحمد الخمار الكَنوني، ومصطفى عبد الرحمن، وحسن المفتي، وتتوزع نتاجه الفني موضوعات دينية ووطنية وعاطفية :

فمن أغانيه الدينية : تحية رمضان ـ سبحان الإله، ومن أغانيه الوطنية : العيد الأعظم، تحية المجد ـ عاش البطل الحسن ـ مواكب النصر ـ شعلة الوحدة ـ وطني يا طلعة الأسود ـ غنت لك الأوطان. ومن أغانيه العاطفية : القمر الأحمر ـ الشاطئ ـ راحلة ـ الحب الأول ـ آخر آه ـ حبيبتي. أما المغنون الذين لحن لهم فهم كثر، ومنهم : عبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمد الحياني، وعبد الحي الصقلي، كما غنى له بعض أغانيه إسماعيل أحمد، وعبد المنعم الجامعي، ورداد الوكيلي، والمطربة المصرية سعاد محمد، وقد غنت له آخر ملحمة العرش وهي آخر ما أنتجه عبد السلام عامر.

كان عامر فنانا متميزاً بتدفق ألحانه، وكان إلى ذلك على حظ من الثقافة والشجاعة الأدبية والجرأة في القول أهله للمشاركة في عدة مناظرات وندوات إذاعية وتلفزية.

وقد توفي يوم الإثنين 17 جمادى الثانية 1399 موافق 14 ماي 1979.

م. بنريسول، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 5 يناير 1997 ؛ ع. الله رمضون، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 16 ماي 1999 ؛ ق. النيلالي، جريدة *الميثاق*، 14 ماي 1987 ؛ ع. الإله قانية، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 13 غشت 1998 ؛ ص. الشرقي، *جل تر المعاني*، ص. 194 و198 و204.

عبد العزيز بن عبد الجليل

أبو **عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **العباس** أحمد بن السلطان أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، لقب بلقب المستنصر بالله وبويع بعد أخيه أبي فارس عبد العزيز يوم السبت الثامن لصفر عام 799 / 1397. كان التصرف والنقض والإبرام في مدة حكم أبي عامر كلها للوزراء مثل صالح بن حمو ويحيى بن علال وحاجبيه أبي العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العلج. بقيت دولة أبي عامر على هذا الحال من استبداد رجالاته مدة سنة وخمسة أشهر إلى أن توفي بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين من جمادى الأخرى عام 800 الموافق 19 مارس 1398 وله من العمر عشرون سنة.

ابن الاحمر، *روضة النسرين* ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون* (ضمن *العبر*، ج. 7) ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 184. 186.

أبو **عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **يعقوب** يوسف المريني. كان من أقرب الأبناء إلى والده وأكثرهم معزة عنده ولذلك قدمه على بقية إخوته وبايعه بولاية العهد ثم عينه نائبا عنه بحاضرة مراكش. وقد كان لهذا التعيين انعكاسات سلبية على علاقة الأمير بوالده السلطان وأصبح بعيدا عن أعينه ومراقبته الشيء الذي دفع ببعض مساعديه خاصة عامل مراكش محمد بن عطو الجاناتي إلى مداخلة الأمير في الانفراد بحكم المنطقة الجنوبية وزين له الثورة على والده. وبعدما علم السلطان بثورة ولده في آخر شوال من سنة 687 / نونفمبر 1288 تحرك إلى مراكش بجيوشه التي اصطدمت بجيوشه الثائرين بظاهر المدينة وأسفر اللقاء عن

انهزام الأمير وصاحبه ولجوئهما إلى مراكش والتحصن داخلها. وتحت ضغط حصار السلطان انقض أبو عامر على بيت المال واستصفى أمواله ثم قتل المشرف على المدينة ابن أبي البركات وفرا بعد ذلك إلى جبال المصامدة ومنها إلى تلمسان في رجب من سنة 688 / 1289 حيث دخلا في حماية صاحبها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن. غير أن السلطان يوسف لم يعد قادرا على فراق ابنه ولجوئه إلى عدوه، فتدارك الأمر وبعث إلى صاحب تلمسان في شأن ولده وأخبره بعفوه عنه وطلب منه أن يسلمه إليه مع صاحبه ابن عطو. وأمام رفض أبي سعيد لهذا الطلب ثارت حفيظة السلطان المريني واشتد غضبه فقرر الدخول في حرب طويلة مع بني زيان وشن حملات عسكرية على تلمسان ومحاصرتها فترات متتالية امتدت من سنة 689 / 1290 إلى نهاية دولته سنة 706 / 1307 عندما قتل أثناء حصاره لها. بعد عودة الأمير إلى فاس قرر السلطان معاقبته وذلك بإبعاده إلى الأندلس وعقد له على ثغورها الخاضعة لبني مرين وعهد له بالنظر في مصالحها والتصدي للهجومات المسيحية التي ما فتئت تتزايد خطورتها على المواقع الإسلامية منذ احتلال سانشو الرابع ملك قشتالة لمدينة طريف سنة 691 / 1292.

وفي سنة 694 / 1295 استقدم يوسف ابنه من الأندلس وأوعز إليه بالعمل على إقرار الأمن ببلاد الريف والوقوف على أحوالها لانشغاله بحصار تلمسان وحروبه المتكررة مع بني زيان وهو الأمر الذي جعل السلطان يتخلى عن بعض سلطاته في تسيير شؤون جهات أخرى من مملكته لصالح أبنائه. وحتى يتفرغ كليا لحربه مع غريمه الزياني عفى يوسف عن معارضيه من أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق الذين كانوا لاجئين بتلمسان وأشار عليهم بالقدوم إلى فاس. فبلغ الخبر أبا عامر وهو حنيئذ بمعسكره من بلاد الريف فبادر إلى التعرض لهم واغتيالهم بمكان يعرف بوادي القطف بجهات بلاد ملوية سنة 695 / 1296 ظنا منه أنه بذلك يقدم خدمة ومعروفا لوالده. وعندما انتهى خبر مقتل هؤلاء الأمراء إلى السلطان يوسف تبرأ من فعلة ابنه ونفد صبره وأصر هذه المرة على معاقبته عقابا شديدا. فما كان من أبي عامر إلا الفرار من بطش السلطان إلى جبال غمارة طريدا وتبعه عسكر والده بقيادة ميمون بن ودران الحشمي وزيكن بن المولاة تاميمونت. ودارت معارك كثيرة بين الجانبين حوالي ثلاث سنوات انتهت بمقتل الأمير أبي عامر ببلد بني سعيد من جبال غمارة سنة 698 / 1299 ثم نقل جثمانه إلى فاس ليدفن بالزاوية التي بداخل باب الفتوح وذلك في شهر ذي الحجة من نفس السنة.

خلف أبو عامر ثلاثة من الأولاد كفلهم السلطان يوسف فملك اثنان منهم بعد وفاة جدهم وهما أبو ثابت عام بين 706/ 1307 و708 / 1309 وأخوه أبو الربيع سليمان بين 708 و710 / 1311.

ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 378 ـ 379 ـ 382 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 118 ـ 119 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 441 ـ 442 ـ 448 ـ 449، 452 ـ 453 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، تح. محمود بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985، ص. 130 ـ 131 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج. 3، ص. 67 ـ 69، 74 ـ 75.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion*..., p. 102, 172, 246.

ابن **عامر، محمد** الأنصاري، من علماء مدينة سبتة وأحد أئمتها في اللغة العربية والأصول وغيرها من الفنون الأدبية والعلوم الشرعية. تصدى للتدريس بالمدرسة الجديدة التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني بمدينة سبتة، وللخطبة أيضا بجامع الربض السفلي. تتلمذ على يديه وانتفع بعلمه عدد كبير من علماء سبتة وطلبتها، فبلغت شهرته ـ كعالم وبارع في الخط ـ آفاق المغرب الأقصى وكسب حظوة كبيرة عند السلطان أبي عنان المريني فقربه وجعله من بين جلسائه. في أواخر أيامه رحل ابن عامر إلى الحجاز وعند عودته توفي بالينبوع عام 765 / 1364.

مجهول، *بلغة الأمنية*.

رشيد السلامي

عامر بن **محمد** بن **سعيد القيسي** عالم من عرب إفريقية، كان من أهل الدين والورع والفقه، له رحلة عملية إلى المشرق سمع فيها الإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيراً، ومع ذلك لم يذكره القاضي عياض في المدارك.

دخل الأندلس برسم المشاركة في الجهاد، ثم دخل إلى المغرب ضمن الوفد المكون من 500 فارس الذين وفدوا على الإمام إدريس الثاني من الإفريقيين والأندلسيين سنة 189، فسر الإمام إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم ورفع منازلهم، وقام بتعيين الفقيه عامر بن محمد القيسي قاضياً بفاس، لعلمه وفضله، وهو أول قاض بفاس ذكرت المصادر اسمه. وقد أدخل *موطأ* الإمام مالك إلى المغرب، وسمع منه الإمام إدريس وفقهاء فاس.

السنوسي، *الدرر السنية في السلالة الإدريسية*، بيروت، دار القلم ؛ الجيدي، *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي*، الرباط، دار عكاظ ؛ م. الكتاني، *الأزهار العاطرة الأنفاس*، ط. حجرية ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، دار المنصور ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، طبعة وزارة الثقافة والاتصال، 2001، ج 2.

محمد المغراوي

ابن **العامْري**، أسرة حسناوية تنتمي إلى فخذة أولاد العامري من بطن أولاد بوجْنُون فرقة أولاد يحيى قبيلة بني حسن، قرب مدينة سيدي سليمان من إقليم القنيطرة. وقد اشتهرت بتولي مقاليد السلطة في القرن الثالث عشر الهجري. وتنسب إلى أحد أفرادها قرية دار بَلّعَامْري التي

هي اسم قيادة وجماعة قروية هناك. وسأتناول الكلام على الولاة منهم :

ابن **العامري، إدريس** بن حمّاني هو آخر الولاة من هاته الأسرة، عين بعد أن كان أفرادها قد أُبعدوا عن مقاليد السلطة نحواً من ستة عقود. كان إدريس قائداً سنة 1327 / 1909، لكنه لم يدم في منصبه إلا قليلاً قبيل انتصاب الحماية.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 140.

ابن **العامري**، (إدريس بن الغازي بن العامري -) قائد من قواد مولاي سليمان الذي كان متزوجاً بأخته التي طلقها بعد ذلك وكان يحظى بثقة السلطان حتى قيل إنه ولاه على قبيلة زعير، البعيدة عن تراب أولاد يحيى ولم أقف لهذا على صحة.

توفي مغتالاً سنة 1214 / 1799.

تاريخ الضعيف، 287 . 307 . 317 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 89.

ابن **العامري**، (العامري بن إدريس بن الغازي -) لم أقف على تاريخ بدء ولايته قبل سنة 1261 / 1845 على أولاد يحيى إخوانه وكذا على الصفافعة وأولاد نعيم وأولاد مَحمد ومختار وعامر أي قبيلة بني أحسن في مجملها، ولعل ذلك كان قبل ذلك بقليل.

كان من كبار القواد الحسناويين، ولعله هو الذي زوج بنتيه لولدي السلطان مولاي عبد الرحمان. لكن المصادر تذكر أنه طغى وتجبر وشق عصا الطاعة وتعصب مع زمور وأكل أموال الناس، فقام عليه إخوانه اليحياويون مثل أولاد احْميد، كما قام عليه الصفافعة واسترحموا بالأضرحة بسلا ومراكش فارين من بطشه.

وقد عزل سنة 1262 / 1846 وغضب عليه السلطان فرحل لسكنى مدينة فاس، ولكن نفوذه المعنوي كان شديداً حتى تشكى قائد الصفافعة الميلودي بن الجيلالي (الذي هو جد أولاد بْريك السلاويين الآن) بتدخله في شؤون القبيلة وبأنه أطلق اليد في إخوانه وأكل اللحم وامتص العظم، وخصوصاً النصف الموالي لتلك الناحية مثل الطيسان والنعاعسة ومثل مختار. وكان يهرب من ناحية إلى ناحية مثل زمور كلما شعر أن المخزن يترصده.

لم أقف على تاريخ وفاته، لكن ورثته عزموا على المخارجة فيما بينهم فيما ترك من الأصول التي كان يملكها بفاس وغيرها سنة 1292 / 1875، مما يعني أنه كان قد مات قبل ذلك بزمن طويل.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 79 . 80 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 93 . 96.

ابن **العامري** (الغازي بن العامري بن إدريس -) كان سنة 1280 / 1863 قائداً على إخوانه من أولاد يحيى مثل أولا بوجْنون وأولاد احْميد وأولاد بنحمّادي، ومكث كذلك مدة لا نعرف مداها لكن نعرف شيئاً آخر عنه هو أن أملاكه قد صودرت، فطلب أحد أولاده سنة 1295 / 1878 استرجاع داره التي له بمكناس، لأنهم أصبحوا ذوي فاقة، فرهنوا نصف تلك الدار. وهذا يفيد أن الغازي مات قبل هذا التاريخ. وفي سنة 1302 / 1885 لم يبق من أولاد ابن العامري سوى سبع خيام.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 102.

ابن **العامري** (محمد بن العامري بن الغازي بن العامري -) عين سنة 1228 / 1813 قائداً على طرف من بني أحسن، كما أُسندت إليه الولاية على مدينة سلا وأذن له السلطان بأن يسكن بدار عمه إدريس بن الغازي. إلا أنه قبض عليه في السنة الموالية مدة شهر إلى أن يؤدي الذعيرة التي فرضت عليه.

وقد تقلب في مناصب سامية فعين عاملاً على وجدة قبل احتلال الفرنسيين للجزائر، فطالبت حكومة فرنسا بعزله سنة 1248 / 1832 لتضايق حكامها منه. وقد ساهمت أسرة ابن العامري في الدفاع عن حوزة الوطن سواء قبل وقعة إيسلي سنة 1844 أو بعدها. وأغلب الظن أنه توفي بعد السنة الأخيرة.

تاريخ الضعيف، 379 . 381 . 384 . 385 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 159 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 228 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 106 . 224 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 90 . 91.

ابن **العامري** (الحاج محمد بن العامري بن إدريس بن العامري -) ورد ذكره عاملاً على طرف من بني أحسن سنة 1274 / 1858، ولكنه لم يمكث في الولاية إلا بضع سنوات فعزل عنها. وكان سنة 1981 / 1865 مديناً لبيت المال بمبلغ كبير سجن من أجله بمدينتي سلا ومراكش. ولما دفع بعد سنتين ما كان مطالباً به أفرج عنه.

كانت له أملاك عقارية بسلا ونواحيها، منها داره التي كانت له بدرب الشماخ قرب جامع الشهباء مع عرصة مقابلة لها، وأملاك أخرى بفاس وأحوازها. وقد ظهر أن المسؤولين سطوا على بعضها الموجود بسلا خاصة، ثم اشترى الحاج الطيب عواد وجغالف من بنته كنزة حظها.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 100 . 101.

مصطفى بوشعراء

العامري، محمد بن الحاج منصور العامري التلمساني المراكشي النشأة والتازي الدار، درس بفاس وتخرج فقيها مع مشاركة في الأدب. وشغل كاتبا للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي التوزاني، وفي سنة 1152 قام

بأداء فريضة الحج وزيارة القدس الشريف ودون رحلته في منظومة على بحر الخفيف على روي الهمزة في وصف المراحل من فاس إلى الحجاز معرجا فيها على الشام فاشتملت على خمسة وثلاثين وثلاثمائة بيت. استهلها بالاستعداد إلى الحج وما ينبغي حمله من الأواني والزاد والملابس والآلات ثم انتقل إلى وصف المسالك ومزاراتها ومعالمها الأثرية وما يعتريها من مخاوف وصعوبات. وهذه المنظومة متوسطة الجودة ومطلعها :

ازمع السير أن دهت أدواء   لشفيع الأنام فهو الدواء

وعندما عرج على الشام قال :

وإذا أردت مشيا إلى الشام   ففيها أئمة أنبياء
وهناك صخرة القدس في المسجد   الأقصى حازتها الياء
ومزارات عندها مثل داود   النبي ومريم العذراء
أهلها من أجل أناس كرام   بهم يتأنس الغرباء

وتم الفراغ من نظمها سنة 1162 حيث يقول :

وبتاريخ نظمها بشفيع   وعديد أبياتها جلساء

وتوجد منها نسخة بالخزانة السودية ضمن مجموع وأخرى بالصبيحية بسلا تحت عدد 3902 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 3490 خ. ع. د، وقد أدرجها الباحث محمد المنوني في كتابه ركب الحاج المغربي المطبوع بتطوان سنة 1953. ولعل العامري عاوده الحنين إلى المشرق فأدركه الأجل هناك سنة 1170.

م. المنوني، *ركب الحاج المغربي* من ص. 88 إلى 104 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 4 ؛ إ. الكتاني، *دعوة الحق* عدد غشت *1981* بحث *حول القدس في رحلات المغاربة* ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و 12 للهجرة*، مرقونة.

محمد ماگامان

العامل، هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله. ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل أو ساعي أو جاري فيها. قال الله عز وجل : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). ومن حديث الرسول (ص) : "ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤنتي عاملي صدقة"، يعني أزواجه وخليفته. وعن ابن إسحاق أنه (ص) بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، ولما كانت وظيفة أمير الناحية الكبرى هي جباية الأموال لفائدة بيت مال الدولة المركزي، فإنه كان يدعى أحيانا بالعامل، بدليل ما نقف عليه من الأمثلة في شرق الدولة الإسلامية وفي غربها. ففي الأندلس مثلا كان رؤساء النواحي عمالا في عهد الخلفاء الأمويين. وفي المغرب في العصر الموحدي كان العامل هو الساعي في الجبايات. ثم صار في الدول التالية هو القيم بجميع الأحكام السلطانية في الأقاليم والنواحي، وأن كان يدعى تارة بالوالي، وتارة أخرى بالقائد وبلقب الباشا منذ الدولة السعدية، دون تواتر في ذلك ولا انتظام، ووقوفا في الغالب على الدلالة اللغوية للفظ. فإن المكلف بالأحكام السلطانية في المدن الكبرى قبل الحماية كان يدعى عاملا في الغالب، بينما صار المكلفون بالوظائف المالية هم الأمناء بعد الترتيبات التي اتخذها السلطانان محمد بن عبد الرحمان وابنه وخلفه المولى حسن. فلقد جاء في ظهير حسني عن ترتيب الجبايات قوله : "وقدرنا للعامل والأمناء والأشياخ المكلفين أجورهم ... "ثم قال : "ولم نخرج العامل والأمناء والأشياخ من ربقة التكليف، بل سويناهم مع إخوانهم فيما يلزم القوي والضعيف". مما يستفاد منه أن العامل كان هو يد السلطان وعينه في الأقاليم، علما بأنه عادة ما كان يسمى قائدا في المجال القروي وباشا في المجال الحضري. وكان عدد القيادات قبل فترة الحماية يفوق ثلاثمائة.

أما بعد فرض الحماية، فإن السلطات الفرنسية جاءت بترتيبات وتقطيعات إدارية جديدة، فاحتفظت بلفظ الباشا في إدارة المدن الكبرى، وبلفظ القائد في إدارة البوادي، متخلية عن لفظ العامل، وإن احتفظت في العمق ببعض وظائفه، مسندة إياها لضباط فرنسيين من ذوي الرتب العليا، فكانوا من الجنرالات في الأقاليم العسكرية، ومن المراقبين المدنيين المتقدمين في الرتبة في الأقاليم المدنية. وكان المغرب مقسما إلى سبعة أقاليم، أربعة عسكرية، هي فاس ومكناس ومراكش وأگادير، وثلاثة مدنية هي الرباط والدار البيضاء ووجدة. ورؤساء هذه الأقاليم كانوا يمثلون المقيم العام في مختلف الجهات، يقومون مقامه في أقاليم شاسعة ويديرون شؤونها العامة على اختلاف تنوعها، ويشرفون على من تحتهم من القواد والباشوات وعلى الضباط ورجال الإدارة الفرنسيين المكلفين بمراقبتهم وبالتبليغ عنهم وتبليغهم الأوامر العليا. والملفت للنظر في رؤساء النواحي في عهد الحماية أنهم كانوا تحت إمرة المقيم العام الفرنسي، دون أن يكون للعاهل المغربي أي نفوذ عليهم، مع أنه احتفظ بسلطته على القواد والباشوات فهو الذي يعينهم بظهير.

ولما استرجعت البلاد استقلالها سنة 1956، فإنها بادرت إلى دمج الجديد في التقليد. فانقسمت الإدارة المحلية إلى عدة أقاليم، جعل على رأس كل واحد منها عامل، وذلك بمقتضى ظهير 7 شعبان 1375 / 3 مارس 1956، الذي جاء في فصله الثاني : "العمال هم القيمون بسلطتنا التنفيذية في الأقاليم وبناء على ذلك فهم المكلفون بتسيير أعمال القواد والباشوات، وبمراقبة إدارة الجماعات الإقليمية، وبربط الصلة عند الاقتضاء بين الإدارات الجهوية ومختلف الوزارات". وأثبت دستور 1962 ذلك بما ورد في الفصل 88 منه بأن العمال ينفذون "في العمالات والأقاليم مقررات مجالس العمالات والأقاليم وينسقون بالإضافة إلى ذلك نشاط الإدارات ويسهرون على تطبيق القانون". فتكاد وظائفهم في ناحيتهم تضاهي وظائف رئيس الحكومة في الرباط. وقد ذكرها بالتفصيل ظهير 25 صفر 1397 / 15 فبراير 1977،

المعدل بظهير 19 ربيع الثاني 1414 / 16 أكتوبر 1993. فالعامل أولا وقبل كل شيء ممثل الملك الذي هو أعلى سلطة في البلاد، فمنه يستمد نفوذه وإليه يرجع في القضايا الكبرى. ثم إنه مندوب الحكومة، والمكلف بتنفيذ القوانين والضوابط والأوامر الصادرة عنها في نطاق الحدود الترابية لعمالته، وله أن يتخذ من الإجراءات ما يراه مناسبا في حدود مهامه، فهو المكلف باستتباب الأمن في الإقليم فيستنفر الشرطة المحلية والقوات المساعدة والدرك والجيش النظامي عند الاقتضاء. ويشرف على أعمال من تحت إمرته من القواد والباشوات المسيرين للدوائر الحضرية والقروية التي ينقسم إليها الأقاليم. والعامل هو المسؤول عن تنفيذ مقررات المجالس المحلية المنتخبة على اختلاف تراتبها، وهو الرقيب على أعمالها بصفة عامة. كما أنه يشرف على أعمال مندوبي الوزارات المختلفة في الإقليم، وممثلي المؤسسات العمومية الكبرى. ويخبر الوزراء بما يجري من ذلك. والوزراء ملزمون أيضا بإطلاعه على ما يخططون من الأعمال الجهوية. وتيسيرا لهذه المراقبة، يقوم إلى جانب العامل لجنة تقنية إقليمية تتكون من الكاتب العام للعمالة ومن رؤساء الدوائر ومندوبي الوزارات والمؤسسات العمومية، تجتمع مرة في الشهر على الأقل، يستشيرها العامل في القضايا العالقة وفي الطوارئ. والعامل أخيرا هو المتصرف المالي في نطاق عمالته، فهو المكلف بصرف الأموال العمومية فيها وبتنفيذ مخططات التنمية. ولقد تكاثرت العمالات نظرا لتزايد السكان ولتشعب الوظائف والمهام المنوطة بالإدارة التي عليها أن تتدخل في الشاذة والفاذة على الصعيدين المركزي والجهوي. وكلما تشعبت الشؤون الإدارية إلا وازدادت الحاجة إلى التنسيق بين المسؤولين. ولهذا السبب أقدم المشرّع على إحداث وظيفة الوالي الذي هو عبارة عن عامل من درجة عليا يشرف على إدارة شؤون الجهات، التي هي أعلى مقاطعة إدارية، فيشرف الوالي فيها على مجموعة من العمالات بحسب مستلزمات التقطيع وكثافة السكان. وعدد الولايات سنة 1424 / 2003 سبع عشرة ولاية، بينما عدد العمالات واحد وسبعون بعد أن كان في فجر الاستقلال اثنتي عشرة عمالة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظام الدولة*، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 / 1962 ؛ نعيمة التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، مطبعة فضالة، 1979 ؛ م. المعزوزي، *البداية في القيادة والولاية*، الدار البيضاء، 1401 / 1981.

Frédéric Brémard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris, 1949 ; D. Basri, *L'agent d'autorité*, Imprimerie Royale, Rabat, 1975.

إبراهيم بوطالب

العايدي السجيري، الحسن بن عبد الله شيخ صالح، ينتمي إلى قبيلة سجير بالغرب. يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وهو من أقارب أبي زيد عبد الرحمان العايدي الذي حثه محمد بن أبي بكر الدلائي على نصرة المجاهد محمد العياشي. توفي المترجم ليلة الأحد 18 محرم 1131 / دجنبر 1718 بمدينة سلا ودفن بحومة السويقة. فرغ من بناء قبة على قبره في رجب 1132 / 1719، وقد تم ترميم ضريحه عام 1403 / 1983 على يد سعيد بن الصغير بن محمد بن اليزيد العايدي. وبباب الضريح رخامة تضمنت نسب المترجم.

أ. بن عاشر الحافي، *تقاييد الروض*، مخ. خ. ص. بسلا، رقم 428 ؛ ع. القادر أملاق، *الخبر عن ظهور العياشي*، *"الحركة العياشية"*، لعبد اللطيف الشاذلي، ط. 1982.

محمد السعديين

عائشة بنت **الشيخ** المحتسب محمد بن الجيار، من طبيبات مدينة سبتة. أخذت علوم الطب على صهرها الطبيب الشهير محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء المتوفى سنة 771 / 1369. أدركت الطبيبة عائشة شهرة واسعة سواء في مدينتها أو في باقي مدن المغرب الأقصى حتى أن الأمراء من بني مرين وكبار القوم كانوا يتصلون بها ويتقربون منها بالهدايا والتحف لأجل ما عرفوه عنها من نبوغ ودراية في الطب علما وممارسة وكذلك في صناعة العقاقير. ويفهم من كلام صاحب *بلغة الأمنية* أن هذه الطبيبة التي أدركها وقد بلغت من العمر نحوا من السبعين سنة اشتهرت أيضا عند أهل سبتة بوقفها لعقاراتها وأملاكها على أعمال البر والخير. يرجح أن هذه الطبيبة توفيت في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م).

مجهول، *بغية الأمنية*، ص. 55 - 56.

رشيد السلامي

ابن **عائشة، عبد الرحمان** أخو عبد الله ابن عائشة أمير البحر الشهير، ورفيقه في حملاته الجهادية خلفا للرايس فنيش. وقد برز في ذلك منذ سنة 1106 / 1694، قائداً لسفينة في ملكية مولاي إسماعيل مجهزة بثمانية عشر مدفعا وطاقما مؤلفا من مائة وثلاثين رجلا. وفي نهاية يوليو ساهم مع أخيه في اختراق الحصار المضروب من قبل السفن البرتغالية على الشاطئ المغربي بولوج أحدهما إلى المعمورة والآخر إلى سلا.

وفي الخريف الموالي استأنف نشاطه، حيث حقق بالتعاون مع أخيه في دجنبر غنيمتين، أولاهما إنجليزية من حمولة مائة طنة قرب ماديرة تمكنت الخافرات الإنجليزية من استعادتها، والثانية فرنسية أسرت بين جزر الأصور وماديرة وهي في طريق العودة من المارتينيك، من حمولة مائتي طنة تدعى *الخطاف* (L'hirondelle) تحت قيادة القبطان ماتيو كروا (M. Crois)، مجهزة بأربعة مدافع وبطاقم مكون من واحد وعشرين رجلا، قدرت قيمتها بثمانين ألف ليرة، وقدرت فديات طاقمها باثني عشر ألف قرش. كما شارك عبد الرحمان في حملة أخيه في خريف السنة الموالية في مياه

جزر الخالدات، حيث استولى على سفينة عتادية هولندية تقدر قيمتها بأربعين ألف قرش، عاد بها إلى المعمورة في يناير سنة 1696 مضيفا إلى غنيمته هذه قاربي صيد.

وقد حاول عبد الرحمان في موسم 1696 تجريب حظه في البحر الأبيض المتوسط، إلا أنه تعرض لملاحقة سفينتين فرنسيتين أجبرتاه على اللجوء إلى بجاية حيث انقطع عن العمل زهاء سنتين ؛ إذ كان في سنة 1698 يقود سفينة قديمة من غنائمه تدعى *الحصان الأبيض*، لكنه في يونيو تعرض لهجوم من طرف إحدى بوارج الأسطول الفرنسي تحت إمرة كوتلوغون (Cöetlogon) يقودها الفارس شاطو موران (Ch. Morand)، ولم يتمكن من الإفلات إلا بفضل سرعة سفينته. وقد حزن كوتلوغون لعدم النجاح في أسره، وهو نفس الأسى الذي عبر عنه بونكوطران.

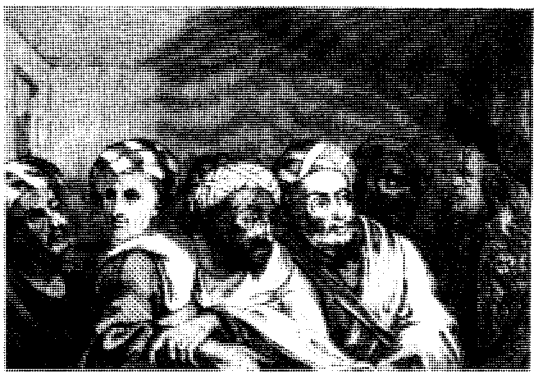
ونتيجة الحصار الشديد المضروب على الأسطول الجهادي المغربي، وجهه أخوه عبد الله لملاقاة المركيز شاطو رونو باقتراح الهدنة بين الطرفين، والتي أشاع في ضوئها ابن عائشة خبر قدومه استقبالا إلى فرنسا في سفارة لتلك الغاية. لكنه مع انتهاء سفارة أخيه بالفشل، واصل عبد الرحمان مهنته قائماً سنة 1700 بتحقيق غنيمتين في نواحي جزيرة ماديرة، رغم مطاردة عنيفة من إحدى السفن الخافرة، ولم يتمكن من الإفلات إلا استعانة بظلام الليل ؛ لكنه لدى وصوله إلى مصب نهر أم الربيع جنحت سفينته، ونجح مع ذلك في اصطحاب ستة وعشرين أسيرا إلى سلا. وقد اتخذت سلطات المرسى إجراءاتها لإنشاء سفينة جديدة لعبد الرحمان في غشت من تلك السنة بأمر من السلطان، تعويضا له عن سفينته المفقودة في أزمور.

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. IV, p. 293 - 94, 315 ; T. V, p. 19 ; T. VI, p. 148 - 49 et 196 et Coindreau, p. 80 - 82.

حسن أميلي

ابن **عائشة، عبد الله** كل ما نعرفه تقريباً عن هذا الرجل وصلنا عن طريق المصادر الأوربية، إذ لا نكاد نعثر له على أثر عند المؤرخين المغاربة الذين كتبوا حول الفترة التي عاش فيها. وعبد الله ابن عائشة ليس بالشخصية المغربية الوحيدة التي تعاني من هذا الإهمال من مؤرخي الدولة العلوية الذين لم يولوا إلا اهتماماً ضعيفاً بكل ما يتعلق بالشؤون الخارجية وبمن ارتبط اسمه بها. وابن عائشة من الشخصيات التي تدين بشهرتها أساساً للدور الذي لعبه في علاقات المغرب بأوربا، أولا كأمير للبحر، وثانياً كسفير لمولاي إسماعيل لدى لويس الرابع عشر.

ويرجع أول ذكر لعبد الله ابن عائشة إلى سنة 1672 عندما كان قائداً لسفينة جهادية بمرسى مدينة سلا. ولم يكن المترجم البحار الوحيد في عائلته، بحيث كان لكل من أخيه عبد الرحمان وابنه محمد سفينة بنفس المرسى، وبذلك كانت عائلة ابن عائشة تملك نصف الأسطول السلاوي، أي ثلاث سفن من أصل ست سفن كانت مرتبطة بمرسى سلا. وكان الثلاثة يخرجون أحياناً في مهمات جهادية مشتركة لاعتراض سفن الدول التي لم تسالم المغرب. ولم يكن نشاط القرصنة من احتكار المغاربة أو المسلمين وحدهم بل كانت تساهم فيه الدول الأوربية بنصيب وافر، الشيء الذي كان يؤدي إلى وقوع العديد من المسلمين في الأسر فيساقون إلى السجون أو يشغلون كجذافين فوق السفن الحربية في ظروف قاسية جداً. وبحكم نشاطه البحري لم يفلت عبد الله ابن عائشة من آفات البحر فوقع أسيراً في يد الأسطول الانجليزي، مما جعله يقضي ثلاث سنوات في سجون إنجلترا. ويرجع فضل إطلاق سراحه إلى جيمس، شقيق ملك نجلترا، الذي حرره دون ما حاجة إلى فدية، وهو الفضل الذي لم ينسه ابن عائشة لهذا الأمير. فعندما بويع جيمس ملكاً لأنجلترا في سنة 1685، توجه ابن عائشة إلى لندن لتهنئته باسم المولى إسماعيل. وعندما توجه إلى باريس في سفارته المشهورة في سنة 1699 أصر على لقاء جيمس الثاني، وهو آنذاك يعيش منفياً بالعاصمة الفرنسية، ليعبر له عن امتنانه لحسن المعاملة التي لقيها منه خلال فترة أسره.



وكاد عبد الله ابن عائشة أن يسقط أسيراً مرة ثانية في يد الانجليز في سنة 1684 عندما لاحقه قرصان انجليزي قرب الشواطئ المغربية. وإذا كانت السفينة وعدد كبير من بحارتها قد وقعوا في الأسر، فإن عبد الله ابن عائشة قد تمكن من النجاة والوصول سالماً إلى الشاطئ.

واستطاع ابن عائشة بفضل كفاءته وجرأته أن يكسب ثقة المولى إسماعيل الذي عينه قائداً للأسطول مع احتفاظه بملكية سفينته الخاصة التي كانت تعتبر أحسن سفينة سواء من حيث تجهيزها أو من حين نوعية البحارة الذين كانوا يعملون على ظهرها. ولاشك أن الغنائم التي تحصلت لديه كنتيجة لنشاطه البحري مكنته من جمع ثروة هامة، لهذا فإن القنصل الفرنسي بسلا وصفه بكونه "أحد أهم الرجال الأثرياء بهذه البلاد".

وفي مغرب القرن السابع عشر لم يكن هناك تمييز بين شؤون البحر والشؤون الخارجية، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع الدول الأوربية. فالمشاكل التي كانت تقوم بين المغرب وهذه الدول كانت كلها تدور حول البحر الذي كان يمثل الوسيلة الوحيدة للاتصال آنذاك. وفي طليعة هذه المشاكل

تأتي مسألة القرصنة أو الجهاد البحري، وما يترتب عنهما من وقوع أسرى من الجانبين في يد الطرف الآخر. لذلك كان طبيعياً أن يختار المولى إسماعيل أمير أسطوله ليتوجه في سفارة إلى فرنسا بغية التوصل إلى معاهدة سلم مع هذه الأخيرة وإيجاد حل لمسألة الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا، والأسرى الفرنسيين الموجودين بالمغرب. ولم تكن هذه السفارة الأولى من نوعها التي يقوم بها سفير مغربي إلى فرنسا، فقد سبق للحاج محمد تميم أن ترأس سفارة مغربية مماثلة إلى باريس في سنة 1681، لكن المعاهدة التي تم توقيعها على إثر تلك السفارة بقيت دون تنفيذ بعد ظهور خلافات بشأن تبادل الأسرى. ومن الجانب الفرنسي تم إرسال سفيرين إلى المغرب في كل من سنة 1688 و1693 للتفاوض حول مسألة الأسرى وعقد اتفاقية سلم بين البلدين. إلا أن المبعوثين الفرنسيين - ويتعلق الأمر بأوجيي وسانتولون - رجعا إلى بلادهما دون إحراز نتيجة ملموسة.

وفي سنة 1698 بدأ الأسطول الفرنسي في تحضير حملة ضد مرسى سلا، فتخوف ابن عائشة من عواقب مواجهة بين الأسطولين واقترح على المولى إسماعيل فتح الحوار مع الفرنسيين حتى تحل المشاكل المعلقة بين البلدين بالطرق السلمية. ولم يكن السلطان ليجد من هو أنسب لهذه المهمة من القبطان عبد الله ابن عائشة الذي توجه إلى فرنسا في نفس السنة وهو يحمل ظهيراً سلطانياً يوكل إليه "النظر والكلام في سائر أمور البحر ... من عقد وإبرام أو سلم أو غير ذلك مع جميع أجناس النصارى لكونه أعرف برياسة البحر وخطته وأكثر ممارسة بأحوال أهله وذويه".

دامت سفارة ابن عائشة بفرنسا ثمانية أشهر (نونبر 1698 - مايو 1699)، مما يدل على أن المفاوضات لم تكن سهلة. وعلى هامش اللقاءات الرسمية مع العديد من رجال الدولة الفرنسية، مدنيين وعسكريين، تمكن ابن عائشة من زيارة العديد من المآثر والقصور والكليات الحربية، كما زار المطبعة والمكتبة الملكيتين وعدداً من المنشآت الصناعية كمصانع الأسلحة والزجاج ودار السكة وغيرها. ومن خلال اهتمامه بالصناعات الفرنسية التقى برجل أعمال فرنسي هو "جردان" الذي كانت له مصالح هامة في صناعة الزجاج وتجارته. وقد حاول جردان هذا أن يكسب دعم ابن عائشة لمشروعه الرامي إلى إنشاء دار تجارية بسلا تقوم بجلب المواد الزجاجية وغيرها من المواد الشرقية مقابل تصدير المواد المغربية التقليدية (جلود، شمع، إلخ ...). ولهذا تقرب جردان من السفير المغربي وبالغ في إكرامه خلاله مقامه بباريس، مما أدى إلى توطد أواصر الصداقة بين الرجلين إلى درجة أن التاجر الفرنسي أصبح قناة هامة للاتصال بين ابن عائشة والأوساط السياسية الفرنسية. إلا أن الشركة التجارية التي أنشأها جردان بسلا مع مجموعة من التجار الفرنسيين لم تستمر طويلاً رغم الدعم والحماية اللذين حظيت بهما مصالحها من عبد الله ابن عائشة.

أما على مستوى المهمة السياسية التي كلف بها ابن عائشة فإن سفارته لم تكن أوفر حظاً من السفارات المغربية أو الفرنسية السابقة. فالفرنسيون على ما يظهر لم تكن لهم نية صادقة في حل مشكل الأسرى رغم العروض المتساهلة التي تقدَّم بها الجانب المغربي، والتي لم تُقدم لأية دولة أوربية أخرى. فالمولى إسماعيل نجح في حل مسألة الأسرى مع الإسبان والهولنديين والانجليز في حين فشل مع الفرنسيين الذين ظلوا يتعلقون بجزئيات كان من الممكن تجاوزها. والحقيقة أن هذا الفشل لا يمكن تفسيره إلا بكبرياء لويس الرابع عشر وعجرفته تجاه المغرب من جهة، وبحاجة فرنسا إلى الأسرى المغاربة من جهة ثانية. فهؤلاء الأسرى كانوا يستخدمون كجذافين فوق السفن الحربية الفرنسية، وهو عمل بالغ القساوة لا يقوم به عادة إلا المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة أو الأسرى المسلمون. وخير دليل على هذا أن القائم بأمور البحرية الفرنسية، "بونشرتان"، عارض كل صيغة للتفاهم بين الطرفين لأن تسليم البحارة المغاربة كان من شأنه حسب زعمه "أن يُفرغ السفن الحربية الفرنسية من جذافيها".

وقد أثار فشل سفارة ابن عائشة غضب المولى إسماعيل فكتب إلى لويس الرابع عشر يعاتبه على عدم جديته وتحريفه للحقيقة عندما زَعَمَ أن السفير المغربي لم يخول كل التفويض الذي يسمح له بالوصول إلى حل مُرض للطرفين، وهو ادعاء يكذبه ظهير الاعتماد الذي حمله معه ابن عائشة. وهدد المولى إسماعيل بقطع كل علاقة مع فرنسا وكتب إلى ملكها يقول: "... فما لنا حاجة عندكم ولا حوجنا الله إليها أصلا... فنحن والحمد لله مخازننا المحوطة بعين رعاية الله مملوءة من كل خير مدخر من فضل الله سبحانه من الأموال والعدة وآلات الحرب مالا يعد ولا يُحصى، فما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء".

والواقع أن المرارة التي عبر عنها المولى إسماعيل لم تكن كلها بسبب فشل ابن عائشة في التوصل إلى صيغة لتبادل الأسرى. ذلك أن المولى إسماعيل كان يبتغي من وراء هذه السفارة ما هو أهم بكثير من مسألة الأسرى. فالسلطان كان يطمح إلى الانضمام إلى التحالف الفرنسي - العثماني المعادي لأسرة الهابسبورغ الحاكمة في كل من النمسا وإسبانيا. كان هدف المولى إسماعيل يتمثل في إقناع لويس الرابع عشر بأن حلفاً سياسياً يجمع استنبول وباريس ومكناس من شأنه أن يرجح كفة التوازن الأوربي لصالح فرنسا، ويسمح للمغرب باسترجاع ثغوره التي تحتلها إسبانيا. وفي هذا الإطار يمكن أن نُدخل رغبة السلطان في عقد زواج سياسي مع الأسرة الحاكمة في فرنسا عندما طلب يد الأميرة دي كونتي. وكانت مبادرة المولى إسماعيل باقتراح من عبد الله ابن عائشة الذي كان يعتقد أن مثل هذا الزواج من شأنه أن يذلل العراقيل التي كانت تقف في طريق التقارب المغربي - الفرنسي.

إلا أن خيبة المولى إسماعيل لم تجعله يقطع كل صلة

بالحكومة الفرنسية، ولم يعتبر ابن عائشة مسؤولاً عن فشل السفارة، فزاده تفويضاً وأمره بمتابعة الحوار مع الفرنسيين بخصوص مسألة الأسرى. وهكذا أصبح ابن عائشة بعد رجوعه من فرنسا المتفاوض الرئيسي مع رجال الكنيسة الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في افتداء أسراهم. بل إن الحظوة التي أصبحت له لدى السلطان كنتيجة لسفارته جلعته يلعب دوراً أساسياً في العلاقات المغربية ـ الفرنسية خلال العقد الأول من القرن الثامن عشر. وحتى في مجال الدفاع كُلف ابن عائشة بتفقد المدن الشاطئية، وأعطاه السلطان ستين مدفعاً لتوزيعها على مختلف الثغور، وذلك تحسباً لكل هجوم فرنسي محتمل.

لكن عبدالله ابن عائشة، رغم المهام السياسية المتعددة التي أسندت إليه، ظل أولا وأخيراً مجاهداً مرتبطاً بالبحر، ظهر سفينته أحب إليه من نعيم اليابسة وهدوئها. وهكذا رجع للجهاد البحري مرة أخرى، وقدر له أن يقع في الأسر مرة ثانية، في يد الهولنديين وذلك في سنة 1711. وبقي في الأسر إلى حدود شهر يناير 1713 عندما افتداه السلطان مقابل أحد عشر أسيراً هولندياً. ولاشك أن محنة أسره، وهو في سن متقدمة آنذاك، كانت كافية لتأتي على ما تبقى لدى هذا الرجل من نفس، فلم يعش طويلاً بعد رجوعه إلى وطنه إذ توفي بعد أشهر قليلة، وذلك في يوليوز 1713.

المصادر الغميسة لتاريخ المغرب (فرنسا)، المجلدات 4، 5 و6.

Sources inédites de l'histoire du Maroc (France), tomes IV, V, VI, Paris, 1931 - 1960 ; C. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1975, (vol. II) ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; P. G. Rogers, *A History of Anglo-Moroccan Relations*, London, n. d.

محمد المنصور

عائشة العدوية، ولية صالحة، وبهلولة مباركة، ذات ضريح شهير بمدينة مكناس، مقصود للزيارة والتبرك. وصفها القادري في *نشر المثاني*، (2 : 184) بقوله : "بهلولة مستغرقة هائمة غائبة في النبي صلى الله عليه وسلم، شاعت بذلك أخبارها، وسطعت للأنام أنوارها". أما ابن زيدان في *الإتحاف*، 5، ص. 505 ـ 506 فيقول في حقها : "صالحة ... ملاماتية، ذات أحوال ومكاشفات ووله وهيمان واستغراق في ذات الله، وانهماك وغيبة في محبة رسول الله ...".

شاعت أخبارها في الحواضر والبوادي، وأوثرت عنها كرامات شهيرة وعادات خارقة. وأصبح لها أتباع كثيرون.

أخذت عن الشيخ أحمد بن خضراء (1075 / 1665).

توفيت في شهر ربيع الأول حسب القادري في *النشر* وشهر ربيع الثاني حسب ابن زيدان في *الإتحاف* عام 1080 / 1669 / 1970 وقبرها من أشهر المزارات المقصودة للتبرك في مدينة مكناس.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 5.

رقية بلمقدم

عائشة مباركة، وهو اسمها المشهور، وفي بعض المصادر عايشة ومباركة، بإضافة الواو بين الاسمين، وقد تكتب عيشَ مبركة، واسمها الكامل عائشة بنت مبارك الرحماني البربوشي. وتعرف أيضاً بالسلطانة زيدانة، وأصلها من قبيلة البرابيش من الرحامنة، وهي أول من تزوج مولاي إسماعيل وأدركت عنده حظوة ومكانة حتى سميت بمولات الدار، وقد عبر عن مكانتها أحد المجاذيب وهو سيدي عبد الرحمان بن مسعود بقوله : "الرأي عند عيشة مباركا الرحمانية، ومن أراد أن يقضي حاجته عند مولانا إسماعيل عزما فليهادها قبل أن يلتقي به"، وكان السلطان مولاي إسماعيل يعظمها ويقول : إنها أعقل من غالب الرجال. فنافست بذلك خناثة بنت بكار المغفرية، وهي أم السلطان أحمد الذهبي وإخوانه : زيدان والحفيد والمتوكل، والسلطان علي الأعرج بالإضافة إلى أربع بنات. وكان لها دور في تولية أبنائها خلفاء لأبيهم في جهات المغرب، وقد استغلت نفوذها ومكانتها عند السلطان مولاي إسماعيل لتمكين أبنائها من الحكم وإقصاء أبناء السلطان من الزوجات والجواري. وذكر التاسفتي أنها تدخلت لدى السلطان مولاي إسماعيل لزيادة الجيش الذي سيحارب به ابنها مولاي زيدان أخاه الثائر محمداً العالم وفعلا امتثل السلطان لأمرها وزاد الجيش.

توفيت في 6 جمادى الأولى عام 1127 / 1715. وفي بعض المصادر أنها كانت من أولياء الله الصالحين، لها محبة للفقراء والمساكين وتعظيم للعلم والعلماء، وقد رثاها مصباح الزرويلي بقصيدة عدَّد فيها مَحَاسنها ومحبتها للخير والمعروف وأهل الدين. ودفنت بسيدي عبد الرحمان المجذوب خلف الجدار الشرقي وعلى قبرها رخامة بها اسمها وتاريخ وفاتها.

ديوان *مصباح الزرويلي*، مخطوط، خ. ح. رقم 360 ؛ الريفي، *زهر الأكم* ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ الزياني، *البستان الظريف*، ج 1 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 7 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ *المنزع اللطيف*،

De La Véronne, *Vie de Moulay Ismaïl*, p. 6, p. 14, p. 19, note 48 ; Le père Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismaïl*, p. 53 - 54.

أحمد ايشرخان

عائشة بنت **محمد** بن الجيار طبيبة سبتية، كان أبوها محتسباً بسبتة، قرأت علم الطب ببلده على صهرها الطبيب الماهر محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء (ت. 771 / 1301). نبغت في الصناعة الطبية وكانت لها معرفة بالأدوية والعقاقير. وكانت امرأة عالية الهمة رفيعة القدر، بليغة الكلام. وبلغت لدى أمراء عصرها مكانة خاصة فكانوا يخصونها بالتكريم لما عرفوا من مهارتها وتقدمها في الطب. وكانت إلى جانب ذلك ذات ثروة حبستها على وجوه الخير.

توفيت بسبتة عن نحو 70 عاماً في أواخر القرن الثامن (14 م).

مؤلف مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1984.

محمد المغراوي

ابن عائشة، **محمد** بن **عبد الله** نجل الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة ؛ شرع في العمل الجهادي تحت إمرة أبيه منذ سنة 1694 بعدما أهداه سفينة فرنسية غنمها في الموسم السابق ؛ وسرعان ما شارك والده في الاستيلاء على سفينة هولندية قرب جزر الأصور، وعلى عتادية هولندية أخرى في خريف نفس السنة رفقة عمه، أرفقوها عند العودة بالسيطرة على قاربي صيد إسبانيين في مياه جزر الخالدات.

وقد ظل محمد يشارك والده وعمه عملياتهما حتى نهاية موسم 1698، حيث يبدو أن خفوت نشاط الأب لم يحل دون استمرارية الابن في العمل الجهادي، وأن يصل إلى الشهرة التي حققها والده، وقد كان في سنة 1707 يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا، وطاقما مؤلفا من مائتي رجل، لما استولى على سفينة إنجليزية وهي في طريقها إلى لندن، آسرا بذلك خمسة وخمسين نجليزيا سيقوا إلى سلا أولا ومنها إلى مكناس، وكانت هذه أبرز عملية قام بها.

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. IV, p. 327 : T. V, p. 61 : Coindreau, p. 81 et 84.

حسن أميلي

ابن **عائشة الفقيه، محمد** بن علي الحداوي نزيل الدار البيضاء المعروف بالفقيه ابن عائشة العلامة المشارك في الفقه والحديث والتصوف مع إتقان علم الآلة انتصب للتدريس بالبيضاء مدة، فكان يشار إليه فيها ثم رحل إلى الحجاز رحلة استيطان حيث استقر بالمدينة المنورة ما يقرب من عشرين سنة ثم رجع إلى الوطن الأم قبل الاستقلال.

أخذ المترجم عن شيوخ أهل فاس مثل الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ولما ذهب إلى الحجاز أخذ عن الشيخ بدر الدين الشامي وعن الشيخ يوسف النبهاني وغيرهما، رجوعه إلى المغرب تزامن مع عدة عوامل أدت إلى ضعفه وقعوده (وهي الكبر والضعف والمرض) إلا أنه بقي مجيبا للسائل ومستحضراً للعلم مذاكراً فيه مطيلا في مذاكرته.

توفي يوم الأحد ثالث رمضان عام ثمانين وثلاثمائة وألف بالدار البيضاء وهو من آخر العلماء بها، له رسالة في مناسك الحج مطبوعة في المشرق وله تآليف أخرى.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال للنضال بالاشياخ وأهل الكمال* ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3362.

عبد القادر سعود

عائشة اليابورية، صاحبة القبة المعروفة بظاهر العلو قيل إنها أخت الولي أبي عبد الله اليابوري. ورأى محمد بن علي دينية رسما عدلياً مؤرخا بعام 1223 ذكر فيه أن هذه المرأة هي بنت الحاج حجي الفاسي الأندلسي الرباطي. لكن تاريخ الرسم يدل على أنها قريبة العهد مع أن المشهور عند الرباطيين أنها قديمة.

توفيت في حدود سنة 1275 / 1858.

م. دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

العائلة بالمغرب، إن البحث حول العلاقة السببية أو التطابق القائم بين كل نظام اجتماعي ونمط البنية العائلية فيه غالبا ما يؤدي إلى إهمال أهمية ودلالة الحضور المتزامن لنمط أو عدة أنماط أخرى للتنظيم العائلي. إن التاريخ وحده هو الذي يسمح لنا بفهم البنيات العائلية بالمغرب. ومجمل هذا التاريخ تخترقه أربع ظواهر أساسية : الديموغرافيا، الصعود نحو الشمال، التطور نحو الاستقرار، والخضوع للسلطة المركزية.

انطلاقا من منظور سوسيوتاريخي يمكن أن نلاحظ أن أولوية الرهان المرتبط بنقل الميراث (المادي أو الرمزي) يطابقه نموذج نسبي أبوي في التنظيم العائلي. هذا النموذج سيخضع للتحول بعد نمو الآليات الحديثة للاقتصاد الرأسمالي الذي يميز بين الإنتاج والملكية، ليصبح نموذجا نسبيا ميراثيا منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. أما النموذج العائلي النووي فإن تحويله يبقى رهينا بتوسع العلاقات الأجرية وتراجع السخرة أو الكلفة ولم يتأتّ هذا إلا مع نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين وذلك بطريقة تدريجية.

لقد ساهمت السلطة المركزية منذ القرن السادس عشر الميلادي في تزكية الدفعة النسبية التي عرفها المجتمع المغربي وذلك عن طريق "ظهير التوقير والاحترام" و"الهبات" على شكل عقار والتي استفادت منها عائلات الزوايا والطرق، وعن طريق "ظهير الخدمة والرئاسة" الذي كان يؤسس لعائلات نسبية تهم القيادة أو الباشوية أو الحسبة أو القضاء أو نظارة الأحباس أو إمامة المسجد...إلخ.

وتدل المعطيات الكيفية المبعثرة في المصادر التاريخية والمؤثرات العديدة الواردة فيها والدراسات الأنثروبولوجية الحديثة والمونوغرافيات التاريخية بالمغرب على أن البنيات الاجتماعية بالمغرب أصبحت تتميز منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى حدود بداية القرن العشرين بسيادة نموذجين عائليين.

- عائلة نسبية أبوية ممتدة وهي عائلة الشرفاء والأعيان (الصلحاء والمرابطين وشيوخ الطرق والزوايا والتجار الكبار والقضاة والفقهاء والقواد والباشوات وشيوخ القبائل). هذه العائلة تقيم في القصر أو القصبة أو "الدار الكبيرة" تجمع هذه العائلة النسبية الأبوية الإخوة والأصهار والنساء والأبناء

الذين يعيشون تحت وصاية الزعيم. القصر أو القصبة أو الدار الكبيرة تعج بالنساء والأبناء والخدم والأقارب.

ـ عائلة نووية بسيطة أو مركبة وهي عائلة العوام. هذا النموذج العائلي يتميز بكونه مسخرا وتابعا اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا وعرفيا للعائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وذلك عبر مجموعة من الالتزامات المتعلقة باقتصاد وأخلاق العرض أو الشرف.

سوف نركز هنا على تاريخ المضمون الاجتماعي لكلمة عائلة، وقد اخترنا التركيز على العائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وعلى الفترة الممتدة من القرن السادس عشر الميلادي إلى بداية القرن العشرين، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية وكذا تراكما نسبيا لمونوغرافيات تتعلق بالأعيان سواء بالمدن أو البوادي.

إن النمط العائلي النسبي الأبوي قد تميز بوجود تعدد في الزوجات يفوق العدد الشرعي (أربع زوجات) وإماء وجواري وخدام أحرار أو تابعين. وقد عرف هذا الشكل النسبي الأبوي للعائلة تطورا في الفترات الحرجة المتميزة بضعف الدولة المركزية.

لقد بدأ نموذج العائلة النسبية الأبوية في التشكل ابتداء من العصر الموحدي وكان مشايخ الموحدين هم أول من أقر التعدد في الزواج. وقد شمل التغيير في البنيات العائلية بعد الفترة الموحدية نسب الأبناء الذين بدؤوا في الانتساب لآبائهم وليس لأمهاتهم، وكذا الإقامة الزوجية التي أصبحت أبوية كذلك، وكذا احتجاب المرأة الحرة في المدن المهمة كفاس ومراكش، وكذا عدم توريث الإناث التي ستصبح من العادات التي استمرت إلى حدود القرن العشرين.

وعرفت عملية عدم تقسيم الميراث تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر الميلادي. وقد فرض التوزيع الجديد لسلطات القيادة منذ الفترة السعدية نوعا من تكثيف روابط الدم وذلك من أجل الحماية كما هو الحال مع أنماط العلاقات الاجتماعية والتبعية الأخرى : الولاء للأشراف والمرابطين والصلحاء.

وامتد عدم تقسيم الميراث ليشمل حتى الزوجين في حين كان هذا التقسيم معمولا به في القرن الثاني عشر على الأقل كما يتجلى ذلك من خلال نوازل القاضي عياض. وقد امتدت هذه العادة المتعلقة بعدم التقسيم حتى بعد وفاة الوالدين، وحتى عندما يحدث الانقسام في الميراث فإن العائلة النسبية الأبوية تحتفظ بالحق الجماعي على مجموع الميراث وذلك عن طريق حق الشفعة. وكان حق الشفعة هذا يسري حتى على زوجات أفراد العائلة النسبية الأبوية اللواتي كن يصبحن زوجات لأب أو أخ أو ابن زوجهن.

هذا النموذج العائلي النسبي الأبوي كان له تأثير على المستوى الديموغرافي. وقد خلقت هذه الوضعية الجديدة المتميزة بعدد الزوجات والإماء والجواري انفجارا ديموغرافيا أثر بشكل كبير على موارد المخزن والزوايا والطرق. لقد أصبحت موارد المخزن ومناطق الولاية والزاوية أو الطريقة (منذ القرن 16 م) لا تساير في نموها نسبة التزايد الديموغرافي في عائلة الحكام والأعيان والشرفاء والمرابطين. وأذكى هذا التزايد الديموغرافي التنافس والصراع العنيف في الغالب بين أفراد العائلات النسبية الحاكمة من ذرية السلاطين وشيوخ الطرق والزوايا والقواد حول الخلافة. وحدثت أول أزمة بين الأمراء بعد وفاة عبد المومن الموحدي سنة 558 . واشتدت بعد وفاة يعقوب المنصور الموحدي سنة 620، وسيتكرر الأمر نفسه لاحقا مع الفترة المرينية والفترة السعدية خصوصا بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي. وقد عرف الصراع الناتج عن الانفجار الديموغرافي الذي أحدثه هذا النموذج العائلي النسبي أوجه بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل الذي خلف حسب المصادر ما يزيد على ألف ولد وبنت. وقد أثر هذا بشكل واضح على موارد الدولة وعلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي إلى غاية بداية القرن العشرين.

وتلك الأزمة الديموغرافية الناتجة عن هذا النموذج العائلي النسبي الممتد للأعيان عرفتها كذلك عائلات الطرق والزوايا بالخصوص حسمت فيها في البداية بإمكانية التوسع على امتداد التراب الذي يتجاوز التراب الوطني وبإقامة ملحقات بمناطق ومدن بعيدة عن المقر الرئيسي للطريقة أو الزاوية.

وذلك النمو الديموغرافي لعائلات الطرق والزوايا يمكن أن نستخرجه من المصادر المتعلقة بالنسب لكل طريقة أو زاوية أو وظيفة مخزنية.

ـ نجد مثلا في *نشر المثاني* للقادري ما يلي : أحمد بن عبد القادر القادري (المتوفى سنة 1113) "تزوج من النساء نحو ثمانٍ، ولم يطلق واحدة منهن إلا أنه إذا ماتت إحداهن تزوج أخرى مكانها، وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر ومن الإناث نحو العشر".

ـ نجد في نفس المصدر أن مولاي التهامي ابن سيدي محمد (القرن 12 هـ) من الزاوية الوزانية كان له من الأولاد الذكور ستة وعشرون وابنة.

ـ ونجد في *فهرسة* ابن عجيبة، أحد مشايخ الطريقة الدرقاوية بالشمال الغربي للمغرب، أنه تزوج ست نسوة وأنجب من الأولاد واحدا وثلاثين (1224).

ـ التهامي الگلاوي باشا مراكش مع بداية القرن العشرين كان له سبع نساء وتسعة أولاد وثلاث بنات.

ـ المدني الكلاوي كان له ما يزيد على عشر نسوة وخلف 13 ولدا و8 بنات.

ـ القائد العيادي الرحماني كان له عشرون امرأة وسبعة عشر ولدا وسبع بنات وأخوه امبارك بن الهاشمي الذي كان خليفته خلف ثمانية عشر ولدا وإحدى عشرة بنتا. وأخوه من أمه وخليفته كذلك خلف ثمانية أولاد وثلاث عشرة بنتا.

وفيما يتعلق بالصراع على ولاية زاوية وزان أورد الضعيف الرباطي (تاريخ الضعيف) خبر الصراع بين ولدي

شيخ الزاوية وهما الحاج العربي بن علي بن الطيب والتهامي بن علي بن الطيب ولجوئهما للسلطان مولاي سليمان للفصل بينهما في هذا النزاع.

تلك العائلة النسبية الميراثية الخاصة بالأشراف والأعيان تشكل النموذج المثالي للعائلة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وقد اتسمت هذه البنية العائلية بالتركيز على التمييز الواضح بين مكوناتها : التمييز بين الشريف وغير الشريف، بين السيد والمسخر والعبد، الشريفات وغير الشريفات والزوجات الحرائر والإماء والجواري والمسخرات (كن كذلك مرضعات).

لقد كان لزعيم العائلة النسبية الميراثية سلطة كبيرة لأنه رئيس عائلة تجمع الإخوة والأصهار والنساء والأبناء الذين يعيشون تحت وصايته وداخل قصبته أو داره الكبيرة. فهو المسؤول عن علاقات العائلة بالخارج. أما الزوجات الحرائر فكانت تنحصر مهمتهن في الإنجاب وتعتبرن حرمة مثلها مثل ضريح الولي أو الشريف الذي تبجله الجماعة النسبية لهذا فهي محتجبة وخصوصا "الشريفة" منهن وتكون مستهدفة في إطار تبادل العنف المرتبط بقيم العرض أو الشرف المحددة للعلاقات العائلية. ومما كان يسهل هذا الاحتجاب ويجعله ممكنا هو وفرة الإماء والخادمات التابعات أو المستقلات. وكانت هذه الخدمة تشمل أجيالا مختلفة يتناوب عليها الأمهات والبنات اللواتي يتكلفن بكل ما يتعلق بالحياة الداخلية للقصر أو القصبة أو الدار الكبيرة، وبتربية الأطفال وإرضاعهم وضمان حياتهم.

وكان تعدد الزوجات خاصية جميع الأعيان، ولم يكن هذا التعدد ينحصر في أربع نساء بل يتجاوز هذا العدد بكثير لأن الزواج أو المصاهرة ارتبطت عند الأشراف والأعيان بالوظائف السياسية التي تؤدي إلى توسيع السلطة والنفوذ. وكان هذا الزواج يكرس دونية المرأة لأنها تبقى ملكا للجماعة النسبية لزوجها بعد وفاتها، إذ أنها تتزوج إما أب زوجها أو أخاه أو ابن عمه. على سبيل المثال تزوج المدني الگلاوي امرأة أبيه فاطنة نايت حدو وبنت أخيه من أبيه. وتزوج أخوه التهامي الگلاوي من امرأة أبيه بعد وفاة أخيه المدني وهي فاطنة نايت حدو كما تزوج بزوجة أخيه زينب المقربة. كما تزوج القائد العيادي الرحامني زوجة ابن عمه بعد وفاة هذا الأخير.

إن الشرفاء والأعيان هم الذين كانوا يتوفرون موضوعيا إلى حدود بداية القرن العشرين على كل الإمكانيات المتعلقة بالتمييز إلى أقصى درجة بين الذكور والإناث وتعدد الزوجات والإماء والجواري والخدم وتحقيق النموذج المثالي للعائلة النسبية الأبوية الميراثية كما ترسخت منذ القرن السادس عشر الميلادي.

ولم يكن يتعارض مع هذا النموذج العائلي للشرفاء والأعيان إلا خدمتها وخماسوها أو عزابوها ورعاتها وعبيدها.

وإذا كانت الأوبئة لا تستثني أي نموذج من النماذج العائلية فإن عائلات هؤلاء كانت فريسة المجاعات والأوبئة أكثر من غيرها، و غالبا ما كانت في مثل هذه الظروف تضطر إلى بيع نسائها وأطفالها (B. Rosenberger et H. Triki, 1973).

وهكذا فإن التناوب الكبير بين الواقع والنموذج المثالي نجده عند هذه الفئات الاجتماعية المشكلة "للعوام". إن النموذج الأقرب إلى الواقع هو العائلة النووية التي كانت تختلف عن العائلة النووية كما تطورت ابتداء من القرن العشرين. والعائلة النووية "للعوام" هي عائلة الخدمة وبالتالي فإن ما يميزها هو الإقامة والنشاط المشتركان لصالح "الدار الكبيرة"، ولم تكن تشكل وحدة بيولوجية أو جماعة عاطفية كما أصبح عليه الحال مع العائلة النووية المعاصرة.

لقد كان وزن السلطة المركزية يختلف من منطقة إلى أخرى. وكلما ضعفت السلطة المركزية اتجهت الروابط النسبية إلى المزيد من التكتل والقوة، وعلى العكس إذا كانت السلطة المركزية قوية ضعفت الروابط النسبية وأصبحت الدولة هي التي تتحكم في حجم عائلة نسبية وذلك بواسطة ظهائر التعيين أو العزل من الخدمة، وظهائر "التوقير والاحترام" التي انفردت بها العائلات النسبية للأشراف والمرابطين أصحاب الطرق والزوايا منذ القرن السادس عشر إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد كانت العشائر القروية المنظمة حول خدمة سيد أو قائد أو شريف تفرض حياة جماعية حارة وتحد من قيمة روابط العائلة الضيقة سواء أثناء العمل أو أثناء الاحتفال. ونجد نفس الشيء بالمدن، حيث كانت "الحنطة" والطريقة تساندان حياة اجتماعية تشمل الحي بكاملة مما كان يحد كذلك من قيمة روابط العائلة الضيقة (الآباء والأبناء).

روابط التضامن تلك، التي جعل منها حنيننا إلى الحياة الجماعية القديمة نوعا من الأسطورة المؤسسة، لا تهم العائلة كما نفهمها اليوم، أي وحدة بيولوجية ووحدة عاطفية وسكنية، إنها على العكس من ذلك دائرة العلاقات الاجتماعية التي كانت تجمع الأقارب وأبناء العم والأجداد والأحفاد والأقارب المقربين والأقارب بالمصاهرة حول أعراف أو طقوس لم تعد لها نفس الوظائف اليوم.

ذلك هو ما يميز ما كان يسمى "بالدار الكبيرة". أما اليوم فعندما نقول إن السكن كبير فإننا نقصد أنه كبير بالنسبة لساكنيه، والبيت الكبير اليوم هو بيت قليل السكان. وعندما تزداد الكثافة السكانية بالبيت، نقول بأن السكن بدأ يضيق وبالتالي فإن المنزل لم يعد كبيرا.

إلى حدود القرن العشرين، "البيت الكبير". أو "الدار الكبيرة" كانت دائما تعرف كثافة سكانية أكثر من الدور الصغرى، بحيث إن "الدار الكبيرة" (القصبة، القصر،...) كانت تشكل لوحدها فئة اجتماعية قائمة بذاتها. ولم يكن المجال السكني هو المحدد للكثافة ولكن كثرة السكان. لهذا

يقال "الدار كبيرة بأصحابها" وأن "الاتساع في القلب" أي أن الامتلاء يعبر عن القيمة الاجتماعية لذوي الدور أو البيوتات.

وهذه "الدار الكبيرة" كانت تقوم بدور عمومي. لقد كانت هي المكان الذي يجتمع فيه خلق كبير، الأقارب والأصحاب والزبناء والمحميين، بالإضافة إلى الخدم والعبيد المقيمين باستمرار والزوار الذين لا ينقطعون.

وقد كان العيش يمر في غرف صالحة لكل شيء، ولم تكن هناك غرفة خاصة بالنوم. لقد كانت الغرفة مجالا عموميا. ويتم فصل فراشين أو أكثر بالغرفة بمجرد ساتر فقط.

وفيما يتعلق بالتربية العائلية فإنها لم تكن تتحدد في الوالدين وأطفالهما، بل كان الشكل العام للتربية السائد هو الخدمة المنزلية أو "السخرة". إن الواجب الأساسي للطفل الذي كان يوضع رهن إشارة الشيخ أو الحرفي أو غيرهما هو خدمة هؤلاء. ولا يمكن أن نعتبر أن الطفل كان يوضع كمتعلم (بالمعنى الحديثة للكلمة) ولكن كخادم. وكانت الخدمة المعتادة هي الخدمة المنزلية التي كانت تعتبر طبيعية. لقد كان الأطفال المنتمون "للدار الكبيرة" أو "القصبة" أو "الحرفة" يتعلمون عن طريق الممارسة، ولم تكن هذه الممارسة تتوقف عند حدود مهنة أو شغل أو نشاط محدد ؛ إذ لم يكن هناك فصل بين المهنة أو النشاط والحياة العائلية الخاصة. وقد كانت أسر العوام لا تحتفظ بأطفالها ذكورا وإناثا. كان هؤلاء يوضعون رهن إشارة "الدور الكبرى" ولم يكن هناك مجال للمدرسة. إن "الكتاب" أو "المسيد" الذي كان يتوجه بالأساس للطلبة وللناطقين بالعربية، لم يكن سوى حالة خاصة، يحتفظ بها لفئة خاصة. لهذا فإن "الكتاب" كان في الواقع استثناء وبالتالي فإنه من الخطأ وصف التربية العائلية من خلاله إلى حدود القرن العشرين، لأننا نجعل بهذه الطريقة من الاستثناء قاعدة في حين أن القاعدة العامة كانت هو التعلم عن طريق الخدمة ولم يكن من المستبعد أن تكون هناك حالات يكون فيها التعلم مرفوقا بأشكال بيداغوجية وخصوصا عندما يوضع الطفل في خدمة شيخ من شيوخ الطريقة أو الزاوية.

ـ معتقدات العائلة ومجالها الحضاري : لقد تزامن تطور نموذج العائلة النسبية الأبوية وخصوصا منذ القرن السادس عشر الميلادي بانتشار ثقافة من الترهيب والخوف ساهمت في تسييرها وترسيخها الزوايا والطرق التي عرفت ازدهارا لا مثيل له بالمجتمع المغربي.

ويجب أن نميز هنا بين الخوف والقلق العفوي الذي كان تحس به فئات عريضة من العائلات، والخوف الفكري الناتج عن التساؤل حول المصائب والآفات والذي كان يقوده الفقهاء والأولياء والمجاذيب من كل نوع، هذا الخوف العفوي يمكن أن نقسمه إلى مجموعتين :

ـ الخوف المرتبط بالضرورة بالمستوى التقني وبالوسائل الذهنية المطابقة له : الخوف من البحر، من العين، من الجن والعفاريت والظلام، الخ...

ـ الخوف الدوري الذي يحل ظرفيا مع الأوبئة والمجاعات والقحط والكوارث الطبيعية والزيادة في الجبايات، ومرور رجال الحركة وقطاع الطرق وترحيل مجموعات نسبية من جهة إلى أخرى، الخ...

لقد كانت كل العائلات تقتسم المخاوف من المجموعة الأولى. أما المخاوف الدورية فإنها إما أن تمس كل العائلات مهما كان شكلها (نسبية موسعة أو بسيطة ضيقة) أثناء الوباء أو الغارة أو الحركة، وإما أن تمس فقط العائلات النووية البسيطة للخدام والتابعين خصوصا في حالة المجاعات والقحط.

وقد رسخ تراكم المصائب والآفات التي كانت تصيب العائلات من القرن (16 م) إلى بداية القرن العشرين هلعا ورعبا نجد التعبير عنه في الثقافة العائلية الشفهية منها والمكتوبة والممارسات والطقوس التي كانت تديرها النساء مهما اختلف وضعهن الاجتماعي (حرة أو عبدة أو مسخرة) لأن القاسم المشترك بينهن هو الجهل والأمية.

وقد تشكل "موطن من الخوف" تكونت بداخله حضارة سكنها التضايق. وأدى الخوف والقلق إلى تكريس ظواهر تقهقر الفكر والشعور وانعدام التكيف مع إضافة جرعة زائدة من السلبية واليأس والقدرية (المكتوب) انعكست في التنشئة الاجتماعية إلى يومنا هذا.

هكذا سيترسخ الاعتقاد منذ الطفولة الأولى بأن الكوارث والأمراض والأوبئة والموت ليست بظواهر طبيعية، على الأقل بالمعنى الذي أصبح سائدا في الحضارة التقنية الحديثة. وسيتطور الخوف من البرود الجنسي ومن العقم، وضياع المحصول والقطيع والبهائم وإتلافها ومن الجن، والعين، والجار، ومن المعوقين، الخ... خوف وقلق دائمين، لأن الطبيعة لا تخضع للقوانين، والأمن والأمان غير مضمون، وكل ما هو موجود فهو قابل لتقلبات مفاجئة وخصوصا للتسخير من قبل أولئك الذين لهم علاقة بالكائنات الغريبة السائدة (الجن، الشيطان، الوالي، الطالب، الساحر والساحرة، العين، المعاق، الخ) التي يمكنها أن تحدث مرضا أو وفاة أو عقما أو إعاقة أو كوارث طبيعية.

لهذا وجب "التسليم" والتسامح مع من بيده سلطة التأثير على كل هذه العناصر. وقد كان الاعتقاد السائد هو أن الأولياء أو أصحاب الصلاح (فقهاء، شرفاء، مرابطين، الخ...) يتمتعون بقدرات خارقة تمكنهم من إبعاد الجفاف والأمراض والمصائب كيف ما كان نوعها والتي أولها مشايخ الطرق والزوايا والفقهاء على أنها مظاهر بدهية لغضب الله.

ـ الأخلاق ونظام القيم للعائلة النسبية الأبوية : لقد كانت ترتكز المنظومة القيمية والأخلاقية المحددة بالدور الكبرى بالمدن والقصبات والقصور على الشرف أو العرض ونقيضه العار أو العيب أو "البهدلة". وقد ترسخت هذه المنظومة منذ القرن (16 م). ويتأسس الشرف أو العرض أو العار أو العيب في الواقع على إمكانية التوفر على مجالات تعتبر محرمة

وممنوعة وهذا لم يكن يتأتى إلا للدور الكبرى أو البيوتات الكبرى ومن ممارسة تضامن قائم على أساس التبادل المتميز سوسيولوجيا بالتحدي والتحدي المضاد.

ويتحدد الشرف أو العرض (العار أو العيب) بوجود مجالات محرمة أو ممنوعة على الغريب عن العائلة النسبية الأبوية، وهذه المجالات هي :

ـ الأرض والقطيع والبهائم والتابعون لها من فلاحين وعزابة ورعاة.

ـ تراب الجماعة النسبية وضريح الزاوية أو الطريقة.

ـ النساء الحرائر (الزوجات والبنات) والبيت.

لقد كان الضامن لهذه الحرمة هم الخدام والمسخرون والعبيد والمحميون لأن عرضهم أو شرفهم هو عرض أو شرف سيدهم.

ولم تكن تكتمل هذه المنظومة القيمية إلا بالتبادل، لأن زعيم العائلة النسبية ملتزم مع أنداده وهو رجل حياة عامة. وكان يتشكل هذا التبادل من تبادل لين وتبادل عنيف. ويتحدد التبادل اللين في الكلام أو الحديث في المجامع التي يشارك فيها زعيم العائلة أو أحد أفراد عائلته البالغين من الرجال. كما يتحدد وبالخصوص بالمصاريف المتباهية على شكل كرم وضيافة وإطعام وعطاء وهبة وصدقة. أما التبادل العنيف أو العنف المادي فيكون عن طريق الضرب أو الجرح أو القتل أو النهب والخطف للمحصول وللمتاع وللبهائم والمواشي وسلب الزوجات والبنات الحرائر لباسهن وحليهن أو خطفهن أو الاعتداء الجنسي عليهن (يراجع في هذا الباب الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*).

ـ صيرورة التحولات التي عرفتها العائلة النسبية الأبوية :

لقد ساهمت مجموعة من العوامل المباشرة وغير المباشرة في صيرورة التحولات التي ستعرفها العائلة النسبية الأبوية منذ القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تميزت هذه التحولات بكونها لم تمس كل النماذج العائلية بنفس الكيفية لا من حيث المدة الزمنية ولا من حيث الامتداد المجالي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحولات ستمس في البداية النموذج المهيمن وهو العائلة النسبية الأبوية الموسعة منذ نهاية القرن (19 م).

من أهم العوامل التي ساهمت في هذه التحولات :

ـ نظام الحماية القنصلية التي التجأ إليها بعض الأشراف والأعيان. لقد شجع هذا النظام على إقدام بعض الأشراف والأعيان إلى تغيير عوائدهم العائلية في اللباس والتغذية والسكن والترفيه. وقد أشار محمد المنوني إلى وجود تقييد لابن الخياط يرجع تاريخه إلى سنة 1904 (1322) يستنكر فيه هذا الأخير "خروج النساء مع الرجال للنزهة بضواحي مدينة فاس وهن متكشفات متزينات ومتعطرات ويطالب السلطة بجعل حد لهذه الظاهرة ويحث العلماء على تغيير هذا المنكر باللسان والقلم".

ـ الزواج بالأجنبيات من بعض أفراد عائلات الأشراف والأعيان. مثلا أربعة من أولاد الباشا التهامي الگلاوي تزوجوا من أوروبيات مع بداية القرن العشرين.

ـ نظام الترتيب لسنة 1901 الذي لم يستثن الأشراف وساوى بين كل العائلات سواء كانت شريفة أم لا، والدخول المتزايد إلى إدارة المخزن والتجارة لأفراد من عائلات الفقهاء والعلماء الحضريين التي لم تكن معروفة سابقا إلا بعلمها، وبتوافر عامل آخر مهم هو المصاهرة واسعة النطاق بين كل الفاسيين مع بداية القرن العشرين. وقد أورد عبد الأحد السبتي مثال عائلة ابن جلون التي كانت تكون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. تبدأ الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد والثانية بالولي الصالح عبد الجليل والثالثة بالمحتسب علي ابن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه.

ـ منع المخزن للبيع العمومي للرقيق بفاس سنة 1905 تحت ضغوط البعثة الأوروبية بطنجة والقضاء على تجارة الرقيق مع دخول الحماية.

ـ إقامة نظام عقاري يقوم على الملكية الخاصة المسجلة والمحفظة (ظهير 12 غشت 1913) وهذا ما سمح للملكية الفردية بالتطور والتخلص من التبعية وانعدام التحديد والتقدم على حساب الملكية الجماعية للجيش والحبوس والمخزن. وأصبح البناء على هذه الملكية العقارية يعيد هيكلة المجال والمؤسسة العائلية وفق معايير وقيم وطموحات فردية جديدية.

ـ تحويل المكتنزات من ذهب وفضة إلى الأبناك واستثمارها في النشاطات الاقتصادية الحديثة من عائلات الأشراف والأعيان.

ـ بداية الفصل بين الملكية والإنتاج مما سيؤدي بالعائلة المالكة لوسائل الإنتاج إلى البحث عن كفاءات غير عائلية لممارسة وتدبير عملية الإنتاج.

ـ تطور الإقبال على التعليم الحديث من الأشراف والأعيان. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمدرس الحديث سيشكل ثورة عميقة وبطيئة على واقع العائلة النسبية الأبوية. لقد شكل حلول المدرسة الحديثة محل التعلم تعبيرا عن تقارب الأسرة النووية والأطفال وبداية تطابق الشعور الأسري بالشعور بالطفولة اللذين كانا متفرقين في مجال العائلة النسبية الأبوية الموسعة. وقد أصبحت الأسرة بفعل المدرسة تتمركز حول الطفل ذكرا كان أم أنثى. هكذا سيمكن للعائلة أن تصبح حقيقة عاطفية بعد ما كانت مجرد حقيقة أخلاقية واجتماعية. وسيصبح التركيز أكثر على مراعاة المساواة بين الأبناء ذكورا وإناثا، وهذه كلها قيم جديدة مازالت تكتسح كل الفئات الاجتماعية إلى اليوم.

ـ تطور الإقبال على المراكز الصحية التي أحدثتها سلطات الحماية منذ الثلاثينيات وخصوصا تلك التي تخص الأم والأطفال. ويتعلق الأمر بالأعيان والأشراف الذين أصبحوا من حيث مستوى عيشهم لا يتميزون اجتماعيا عن الأوربيين.

- إحداث نظام الحالة المدنية وتمديده ليشمل المغاربة الراغبين في تسجيل ولاداتهم ووفياتهم (ظهير 1931 المكمل لظهير 4 شتنبر 1915) هذا النظام سيمنح الشفافية أكثر للبنيات العائلية ويعطي الشرعية للانتماء الأسري.

- تطور التعامل النقدي والعلاقات الأجرية التي ستؤدي إلى استقرار الأسرة النووية للعوام وتحررها من التبعية والتسخير للعائلات النسبية الممتدة للشرفاء والأعيان.

- الأمن والاستقرار اللذان أصبحت الدولة تضمنهما وضمان الملكية حتى عندما يتم إعفاء مسؤول عن مهمته، وتطور القانون الوضعي في تحديد الروابط الاجتماعية والعائلية، كل هذا يدل على التحول البطيء نحو التمييز بين السلطة والملكية وهذا لم يكن متوفرا إلى حدود بداية القرن العشرين. هكذا لم يعد أفراد العائلات النسبية مضطرين للتعاضد لحماية أنفسهم وممتلكاتهم حتى يضمنوا أمن الرأسمال وبدأوا في الاستقلال عن بعضهم البعض.

تلك العوامل ستساهم تدريجيا، وذلك حسب المناطق والأوساط الاجتماعية ومع نوع من التفاوت الاجتماعي والجغرافي والزمني، في التراجع المتزايد منذ بداية القرن العشرين لمقومات العائلة الأبوية كالنسب وتعدد الزوجات والجواري وهيمنة القرابة الأبيسية على القرابة الأميسية واحتجاب المرأة وعدم توريثها وعدم أهليتها. وموازاة مع هذا ستبرز بنيات عائلية جديدة أهمها : نموذج العائلة الميراثية ونموذج العائلة النووية.

ويتمركز نموذج العائلة الميراثية اليوم في المجالات التالية :

- عائلات الوحدات الإنتاجية الصغرى المستقلة سواء كانت منظمة أمر غير منظمة (الفلاحة، الصناعة التقليدية، الحرف الحديثة وتجارة التقسيط).

ومازالت العائلة في أغلب هذه الوحدات تطابق النموذج الميراثي وذلك بالجمع بين الملكية والإنتاج وإعادة الإنتاج، إلا أن التطور في القيام ببعض الوظائف كالأمن والصحة والتكوين... إلخ. من المؤسسات الجماعية قد أثرت على سلطة زعيم العائلة وبدأت تخفف من ثقل التقسيم التراتبي للمهام داخل العائلة في هذه الأوساط ؛ وخصوصا الشباب عندما يصبحون حاملين لشهادات دراسية فإنهم يقومون بتغيير موقفهم إزاء آبائهم ويصبحون قادرين على التفاوض في بقائهم في الوحدة العائلية شريطة أن تتم إعادة توزيع السلط.

- عائلات المهن الحرة الحديثة (الطب، الصيدلة، المحاماة، المحاسبة، الهندسة، إلخ...) التي تقوم بنشاطات ترتكز حول إعادة إنتاج الميراث أو الموقع الاجتماعي والتي تبقى مرتبطة بالحصول على شهادة عليا متخصصة. لقد أصبحت في السنوات الأخيرة المسالك العائلية لإعادة إنتاج تقوم بنقل الرأسمال الثقافي الذي يمكنه لوحده أن يسمح للأبناء بالحلول محل الآباء في "العيادة" أو "المكتب" أو للاشتراك في بداية الأمر. إن ملكية هذا الرأسمال الثقافي تقوي من استقلالية الأبناء ولكن بكيفية متفاوتة حسب أهمية التجربة عند الأطباء والمحامين والموثقين مثلا، مما يسمح للآباء باحتلال مكان مهم في نقل التقنيات والمعارف المهنية.

- عائلات صاحبة الرساميل (ميراث كبير عقاري، صناعي أو مالي : الأبناك، الفلاحة العصرية، الصناعة الحديثة، التأمين، البورصة، إلخ...) تطابق هذه العائلات المسالك العائلية التي تتميز بصلابة النموذج الميراثي ويتعلق الأمر هنا أولا بإنتاج "ورثة" ذكور لكي يضمنوا الخلافة، وإناث يعتبرن ورقة في الاستراتيجية الزواجية لزعيم العائلة. إن استراتيجيات الإنجاب والتربية والترقية تبقى مشروطة بهذه الأولويات.

أما نموذج العائلة النووية فهو النموذج الذي أصبح مهيمنا على باقي البنيات العائلية. هذا النموذج نجده في الفئات الاجتماعية التالية :

- العائلات العمالية والتي هي منظمة أساسا حسب ضرورة إعادة تكوين وصيانة قوة عمل الرجل. ويمكن للزوج هنا أن يطالب الزوجة بالقيام بكل أشغال ومهام البيت، وعلى العكس بإمكان الزوجة أن تطالب زوجها بأن يضع رهن إشارتها أجره حتى تتمكن من القيام بهذه المهام. وهذا التقسيم الجنسي للأدوار يكون مدعما بالسيادة التراتبية لسلطة الزوج، تراتبا يشتد كلما كانت الأصول قريبة من العالم القروي.

هذا المسلك العائلي المكون بهذا الشكل يعيد إنتاج الثقافة والمركز الاجتماعي والعلاقة بالملكية وكذا المركز الاجتماعي للفتيات.

- عائلات الموظفين والأطر المتوسطة :

لقد عرف هذا النموذج العائلي تطورا ملحوظا منذ الستينيات ولكنه لا يتميز عن العائلات العمالية إلا فيما يتعلق بإعادة إنتاج المظاهر الخارجية للمركز الاجتماعي "لموظف الدولة" : اللباس وأشكال العيش والاستهلاك التي تسمح بتقديم مظهر اجتماعي لائق.

وهذا النوع من العائلات يشكل مسالك عائلية تعيد إنتاج وضعية وموقع اجتماعي متناقض لمن لا يقوم بأشغال يدوية ولكنه مع ذلك يقوم بأعمال تنفيذية. هذا الموقع المتناقض الذي غالبا ما يرتبط بطموح كبير نحو الترقية الفردية هو السبب في انعدام الاستقرار الذي يعرفه أطفال هذه الفئة.

إن المسالك العائلية التي سينشأ وفقها الأطفال ستؤدي بهم في النهاية إلى مستقبل مهني متنوع وأنماط عائلية مختلفة.

- عائلات الأطر العليا :

هذه العائلات المنظمة حسب النموذج النووي تتحدد بضرورة تحقيق المسار المهني للزوج. وهكذا فإن التنظيم العائلي هنا سيكون محددا بأهمية النشاطات الهادفة إلى

ضمان التحسن في الموقع الاجتماعي. ولا يتعلق الأمر هنا فقط بالسكن ولكن أيضا بالتجهيز والشكل الجمالي وشخصنة البيت، أو بالتغذية ولكن أيضا باستقبال الضيوف وتبادل الدعوات والزيارات وبالاعتناء بالمظهر وقضاء العطلة في إقامة سياحية، إلخ...

وإن ضرورة إعادة إنتاج الموقع الاجتماعي تقتضي هنا مسؤوليات إضافية بالنسبة للزوجة، وسيتجلى ذلك غالبا في التمييز الجنسي الكبير بين المهام وذلك حسب مستوى التأهيل والنشاطات المهنية للزوجين أو حسب اندماجهم في الجماعات المهنية والعائلية. وفي الحالات القصوى يجب على "المسؤول" الإداري (القطاع الخاص أو العام) أن يفترق أكثر فأكثر عن عائلته كلما صعد في السلم الإداري ويصبح مساره المهني متوقفا على مدى استعداد زوجته لمساندته، وذلك بأن تتكلف بكل ما يخص البيت والأطفال وأن توفر له إطارا "لائقا" وشريكة حياة يمكن أن تمثله بكيفية لائقة من حيث العناية بنفسها وبمظهرها.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه التحولات التي عرفتها البنيات العائلية بالمغرب والتي أفرزت هذه النماذج العائلية لم تؤثر على مبدأ البنوة الأبوية ولا على قاعدة السلطة الذكورية ولا على الروابط الدموية التي حافظت على متانتها. وإذا كان النقد يتجه اليوم إلى الروابط العائلية فإن هذا النقد يتعلق بالخصوص بطرق التحالف الزواجي وليس بالبنوة أو الروابط الدموية. وتلعب النساء دورا كبيرا في مجال عمليات التضامن العائلي حتى وإن كان النظام الاجتماعي لا يعترف لهن بهذا الدور.

م. شقرون، العائلة كموضوع : من السوسيولوجية العفوية إلى السوسيولوجية العلمية، السوسيولوجية المغربية المعاصرة : حصيلة وتقييم، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1988 ؛ *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد 13 ؛ م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ن. السلاوي، *الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1951 ؛ القاضي عياض، *مذاهب الحكام ونوازل الأحكام*، تح. محمد بنشريفة ؛ الونشريسي، *المعيار المغرب من فتاوي إفريقيا والأندلس والمغرب*، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، الرباط، 1980 ؛ المهدي الوزاني، *النوازل* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1986 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط* ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج أيت باعمران*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الله نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، طائفة العكاكزة (ق. 17.16)، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها : مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1637.1549)*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986 ؛ م. البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان 1912.1850، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1983.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; P. Pascon et al., *La maison d'Illigh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; G. Lazarev, *Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le protectorat*, *A.A.N.*, XIV, 1975 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Bourdieu, *Le sens pratique*, Paris, 1980 ; L. Mezzine, *Contribution à l'histoire du Maroc au XVIIe siècle*, 1987 ; M. Ennaji, *Soldats, domestiques et concubines : l'esclavage au Maroc au XIXe siècle*, 1994 ; M. Kenbib, *Les protégés*, 1996 ; K. Brown, *People of Salé* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès (1660-1830)*, *H.T.* ; H. Fehrat, *Famille et société à Sabta*, *H.T.*, vol. 30, 1992 ; M. Chabi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; R. Letoureau, *Fès avant le protectorat* ; Rosenberger et H. Triki, *Epidémies et famines au Maroc*, *H.T.*

محمد شقرون

العبابدة واحدهم عبّادي، معروفون بقبيلة الأعراب من أحواز الرباط، عمالة الصخيرات حيث لهم بطن يدعى العبابدة، ولهم بطن آخر في أولاد بوعزيز الشماليين من قبيلة دكالة، هذا زيادة على غيرهم المستوطنين جهات أخرى من المغرب مثل قبيلة بني احسن، فنجد بطن العبابدة ضمن الصف الشرقي من فرقة الصفافعة الذين كان لهم في مطلع القرن العشرين نحو مائتي خيمة.

وقد تولى العبّاديون الحسناويون مناصب القيادة وإلى ذلك سنتعرض فيما يلي من التراجم.

م. بوشعراء، *علاقة المغرب*، 19 ـ 200.

V.T.M., *Rabat*, Tome III, p. 278 ; *Répertoire des tribus* (1955), p. 21-28.

مصطفى بوشعراء

ابن عبّاد، أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، ولد برندة جنوب الأندلس سنة 733 / 1333 ونشأ في أسرة اشتهرت بالصلاح والزهد والاشتغال بالعلوم الدينية. لقي العلماء فأخذ علوم القرآن واللغة والفقه والكلام والأصول والمعقولات عن أساتذة عصره بكل من رندة وتلمسان وفاس من أمثال والده أبي إسحاق إبراهيم وخاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي والشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي والإمام العالم أبي عبد الله الآبلي والإمام الشريف أبي عبد الله التلمساني والقاضي أبي عبد الله محمد المقري وقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي والفقيه أبي محمد عبد النور العمراني والفقيه أبي الحسن الصرصري والفقيه أبي محمد عبد الله الفشتالي والمقرئ أحمد بن عبد الرحمن المجاصي والفقيه أبي مهدي عيسى المصمودي والفقيه أبي محمد الوانغيلي وغيرهم.

وفي مرحلة ثانية من حياته تحول ابن عباد إلى اتخاذ التصوف سلوكا وعقيدة في حياته الخاصة والعامة ثم نهج "في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، وتكلم في علوم الأحوال والمقامات والعلل والآفات" (*نفح*، 5 : 341). لقي في هذه المرحلة كبار الصوفية وصاحبهم وقصدهم "لوجدان السلامة معهم" فتتلمذ على أبرز

شيوخهم في المغرب كالصوفي الكبير أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر السلوي (ت. 764 / 1363) الذي أثر كثيرا في شخصية ابن عباد فأصبح من أبرز مريديه يشيد بذكره ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم بالأخذ عنه والانتفاع به والتسليم له. فتمكن بفضله من الترقي إلى درجات عالية في طريق السلوك الصوفي. ومن شيوخه أيضا أبو عمران موسى العبدوسي (ت. 776 / 1375) وأبو مروان عبد الملك.

تولى ابن عباد وظيفة الخطابة وإمامة مسجد القرويين بفاس سنة 777 / 1376، وهي الوظيفة التي لم يفارقها مدة خمسة عشر عاما حتى وفاته. وهو بذلك يؤكد أنه لم يكن متجردا ومنقطعا إلى العبادة والزهد وإنما كان ممارسا لحياة اتخذت من مبدأ عدم التعارض بين الاشتغال بالأسباب الدنيوية وسلوك طريق الصوفية منهجا علميا مقتديا في ذلك بالمدرسة الشاذلية. وقد عرف عنه أنه لم يتزوج قط ولم يتخذ لنفسه أمة. وكان يتولى أمر خدمته بنفسه حتى أنه نسب إليه قوله بأن الله قد أكرمه بعدم الرغبة في النساء. ويذكر ابن قنفذ أن ابن عباد كان يلبس في داره المرقعة، فإذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض، أما تلميذه أحمد زروق فيقول عكس ذلك مشيرا إلى أن شيخه كان يلبس الثياب الرفيعة ويستعمل الطيب.

تقدم حياة ابن عباد وموضوعات مؤلفاته الفقهية والصوفية صورة معبرة عن التصوف المغربي في عصره، فالرجل شب وترعرع في كنف مدارس بني مرين بفاس التي ركزت في برامج تعليمها على المذهب المالكي ومحاربة البدع، فتأثر بهذا التوجه الرسمي وكذلك بتوجهات العلماء والصوفية الذين تتلمذ عليهم. فالرندي غدا علامة من علامات عصره ليس فقط بالمغرب ولكن بكل الغرب الإسلامي، وعصره تميز بنشاط مدارس صوفية عملت على التقيد بالكتاب والسنة والتزمت بالابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي الذي كان يمثله قبل الرندي كل من محيي الدين بن عربي وابن سبعين، كما اهتمت أكثر بالجانب التربوي العملي من التصوف.

ويبدو ابن عباد في رسائله الصوفية والسياسية منشغلا جدا بانتشار البدع في زمانه ويدعو إلى محاربتها. فانتقد الظواهر البدعية التي انتشرت بالمغرب كظاهرة المختصرات الفقهية وظاهرة التقليد في الفقه. فبدأ بنفسه إذ ترك الفقه / علم الظاهر ولجأ إلى التصوف / علم الباطن. ولم يكن ذلك هروبا من مجابهة مشاكل مجتمعه أو تخاذلا عن تقديم حلول لها، بل نجده في بعض رسائله الصوفية يتبنى مواقف معادية من بدع ومستحدثات زمانه ويكاتب سلطان الوقت أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 ـ 774 / 1372) في شأن البلاء الذي عم البلاد كانتشار قطاع الطرق وتعسف الولاة والعمال وإثقال كاهل السكان بالضرائب والمكوس. ويدعوه إلى رفع هذه المظالم ومعاقبة الولاة الظلمة. ويندرج هذا الموقف في إطار مواقف سياسية عامة اتخذها علماء وفقهاء ومتصوفة عصر ابن عباد من الأزمة الأخلاقية والسياسية التي كان المجتمع المغربي يعاني منها فتصاعدت نتيجة لذلك احتجاجات ودعوات توجه الاتهامات إلى السلطة المرينية نفسها كما ساهم ذلك في انتشار التصوف وتزايد شعبية رجالاته في الحواضر والبوادي.

يعد ابن عباد رمزا من رموز المدرسة الشاذلية الصوفية وأحد أهم أعمدتها بالمغرب، ساهم إلى حد كبير في نشر الطريقة الشاذلية بالأندلس والمغرب من خلال تآليفه، فهو أول من ألف شرحا لحكم ابن عطاء الله تلميذ الشاذلي فقرب به حقائق الشاذلية بشكل لم يسبق إليه.

انشغل ابن عباد في مطارحاته الصوفية بملامسة مجموعة من القضايا والأسئلة استعرضها بشكل واضح في رسائله الكبرى وكذلك رسائله الصغرى كقضية الشيخ والسلوك وهل يصح سلوك طريق الصوفية دون شيخ، وغيرها من القضايا التي أثيرت حولها مناقشات ومناظرات بين فقهاء وصوفية الغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الهجري.

وبالرغم من أهمية موقع ابن عباد في هذا النقاش، فإنه يعتبر نفسه ليس أهلا للأخذ في موضوع سلوك طريق الصوفية دون شيخ وأنه لا يستحسنه من نفسه لوجوه : "أحدهما أني أعلم قصور باعي في فن التصوف من قِبَل أن لم آخذ فيه مع من له ذوق وتحقق فيه من أهله، ولَم أعْنَ بتطلبهم والبحث عليهم. وأكثر شأني إنما هو الاشتغال بمطالعة كتب القوم لا غير..." (*الرسائل الصغرى*، 112).

خلف ابن عباد مجموعة من التآليف يصب أكثرها في باب التصوف من أشهرها : *الرسائل الكبرى* التي أهداها إلى تلميذه الشيخ أبي زكرياء يحيى السراج، *الرسائل الصغرى* التي وجهها إلى مريديه وتلامذته يجيبهم فيها على أسئلتهم في آداب التصوف والمتصوفة، كتاب غيث *المواهب العلية بشرح الحكم العطائية* شرح فيه حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله المتوفى سنة 709 / 1309، إضافة إلى مؤلفات أخرى بعضها لا يزال مخطوطا والبعض الآخر إما مفقود أو مشكوك في صحة نسبته إلى ابن عباد من بينها نظم الحكم العطائية في ثمانمائة بين من الرجز وتحقيق العلامة في أحكام الإمامة ومجموعة خطب وعظية كان ابن عباد قد ألقاها بمسجد القرويين بفاس عندما كان إماما وخطيبا وظلت بعد قرون من وفاة صاحبها تدرس في جوامع ومدارس بلاد المغرب وتتلى في المناسبات والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي والسابع والعشرين من رجب وليلة النصف من شعبان ورمضان وغيرها، ولابن عباد أيضا شرح *أسماء الله الحسنى ورسائل على قوت القلوب* وفتح التحفة وإضاءة الشرفة وهو مصنف في علوم الحديث.

توفي ابن عباد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث أو رابع عام 792 / 1390 وحضر جنازته أهل فاس وفي مقدمتهم السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني

وخاصته في حفل مهيب حتى أن العامة همت بكسر نعشه تبركا به، وليس هذا بغريب لأن ابن عباد كان عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر. دفن الرندي بكدية البراطيل من داخل باب الفتوح حسب أحمد زروق أو بالقرب من الباب المسدود المعروف بالحمراء حسب يحيى السراج في حين يشير صاحب *سلوة الأنفاس* إلى أن ضريح ابن عباد موجود في الروضة التي تملكها أسرة تلميذه ابن السكاك وأن هذا الأخير هو الذي دفنه بها. والضريح ظل موجودا إلى زمن صاحب *السلوة* يقصده الناس للزيارة والتبرك.

ابن عباد الرندي، *الرسائل الكبرى*، طبعة حجرية، 1320 ؛ *الرسائل الصغرى*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958 ؛ شرح *الحكم العطائية*، ط. القاهرة، 1317 ؛ مجموعة خطب حول المواسم كعاشوراء والمولد النبوي ورمضان ورجب وشعبان وليلة القدر، مكتبة الزاوية الحمزاوية رقم 269 والخزانة الحسنية رقم 2688 ؛ *كراسة في المولد النبوي* ؛ نظم *الحكم* لابن عطاء الله، خ. ح. 11609 / 2 ؛ *الدعاء بأسماء الله الحسنى*، خ. ح. 1053 ؛ *نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل*، خزانة ابن يوسف بمراكس، مجموع رقم 368 / 7 ؛ *فتح التحفة وإضاءة السدفة* (الشرفة)، خ. ع. د. 984 ؛ أبو القاسم الصيرفي، *قصيدة في مدح رسائل ابن عباد النفزي*، خ. ع. د. 891 ؛ أبو زكرياء يحيى السراج، *فهرسة*، خ. ع. ك. 1242 ؛ ابن أبي بكر الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، تح. مصطفى النجار، سلا، 1988 ؛ ابن الخطيب، *الإطاحة*، القاهرة، 1975، 3 : 252 . 256 ؛ *الكتيبة الكامنة*، بيروت، 1983، ص. 40 . 44 ؛ ابن قنفد، *أنس الفقير وعز الحقير*، الرباط، 1965، ص. 79 . 80 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، ط. فاس، د. ت. ؛ أ. زروق، شرح حكم *ابن عطاء الله*، تح. عبد الحليم محمود محمد بن الشريف، مكتبة النجاح، 1969، ص. 22 . 24 ؛ الونشريسي، *المعيار*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 11 : 184 . 191، 278 . 279 ؛ 12 : 293 . 307 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 315 . 316 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت.، ص. 279 . 281 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968، 5 : 341 . 350 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1316، 2 : 133 . 145 ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، مطابع سلا، 1988، ص. 52 . 53 ؛ الزبادي، *إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد*، خ. ع. د. 984 ؛ أبو الوفاء الغنيمي، *ابن عباد الرندي، حياته ومؤلفاته*، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 6، العدد 1 و2 (مزدوج)، 1958، ص. 221 . 258 ؛ *ابن عطاء الله السكندري وتصوفه*، القاهرة، 1958 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1980، ص. 227 . 228، 237 . 238، 276 ؛ علي أومليل، *الخطاب التاريخي*، الدار البيضاء، ط. 2، 1984، ص. 176 ؛ بولس نويا، *ابن عطاء الله ونشأة الطريقة الشاذلية*، ترجمة دار المشرق، بيروت، 1986 ؛ ر. السلامي، *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 499 . 529 ؛ م. فتحة، *البدعة بين سلطتي الفقهاء والمتصوفة أمثلة من الغرب الإسلامي أواخر العصر الوسيط*، دفاتر البحث، المجلد 1، العدد 1، دجنبر 2001، ص. 50 . 52.

M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnées dans l'idjaza du cheikh Abdel Qadir el Fasy*, Paris, 1907 ; L. Massignon, *Recueil de textex inédits concernant l'histoire de la mystique en pays de l'Islam*, Paris, 1929 ; M. Asin Palacios, *Un precursor hispanomusulman de San Juan de la Cruz*, *Al-Andalus*, 1933, vol. I ; P. Nwyia, *Ibn Abbad de Ronda*, Beirouth, 1961 ; Ibid., Ibn Abbad, *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, Leyden - Paris, 1975, t. III ; Ibid., *Ibn Abbad de Ronda et Jean de la Croix, à propos d'une hypothèse d'Asin Palacios*, *Al-Andalus*, vol. XXII, fasc. 1, 1957 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion*, Paris, 1986 ; J. Renard, *Ibn Abbad ar-Rundi : Lettres on the sufi Path*, Translation and introduction, New-York, 1986 ; K. Honerkamp, *Les rasa-il Al-Kubra de Ibn Abbad de Ronda, Lettres d'un Shadhilite marocain du 14è siècle*, étude, analyse et édition critique (soutenue à Aix-en-Provence 1) ; S. Sqalli Houssini, *Contribution à l'étude du discours politico, religieux sous les dernies mérinides : les lettres d'Ibn Abbad de Ronda au Sultan Abu Faris et le Nush muluk al-islam d'Ibn As-Sakkak* (soutenue à Aix-en-Provence 1).

رشيد السلامي

ابن **عبّادْ، عمر محمد**، فقيه ونوازلي ماهر، ومفتي حاذق. ولد بمراكش عام 1320 / 1902 بحومة زاوية لحضر، من أسرة متواضعة، يقال إن أصلها من الأندلس. كان والده محمد بن أحمد قصارا بقصارية ابن يوسف. وهو رابع أخوة أربعة ذكور. أمه شرقاوية.

دخل الكتاب في سن مبكرة عند الشيخ المدرر ابن إيدار برباط سيدي عبد العزيز التباع، فحفظ القرآن الكريم حفظا تاما، وأتقنه رسما إلى جانب تمكنه من بعض المتون. بعدها تاقت نفسه إلى إرواء نهمه وعطشه للعلم، ومجالسة العلماء والمشايخ، فالتحق بالجامعة اليوسفية، ولازم دروس المشايخ وحلقات دروسهم إلى أن بلغ في النحو واللغة والفقه شأنا عظيما، ومبلغا عز نظيره بين أقرانه، وشهد له بهذا التفوق شيوخه. وقد تتلمذ على جماعة من العلماء نذكر منهم :

1) الشيخ أبو شعيب الدكالي
2) العلامة الحاج عبد السلام بن المعطي السرغيني
3) شيخ الجماعة العلامة الحاج العربي البربوشي
4) القاضي العلامة عباس بن إبراهيم التعارجي
5) سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، وغيرهم. وجل هؤلاء الشيوخ أجازوه إجازة كفاءة واستحقاق، ونوهوا بذكائه وحسن خطه واستقامته.

اشتغل أول الأمر عدلا مع القاضي بلحسن بمحكمة أزبزط. ولما عاد الفقيه السيد عباس بن إبراهيم التعارجي من سطات اختاره للعمل معه نظرا لرجاحة عقله، وشدة توثيقه وضبطه. ثم انخرط في سلك العدالة مع ملازمته للتدريس بالجامعة اليوسفية بصفة تطوعية. ولما تم تنظيم الجامعة اليوسفية سنة 1358/ 1939، تفرغ للتدريس، وأقبل الطلبة على دروسه لما لمسوه فيه من التمكن والاستيعاب، إلى جانب التحقيق والتدقيق. وقد قضى زهاء 22 سنة في التدريس، 10 قبل النظام، و12 سنة داخل النظام.

بعد هذه الفترة تولى القضاء وأبان عن مقدرة، وأقام فيه بنشاط الشباب، وحنكة الشيوخ. ففي عام 1370 / 1950 اختير عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم عاد بعد ثلاث سنوات إلى مراكش قاضيا للأحكام، ثم مستشارا بمجلس الاستيناف إلى أن بلغ سن التقاعد. وخلال هذه المدة القضائية ما أحصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه.

ولم يستسلم لهموم التقاعد والفراغ المميت، بل تفرغ للمطالعة ولوازم البيت، والإكثار من الذكر، إلى أن توفاه الله بعد مرض عضال ألزمه الفراش مدة شهر عصر يوم الجمعة 14 ربيع الثاني الموافق 28 يناير 1983، ودفن بمقبرة باب دكالة.

ترك رحمه الله مجموعة فتاوي في مجلد كبير، وكتاب في مناسك الحج، وخطب منبرية.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *وثائق عائلية*.

أحمد متفكر

العبّادي، الجيلالي بن الأحسن المدعو بوخْريص كان سنة 1322 / 1904 قائدا على العبابدة حتى عزل، ثم ولي عليهم مرة أخرى سنة 1911 / 1929 بعد أن اشترى منصبه من الصدر الأعظم المدني الگلاوي بمبلغ كبير من المال.

العبّادي، عبد الله بن **مَحمد** (فتحا)، من القواد العباديين سنة 1324 /1906 بعد عزل القائد الجيلالي المذكور قبله في المرة الأولى. وقد استمر في منصبه سنتين اثنتين.

العبّادي، محمد بن **عبد القادر** من الفقهاء الأساتذة الذين حمدت سيرتهم، وصفه الكتاني في تحفة الأكياس بصاحب أذكار وتلاوة، وممن يرجع إليه في معرفة ذلك في وقته، وكان مقصوداً لحل بعض الأمور والمشاكل في الفقه، مع ما له من المعرفة في علم الأسماء والمحافظة على ديانته.

وافاه الأجل المحتوم في سادس عشر رمضان المعظم سنة 1327، ودفن بضريح الولي الأشهر سيدي المكتفي داخل درب مولاي عبد المالك بالطالعة.

توفي رحمه عن نحو الثمانين سنة.

م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس*، 2 : 421 ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 3391.

العبّادي، محمد بن **قدور** استهل حياته العلمية بالأخذ عن شيوخ عصره ؛ كالشيخ إدريس بن أحمد الوزاني، وعن والده الشيخ محمد بن عبد القادر العبادي، المدعو قدور العبادي، كما أخذ عن الشيخ محمد الإيراري وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي والشيخ محمد بن قاسم القادري وغيرهم.

بعد أن تخرج من جامعة القرويين تصدر لتلقي الشهادات والفتوى والتدريس، لينخرط بعد ذلك في سلك القضاء، حيث ولي قضاء صفرو نحوا من عشرة أعوام، كما ولي خطة القضاء بكل من أزمور وطنجة وتازة ووجدة وآسفي وزرهون. وصرف عن القضاء بعد ذلك فاشتغل بالعبادة والذكر والمذاكرة، ثم عين مستشاراً بالمجلس الأعلى وشغل هذا الوظيف نحو السنتين.

خلف المرحوم محمد بن قدور العبادي مجموعة من الآثار العلمية التي نذكر منها :

- محاضرة في موضوع الربا، المطبعة الرسمية 1944.
- *إرشاد الوزير*.

وله كذلك تأليف في الرهان وأنواعها وما جرى به العمل في ذلك.

توفي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد القادر العبادي إلى رحمة الله ليلة السبت ثالث وعشري ربيع الأول عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف 1385 / 1965، وحمل إلى فاس حيث أقبر بزاوية الشيخ ماء العينين.

أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة الصباح الجديدة، 2 : 421، الدار البيضاء، 2002 ؛ ع. الله گنون، *معجم المطبوعات المغربية*، إ. بن الماحي، ت. ع. الله گنون، مطابع سلا، ص. 227 ؛ *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 196 ؛ *سل النصال* / موسوعة أعلام المغرب، 3 : 3391 ـ 3392.

سليمان القرشي

العبّادي، مسعود بن **عبد الرحمان**، عين سنة 1295 / 1878 قائدا على إخوانه، ولم تكد تمر سنتان حتى كان معزولا ومسجونا وتوفي في محبسه بمدينة سلا.

بدأت محنة مسعود عندما تداين بمبلغ من المال لواحد من اليهود سنة 1296، فأمره السلطان بالوفاء بدينه وبيع رؤوس من الماشية بعد أن فرض عليه ذعيرة ألفي ريال تُؤدى لبيت المال.

ومن جهة أخرى كان بنرزوگ الذي كان ولد أخ مسعود قد ضمن عن أناس من إخوانه أداء مبلغ 500 ريال يؤدونها ليعقوب بن سعيد ترجمان القنصلية الفرنسية بالرباط. فأُمر بنرزوگ بتسديد المبلغ وذعر بثلاثة آلاف ريال مثلما ذعر عمه مسعود بألفين.

لكن هذا الأخير عجز عن أداء خمسة آلاف ريال عنه وعن ابن أخيه، لكنهما وعدا بتسديد أربعة آلاف من الريال فقط، لأن مسعود كان يعلم أن الألف الريال الزائدة ستؤول حتما إلى جيب الوزير المرتشي محمد بن العربي الجامعي الذي وعد بالتوسط لتسريح القائد وولده حمو المقبوض معه وكذلك بنرزوگ المذكور أعلاه، وقد ظهر ذلك جليا عندما كتب الوزير بخطه وبلحنه في طرة الرسالة التي وجهها إلى عامل سلا الحاج محمد بنسعيد هاته العبارة : "وما أنعم به (أي مسعود) لجانبنا حزه منه عاجلا ووجهه صحبة من يثاق (كذا) به".

وصدر الأمر لبنسعيد وللأمناء بدفع دار يملكها العبادي بسلا للسمسار، لكنها لما نقصت عن الثمن المعتاد لمثلهما أخر السلطان البيع.

مكث الثلاثة بسجن سلا نحو السنة إلى أن جاءت سنة 1299 / 1882 فوجه حمو بن مسعود وابن عمه بنرزوگ إلى

سجن مراكش في أكبالهما، فمات حمو فيه، كما مات أبوه في سجن سلا قبل ذلك بنحو السنتين، وظل ولد الأخ سجيناً بمراكش إلى ما بعد سنة 1301 / 1885 رغما عن تشفع بنسعيد فيه.

تلك قضية نكبة أصابت ثلاثة أشخاص، فلو أدوا ألف ريال زائد على ما وعدوا به، فلربما سرحوا، ولربما عاد مسعود إلى سالف منصبه كما يقع في مثل هاته الأحوال، ليتمكن إن شاء من استرجاع الخمسة آلاف ريال فصاعدا. والواقع أن مسعود كان لا يملك تلك المبالغ.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 170 ؛ *علاقة المخزن*، 113.110 ؛ *وثائق بنسعيد*.

مصطفى بوشعراء

ابن العباس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموها على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abnabez ؛ ومازالت أسر إسبانية تحمل اسم Benavez.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة ذكرها في الرقم 295.

العباس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Avez - Abez ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abbas.

أبو العباس، أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. لقبه المستنصر بالله وهو الخامس عشر من ملوك بني مرين. حكم المغرب الأقصى مرتين، الأولى بين 775 / 1373 و786 / 1384 والثانية بين 789 / 1387 و796/ 1393. أي حوالي سبع عشرة سنة ولذلك اشتهر بذي الدولتين.

ولد أبو العباس بغرناطة عام 756 / 1355 من أم تنتسب إلى أعيان المجاهدين بالأندلس، وهي نزهة بنت أبي العباس خضر ابن أبي عبد الله محمد القباق، ثم عاش حياة المنفى منذ صغره تحت أعين ملوك بني الأحمر، وفي جو من المناورات والدسائس بين غرناطة وفاس خاصة بعد وفاة والده السلطان أبي سالم.

في دولته الأولى بويع البيعة الخاصة بمدينة طنجة في شهر ربيع الثاني من عام 775 ثم بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء من فاس الجديد يوم الأحد السادس أو السابع من محرم سنة 776 / 1374 مباشرة بعد خلع سلفه أبي بكر السعيد الثاني (774 / 1372 ـ 776 / 1374).

تميزت هذه المرحلة بالتدخل السافر لصاحب غرناطة في شؤون المغرب ومحاولاته المتكررة لخلق الفتن والاضطرابات من خلال مناوشته لحكام فاس ملوكا ووزراء والاستئثار بدعم المعارضين لهم من بين الأمراء وتسخيرهم لأغراضه السياسية والتوسعية. وقد شكلت قضية الأديب الشهير لسان الدين بن الخطيب وموقفه المناوئ من سياسة ابن الأحمر ولجوئه إلى صاحب فاس عنصرا مباشرا في تأجيج أحقاد ابن الأحمر الذي قام بمداخلة الأمير المريني أبي العباس اللاجئ بطنجة وشجعه على الثورة ضد صاحب فاس أبي بكر السعيد بعد أن مهد له الأمر بدفع صاحب سبتة محمد بن عثمان بن الكاس ابن عم الوزير المستبد بفاس أبي بكر بن غازي، لدعم الأمير الثائر والدعاء له. وكان ابن الأحمر قد اشترط على الأمير مقابل ذلك أن ينزل له على جبل الفتح ويسلمه غريمه ابن الخطيب. بعد موافقة الأمير على هذه الشروط ومبايعة سبتة وجبل الفتح له بالأمر، سلم الجبل لابن الأحمر الذي أرسل في الحين مساعداته العسكرية والمالية لأبي العباس لينطلق بذلك أحد فصول المواجهة بين الأمير والسلطان المرينيين بتوجيه من حكام غرناطة. عرفت المواجهة بين الطرفين عنفا شديدا خاصة بعد تحالف أبي العباس مع ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وبعض القبائل العربية إلى جانب ابن الأحمر، ثم تمكن الثوار من حصار البلد الجديد والدخول في مفاوضات مطولة انتهت بتنازل السلطان أبي بكر السعيد عن العرش لصالح السلطان الجديد أبي العباس الذي دخل العاصمة في سابع المحرم من عام 776. بعد مبايعته فوض لوزيره القائم بأمره محمد بن عثمان تسيير شؤون البلاد واقتطع لابن عمه الأمير عبد الرحمن أعمال مراكش وسجلماسة وتكون أزمور حدا فاصلا بين مملكتيهما فاس ومراكش. مباشرة بعد ذلك قام السلطان أبو العباس باعتقال ابن الخطيب بطلب من ابن الأحمر ونهب دياره وضيعه بفاس وأودعه السجن حيث قتل ومثل بجسده وأحرق.

لم يهنأ أبو العباس بالاستقرار في حكمه خلال دولته الأولى، إذ سرعان ما تراكمت المشاكل السياسية حوله وتعددت مواقعها : كانت أولاها عودة الوزير المخلوع أبي بكر بن غازي لمعاداة السلطان ومنافسة وزيره محمد بن عثمان مدعما من صاحب غرناطة وكذلك صاحب تلمسان. إلا أن السلطان المريني استطاع مواجهة الموقف بحزم وشدة وتمكن من اعتقال الوزير الثائر وقتله سنة 779 / 1377.

أما المشكلة الثانية فكانت هي الأخطر عندما بدأ صاحب مراكش الأمير عبد الرحمن يقض مضجع السلطان ويعلن عن تطلعاته وطموحاته في حكم المناطق الشمالية وضمها إلى ما كان تحت يده. وقد دشن عبد الرحمن هذه السياسة بقتله حسون بن علي الصبيحي صاحب أزمور التي كانت حدا فاصلا بين الطرفين. فكان هذا الحادث سببا مباشرا في اندلاع حرب بينهما انتهت فصولها الأولى بعقد صلح والالتزام باحترام الحدود السابقة. وبعد فترة عاد الأمير عبد الرحمن إلى سياسته الأولى وابتزاز السلطان بعد أن طلب منه التنازل

له عن عمالة صنهاجة ودكالة وأن تكون الحدود الجديدة بينهما هي وادي أم الربيع. ولم ينتظر عبد الرحمن جواب السلطان إذ بادر إلى احتلال أزمور وأبرم تحالفا مع عامل صنهاجة ودكالة الحسن بن يحيى بهدف مساندته في تمرده مقابل أن يملكه عمالته.

تحت هذه الضغوط اضطر أبو العباس إلى مواجهة الخطر المحدق بدولته فبعث بعساكره إلى مراكش وحاصر أميرها عبد الرحمن، وعندما اشتد الحصار أرغم المؤيدون على الانسحاب من حول الأمير إلى أن أصبح وحيدا في قصبته مع ولديه أبي عامر وسليمان يقاومون حتى قتلوا جميعا في نهاية جمادى الثانية من سنة 784 / 1382، واستعاد أبو العباس بعد ذلك نفوذه على المناطق الجنوبية.

كان على أبي العباس بعد قضائه على تمرد الأمير عبد الرحمن بالجنوب التحول إلى جبهة أخرى هي الجبهة الشرقية لمواجهة خطر بني زيان القائم باستمرار. فقد استغل صاحب تلمسان أبو حمو موسى بن يوسف ابتعاد السلطان المريني عن عاصمة ملكه إلى الجنوب فنظم حملة مع عرب أولاد حسين على مدن تازة وتاوريرت ومكناسة. إلا أن أبا العباس لم يتأخر كثيرا في الرد بعد أن حسم الأمر بالجنوب في أسرع وقت لينقل قواته نحو الجبهة الشرقية ويطرد المهاجمين بل ويرحل إلى تلمسان ويحتلها بعد فرار صاحبها نحو بلاد مغراوة. لكن الظروف شاءت أن تعاكس رغبة السلطان لأنه لن يستطيع الاستمرار في مطاردة أبي حمو وعرشه بفاس مهدد مرة أخرى من بعض المتآمرين عليه من أفراد مخزنه. فقد استغل هؤلاء غياب أبي العباس واتصلوا بابن الأحمر الذي بدأ يعرب عن تضايقه من سياسة حليفه القديم وينزعج من طموحاته السياسية، فاتفقوا معه على أن يقوم بإطلاق سراح الأمير موسى بن السلطان أبي عنان اللاجئ عنده ليجعلوه سلطانا على البلاد بدلا من ابن عمه أبي العباس. وقد وجد هذا الطلب في نفس ابن الأحمر هوى ورغبة ملحة لاستعادة قبضته على الوضع بالمغرب، فما كان منه إلا أن جهز الأمير موسى واستوزر له مسعود بن رجو بن ماساي وسلطهما على أبي العباس. وعندما تمكن الثوار من السيطرة على سبتة غرة صفر من سنة 786 / 1384 ومبايعة رؤساء الشورى وشرفائها له، أدرك أبو العباس خطورة الموقف فتحرك لمواجهته. غير أن المتآمرين بفاس المؤيدين لحركة الأمير موسى كانوا قد حسموا الأمر وتخلوا عن السلطان الشرعي، الشيء الذي ساهم في إضعاف شوكته وتشرذم معسكره وتفرقت جنوده ليقع في قبضة الأمير الثائر ويخلعه عن الحكم يوم الأحد الموفى ثلاثين لشهر ربيع الأول من نفس السنة، ثم يبعث به مقيدا إلى الأندلس مع ولده أبي فارس وبعض أعوانه ويوضع تحت مراقبة ابن الأحمر لتنتهي بذلك أخبار دولته الأولى كما بدأت بتدبير تأثير من غرناطة.

بعد فترة وجيزة من حكم السلطان الجديد موسى بن أبي عنان بدأت الخلافات بينه وبين وزيره مسعود بن ماساي تطفو على السطح ويدخل الوزير في اتصالات مع ابن الأحمر يطلب منه إعادة السلطان أبي العباس المخلوع إلى ملكه. فلما توفي السلطان موسى في ظروف غامضة تراجع الوزير عن طلبه وأسرع في دعوة ابن الأحمر لرد أبي العباس إلى مكانه بغرناطة وأن يبعث إليه عوضا عنه الأمير الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن المعتقل لديه لأنه أليق بالاستبداد والحجر.

تذهب بعض المصادر إلى أن سياسة الوزير مسعود كانت ترمي في واقع الأمر إلى تهييء ظروف ملائمة لاسترجاع ما احتله بنو الأحمر من مدن كانت تابعة للنفوذ المريني خاصة مدينة سبتة. وبالرغم من أن الوزير كان يعلم جيدا خطورة ما سيقدم عليه، وأن المعني المباشر بهذه المواجهة هو حليفه القديم صاحب غرناطة، فإنه بادر إلى احتلال سبتة وراسل ملوك قشتالة في أمر الأمير النصري محمد بن إسماعيل والرئيس الأبكم المعتقلين بإشبيلية وأن يطلقهما على ابن الأحمر. لكن هذا الأخير رد عليه بأن استدعى السلطان المخلوع أبا العباس من معتقله وأركبه السفين إلى سبتة التي استولى على قصبتها في غرة صفر من عام 789 / 1387 ثم على مجموع المدينة ويعيدها إلى حكم بني الأحمر من جديد.

من سبتة انطلقت جهود أبي العباس في استعادة نفوذه على المناطق الشمالية وعندما أشرف على فاس حاصرها مع ولده أبي فارس ومساندة علي بن زكرياء شيخ الهساكرة لأكثر من ثلاثة أشهر، بعدها حصل اتفاق بين أبي العباس والوزير المحاصر مسعود بن ماساي والذي نصت بنوده على الإبقاء على الوزير في منصبه إن تنازل عن الحكم وبايع أبا العباس وأن يبعث ابن ماساي سلطانه الواثق إلى منفاه بالأندلس. على إثر هذا الاتفاق دخل أبو العباس البلد الجديد يوم 5 رمضان من سنة 789 وبويع البيعة العامة يوم 7 رمضان من نفس السنة لتبدأ بذلك دولته الثانية.

وأول عمل قام به أبو العباس بعد استرجاع ملكه ثانية هو التخلص من مناوئيه ومعارضيه من بطانة ابن ماساي، فما كان منه إلا أن ألغى الاتفاق الذي كان بينه وبين ابن ماساي ثم اعتقله وعذبه في سجنه إلى أن قتله مع إخوانه وحاشيته وعين مكانه على الوزارة محمد بن يوسف بن علال.

بعد ذلك قبض على الأمير الواثق وأشخصه إلى طنجة حيث سيقتل لاحقا، ثم نكل بأولياء دولته الأولى الذين تنكروا له بعد خلعه ومنهم محمد بن أبي عمرو وحركات بن حسون النياطي.

تميزت الدولة الثانية من حكم أبي العباس بنوع من الاستقرار والهدوء بعد أن قضى على خصومه وأخذ بزمام أموره بيد من حديد، كما كان لانهماك أمراء تلمسان في الصراع على الحكم وانشغالهم عن التدخل في المغرب الأقصى الأثر الكبير في هذا الاستقرار بل كان ذلك مدعاة لتدخل أبي العباس في مشاكل بني زيان خاصة بعد مقتل عدوه أبي حمو. وقد دعّم أبو العباس أحد المتصارعين حول

حكم تلمسان الأمير أبا تاشفين فمده بالمال والجند إلى أن تمكن من الانتصار والاستيلاء على الحكم سنة 791 / 1389 باسم السلطان المريني يقيم الدعوة له ويخطب باسمه على منابر مملكة بني زيان ويبعث إليه بالضريبة على رأس كل سنة. وعندما تغيرت الأحوال وتوترت العلاقات بين أبي تاشفين وأبي العباس بادر هذا الأخير إلى تحريك أمير زياني آخر كان مقيما بفاس هو أبو زيان وجهزه لمحاربة أخيه أبي تاشفين.

حين وصل خبر وفاة هذا الأخير بعد مرضه سنة 795 / 1393 إلى السلطان المريني عجلت في قرار أبي العباس بإرسال ولده أبي فارس إلى تلمسان واحتلالها وإرجاع أبي زيان بن أبي حمو إلى فاس.

عندما كان أبو العباس يشرف على تحركات ولده إلى تلمسان والجهات الشرقية من موقع إقامته بتازى طرقه المرض الذي كان فيه حتفه ليلة الخميس السابع من شهر محرم من سنة 796 / 1394، ومنها حمل إلى فاس ليدفن بالقلة وسنه يومئـــذ تسع وثلاثون سنة، وعلى إثر ذلك استدعي ابنه أبو فارس من تلمسان ليخلف والده.

ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ *النفحة النسرينية* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ *التعريف بابن خلدون*، ضمن العبر ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، ط. الجزائر، 1903 ؛ ابن زمرك، *ديوان*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، بيروت، 1997 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، 1 : 93-94 ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ المقري، *أزهار الرياض* ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979 ؛ العباس بن إبراهيم، *الاعلام* ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون).

Brunschvig, *Grenade et le Maroc mérinide*, *"études d'islamoligie"*, Paris, 1976, t. 1 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides*, Paris, 1973 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon*, *"Miscelanea de textos medievales"*, t. 2, Barcelona, 1974; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

العباس (مولاي -)، **أحمد** بن **محمد** الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور السعدي. اسمه الحقيقي أبو العباس، لكن العامة يسقطون لفظ الكنية ويدعونه العباس، فغلب عليه ذلك. أمه شبانية من عرب معقل. لا نعرف شيئا عن تاريخ ميلاده، ولا عن مستواه العلمي، لكننا نستبعد أن يكون حاز نصيبا من العلم وقد رشحه والده للملك.

بويع له بعد وفاة والده محمد الشيخ الأصغر عام 1064 / 1654، فقام مقامه في جميع ما كان إلى نظره، لكن مجال حكمه لم يعد يتجاوز أسوار مدينة مراكش. وبذلك عرفت المملكة في عهده أدنى تقلص لها، وكثرت الدسائس والمؤامرات داخل القصر، وتدخلت النساء في ذلك. وفي السياق ذاته تؤكد المصادر أنه قضى مدة حكمه في الصراع مع أخواله الشبانات الذين استبدوا عليه، وقويت شوكتهم، حتى طمعوا في الملك. فلما "رأت أمه الأمر لا يزيد إلا شدة كلمته في أن يذهب إلى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه". فلما ذهب إليهم قتلوه غيلة، واستولوا على الملك، بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني، ومن ثم، لا نستبعد أنهم تآمروا مع أمه ليغتالوه. وقد عبر الإفراني عن استبدادهم بقوله : "إلا أن حي الشبانات... قويت شوكتهم في أيامه، وغلظ أمرهم عليه، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به، فضايقوه وحاصروه بمراكش أشهرا" (*النزهة*، ص. 374). كان ذلك عام 1069 / 1659. وبوفاته انقرضت الدولة السعدية، وانقطعت دعوتها.

الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 ؛ المراكشي، *الإعلام*، 2.

H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

العباس (ابن -) **البوعزاوي**، أسرة فاسية نبيلة، كانوا يُعرفون قديماً بآل البوعزاوي نسبة إلى جدهم الشيخ أبي يعزى يلنّور (*ت.* 572) ثم صاروا يدعون أولاد ابن صابر، وأخيراً استقرت نسبتهم في أولاد ابن العباس. نسبة إلى أحد أجدادهم المدعو العباس. أصلهم من دكالة انتقلوا إلى فاس قديماً.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 105.

محمد حجي

العباس (ابن -) **البوعزاوي، أحمد** ← **البوعزاوي، أحمد** بن **محمد** الفاسي

أبو **العباس السبتي** (سيدي بلعباس)، **أحمد** بن جعفر المراكشي، أكبر أولياء مدينة مراكش وأشهر رجالاتها السبعة. عربي الأصل، ولد بمدينة سبتة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتوفي بمراكش في اليوم الثالث من جمادى الأخيرة سنة إحدى وستمائة (*تعطير الأنفاس*، 6).

مرت حياته بثلاث مراحل هي :

- المرحلة الأولى : مرحلة التعلم.

ينتسب إلى أسرة فقيرة ، إذ بوفاة والده اضطرت أمه إلى دفعه لحائك من أجل تعلم الحرفة مقابل أجر. وبالرغم من أن أبا العباس كانت له رغبة في العلم، فكان كما تقول الروايات، يفر من معمل الحائك ليلتحق بكتاب الشيخ أبي عبد الله محمد الفخار (دفين تطوان) فتلتحق به أمه لتعيده إلى الحائك بعد معاقبته. ومع تكرار الحادث تدخل الشيخ مقترحا على الأم أن يعلم الصبي ويدفع لها أجره (*تعطير الأنفاس*، 10،9). (ويلاحظ أن قصة أبي العباس بسبتة شبيهة بقصة ابن العريف بطنجة، فقد دفعه والده إلى حائك للتعلم فكان يفر إلى المكتب لتعلم القرآن).

ولعل رغبة أبي العباس في العلم، والرعاية الخاصة التي

كان يلقاها من شيخه بسبب ذلك، كانت وراء سرعة تعلمه، فلم تكد تمضي ست سنوات حتى حفظ القرآن والرسالة وفنونا من العربية والأدب. وتسجل له الروايات مواقف وأخبارا مع شيخه.

- منها أنه كان دائم السؤال والاستفسار، فقد سأله ذات يوم عن معنى قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فتعجب الشيخ لذلك وقال (ليكونن لهذا الشاب شأن) (*أخبار أبي العباس*، 1 ؛ وأظهار الكمال، 158). وفي هذا تمهيد لما سيكون عليه أبو العباس وتقديم لمذهبه في العدل والإحسان والصدقة.

وأبدى أبو العباس الرغبة في السفر طلبا للعلم ولقاء المشايخ ووقع اختياره على مراكش، لأنها كما قال لشيخه "مدينة العلم والخير والصلاح" (*أخبار أبي العباس*، 6 ؛ *إظهار الكمال*، 160). ولأنها كذلك عاصمة الدولة الجديدة، فقد كان خروج أبي العباس من سبتة سنة أربعين وخمسمائة، (وعمره ست عشرة سنة) وهي السنة التي تأكد فيها انتصار الموحدين على المرابطين، خصوصا بعد مقتل تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

وفي طريقه من سبتة إلى مراكش بمعية وصيفه مسعود الحاج (دفين حومة الموقف، *السعادة الأبدية*، 1 : 116). صدرت عنه كرامات وردت في كل تراجم أبي العباس (*أخبار أبي العباس*، 18.11 ؛ *السعادة الأبدية*)، تبرز مشاغل المجتمعات القروية التي مر بها وهمومها، وتعطي صورة عن المتاعب التي لقيها في رحلتهما (*تعطير الأنفاس*، 31.30.12).

- المرحلة الثانية : الخلوة.

وجد أبو العباس مدينة مراكش في حالة حصار (استمر من محرم إلى شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة). فصعد إلى جبل جيليز مع وصيفه، وفي تعطير الأنفاس (إن الله أنبع عينا من ماء وجعل يتعبد في ذلك الجبل والفقير معه يخدمه) (*تعطير الأنفاس*، 32).

وتكتنف سيرته ثغرات ونقط استفهام، ابتداء من تاريخ حلوله بمراكش فبدل أن تقدم المصادر تفاصيل عن حياته تكتفي بسرد مجموعة من الكرامات المنسوبة إليه. فغلبت بذلك جانب الأسطورة على جانب الواقع فلا يبقى إلا استخلاص ما يمكن استخلاصه منها مما يلقي بعض الأضواء على سيرة الشيخ أبي العباس، مع العلم أنها - سواء صحت نسبتها إليه أم لا - تعبر عن هموم البيئة التي عاش فيها وتطلعاتها وآمالها.

لقد بقي بخلوته أربعين سنة (من سنة أربعين إلى ثمانين وخمسمائة) وهي السنة التي تولى فيها يعقوب المنصور الحكم. ونعرف ميل هذا الأخير إلى مجالسة العلماء واستدعائه لهم.

ومع تسليمنا بوجود بعض الزهاد في جيليز، فإننا لا نعرف نوعية الحياة التي كانوا يحيونها على ظهره ولم تصلنا أسماء الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم أبو العباس بالجبل، ذلك لأن حضوره إلى مراكش كان بقصد طلب العلم كما أسلفنا. ونفهم من بعض الكرامات أنه كان منقطعا بالجبل لا ينزل إلى المدينة، فرفيقه مسعود الحاج كان ينزل وحده إليها لأداء صلاة الجمعة (*تعطير الأنفاس*، 23 - 24).

وفي هذه المرحلة من حياته كان يزور الشيخ أبا يعقوب ابن أمغار بتيط، فقد ذكر الزموري نقلا عن صاحب *أنس العارفين*، أن الشيخ المذكور كان جالسا في مسجده الذي بناه على ضفة البحر مع شاب جميل الصورة، بديع الجمال، أبيض اللون، يتحدث معه في فنون العلم. ولما أحضرت الخادم لهما الطعام تعجبت من حسن الشاب وجماله، وأساءت الظن بالشيخ، فجعلا يأكلان وهي جالسة، فلما استوفيا من الأكل، سأل الشاب الشيخ في الدعاء فدعا له وودعه، فجعل الشاب يمشي على ماء البحر والخادم تنظر إليه، فالتفت إليها الشيخ قائلا : لا تسيئي الظن بأولياء الله تعالى يا خبيثة النفس، واعلمي أن ذلك الشاب هو الولي المتبرك به شرقا وغربا، برا وبحرا، أبو العباس السبتي أتى اليوم لزيارتنا على عادته (*بهجة الناظرين* للزموري، 119 أ ب ؛ و*تعطير الأنفاس*، 7 - 8).

فهذه الصفات لا تنطبق إلا على هذه المرحلة من عمره، ويؤكد هذا الخبر ما سلف من ظهور آيات الصلاح على أبي العباس وهو صغير السن.

ويمكننا هذا الخبر كذلك من اعتبار أبي يعقوب بن أمغار من شيوخ السبتي إذ كان يجالسه ويتحدث معه في فنون العلم، ويطلب دعاءه متحملا في سبيل ذلك قطع خلوته بجيليز.

- المرحلة الثالثة : تكوين المريدين وتربيتهم.

ظروف دخول أبي العباس لمراكش، وقطع خلوته الطويلة يكتنفها الغموض. فإذا كنا متأكدين من تمام ذلك على عهد المنصور، فإن الاختلاف واقع في التاريخ والسبب :

- فعند البعض أن وصول أخبار كرامات أبي العباس بعد نزوله على جبل جيليز، جعل المنصور وأعيان المدينة يطلعون إليه للتبرك، ودعاه الخليفة إلى الإقامة بالمدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارا للسكنى (*أخبار أبي العباس*، 3 ؛ و*إظهار الكمال*، 143.142). ولعل ذلك قد تم في بداية حكم المنصور، فيكون السبتي قد قضى - كما في المصادر - أربعين سنة في الخلوة (من أربعين إلى ثمانين وخمسمائة).

وهذه المرحلة من أخصب مراحل حياة أبي العباس ففيها تم نشر مذهبه على نطاق واسع إذ كان يطوف بنفسه في الأسواق ويحث الناس على الصدقة وعلى المتاجرة مع الله (درهم يساوي عشرة) - كما كان يقول -.

وفي هذه الفترة كذلك كون الشيخ أسرته فقد أعطاه المنصور دارا بأحواز جامع الكتبيين (فندق مقبل بحي اكدير) فتزوج وأنجب عددا من الأولاد ذكورا وإناثا (*تعطير*

الأنفاس، 26 و36) ورد ذكرهم في بعض كراماته (*تعطير الأنفاس*، 73.46.45.36.35 *والإعلام*، 4 :330). وتذكر له المصادر حفيدا هو أبو زكرياء فتقول بأنه كان بجانبه وهو يسلم الروح.

صفاته : حدثنا الزموري بتفصيل - في الخبر السابق الذكر - عن صفاته الخلقية (بفتح الخاء) في خبر اتصاله بأبي يعقوب بن أمغار.

وتطنب المصادر في الحديث عن صفاته الخلقية (بضم الخاء) أهمها : بسطة اللسان والقدرة على المجادلة والكلام، لا يناظره أحدا إلا غلبه وكان سريع الجواب كأن القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة يأتيه من يأتيه للإنكار عليه فما ينصرف إلا وقد سلم له وانقاد لقوله (*بادرة الاستعجال*، 39 ؛ *وإظهار الكمال*، 167). وهي صفة يحتاج إليها صاحب مذهب كأبي العباس.

كما كان كثير الدعابة ولكن مع قول الحق، كأن يقول لمن يحب التقدم والزعامة (التيس) ولمن يحرص على الدنيا (ياقطيم)، وغير ذلك من الألفاظ التي تستكره (*تعطير الأنفاس*، 21). ويرفض الغيبة ولو كان ذلك عن طريق المفاضلة بين الشعراء، فقد طلب منه ابن مساعد رأيه في شعر لابن حبوس وأبي العباس الجراوي فاعتذر عن الجواب لأن فيه غيبة إذ سيعز على أحدهما أن يفضل على الآخر (*أخبار أبي العباس*، 9).

وكان كلما انشدت أمامه أبيات غزلية عارضها بأبيات في الحث على الصلاة والعبادة. (*أخبار أبي العباس*، 9 ؛ *وإظهار الكمال*، 129). وكان قائما على الحق يحمل السوط ويمشي في الأسواق يحض الناس على الصدقة والصلاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد تحمل في سبيل ذلك كلامهم وإيذاءهم.

مذهبه : يرتفع سند أبي العباس في الطريقة إلى الأقطاب، الغزالي، الجيلاني، أبي يعزى بواسطة سندين :

1 - عن أبي عبد الله الفخار شيخه بسبتة.
- عن القاضي عياض.
- عن أبي بكر بن العربي.
- عن الغزالي وأبي يعزى.

2 - عن أبي عبد الله الفخار.
- عن القاضي عياض.
- عن أبي علي الصدفي.
- عن عبد القادر الجيلاني (*تعطير الأنفاس*، 13 ؛ *وإظهار الكمال*، 173.157).

ومع أخذه عن هؤلاء الشيوخ يبقى مذهبه القائم على الصدقة متميزا، فأبو يعزى وإن اشتهر بتوزيع تسعة أعشار من زرعه والاكتفاء بالعشر (*إظهار الكمال*، عن المعزى، 173.172)فإن الأمر لم يصبح عنده مذهبا ينظر له، وينذر حياته لتطبيقه.

وترجع الروايات جذور هذا المذهب إلى طفولة أبي العباس، عندما سأل شيخه الفخار عن معنى قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (سورة النحل، آية : 90). واكتملت معالمه أثناء خلوته الطويلة في جبل جيليز حيث كان كثير التدبر في القرآن الكريم، والعبادات، وهكذا فإنه يرد أصول الشرع إلى الصدقة :

- فالتكبير للصلاة معناه التخلي عن كل شيء وعدم الضن على الله بشيء، والركوع معناه المشاطرة، والسلام من الصلاة الخروج من كل شيء.

- والمعنى الحقيقي للصوم الشعور بالجوع للتصدق والعطاء.

- والزكاة فرضت كل سنة لتعويد الناس على البذل والعطاء في كافة أيام السنة.

- والحج معناه التجرد من كل شيء، والبذل لله وإظهار العبودية.

- وسر الجهاد بذل النفس في مرضاة الله، وترك التعلق بأسباب الدنيا (*أخبار أبي العباس*، 2 - 7 ؛ *تعطير الأنفاس*، 12، 13 - 18 ؛ *إظهار*، 120 - 121).

ولاحظ أن كثيرا من الآيات والأحاديث تحض على الصدقة وتدعو إليها :

- ففي قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى....) سورة الليل، آية : 6. إشارة إلى أن أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان، وأصل الشر البخل.

- ولما أراد الله هلاك آل فرعون دعا عليهم بالبخل (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك...) سورة يونس، آية : 88.

ومن الأحاديث التي تنص على فضائل العطاء والبذل، قوله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا النار ولو بشق تمرة".

والآيات التي كانت تأتي على لسانه، ويوضح بها مذهبه كثيرة تدور كلها حول الصدقة والإحسان والعطاء (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ *وتعطير الأنفاس*، 13 - 19 .20 ؛ وإظهار، 134). إلا أن قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) هي أكثرها ورودا على قلبه ولسانه - كما قال - يفسرها تفسيرا خاصا يوضح به مذهبه :

فالعدل : عنده هو المشاطرة، وقد علم الرسول المسلمين مفهومها عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وشاطر الأنصار المهاجرين، فعقد السبتي مع الله ألا يأتيه شيء إلا شاطره إخوانه المومنين من الفقراء، فسار على ذلك عشرين سنة، يتصدق بنصف ما يملك (من سنة أربعين إلى ستين وخمسمائة).

- بعد ذلك عاد للتدبر في الآية، فوجد أن العدل هو الشطر، وأن الإحسان مازاد عليه، إذن فالإحسان هو المشاطرة والإيثار أي إعطاء النصف مع إيثار المحتاج ومساعدته من النصف الثاني، فعقد مع الله عقدا آخر يمسك بمقتضاه الثلث ويتصدق بالثلثين، فعمل بذلك مدة عشرين سنة أخرى (من ستين إلى ثمانين وخمسمائة) ونتج عن هذا العقد أن مكن

الله أبا العباس بالولاية والعزل في الخلق، ولعل هذا ما قصده ابن عربي عندما قال في *الفتوحات المكية* : (دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتي يولي ويعزل، ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع، فتمنيت هذا المقام) (آخر الباب : 360 ـ 3 ـ 386).

ـ ولم يقف أبو العباس عند هذا القدر فأراد تجاوز مقام الإحسان بشكر النعمة، فقسم ما يأتيه إلى سبعة أقسام : قسم هو حق النفس، وقسم حق الزوجة والأولاد ومن تجب نفقته (كان عددهم اثنين وثلاثين شخصا) ويصرف الباقي لمستحقيه فأقام على ذلك أربع عشرة سنة، فصار بمقتضاه مجاب الدعاء (*أخبار أبي العباس*، 2 ـ 7 ـ 17 ؛ *تفاصيل المذهب في إظهار الكمال*، 125 ـ 127 و136 ـ 137 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 16 ـ 18 .

وبلغت درجة الاستجابة حدا جعل القدماء يقولون لا يمكن لأي مخلوق أن يساوي عبادة الحسن البصري، وزهد داوود الطائي، ومعارف أبي مدين، وهمة أبي العباس السبتي. أي أنه كانت له همة عالية تنفعل لها الأشياء على مقتضى مراده بقدرة الله تعالى (*تعطير الأنفاس*، 23)، كما أخبر بذلك عن نفسه في مثل قوله "أحكم بالخاطر وكل ما أردته كان" وقوله "أحكم في السماء" (*إظهار الكمال*، 166).

وفي حديث مروي عن أبي الحسن علي بن زكرياء أنه قال: سمعت أبا العباس يقول : أنا هو القطب. (*تعطير الأنفاس*، 22 ؛ *إظهار الكمال*، 130 ـ 187).

وقد سمع ابن رشد بمذهب أبي العباس فأرسل أبا القاسم عبد الرحمن ابن إبراهيم الخزرجي من قرطبة ليأتيه بخبره، ولما أعلمه بما رآه وسمعه أثناء مقامه مع السبتي قال ابن رشد : (هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود) (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ *تعطير الأنفاس*، 18 ؛ و*إظهار الكمال*، 121). أي أن الصدقة تعاقد بين الخالق والمخلوق نتائجه مضمونة.

لهذا كان يدعو الناس إلى المتاجرة مع الله : الدرهم بعشرة إشارة إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (سورة الأنعام، آية : 160).

ويحثهم في الأسواق والمحلات العامة على حل مشاكلهم وتحقيق مطالبهم عن طريق الصدقة والإحسان. وظل مخلصا لمذهبه إلى حين وفاته، إذ أوصى (وهو يحتضر) بالإحسان.

وقد نهض أبو العباس السبتي بأدوار مهمة في حياته :

1 ـ الدور التربوي والعلمي :

انكب على تدريس الطلبة والمريدين ـ بعد إنهاء خلوته ـ في المدرسة التي خصصها له يعقوب المنصور بحي أگدير (قرب الكتبية)، وكان يدرس الحساب ويحضر مجالسه عدد متزايد من الطلبة.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن الكتب المدروسة وطريقة التدريس، كل ما وصلنا هو اجتماعهم في الليل وارتفاع أصواتهم بالمذاكرة، الشيء الذي يجر عليهم أحيانا غضب حراس الليل، وتوزيعه أجرته على المحتاجين من الطلبة، وتحضير الطعام لهم. (*أخبار أبي العباس*، 8).

وتدريسه للحساب يطابق ما نعرفه من اشتغاله بالعلوم كعلم السيمياء (أو الحروف والأسماء) وعلم الكيمياء. فقد نظم قصيدة مطولة في هذا الموضوع (الزايرجة) أثبتها ابن خلدون في تاريخه ورسم دائرتها وجداولها، مطلعها :

يقول سبيتي ويحمد ربه   مصل على هاد إلى الناس أرسلا

تايخ ابن خلدون، 1 : 912 ـ 939 ، شرحها أبو الفيض المطيع بن سعيد العباسي (*السعادة الأبدية*، 2 : 66) وكان محمد بن أحمد المراكشي من أهل المرية يشتغل بها ويفسرها، بهر الناس بذلك (*الإعلام*، 4 : 353 ـ 354).

وله منظومة في الكيمياء مطلعها :

لك الحمد يا مولاي حمدا مكملا   لمالك من من علي تفضلا

من أشهر تلامذته : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسن الأنصاري المعروف بابن الحكيم (توفي سنة 605 / 1208) قيل إنه كان كثير التأسف والتلهف على شيخه حتى مات بحبه. وأبو بكر بن مساعد ابن محمد اللمطي لازم أبا العباس مدة طويلة، وقد لقيه ابن الزيات وأخذ عنه كثيرا من أخبار السبتي وكراماته. وعيسى بن شعيب الوارد ذكره في *تعطير الأنفاس*، 55.

2 ـ الدور الاجتماعي :

أهم الأدوار التي نهض بها أبو العباس إذ كان يركز نشاطه على خدمة المجتمع بكافة عناصره، وخاصة منها العناصر المعوقة كالعميان والمقعدين وغيرهم. كان يقدم الطعام للمعوزين والمحتاجين. ومن المصادر أنه كان لا يطيب له طعام ولا يركن إلى نوم إذا بقي أحد سكان حيه دون أكل أو غطاء (*إظهار الكمال*، 130 ـ 131 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 52 ـ 53).

وكان الناس يلجؤون إليه عند احتباس المطر لطلب الاستسقاء فيتقدمهم لذلك خارج باب أغمات وباب إيلان بعدما يحثهم على الاستغفار والتصدق (*أخبار أبي العباس*، 12).

واشتهر أبو العباس السبتي في حياته بقضاء أغراض كثيرة : إقامة العدل وإنصاف المظلوم، الاستشفاء من الأمراض ومساعدة الفقير واليتيم والمحتاج والعاجز.

وبذلك اشتهر ذكره في المغرب كله ولجأ إليه ذوو الحاجات من جميع الجهات، ومازال ضريحه قبلة لفئة من الناس يعتقدون استمرار قضائه للحاجات حتى بعد وفاته.

ي. التادلي، *أخبار أبي العباس السبتي*، ذيلت بها الطبعة من التشوف، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984 ؛ ع. المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 232 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية 1974 ـ 1983 ؛ م. العالي بن المكي الأندلسي، *بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوطة خاصة بالرباط ؛ م. بن عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب آل أمغار الصالحين*، مخطوطة خاصة بمراكش؛ ـ ع. خلدون، *تاريخ ابن خلدون العبر*، ط. دار الكتاب، بيروت 1956 ؛ م. المراكشي، *تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ*

أبي العباس، طبعة حجرية بفاس، 1336 ؛ *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، ط. حجرية 1335.

حسن جلاب

العباس (مولاي -) ابن السلطان **عبد الرحمن** بن هشام نموذج الأمير الذي تَأتَّى له أن يُزاوج بين العلم والسياسة والقيادة العسكرية. وغني عن البيان أن وضعيته العائلية وحيثياته قد سمحت له بالاستفادة من تربية وتكوين على عدد من مشاهير فقهاء وعلماء الوقت، في مكناسة الزيتون، مسقط رأسه أول الأمر، ثم في مراكش وفاس، كالفقيه العلامة أبي العباس أحمد المرنيسي، والشيخ العباس بن كيران، والقاضي علي بن محمد الهواري، والفقيه ابن عزوز، والقاضي المهدي بن سودة والوزير الفقيه علي المسفيوي ... وقد فقهه هؤلاء جميعا وغيرهم من علماء الوقت في الدراسات القرآنية، والفقهية، واللغوية، وحدثوه عن أمهات كتب الأدب العربي القديم، شعره ونثره.

وبما أن السلطان المولى عبد الرحمن كان يولي عناية خاصة إلى تربية وتعلم الأمراء، ويتابع شخصياً وباستمرار سيرتهم وسلوكهم، آمراً الأعوان المخزنيين المكلفين بشؤونهم بعدم التساهل في تدبير وتصريف شؤونهم والإسراع إلى تلبية رغباتهم وطلباتهم إلاّ بعد استئذانه في ذلك.

وكان العاهل، قبل ذلك، قد أصدر أوامره إلى باشا مكناسة الزيتون وگيش البُخاري بها، بتعيين قَائدٍ عسكري ومَخْزنيَّيْن، يكون ثلاثَتُهم عند إشارة الفقيه الريفي، ويُنَفِّذُون أوامره، بما في ذلك زجْرُ وإنْزالُ أشَد العقوبات بساحة من يتهاون من الأمراء في عمله أو يسيء التصرف نحو معلميه. ومن علامات استحسان والده لسيرته، وتقديره لمؤهلاته العلمية والشخصية، تكليفُه بقيادة حملات عسكرية في جهات مختلفة من البلاد، فكان رابع الإخوة الذين كان يُشركهم السلطان في تسيير شؤون البلاد، ونعني بهم الخليفة سيدي محمد الذي صار فيما بعد سلطانا للبلاد، والمولى سليمان الذي شغل فيما بعد منصب الخليفة السلطاني بناحية تافيلالت، والمولى أحمد، الخليفة السلطاني برباط الفتح وجد صاحب "إتحاف أعلام الناس ..." الشريف عبد الرحمن بن زيدان من جهة والدته، وثلاثَتُهُم ما عدا المولى أحمد أكبر منه سنّاً.

على أن الرجل لم يشتهر أمره، ويقوى نفوذه في الجهاز المخزني، إلاّ بعد اعتلاء أخيه سيدي محمد عرش البلاد سنة 1859، على إثر وفاة والدهما. فصار الساعد الأيمن لأخيه، ينوب عنه في المهام الجسام، عسكرياً وسياسياً، ويفاوض الأجانب ويبرم الأوفاق والمعاهدات معهم باسمه، كما حصل ذلك في حرب تطوان المشؤومة سنة 1859 - 1860، حيث تولى قيادة العمليات العسكرية ضد القوات الإسبانية الغازية. ولا يهمنا هنا التطرق إلى قدرات ومؤهلات الأمير العسكرية ومن كان معه من عناصر العسكر، والگيش، ومتطوعة القبائل، ومسؤوليته في الهزيمة التي مُني بها المغاربة، بقدر ما يهمنا الإلحاح على الثقة الكبرى والمكانة المتميزة اللتين كان يمتع بهما لدى السلطان أخيه.

والمثير للانتباه في نمط عيش هذا الأمير وغيره، أو على الأقل في جانب منه أو مظهر من مظاهره، وبالرغم من وضعيتهم الاجتماعية الرفيعة، أنه كان يغلب عليه طابع البساطة والتقشف، بل أحيانا الخصاصة، على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن، أو يتخيله الإنسان.

وفي مصادرنا إشاراته ومعلومات تفيد أن المترجم ظل محترم الجناب، مسموع الكلمة لدى ابن أخيه السلطان المولى الحسن. وقد سُرَّ هذا الأخير وانشرح صدره، بعد أن عَلِمَ بموقفه المؤيد له، عند عقد بيعته بمدينة مراكش، مباشرة بعد الانتهاء من مراسيم دفن السلطان سيدي محمد، المتوفى في 18 رجب 1290، الموافق 11 سبتمبر 1873. وتوطَّدت العلاقات أكثر بين الرجلين وازدادت حميميةً، بعد أن اتخذ العاهل زوجا له السيدة زينت، إحدى كريمات عمه العباس والتي أنجبت له المولى مَحمد الذي صار فيما بعد خليفة بمدينة مراكش حتى الشهور الأخيرة من عهد والده، والمولى زين العابدين الذي شغل نفس المهام بمدينة تيزنيت.

وبينما كان مولاي العباس في مهمة بقبيلة المنابهة، في ناحية مدينة مراكش، وافته منيته زوال يوم 8 شعبان 1296، الموافق 28 يوليوز 1879، فنقل جثمانه إلى المدينة المذكورة، حيث وُوريَ التُّرَابَ في ضريح يوسف بن علي.

خ. ح. *الوثائق الزيدانية*، مجلد 17، الوثيقة، رقم 214 بتاريخ 2 شعبان، 1278 / 2 بيراير 1862 ؛ محفظة حسنية، رقم 78، وثيقة بتاريخ 9 رمضان، 1303 / 11 يونيو 1886 ؛ ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 - 1933 ج 2، ص. 122 - 279 - 546 - 548، ج 3، ابتداء من ص. 334، ج 5، ص. 412 - 423 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7، ص. 2663 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 21 - 23 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ مجلة الوثائق، المطبعة الملكية، الرباط، 1976، ج 3، ص. 341 و497.

مصطفى الشابي

العباس، عبد الرحمن، فقيه زاول خطة العدالة سنة 1226 (1811) وفي السنة التالية عين نائب القاضي بتطوان.

وعبد الكريم بن محمد العباس، كان يقوم بمهمة شيخ النظر سنة 1237 (1822).

العباس، عبد السلام بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1211 (1796).

العباس، محمد بن أحمد بن محمد، فقيه كان في عصره أكبر عالم بالنحو فسمي سيبويه تطوان، وكان خطاطا ماهرا له ولع بنسخ الكتب وفي سنة 1190 (1776) كان يزاول خطة العدالة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة.

محمد ابن عزوز حكيم

العباسي، أسرة سوسية عالمة من قبيلة سملالة، ينتسبون إلى جدهم عباس الذي قطن في تومانار من بسيط تازروالت، يرفع بعضهم نسبه إلى ابن زرب قاضي قرطبة، قال في *المعسول* وربما كان ذلك صدقاً إن كان آباؤهم هاجروا من الأندلس كما وقع للگراميين أبناء أبي بكر ابن العربي المعافري، وهناك عباسيون آخرون في قبيلة ماسگينة السوسية ينتسبون إلى الشرف.

توارث العباسيون هؤلاء العلم والأدب طوال أربعة قرون وآخر المترجمين منهم في *المعسول* محمد بن الطيب الذي لقيه المختار السوسي قبيل الحرب العالمية الأولى وأعجب بشعره وأثبت قولة بعضهم فيه : "عندليب روض أريض، رخيم الصوت، طيب الغناء".

وقد ترجم في *المعسول* لتسعة عشر من علماء العباسيين وأدبائهم، وفيهم فقهاء وقضاة وأدباء وشعراء وعمل بعضهم في بلاط الأمير أبي حسون بودميعة وولده محمد في إيلغ قبل أن يخربها المولى الرشيد.

محمد حجي

عباسي، أحمد بن **عبد الرحمن**، ولد سنة 1933 بدوار اخندوق منطقة تيزي وسلي ناحية تازة.

انخرط الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن تشكيلة مركز أخندوق تحت رئاسة علال العجوري، وقد كان الشهيد من الوطنيين الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل الحرية والاستقلال كما شارك في الثورة التي قامت بمركز تيزي وسلي في أكتوبر 1955 وظل يقاوم إلى أن استشهد في معركة اخندوق بتاريخ 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513297.

العباسي، سعيد بن **عبد الله** بن إبراهيم قاضي تارودانت، من أشياخ عبد الرحمن التمنارتي مؤلف *الفوائد الجمة* الذي قال في حقه : "شيخنا الفقيه المحصل المحقق الباحث القاضي العدل ... لازمته خمس عشرة سنة في الاعتناء التام والهمة الصادقة وقرأت عليه في جملة الأصحاب، إذ هو وارث الجماعة بعد الشيخين (القاضي الهوزالي ومحمد التلمساني) ثم عدّد الكتب الفقهية التي قرأها عليه وهي كثيرة وكان يرجع في مطالعته وتقريره إلى أمهات الكتب ويقول "أخذ الفقه منها أيسر لسلامتها من آفات الاختصار" والي ذلك كان المترجم عفيفاً زاهداً " لم يأخذ مدة ولايته من بيت المال شيئاً، مكتفياً بغلة أرض يحرثها أهله.

توفي على قضاء تارودانت بالطاعون سنة 1007 / 98 - 1599.

ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدا البيضاء، 1962، ج 8 : 403 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 409.

محمد حجي

العباسي، علي بن **محمد**، نسبة إلى قبيلة أيت عباس الأمازيغية التي تمتد مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، شرقي ولتانة، وجنوبي أيت مساض. وينتمي العباسي أيضا إلى زاوية المنزل التي تقع وسط فرقة أيت شتاشن من ولتانة، على بعد حوالي ستة عشر كلم من مدينة دمنات.

ترجمه الخليفتي فنعته بالفضل والصلاح والعلم والتواضع والتقوى والسخاء. وعده من بين تلاميذ الشيخ أحمد الخليفة، بل من أبكاره. فقد أخذ عنه الورد الناصري حين زار تامكروت، حيث مكث بها طوال سنتين من أجل الدراسة.

ولما رجع إلى بلده استقر بزاوية مدرسا للعلم ملقنا لورد الناصرين ؛ إذ لا نستبعد أنها أضحت من بين فروع الزاوية الناصرية في تلك الجهة. فكانت تلك الزاوية من بين فروع تامكروت حيث كونت إحدى الحلقات في سلسلة الزوايا الفروع التي أسهمت في ذيوع صيت الناصريين في جبال الأطلس ؛ لترسيخ تعاليم الإسلام واللغة العربية هنالك. ويؤكد المصدر المذكور أن العباسي استمر على ذلك حتى وفاته "قرب الأربعين ومائة وألف"، ودفن بمقبرة الزاوية (*الدرة الجليلة*، ص. 266).

الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

العباسي، محمد بن **سعيد** سابق الترجمة، كان - كأبيه قاضياً - في إلغ حاضرة إمارة أبي حسون السملالي، قال فيه معاصره الحضيگي في *الطبقات* : "الفقيه العالم العامل المحقق المتفنن الجامع بين الحقيقة والشريعة، له تآليف، منها *نظم* لابن هشام *(المغني)* نظماً عجيباً ؛ و*نخبة الأفكار* لابن حجر في علوم الحديث وشرحها : وله فتاو وغير ذلك. وفتاويه متفرقة في *المجموعة البرجية والمجموعة السميحية*. وله مراسلات وأشعار أهمها مولديات أنشدها في بلاط أبي حسون السملالي الذي كان يتشبه في ذلك بحفلات قصر البديع بمراكش أيام أحمد المنصور السعدي.

توفي بإلغ وقت صلاة الجمعة 18 صفر عام 1074 / 21 شتنبر 3663. ودفن بتربة الشيخ أحمد ابن موسى بتازروالت.

م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1962، ج 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 477، ج 2.

محمد حجي

العباسيون والمغرب، يعود تاريخ إقامة العلاقات بين الخلافة العباسية والمغرب إلى بداية ظهور العباسيين على مسرح الأحداث في المشرق. فقد اهتم العباسيون بالمغرب اهتماما كبيراً تجسد في ربط علاقات متينة مع أمرائه في إطار الاهتمام الشامل ببلاد المغرب بالمفهوم الواسع الذي كان يضم إلى جانب المغرب الأقصى المغربين الأوسط والأدنى والأندلس. وإذا كانت موجة الانفصال عن الحكم المركزي ببغداد قد بدأت منذ وقت مبكر بالمشرق، فإنها اجتاحت أيضا الغرب الإسلامي عموما باستثناء إفريقية (دون الفترة التي خضعت فيها للفاطميين) التي ظلت تمثل مركز النفوذ العباسي وقاعدته في المنطقة. وقد لعبت دوراً كبيراً في الصراع والمماحكات التي نشأت بين ملوك المغرب والخلفاء العباسيين.

ففي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136 ـ 158 / 754 ـ 775)، قامت دولة بني مدرار الصفرية في منطقة سجلماسة (تافيلالت الحالية) في جنوب المغرب الأقصى سنة 140 / 757 وانفصلت عن سلطان العباسيين. ولم يستطع ولاة الخلافة في إفريقية استرداد هذا الإقليم، فقدر لهذه الدولة الاستمرار حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

وقد توترت العلاقات بين بغداد والمغرب بشكل كبير عندما نجح الأدراسة في إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في سنة 172 / 788 ؛ ذلك أن قبائل البربر على اختلافها اجتمعت حول إدريس بن عبد الله العلوي الهارب من وقعة فخ بالحجاز، وبفضلهم تمكن من التوسع شرقا وغربا على حساب النفوذ العباسي بعد أن أخضع أجزاء هامة بالمغرب ودانت له معظم قبائل البربر. ففي أقل من عامين دانت له بلاد تامسنا وتادلا، كما خضعت له قبائل فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبلاد فازاز ؛ فاتجه شرقا واستولى على تلمسان وأخضع مغراوة وبني يفرن وعلى هذا النحو أصبح الأدارسة يشكلون خطرا كبيرا وتهديدا مباشرا لإفريقية مركز النفوذ العباسي ببلاد المغرب. وزادت العلاقات توترا بين الطرفين ما بلغ الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 ـ 193 / 786 ـ 808) عن طريق مخبريه من أصداء عن تلك الرسالة الخطيرة التي بعث بها إدريس مع وفادة سرية إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأييده ومساندته. وهكذا اقتنع هارون الرشيد أن الأدارسة لا يفكرون فقط في فصل المغرب عن دار الخلافة الإسلامية والاكتفاء بزعامة إقليمية، وإنما كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم (عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، م. 4، ص. 39). وهذا ما حذا به ـ إدراكا منه لصعوبة اللجوء إلى القوة للاحتفاظ بالمغرب ـ إلى اعتماد السياسة للقضاء على نفوذ الأدارسة هناك. فعهد إلى إبراهيم بن الأغلب بولاية إفريقية، واعترف بحكم أسرته (الاغالبة) على أساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للخلافة العباسية ليجعل منها دولة حاجزة وقوة تحول دون توسع الأدارسة، ودون تسرب النفوذ العلوي صوب الشرق. وقيل إن الرشيد دس إلى إدريس من قتله بمساعدة من إبراهيم بن الأغلب في سنة 177.

وقد استمر خلفه إدريس الثاني في مضايقة الأغالبة حلفاء العباسيين في المغرب خصوصاً بعد أن تعاظم شأنه بعد سلسلة من الانتصارات التي هيأت له إخضاع الخوارج في بلاد المغرب الأوسط، فأصبح خطراً على نفوذ العباسيين. وقد حاول ابن الأغلب إضعافه والتصدي لدعوته، فعمد إلى استمالة أركان دولته وكبار أمرائه، فراسل وزيره البربري بهلول بن عبد الواحد، واستماله بالهدايا، ففارق إدريس ووفد إلى القيروان، فاضطر هذا الأخير إلى مصالحة ابن الأغلب على أن يكف كل منهما عن الآخر من ناحيته.

وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله (422 ـ 467) الذي يصادف عصر المرابطين عرفت العلاقات بين بغداد والمغرب انفراجا واضحا. لقد اعترف المرابطون بسلطة الخليفة العباسي الروحية، واتخذوا منذ البداية شعار الانضواء تحت لواء الخلافة بحيث تؤكد كتب النقود أنهم دعوا للخليفة العباسي على المنابر قبل فتح الأندلس بوقت طويل. وهكذا نقشوا أسماء الخلفاء عل السكة منذ سنة 450 / 1058 زمن حكم الخليفة القائم بأمر الله الذي كان عهده يصادف أيام الأمير المرابطي أبا بكر بن عمر وظل اسم الخلفاء يذكر على المنابر مقرونا باسم أبي بكر بن عمر حتى وفاته في سنة 480 / 1087. وكان هذا الأخير قد عهد إلى يوسف بن تاشفين (453 ـ 500 / 1061 ـ 1107) بحكم شمال المغرب عندما توجه هو إلى فتوحاته فيما وراء الصحراء فنقش يوسف اسمه على السكة مع اسم الخليفة العباسي. ولما شعر بقوته، وبإيعاز من رجال دولته، اتخذ لقبا مهما ذا مغزى هو لقب "أمير المسلمين"، وتحاشى لقب "أمير المؤمنين" لأنه كان يرى أن هذا اللقب الأخير من اختصاص الخليفة العباسي. وقد يظن أن المرابطين نزهوا أنفسهم عن لقب الخلافة لشعورهم في قرارة أنفسهم بأنهم بربر أو على الأصح بأنهم ليسوا قرشيين، ولكن الواقع أن سياستهم كانت ترمي إلى المحافظة على الوحدة الإسلامية لا إلى تحطيم هذه الوحدة (إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص. 185)، خصوصا وأن دعوتهم كانت أقرب بكثير، بمبادئها ومثلها، إلى الدعوة العباسية وإلى السنة والجماعة من الدعوة الفاطمية والحركة الشيعية. ولم يكن في نية المرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين قطع علاقتهم بالعباسيين، على العكس فقد لجأ إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه تقليدا يجعل ولايته على المناطق التي سيطر عليها. وقد كان الخليفة عند حسن ظنه به وأرسل له تقليدا شرعيا يعدد فيها الوصايا ويوجهه الوجهة الشرعية في حكم البلاد والرعايا (م. م. حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ص. 68 ـ 69). وكذلك افتتح علي بن يوسف بن تاشفين عهده بأن

أرسل إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله (487 . 512) يخبره باستلام إمرة المسلمين ويجدد ولائه له ويطلب تقليدا، وكان الخليفة عند حسن الظن به فبعث له تقليدا مختصرا جعل ولايته شرعية، وقد سلك الأمراء من بعده نفس السياسة.

أما في عهد الموحدين فقد أصاب العلاقات بين بغداد فتورا كبيرا بل قطيعة تامة تمثلت في استقلال المغرب نهائيا سياسيا وروحيا عن الخلافة العباسية عندما اتخذ العاهل الموحدي الأول عبد المومن بن علي الكومي (524 . 558 / 1130 . 1163) لقب "أمير المؤمنين" وأصدر الأمر بالاكتفاء، عند دعاء المنابر، بذكر الخلافة الموحدية. وقد انتهز الموحدون للإقدام على هذا الإجراء والإعلام عنه ما وصلت إليه خلافة الشرق من ضعف وتضعضع شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية بمصر. وكما فعل العباسيون في بداية دولتهم من تسمية رؤسائهم بالأئمة، وكذا الفاطميون في نشأتهم بإفريقية، سلك الموحدون نفس الطريقة في أيام المهدي بن تومرت الذي تلقب بالإمام وترك لقب أمير المؤمنين لخلفه عبد المومن. واستمر ملوك الموحدين يتخذون اللقب نفسه إلى نهاية دولتهم.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، لبنان، 1987، ج 5 ؛ ابن الطقطقا، *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*، بيروت، د.ت ؛ السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تح. م. محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1988 ؛ ع. الدوري، *العصر العباسي الأول : دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي*، دار الطليعة، بيروت، 1988 ؛ م. م. حمادة، *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية 64 . 897 / 683 . 1492 : دراسة ونصوص*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980 ؛ أ. م. العبادي، *في التاريخ العباسي والأندلسي*، بيروت، 1972 ؛ و. ع. الجميلي، *دراسات في تاريخ الخلافة العباسية*، الرباط، 1984 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1965، ج 1 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطابع فضالة، المحمدية، 1987 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة (184 . 296) سياستهم الخارجية*، فاس، 1978.

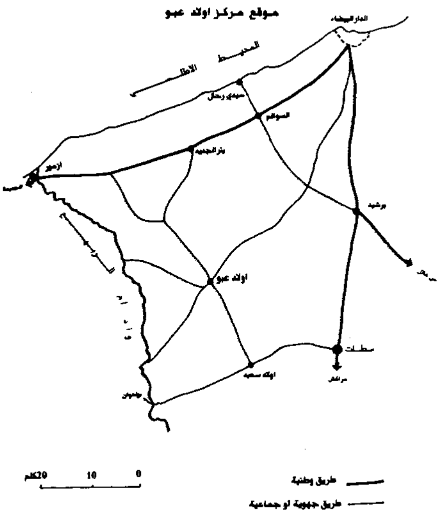
عبد المجيد بهيني

أولاد عبّو (المركز)، يقع مركز أولاد عبو في الجنوب الغربي من الشاوية السفلى داخل منطقة يحل فيها محل سهل برشيد مجال الضايات. ويرجع تشكل الضايات في هذا الجزء من السهل لصعوبة تصريف المياه السطحية بسبب انتصاف الكثبان الرملية المتماسكة في اتجاه البحر وبروز كتلة من القاعدة القديمة على مشارف نهر أم الربيع. وبذلك تطور مركز أولاد عبو بين مجالات متباينة طبيعيا ومتنوعة الموارد الفلاحية.

يحمل هذا المركز اسم أحد فروع قبيلة أولاد سعيد المستقرة بالجنوب الغربي للشاوية العليا. وبحكم استقرار هذا الفرع منها بالشاوية السفلى فقد تم ربطها إداريا، منذ عهد الاستعمار بدائرة برشيد، على عكس أغلبية مكونات القبيلة التي ظلت دائما تابعة لمدينة سطات.

وترجع نواة هذا المركز لعهد الاستعمار الذي نشأت بإيعاز منه تحت اسم Foucauld في إطار الاستعمار الفلاحي خلال العقد الثاني من الحماية واشتهر لدى السكان كسوق أسبوعي (جمعة فوكو). وظل طيلة ما تبقى من عهد الاستعمار عبارة عن تجمع تجاري صغير مرتبط بدوره كسوق أسبوعي وكمحطة طرقية في ملتقى محاور طرقية متعددة.

رغم اتخاذه من الاستعمار كمركز للاستعمار الفلاحي بالمنطقة التي جلبت العديد من المعمرين الذين تعاطوا لزراعة الكروم والحبوب وتربية الماشية (الأبقار)، فإنه لم يجلب أعدادا مهمة من السكان بحيث لم يتجاوز عدد سكانه 176 سنة 1931 وذلك لتشتت المعمرين داخل المجالات الفلاحية المحيطة به. ولم يحص كمركز حضري إلا سنة 1971 عندما بلغ حجمه الديموغرافي 3221 نسمة. ولم يعرف تطورا ملحوظا إلا خلال عقد الثمانينيات عندما انتقل عدد سكانه من 3374 نسمة سنة 1982 إلى 10019 نسمة سنة 1994.



يعتبر مركز أولاد عبو اليوم من بين بلديات إقليم سطات المتميزة بقلة روابطها بباقي مكونات الشبكة الحضرية للإقليم. وتستمد ديناميتها من محيطها الفلاحي كمركز تجاري وكمحطة طرقية. يستمر مركز أولاد عبو في الارتكاز في نشاطه التجاري على وظيفته كسوق أسبوعي يحتل الرتبة الرابعة من بين 35 سوقا بالإقليم (بعدإثنين برشيد، وإثنين بن أحمد، واحد البروج) وكتجمع كبيرللتجارة القارة وللخدمات. ويشكل بذلك التجمع التجاري الوحيد بالجزء الجنوبي الغربي للشاوية السفلى. وترجع أهميته كمحطة طرقية إلى تعدد المحاور الطرقية التي تلتقي به : محور الدار البيضاء الذي تتفرع عنه طريقا برشيد والسوالم، ومحور دكالة الذي تتفرع عنه طريق سد سيدي سعيد بن معاشو وطريق سد الدورات وطريق بولعوان، ومحور سطات عبر أولاد سعيد، ومحور البئر الجديد وأزمور.

هكذا يشكل مركز أولاد عبو تجمعا حضريا صاعدا داخل

محيط فلاحي متنوع الموارد، وتجمعا تجاريا فريدا داخل الجزء الجنوبي الغربي من الشاوية السفلى، ومحطة طرقية نشيطة بين الشاوية السفلى والعليا وبينهما وبين دكالة وبين هذين الإقليمين والدار البيضاء. أي أن الأمر يتعلق بمركز عاقته عزلته لمدة طويلة وقد بدأ يستفيد منها اليوم ليفرض نفسه داخل نطاقات فلاحية غنية ومتباينة. لكن هذه الاستفادة لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا بحكم عدم اندماج هذا المركز في الحزام الحضري والصناعي الذي يتشكل على طول حدود الدار البيضاء الكبرى.

تحريات ميدانية.

المصطفى شويكي

ابن العبد، **محمد** بن **إبراهيم**، ولد بدوار أهل بكريم بأسكا بأيت باعمران سنة 1920، وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل بالفلاحة بقريته إلى أن سمع بنداء الوطن حيث سارع إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير دفاعا عن مقدسات الوطن. وفي سنة 1957 شارك في معركة أسكا بأيت باعمران حيث لبى نداء ربه في نفس السنة. وهو دفين مقبرة سيدي محمد ابن عبد الله بنفس المنطقة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514541.

ابن عبد الجبار، إبراهيم بن **عبد الجبار** بن أحمد بن موسى البرزوزي الورتدغيري الفجيجي، الابن البكر للإمام العلامة عبد الجبار. ولد في قصر المعيز بالواحة الفجيجية حوالي عام 860، درس على والده، وأخذ عن عدد من علماء فجيج الآخرين في وقته كالعلامة محمد بن محمد الونشريسي وابنه سليمان في الزاوية الونشريسية بقصر الحمام وعن العلامة القاضي عبد الحق بن محمد بالزاوية الكبيرة بقصر بني سكون وعن غيرهم. وسافر بعد ذلك إلى مدينة فاس، فدرس بجامع القرويين على علمائها كابن الحسن الصغير وابن غازي وأحمد الونشريسي، وانتقل إلى تلمسان ولقي بهما شيوخا أجلة كالإمام محمد بن يوسف السنوسي وابن مرزوق والعقباني والتنسي، ثم رحل إلى المشرق للحج وزيارة الحرمين الشريفين، فأخذ في طريقه عن الإمام جلال الدين السيوطي والبساطي وابن النجار الحنفي بمصر، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابن إسحاق إبراهيم اللقاني صاحب جوهرة *التوحيد* وله عن الجميع إجازات يشهدون فيها بغزارة علمه وتنوع معارفه.

تولى القضاء بفجيج ونواحيه، علاوة عن مهام التدريس والإفتاء. وكان يشد الرحال في شهر رمضان من كل سنة إلى تلمسان للتدريس بها والاجتماع بعلمائها وقد لقبه بها الوادي آشي وأخذ عنه، حسبما سجله في تبته. وكان مولوعا بالخروج إلى البراري للقنص بواسطة الصقر في وقت فراغه للترويح عن النفس فعيره بعض الغوغاء في ذلك، فنظم فيهم قصيدة عينية من 214 بيتا مطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع	لأشياء للانسان فيها منافع
فأولها كسب الحلال أتت به	نصوص كتاب الله وهي قواطع
فصحة جسم ثم صحة ناظر	وأحكام إجراء السوابق رابع
وبعد عن الأرذال مع صون همة	واغلاق باب القيل والقال سابع

وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة كبيرة ورد ذكرها ضمن العديد من التراجم والتصانيف والكنانيش، سواء لمن عاصر المترجم له أو من جاؤوا بعده، وتتوزع نسخ من مخطوطة السلوانية في عدة خزائن بالمغرب والجزائر وأوربا. وترجمت إلى الفرنسية ونشرت بمعهد الدراسات الشرقية بكلية الآداب بالجزائر عام 1959، بعناية نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه.

وللمترجمنا إبراهيم كذلك أرجوزة في العقائد والتربية "ضمنه عيون الفقه ونوادر المسائل" حسب قول ابن القاضي في *الجذوة* سماها : "مفيدة الولدان" مكونة من 817 بيتا أتم نظمها في العاشر من شعبان عام 908 حسبما ورد في خاتمتها.

واضطر العلامة إبراهيم بن عبد الجبار للهجرة إلى السودان والرحيل عن بلاد فجيج بصفة نهائية بعد اغتيال شيخه القاضي عبد الحق بن محمد السكوني من أحد سفهاء البلد لم يتقبل فتوى شرعية أصدرها القاضي المذكور ضده، وقد حزّ هذا العمل الشنيع في صدر إبراهيم فألف قصيدة بليغة يهجو فيها القاتل ويرثي بها شيخه في آن معا ومطلعها :

تغيرت البلاد واحلولك الليل	وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل من بلاد تآمرت	بها المفسدون واستمر بها الهول
أتسكن أرضا ليس ينهى سفيهها	ولا يتقي فيها قصاص ولا عدل
فتكتم بعبد الحق لادر دركم	على قوله للحق وهو لها أهل

هاجر إلى السودان مع بعض أهله حوالي عام 920، ومر بتوات وأقام بها بعض الوقت فعيّر على أهلها تعظيمهم لليهود والتودد إليهم مقابل أغراض مادية، ثم تابع سفره إلى أن استقر به المقام بمدينة جني بمملكة برنو، وبها استأنف نشاطه في نشر العلم ومهام الإفتاء مع العمل على كسب المعاش، لمدة تزيد عن ثلاثين عاما توفي بعدها حوالي عام 954، وأقيم له ضريح يزار بهذه البلدة. ولإبراهيم مؤلفات أخرى عدا المذكورة منها : *قواعد الإسلام*، *وإعراب القرآن* في خمسة أجزاء وشرح *دلائل الخيرات* ومنظومة في أنساب الشرفاء الودغيريين القاطنين بفجيج وخارجه في ما يزيد عن 160 بيتا.

م. الودغيري، *حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة *دعوة الحق*، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار المغرب، ج. 2، 1978 ؛ م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد*،

مخطوط ضمن مجموع خ. ع. الرباط، رقم 1598 ك ؛ ع. زمامة، *الفجيجيون*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 20 ـ 21، يونيو 1973 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، مجلة *دعوة الحق*، عدد 248 ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، أبو **القاسم** بن **محمد** بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفگيگي. تتلمذ على يد والده أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار، أخذ عنه علم الحديث ورواياته ورحل إلى فاس ومراكش والزاوية الناصرية بتمكروت وإلى تلمسان والمشرق العربي. وأخذ عن علماء القيروان والاسكندرية والأزهر بالقاهرة والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة فأجازوه وأجازهم على طريقة التدبيج عند المحدثين، ولذلك اشتهر اسمه بين علماء وقته وورد ذكره في العدي من الفهارس وكتب التراجم.

اشتغل بالتدريس وبخطتي القضاء والفتيا ببلده فجيج وحضر مجالسه العلمية بها أحمد بن أبي محلي الثائر الشهير على السعديين، حيث ختم على يديه صحيح البخاري وأجازه عنه، كما ورد ذلك في مؤلفات أبي محلي كالإصليت، ومنجنيق الصخور وغيرهما.

بيد أنه لم يقتصر عليها بل سافر إلى فاس وكان له مجلس علمي بالقرويين كلما حل بها. وممن أخذ عنه الإمام القصار والشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد حسبما ذكره أحمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد عند كلامه على معاني : "لا إله إلا الله" بقوله : "وهذا المعنى هو الذي عقد شيخ شيوخنا الإمام الشهير الحافظ الكبير الولي الصالح الحاج الرحال سيدي أبو القاسم بن الإمام الحافظ الأثير القاضي سيدي عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله".

وكان يرحل من حين لآخر إلى تلمسان للتدريس بها بدعوة من أهلها إلى أن صار في نظر حكام الأتراك بتلمسان آنذاك من عداد العلماء الجزائريين البالغين درجة النبوغ في العلم.

امتاز أبو القاسم بالتواضع والزهد والشجاعة وركوب الخيل ولا أدل على ذلك من مشاركته على رأس المجاهدين الفجيجيين في معركة وادي المخازن.

وللعلامة أبي القاسم عدة مؤلفات منها *الحاوي المنوط بالفتاوي* يعتبر الآن في حكم المفقود، وقد ضم العديد من النوازل الفقهية، و*نظم اللآلئ الحسان لمختصر خليل* في نحو 8500 بيت (خ. الحسنية) و*نظم السنوسية الصغرى*. على أن أهم مؤلفاته هو *الفريد في تقييد الشريد وتوحيد الوبيد* وهو شرح لقصيدة السلوانية التي نظمها عمه العلامة إبراهيم بن عبد الجبار، وقد أتم تأليفه ذاك في عشية الإثنين سادس عشر ذي الحجة عام 986، وهو شرح غني باللغة والبيان استهله بالحديث عن عمه إبراهيم وسبب هجرته وبأحوال بلاد فجيج. توفي أبو القاسم عام 1021 بعد عمر مديد يزيد عن المائة سنة ودفن بجوار والده محمد بن عبد الجبار بالضريح الذي أقيم له داخل المسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج.

م. الودغيري، حياة *الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة *دعوة الحق*، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ ابن أبي محلي، *الإصليت الخريت*، منجنيق الصخور (مخطوطتان) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشرات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، ج. 2، 1978 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، مجلة *دعوة الحق*، عدد 248، ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، **محمد** بن **عبد الجبار** بن أحمد ابن موسى البرزوزي الفجيجي، ينعته ابن عسكر في الدوحة بالفقيه العارف الأديب والفاضل النزيه، وقد نسب إليه قصيدة *روضة السلونية* خطأ.

درس على والده الإمام عبد الجبار، وأخذ عن علماء فجيج الآخرين في زواياهم العلمية إسوة بأخيه إبراهيم وأخيهما الأصغر أحمد بن عبد الجبار (ت. 970)، وتنقل بين فاس وتلمسان فأخذ عن علمائها المشهورين مثل ابن غازي وابن مرزوق الضرير وأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب *المعيار المعرب* كما ورد في ثبت الوادي آشي.

كان عالما زاهدا ورعا شأن العلماء المتصوفين، متضلعا في علوم الحديث وروايته معتنيا بالسند ومسلسلاته، وقد كرس حياته في تدريس هذا العلم بزاويتهم بقصر المعيز بفجيج إلى أن توفي في عام 956 حسبما ذهب إليه اعتقاد بعضهم استنادا على عقد حبسه الأثري، مع أن العقد يثبت زمن تحريره في أواسط رمضان عام 956 وليس تاريخ وفاة مترجمنا. ويبتدئ العقد بما يلي : "حبّس الشيخ العالم العلم الصدر الولي المرحوم سيدي محمد بن عبد الجبار جميع أملاكه..." وعلى هذا يكون العلامة محمد بن عبد الجبار قد فارق الحياة قبل تاريخ كتابة العقد المذكور.

وقد أصبح هذا الحبس الذي وضعه محمد بن عبد الجبار ـ لأجل درء الفتن والنزاعات الثائرة آنذاك بين العصب والعائلات حول توزيع الإرث ـ نموذجا تنسخ على منواله عقود الاحباس العائلية الفجيجية والي تسقط حق الإناث من الإرث إن استغنين بزوج أو ولد، حفظا للأملاك العائلية من التشتت والضياع خارج العصبة وذوي الفروض.

م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار الغرب للتأليف والترجمة، ج. 2، 1978 ؛ وثيقة الحبس الأثري الفجيجي، وثيقة في ملكية صاحبها ؛ العربي الهلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم*، المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981.

أحمد مزيان

ابن **عبد الجليل** بفاس، أسرة شامية أندلسية الأصل

فاسية القرار والدار عربية النجار شامية الأصول، لا تزال لحد الساعة أماكن بسوريا وعلي الأخص بجبال الجولان تعرف بقرى آل عبد الجليل.

واستناداً على ما توفر من نصوص متفرقة في بطون كتب الأنساب والطبقات نستطيع أن نقول إن الأصول الأولى وصلت مع القبائل العربية التي استقرت بالمغرب العربي الكبير على طول الطرق التجارية التي ربطته بالمشرق إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في كل من سوريا ومصر والقاهرة والإسماعيلية على الخصوص كما نجدهم ببرقة وطرابلس الغرب وابن غازي ونجدهم أيضاً بسوسة والقيروان وتونس العاصمة ونجدهم أيضا بالجزائر منتشرين في التخوم الصحراوية أو مستقرين ببعض المدن التي عرفت هجرات متتالية كتلمسان حيث لقبت جماعة منهم بابن عبد الجليل التنسي نسبة إلى قرية تنس من أعمال تلمسان، وقد استقروا بها مدة ومنهم صاحب "البستان".

وتسعفنا شجرات أنساب رجراجة وشجرات السباعيين الأدارسة انطلاقا من موطن أصلهم بالساقية الحمراء حيث عرفت تلك القبيلة بأبناء أبي سباع ليعرفوا فيما بعد عند حلولهم بفاس بالسباعي، تسعفنا هاته الأصول كما تسعفنا المصادر العربية التي اهتمت بتراجم الرجال، ككتب التادلي والكرخي واليوسي وغيرهم بالعثور على إشارات تنم عن استقرار الأسرة بالجنوب على عهد اللمتونيين "المرابطين"، من ذلك ما نقل غير ما مرة صاحب كتاب *"السيف المسلول"* في غير ما موضع عند ترجمته لسيدي مكدول "مجدول بن عبد الجليل" من ذلك : "إن سيدي مكدول فقيه له القدم الراسخ في الجهاد وهو المقدم فيه لدى ملوك لمتونة وقد جاهد في بلاد السودان ..." والدارس لتاريخ المرابطين يدرك أن سياستهم اتسمت بالانتشار تارة نحو الجنوب وتارة نحو الشمال، فاستقر الفوج الأول من أسرة ابن عبد الجليل بمناطق جبالة ونزحوا منها إلى الحواضر كحاضرة الشاون حيث مازالت أسرة ابن عبد الجليل تحظى بالاحترام، وما بين أيديهم من ظهائر سلطانية يعود أقدمها إلى العصر المريني يؤكد ذلك، توجب هاته الظهائر التوقير والاحترام والإعفاء من الخدمات وغيرها "لأن الشريف لا يخدم الشريف". وقد نص كتاب *السيف المسلول* في تراجم رجاله أن بعض أفراد أسرة ابن عبد الجليل كانوا يحظون باحترام وتوقير أبي الحسن المريني بفاس أو بغيرها من الثغور الشمالية.

وأستطيع القول إن بعض هؤلاء هاجروا إلى الأندلس واستقروا مع من استقر بالعدوة سيما بإشبيلية حيث ظلوا هناك في خدمة أمرائها حتى غرب المعتمد بن عباد إلى أغمات فانتقل معه وزيره حمدون بن عبد الجليل، ومن أغمات انتقلوا إلى مراكش حيث استقروا، ومنها تفرقوا بالبلاد فسارت شريحة منهم جنوبا حتى سجلماسة واستقروا بها، وظهر فيهم العلماء ومن جملتهم شارح العمل الفاسي الذي يلقب بابن عبد الجليل السجلماسي.

ويبدو أن هجرات متتالية اتخذت من طريق القوافل مستقراً لها. إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في الراشدية في قصور بني امحمد كما تشير بعض الرسوم إلى أنهم عرفوا وقت ذاك بأبناء الإمام وتشير وثيقة إسماعيلية اهتمت بتقسيم ماء وادي زيز إلى ذلك حيث تقول : "وحضر ضمن المتصالحين أبناء ابن عبد الجليل الذين يعرفون بأولاد الإمام".

ولاشك أن الإمام مقصود به إدريس الثاني. ومن الراشدية انتشر بعضهم ميمنا الشمال حتى وصل إلى مدينة تازة وهم قلة اليوم بها كما وصل بعضهم مدينة فاس وإن كانت المصادر لا تسعفنا بتاريخ دخولهم إلى المدينة واستقرارهم بها. لكن المرجح عند كثير ممن اهتم بالأسر بالمدينة أن وجودهم يضرب في جذور التاريخ بما لا يقل عن خمسة قرون إذ استوطنوا أقدم الحارات الإدريسية وظلوا في خدمة ملوك هذه الحضرة حيث اشتغلوا في خدمة الخطط لاسيما خطط أحباس القرويين (الحوالة السليمانية).

ولقد ذكر غير واحد من النسابين والمؤرخين أن بيت ابن عبد الجليل له اتصال بالنسب الشريف (انظر على سبيل المثال مصابيح البشرية لمولاي أحمد الشباني الإدريسي وانظر كذلك مخطوط : طبقات أشراف فاس لعبد لكريم بن هاشم الكتاني) ولقد نصت شجرة الكتانيين بفرعيها : الحلبي والطيبي على صحة نسب ابن عبد الجليل.

وتوجد بحوزتنا صورة شمسية لشجرة إدريسية قديمة كتبت بخط بدوي مغربي قديم تنص على صحة النسب. ولعل صاحب *"اللسان المعرب"* الأعرب السليماني نص على ذلك صراحة عند ذكره لبيوتات فاس إذ قال : "... ثم بيت الجليليين أبناء سيدي عبد الجليل دفين بلاد بني عاقر بيت رئاسة وجلال وفخامة وكمال نسبهم الطاهر الإدريسي مرجع وعمودهم إليه ثابت صحيح".

وقد تواتر داخل الأسرة ما سمعنا جيلا بعد جيل من أن أحد جدودنا هو سيدي مكدول السابق الذكر دفين الشاطئ بالصويرة "مول سبع درابز" قد اختلف فيه عند عمداء العائلة فمن قائل إنه إنجليزي عرف بماكدولان كانت سفينته قد غرقت قرب شاطئ الصويرة وحرف اسمه إلى ماكدول ونجد إشارات لهذه الواقعة في المصادر الغميسة لتاريخ المغرب لا سيما الجزء الإنجليزي، ولكنها لا تنص على أن مكدولان اعتنق الإسلام وحسنت سيرته حتى استحق من سكان الصويرة والقبائل المجاورة بناء قبة عليه. وبعد التحري في هاته النازلة التاريخية وجدنا أن سيدي مكدول ما هو إلا تحريف بسيط لكلمة مجدول، ومعلوم أن العامة بالمغرب تلقب كل ساع في الخير عامل عليه مساعد فيه "بمجدول الحرير" فلا غرابة إذن أن يلقب هذا الشريف بمجدول وينسى اسمه ولقبه ولم يذكر إلا بمكدول.

ولقد مكنتنا شجرة أنساب أبناء بني سباع الإدريسيين من تتبع نسبه فوجدنا أنه إدريسي النسب كما وجدنا من ينسبه إلى رجراجة. وبالعودة إلى كتب رجراجة استطعنا أن

نتتبع تاريخ الرجل إذ لأبنائه وحفدته امتداد جلي في السوس الأقصى.

ووجود أحد الجدود بالصويرة مكننا من تتبع ذريته فوجدنا أن أحدهم سكن بتايناست على بعد من ورزازات. وقد ترجم له صاحب *العيون اليواقظ* ونص على أن ركراكة يعقدون أعلامهم ويبيتون بزاويته ثلاثة أيام متتالية قبل أن يلتحقوا بزاوية جدهم "أحمد وموسى" وقد أشار ميشو بلير إلى ذلك عند حديثه عن رجال مراكش السبعة "سبعة رجال".

والظاهر أن عائلة ابن عبد الجليل كانت أصولها متفرقة داخل المغرب كله رغم أنهم ينتمون لأصل واحد، ومع ذلك فقد ظهرت في العائلة بعض المظاهر الجينيتيكية من اختلاف في لون البشرة وزرقة العيون وشقرة الشعر إلى غير ذلك، مما يجعلنا نظن أن العائلة تنقسم إلى فرعين وقد اعتمد سكان فاس لا سيما أهالي حومة العيون وزنقة الرطل على التفريق بين العائلتين المتصلتين المتجاورتين فنصوا على أن يلقب سكان الدار الفوقية بأولاد ابن عبد الجليل البويض ومنهم الحاج عمر والحاج محمد الذي تمسح سنة 1936 وطرد من العائلة والحاج قاسم وأبناء عمهم كما نصوا على أن يلقب سكان الدار التحتية بأولاد ابن عبد الجليل السمر وهو حفدة أبناء المرحوم الأمين أحمد بن عبد الجليل، وربما تجعلنا هاته التفرقة نطمئن إلى التقسيم الذي ميز بين أبناء العمومة أي العظمين الأساسيين المكونين لآل ابن عبد الجليل تمييزاً جينياً محضاً. ومع هذا فإننا نجد لدى كبار عائلة ابن عبد الجليل أصحاب الدار التحتية من لقب عائلة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل بالتلمسانيين نسبة إلى أصولهم، بينما لقب أهل الدار التحتية "بالمرابطين" نسبة إلى جدهم المرابط سيدي مكدول ومع هذا نجد أبناء عمنا الأشقاء لا سيما الذين استقروا بمكناس تحمل ذريتهم لحد الساعة نفس الجينات.

م. بوزيان، *أعلام الفكر والأدب من العصرين المريني والعلوي*، مط. الجسور ـ وجدة؛ *بيوتات العلم والأدب بفجيج* ـ مط. الجسور، وجدة، 2002، ص. 133 ـ 135؛ *واحة فكيك*، مط. دار النجاح الجديدة، ط. 1، 1978؛ القادري، ابن الطيب، *الدر السني على من بفاس من النسب الحسني*، ط. ح بفاس، دون تاريخ؛ إ. الشباني مولاي أحمد، *مصابيح البشرية في أبناء البرية*، ط. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987؛ مجهول، *بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل البيت المختار*، مخ. ضمن مجموع، في خ ع، 12565، الرباط؛ *الدر النير في شرفاء الوداغير*، مخ خ ع، 12565، الرباط؛ *العيون اليواقظ*، أبناء بني السباع بساقية العيون الحمراء.

Michaux Bellaire, *Les sept patrons de Marrakech*. Hesp., 1934.

محمد بن عبد الجليل

ابن عبد الجليل، ينتمي آل ابن عبد الجليل بمكناس إلى أسرة فاسية عريقة تناسلت بعدوة القرويين، وتفرقت فروعها في أحياء متعددة كحومة سيدي أحمد بن يحيى من عدوة اللمطيين وحومة العيون.

وترجع البدايات الأولى لنزوح هؤلاء إلى مكناس إلى منتصف العشرينيات من القرن العشرين. وتتشكل المجموعة النازحة من فرقتين، رب أولاهما هو محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام بن محمد بن إدريس ابن عبد الجليل. وقد توفي بفاس في شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

أما الفرقة الثانية فربها هو عبد القادر الملقب (باقاضي) بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل.

تتكون فرقة السيد محمد بن المكي من ثمانية إخوة أشقاء فيهم من الذكور الحاج حميد والسيد محمد والحاج العربي والسيد العباس. وقد تم انتقال هؤلاء إلى مكناس في ثلاث فترات متقاربة تمتد بين 1927 و1937.

الفترة الأولى: سجلت نزوح الحاج حميد وبرفقته الأخوات الثلاث. وتفيد وثيقة إراثة للدار الكائنة بزنقة القلموني (القرموني) في معرفة تاريخ هذا النزوح وهو 8 صفر 1345 موافق 7 يبراير 1927.

وقد اشتغل الحاج حميد بالتجارة منذ حلوله بمكناس، وأصبح من أثرياء هذه المدينة، وشكلت مصانعه أوراشا لتشغيل عدد كبير من الصناع ومحترفي المهن التقليدية كالنجارة ونقش الخشب وتطريز الجلود. وقد عين رئيسا للغرفة التجارية، وظل يشغل هذه المهمة حتى إعلان الاستقلال.

وقد خلف الحاج حميد أحد عشر شقيقا، فيهم من الذكور محمد وأحمد وعبد الرحيم وعبد الكريم وعبد العلي. سائرهم امتهن التجارة باستثناء عبد الرحيم الذي أحرز الإجازة في الحقوق بفرنسا وزاول مهنة المحاماة بالدار البيضاء، وانتخب نقيبا لهيئة الدفاع لفترة معينة بهذه المدينة، ثم عين وزيراً للوظيفة العمومية في الحكومة الثامنة عشرة برئاسة محمد كريم العمراني من 11 أبريل 1985 إلى 11 غشت 1992، ثم عين سفيراً للمغرب في الصين الشعبية. وهو الآن منقطع للمحاماة بالدار البيضاء.

الفترة الثانية: عرفت هذه الفترة انتقال الأخوين الحاج العربي والعباس إلى مكناس. ونقف ضمن وثائق هذه الفترة على عقد عدلي يقضي باكتراء الحاج العربي منزلا في درب ستي هنو ابتداء من يوم 8 شوال 1348 موافق دجنبر 1929.

وقد اشتغل الأخوان بالتجارة فور إقامتهما بمكناس، وبعد وفاة العباس عام 1943 استمر العربي في التجارة يساعده كبير أبنائه.

خلف العباس سبعة أولاد فيهم من الذكور محمد وفيصل وفؤاد وعز الدين. وقد أنهى محمد دراسته الجامعية بحصوله على الإجازة في الحقوق، ثم التحق بالمدرسة الإدارية المغربية، وعين بعد تخرجه منها موظفا بوزارة المالية وارتقى إلى درجة مفتش قبل إحالته على التقاعد عام 1993.

الفترة الثالثة: سجلت هذه الفترة انتقال محمد بن محمد ابن عبد الجليل إلى مكناس في شعبان 1365 / نونبر 1937.

وكان تاجرا، ففتح دكان بقالة جوار الباب الشمالي للمسجد الأعظم. وقد خلف من الذكور ستة هم الحاج محمد والحاج المكي والحاج عبد الحق والحاج أحمد وعبد الرزاق وعبد المومن الذي أنهى دراسته الجامعية في فرنسا بنيل دبلوم مهندس معماري.

نعود إلى الفرقة الثانية التي كان على رأسها عبد القادر المدعو (بالقاضي)، فنجد أن هذه الأسرة انتقلت إلى مكناس عام 1935 غير أن إقامتها لم تطل بهذه المدينة، إذ سرعان ما تحول أفرادها بعد وفاة والدهم عام 1944 إلى الرباط. وقد خلف عبد القادر ستة أبناء فيهم من الذكور أحمد والوطني المكافح الحاج عبد السلام الذي أدار بالرباط عدة مؤسسات تعليمية كان آخرها ثانوية الأميرة عائشة، والمربي المحنك محمد الذي اشتغل أستاذا، ثم مفتشا بوزارة الشبيبة والرياضة، ثم ناظرا للأحباس بفاس قبل أن يوافيه أجله عام 1985 وعبد اللطيف الذي حاز في فرنسا إجازة في الصيدلة ثم الدكتوراه في العلوم ليلتحق بجامعة محمد الخامس أستاذا ثم عميدا ثم ليعين وزيرا للتعليم العالي في الحكومة الثالثة عشرة من أبريل 1975 إلى أكتوبر 1977 برئاسة أحمد عصمان، إضافة إلى مهام أخرى من بينها عضوية أكاديمية المملكة المغربية.

ومجمل القول فقد سجلت سنوات العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين الفترة الحافلة بتوافر أبناء أسرة ابن عبد الجليل بمكناس، وابتداء من أواخر الخمسينيات بدأ عدد هؤلاء في الانحسار والتناقص بفعل انتقال أغلبهم إلى الرباط والدار البيضاء.

ابن **عبد الجليل، إدريس** بن العربي بن عبد السلام الفاسي. يوافينا صاحب *الإتحاف* ببعض الأخبار عنه تدل على مكانته في السلك المخزني على عهد السلطان مولاي عبد العزيز. ويتصدر هذه الأخبار ولايته منصب خليفة لباشا مدينة فاس وتوليته أمينا للمستفاد مكلفا بقبض مكوس الأبواب والأسواق وما أشبهها.

وكان أحد أعضاء الوفد الذي بعثه أحمد بن موسى وزير المولى عبد العزيز إلى طرفاية أواخر عام 1312 / 1894 من أجل التفاوض مع الحامية الإنجليزية بخصوص استرجاع الموقع الذي أحدثه الجيش البريطاني - افتياتا - في عرض مرسى طرفاية، وذلك مقابل مبلغ مالي كتعويض عن كلفة البناء. وبعد انتهاء هذه المهمة توجه أعضاء الوفد - وضمنهم المترجم - إلى محلة ذي النبط بالساقية الحمراء بدعوة من الشيخ ماء العينين، وكان وصولهم يوم ثالث صفر 1313 فأكرم وفادتهم، ووقف فيهم أحد تلامذته هو الأديب إبراهيم بن محمد البواري مادحا بقصيدة جاء فيها :

أهلا بهم من خمسة أعـــلام	بل خمسة كقواعد الاســلام
رسل الأمير بن الأمير إمامنا	عبد العزيز بن العزيز الإمام
هم خنصر مع بنصر وسطاهم	سبابـــة كبـراهــم الإبهـام

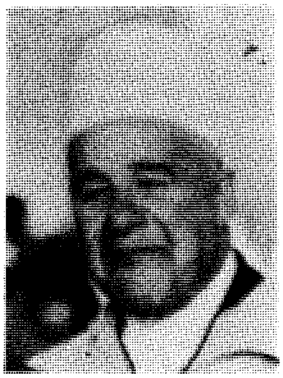
وكانت مبارحتهم لمحل الشيخ ماء العينين 17 صفر 1313/ 1895.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1، ص. 380 ـ 386 ؛ *العز والصولة*، ج. 1، ص. 397.

ابن **عبد الجليل، العربي** (الحاج -)، ولد الحاج العربي بن محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس عام 1323 / 1905 بحومة سيدي أحمد ابن يحيى من عدوة اللمطيين.

وقد نشأ في أسرة جمعت بين الاشتغال بالتجارة والعمل بالوظيف المخزني. فقد كان والده تاجرا كما كان أمين الصاير ومفتشا لسجون فاس في العهد العزيزي.

ألحق المترجم بالكتاب صبيا فتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم التحق بإحدى المدارس الحكومية لتعلم اللغة الفرنسية، وكان يرتاد مجالس العلم بالقرويين قبل أن تنتظم به أسلاك التعليم فيرتوي من ينابيع المعارف ويستفيد من دروس اللغة والتفسير والفقه التي كان العلماء يلقونها من أمثال سيدي الحسين العراقي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي والشريف مولاي عبد الله الفضيلي وسيدي العباس بناني، والشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني. ولما تجاوز من العمر العشرين أقبل على تعلم بعض المهن الصناعية فمهر في تسفير الكتب وتوشيتها بالذهب، كما تعلم مبادئ الطباعة الحديثة، ثم فتح معملا صغيرا لنسج الأغطية ومتجرا.



في شوال 1348 / دجنبر 1929 رحل المترجم رفقة أخيه الأصغر العباس إلى مدينة مكناس حيث اشتغلا بالتجارة وأنشآ معملا ضم صناعات النجارة ونقش الخشب والفن الدمشقي والنسيج وتطريز الجلد والتسفير والطرز الفاسي.

وقد جلب المترجم مهرة المعلمين والصناع من فاس وكان ينجز تصاميم المصنوعات الخشبية ورسوم المطروزات الجلدية مجتهدا في ابتكار قوالب وأشكال تتسم بالأصالة والطرافة.

وقد أسهم المعمل الذي أحدثه المترجم في تنشيط قطاع الصناعات التقليدية بمدينة مكناس العتيقة، فتدفقت المصنوعات، وازدهرت حركة تسويقها، وتضاعف الإقبال

على اقتنائها وخاصة في أوساط الأروبيين من ساكنة المدينة الجديدة بحمرية وجنود القاعدة العسكرية المحدثة بها.

وفي مارس 1931 أُوفد المترجم على رأس فريق من الصناع التقليديين إلى باريس للمشاركة في (معرض المستعمرات الفرنسية).

ولم تكن التجارة لتلهي المترجم عن أن ينخرط في العمل الوطني والمغرب يومئذ ما يزال تحت تأثير الظهير البربري، فقد انضم إلى صفوف الحركة القومية، وأصبح بيته ملتقى لرجال هذه الحركة بين الفينة والأخرى كما أنه دفع بأبنائه وأبناء أخويه العباس ومحمد للانخراط في عملية تأسيس (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية) في أبريل 1946، فكانوا بذلك من السباقين إلى تحمل مسؤولية قيادة فرقها.

وقد كان للمترجم دور فاعل في أحداث معركة بوفكران في شتنبر 1937، فلقد عبأ صناعه للمشاركة في المظاهرة التي اكتسحت ساحة الهديم، وكانت تتقدمهم لافتة سهر على إعدادها بنفسه بمعمل النجارة وقد كتب عليها عبارة (الماء ماؤنا تفديه أرواحنا)، وهو الشعار الذي اختاره المكناسيون يومئذ رمزا لاحتجاجهم على تحويل ماء بوفكران عن مجاريه الأولى. وفي ساحة الهديم سقط أول شهيد من شهداء بوفكران فكان أحد صناع المعمل المذكور وأحد حاملي اللافتة الشاب أحمد العمراني.

عندما دبت إلى مكناس حركة التعليم الحر سارع المترجم إلى تحويل أبنائه وبناته الصغار من مدارس التعليم العمومي، فألحق بعضهم بمدرسة النهضة الإسلامية التي افتتحت في نوفمبر من عام 1945، وكان يديرها الوطني الغيور مولاي مصطفى العلوي، وألحق البعض الآخر بالمعهد المحمدي الذي افتتح في نوفمبر 1947، وكان يديره العلامة الوطني سيدي مَحمد العرائشي المتوفى يوم ثالث رمضان 1421، موافق 30 نوفمبر 2000.

رحل المترجم إلى الديار المقدسة مرتين لأداء العمرة ومناسك الحج أولاهما عام 1365 / 1946، والثانية عام 1387 / 1968. وقد حظي بعد أيام من حجته الأولى بزيارة الزعيمين محمد بن الحسن الوزاني وعلال الفاسي في يوم واحد ببيته. وكان ذلك في نطاق زيارتهما لمدينة مكناس بعد إطلاق سراحهما في متم ماي 1946. وقد كان ذلك اليوم مشهودا في حياة المترجم وظل راسخا في ذاكرة أبنائه.

في بداية الخمسينيات وقع الاختيار على المترجم بين تجار المدينة لشغل منصب خليفة للمحتسب يومئذ الحاج أحمد التراب، غير أن سلطات الحماية عمدت إلى إقصائه من هذه المهمة في صيف عام 1953 على إثر نفي ملك البلاد إلى كورسيكا. وفي هذه الفترة عانى المترجم وأبناؤه من مضايقات السلطة الكثير مما انعكس على نشاطه التجاري وأفضى إلى نزوح بعض أبنائه إلى الدار البيضاء بحثا عن العمل.

وبعد استقلال البلاد ولي الحاج العربي خطة الحسبة بمدينة مكناس تقديرا لجهوده الوطنية وكفاءاته المهنية، وكان ذلك بمقتضى ظهير شريف حرر بالرباط في 23 ربيع الثاني عام 1370 موافق 26 أكتوبر 1959.

لقد كان الحاج العربي دؤوبا على مخالطة العلماء والفقهاء، شديد الاحتفاء بهم، كما كان متفتحا على الحياة العصرية. وهو من السباقين في مكناس إلى الدفع ببناته إلى التعلم في المدارس.

وعلى امتداد سبعة عشر عاما قضاها في الحسبة اشتهر رحمه الله بين التجار والصناع بالأمانة والاستقامة والمعرفة الدقيقة لشؤون الحسبة. وكان لا يفتر عن استشارة أمناء الحرف والأخذ برأيهم في المنازعات وعند مراجعة الأسعار، كما كان يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه من التجار احتكار المواد الغذائية أو التزيد في أسعارها. وإلى ذلك عرف بالعفة والإباء والرأفة بالضعفاء.

خلف المترجم من الأولاد ثمانية فيهم من الذكور محمد وأحمد وعلال وعبد العزيز وجمال الدين. وسائرهم اشتغل في الحقل التجاري باستثناء عبد العزيز الذي انخرط في سلك التعليم أستاذا، ثم مديرا لإحدى الثانويات بمكناس قبل أن يلتحق بوزارة الثقافة عام 1979 حيث شغل منصب مدير للمعهد الوطني للموسيقى ومندوب جهوي للوزارة إلى غاية إحالته على التقاعد.

وقد توفي الحاج العربي بعد مرض ألزمه الفراش بضعة أسابيع، وكان ذلك يوم 3 رمضان 1396 موافق 26 غشت 1976.

بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عبد الجليل، عمر** من مواليد فاس سنة 1907، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي. أما الدراسات العليا، فقد فضلت أسرته أن يتابعها ابتداء من 1924 في مونبليي بفرنسا حيث كللت مثابرته بالحصول على دبلوم جعل منه أحد أوائل المهندسين الفلاحيين المغاربة. ولما رجع إلى وطنه اختبر معارفه النظرية في بعض الضيعات في منطقة الغرب وفي بنسليمان حيث أظهر بالممارسة الميدانية أن الفلاحة المغربية يجب أن تراهن على العلوم الحديثة والتقنيات العصرية للخروج من زمن الوسائل التقليدية العاجزة عن الاستجابة لحاجات الساكنة المتزايدة.

في سنة 1928 أصيبت أسرة عمر بن عبد الجليل بصدمة نفسية عنيفة عندما أقدم أحد أبنائها، وهو محمد شقيق عمر، على الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية. لكن عمر تحمل الصدمة وأبان عن رزانة كبيرة في ذلك الظرف الحرج ولم يقطع أواصر الأخوة مع "جان محمد عبد الجليل". ولعل ذلك مما جعل هذا الأخير، وإن ارتد عن دينه الأصلي، لم يغض الطرف عن تطلعات الحركة الوطنية التي كان أخوه أحد روادها الأوائل.

انخرط عمر بن عبد الجليل في المعترك السياسي غداة ظهير 16 ماي 1930 وما خلفه من قلاقل في جهات مختلفة من المغرب. وترجم ذلك أول الأمر بالمساهمة في تحرير المجلة الوطنية "المغرب" Maghreb التي كانت تصدر بالفرنسية في باريس. وكانت مقالاته على صفحاتها تتناول مواضيع من قبيل التنديد بتسلط القواد والباشوات (التازي، البغدادي، الگلاوي...)، والتنبيه للأزمة الاقتصادية التي كان يعاني منها السواد الأعظم من المغاربة، والاحتجاج على ما آلت إليه وضعية الأحباس، وفضح السياسة التعليمية الفرنسية في المغرب. وكان يوقع مساهماته باسمه الصريح أحيانا وبأسماء مستعارة أحيانا أخرى، مثل بوعزة الزموري والخبير والنحلة... وشكلت تجربته الصحفية مناسبة لتوثيق العلاقات مع نخبة من الاشتراكيين الفرنسيين والإسبان الذين لعبوا دوراً لا يستهان به في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي والدولي. ولما ظهرت بفاس جريدة L'Action du Peuple (عمل الشعب) جند فيها عمر قلمه للدفاع عن مصالح الفلاحين المغاربة والتنديد باغتصاب أراضيهم لفائدة المعمرين الأوروبيين. وفي متم العام 1934، أعدت كتلة العمل الوطني دفتر "مطالب الشعب المغربي" الذي كان عمر بن عبد الجليل أحد موقعيه العشرة، فكلفه رفاقه بتقديمه - بمعية محمد بن الحسن الوزاني - إلى وزارة الخارجية الفرنسية في فاتح دجنبر من السنة ذاتها نظرا لما كان يتمتع به من احترام وتقدير في بعض الأوساط الفرنسية.

كان عمر بن عبد الجليل من الوطنيين الذين شملتهم حملة القمع الاستعماري في خريف 1937. فكان مصيره المنفى ببلدة "بويزاكارن" في الجنوب المغربي حيث ظل حتى سنة 1941. لكن هذه التجربة المريرة لم تثنه عن مواصلة العمل الوطني. وهكذا نجده في يناير 1944 ضمن الشخصيات التي أمضت وثيقة المطالبة بالاستقلال التي ساهم مساهمة فعالة في تحريرها. ومنذ ذلك الحين عرف وطنيا ودليا كواحد من أبرز مناضلي حزب الاستقلال. وفي 1950 تعرض للاعتقال وسجن للمرة الثانية بعد أن أمضى برقية احتجاج شديدة اللهجة وجهت إلى الإدارة الفرنسية للتنديد بما اقترفه الفرنسيون من اضطهاد ضد فلاحي القصيبة بالأطلس المتوسط. ولم يمض إلا زمن يسير على إطلاق سراحه حتى اعتقل للمرة الثالثة ومثل أمام المحكمة العسرية بالدار البيضاء عقب الأحداث الدامية التي شهدتها هذه المدينة في دجنبر 1952 بمناسبة مظاهرات التضامن مع الشعب التونسي إثر اغتيال النقابي فرحات حشاد. ولم يفرج عنه إلا أواخر 1954 عندما لاحت في الأفق بوادر استقلال المغرب. ولما كان الرجل معروفا بحنكته السياسية، فقد لعب دوراً فعالا في المفاوضات التي أدت إلى انفراج الأزمة المغربية - الفرنسية.

وعندما حصل المغرب على الاستقلال، أسندت إلى "الحاج عمر مسؤوليات جسام فتقلد منصب وزير الفلاحة، فوزير التربية الوطنية، ثم كلف بتسيير القرض الشعبي وإنشاء البنك الشعبي الذي أصبح بمرور السنين إحدى أكبر المؤسسات البنكية في المغرب.

وافت المنية عمر بن عبد الجليل في ماي 1982 فووري التراب في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

أبو بكر القادري، *الحاج عمر بن عبد الجليل*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988 ؛ بعض أعداد مجلة *"المغرب"* التي صدرت بالفرنسية في باريس، 1932 - 1936.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، قاسم** الوطني الغيور والمناضل المخلص، كان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 المطالبة بالاستقلال، ازداد بمدينة فاس سنة 1909 وبها تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، ثم انتقل إلى الرباط حيث حصل على شهادة الكفاءة في الدراسات القانونية.

وعاد إلى مسقط رأسه ليشتغل بالتعليم في ثانوية المولى إدريس. وكان قد انخرط باكراً في صفوف الحركة الوطنية وتعرض بسبب استماتته في النضال إلى مضايقات السلطات الاستعمارية. فقد ألقي عليه القبض بسبب توقيعه على عريضة المطالبة بالاستقلال وسجن وباقي الموقعين في برج النور بفاس، وفصل عن وظيفة التعليم بعد اطلاق سراحه. ولذلك امتهن في السنوات الأخيرة من فترة الحماية مهنة المدافع أمام المحاكم الشرعية بفاس ثم بالدار البيضاء. وما أن استرجع المغرب استقلاله حتى كان من الأطر الأولى لوزارة العدل فأسند إليه كرسي وكيل الملك بالمحكمة الابتدائية بالدار البيضاء ثم بمحكمة الاستيناف بالرباط، وعيّن أخيراً مديراً للمدرسة الإدارية، وظل يزاول تلك الوظيفة إلى أن اختاره الله إلى جواره يوم 7 ماي 1961 رحمه الله.

إبراهيم بوطالب

ابن **عبد الجليل، محمد البيضاوي** محمد بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل من مواليد فاس أواخر القرن التاسع عشر. اشتغل بالتجارة، وعرف بين شباب المدينة بمواقفه المؤيدة لثورة ابن عبد الكريم الخطابي، وحصل - من أجل صون نفسه - على الحماية الألمانية.

وقد لقي - بعد هزيمة المحور - أتعابا من سلطات الحماية أفضت إلى نفيه من فاس، فنزل بالدار البيضاء، ثم تحول إلى قلعة السراغنة، ومنها إلى مراكش حيث استقر إلى أن وافته المنية عام 1954.

وقد عقّب من الأبناء أربعة من بينهم محمد الذي توفي بمناس، حيث كان يشغل منصب مساعد طبيب مختص.

بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عبد الجليل، محمد (الراهب) ولد في فاس سنة 1904 من أسرة مسلمة موسرة منحدرة من الأندلس ومعروفة

في المدينة بتقلد أفرادها مناصب سامية في الجهاز المخزني. وقد رافق والديه سنة 1913 / 1914 - وهو مازال في ريعان الشباب - إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج.

تلقى تعليمه في القرويين، كما تابع دراسته في ثانوية فاس باللغتين العربية والفرنسية. وبعدها التحق بثانوية كورو Gouraud بالرباط حيث نال شهادة الباكالوريا سنة 1924. وخلال مدة دراسته بالعاصمة، أقام مدة بمدرسة شارل فوكو الفرانسيسكانية التي كانت تأوي عدداً من الطلبة الوافدين من جهات مختلفة من المغرب. وبعد حصول محمد بن عبد الجليل على الباكالوريا بامتياز، مكنته الإقامة العامة بإشارة خاصة من المارشال ليوطي من منحة دراسية فسافر إلى باريس قصد تحضير الإجازة في اللغة العربية وآدابها. وبموازة ذلك استهوته دراسة علوم الدين والفلسفة، فتردد على المعهد الكاثوليكي. ومن الشخصيات التي تعرف عليها في العاصمة الفرنسية وكان لها عليه تأثير جلي كل من المستشرق لوي ماسينيون Louis Massignon والفيلسوف موريس بلونديل Maurice Blondel. وفي سنة 1928 تمكن الفرانسيسكان من استمالة هذا الطالب المغربي وجعله يرتد عن الإسلام ويعتنق الديانة المسيحية. وبذلك أصبح يعرف باسم "جان محمد عبد الجليل". ولم تمض إلا سنوات معدودة حتى انخرط في السلطة الكنسية (1935) وأصبح أحد رهبانها.



وقد خلف تنصير محمد بن عبد الجليل صدمة نفسية وتذمرا عميقا لدى المسلمين المغاربة، خاصة في حاضرة فاس، مسقط رأسه ومكان إقامة أسرته المعروفة بورعها وبتمسكها بالدين الإسلامي. وشمل الاستياء صفوف الحركة الوطنية التي ما فتئت تندد بحملات التنصير التي كانت تشنها في المغرب أسقفية الرباط دون مراعاة لمقتضيات عقد الحماية لسنة 1912 والتي تلزم الفرنسيين مبدئيا باحترام مشاعر المسلمين ومؤسساتهم الدينية.

وابتداء من 1936 أسندت إلى جان محمد عبد الجليل مهمة التدريس في المعهد الكاثوليكي بباريس. فكانت الدروس التي يلقيها تشمل الدين والفكر الإسلاميين واللغة العربية وآدابها. وقد قام بهذه المهمة حتى العام 1964. وطيلة هذه المدة عمل الأب عبد الجليل، سواء بواسطة التدريس أو بمختلف محاضراته ومقالاته هنا وهناك، على بناء جسور الحوار والتفاهم بين معتنقي الديانتين السماويتين المسيحية والإسلام، وذلك سيراً على نهج أستاذه ماسينيون. وكان يتوفر على قدرة بث أفكاره مباشرة بلغات عديدة كالعربية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإنجليزية. وعلى الرغم مما أثاره اعتناقه للمسيحية من امتعاض في المغرب، فإنه لم يول ظهره لبلده الأصلي، بل أبقى على علاقات وطيدة مع بعض الزعماء الوطنيين وفي مقدمتهم أخوه عمر بن عبد الجليل. ومن ثمة دافع من موقعه وبالأسلوب الذي ارتضاه لنفسه على مطالب المغاربة التواقة إلى الإصلاح ثم الاستقلال.

وفي ربيع 1961، بينما كان الأب عبد الجليل مقيما في مدينة نيس جنوبي فرنسا من أجل الراحة، انتابته أزمة نفسية حادة جعلته يستنجد بأخيه عمر الموجود آنئذ في المغرب. وبدون استئذان إدارة طائفة الفرانسيسكان التي ينتمي إليها، شد الرحال صحبة أخيه إلى وطنه الأصلي في زيارة هي الأولى من نوعها بعد غياب دام ما يقرب من أربعة عقود. ولما كان الحدث غير مرتقب، فقد لفت انتباه الصحف المغربية فنشر بعضها أخبارا زائفة مفادها أن "الحاج محمد عبد الجليل" رجع إلى دينه الأصلي الإسلامي، وذهب بعضها الآخر إلى أنه قد يستوزر في الحكومة المغربية ليتكلف بشؤون التعليم نظرا لثقافته الواسعة وتجربته العميقة. وهكذا لم ينعم الأب عبد الجليل في المغرب بما كان ينشده من راحة وهدوء قصد الاستشفاء مما أصابه من إرهاق نفسي. فقد استاء مما نشرته بعض الجرائد في شانه، كما تعرض لضغوط معنوية من "إخوانه" الفرانسيسكان الذين أحرجهم مغادرته لفرنسا دون سابق إشعار. وبعد أسبوعين من حلوله بالمغرب غادره فجأة عائدا إلى فرنسا، وطنه الثاني الذي أبى أبدا أن يحمل جنسيته.

وفي سنة 1964 أصيب الأب عبد الجليل بسرطان في لسانه. ورغم العلاج المكثف فقد عانى كثيراً من الداء الذي ألم به فاضطر إلى التوقف عن التدريس بالمعهد الكاثوليكي بباريس، كما أجبر على تقليص دائرة أنشطته. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنه ظل في هذه الفترة من الشخصيات الفكرية المرموقة التي كانت البابوية تستشيرها في كل ما يتعلق بالإسلام في وقت انعقاد مناظرات في إطار المجامع الدينية المعروفة بـ Conciles du Vatican II والتي حددت ضمن أمور أخرى علاقات جديدة للفاتيكان مع أتباع الديانات غير المسيحية.

وفي 24 نونبر 1979 وافت المنية جان محمد عبد الجليل

في إحدى المستشفيات بضواحي باريس مخلفا وراءه كتابات عديدة تنم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بالتراث الفكري الديني المسيحي والإسلامي على السواء.

Recueil Jean-Mohammed Abd-El-Jalil : n° spécial des *Nouvelles de l'Institut Cathodique de Paris*, n° 3, Juin 1980, 223 p. ; Jean-Mohammed Abdeljalil, *L'Islam et nous*, Ed. du Cerf, Paris, 1981, 130 p. ; Alfred-Louis de Premaire, Le retour de Jean-Mohammed Abdeljalil au Maroc, in En *hommage au père Jacques Jomier*, O.P., Etudes réunies et coordonnées par Marie-Thérèse Yrvoy, les Ed. du Cerf, paris, 2002, p. 321 - 341.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، محمد** بن الحاج **المكي**. ولد محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس حوالي منتصف القرن الثالث عشر. وقد كان على حظ وافر من العلم. اشتغل بالتجارة، وامتد نشاطه التجاري إلى خارج الوطن، فكان يجلب مواد السكر والشاي والكتان في مقابل وسق المصنوعات التقليدية المحلية.

وقد عهدت إليه في أيام السلطان المولى عبد العزيز وظيفة أمين الصائر. وفي أواخر حياته كلف بمهمة تفتيش السجون بفاس، فعرف بالاستقامة وحسن المعاملة.

وقد توفي بفاس بعد أسابيع من عقد الحماية، وذلك في شهر شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

من رواية الحاج العربي ابن المترجم.

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **عبد القادر**، ولد محمد بن عبد القادر بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل بمدينة فاس حوالي عام 1925، وبعد أن تلقى تعليمه الابتدائي انتقل رفقة أسرته إلى مكناس حيث عاش فترة قصيرة رحل بعدها إلى الرباط.

وبعد دراسته الثانوية انخرط في سلك التعليم. وقد عرف بين أقرانه بنشاطه السياسي وبلائه الحسن إلى جانب رجال الحركة الوطنية، فألقي عليه القبض، ثم نفي خارج العاصمة بقرار من المحكمة العسكرية بها.

وبعد استقلال البلاد التحق بوزارة الشبيبة والرياضة، فكان من خيرة أطرها التربوية المعتمدين في مجال التخييم وتكوين مؤطري المنظمات السياسية.

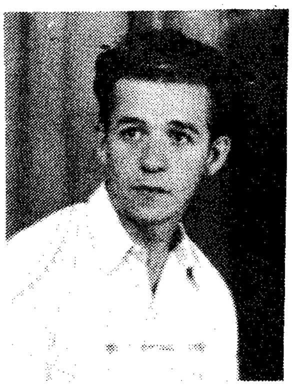
التحق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الثمانينيات، وعين ناظراً للأحباس الكبرى بفاس، فبرهن عن إخلاصه وأمانته في تأدية واجبه إلى أن وافته المنية عام 1994 بالرباط بعد مرض ألزمه الفراش.

وقد عقب المترجم من الأبناء خمسة من بينهم عبد القادر، وهو مهندس يعمل أستاذاً بالمدرسة المحمدية، وخالد، وهو مهندس يشتغل أستاذاً بمعهد الحسن الثاني للبيطرة.

بطاقة خاصة.

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **العربي**، ولد محمد بن العربي بن محمد ابن عبد الجليل بفاس عام 1922. وقد انتقل مع أسرته إلى مكناس أواخر عام 1929، وبها التحق بمدرسة درب السلاوي للبنين، كما التحق في ذات الوقت بكتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني وهو دون الثامنة. وقد انقطع عن متابعة دراسته الثانوية حوالي سنة 1945، واشتغل إلى جانب والده بالتجارة.

شب الفتى في أحضان أسرة مشبعة بالروح الوطنية، فقد كان والده الحاج العربي من العناصر الفاعلة في الحركة القومية، كما كان بيته ملتقى لأتباعها قياديين وشبابا. وإلى ذلك فقد انخرط في جمعية (الكشاف المغربي المسلم) التي أسسها شباب من القوميين بمكناس في بداية الأربعينيات، وما عتم أن أصبح من المسؤولين عن قيادتها. وقد حضر إلى جانب ابن عمه المكي ابن عبد الجيل المخيم السري الذي دعا إلى عقده بالدار البيضاء يوم السبت 19 أبريل 1946 الأستاذ محمود العلمي، والذي تحول إلى شبه مؤتمر أفضى إلى توحيد الجمعيات الكشفية التابعة للحركة القومية في مختلف مدن المغرب وانصهارها في جمعية واحدة أطلق عليها يومئذ اسم (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية). ومنذ ذاك العهد وجد الفتى نفسه في صلب موقع المواجهة مع ممثلي السلطة الحاكمة التي أصبحت في ظل المناخ السياسي الجديد الذي عم المغرب بعد إعفاء المقيم العام إيريك لابون وتعيين الجنرال جوان بدله أكثر ميلا إلى التشدد وتضييق الخناق على الأحزاب والجمعيات الوطنية. ومع ذلك فقد ظل الفتى متمسكا بمبادئه الوطنية سواء في الحقل الحزبي أو الكشفي.



وعندما حصل المغرب على الاستقلال كان المترجم في مقدمة أعضاء المكتب الجهوي لحزب الشورى والاستقلال بمكناس، وفي 1958 انخرط في مجال العمل الاجتماعي فشارك في جمعيات ذات طابع إحساني، وكان له الفضل في تأسيس الفرع الاقليمي للهلال الأحمر بمكناس. وقد رأسه بنفسه وإلى جانبه ثلة من شباب المدينة كان فيهم المرحوم عبد الواحد الزموري والأستاذ عبد العالي المنوني.

وفي منتصف عام 1963 رحل المترجم بأسرته إلى الدار البيضاء حيث عين موظفا بالمكتب الشريف للفوسفاط، وعهد إليه تمثيل هذه المؤسسة غير ما مرة خارج الوطن.

وقد توفي بالدار البيضاء إثر سكتة قلبية في 6 ذي القعدة 1398 موافق 8 أكتوبر 1978.

معلومات شخصية ؛ وثائق منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.

ابن **عبد الجليل، المكي** بن **محمد** بن محمد بن الحاج المكي ابن عبد الجليل، من مواليد فاس أواسط ذي القعدة 1345 موافق 15 أبريل 1927.

التحق صبيا بكتاب الفقيه علال عبابو في عقبة الفيران، فحفظ بعض سور القرآن الكريم، وتلقى مبادئ النحو والدين، ثم التحق على التوالي بمدرسة النجاح برحبة القيس ومدرسة سيدي بناني بحي الديوان حيث درس على عبد الهادي الشرايبي والهاشمي الفيلالي وبوشتى الجامعي وعبد الواحد العراقي ومحمد لحلو وآخرين.



رحل رفقة أسرته إلى مكناس عام 1358 / 1938 ، وبها دخل كتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني للاستزادة من حفظ القرآن وتلقي بعض المتون في اللغة والدين. ولنبوغه بين التلاميذ فقد رشحه الفقيه للمثول بين يدي جلالة المغفور له محمد الخامس بمناسبة زيارته للكتاب في إطار تفقده لمؤسسات التعليم بمكناس يوم 18 ماي 1941. فقد وقف أمامه ـ وهو لابس لحلة الكشاف، وألقى من محفوظاته قصيدة رنانة في مدح الجلالة الشريفة مطلعها :

جزى الله عن هذا الأنام خليفة

في عام 1942 ولى وجهه شطر مجالس العلم، فكان يحضر مجالس الفقيه الأديب محمد بن أحمد برادة في مسجد الأنوار بسوق السباط، وعليه درس *الكامل* للمبرد كما درس الألفية والأجرومية والمنطق، واستفاد منه محفوظاته الأدبية وطريقته في الإلقاء التي كان يجري فيها على نهج المصريين، فقد كان المترجم يقلد أستاذه في ذلك، تسعفه موهبة فطرية جعلت صوته جهيرا رنانا وهو ما يزال في ريعان الشباب.

وفي نوفمبر 1943 التحق المترجم بالدروس النظامية التي أحدثت رسميا بالمسجد الأعظم، فقضى عامين تلقى خلالهما دروسا في اللغة والفقه والتاريخ على يد ثلة من الأساتذة كان فيهم مولاي محمد (فتحا) الطاهري، وسيدي محمد المنوني، وسيدي العربي الهلالي، ومولاي الطيب الحريف وسيدي أحمد بن الصديق الديغوسي، وسيدي عبد الله الشبيهي عسيلة، والطاهر البعاج، وعبد العزيز الزريهني، وعبد القادر بنسعيد العلوي.

وقد عرف المترجم خلال فترة دراسته بتفوقه ونبوغه بين زملائه الطلبة كما عرف بشجاعته الأدبية وطلاقة لسانه وقدرته على الارتجال، من ذلك أنه وقف في جنازة أحد زملائه بالمعهد الديني هو عبد الواحد بنعزو، فارتجل كلمة تأبينية مهد لها بأبيات شعرية من محفوظاته، وكان بذلك محط الإعجاب والتنويه.

وتشاء الظروف أن تحول دون متابعته الدراسة في المعهد الديني، فانتقل إلى الرباط حيث قضى سنة 1945 ـ 1946 طالبا بقسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف، ثم عاد إلى مكناس حيث عين مدرسا للغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بدرب السلاوي.

ولم تكن الوظيفة لتلهيه عن العمل في الحقل الوطني، فقد انضم منذ حلوله بمكناس إلى جمعية (الكشاف المغربي المسلم)، وهي يومئذ تابعة للحركة القومية بمكناس. وقد أوفده مكتب الجمعية إلى الدار البيضاء يوم 19 أبريل 1946 للمشاركة في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الكشافة المغربية الإسلامية.

وفي صيف 1949 رأس بعثة الجوالة التي أوفدتها المنظمة المذكورة إلى البلاد الأوربية، حيث أقامت مخيمات متنقلة في إسبانيا وفرنسا وبلجيكا.

لقد كان المترجم على امتداد عمله في حقلي التعليم والكشفية مثالا للحزم والصرامة والإخلاص، كما كان في مجال العمل الوطني مثالا للشجاعة والقدرة على مواجهة الجماهير وتأجيج حماسها غير عابئ بالمراقبين من أتباع السلطة وعيونها. وقد بلغ من جرأته أنه وقف في يوم من أيام صيف 1952 يخطب في جمع من المكناسيين وهم يتأهبون للسفر إلى الديار المقدسة، فأخذ يحضهم على التعريف بمحنة المغرب بين إخوانهم المسلمين ودعوتهم لمساندته في معركته من أجل الاستقلال. وما كاد الفتى ينتهي من خطبته حتى ألقي عليه القبض، وبعد الاستنطاق صدر في حقه قرار بالطرد من مكناس إلى طنجة.

وفي طنجة استمر المترجم ـ كدأبه من قبل ـ في أوج النشاط الوطني وبذلك ظل وثيق الصلة بالتزامه السياسي وانتمائه الكشفي.

وبعد الاستقلال ظل الحاج المكي مواكبا لأهم الأحداث الكشفية الوطنية، ثم عمل على تأسيس رابطة لجمعية آباء التلاميذ بمدن الشمال، وتقلد رئاستها وتمثيلها في المؤتمرات الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بطنجة إثر نوبة قلبية في 4 شوال 1390 موافق 13 دجنبر 1970.

جريدة *السعادة* 26 . 5 . 1941 ؛ *وثائق* جمعية الكشاف المسلم بمكناس ؛ *وثائق* منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عبد الحفيظ (مولاي –) السلطان بن الحسن الأول، أمه العالية بنت صالح بن الغازي الشاوي العامل الشهير في عهد مولاي سليمان (1792 ـ 1822). وهناك تضارب في تحديد ميلاد مولاي عبد الحفيظ، ولعله عام 1280 / 1864.

تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الأمراء، ووجد كل الظروف الملائمة للتربية والتعلم. فالسلطان الحسن (1873 ـ 1894) كان من السلاطين الكبار الذين يحرصون على عظائم الأمور، ولا يتساهلون مع كل انحراف أو إهمال. ولهذا عمل على تربية أبنائه وتهذيبهم وتكوينهم، وكان يختار لهم جلة المربين الأكفاء، ويرسلهم إلى البلاد التي اشتهرت بالعلم والتعليم لاستكمال خبرتهم وتعليمهم.

ولقد أكمل مولاي عبد الحفيظ وبعض إخوته تعليمهم بقبيلة احمر، التي تقع بالقرب من مدينة مراكش، والتي سبق لمولاي الحسن نفسه أن تعلم فيها وتأدب في عهد جده مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859). كان عبد الحفيظ أبرع أقرانه في علوم القرآن والعربية والفقه، إذ كانت له همة عالية في التحصيل حسبما حكاه عنه إدريس منو، زميله في الدراسة وقرينه ومساعده في الصغر والكبر، الذي تولى باشوية مراكش قبيل فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، (م. السوسي، *حول مائدة الغذاء*، 1983).



والواقع أن المتأمل في صورة عبد الحفيظ وملامح وجهه، يلاحظ أمامه شخصية تلوح عليها ملامح الذكاء والنباهة. وقد سخر تلك المؤهلات بالفعل في إشباع نهمه ورغبته في تحصيل العلم وحذق المعارف التي كانت منتشرة في عهده. وقد نبه هو نفسه إلى موهبته وميله لتحصيل العلوم وتلقي المعارف فقال : "فإني منذ الشباب وقلبي مشتاق إلى العلم وأهله من ذوي الألباب، حتى جمعني الله مع كثير من العلماء والأولياء ذوي العقول واللطائف". (*العذب السلسبيل*).

قضى عبد الحفيظ مرحلة التعليم بقبيلة احمر، وأشرف على تعليمه التهامي المكناسي. ويستفاد من المراسلات التي تبادلها التهامي المكناسي مع الحاجب أحمد بن موسى أن مرحلة التعليم بقبيلة احمر بدأت ـ فيما يظهر ـ قبيل سنة 1307 / 1890، ففي هذه السنة أخبر المدرس السلطان بأن ولديه عبد الحفيظ وعبد الرحمان (مولاي الكبير) قد ختما السلكة السادسة من القرآن، ووصلا في *الألفية* إلى النسب، وختما كذلك مورد *الظمآن* حفظ إتقان وتحصيل. كما ختما سلكة في *الجرومية*. فأصدر السلطان أمره بشروعهما في حفظ *الرسالة والسنوسية*.

وبالجملة، فقد تمكن عبد الحفيظ من حفظ عدة متون في مسائل الفقه، *كالمرشد المعين والرسالة والسنوسية*، وفي مسائل اللغة مثل لامية *الأفعال والجرومية ومنظومة الجمل*، ثم درسها دراسة فهم وإتقان في حدود سنة 1309 / 1892. وقد ظهرت نجابته في العلوم الفقهية والحديثية والأدبية، حتى عد عالما متبحراً وشاعراً مقتدراً في حدود 1310 / 1893. وبذلك لما توفي مولاي الحسن سنة 1894، كان عبد الحفيظ مهيئاً ليخوض مجال الحياة العامة وهو مسلح بسلاح المعرفة والثقافة المغايرة لنواقص الجهل والطاردة لمولدات الخمول والتواكل.

على الرغم من تكليف مولاي عبد الحفيظ بمهام إدارية وعسكرية إثر وفاة والده، وبيعة أخيه الأصغر وعبد العزيز، فإن ذلك لم يشغله عن متابعة اهتمامه بالميدان الثقافي تحصيلا ومشاركة وتأليفا. وقد تهيأت له الظروف الملائمة لما تولى الخلافة عن أخيه بمراكش سنة 1901. وهكذا كان يحرص على مجالسة العلماء والأدباء وعلى مطارحة المعارف معهم وخاصة علماء الصحراء وعلى رأسهم الشيخ ماء العينين، الذي أجاز عبد الحفيظ إجازة عامة بتاريخ 11 جمادى الأولى عام 1322 الموافق 24 يوليوز 1904.

ومما يبرز اقتدار وامتلاكه لناصية علوم اللغة والفقه في الدين، ما ألفه في الميدانين من تآليف يغلب عليها الطابع التربوي والتعليمي، وجلها مطبوع على الحجر. ولقد خلف ثروة كبيرة من المؤلفات والمنظومات، في ميادين الشعر الذي تعددت أغراضه، كما كتب في السياسة والتاريخ واللغة والفكر والشريعة، فاعتبر بذلك سياسياً وعالماً وشاعراً وأديباً ومفكراً. إن مؤلفات عبد الحفيظ ومنظوماته تعكس انفعاله

وتصف فعله، وتنم عن ذهن يقظ وفكر حي متجاوب مع تطورات العصر، وروح شاعرية حساسة لم تطفئها عواصف السياسة ولا ويلات دسائسها ؛ وأهم هذه المؤلفات :

ـ في علوم اللغة :

ـ *العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل*، فاس، 1326.

ـ *السبك العجيب لمعاني مفردات محيط المحيط ومغني اللبيب* (1500 بيت)، جزءان القاهرة، 1325.

ـ نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، فاس، 1327.

ـ في علوم الفقه والحديث :

ـ *ياقوتة الحكام في مسائل القضايا والأحكام*، فاس، 1327.

ـ *الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع*، فاس، 1327.

ـ *نظم مصطلح الحديث*، *فاس*، 1327.

ـ في الشعر :

ـ قصائد في الشعر الملحون، جمعت في ديوان مطبوع على الحجر.

ـ قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مجد فيها العلم وكرم العلماء، وحث على التعلم وتحمل المشاق في سبيل العلم الذي اعتبره نوراً يهدي للحق والفضيلة وللخير والجمال، ويؤدي إلى التقدم والكمال الإنساني، بعكس الجهل الذي يؤدي إلى عكس ما سبق من فضائل (عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*).

ـ قصائد في انتقاد نظام الحماية الفرنسية الذي فرضته القوة على المغرب، وفي انتقاد الحماة الذين تنكروا لعهودهم مع السلطان، وتعسفوا في حقه وحق شعبه. ويظهر أن القصائد المشار لها، هي المجموعة في مطبوع على الحجر نشر سنة 1913، أي السنة التي حج فيها مولاي عبد الحفيظ للديار المقدسة. وعنوان المطبوع : "نفائح الأزهار في أطايب الأشعار".

في الفكر والسياسة والتاريخ :

ـ *كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع*، طبعة حجرية.

ـ "*داء العطب قديم*"، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط.

ـ *إعلام الأفاضل والأكابر بما يقاسيه الفقير الصابر*، ضمن مجموع بالخزانة الحسنية.

وهي رسالة رد فيها على الذين اتهموه بالتطلع للملك سنة 1906، وهاجم فيها بصفة خاصة أخاه مولاي عمر.

ولقد أشار خير الدين الزركلي إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شرع في تأليف كتاب عن الإسلام في منفاه بفرنسا. ويظهر أن للرجل كتابات أخرى مازالت حبيسة عند الذين وقعت خزانته بين أيديهم. ولقد عثرنا على عناوين بعضها مثل :

ـ" *براءة المتهم*" وفيها بين كيف أن الكثيرين من النخبة المغربية التي يعتمد عليها قد احتمت بالفرنسيين وساعدتهم. كما أشار إلى دور بوحمارة التخريبي وإلى اقتراضات مولاي عبد العزيز كعوامل أسرعت بالبلاد إلى أيدي الفرنسيين. وبرأ نفسه من توقيع الحماية مبينا بأنه أجبر على وضع خط يده على الوثيقة التي قدمت له.

ـ *تحفة الألبا في حروب أوربا*، وفيها نوه بالجيوش الألمانية وهاجم الدعاية الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى. بالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك الرجل ثروة كبيرة من المراسلات توضح سياسته وموقفه من كثير من القضايا التي نجمت عن الاحتلال الفرنسي للمغرب.

وتجدر الإشارة إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شجع حركة التأليف بنشره للعديد من المؤلفات وبعقده لجلسات علمية مع العلماء سميت "بالدروس الحفيظية"، حيث كان العلماء من فاس والرباط وغيرها يشاركون بآرائهم ومناقشاتهم في مسائل الحديث والفقه والفكر.

وبالجملة، يمكن القول : إن عبد الحفيظ كان عالماً مشاركاً وأديباً مقتدراً وسياسياً ماهراً قبل توليه الملك، وبعد توليه أصبح بلاطه حافلاً بالعلماء كما كان العهد زمن خلافته. ذلك بأنه كان يغدق على العلماء نواله، ويهتم بمجالستهم، ويتطارح معهم المسائل العلمية والأدبية وخاصة علماء الصحراء.

فعن نشاطه العلمي عندما كان خليفة بمراكش، روى محمد المختار السوسي، على لسان إدريس بن منو فقال :

"ثم كان اهتباله بالعلماء محركا للنشاط العلمي في مراكش، فكان مرة حضر في المواسين ختما للفقيه محمد بن إبراهيم السباعي في مجلس حافل، وكان من أندى الناس للعلماء [..] ولذلك بمجرد ما سمع بورود الشيخ بوشعيب الدكالي إلى مراكش من الحرمين زائراً لأهله بالمغرب حتى أرسل إليه فأقام له حفلة في داره ألقى فيها درسا حافلا [..] فحين خرج مدله صرة فيها مائتا لويز، ثم كانت معاملته له هي التي جذبته إلى المغرب، حتى ذهب فأتى بأهله من الحجاز". وبذلك يعتبر من المشجعين للحركة السلفية بالمغرب إن لم يكن من روادها الأوائل.

كان عبد الحفيظ يحظى باعتبار خاص عند أحمد بن موسى (ابا أحمد). فالوزير الصدر (1894 ـ 1900)، كان هو المشرف على تعليمه هو وإخوته لما كان حاجبا لمولاي الحسن. وعندما تولى الصدارة إثر بيعة مولاي عبد العزيز سنة 1894، كان عبد الحفيظ من الأمراء الذين اعتمد عليهم أحمد بن موسى في تكليفهم بمهام إدارية وعسكرية عديدة. ويظهر أن مسارعة مولاي عبد الحفيظ لقبول بيعة أخيه الأصغر، أي لقبول ما فعله أحمد بن موسى، يبدو أن ذلك هو ما ميز مولاي عبد الحفيظ عند أبا أحمد. وقد عرف هذا الأخير فضل الأمير النابه. لذلك كلفه بأمورية إدارية وعسكرية بتادلة أولا. ثم لما قرر أحمد بن موسى إرسال حركات لسوس لإعادة الأمن فيها وتعيين شيوخ ترضى عنهم قبائلهم، بعث

مولاي عبد الحفيظ خليفة عن المخزن على رأس جيش كبير، لدعم القواد والحركات المرسلة للجنوب يساعده باشا القصبة، الحاج محمد ويدة السوسي. ويظهر أن مولاي عبد الحفيظ استقر بمدينة تزنيت كخليفة عن السلطان بسوس إلى حدود 1900. وعندما قرر مولاي عبد العزيز الانتقال لفاس إثر إعلان الترتيب في خريف 1901، عين مولاي عبد الحفيظ خليفة عنه بمراكش. وقد أبان في إدارته للجنوب عن مهارة واقتدار سياسي كبير، وثبت في كل الظروف والتقلبات إلى أن اعتلى عرش المغرب.

كان بلاط الخليفة في العادة، يتألف من قائد للمشور بمثابة وزير يكون بصيرة على كل أمور الخليفة الإدارية والسياسية، وكانت مهمة الخليفة محددة فيما يلي :

أولاً : فيما يتعلق بالقضايا الإدارية والعلاقات مع المجتمع : يعمر المشور عند كل قضية تستدعي الاستماع لشكاوي الناس ودعاويهم، فإذا كانت القضية من اختصاص الشرع تصرف للقاضي، أما إذا تعلق الأمر بقضايا مخزنية (تابعة للمخزن أي للحكومة) تهم أمور المخزن في علاقاته مع العمال والقبائل، فتقع المراسلة مع العمال أو القبيلة المعنية. والملاحظ أن الخليفة بالرغم من مساعدته للسلطان في مراقبة العمال وما يجري في القبائل، فإنه لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور فرض الضرائب أو جبايتها أو تعيين القواد وعزلهم أو استقبال الأجانب في بلاطه بشكل رسمي، كما لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور الجيش.

ثانياً : كان على الخليفة أن يخرج لصلاة الجمعة ولصلاة العيدين. وكان البروتوكول المتبع هو : عندما يريد الخليفة الخروج لصلاة الجمعة أو لصلاة العيدين أو لأجل تعمير المشور، يقف المشاورية وأصحاب المكاحل من الجيش لتحيته، وعند انتهاء المهمة يصرفون لأماكنهم، إذ لم تكن للخليفة سلطة على الجيش، الذي كانت قيادته من اختصاص باشا القصبة حيث توجد ثكنات الجيش.

وإذا كانت هذه هي الحدود المرسومة لمهام الخليفة فكيف زاول مولاي عبد الحفيظ هذه المهام ؟ وهل تعداها ؟

الواقع أن مولاي عبد الحفيظ قد نجح في مهمته وكان عطاؤه الإداري والسياسي بارزاً ومتميزاً، نظراً لسعة علمه وللظرفية التي كان يمر بها المخزن العزيزي. نحن نعلم المصاعب التي واجهها السلطان مولاي عبد العزيز بعد وفاة أحمد بن موسى، نتيجة للتكالب الاستعماري الذي انتهى بتقييد يديه بعد تحمل المغرب للديون الثقيلة من فرنسا سنة 1904. وإلى هذه الصعوبات الخارجية، كانت الوضعية الداخلية للبلاد أكثر تدهوراً فيما يتعلق بعلاقات السلطة المركزية مع أطراف البلاد، التي شهدت انتفاضات عديدة أخطرها تلك التي تزعمها الجيلاني الزرهوني (بحمارة) الذي أعلن نفسه سلطانا في المغرب الشرقي وضل يحارب الدولة من 1902 إلى سنة 1909.

وفي الحوز، الذي كان محكوما بتوازنات واحتكاكات أطماع القواد الكبار، فقد أظهر الخليفة السلطاني، من الثبات ومخايل الحنكة السياسية ما جعل الأنظار تتجه إليه. وقد بانت هذه المزايا من خلال تحكمه في لعبة التوازنات بين الأطراف الفاعلة بالحوز وتعايشه معها والاستفادة منها وتسخيرها لصالحه. وهكذا ففي الوقت الذي ساءت فيه علاقات المخزن مع بعض القواد الكبار كالمدني الاكلاوي، وعبد المالك المتوكي، نتيجة لتداعيات عواقب انتفاضة القبائل في شرق فاس بقيادة بوحمارة، وفشل المخزن في قمعها، وفي الوقت الذي كان القواد يجدون في بلاط فاس المتواطئين والمزينين للأطماع، كان مولاي عبد الحفيظ بمراكش يفضل المحافظة على الوضع الراهن، وعدم فتح شهية القواد في جيرانهم لأن ذلك يثير الاضطرابات بالقبائل، ونشوب المنافسات بين القواد. وكثيراً ما حذر الوزير الأكبر المفضل غريط، من سياسة فتح شهية القواد الطامعين في جيرانهم" لكون أولئك الراغبين في الولاية لا يرون إلا مصلحتهم قاطعين النظر عن المصلحة العامة حسب قوله لكن تحذيراته ذهبت أدراج الرياح.

ونتيجة لتزايد الضغوط الأجنبية وتفاقم الأزمة المالية للمخزن. وعندما تطورت الأمور إلى ما هو أسوأ، نجد الخليفة الذي كان شاهداً على ما يجري، يعمل لتأمين نفسه ويتخذ خطا في السياسة مغايراً لبلاط فاس، حتى إذا شرع الفرنسيون في احتلال وجدة والدار البيضاء والشاوية وهب الشعب لمقاومة المحتلين قبل عبد الحفيظ أن يتزعم هذه الموجة الجهادية لعل المغاربة يحافظون على استقلال بلادهم.

وقد أدى به هذا الموقف المتميز إلى أن يكون عرضة للانتقاد والاتهام خاصة لما عارض خطط بعض القواد الكبار مثل الكنتافي، وظهر وكأنه متحالف مع منافسي هذا الأخير عبد المالك المتوكي والمدني الاكلاوي. وأخطر هذه التهم هي التي وجهها له المخزن سنة 1906 وهي تهمة الرغبة في الخروج عن الطاعة أي الرغبة في تولي الملك.

وقد استطاع أن يفند الاتهامات الموجهة له وفوت الفرصة على أعدائه الذين لم يتمكنوا من عزله أو قتله بالرغم من تعدد المحاولات (ع. الخديمي، *الحركة الحفيظية*).

والواقع أن عبد الحفيظ قد بدأ يحتاط لنفسه ويهيئ السبل للاستيلاء على الملك بفاس إذا ساعدته الظروف ابتداء من سنة 1906 أي منذ تكاثرت حوله الشكوك والاتهامات. ومن علامات استعداده تقربه من بعض قواد الحوز كالمدني الكلاوي وعبد المالك المتوكي، وتحالفه مع قسم كبير من قبيلة الرحامنة القوية. وتشجيعه - خفية - لأنصاره بإثارة المتاعب للقواد الموالين لمولاي عبد العزيز. وتقربه من المرابطين وتشجيعه للتيار الشعبي الداعي للجهاد.

فلما احتلت فرنسا مدينة وجدة ربيع 1907، واقدمت على قصف الدار البيضاء والشروع في احتلال الشاوية في غشت 1907، وسارع مولاي عبد الحفيظ إلى عزل أخيه وإعلان بيعته بمراكش في 16 غشت 1907، ثم أعلن الجهاد بهدف

استنفار المغاربة في الوقت الذي خضع فيه مولاي عبد العزيز للتبريرات الفرنسية وأبدى استعداده لإيقاف أعمال المقاومة. وقد استغل سكان فاس موقف مولاي عبد العزيز فأعلنوا بيعتهم لمولاي عبد الحفيظ بمباركة العلماء والأشراف. وانتصر مولاي عبد الحفيظ في الصراع العسكري الذي دار بينه وبين أخيه. وغلبت دعايته ودبلوماسيته. فتخلى مولاي عبد العزيز عن الملك إثر انهزامه في معركة بوعجيبة غشت 1908.

حاول مولاي عبد الحفيظ أن يستمر في دعوته للجهاد إلى إخراج الفرنسيين من الشاوية، لكن ضعف المغرب أمام قوة فرنسا اضطره إلى سلوك سبيل التفاوض لإقناع المحتلين بالجلاء عن المناطق المحتلة بالشاوية والحدود الشرقية بالطرق الدبلوماسية.

ولقد جرت مفاوضات طويلة وشاقة، كان المغرب فيها وحيداً أمام دولة إمبريالية عصرية. واضطر سلطان الجهاد إلى التخلي عن الجهاد مقابل اعتراف الدول الأوربية بسلطته سنة 1909. كما رضخ للتعاون مع الحكومة الفرنسية بهدف النهوض بالبلاد وتجنيبها الفوضى والاحتلال. وأسفرت مفاوضاته مع فرنسا على قبولها الجلاء عن المناطق المحتلة، لكنها اشترطت عدة شروط عسكرية ومالية، مهدت بها إلى الهيمنة على الجيش المغربي وإلى التحجير المالي على المغرب منذ 1910.

ونظراً لعجز السلطان المالي وعدم توفره على قوة عسكرية قادرة على مواجهة الفرنسيين، فإن محاولاته للصمود تكسرت أمام الدسائس الفرنسية. ذلك أن الفرنسيين ضربوا حصاراً دبلوماسياً حول السلطان، وأثاروا ضده كثيراً من الانتفاضات الداخلية، وختموا تلك المناورات بإنذاره بضرورة قبول شروطهم لتعاون مغربي فرنسي بغرض هيمنة فرنسا على المغرب سنة 1910.

وبقبوله للإنذار الفرنسي أضعف السلطان سياسته الداخلية وزاد من اعتماده على تفهم الحكومة الفرنسية وتعاونها. وفي المقابل زاد الفرنسيون من تدخلهم في شؤون البلاد الداخلية ووسعوا نفوذهم داخل المغرب مستغلين الضائقة المالية للبلاد، ومشجعين للمتعاونين معهم. ولم تكن هذه التطورات بخافية على مولاي عبد الحفيظ الذي حاول أن يواجه الضغوط الفرنسية التي كانت تحاصره من كل جانب، والنفوذ الفرنسي الذي تغلغل وسط النخبة المغربية وفي مقدمتها كثير من التجار والحكام والمرابطين. وفي محاولاته للصمود التجأ السلطان للرعية لجمع ما يتعيش به المخزن من المال يوماً بعد يوم. وسلك سياسة جبائية عادت بالمغاربة إلى الممارسات السابقة للتنظيمات العزيزية الأمر الذي أثار قبائل أحواز فاس، التي حاصرت المدينة في بداية 1911 مطالبة بعزل الوزير الأول المدني الأگلاوي وإيقاف التعاون العسكري مع الفرنسيين.

واستغلت الأوساط الاستعمارية الفرنسية انتفاضة القبائل ضد مخزن مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فأقدمت على احتلال عاصمة المغرب بدعوى حماية الجالية الأجنبية فيها. وقد أثار هذا التدخل معارضة ألمانيا وإسبانيا. فأقدمت إسبانيا على احتلال بعض المدن المغربية في حين نزلت قوات ألمانية في أگادير في يوليوز 1911، مما تسبب في نشوب أزمة دولية. وأعرب مولاي عبد الحفيظ عن أمله في انسحاب كل جيوش الاحتلال ؛ لكنه استشعر النهاية المحتومة من المفاوضات الفرنسية، ففاتح الحكومة الفرنسية حول الاتفاق على تفاهم بين المغرب وفرنسا. وقدم مطالبه التي اشترطت الحفاظ على الدولة المغربية وسيادتها المستمدة من استمرارها مدة 13 قرناً من الاستقلال الوطني، كما اشترط شروطاً تتعلق بمصالح السلطان وعرشه. ولما قبلت الحكومة الفرنسية شروط السلطان في نونبر 1911 فتح الطريق أمام عقد اتفاقية الحماية في مارس 1912، خاصة بعض تخلي ألمانيا عن المغرب مقابل حصولها على العوض من فرنسا.

وقد أثار توقيع مولاي عبد العزيز الحفيظ لاتفاقية الحماية معارضة المغاربة، وانتفضت طوابير الجيش المغربي بفاس وساندها سكان المدينة، وأعقب ذلك تدخل الجيش الفرنسي الذي مارس قمعاً قاسياً ضد سكان فاس الأمر الذي أزعج السلطان وجعله يصمم على رفض كل تعاون مع نظام الحماية، ويصر على التنازل عن العرش، وهو ما كان قد أدخله في شروط توقيعه لا تفاقية الحماية.

وبالفعل رفض السلطان كل تعاون مع المقيم العام الجنرال ليوطي، وعرقل السير الشّرْعي للنظام الجديد، وأصر على الانتقال إلى الرباط حيث أضرب عن كل عمل رسمي. إلا أنه قبل تنازله عن العرش في 28 يوليوز 1912. وفي 12 غشت ركب البحر متوجهاً إلى مكان استقراره بطنجة إلى حين.

وبعد فترة قصيرة ذهب إلى الحج سنة 1913، في موكب كبير ضم الكثير من أتباعه ومؤيديه. وقد لقي في طريقه اهتماماً زائداً ومراقبة دائمة من طرف الدبلوماسية الفرنسية، وخاصة ببلاد الشام التي زَارَ عَوَاصِمَهَا مثل بيروت ودمشق والقدس.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى انتقل إلى إسبانيا خفية ثم رفض العودة للمغرب. وفي إسبانيا أصبح محل مراقبة الاستخبارات الفرنسية ومحور دعاية مضادة للاحتلال الفرنسي بالمغرب. وحاول التنسيق مع الألمان والأتراك والموجهين لحركة الجامعة الإسلامية، بهدف إثارة ثورة عامة بالمغرب وشمال إفريقيا ضد الاحتلال الفرنسي. لكن هذه المحاولة فشلت بفشل ألمانيا في الحرب. وأصبح مولاي عبد الحفيظ، الذي لم يتنازل عن كبريائه المقاوم للاحتلال، عرضة للتضييق من طرف الحكومة الفرنسية واستخبارات الإقامة العامة بالرباط. ولما رفض العودة للمغرب أمر ليوطي بمصادرة أملاكه وأمواله في 14 أبريل 1922. كما تعرضت

مكتبته إلى المصادرة ونقلت أسرته إلى الرباط، وحيل بينه وبين أبنائه وأهله، ولم تفده المراسلات التي بعثها إلى عدة شخصيات مغربية وعالمية مثل رئيس الولايات المتحدة آنذاك، إلى أن اضطر للخضوع لشروط الدولة الفرنسية، التي أقنعته بواسطة عبد القادر بن غبريط بالسكنى في مدينة باريز مقابل معاش متواضع. وسكن بباريز في منطقة Enghien إلى يوم وفاته في 14 أبريل 1937، فنقل جثمانه إلى بلاده حيث دفن بضريح مولاي عبد الله بفاس. وقد حضَرَ ابن أخيه الملك سيدي محمد بن يوسف مراسم الدفن في جنازة حافلة حضرتها وفود عديدة.

وثائق الخزانة الحسنية ؛ التهامي المكناسي، *غنية الانجاد في مسائل الجهاد*، مخطوط ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح، محمد المنوني، 1994 ؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة*، 1937 ؛ الزركلي، *الأعلام*، مجلد 3 ؛ عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*، دعوة الحق، عدد 4 السنة الحادية عشرة ؛ عبد الله كنون، *أشذاء وأنداء*، 1986 ؛ علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994 ؛ أزمة أكادير سنة 1911 والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب بأكادير، 1990 ؛ الحركة الحفيظية، 1894 ـ 1912، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

L'illustration, 1907 ; *Archives historiques de l'armée de terre*, Vincennes, Paris ; *Archives diplomatiques de Nantes* (centre des) ; Arnaud Louis, *Au temps des mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca 1952.

علال الخديمي

ابن **عبد الحق**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Bodolach وAbdalaqui ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكان من بين أفراد هذه الأسرة التي اشتهرت بتجارتها مع الخارج حوالي سنة 1054 (1644) :

ـ ابن عبد الحق علي بن محمد.
ـ ابن عبد الحق محمد بن علي بن محمد.
ـ ابن عبد الحق عبد العزيز بن علي بن محمد.
ـ ابن عبد الحق المهدي بن علي بن محمد.
ـ ابن عبد الحق البشير بن علي بن محمد.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 298.

محمد ابن عزوز حكيم

عبد الحق ابن أبي **سعيد** (سلطان مريني)، هو آخر سلاطين بني مرين (823 ـ 869 / 1420 ـ 1464) وصف الناصري عصره بأنه أعظم شدة ومحنة، فقد ختم عصر الضعف المريني الذي بدأ منذ أواسط القرن الثامن (14 م)، إلا أن هذا الضعف ازداد منذ العقد الثاني من القرن التاسع، أي منذ النصف الثاني من عهد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني (والد المترجم)، وهذا ما سهل على البرتغاليين احتلال مدينة سبتة سنة 818 / 1415، ثم توالى سقوط المراكز الساحلية بيد البرتغاليين والإسبان خلال القرن التاسع ومطلع العاشر، وهذا يعني أن عصر المواجهة المغربية مع الإسبان انتهى شمال المضيق وانتقل إلى الأرض المغربية.

إن الفتن التي توالت خلال العقد الثاني من القرن التاسع تركت نوعا من الغموض فيما يتعلق بكيفية نهاية السلطان أبي سعيد، رغم أن بعض الروايات تتحدث عن وفاته سنة 823 (*الاستقصا*، 4 : 93 ـ 94) ؛ وحسب روايات أخرى فإن بني زيان أمراء تلمسان حاولوا دعم أحد الأمراء المرينيين لتولي السلطنة بعده انتقاما لتوالي السيادة المرينية على تلمسان منذ أكثر من عقدين، إلا أن الوزير يحيى الوطاسي تمكن بعد حوالي أربع سنوات من رفع أحد أبناء أبي سعيد إلى السلطنة طفلا وهو عبد الحق (صاحب الترجمة)، وربما كان هذا الوضع الصعب للسلطنة في فاس سببا في اقتراب الأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيز من فاس ثم رجوعه عنها ـ لأسباب غير واضحة ـ بعد إظهار سلطان فاس التبعية له (مؤقتاً) وذلك سنة 827 (حسب الزركشي والوزير السراج)، وتجعل رواية الناصري هذه الحادثة في العقد الثاني زمن من السلطان أبي سعيد انتقاما منه لدعمه بعض المناوئين في بجاية (*الاستقصا*، 4 : 91).

ويمكن تلخيص عصر السلطان عبد الحق في العناصر التالية :

ـ وضعية السلطة المركزية : وصل السلطان عبد الحق إلى العرش طفلا تحت وصاية الوزير أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، أي أن عصره يمثل استمرارا لفترة استبداد الوزراء والحجاب على سلاطينهم، وهذه فترة يشوبها الغموض، وما ذكر عنها من أحوال اجتماعية يتعلق بظهور الأوبئة التي عمّت المغرب ربما نتيجة الفتن التي لم تهدأ إلا نادرا، وقد حدث الوباء الخطير سنة 846 حتى قيل إنه "هلك فيه جملة من العلماء والأعيان"، وعرف هذا العام عند أهل فاس بعام عزونة.

وربما كان سوء الأحوال الاجتماعية من دوافع عودة الاهتمام بالشرفاء الأدارسة الذين أهملهم السلطان أبي سعيد، فكانت مناسبة "اكتشاف" قبر إدريس الثاني بأحد جدران مسجد الشرفاء بفاس حافزا لقيام الوزير المذكور ببناء "زاوية الشرفاء"، وفي هذا الاهتمام محاولة لإعادة اكتساب المشروعية التي فقدتها السلطة نتيجة الفتن، وسوء تدبير أمور الرعية، والعجز عن مواجهة الأجانب خاصة بالنسبة لسبتة.

وإذا صحت الرواية التي أوردها الزركشي والتي تؤخّر وصول الأمير الحفصي إلى قرب فاس حتى سنة 827 وتقديم البيعة له (ص. 126) فإن هذا قد يدخل أيضا في إطار كسب المشروعية خاصة وأن قوة الأمير الحفصي أبا فارس عبد العزيز كان يؤمل منها إخراج البرتغاليين من سبتة.

غير أن الفتن في جهات مختلفة ومحاولة القضاء عليها كانت سببا في مقتله سنة 852 على يد قبائل عربية وفي جهة اختلف في تسميتها فقيل هم عرب أنجاد، وقيل عرب الحجر (وكتبت أحيانا : عرب الحجاز)، وهناك من ذكر أن مقتله كان شمال مدينة سجلماسة.

بعد مقتل الوزير الوطاسي تراجع السلطان عبد الحق عن سياسته فيما يتعلق بالاهتمام بالشرفاء، وعاد إلى سياسة أبيه في الإساءة إليهم حسبما ذُكر ؛ أما وزيره الذي عينه بعد المذكور فهو علي بن يوسف الوطاسي الذي وصف بالديانة والصيانة والرفق بالرعية مع حسن إدارة شؤون الدولة، وقد استمر في وزارته إلى وفاته خلال حركته بأرض تامسنا في رمضان سنة 863.

بعد وفاة علي الوطاسي تولى الوزارة يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي الذي ذكر أن ولايته كانت "مبدأ الشر ومنشأ الفتنة... أخذ في تغيير مراسم الملك، وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف" (*الاستقصا*، 4 : 97)، كما تصرف في عزل قاضي فاس محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وكان موصوفا بالدين والعدل... فأحس السلطان بسلب كثير من اختصاصاته، مما جعله يفتك به وبقرابته (أخويه أبي بكر وأبي شامة وعمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف)، بينما تمكن أخواه محمد الشيخ ومحمد الحلو من النجاة، حدث هذا في أواسط ذي القعدة سنة 863 أي بعد سبعين يوماً من حكم الوزير. لكن يلاحظ أن هناك تناقضا فيما ذكرته بعض المصادر حين تحدثت عن تعسف الوزير على الرعية كما ذكرنا، ثم تحدثت عن غضبها من اغتياله وميلها إلى أخيه محمد الشيخ، مما جعل السلطان عبد الحق يرفع إلى الوزارة اليهوديين الأخوين هارون وشاويل انتقاما منها، فهل كان هناك موقفان متباينان هما موقف عامة الرعية وموقف الأعيان ؟

استمر اليهوديان في الوزارة حوالي ست سنوات مارسا خلالها مع أعوانهما وخاصة صاحب شرطة فاس أنواع العسف على الرعية، حيث لقي أهل هذه المدينة على الخصوص أنواع الإهانة بالضرب والضغط الجبائي حتى قيل إن اليهود "تحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم"، وذكر الناصري أن الأعيان من أهل فاس "والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق صاروا يكاتبون [محمد الشيخ] ويقدمون إليه الوسائل سرا، وربما دعوه إلى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء" (*الاستقصا*، 119). فهل كان هذا هو سبب حنق السلطان على أهل المدينة فأطلق يد اليهود فيهم، أم أن هذا التصرف من اليهود هو سبب الاتصالات السرية بمحمد الشيخ ؟ وهكذا كان الاعتداء على امرأة شريفة بالضرب السبب المباشر في ثورة أهل فاس على اليهود والسلطان حيث خلعوا بيعته وقتلوه وحولوا البيعة إلى مزوار الشرفاء أبي محمد عبد الله الإدريسي الجوطي العمراني، وبذلك انتهت الدولة المرينية (869 / 1464) لتحل محلها تجربة إدريسية استمرت إلى سنة 876 عندما تمكن محمد الشيخ الوطاسي من إفشالها ونقل الحكم إلى أسرته من بني وطاس الذين هم فرع من القبائل المرينية، مما يجعل البعض يعتبر الحكم الجديد استمرارا للعصر المريني إلى أواسط القرن العاشر (السادس عشر الميلادي).

ابتدأت الفتن تشتد منذ العقد الثاني من القرن التاسع أي في عصر أبي سعيد عثمان، حيث ظهرت حركة انفصالية في مراكش استمرت بعد ذلك، حيث تذكر بعض الروايات أن سلطانها تعاون مع سلطان فاس لإفشال الحصار البرتغالي عن طنجة سنة 841 (*الاستقصا*، 96).

وفي الشمال تزعم الفتنة أخذ إخوة السلطان اسمه عبد الله مدعما من أمير غرناطة لمزاحمة أخيه على السلطنة، ويجعل مارمول حدوث فتنته سنة 813 (*إفريقيا*، 1 : 41) ؛ وتذكر رواية أخرى أنه تمكن من السلطنة، غير أن سقوط سبتة سنة 818 / 1415 اعتبر من أعظم النحوس على هذا السلطان، وأن ثورة الرعية عليه كانت بسبب هذا الاحتلال وفشل مواجهته، فكان مقتله سنة 823، "ثم تنازع الملك بعده اثنان من إخوته، وبعد قتال شديد... اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبي سعيد"، ويعلق الناصري على هذه الرواية بقوله : "ويبعد أن يكون هذا الخبر الذي ساقه منويل [عن سلطنة عبد الله] لا أصل له" (*الاستقصا*، 94)، غير أن رواية ابن القاضي لا تجعل أي سلطان بين أبي سعيد وابنه عبد الحق.

وقد ذكر أن قبائل الشاوية تمردت سنة 846 على سلطان فاس "وأعضل داؤهم"، فتحرك الوزير يحيى الوطاسي إليهم ففل جمعهم، "وخرب منازلهم" (*الاستقصا*، 96). ولم تشر الرواية إلى سبب هذا التمرد، ولكن توقيته مع فترة الوباء العام في المغرب يفرض احتمال وجود حالات جفاف ومجاعات سبقت أو صاحبت هذه الأوبئة، وهذا ما قد ينتج عنه تحركات القبائل بحثا عن المرعي وسبل العيش، ويجعل من الصعب دفع المجابي المفروضة عليها وهو ما تعتبره السلطنة تمردا ؛ لقد أصبحت منطقة تامسنا تضم كما بشريا هاما جعله الوزان على الخصوص من قبائل زناتة وهوارة التي ناصرت المرينيين ضد الموحدين والقبائل العربية الحليفة لهم، فأوطنوهم مكان هذه القبائل، قال الوزان (القرن 10 هـ) - وقد تكررت زياراته لتامسنا - : "أصبح الزناتيون والهواريون يتصرفون في هذا الإقليم، وتكاثروا فيه، حتى إنهم اليوم - وربما كان ذلك منذ مائة سنة [أي القرن 9] - يخيفون ملوك فاس ويرعدون فرائصهم، إذ يقدر أن عددهم يصل إلى ستين ألف فارس ومائتي ألف راجل" (*وصف إفريقيا*، 1 : 155)، وهكذا يكونه تمردهم خطيرا على السلطة في فاس ؛ فهذه القوة هي التي شجعتهم على الوصول إلى بلاد "الغرب" أي منطقة فاس ومكناسة ونهبها في عهد أبي عبد الله الجوطي الإدريسي المبايع بعد مقتل السلطان عبد الحق

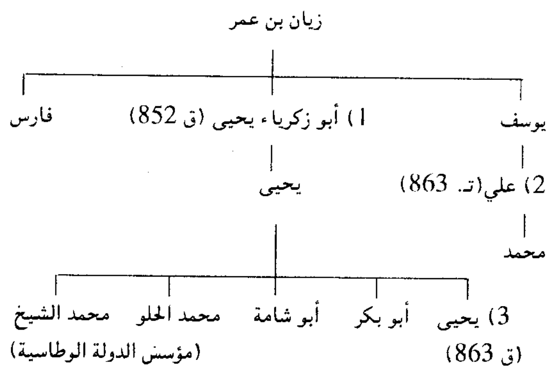
(*الاستقصا*، 116). هذه القبائل هي التي سميت بالشاوية لتكليف السلاطين لها برعاية مواشيهم.

وهناك تمرد آخر ظهر في الشرق وربما الجنوب الشرقي أيضا حيث توجه الوزير لمواجهته وانتهى الأمر باغتياله سنة 852 / 1448في أنجاد أو نواحي سجلماسة...؟

هذا الوضع السيئ في الداخل كان ينعكس على المراكز الساحلية التي كانت أنظار العدو البرتغالي تتجه إليها، بينما كان القشتاليون مهتمين بمحاولة القضاء على الإمارة النصرية في غرناطة. ومن المحاولات المرينية ضد البرتغاليين ما حدث - حسبما ذكر - من تعاون مريني نصري (مارمول) أوحفصي مريني من أجل تحرير سبتة انتهى بالفشل سنة 827 أو ما بعدها (برانشفيك)، ثم تمكن البرتغاليون من احتلال قصر المجاز (قصر مصمودة) الواقع بين سبتة وطنجة سنة 862، وإذ كانوا قد فشلوا في حصارهم لطنجة سنة 841 فإنهم تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 869 مستفيدين من التوتر الحاصل بين الرعية من جهة وسلطان فاس ووزرائه اليهود من جهة ثانية. وسيستمر مسلسل سقوط المراكز الساحلية حتى مطلع القرن اللاحق.

والجدير بالذكر أن عجز السلطة المرينية في مواجهة الضغط النصراني على هذه المراكز فرض على القيادات الدينية من علماء وصلحاء تنظيم القبائل في إطار عمل جهادي لمحاولة منع الأجانب من النزول على السواحل أو منع توغلهم داخل البلاد انطلاقا من المراكز المحتلة، فكان لهم دور إيجابي في النيابة عن السلطة إلى أن ظهرت الدولة السعدية متبنية حركة الجهاد.

الوزراء الوطاسيون



الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، 125 - 126، تونس، 1966 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط، 1952 ؛ الوزير السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، 2 : 190، بيروت، 1984 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، "المنشور تحت عنوان : تاريخ ملوك بني زيان"، ط. الجزائر، 1985 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 443، القاهرة - تونس، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 358، 462، 535، الرباط، 1973 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 155، 166، تر. محمد حجي وغيره، الرباط، 1980 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 : 415، تر. حجي وغيره الرباط 1984 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96، 100، 116، 119، الدار البيضاء 1955 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 : 201 - 202 ؛ م. القبلي، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، ص. 63 - 65، المحمدية، 1987 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المحتلة*، 1 : 43 - 60، دكتوراه دولة مرقونة ؛ ر. برانشفيك، *تاريخ إفرقية الحفصية*، 1 : 256 - 258 ؛ ش. جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، 2 : 253 - 254، تعريب مزالي - ابن سلامة، تونس، 1978.
M. Arribas Palau, *Cartas de Fernando I de Aragon a Abu Ali de Marrakus* : *Tamuda* 1956, sem II ; *Manual de Historia de Espana*, t. 1, p. 782 (Madrid 1975), Pedro Aguadi Bleye.

ابن عبد الحليم، أبو **علي صالح** بن صالح، ذكره صاحب *مفاخر البربر* من جملة علماء البربر فقال : "منهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح ابن الشيخ الصالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحليم" وسماه ابن القاضي : صالح بن صالح بن عبد الحليم ووصفه "بالفقيه العالم الصلاح التاريخي الزاهد الورع"، ويظهر أنه ينقل عن صاحب *مفاخر البربر* أو أن مصدرهما واحد، وتحدّث صاحب *المفاخر* عن ابن عبد الحليم بكونه "نزيل نفيس، وهو يعيش في وقتنا هذه وهي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وقد جمع الله له بين العلم والعبادة، وخصه بالفضل والديانة، اشتهر بالعفاف، واقتصر من الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا، والحلول من الورع في الدرجة العليا، إلى ما تميز به من الكرم والسخا(ء)، والطهارة والتقى، وتلك أوصاف السلف الصالح رضي الله عنه". وذكر نسبه في إيلان إحدى قبائل مصمودة. وهذه الترجمة في المفاخر هي آخر تراجم مشاهير رجال البربر.

مجهول، *مفاخر البربر* (ضمن مجموع)، مخطوط الخزانة العامة ك / 1275 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 30 (ع 925).

أحمد عزاوي

عبد الحليم بن **عمر المريني** (أمير)، نشأ بعد وفاة أبيه سنة 734 / 1334 في كنف عمه السلطان أبي الحسن المريني (*العبر*، 7 : 418). وبعد فشل حملة أبي الحسن على إفريقية وثورة ابنه أبي عنان عليه عبر عبد الحليم إلى الأندلس رفقة أخويه الناصر وعبد المؤمن وابن أخيهم عبد الرحمن بن علي المكنى بابن أبي يفلوسن، وحظي جميعهم بعناية السلطان محمد بن يوسف النصري المعروف باسم الغني بالله. ولما ثار السلطان إسماعيل بن يوسف النصري على أخيه الغني بالله وفر هذا الأخير إلى العاصمة المرينية فاس رفقة وزيره ابن الخطيب واستقبلهما السلطان المريني أبو سالم بحفاوة، تحالف السلطان النصري مع نظيره الزياني أبي حمو موسى من أجل التصدي المشترك للمرينيين. وكان أبو حمو غالبا ما يراسل النصريين في شأن أولاد أبي علي عمر ليبعث

بهم للمطالبة بالملك بفاس، ولما كانت الجيوش المرينية تحاصر تلمسان عاصمة الزيانيين سنة 761 / 1360 استجاب السلطان المصري إسماعيل بن يوسف لطلب أبي حمو موسى وبعث إليه بعبد الحليم وبأخيه عبد المؤمن وبابن أخيهما عبد الرحمن (*العبر*، 7 : 419 و*نفاضة الجراب*، 301).

تزامن وصول أبناء أبي علي إلى تلمسان مع اغتيال السلطان المريني أبي سالم إبراهيم من وزيره الحسن بن عمر، وتوليته لتاشفين بن أبي الحسن المعروف بالموسوس سلطانا للمرينيين. وكان المرينيون على استعداد لتقبل طاعة أحد أبناء أبي علي عمر نظرا لما أبداه الوزير حسن بن عمر من استبداد على سلطانه المعتوه. فحاول السلطان الزياني أبو حمو موسى استغلال تلك الفرصة لتنصيب ملك حليف له بفاس، فبعث بأبناء أبي علي رفقة جيش بعد أن رشح منهم عبد الحليم للملك واستوزر له محمد السبيع أحد شيوخ بني مرين وانضم إلى عبد الحليم بدبدو محمد بن زكراز شيخ بني ونكاسن (*العبر*، 7 : 420،419 و*نفاضة الجراب*، 301).

تضاعفت فرص نجاح عبد الحليم في تملك عرش المرينيين بما لقيه من مساندة من شيوخ القبائل المرينية فحاصر فاس في 6 محرم 763 / 29 أكتوبر 1264 وتلقى أثناء الحصار بيعة قبائل المغرب، لكن افتقاره إلى المال حال دون تحقيق مراده، ورجحت مع مرور الأيام كفة منافسه الوزير حسن بن عمر المحاصر بفاس الجديد إلى أن تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد الحليم بالاعتماد على المرتزقة النصارى (*اللمحة البدرية*، 118 و*الاستقصا*، 4 : 43) فافترقت جموع عبد الحليم والتحق هو وإخوته بتازة واتخذها قاعدة لتوجيه الغارات إلى فاس وتمكن من السيطرة على مكناسة ووظفها لنفس الغرض "فضاق ذرع فاس للملك بهم" (*العبر*، 7 : 420 و*الإحاطة*، 3 : 532).

عمل الحسن بن عمر على تحسين علاقته بشيوخ بني مرين أثناء ذلك، وكان يدرك أن سبب عزوفهم عنه هو توليته لتاشفين الموسوس بن أبي الحسن. فبدأ يفكر في خلعه وتولية غيره فراسل ملك قشتالة في شأن الأمير أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي الحسن، فجهزته قشتالة إليه، ودخل فاس في صفر 763 / دجنبر 1362 بعد أن فشل عبد الحليم بن أبي علي في اعتراض طريقه (*الإحاطة*، 3 : 532 و*الاستقصا*، 4 : 44).

توجه عبد الحليم إثر ذلك إلى سجلماسة "بلد أبيه لكونها مما دخل في طاعته وتبادرت إلى تقبل دعوته" فاتخذها قاعدة لإمارته (*اللمحة البدرية*، 422 و*العبر*، 7 : 119) ووزع خراجها في عرب المعقل شيعة أبيه "واقطعهم جنات المخلص بأسرها واعصوصبوا عليه" (*العبر*، 7 : 422).

حاول محمد بن عبد الحليم معاودة الهجوم على فاس انطلاقا من قاعدة ملكه سجلماسة سنة 763 / 1362 وكان الوزير حسن بن عمر بدوره يعد العدة للحملة على سجلماسة، فكانت بينهما مواجهة "بتاغزوطت عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب إلى الصحراء" (*الإحاطة*، 3 : 532) اتضح تفاكؤ قوتيهما فيها فتدخل الملأ من بني مرين لعقد الصلح بينهما وعاد كل منهما إلى قاعدة حكمه (*الإحاطة*، 3 : 335).

ثم حدثت وحشة بين عبد الحليم ووزيره محمد السبيع لأسباب نجهلها، فنزع عنه وزيره إلى الوزير حسن بن عمر فتقبله (*العبر*، 7 : 224) كما احتدم الصراع بسجلماسة بين أولاد حسين والأحلاف من عرب ذوي منصور من المعقل، فقد كان أولاد حسين يحقدون على الأحلاف لأنهم كانوا عماد جيش عبد الحليم، فأعلنوا الحرب عليهم بإيعاز من الوزير المستبد بفاس، وعجز عبد الحليم عن إصلاح ذات البين بينهم، ثم أوكل تلك المهمة لأخيه عبد المؤمن، حتى إذا حل هذا الأخير بينهم أكرهوه على قبول بيعتهم وزحفوا به على سجلماسة فدخلوها على عبد الحليم في صفر 764 / دجنبر 1363 بعد أن ألحقوا الهزيمة به وبشيعته من عرب الأحلاف وأذعن للخلع. ثم خرج عن عاصمته برسم أداء فريضة الحج وتوفي بالإسكندرية في طريق عودته من حجته سنة 766 / 1365 (*العبر*، 7 : 424 و*الإحاطة*، 3 : 362 و532 و*سجلماسة*، 265 ـ 266).

ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ *نفاضة الجراب*، نشر أحمد مختار العبادي، البيضاء، 1985 ؛ *اللمحة البدرية*، بيروت، 1978 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ حسن حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، فضالة، المحمدية، 1979.

حسن حافظي علوي

ابن **عبد الحي، بوجمعة** ولد سنة 1935 بطانطان انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة تحت قيادة صالح بن عسو.

وقد كان مثالاً للرجل المجاهد في سبيل الله حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة ووطنية صادقة إلى أن استشهد في معركة أخوى انتيف سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503168.

ابن **عبد الرحمن، إدريس** ولد سنة 1937 بدوار بوعنقود ملحقة تيزي وسلي إقليم تازة.

نشأ في وسط عائلي متدين، درس كتاب الله على يد والده وتشبع بالأفكار الوطنية منذ صغره مما دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير.

وقد عمل ضمن الفرقة التي كانت قيادة عبد السلام بن عمر شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر إلى أن استشهد في شهر أكتوبر 1955 بجبل تونت ناحية تيزي وسلي من جراء تعرضه لقصف إحدى طائرات العدو في

الوقت الذي كان متجها إلى مركز المجاهدين (جبل لقرع) حملا بعض الأسلحة والذخيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524180.

عبد الرحمن بن **عبد العالي** (ت. 1159 / 1746)، دفين المدرسة العلمية العتيقة لقبيلة أيت أمر الحاحية، جاء في مشجر نسبه الموجود تحت يد ورثته ما نصه : (هو عبد الرحمان بن عبد العالي بن أحمد بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن منصور - دفين المكان المسمى (تحت النخلة) بتلمسان - بن عبد الله بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه). ومما جاء في هذا المشجر أيضا أن السيد عبد الرحمن بن العالي هذا قدم من (عين الحوت) مع ابنيه محمد وصفية فنزلوا أولا بدرعة عند الشيخ بناصر فأخذوا عنه الطريقة الناصرية ثم رحلوا إلى مراكش ومنه انتقلوا إلى حاحة حوالي عام 1079 / 1668، وقد مر المترجم بقبيلة (امتوكة) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاستقبلته قبائل حاحة بالقبول والإجلال والتقدير بعد أن شاهدوا له كرامات، وبعد أن حلّ في ربوعها وقع اختياره على حصن قديم يدعى (حصن مرزوك) الواقع فوق ربوة عالية على الضفة الجنوبية لوادي أيت أمر المشهور بفاكهة الموز حاليا، حيث أسس زاويته ومدرسة علمية توحدت حولها قبيلة أيت أمر، فعمرتها بأعشار غللها لتمويل أساتذتها وطلبة القرآن والعلم من أبنائها وغيرهم، فازدهرت فيها الدراسة إلى عهد قريب، ويكفي أن محمد المختار السوسي واحد من طلبتها في منتصف القرن الرابع عشر الهجري المنصرم. ولا شك أن الشيخ عبد الرحمان بن عبد العالي وابنه محمد هما أول من جد في نشر الطريقة الناصرية بحاحة لأنها طريقة جديدة تأسست عام 1060 / 1650 فلقيت إقبالا كبيرا لدى سكان حاحة وإيداوتنان وامتوكة والشياظمة وذلك ما ساعد الشيخ عبد الرحمن وابنه محمد على تأسيس عدة زوايا ناصرية بقبائل حاحة منها :

1 - زاوية أيت سرحان ومدرستها العلمية الواقعة بفخذة (أيت سرحان) بقبيلة إيداوبوزيا الجبلية.

2 - زاوية أوحسان المشهورة بقبيلة نكنافة، تناسل فيها أحفاد الشيخ ومريدوه حتى عظم شأنهم.

3 - زاوية (بوزاما) نسبة إلى اسم القرية التي توجد بها بقبيلة إيداوكرض.

4 - الزاوية الناصرية المشهورة بقبيلة إيداكيلول وقد ظلت مليئة بالمريدين الذين حافظوا على الأذكار الناصرية بها إلى الآن.

وهناك زوايا ناصرية أخرى أقل شهرة أسسها الشيخ عبد الرحمن بن العالي وابنه محمد بقبائل حاحة وإيداوتنان، وكان من عادته أنه كلما أسس زاوية أحاطها بأملاك فلاحية محبسة عليها، وشيد بجانبها مدرسة لتلقين القرآن والعلوم الدينية لأبناء تلك القرى، في حين يتولى مقدم الزاوية تلقين أذكار الطريقة للمريدين. إلا أن المدرسة المشهورة باسمه وخلدته في التاريخ هي مدرسة أيت أمر العلمية العتيقة وبجوارها ضريح الشيخ عبد الرحمن وولديه محمد وصفية الذي يتراءى للناظرين يزهو بقبته الشامخة فوق ربوة عالية وسط القبيلة، (انظر صورة الموقع معه) ومما زاد في شهرتها تقاطر الوفود من أحفاد الشيخ ومريدي طريقته المبثوثين بالزوايا المذكورة على مقام جدهم وشيخهم الكبير حاملين الهدايا من كل غال ونفيس إلى إخوانهم المقيمين بجوار هذه المدرسة العلمية، فكان ذلك حافزا مشجعا على ازدهار الحركة التعلمية الدينية بها على مدى ثلاثة قرون مضت، قام بأعبائها علماء أجلاء نذكر من بينهم بعض من وصلتنا أخبارهم أمثال :

1 - الفقيه (أو تمشيشت التمري الإمسيوي) والمتوفى عام 1296 / 1878 هو وخمسة عشر عالما حاحيا بسبب مرض الطاعون والوباء الذي اجتاح بلاد المغرب نتيجة القحط والجفاف المتوالي عدة سنوات حسب (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص. 110).

2 - الفقيه النوازلي إبراهيم بن الحاج علي التامري من قوية أفرني، تصدر للتدريس بمدرسة سيدي عبد الرحمن حينا من الدهر إلى إن توفي عام 1306 / 1888.

3 - المقرئ الشهير بالسيد إبراخمي أوشيبان الركراكي أصلا التامري إقامة انكب على التدريس بهذه المدرسة حتى اعوجت أصابعه من كثرة مسك قلم التصحيح، توفي رحمة الله عليه عام 1319 / 1901.

4 - المقرئ الحمزاوي السيد لحسن بن الحاج محمد الوجناوي التامري، فهو مدرس جاد وأديب بارع جال في أصقاع المغرب طلبا للعلم حتى انتهى إلى فاس ومارس التدريس بمدرسة السيد عبد الرحمن بن العالي هذه عدة سنوات إلى أن توفي بها عام 1334 / 1915.

5 - الفقيه الصوفي السيد محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي طريقة التغماري أصلا التامري إقامة، كان كاتبا مرموقا عند الرؤساء الكيلوليين ثم التيكزريريين، وأخيراً شارط بمدرسة السيد عبد الرحمن إلى أن توفي عام 1339 / 1920 (*المعلمة*، 12 : 4016).

6 - الفقيه عبد الله بن إبراهيم الإلغي السوسي، مارس فيها التدريس فترتين الأولى عام 1339 / 1920 والثانية عام 1365 / 1945 وقد كان مجدا ورافعا راية التدريس بهذه المدرسة وغيرها حتى أنه قد أخذ عنه طلبة متألقون في سماء البعلم والأدب أمثال محمد المختار السوسي وعبد السلام القطيب الحاحي، وسعيد الحلمي التعماوي، والحسين بن الفاضل كذلك حسب (*المعسول*، 2 : 38).

7 - العلامة النوازلي الحسن بن الحاج محمد الوويفني التامري المشهورب بـ(سيدي الحسن ن إيمي واسيف) تخرج من

القرويين بفاس عام 1341 / 1922 فتصدر للتدريس بهذه المدرسة بمنتهى الجدية والحماس ثم تفرغ للإفتاء إلى أن توفي عام 1398 / 1977.

وبعد هؤلاء الأساتذة أخذت جذوة التعليم العتيق تخبو وتنطفئ بمدرسة سيدي عبد الرحمن ومثيلاتها بسبب ضعف مردوديته وتهميش خريجيه في نظام التوظيف في الدولة الحديثة. وقد تعاقب على المشارطة فيها خلال النصف الثاني من القرن العشرين : أبو الوقت التزنيتي (1948 - 1950) ثم تلاه الفقيه الحاج محمد بن إبراهيم الداودي التيكزيريني التامري (1950 - 1961) ثم رابط فيها الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد التماسينيني التامري إلى سنة 1985 فخلفه فيها الفقيه التامري الشاب إدبراهيم إبراهيم بن أحمد التبندوتي الذي نالت بفضله مدرسة السيد بن عبد الرحمن بن العالي شهرة واسعة في عهده بفضل جهوده المتواصلة لرفع راية التدريس بها رغم أن الظروف البدوية لا تسعفه، فانصرف إلى البحث والتأليف والإبداع الشعري فصدر له كتاب في جزءين بعنوان (*المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*) خصص فيه 100 صفحة لأسرة عبد الرحمان السليمانية في ج. 2، ص. 111.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 77 ؛ *المعسول*، 2 : 335 ؛ 13: 249 ؛ إ. التامري، *المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، 2 : 111 ؛ أيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطرحة نوقشت سنة ، 1994.

محند أيت الحاج

عبد الرحمن بن **محمد** الشيخ **السعدي**، أمير خلفه والده عندما اتجه نحو الشمال سنة 1545 قائدا على تارودانت. وعندما وصل محمد الشيخ إلى مشارف فاس سنة 1547 استدعى ولديه عبد الله وعبد الرحمن لمحاصرة المدينة. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549 كان عبد الرحمن واليا على مراكش.

أمَّرَ محمد الشيخ ابنه محمد الحران على الجيش الموجه نحو تلمسان، أواخر ماي 1550 وكان من بين مرافقيه أخوه عبد الرحمن. وتفرد بقيادة الفرقة الموجهة ضد عمه أحمد الأعرج في تافيلالت، وتمكن من التغلب عليه. ففر الأعرج نحو تكرارين، بينما عاد عبد الرحمن إلى تازة حيث رابط بجيشه في انتظار تعليمات جديدة. وفي فبراير 1551، قاد هو وأخوه عبد القادر حملة ضد تلمسان، انتهت بمقتل الأمير عبد القادر وجرح عبد الرحمن الذي تمكن مع ذلك من الفرار والوصول إلى فاس آخر مارس 1551. غير أنه توفي بعد ذلك بقليل متأثرا بجراحه.

SIHM, Série saâdienne, Espagne, T. 1, *France*, T. 1, *Portugal*, T. 4.

ابن **عبد الرحمن، محمد** بن **عبد القادر** ولد سنة 1936 بدوار مغيزارت إقليم وجدة، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بالفرقة التي كانت تحت قيادة كرماوي أحمد بن صالح.

وداخل هذه الفرقة أبان الشهيد عن روح نضالية وغيرة وطنية صادقة حيث كان مثالا للمجاهد في سبيل تحرير الوطن نشيطا في عمله، مستعداً للتضحية والاستشهاد، إذ كان دائماً في مقدمة المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي. وأثناء قيامه بالحراسة على قنطرة وادي واضح بأكلميم إثر الهجوم على مقر الجيش الاستعماري الذي كان يتمركز هناك. استشهد بتاريخ 14 / 12 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504921.

عبد الرحمن (سيدي -) **مول القلعة**، ينتسب هذا الولي الصالح إلى الشيخ رحال البدالي دفين زمران، عاش في القرن الثاني عشر (18 م)، كعابد ومدرس ذي جلال ووقار، حيث شيد زاوية له بقلعة السراغنة للتدريس والوعظ الديني، وقد وقع تجديدها في حدود عام 1890 من لدن الحاج محمد الفردي من الرحاليين أيضا، وهو الذي سلم مفاتيحها لما رحل إلى تملالت حوالي عام 1900 للعالم محمد العربي بن البهلول.

يعرف مول القلعة هذا بمبدل الطفلة بالطفل، حيث شكت امرأة له كونها لا تلد إلا البنات بعد أن هددها زوجها بالطلاق لذلك، فوضع الولي يده على طفلة لها فتحولت ولدا ببركته.

يقام على ضريح هذا الولي موسم بفروسية وخيل، صيف كل سنة، تؤمه قبائل السراغنة خاصة أولاد الشرقي من أهل الغابة ثم بعض الرحامنة وتادلة... حيث يتعدى زواره العشرين ألفا، وقد تقلص هذا العدد بسبب جفاف التسعينيات. ومع ذلك فالقلعة تعتبر مدينة مقدسة باحتضانها رفاة هذا الرجل الذي حوى علم الظاهر والباطن بدراسته في تمگروت فبقي أولاده مبجلين خاصة بتملالت والقلعة.

ندوة حول علم النفس الحديث وظاهرة الاستشفا ببويا عمر 27 / 6 /1990 ؛ ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط، ج. 2 ؛ م. العربي ابن البهلول، *منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، مطبعة الزمنية، الرباط، 1956.

الحسن شوقي

عبد الرحمن بن **هشام** العلوي السلطان. ولد عام 1204 / 1789. ولد عام 1204 / 1789. أمه هنية أمازيغية. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن طفولته ومراحل طلبه، فإننا لا نستبعد أن يكون قد نال حظا من العلم، شأنه في ذلك شأن أبناء الملوك. وقد أثنى عليه كل من ترجموه، فوصفوه بالعفة والمروءة.

كان مقيما في بدء أمره بتافيلالت، ومنها استقدمه عمه المولى سليمان، وأسند إليه بعض المهمات والوظائف. منها أنه وجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج. وولاه أمانة مرسى الصويرة وعمالتها، وهو منصب مهم نظرا لموقعه في التجارة المغربية آنذاك، إذ كان يحتل المرتبة الأولى (L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2). ومنها نقله إلى فاس ليكون خليفة له بها عام 1237. فقام بما كلف به أحسن قيام. فكانت تلك الوظائف والمهمات محكا له بما أكسبته من تجربة أفاد منها في تسيير دواليب الحكم، حين ولي الملك.

بويع بالخلافة بعد وفاة عمه المولى سليمان، بوصية منه. وكانت بيعته بفاس في منتصف ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 1238 / 1822 (*الدرر البهية*، 1 : 228). اتفقت المصادر على ورعه واقتصاده في مأكله وملبسه، حتى كان يلبس المرقع والمخصوف. وقد جلب مؤرخو الدولة العلوية في هذا الموضوع عدة شواهد، من أقوال ورسائل وظهائر أثبت ابن زيدان كثيرا منها، حيث كان يوصي أبناءه وأمناءه وعماله بالاقتصاد وعدم الإسراف في سائر النفقات (*إتحاف* ؛ *العز والصولة*).

تمت بيعته في ظروف صعبة "بلا مال ولا معين ولا ناصح". ذلك أن برابرة الأطلس المتوسط، بزعامة محمد بن الغازي الزموري، اتفقوا على منابذته. فأجمعوا أمرهم على ذلك، سيما وقد شايعهم عليه عرب بني حسن وزعير وتادلا. إلا أن حدثا بسيطا تسبب في نقض ما أبرموا. فقد كان الشيخ أبو عبد الله الدرقاوي معتقلا عند الأوداية، منذ ثورة الأمير إبراهيم بن يزيد، وحيث إن ابن غازي كان من أصحاب الشيخ المذكور، "وممن له فيه اعتقاد كبير"، وفد عليه أبناء الشيخ ليتوسط لهم في افتكاك والدهم "وألحوا عليه فلم يجد بدا من إظهار الطاعة للسلطان والدخول في الجماعة" (*الاستقصا*، 9 : 7). فوفد على السلطان في جمع من أعيان قومه بهديتهم وبيعتهم، كما هو مألوف في مثل تلك الحال. فلما رأى حلفاؤه من البربر والعرب ما فعل قفوا أثره، وسارعوا إلى بيعة السلطان. وكان من دهاء المولى عبد الرحمن وحسن سياسته، أن قرب ابن غازي "وجعله عمدة رأيه وعيبة سره حتى كان لا يقطع أمرا دونه". وليستقطبه أكثر عمد إلى تزويجه بإحدى أيامى عمه، وهي ابنة القائد الشهير عمر بن بوستة (ن. م. س).

ولما فرغ من التراتيبات الداخلية بفاس، وعين عليها ابن عمه محمد بن الطيب واليا، خرج منها لتفقد أحوال البلاد، فكانت أولى مراحل حركته نزوله بالقصر الكبير، حيث قدمت عليه الوفود من مراكش. ومنها قدم إلى الرباط، قبل أن يرجع إلى فاس، ليتوجه إلى مكناس، حيث تفقد ما بقي من عبيد البخاري بها، ليعمل على إنعاشه. فجمع بقيتهم وأمدهم بالخيل والسلاح ورتب لهم الرواتب، حسبما ذكره ابن زيدان ببعض التفصيل (*الإتحاف*، 5 : 18).

ومما تميز به أول عهده كثرة الاضطراب، لذلك لم يكن يستقر في إحدى العواصم حتى يرحل عنها لرتق ما يفتقه المتمردون في مختلف الجهات. في هذا السياق توجه على رأس حركة إلى قبيلة بني زروال سنة 1241، وفي السنة الموالية إلى الصويرة وبلاد حاحة، ليلقي عصا التسيار بمراكش. وقبل أن يستقر به المقام، يرحل من جديد لتأديب قبيلة زمور. وبعد ذلك إلى مكناس حيث حاصرها بالجيوش، ودخلها عنوة بعد معارك طاحنة. فاستصفى أموالها وقلع أشجارها، وصيرها بلاقع، واعتقل من وجد فيها، في الوقت الذي لاذ فيه زعيمها المهدي بن محمد الشرادي بالفرار.

ولم يكد المترجم يستريح من عناء حسم مادة الزاوية الشرادية حتى ثار عليه الوداية في سنة 1246 / 1830 ؛ وهو الوقت ذاته الذي تم فيه احتلال بلاد الجزائر. وللإشارة، فإن السلطان قد انتقل إلى مكناس بمجرد سماع ذلك الحدث المفجع. فعل ذلك ليكون قريبا من مضمار العمليات، لأنه شعر بالتهديد المباشر. وفي تلك الأثناء، توجه بعض أعيان قبائل الغرب الجزائري، سيما أهل تلمسان، إلى المولى عبد الرحمن حاملين إليه بيعتهم، طالبين منه المدد إغاثة لهم لطرد الفرنسيين من بلادهم. وبالرغم عن ميل السلطان إلى قبول طلبهم فقد استشار علماء فاس في تلك النازلة، قبل أن يتخذ موقفا بعينه. فأفتى جلهم برفض بيعة الجزائريين، بحجة أن في أعناقهم بيعة الخليفة العثماني. فألح التلمسانيون على البيعة حتى قبلها. وعقد لابن عمه المولى علي بن سليمان على كتيبة من الجيش، من أعيان الأوداية والبواخر، ليكون خليفة له هناك، وشد أزره بعامل وجدة إدريس بن حمان الجراري ؛ لمعرفته الجيدة بأحوال أهل تلك البلاد، وأمدهما بالوصايا اللازمة ليفلحا في مهمتهما.

ولم يكتف العاهل المغربي بذلك الوفد الرمزي، بل عززه بإرسال "خمسمائة فارس ومائة رام وجماعة وافرة من حذاق الطبجية". وبعث في أثرهم شيخ الزاوية الوزانية الحاج العربي، "يدعوهم [أهل الغرب الجزائري] إلى الطاعة، ويحضهم على الدخول في أمر الجماعة لكونهم كان لهم فيه وفي سلفه اعتقاد كبير". كما عين قاضيا ومحتسبا من لدنه للسهر على تدبير شؤون المنطقة.

وتدل قرائن عدة على أنه كان يسعى إلى السير بعيدا في خطته، لأنه لم يكف عن إمداد الجزائريين بالرجال والمال والعتاد الحربي.

وتتفق المصادر على أن أهل تلمسان فرحوا بتلك المبادرة، فبدأ ممثل السلطان في جمع بيعات الجزائريين. وبما أن تدخل السلطان المغربي لإنجاد الجزائر كان يقلق راحة الفرنسيين، فقد عمدوا إلى البحث عما يمكنهم من نسف المبادرة المغربية، فعقدوا اتصالات مع بعض القبائل العربية، سيما بعد أن احتلوا مدينة وهران. ولما اكتشف القواد المغاربة تلك الاتصالات اعتبروها خيانة، وبدل أن يواجهوها بما يليق من الحكمة، عمدوا إلى الشدة، ووجهوا إلى قبائل الزمالة

والدوائر حملات عسكرية استهدفت معاقبتهم بقسوة. فانتهبت الأموال واستصفيت المواشي، وفسد ما بين الطرفين.

وهكذا استغلت فرنسا موقف تضامن المغرب مع القضية الجزائرية لتعلن عليه الحرب. فبدأت بأول هجوم على وجدة منذ سنة 1943، أسفر عن اشتباكات بين الجيش الفرنسي وحامية وجدة. فاتخذت فرنسا من ذلك ذريعة لتتقدم بجريدة من المطالب المجحفة إلى السلطان. وفي الوقت ذاته اجتازت الجيوش الفرنسية واد تافنا واحتلت قرية مغنية المغربية. فكان من الطبيعي أن يحتج المترجم على ذلك الخرق السافر لسيادة بلاده، وانتهاك حرمة ترابه.

وعلى الرغم من وساطة دولة بريطانيا، فإن الفرنسيين قد تعنتوا واشتطوا في مطالبهم ؛ الأمر الذي جعل القضية تصل إلى المأزق. فأصبح الاحتكام إلى السلاح أمرا محتوما. وكانت حرب إسلي (انظرها في *المعلمة*).

وعلى الرغم من التنازلات التي قدمها السلطان لتفادي الحرب، لأنه كان يقدر واقع بلاده، وعلى الرغم من وساطة بريطانيا، فإن إسبانيا قد اشتطت في الطلب حتى أعجزته لكيلا يكون له مفر من اللجوء إلى خيار القوة العسكرية. وفي الوقت الذي كان فيه النائب السلطاني يلتمس كل عذر، ويعد بالمزيد من التنازلات توصل بنبأ وفاة المترجم، في يوم الاثنين 29 محرم عام 1276 / 29 غشت 1859. ودفن بين العشاءين بضريح المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

مديرية الوثائق الملكية، *الوثائق*، 1 و2 ؛ إ. أبو العلاء، *الابتسام*، مخ. خع. الرباط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ العربي المشرفي، *الحلل البهية*، مخ. خع ؛ الحسام ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 5 ؛ *العز والصولة* ؛ *العلائق السياسية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان* ؛ م. المنوني، *يقظة المغرب الحديث* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان* ؛ ع. الخمليشي، *التجارة والتجار*، د.د.ع. مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط ؛ ع. أفا، *مسألة النقود* ؛ د. شروتر، *تجار الصويرة*، تر. خ. بن الصغير ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى* ؛ ح. بوعشرين، *التنبيه المعرب*، تح. م. المنوني ؛ ابن الأعرج السليماني، *اللسان المعرب*.. مجلة *تاريخ المغرب*، الأعداد، 5.1 ؛ *الإصلاح والمجتمع*، الرباط، 1983 ؛ *العلاقات بين البوادي والمدن في القرن 19*، الرباط.

J. Caille, *La petite histoire du Maroc* ; Ch. Jagerschmidt, *Une mission de Léon Roches... missions diplomatiques françaises à Fès* ; *Abolition du tribut : Relation entre l'Espagne et le Maroc* ; L. Godard, A. Beaumier, H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 2 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. 2 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb* ; *Les origines sociales et culturelles du nationalisme* ; J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

أبو **عبد الرحمن، يعقوب** بن السلطان أبي الحسن المريني، كان يشارك والده إلى جانب أخيه أبي مالك عبد الواحد في تسيير شؤون البلاد وجعل لهما من أول دولته "ألقاب الإمارة وأحوالها، من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالمعسكر... وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله، والمناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه" (*العبر*، 7 : 539). لعب الأمير أبو عبد الرحمن دورا بارزا في حملات السلطان العسكرية على تلمسان خاصة غزوته لها سنة 736 / 1336 وما تلا ذلك من فتح بني مرين العاصمة بني عبد الواد وتمكنه من قتل صاحبها أبي تاشفين وقطع رأسه. غير أن والده غضب من فعلة ابنه ووبخه على ذلك.

عرف عن أبي عبد الرحمن اندفاعه وتسرعه في اتخاذ القرارات دون استشارة والده، بل كانت تبدو عليه أحيانا بعض علامات التمرد والثورة. فبعد استيلاء أبي الحسن على تلمسان سنة 737 / 1337 ثم ارتحاله عنها بعد سنة من هذا التاريخ إلى بسيط متيجة لمقابلة سلطان الحفصيين أبي يحيى، اعتل لأشهر فكثر الكلام بين حاشيته وجنده بمهلكه فانقسم المعسكر المريني إلى فريقين متعارضين بزعامة الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك، فاندس بينهما أهل الفتنة، غير أن السلطان تفطن لذلك الأمر فخرج إلى الناس، وانكشف الساعون إلى الفتنة والمفسدين بين السلطان وولديه. وأمام تشدد أبي الحسن في معاقبة رؤوس الفتنة أصيب الأمير أبو عبد الرحمن بالذعر وخاف على نفسه ففر من محلة والده إلى مجال حمزة الذي كان يستوطنه أولاد زغلي أمراء عرب زغبة، غير أن كبيرهم موسى بن أبي الفضل اعتقله ورده إلى أبيه الذي أودعه السجن بوجدة إلى أن قتله بعد ذلك سنة 742 / 1342 في حين عفا عن أخيه أبي مالك وعقد له على ثغور بني مرين بالأندلس.

ومن الحكايات التي تحكى حول موضوع اعتقال أبي عبد الرحمن أن شخصا يسمى بابن هيدور وهو من طباخي القصر المريني، استغل شبهه الكبير لأبي عبد الرحمن وانضم إلى عرب بني عامر أعداء أبي الحسن وادعى أنه الأمير أبو عبد الرحمن ابن السلطان فبايعوه على هذا الأساس وشاع في الناس خبره بمنطقة المدية بالمغرب الأوسط. فنهض جند السلطان لإخماد هذه الفتنة واعتقل ابن هيدور وحمل إلى المغرب الأقصى حيث بقي تحت جراية الدولة المرينية إلى أن قتل سنة 768 / 1367.

ابن خلدون، *العبر* ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984، 1 : 404 - 405 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 125 - 126، 132 - 134 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون)، ص. 128.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, p. 188.

رشيد السلامي

ابن **عبد السلام**، أسرة سلوية عالمة، اشتهر منها الأديب محمد ابن عبد السلام كاتب السلطان محمد بن عبد الله آتي الترجمة. ولا يعرف الجد عبد السلام الذي ينتسبون إليه. وقد انتقل آخر من عرفناه منهم، وهما أخوان في ريعان الشباب بأبنائهما إلى السكنى بعدوة الرباط قبيل أو أثناء الحرب العالمية الثانية. وهناك انقطع خبرهم.

ابن **عبد السلام، علي** ولد سنة 1938 بدوار احموتا دائرة أكنول بإقليم تازة.

تشبع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى ممّا دفع به إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير عند انطلاق شرارته الأولى بشمال المغرب في أكتوبر سنة 1955 بجبال الريف للدفاع عن مقدسات الوطن، فكان مثالا للرجل المجاهد المتحمس في ايمانه والمستعد للتضحية والاستشهاد.

وقد كان مكلفا بتزويد إخوانه في صفوف جيش التحرير بالتموين بالإضافة إلى مشاركته في عدة هجومات على مراكز المستعمر الفرنسي، وواصل عمله هذا بكل جرأة وصمود إلى أن استشهد في معركة بويسلي بتاريخ 6 أكتوبر 1955 وهو مازال في ريعان شبابه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507132.

ابن **عبد السلام، الطاهر** السلوي، واسمه الكامل محمد الطاهر بن علي ابن عبد السلام "العلاّمة الفاضل، الكاتب الكامل، البليغ الأديب، ... كان من أماجد أهل عصره، وأعيان علماء ثغره ومصره، ينظم عقوداً، وينسج من سحر البلاغة بروداً، مع الإحسان والانسجام، وحسن الافتتاح وبراعة الاختتام" بهذا حلاّه بلديُّه الفقيه ابن علي الدكالي السلوي في *الإتحاف الوجيز*، وحلاّه بأكثر من هذا في *إتحاف أشراف أهل الملا* حيث خصه بـ 32 بيتاً.

لم يكن المترجم مجرد كاتب في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بل كان معدوداً من الفقهاء الذين يحضرون مجالسه العلمية، وبعثه سفيراً عنه سنة 1179 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث ابن أحمد الرابع، ومعه رفيقه الكاتب الطاهر بناني الرباطي "وأصحبهما هدية نفيسه فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار، وفيها أشياء محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان، وفيها حلي من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس، فابتهج السلطان مصطفى بذلك، وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ووهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه".

وذكر في *إتحاف أشراف الملا* أن الطاهر ابن عبد السلام، قام بالسفارة إلى تركيا أكثر من مرة، وتوجه عند السلطان عبد الحميد حين خاف أخاه مطصفى الثالث سنة 1186 والمذكور عن المترجم أنه توفي قبل هذا التاريخ، كما ذكر أن ابن عبد السلام كتب *رحلة* عن سفارته التركية لكنها لا تعرف اليوم :

وكم لهذا الشيخ من سفاره	عادت بربح القطر والعمارة
حجّ وزار ورأى المعالما	وقيّد *الرحلة* فيما أبهما

توفي ابن عبد السلام بمدينة مراكش في حدود سنة 1180 وكان قد نقل إليها خزانته العلمية فبقيت كتبه وكنانيشه وغالب أخباره هناك يظهر أثرها مع توالي الأيام إلى عصرنا هذا.

أ. الحافي السلوي، *تحفة الزائر*، تح. م. بوشعراء أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8 : 25 ـ 31 ؛ م. علي الدكالي السلوي، *إتحاف أشراف مخطوط* ؛ *الاتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، ج 3 : 116 و298.

محمد حجي

ابن **عبد الصادق، عبد الرحمان** الريفي هو عبد الرحمان (بن محمد) بن عبد الصادق الريفي نسبة إلى أولاد عبد الصادق أحفاد علي بن عبد الله الريفي الذي قاد تحرير الثغور الشمالية خلال الربع الأخير من القرن 17 على عهد السلطان المولى إسماعيل.

يُرجَّح أن يكون والده هو محمد بن عبد الصادق، كما جاء في ظهير سلطاني بتاريخ شتنبر 1888 : "أقررنا [...] ماسكه الطالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصادق على البلاد التي نفّذها له خديمنا القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي [...]، أو محمد بن عبد السلام بن عبد الصادق ؛ حيث يُفترض أن يكون هو نفس الشخص. بينما يُستبعد أن يكون والده هو عبد الصادق بن أحمد. المهم أن المترجَم له عُرف في الوثائق الرسمية باسم عبد الرحمان بن عبد الصادق (الريفي). وكان له أولاد أربعة هم الطالب محمد والطالب أحمد والطالب عبد الله والطالب علي.

برز المتَرجَم له في تاريخ المغرب الشمالي خلال الفترة المعاصرة كأحد خدام المخزن. واستطاع أن يثبت حضوره في الجهاز المخزني وبشكل رسمي على مدى حوالي عشرين سنة أي من أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر (ق 19 م) إلى أواخر العقد الأول من القرن 20، وعلى مجال جغرافي ممتد في الشمال من طنجة غربا إلى مدينة وجدة شرقا. لقد تولى عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي قيادة طنجة ما بين عامي 1891 و1902 خلفا لعبد الصادق بن أحمد، أو لابنه الحاج محمد بن عبد الصادق (ابن عمّه) ؛ ويبدو أن هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب للصواب. وإذا لم يُذكر هذا الأخير إلا قليلا في الوثائق المخزنية مقارنة مع عبد الصادق بن أحمد، فذلك راجع دون شك إلى قصر المدة التي قضاها هذا الأخير في قيادة طنجة بعد والده.

حاول عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي، أثناء عمالته على طنجة، فرضَ سلطة المخزن بهذا الثغر وحوزه وكذا القبائل التابعة له. وقام بدوره السياسي والعسكري المنوط به لردع بعض القبائل الجبلية العاصية بما فيها قبيلة أنجرة. وبهذا نجده مثلا يقوم بالامتثال للأمر السلطاني بإنزال خمسمائة من الجيش الريفي الحدود الفاصلة بين أنجرة وطنجة في إجراء لمنع ترامي هذه القبيلة على ممتلكات النصارى خلال يونيه 1892، وتؤكد بعض الوثائق المخزنية حضورَ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق ضمن قواد الجيش في هذا التاريخ.

كما قام أيضاً بمواجهة "فُسّاد الفحص" الذين كانوا يعترضون طريق حاملي المال خلال عام 1903. ويمكن أن نورد في هذا الإطار ما جاء في رسالة المولى عبد العزيز إلى القائد الصديق برگاش (فاتح محرم 1321 / 30 مارس 1903) : " [...] وبعد فقد وجهنا حامله الأرضى القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي لتعاهد قبائل تلك النواحي وتحقيق أحوال أهلها واسترشادهم للثبات على الصلاح والخير والإذعان والإرشاد وعليه فنأمرك أن تكون عند إشارته فيما ترجحه المصلحة مما يرجع لإيالتك من قبائل أحواز طنجة والحفص (هكذا) [..]".

لقد مكنه دوره السياسي والعسكري في إطار الخدمة المخزنية من التمتع بحق استغلال بعض الأراضي. وتؤكّد إحدى الوثائق امتلاكه لأرض بحوز طنجة عام 1888، حيث أقرّه السلطان المولى الحسن عليها بعد أن نفّذها له القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي. كما امتلك أراضي في فحص طنجة وغيره على وجه الانتفاع له ولأولاده بإقرار السلطان المولى عبدالعزيز وتأكيدا منه للظهائر الشريفة التي بيده وذلك خلال جمادى الثانية 1319 / أكتوبر 1901. ونذكر في هذا الإطار أن الصديق برگاش انتزع منه أرض حرثٍ بحوز مدينة طنجة تسمى بـ "الگنبورية" مما اضطر السلطانَ المولى عبد العزيز إلى الكتابة لبركاش بضرورة التخلي عن الأرض المذكورة لصاحبها عبد الرحمان بن عبد الصادق.

يبدو أن مجال نفوذ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق لم ينحصر في طنجة والفحص، بل امتد إلى أقصى شرق المغرب كذلك. ويُستَدلّ على ذلك مثلا بما جاء في "بيان الداخل السعيد .." لأوائل دجنبر 1891 من أن القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق دفع واجب إيالة وجدة. كما شمل نفوذه مدينة أصيلا التي عيّنه السلطان عاملا عليها خلال نونبر 1895.

وتضمنت مسؤوليته كذلك مراقبة الأحباس والحيلولة دون امتلاك الأجانب لمتلكاتها بثغر طنجة. وذلك في إطار حرص السلطان على قطع الطريق على الأجانب في هذا الأمر، وذلك على اعتبار أن التغلغل الأجنبي الذي طبع تاريخ المغرب خلال تلك الفترة كان يهدد مدينة طنجة وأحوازها أكثر من غيرها.

ولم يلبث السلطان المولى عبد العزيز أن عيّن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي عاملا على فاس حوالي سنة 1902. واضطلع بدور دبلوماسي عندما كلفه السلطان برئاسة سفارة إلى بريطانيا عام 1320 / 1902 لحضور حفل تتويج وتهنئة إدوارد السابع، ثم سفارة أخرى إلى جبل طارق خلال مارس وأبريل من سنة 1903.

وتطلعنا الوثائق بعد ذلك على عمالة هذا القائد على وجدة وترأسه للمحلة الموجّهة ضد الثائر الروگي المشهور بـ "بوحمارة" والذي تنعته الوثائق المخزنية بـ"الفتّان". وقد بذل جهده في تتبع آثار هذا الثائر الذي استشرى أمره، كما حرص على ضمان مساندة القبائل الريفية له في مهمته، وضمان توصله بالمدد من السلاح والمؤونة والمال. وكثرت مراسلاته مع النائب السلطاني بطنجة خلال تلك الفترة كما تبيّن المراسلات السلطانية.

إن معاصرة المترجَم له للتغلغل الأجنبي الذي اتخذ عدة أشكال والذي أصبح يكتسي طابعاً عسكريا خلال العقد الأول من القرن 20 مهددا المنطقة الشرقية، جعل القائد عبد الرحمان يعيش في قلب تلك الأحداث، ويشكل عنصراً مشاركا فيها. فلم يقتصر دوره على رئاسة المحلة ضد ثورة الروگي، بل تم الاعتماد عليه في ضمان هدوء المنطقة الشرقية خاصة بعد مقتل الطبيب موشان بمراكش (مارس 1907)، والتدخل العسكري الفرنسي في وجدة.

ومع ذلك لم تخلُ مهمة عبد الرحمان بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة مشترطة التوصل بالمؤونة. وكان عليه استمالة قبيلة بني ورياغل لجانب المخزن وحضّهم على الصلاح. ولسد حاجة المحلة من المال والمؤونة، أمام تأخر توصله بها أو اعتذار نائب السلطان بطنجة عن عدم توفر العدة وغيرها أحيانا، لجأ إلى الاقتراض من التجار عن طريق إصدار الاطرات. وبازدياد عددها في أيديهم، لجؤوا إلى بيعها ؛ وتعبّر رسالة محمد الطريس إلى السلطان (دجنبر 1905) عن خطورة هذا الإجراء : [...] فينهى لشريف علم مولانا أسماه الله أن هنا بيد التجار عدداً من الاطراتَ المخرجة من قِبَل خديم سيدنا القائد السيد عبد الرحمن بن عبد الصادق بوجدة مبلغها نحو ماية وستون ألف ريال لازال أصحابها لم يقبضوا من ذلك شيئاً وهذه الاطارى لازالت بيدهم وصاروا يبيعونها لأصحاب البنكات بنقص خمسة في المائة وأن القائد المذكور لازال يخرج الاطرات ولا يخفى على كريم علم سيدنا أن هذه الاطرات إذا صارت بيد أصحاب البنكات فَمن الجائز أن يحسبوا على جانب المخزن فايدتها زيادة على ما تضمنته [...]". وبلغ الأمر بالتجار إلى إرغام القائد على المثول أمام القضاء بمليلية ليدفع ما عليه من ديون. وهذا ما جعل الطريس يراسل السلطان بما يلي : "[...] فليكن في علمك أن أرباب الاطارى الذين كانوا أسلفوا الدراهم للقائد السيد عبد الرحمن ابن عبد الصادق للمحلة الشريفة قد قاموا على المذكور وأدخلوه الشرعَ بمليلية وراموا إلزامه الأداء وغير خفي عن سيادتك ما في ذلك من الإهانة وما يتبع حكم التريبنار وكل ذلك أمر لا يرضاه جانب المخزن [...]"، بينما طالب الطريس بضرورة التعجيل بأداء كل ذلك دفعا للضرر.

ويبدو أن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي لم يعد له حضور سياسي أو عسكري ملحوظ بعد عام 1908. وما نعرفه عنه هو أنه خلال 1910 طولبَ أمين المستفاد بإظهار الحجّة على امتلاكه حق استغلالَ بقعة أرض بمرشان بثغر طنجة تعد من أملاك المخزن. وتفيد إحدى الوثائق بأنه

كان يتلقى راتبا من مستفاد ثغر طنجة إلى حدود رمضان 1328 / شتنبر أكتوبر 1910 تم إسقاطه عنه هو وآخرين. أما عن تاريخ وفاته، فلم نقف عليه وكل ما نعرفه عنه هو أنه كان لا يزال حيا في سنة 1915 / 1916 عندما ذكره محمد سكيرج في كتابه *رياض البهجة*.

م. سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، جزء 2، مخطوط، خ. ع / مكروفلم، 1452 ؛ *المكاتب السعيدة*، مخطوط، خ ع / ك 2720 و 2721 ؛ كناش رقم 569 / خ ح ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *العلائق السياسية للدولة العلوية*، الرباط، 1999، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي ؛ *وثائق خ ح*، قوائم حسابية ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*، (طنجة، محفظة 7 و8 و9).

Villes et tribus du Maroc, VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوستة

ابن **عبد الصادق، عبد السلام**، ينتمي لأسرة وفدت من جبال الريف إلى مدينة طنجة واستقرت بها، وتقلد أفرادها مناصب عليها في الدولة المغربية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ومطلع القرن العشرين. ومنهم على سبيل المثال عبد الرحمان بن عبد الصادق، أما عبد السلام بن عبد الصادق - وهو من أبناء عمومته - فقد تقلّب في عدة مناصب مخزنية، منها باشوية طنجة ثم أمين الديوانة بها في عهد السلطان عبد العزيز، وعُيّن مندوبا ساميا لمناطق الحدود في عهد السلطان عبد الحفيظ بمقتضى ظهير مؤرخ في 13 صفر 1328 / 24 فبراير 1910. ويعود استحداث منصب المندوب السامي المخزني بمنطقة الحدود إلى سنة 1908، وهو منصب أحدثته السلطات الفرنسية بضغط من الجنرال ليوطي بعد احتلال مدينة وجدة، حيث كان ليوطي هو أول من تولاه من الجانب الفرنسي، وطولب المخزن بتعيين نظير له لتنسيق العمل في كل ما يتعلق بتطبيق اتفاقيات الحدود بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر، فأذعن السلطان عبد العزيز للضغوط الفرنسية وعيّن عثمان الجراري مندوبا ساميا لمناطق الحدود في 28 ماي 1908، دون أن تكون لهذا المنصب المستحدث أية مرجعية قانونية تبرره. مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الامتناع عن تعيين خلف للجراري بعد إعفاء هذه الأخير في شهر أكتوبر 1908. إلا أن تعيين عبد السلام بن



عبد الصادق سنة 1910 جاء بناء على مقتضيات الفصل الثالث من اتفاق باريس (14 يناير 1910). فالتحق المترجم له بمقر عمله في شهر يوليوز 1910 بعد ملاقاة الوالي العام للجزائر، وقد مُنح المندوب السامي المذكور التفويض التام لحل كل القضايا في عين المكان دون الرجوع إلى السلطة المركزية، فأبدى معارضة للمخطط الاستعماري بشرق المغرب، حيث طالب بتطبيق حرفي لاتفاقيات الحدود، بينما كان الجنرال ليوطي يسعى إلى تأويل مقتضيات تلك الاتفاقيات في اتجاه يخدم المصالح الفرنسية، مدّعيا أن جل البنود أصبحت متجاوزة بحكم سياسة الأمر الواقع. وقد ألح عبد السلام بن عبد الصادق على تطبيق مقتضيات اتفاق باريس على وجه الخصوص، التي تستوجب جلاء القوات الفرنسية عن شرق المغرب بعد إنشاء قوات أمن مغربية لحفظ الأمن بمناطق الحدود، مما جعل الجنرال ليوطي يتهم عبد السلام بن عبد الصادق بالعمل على عرقلة تطبيق اتفاقيات الحدود بناء على تعليمات المخزن المركزي. فحاول إقصاءه من ممارسة مهمته في كل ما يتعلق بالإدارة والأمن والمالية، وقد أدرك ابن عبد الصادق أن ليوطي كان يهدف من حضور المندوب السامي المغربي بوجدة إلى إضفاء الشرعية المطلوبة على قرارات السلطات الفرنسية بشرق المغرب، وهو ما حاول المندوب المذكور أن يعارضه في بادئ الأمر، إلا أن السلطات الفرنسية خططت لإبعاده من وجدة، فتحقق لها ذلك في أعقاب فضيحة فساد إداري تفجرت في المدينة في أكتوبر 1911، أي في وقت كان عبد السلام بن عبد الصادق بطنجة لصلة الرحم. فتقرر إعفاؤه من منصبه بإيعاز من المفوضية الفرنسية بطنجة في 6 يناير 1912، لكون نظيره الفرنسي - الجنرال طوطي - قد أعفي من منصبه بسبب تورطه في قضية وجدة (انظر طوطي). وسعت فرنسا لدى السلطان عبد الحفيظ إلى منح عبد السلام بن عبد الصادق وساما بمناسبة مهمته بالحدود، كما وعده السلطان بوظيف عال يناسب الوظيف الذي كان فيه، حيث عُيّن مرة ثانية باشا بطنجة، فظل يمارس مهامه في هذا المنصب مدة 12 سنة. والتحق بعد ذلك سنة 1925 بأحواز الدار البيضاء بصفته قائداً لمديونة وأولاد زيان. وجدير بالإشارة أن عبد السلام بن عبد الصادق كان من الأوائل الذين تسلموا وساما علويا من درجة ضابط، بعد استحداث هذا النظام في المغرب بتشجيع من المفوضية الفرنسية بطنجة في أواخر حكم السلطان عبد الحفيظ.

ظهير تعيين عبد السلام بن عبد الصادق مندوبا عاليا بالحدود، 13 صفر، 1328 / 24 فبراير 1910. كناش الخزانة الحسنية رقم 606، الرباط ؛ بيان الأوسمة التي أنعم بها السلطان على بعض خدامه سنة 1329، كناش الخزانة الحسنية، رقم 606، الرباط ؛ الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ م، الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات، كلية الآداب، الرباط، 1995 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989 ؛ ع. برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن*

العشرين، 1900 - 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
Le livre d'or du Maroc, Paris, 1934 - 1935.

عكاشة برحاب

عبد العزيز (مولاي -) السلطان بن الحسن الأول. لما توفي والده فجأة ببلاد تادلة في 3 ذي الحجة 1311 الموافق 6 يونيو 1894، عمل الحاجب أحمد بن موسى البخاري على مبايعة ابنه الأصغر مولاي عبد العزيز، وكان سنه لا يتعدى أربع عشرة سنة. كان والده يوليه عناية خاصة ويدَلِّلُهُ ؛ ربما بتأثير من أمه لالة رقية التركية.

ولد في 18 ربيع الأول 1298 / 18 فبراير 1881. ومن علامات تمييز السلطان لمولاي عبد العزيز، ما كان يحيطه به من عطف وتقريب دون غيره، وكأنه يعده لأمرما، وظهر هذا عندما بعثه أمامه، على رأس قوة من الجيش نحو الرباط، في حين خرج السلطان من مراكش متوجهاً نحو تادلا. وكان السلطان لما رجع لمراكش من حركة تافيلالت أواخر 1893، قد أخَّر ولي عهده وأكبر أبنائه مولاي مَحمد، لأمور عابها عليه.

وعلى أية حال، فإن الحاجب أحمد بن موسى كتم خبر موت السلطان بتادلة، ولما وصلت المحلة السلطانية إلى بلاد الشاوية، جمع الهيأة المخزنية المركبة من كبراء الأسرة الحاكمة والوزراء وقواد الجيش، وأطلعهم على الحقيقة، معلناً أن سيده كان قد رشح ابنه مولاي عبد العزيز للملك بعده، فقدمه أمامه على رأس قوة من الجيش. فلم يسع الحاضرين إلا الموافقة على مبايعة مولاي عبد العزيز، الذي أخبر بما وقع، وطُلِبَ مِنْهُ البقاء بالرباط، انتظاراً لوصول جثمان أبيه.



وفي الرباط أعلنت البيعة العامة إثر الانتهاء من دفن السلطان وحضرتها وفود القبائل المصاحبة للمحلة، وكذلك الوفود المهنئة بالعيد التي جاءت من باقي القبائل والمدن المغربية.

وهكذا تم بتدبير من الحاجب استبعاد ولي العهد مولاي امحمد وهو الابن الأكبر، كما تم تجاهل مولاي عبد الرحمان (مولاي الكبير) ومولاي عبد الحفيظ ومولاي عمر. وكان هؤلاء الأمراء الثلاثة - بالخصوص - على درجة عالية من الكفاءة والتعليم. وعلى الرغم مما بدا من إجْماع على مبايعة مولاي عبد العزيز، فالملاحظ أن ذلك الإجماع لم يكن شاملاً لكل أطراف المجتمع وعناصر الأسرة الحاكمة. إذ سرعان ما برزت ردود الفعل التي واجهها أحمد بن موسى بالقمع الشديد. وإذا تمكن من ملاطفة مولاي الكبير حتى قبل بيعة أخيه الأصغر، فإنه أمر بسجن مولاي عمر الذي أظهر معارضته وغضبه. كما سحق معارضة قبائل الرحامنة، الذين حاولوا الانتصار لمولاي محمد ومبايعته بمراكش. أضف إلى كل ذلك. الصراع الخفي الذي نشب بين الحاجب الذي أصبح هو الآمر الناهي من جهة، والوزيرين المعطي الجامعي (الصدر الأعظم) وأخيه محمد الصغير الجامعي (وزير الحربية) من جهة أخرى. وقد انتهى بنكبة الوزيرين الذين سُجِنَا بتطوان وصودرت أملاكهما.

لم يهتم أحمد بن موسى بتدريب السلطان الشاب على أمور الحكم، بل فرض سيطرته وسطوته على الجميع، وأصبح صدراً أعظم مستبداً بكل أمور الدولة يساعده كتاب لم يصلوا إلى درجة وزراء. لكنه حافظ على ناموس الملك، وظل - بالرغم من هيمنته على كل أمور الدولة - يأمر وينهى باسم سيده مبدياً كل علامات الخضوع والاحترام "لأمير المؤمنين". وقد استمر هذا العهد الانتقالي الذي تميز بالاستقرار الداخلي والصمود في وجه الضغوط الخارجية من 1894 إلى وفاة الصدر الأعظم في 13 ماي سنة 1900.

وبعد وفاة الصدر الأعظم أصبح مولاي عبد العزيز، الذي لم يكن عمره قد تجاوز العشرين سنة، وجها لوجه مع أمور الحكم. كانت ثقافة السلطان الشاب الذي لم يدرب على أمور الحكم ولم يحظ بتعليم كاف - ثقافة ابتدائية في الأمور العامة، ولهذا اضطر للاعتماد على هيئة وزارية تكونت حوله من كتاب ومساعدي الوزير المتوفى، الذين ترقوا إلى رتب وزارية.

وهكذا فبعد فترة انتقالية قصيرة تولى فيها الحاج المختار بن عبد الله البخاري الصدارة مكان ابن عمه، عين فضول غرنيط صدراً أعظم، وعين عبد الكريم بن سليمان وزيراً للخارجية، ومحمد التازي في أمانة الأمناء (وزارة المالية)، في حين تولى المهدي المنابهي، وهو الذي كان وراء التغيير الذي حدث وزارة الحربية. ولقد أبْدى المخزن الجديد، بتأثير من تنافس أجنحته حول سلطان شاب، رغبته في سلوك سياسة جديدة خالية من الفساد الإداري. حتى يتمكن

المغرب من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. ذلك أن الضغط الأجنبي قد أصبح خطيراً باحتلال واحات الصحراء الشرقية (توات تديكلت گورارة) سنة 1900 الأمر الذي أثار ردود فعل شعبية منددة بالمخزن وبسياسته ومنادية بالجهاد لطرد المحتلين.

ولا شك في أن سنة 1901، كانت سنة فاصلة بين النهج التقليدي الذي ميز سياسة المخزن في العهد الأول لحكم مولاي عبد العزيز، والنهج الجديد الذي شرع مولاي عبد العزيز في سلوكه فيما يتعلق بالإدارة المحلية للقبائل، ومن حيث انفتاح البلاط السلطاني على الأجانب، وبعبارة أشمل من حيث القرارات التي صدرت بضرورة القيام بإصلاح جذري لإدارة الجباية والانفتاح على التقنيات العصرية، كقبول مشاريع بناء الطرق والسكك الحديدية وإصلاح الموانيء وإدخال التلغراف اللاسلكي.

وقبل البدء في تنفيذ ما تقرر، أرسل السلطان وزيريه في الخارجية والحربية إلى فرنسا وروسيا وألمانيا وبريطانيا، لطلب عونها ومساعدتها للمخزن، بالكف عن التدخل في شؤونه الداخلية، وعن توسيع الاحتلال الفرنسي للأراضي المغربية في الحدود الشرقية. لكن نتائج السفارتين خيبت آمال المغاربة، إذ أصرت الدولة الفرنسية على المزيد من التدخل وتمكنت من عقد اتفاقي الحدود (1901 ـ 1902) مع المغرب الذين كرسا الاحتلال الفرنسي للواحات ومنحا لفرنسا حق الجوار. فاستطاعت بعد ذلك أن تحصل على تنازل كل من إيطاليا 1902 وابريطانيا 1904 (الاتفاق الودى) عن معارضة سياستها في المغرب. وهكذا ازداد الضغط الخارجي على مخزن مولاي عبد العزيز في الوقت الذي تدهورت فيه سلطته في الداخل نتيجة للإجراءات التي اتخذها فيما يتعلق بإصلاح إدارة الجبايات.

ففي خريف 1901، أعلن السلطان الترتيب، بهدف حفظ مصالح الرعية وعلاج أحوالها ورفع اليد العادية من بعضها على بعض حسبما جاء في ظهير التَّرتيب ؛ أي حسم الخلافات بين الحكام والمحكومين فيما ينسبه الأولون للعامة من انحراف وتقاعد عن حقوق المخزن. وفيما تنسبه العامة للحكام من جور وإضرار بها عند استخراج جباياتها.

وقد أُلْغَى مشروع الترتيب كل تمييز بين الناس وكل امتياز، وأخضع جميع السكان لدفع الضَّرِيبة بما في ذلك الأشراف والحكام والمرابطين والأغنياء من التجار. وعين مشروع الترتيب إتاوات محددة على الأملاك كالأراضي الحراثية والمواشي والأشجار المثمرة وعين أمناء وعدولا لتقدير الضرائب وجبايتها. وأمر الحكام بتقديم العون اللازم وحفظ الأمن وعدم العودة للفروض السابقة وقدر لهم أجوراً من بيت المال.

ويبدو أن مولاي عبد العزيز لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذ قراراته، لذلك تعطلت الجباية رأساً. وجاءت أولى العراقيل من المناورات الأجنبية. فقد عارض الفرنسيون الترتيب وشجعوا تجارهم ومحمييهم والمخالطين لهم على رفضه. ولم يتحمس الحكام لتنفيذ أوامر السلطان وبرزت انتقادات رجال الدين وبعض العلماء لتخليه عن الزكاة الشرعية وتبديلها بترتيب من اقتراح النصارى. ونتج عن كل هذه التطورات تدهور خطير في الأمن استغله الحكام للتمول بعد أن حرمهم الترتيب ممَّا كانوا يَجْمَعُونَهُ. وبرزت الفتن هنا وهناك، وتدهورت هيبة السلطان، وبخاصة لما أعلن الجيلاني الزرهوني (بوحمارة) ثورته أواخر 1902 مدعياً أنه الأخ الأكبر للسلطان، الذي كان قد حرم من حقه لما بويع مولاي عبد العزيز. وتعهد بإلغاء الترتيب متهماً السلطان وحاشيته بالكفر، واستطاع أن يستغل الأوضاع المتدهورة ويصمد أمام جيوش السلطان التي لم تتمكن من هزمه. وإذا ربطنا هذه التطورات الداخلية، بعواقب احتلال وتكريس ذلك الاحتلال في اتفاقيات الحدود بين فرنسا والمغرب سنة 1901 ـ 1902، فهمنا لماذا ارتفعت درجة التحريض ضد السلطان مولاي عبد العزيز وضد وزرائه. فقد اتهموا بالعجز وبالتواطؤ مع الأجانب، وأشيعت الشائعات حول السلطان، وتداولت الألسنة معايبه، حيث نعت "بالمهبول" و"المجنون".

وهكذا نجح أعداء مولاي عبد العزيز ومعارضو سياسته الإصلاحية في تأليب "الرأي العام" ضده، وانتشرت الفتن في كل مكان. ونشطت الدسائس الأجنبية في مدها بالوقود اللازم لاستمرارها، بهدف تخريب المغرب من الداخل ليسهل احتلاله.

وبالفعل فقد أفْلست خزينة مولاي عبد العزيز، الذي اضطر إلى الاقتراض من فرنسا التي أن تواطأت مع ابريطانيا سنة 1906. وكان مبلغ الاقتراض 62.500 000 فرنك، فرضت فرنسا بموجبه شروطاً مجحفة على المغرب، وحصلت على حق مراقبة مداخيله الجمركية لأخذ 60٪ منها لرد الدين. وبذلك حرمت البلاد من مداخيل قارة في وقت كان فيه المغرب في أمس الحاجة للمال لمواجهة الفتن والاضطرابات والمصاريف المتعلقة بالتجديدات. إن الغزو المالي الفرنسي كان من أقسى الضربات التي وجهت لحكومة مولاي عبد العزيز. لكنه استطاع الصمود ـ بالرغم من ذلك ـ في وجه المطالب الإمبريالية التي تقدمت بها الحكومة الفرنسية سنة 1905.

فقد رفض السلطان مشروعاً تقدم به الفرنسيون في بداية 1905، يرمي إلى تنفيذ إصلاحات عسكرية وإدارية واقتصادية بتعاون فرنسي مغْربي ثنائي. لأن المغاربة تفطنوا إلى أهداف المشروع التي ترمي إلى السيطرة على الجيش، وعلى مراقبة مالية المغرب وإدارته ؛ أي إلى فرض حماية فرنسا على البلاد. وقد اهتدى مولاي عبد العزيز إلى استدعاء أول "برلمان" مغربي في شكل مجلس للأعيان، تدارس معه الأهداف الفرنسية، واتفق الجميع على رفض المقترحات التي تقدم بها السفير الفرنسي. وطالب المغرب من الدول المعنية عقد مؤتمر دولي للنظر في قضية الإصلاحات

التي تريد فرنسا إنجازها بمفردها. وقد عارضت فرنسا المطلب المغربي وأيدته ألمانيا، التي زار امبراطورها مدينة طنجة وأعلن تأييده لسياسة مولاي عبد العزيز.

وقد انتهت أزمة العلاقات المغربية الفرنسية الألمانية سنة 1905 بالاتفاق على عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906. وخرج المؤتمر بميثاق عام ضمن في ديباجته استقلال المغرب ووحدة المملكة الشريفة. وهي ضمانة ظل المغاربة يستندون إليها في المحافل الدولية لتأييد مطالبهم الوطنية بعد ذلك. بيْد أن المؤتمر اعترف في المقابل لفرنسا وإسبانيا بحق التعاون مع المغرب لتنظيم الشرطة بالمراسي المغربية، وكلفهما بمنع تهريب السلاح في الشواطئ المغربية. وقرر إنشاء بنك مخزني حصلت فيه فرنسا على حصة الأسد. كما منح للأجانب حق شراء الأملاك العقارية بالسواحل المجاورة للمراسي، وفتح المجال للاستغلال الاقتصادي لجميع الدول الحاضرة في المؤتمر، عن طريق إقرار سياسة الباب المفتوح. ومنع السلطان من حق اختيار هذه الدولة أو تلك لإنجاز المشاريع العمومية التي أخضعت لمناقصة دولية.

ورفض المغاربة هذه الشروط، واعتبروها مقدمة للاحتلال واستعدوا للجهاد. ولما وافق مولاي عبد العزيز على ميثاق الجزيرة مضطراً تحت الضغط الدولي، نفر منه المغاربة وبدأوا يتطلعون إلى من ينقذهم من الورطة التي اتهموا السلطان ووزراءه بالتسبب فيها. وفي هذه الأثناء (1906) نشطت الدعاية المضادة للمخزن العزيزي الذي تدهورت سلطته إلى الحضيض.

وقد ساهم الاحتلال الفرنسي لمدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907 في انهيار هيبة مولاي عبد العزيز، مما أعطى دفعاً قوياً للحركة الحفيظية التي استغلت الغضب الشعبي وانتشار الدعوة للجهاد. وهكذا تم إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ وعزل مولاي عبد العزيز في 16 غشت 1907 بمدينة مراكش.

وقد حاول مولاي عبد العزيز مواجهة الموقف، فاتخذ إجراءات قربته من الأوساط الفرنسية التي عول على عونها في صراعه مع أخيه وباعدت بينه وبين الأوساط الشعبية، التي انضَمَّت إلى الحركة الحفيظية بهدف تحرير البلاد. وهذا ما ساهم في هزيمته هزيمة ساحقة في معركة بوعجيبة قرب مراكش في 9 غشت 1908. وإثر هذا الانكسار قرر مولاي عبد العزيز التخلي عن العرش واختار مدينة طنجة مستقراً له إلى وفاته بها في 13 يونيو 1943.

وثائق الخزانة الحسنية بالرباط؛ الحسن بوعشرين، *التنبية المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، الدار البيضاء، 1994؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة*، 1937؛ *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول، 1929؛ الزركلي، *الأعلام*، المجلة، 3؛ الخديمي، *الحركة الحفيظية*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

علال الخديمي

عبد القادر بن **محمد الشيخ السعدي**، أمير سعدي كان يقود قوات والده منذ سنة 1542 عندما بدأ الخلاف يشب بين محمد الشيخ المهدي وأخيه أحمد الأعرج. وكان يواجه ابن عمه الحران بن أحمد الأعرج.

قاد عملية سعدية في تادلا وتمكن من طرد القائد الوطاسي من قصبة فشتالة وأقام حامية سعدية فيها سنة 1545. كلفه والده بدخول مكناس، بعد تنازل أبي حسون الوطاسي عنها في غشت 1545، وعندما دخلها محمد الشيخ، توسط ابنه عبد القادر في الخلاف الذي قام بين السعديين والشيخ أبي الرواين. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549، كان عبد القادر والياً على المغرب الشرقي، كما عُدَّ من بين وزراء أبيه محمد الشيخ المهدي.

شارك أخاه عبد الرحمن في قيادة حملة تلمسان. وتمكنا من دخولها في يونيه 1550 ثم كانت معركة فبراير 1551 التي انهزم فيها الشرفاء وقتل عبد القادر وبعث برأسه إلى الجزائر.

محمد الصغير الإفراني

عبد القادر بن **محمد الشيخ المهدي** السعدي ثاني أبناء محمد الشيخ المهدي السعدي، استطاع فتح مراكش سنة 1544 لصالح أبيه. استوزره أبوه مدة من الوقت لرجاحة عقله ورزانته. إلا أنه كان يخرج من حين لآخر بنفسه لإخضاع بعض المناطق الثائرة أو يشارك في بعض الحملات لفتح مناطق جديدة وضمها لمملكة أبيه.

وهكذا أخضع تادلا وحاصر فشتالة وشارك أخاه محمد الحران في حرب تأديبية لقبائل الغرب، كما ساهم بجدية في حروب تلمسان سنة 1550، وهي السنة التي عين فيها والياً على مراكش. كانت وفاته في فبراير 1551 إثر ضربة طائشة تلقاها وهو يشجع فرسانه لمواجهة حملة الثأر التي شنها الاتراك آنذاك على تلمسان. وحمل رأسه إلى الجزائر العاصمة حيث وضع في قفص صغير علق على باب عزون.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la d'Alger (1509 - 1830)*, Paris, 1904 ; H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Pays-bas*, Tome I, 1906, planche V ; *Espagne*, Tome I, 1921, p. 416 ; *France, Bibliographie et Index*, 1926 ; R. Ricard, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Portugal*, Tome IV, 1951.

محمد اللبار

عبد الكامل بن **محمد** الرايس من رجالات الدولة في بداية عهد السلطان مولاي سليمان الذي عينه قائداً لقوات الرباط في ظهير قرئ بالجامع الكبير في 15 ربيع الأول 1207 / 1792، و"مضمنه أن محمد بن عبد الكامل يتولى أمر البحرية والطبجية والبونبجية". لكن موقف رياس البحر وغيرهم من أهل الرباط بقيادة الحاج عبد الله بركاش اعترضوا على هذا القرار ورفضوا الانصياع له.

الضعيف، نفسه.

حسن أميلي

ابن **عبد الله**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Abdella Abdela ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abdalla ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، ويقول الفقيه الرهوني إنها انتقلت إلى الرباط.

ابن **عبد الله** أو **بنعبد الله** (آل -) أسرة رباطية، وهم مهاجرون غرناطيون انتقلوا إلى المغرب بعد سقوط غرناطة عام (897 / 1481) حيث كانوا يقطنون حسب البعض على ما يظهر (قرية أبي عبد الله) قرب غرناطة وهي لا تزال قائمة تحمل نفس الاسم إلى الآن. ولعل الأقرب إلى الاحتمال أن يكون اسمها (قرية أبي عبد الله) وهو (بوعبديل) الأمير النصري الذي ربما كان يصطاف بها ولعلهم انتقلوا إلى قرية تحمل اسمهم إلى الآن في (دائرة أجدير) (عمالة الحسيمة) وربما كان ذلك في طريق بعضهم إلى الجزائر حيث استوطنوا. وقد سبق لمهاجرين أندلسيين أن استوطنوا المنطقة منذ أوائل القرن الثالث الهجري. فهذه (وهران) قرية في بني قميل بين مشيوة وبني بوفراح بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين عام (209 / 824) (*المغرب* للبكري، ص. 70) وقد احتلها الإسبان عام 915 إلى 1120 / 1708 وحررها الأتراك. ولكن المؤكد هو وجودهم منذ قرون بين تطاون والشاون معقل الجهاد ضد الإسبان حيث كان لهم به حي خاص يحمل اسم (بني عبد الله) ولا يزال جانب من هذه الأسرة بفاس والرباط يلقبون بالشاويين. وهنالك رواية مرجوحة لكنها لا تخلو من طرافة وهي أن أصل العائلة من (تافيلالت) ارتحلوا إلى غرناطة للجهاد برفقة مولاي الشريف جد العلويين المتوفى عام (847 / 1443) وكان ذلك قبل النفي العام بأكثر من نصف قرن في عنفوان (محنة غرناطة) من أجل إنجاد الغرناطيين. وقد خاض الشريف المجاهد سبعا وعشرين (27) غزوة (وهو عدد غزوات الرسول عليه السلام) وأجمع الغرناطيون على تنصيبه أميراً عليهم فرفض رغم إلحاح علماء فاس عليه يطلب من الأندلسيين أما بخصوص هجرة بني عبد الله إلى رباط الفتح فلعل ذلك تم في حدود 1267 (إبان حرب تطوان) حيث انتقل والد جدنا محمد بن عبد السلام إلى رباط الفتح بعد تعيينه على ما يقال أمينا وذلك صحبة أولاده الثلاثة وهم جدنا الحاج علي بن محمد (وكان عمره أنذاك 18 سنة مع أخويه أحمد (جدي لأمي) والعربي. ويلوح من هذه التواريخ أن العائلة مكثت بتطوان والشاون زهاء ثلاثة قرون وإن كان بعضهم ربما التحق بتطوان من الجزائر بعد ذلك. ويظهر كذلك أن فريقا من الأسرة هاجر إلى فاس وكانت هجرتهم محدودة بخلافها إلى الرباط ووجدة (حيث لا يزال يقطن بعضهم) وقد عرفنا من بني عبد الله بفاس منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري أفراداً أمثال أحمد بنعبد الله المتوفى عام (1263) وهو مو أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني وأخيه العربي وابن عمه المكي بنعبد الله وهما أيضاً من مريدي الشيخ التجاني وخاصة أصحابه ولا يزال فريق من بني عبد الله في مهاجرات شامية مثل (حلب) حيث أورد ابن الحنبلي (971 / 1563) عدداً منهم في كتابه (دار الحبب في تاريخ أعيان حلب) (طبقة دمشق 1972 (أرقام 84 - 91) ومعلوم أن غرناطة كانت تسمى "دمشق الأندلس" (*نفح الطيب*، ج 1، ص. 141 و164 / ج 4، ص. 204) وممن عرف باسم (بنعبد الله) من أبناء عمومتنا بالجزائر العلامة زين العابدين بن عبد القادر بنعبد الله وهذا الاسم مركب على قاعدة أهل معسكر والحشم وكان هذا العلامة يحفظ صحيح البخاري متنا وإسناداً وكذلك صحيح مسلم وأعلم أهل عصره بالتاريخ وأنساب العرب وشيوخ المذهب المالكي وقد ورد على السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام آخر إمارة عبد القادر الجزائري وصار يحضر معه مجلس الصحيح ومدح السلطان بقصيدة مطلعها :

إن المليحة فاس لا يقاس بها إيوان كسرى ولا صرح لذى سرج

وقد توفي بمكناس حيث دفن قرب ضريح سيدي محمد بن عيسى (*فهرس الفهارس*، ج 2، ص. 16). والواقع أن من الصعب تحقيق النسبة إلى كل من يحمل اسم (ابن عبد الله) إذ منهم عبد الله بن العربي بن أحمد بن محمد المدعو (ابن عبد الله) من أولاد معن الأندلسيين المتوفى عام 1188 (*جواهر المعاني*، ج 1، ص. 44).

وبنو عبد الله الثلاثة الذين هاجروا إلى الرباط وهم :

ابن **عبد الله، أحمد** تولى الحسبة بالرباط نيابة عن محتسبها الحاج عبد الخالق فرج تولاها بعده أخوه الحاج العربي أوائل هذا القرن الميلادي وفي عام 1328 أعفي عبد الخالق فرج منها لكبر سنه (*مجالس الانبساط*، 203).

عبد العزيز بنعبد الله

عبد الله بن **إسماعيل** بن الشريف، السلطان. ولد بقصر يدعى قصبة الفرخ من واد إفني بتافيلالت في منتصف ذي الحجة عام 1121 / 1709. أمه خناثة بنت بكار المغافرية المشهورة. نقل ابن زيدان وصفه فقال : "أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه قصير القامة، خفيف اللحية جدا، مفلج الأسنان، بخده الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع. إذا تكلم تحرك شارباه الطويلان، صغير الرجلين، دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا مشى حسبته لخفة مشيته شاباً صغيراً، مهاب لا يكاد أحد يبدأه بالكلام.. "(*إتحاف أعلام الناس*، 4 : 390). ووصفه الريفي فقال : "وكان أمير المؤمنين مولاي عبد الله حازما شجاعاً مهاباً، يباشر الأمور بنفسه، ويستبد برأيه دون وزرائه... سفاك الدماء" (*زهر الأكام*، ص. 236).

وبالرغم عن إهمال المصادر الحديث عن مستواه العلمي، فيمكن أن نستنتج مما جاء لدى الفضيلي أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة، حيث أشار إلى أنه "ينبوع العلوم"، وأنه "كان في العلوم آية باهرة"، "فكم أحيا من علوم" (*الدرر البهية*، 1 : 208). وذكر ابن زيدان من شيوخه أبا محمد عبد الله المنجرة، بل جعل ابنه سيدي محمدا من بين الآخذين عنه. ونقل عن أبي عبد الله محمد الزكي السجلماسي أن المترجم كان مولعا بصناعة الملحون، صرف همته إليه، حتى صار كأنه طوع يده (*إتحاف*، م. س، 483، *الإعلام*، 8 : 314).

بويع له بالملك بمكناس، على إثر وفاة صنوه أحمد الذهبي ـ مار الترجمة ـ في رابع شعبان عام 1141 / 1729 ؛ وهو يومئذ بتافيلالت (*زهر الآكام*، ص. 227). بايعه أعيان العبيد والاودايا الذين "وجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على بيعته والإتيان به". وبإثر ذلك قدم إلى فاس، حيث نزل بظهر المهراس. فقصد دار الملك بفاس الجديد ؛ وهنالك وردت عليه الوفود ببيعتهم يوم سابع رمضان العام (*نشر المثاني*، 3 : 322، *الاستقصا*، 7 : 126) فوصلهم "بقنطار ونصف ذهبا اقتسموه أمامه" (*الإتحاف*، 4 : 394). لاشك في أنه فعل ذلك سعيا منه في تأليف قلوبهم، لأن بذل المال يومئذ في سبيل كسب المناصرين أضحى أمراً معتاداً، سيما لدى جيش العبيد الذين استغلوا تعدد المطالبين بالحكم لابتزازهم. وفي المقابل أمده أهل فاس بخمسمائة رام، توجهوا معه إلى مكناس، حيث وجدوا بظاهر المدينة قواد العبيد والعرب والبربر، الذين استقبلوه بحفاوة، وأدخلوه المدينة، يوم خامس عشر رمضان. فاتخذها قاعدة لملكه، وبها بويع البيعة العامة، بعد أن وفد عليه أعيانها حاملين إليه بيعتهم ؛ كما وفدت عليه وفود القبائل ببيعاتها. فعاملهم بما عامل الوفود الأولى، حيث فرق عليهم الصلات. واستمر على تلك الحال، من استقبال الوفود المهنئة ؛ إلى يوم ثاني عيد الفطر، حيث أمر أهل فاس "بتسليم قصبتين وبستيونين لأنهما لجانب السلطنة وليست للرعية"، وهددهم إن هم امتنعوا "بهدم ديارهم عليهم" (*نشر المثاني*، 3 : 322 *إتحاف*.. م. س. ص. 396). فكان ذلك بدء سبب الخلاف بين أهل فاس وبين المولى عبد الله، حيث رفضوا الامتثال لأمره. وحتى لما تراجعوا عن رأيهم واتفقوا على أن يوجهوا إليه هدية، صحبة جماعة من أعيانهم، تعرض إليهم الودايا ونزعوا منهم الهدية وأقدموا على اعتقالهم بسجن فاس الجديد ؛ بدعوى أن المترجم أمرهم بذلك. بل صرحوا لهم بأنه أمرهم بحصار فاس البالي. فكان ذلك الحدث مما وسع الخرق بين الطرفين. ذلك أن عامة أهل فاس الإدريسية لما علموا بذلك صمموا على منابذة السلطان ورفض بيعته. وبالرغم عن محاولة العلماء ثنيهم عن عزمهم، فإنهم لم يتراجعوا. وفي سادس شوال أعلنوا خلع بيعته ورفضوا طاعته، وأقدموا على غلاق أبواب المدينة، تحسبا للهجوم.

ولما اتصل خبرهم بالمترجم، يوم خامس عشر من الشهر، صمم على محاربتهم، لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة. فأعد جيشا قوياً وجهه إلى فاس لمعاقبتهم. وضرب عليهم الحصار بقطع الماء، بينما عاثت جيوشه في زروعهم وبساتينهم، وقطعت عنهم السبل. لكنهم لما جنحوا إلى السلم كبر عليهم تسليم المعاقل والقصبات، فاستأنفوا القتال. ومن ثم، تعددت المعارك بينهم وبين جيش السلطان، طوال أربعة أشهر كانت الحرب فيها سجالا. ولم يذعن أهل فاس البالي إلا بعد أن اشتد عليهم الضيق، بسبب قلة الأقوات وتنازع عامتهم ورؤسائهم. فلم يكن لهم بد من الإذعان والاستسلام. فتم الصلح بين الطرفين على يد القائد محمد السلوي، بالضريح الإدريسي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر. ولم يبرح السلطان مدينة فاس، إلا بعد أن عمر جنده القصبات والمعاقل ؛ ليتوجه في العشرين من الشهر إلى مكناس التي كان لهيب الفتنة قد وصلها.

ولما سكنت تلك الجهات ولى وجهته صوب الجنوب، فانتقل إلى جهة تادلا لتمهيد بعض القبائل المتمردة هناك ؛ سيما أيت يمور. وفي أثناء تلك الحركة قبض على يوسف أحنصال، وقبل أن يأمر بإعدامه ـ بقصبة تادلا ـ قال : "أردت أن لا أقتلك لكن خفت أتركك يقال إن جنونك غلبني [كذا]". ونتيجة لسياسة الشدة التي سلكها إزاء الرعايا زادت رهبته في قلوب الناس. بل أضحى ذلك ديدنه حتى إزاء سكان فاس أنفسهم ؛ حتى إنه لم يعد إلى فاس، التي استمرت في بؤرة اهتمامه، بسبب وجود كثير من رؤوس الفتنة بها ؛ إلا ليؤدب ويزجر ويولي ويعزل.

وللإشارة فقط، فإن كل ما أقدم عليه من تغيير في المخزن لم يكن له وجه من الصواب، بل جاء نتيجة دسائس بعض من كان يثق بهم، وهم ليسوا لذلك أهلا. وأبرز مثال على ذلك، تعيينه لمحمد بن علي الزموري على عمالة فاس. فلم تكن ولايته في غير محلها فقط ؛ لكن الأدهى من ذلك أنه أمره باستصفاء أموالهم، لأنه سمع بأن المال هو الذي أطغاهم. ولم يترك أحداً منهم إلا وآذاه، حتى "فر الناس إلى شواهق الجبال والقرى والأمصار .." ممن استطاع الإفلات من القتل أو السجن. كما بعث بالقائد ولد المجاطية إلى فاس، وأمره بنهب زروع أهلها، فعاث فساداً حتى ارتفع سوم القمح، وترتبت عن ذلك المجاعة. وفي الوقت ذاته أقدم على قتل عدد من الأعيان وكبراء الجيش. وهذا قل من كثر مما حكاه القادري في النشر(3 : 377 ـ 357).

ومن ناحية أخرى لم تكن تأخذ المترجم شفقة فيمن خرج عنه، أو ارتاب في ولائه من منفذي أوامره. والأمثلة كثيرة في هذا الباب ؛ نكتفي بالإشارة إلى بعض الباشوات والقواد، كالروسي والحياني والسهلي، الذين أمر بتتريكهم أو قتلهم (*زهرة الآكام*، ص. 237).

لكنه لما أسرف في دماء العبيد، ثأراً لأخيه المولى عبد المالك ؛ لم يتوان هؤلاء في الثورة عليه، وخلع ربقة طاعته، فحملوا أخاه المولى عليا الأعرج إلى سدة العرش. وكان ذلك

في يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الثاني عام 1147 / 1735. ولم يتراجعوا عن ذلك بالرغم مما بذله من مال.

وبذلك انتهت دولته الأولى، التي دامت خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصفا (م. س. ص. 238، *الضعيف*، ص. 115). فلاذ بالفرار متوجها إلى الجنوب. وبعد أن توقف بقصبة أبي العوان، ليفرق على أهلها المال ليعصوصب بهم، لم يلق عصا التسيار إلا بشيشاوة ـ غربي مراكش ـ حيث طال به المقام، قبل أن يستقر بتارودانت (*نشر*، م. س. ص. 370 ـ 381).

إلا أن العبيد، بإيعاز من كبيرهم سالم الدكالي، نبذوا طاعة المولى علي ورجعوا لمبايعة المترجم، الذي كان قد وصل إلى تادلا، في طريقه إلى فاس.

ولم تدم دولته الثانية تلك سوى سبعة أشهر، لأن العبيد سرعان ما تراجعوا عن بيعته ليبايعوا أخاه محمدا المدعو ولد عربية (م. س. ن. *زهر الآكام*، ص. 244). وقد ترتب عن ذلك انقسام في الرأي، واكبه اندلاع الحرب بين أنصار كل من عبد الله وولد عربية. ويمكن أن نوجز وضع البلاد فيما جاء عند الريفي حين قال: "وكثر أهل الفساد في الحاضر والباد، وعم جميع المغرب الغلاء وعظم البلاء، وأكل القوي الضعيف ... وكثرت المنكرات واشتد الخوف في الطرقات، وغلت الأسعار في جميع الأمصار، ولا سيما مدينة مكناس وفاس.." (م. س. ص. 246).

لكن العبيد سرعان ما رجعوا إلى بيعة المترجم، الذي كان قد رجع إلى مكناس، حيث عسكر ببوفكران. وهنالك وفد عليه أهل فاس، في محرم عام 1149 / 1737، فأقدم على قتل ستة عشر رجلا منهم؛ الأمر الذي دفعهم إلى نبذ طاعته، ومبايعة ولد عربية، من جديد. فما كان له بد من الفرار عن مكناس، حيث توجه إلى الحاجب ليختفي عند أيت ادراسن، بمن تبعه من المسخرين والأتباع (الزياني، *الترجمان*، ص. 43).

إلا أن الأمر لم يستقم لابن عربية بسبب إطلاقه أيدي أتباعه في أمتعة الناس وممتلكاتهم، والوقت وقت مجاعة عضت جميع الناس. فكثر النهب والعيث، وقطعت السبل، وساد الخوف. واستمر الحال على ذلك أزيد من سنة. فاعتقل العبيد سلطانهم وكبار رجال مخزنه فأودعوهم السجن، ووجهوا رسلهم إلى تافيلالت ليأتوا بالمستضيء؛ فنادوا به سلطانا في فاس ومكناس (*الترجمان*، ص. 45).

إلا أن السلطان الجديد أسرف بدوره في القتل، وسلط أعوانه على رقاب الناس بالنهب والسلب. والظاهر أن العبيد لم يفيدوا شيئاً من ذلك فثار بهم الغضب، وأقدم أصحاب مشرع الرمل منهم على خلعه، بعد عام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما (*زهر الآكام*، ص. 260) وكتبوا إلى أهل فاس والودايا بالرجوع إلى بيعة المترجم الذي كان مخيما آنذاك بالمزمة. فقدموا به، ولما دخل مدينة مكناس نكل بعدد من أعيانها، من بينهم فقهاء المدينة وخطباؤها. وعلى الرغم من تشفعهم، فقد أطلق أيدي العبيد في دورهم وممتلكاتهم. هذا فضلاً عن أن الودايا وأهل الريف لم يبايعوه. وإذا كان الودايا قد تشفعوا بأمه، وتراجعوا عن موقفهم؛ فإن الباشا أحمد بن علي الريفي اتخذ من القصر الكبير مركزاً للتمرد، سيما بعد أن اتصل بزين العابدين أخي المترجم، وساند دعوته. بل عمد إلى مكاتبة العبيد يستميلهم لمبايعة زين العابدين، مسخراً في سبيل ذلك نفوذه وماله. فما كان جواب هؤلاء إلا أن بيتوا للقبض على المولى عبد الله وقتله. وبما أن المناخ كان مناخ المؤامرات والدسائس، فقد أنذر بعض العبيد السلطان بما وقع عليه الاتفاق بين الريفي والعبيد، فاستطاع أن يلوذ بالفرار تاركا دار الملك التي دخلها منافسه زين العابدين، حيث بويع البيعة العامة. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 1158 / 1745 (*الترجمان*، ص. 49). ففر المترجم إلى الجبل لدى برابرة الأطلس المتوسط. وفي الوقت ذاته رفض الودايا وأهل فاس مبايعة زين العابدين، فضرب عليهم الحصار بدون جدوى؛ الأمر الذي ترتب عنه انقسام رأي العبيد. كما وقع الانشقاق في صفوف أنصار السلطان الجديد، وعم الاضطراب والنهب. وكانت هذه الظروف سبباً في جعل أهل فاس ينادون من جديد، بالمولى عبد الله سلطانا. فاهتبلها فرصة ليدخل فاس الجديد، ويسترجع ملكه ـ بدار الدبيبغ ـ. وفي الخامس عشر من رمضان ورد عليه كتاب كبار العبيد من مكناس، أخبروه بعزل زين العابدين ومبايعته هو وبذلك ابتدأت دولة عبد الله الرابعة.

ولم يمض على بيعته سوى أقل من شهرين حتى قام ضده المستضيء، بدعم من الباشا أحمد الريفي. وفي الوقت الذي دخل فيه هذا دار الملك بمكناس، لاذ المترجم بالفرار قاصدا أنصاره القدامى، برابرة أيت دراسن. وهنالك استطاع جمع جموعه لمنازلة خصمه. ولما رأى هذا الأخير أن لا طاقة له بحربهم ارتحل عن دار الملك بغير قتال. لكن ما أن استهل العام الموالي حتى قام المستضيء والريفي من جديد. فلجأ السلطان عبد الله إلى أنصاره من البربر يستحثهم على نصره ومحاربة القائم عليه مع ولي نعمته. فاجتمع له جيش قوي من البربر، كأيت ومالو وبني حكم وزمور وكروان، وعلى رأسهم القائد محمد وعزيز. وبعد أن تناجز الفريقان، وكانت فتنة عظيمة، لحقت الهزيمة بأنصار المستضيء. وفي الوقت ذاته توجه الريفي للم شتاته والبحث عن المدد للكر على عبد الله. فالتقى الجمعان بموقع يدعى دار العباس، بالقرب من وادي اللكوس حيث كانت الهزيمة على جيش المستضيء؛ في قتل الباشا الريفي ونهبت محلته. كما أمر المترجم باستصفاء أمواله وأملاكه ومعاقبة أتباعه وخدامه. وفرق زروعهم وأموالهم بين أنصاره. وأقام بطنجة أربعين يوما، قبل أن ينقلب إلى حرب أخيه الذي خرج من مكناس لاعتراض سبيله. فالتقيا في نفس الموقع الذي انهزم فيه الريفي، وأسفر اللقاء عن هزيمة المستضيء هزيمة منكرة، اتفقت المصادر على أنها كانت مقتلة شنيعة، لم يسبق مثلها. يقول الزياني

بصددها : "وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع مات فيها عدد لا يحصيه إلا الله" (*الترجمان*، ص. 55). وبذلك انفسح أمامه المجال لدخول مدينة فاس التي قدم إليها في ربيع الثاني من عام 1157، فاستقر بدار الدبيبغ من جديد. وبها قدمت عليه الوفود، منهم المهنيء ومنهم التائب ؛ فجددوا له البيعة، وتعاهد معهم على قطع دابر بني حسن وسائر من ناصر أخاه المستضيء. فكانت تلك بيعته الخامسة. وعوض أن يعاقب بني حسن عفا عنهم، بعد أن كان قد استعد إليهم بالحركة. فلاحق أخاه المستضيء، الذي توجه إلى الجنوب. ولما وصل دكالة عسكر بقصبة بولعوان، فقضى بها سنة كاملة ؛ عملت جيوشه أثناءها على نسف الزرع وقطع الشجر حتى "لم يبق فيها ما يأكله الطير أو يتظلل به" (*الترجمان*، ص. 56). فعل بها ذلك لأن أهلها سأندوا المستضيء. فواصل طريقه إلى مراكش مارا بالسراغنة، حيث قدم عليه أهل الجبال المجاورين لدمنات. وكان كلما نزل حلة أخلاها أخوه المذكور. فلما ظعن من السراغنة فر أخوه لاجئا إلى قبيلة مسفيوة التي كانت من جملة من بايعه. فنزل زمران التي وفد عليه بها الرحامنة وأهل سوس وأهل الدير، لتقديم طاعتهم وولائهم. ومنها وجه الحركة إلى مسفيوة، حيث جاست جيوشه خلال الديار، بالنهب والسلب وحرق الشجر والزرع. ومازال يضيق عليهم حتى نزلوا رافعين المصاحف مقدمين صبيانهم طالبين الأمان، متبرئين من المستضيء ؛ فعفا عنهم. ولما جاراهم في ذلك أهل دكالة، عاملهم بما عامل به الأوائل، إذ عفا عنهم وأمرهم بالرجوع إلى ديارهم. واستمر مقيما بزمران حتى قدمت عليه وفود أهل مراكش مقدمين بيعتهم.

وفي تلك الأثناء استخلف ابنه محمدا على مدينة مراكش، وتوجه هو إلى مكناس. ولما مر بالرباط عين ابنه أحمد خليفة على الشاوية وبني حسن. وقبل الدخول إلى مكناس خيم ببوفكران. وهنالك قدمت عليه وفود من الريف وبني حسن تائبين، فأمر بقتلهم جميعا ؛ وكاد يفعل بأيت دراسن نفس الشيء لولا وساطة كبيرهم محمد واعزيز، الذي "كان يقول له أبي مرارا". إلا أن البربر اغتاظوا لذلك وعزموا على الانتقام ؛ سيما حين علموا مقالته : "فأردت أن أقابل هذا التيس الأسود مع هذا الكبش الأبيض، فمن تلف منهما أستريح منه ومن عضته وأتمسك بالآخر" (*الترجمان*، ص. 59). ولما رجعوا إلى بلادهم جمعوا القبائل ونظموا الحركة لمحاربة المترجم انطلاقا من الحاجب. ولم يتوقفوا إلا أمام مدينة مكناس. فكانت الدائرة على البربر الذين انقلبوا إلى بلادهم منهزمين.

إلا أن العبيد قد استاءوا بدورهم لما بلغتهم مقالة السلطان "أردت أن أقابل هذا الكبش مع هذا التيس" ؛ فأجمعوا أمرهم على التمرد، وكتبوا لإخوانهم بمشرع الرمل. وفي الوقت ذاته كان كثير من القبائل قد استجابت لدعوة البربر، بمن في ذلك أهل فاس ؛ فلم يبق أمام السلطان إلا الودايا الذين وجه إليهم كلمته التي قال فيها : "إن كانت لكم حاجة بابن أختكم عبد الله فاركبوا إليه الساعة". فاستجابوا لطلبه، وقدموا إلى مكناس لإنقاذه، فرجعوا به إلى فاس الجديد. في ذلك الوقت كان البربر ومن تبعهم قد احتلوا فاس البالي، بل دخلوا دار الدبيبغ عام 1160 (*الترجمان*، ص. 61). واستمر الحال على الاضطراب حوالي سنة ؛ نادى العبيد خلالها باسم المستضيء الذي كان مقيما بطنجة، والبربر لا يزالون يغيرون على فاس، وقبائل الغرب ماضية في النهب وقطع السبل. وأما السلطان عبد الله فإنه صالح أهل فاس، ففتحوا في وجهه أبواب المدينة بعد حصار دام سبعة وعشرين شهرا ؛ وبعد أن قدم عليه البربر، ورجع بنو مالك وسفيان عن طاعة المستضيء. فقدم عليهم من مكناس، ووقع الصلح بضريح المولى إدريس أواخر عام 1161 / 1748 (*نشر المثاني*، 4 : 65 - 66).

وفي محرم من العام الموالي (1162 / 1749)، تآمر العبيد على اعتقال المترجم وعزله. فلما علم بذلك لاذ بالفرار من مكناس، واستقر بدار دبيبغ. وبعد أن رفض محمد ولد عربية وعلي الأعرج بيعتهم، أقدموا على مبايعة سيدي محمد بن عبد الله، خليفة السلطان بمراكش، وبعثوا بوفد يحمل إليه البيعة إلى تلك المدينة. وبالرغم عن رفضه لبيعتهم فقد استمروا على الخطبة به على منابر مكناس وزرهون (م. س. ن). وفي تلك الأثناء ظهر بالمغرب الوباء والمجاعة، فتفاقم الأمر وساد الاضطراب ؛ والعبيد متمادون في نصر الأمير محمد بن عبد الله.

ولما رأى هذا إصرارهم، قدم عليهم بمكناس أواخر صفر من سنة 1163 / 1750 ؛ لكنه بدل أن يماشيهم في ما قصدوا توسط لهم عند والده، بعد أن دعم العلماء رأيه. فحينئذ قبل العبيد عذر المترجم، وأمروا بالنداء بنصره على منابر مكناس، سيما وأنه وزع عليهم المال الذي قدم إليه هدية من قبل ولده. فكانت تلك بيعته السادسة (نشر، م. س، ص. 82، *الترجمان*، م. س، ص. 65). وقد تميز هذا العهد بإهمال السلطان للعبيد فتطارحوا على أعتاب ولده سيدي محمد لاسترضاء والده. وفي هذا دليل على خضد شوكتهم، وإدبار نفوذهم. كما يبدو أن مختلف الفرقاء المتناحرين سئموا حال الفتن والاضطراب، وأنهكتهم المعارك المتتالية، وضيق المعيشة، فجنحوا إلى السلم. وفي نفس الآن كان المترجم قد استقر بداره، دار الدبيبغ، وضعفت قواه عن الحركة. ومن ثم، لا نستغرب إذا رأيناه قد أضحى حكما بين مختلف القبائل المتنازعة. فعفا على ذرية أحمد بن علي الريفي، وولى أحد أبنائه على مدينة طنجة (نشر، 4 : 93).

لكن لما كاد الوضع يستقيم له، اضطربت أحوال البلاد من جديد، نتيجة حلول الجفاف ووقوع زلازل قوية ومتلاحقة، حيث بدأت الأرض ترتج منذ ضحوة السبت سادس وعشرين من محرم عام 1169 / 21 أكتوبر 1755، واستمرت الزلازل حوالي شهر (نشر، 4 : 113 ؛ *إتحاف*، 4 : 465). فانتشرت الفتن، وظهر الثوار في كثير من جهات البلاد. وبما أن المترجم

أضحى منشغلا بنفسه، لأنه أصيب بداء السل الذي ألزمه الفراش ؛ فإن خليفته سيدي محمدا هو الذي نهض بأعباء الدولة، فتصدى لجبر ما انصدع وإخماد ما اتقد. وهكذا لم يبرح المترجم داره بدار الدبيبغ، خارج فاس الجديد، إلى أن عاجلته منيته ليلة الخميس سابع وعشري صفر عام 1171 / 1757. ودفن بمقابر العلويين التي في جوار دار الملك من فاس الجديد (م. س. ن. ص. 123، الضعيف، ص. 162 ؛ الزياني، *البستان*، ص. 347 ؛ *إتحاف*، 4 : 482). وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة، بما تخللها من ولاية وعزل.

وأبرز ما ميزها كثرة الفتن والحروب والتولية والعزل، وتعدد المطالبين بالعرش والأدعياء، وتتالي المجاعات والأوبئة. كما استشرت أعمال سفك الدماء، شارك فيها المترجم بنصيب وافر ؛ حتى بلغ عدد من "قتل مدة سلطنته صبرا ما يزيد على سبعين ألف نسمة، قتل منها في يوم واحد خمسمائة وخمسين" (*الإتحاف*، 4 : 479). وبصدد أعماله على الصعيد الخارجي، فقد هاجم مدينة سبتة، وأبرم معاهدة مع الولايات العامة (هولاندة).

وكان له طابع بداخله، عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسني، الله وليه ومولاه، وبزواياه، اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد (*إتحاف*، م. س. ص. 401) وكان يوقع مراسلاته بـ "عبد الله كان الله له".

ولم يخلف المترجم من الآثار، في ميدان البناء، سوى دار الدبيبغ بفاس، وهي مقر سكناه ؛ ودويرة باب الريح خارج مكناس. علاوة على تنميق باب منصو العلج وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار، بمكناس أيضاً (م. س. ص. 483).

الريفي، *زهر الآكام* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الزياني، *الترجمان*، *البستان* ؛ م. أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، *العلائق السياسية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

Th. Pellow, *La relation de Th. P. J. de Léon. Moulay Ismael...* ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*.

أحمد عمالك

ابن عبد الله، **عبد الواحد** بن علي بن الحاج محمد بن علي الرباطي ولادة ونشأة وداراً. ولد برباط الفتح (عام 1311 / 1893) واستظهر القرآن والمتون بكتاب قرب حومة البحيرة بدرب الباشا بالرباط.

واشتغل بالدراسة العلمية حوالي عام 1325 فتتلمذ لشيوخ العاصمة منهم الشيخ أبو شعيب الدكالي ودرس عليه التفسير وصحيحي الإمامين البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجة والمختصر الخليلي و*ألفية ابن مالك* بشرح الآشموني وحاشية الصبان.

كما واصل دراسة مختصر الشيخ خليل على العلامة النظار وزير العدل القاضي سيدي محمد الرندة الأندلسي

وواظب على حضور الشروح العلمية الأدبية للعلامة المشارك مولاي أحمد بن المامون البلغيثي بخصوص صحيح الإمام البخاري ومجالس المحدث الحافظ الأديب الشاعر سيدي المدني ابن الحسني لأوائل *موطأ* مالك بن أنس من تخليص المفتاح للخطيب القزويني و"*مرتقى الوصول إلى علم الأصول*" و"*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" ولامية كعب بن زهير *بانت سعاد* وألفية العراقي في السيرة والقوانين الفقهية لابن جزي الكلبي.

وقد تتلمذ أيضاً لثلة من الشيوخ الأفذاذ بحضرة الرباط منهم : الشريف العلامة المحقق سيدي محمد ابن العياشي قرأ عليه جل *المرشد المعين* وأوائل ألفية ابن مالك.

والعلامة الجامع بين المعقول والمنقول الضابط المتقن سيدي محمد السائح والعلامة المحدث سيدي محمد (فتحا) ملين والقاضي شيخ الجماعة علامة الرباط وأديبه أبو حامد المكي البطاوري.

وبعدما حصل جملة من المعارف في مختلف المجالات الأدبية والفقهية والحديثية تصدى للتدريس بمساجد العاصمة فكان يحضر دروسه ثلة من الطلبة بالإضافة إلى جموع غفيرة من العوام نظراً للأسلوب البسيط الذي كان ينهجه في التبليغ.

وقد تقلب في عدة مناصب منها الكتابة بالإدارة الشريفة بالرباط ثم العضوية في مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى عام 1355 من حيث استعفى بعد ثلاث سنوات (عام 1358) وبدأ هنالك يتجول في كبريات الحواضر المغربية خاصة منها مدن فاس والدار البيضاء ومراكش وطنجة وتطوان علاوة على موطنه الرباط وتولى الأستاذية بدار الحديث الحسنية بالرباط محتسبا بدون أجرة وساهم في الدوس المولوية الحسنية الرمضانية بالقصر الملكي بالرباط.

عرف بنزاهته الفكرية وغيرته الدينية والوطنية وصلابته في الحق. وقد اضطهده الفرنسيون إبان الحماية وأصدروا حكما بسجنه سنة ونصف، سنة قضى بعضها في سجن العلو بالرباط وذلك لمجرد اتهامه بأنه ضرب مثلا للنضال النسوي ضد الاستعمار بقيام جان دارك الفرنسية بتحرير بلادها من ربقة المغير الأجنبي.

وللمترجم ولوع وشغف بالطرب الأندلسي وقد أخذ نوباته الإحدى عشرة عن الفقيه المطرب الشهير سيدي محمد بن عبد السلام البريهي الفاسي وكان في شبابه من هواة الشطرنج يساهم في ألعابه بالرباط وفاس والدار البيضاء حتى مهرميه.

مصنفاته :

1) ثلاث رسائل الأولى "الفارق بين المصنف والسارق" والثانية "المنهاج المستقيم في الاعتصام بحبل الله العظيم" والثالثة "الحجة الواضحة البرهان في أن العارف التجاني لمن يفضل صلاة الفاتح على القرآن".

طبعت هذه الرسائل عام 1345 بالمطبعة الأهلية لصاحبها مصطفى بنعبد الله بالرباط.

2) "القوانين المختارة للمار بالميقات مقدما الزيارة" (المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني والعربي القباج سيدي الفاسي بالرباط).

3) "القول الحميد في تعظيم القرآن المجيد" (طبع عام 1350 بالمطبعة الوطنية بالرباط).

4) "الإقناع بالدفاع" (طبع عام 1377 بالمطبعة الوطنية بشارع القناصل بالرباط).

5) "إعلام المسلمين بالحجة والبرهان لنقض ما في كلام الزمزمي ابن الصديق من الزور والبهتان" (طبع بمطبعة فضالة بالمحمدية).

تلاميذه :

أخذ عنه كثير من الطلبة من جملتهم العلامة الشيخ محمد المكي الناصري والفقيه محمد الحسناوي والقاضي محمد حكم والفقيه محمد العوينة. وكانت دروسه ملتقى لنجباء الطلبة من مختلف المستويات لما امتازت به مجالسه العلمية من مظاهر المشاركة والتبحر مع تواضع وزهد.

توفي يوم الأحد رابع عشر رمضان عام 1411 / موافق 31 مارس 1991 ودفن بمقبرة صندل أمام روضة الشهداء بالرباط. وبوفاته فقدت عاصمة الرباط علماً من أعلامها البارزين وعالما ممتازاً وداعية لا يخاف لومة لائم ومرشداً سلفياً صوفياً.

ابن **عبد الله، محمد** من مواليد 1940 بإقليم خريبكة شارك في الانتفاضة الشعبية التاريخية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون إلى الشارع للتنديد بالسياسة الاستعمارية والمطالبة باستقلال البلاد.

وقد كان الشهيد من بين هؤلاء المواطنين حيث استشهد على إثر تدخل قوات الاحتلال الفرنسي بقوة السلاح لإخماد الانتفاضة وذلك بتاريخ 21 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512723.

ابن **عبد الله، محمد** بن **أحمد** بن الحاج محمد بن علي الرباطي. ولد برباط الفتح أواخر عام 1313 أو 1314 / 95 ـ 1896. وبعد ما استظهر القرآن الكريم والمتون في مكاتب محمد سباطة ومحمد بن عبد الله النصيري ومحمد التادلي، بدأ دراسته الثانوية والعالية على أساتذة كبار من علماء الرباط على رأسهم العلامة المحدث الحافظ محمد المدني ابن الحسني والعلامة محمد بن عبد السلام السائح وشيخ الجماعة العلامة المحدث المقرئ أبي شعيب الدكالي والعالم المحقق وزير العدل، وقاضي الرباط محمد بن عبد السلام الرندي.

وقد حضر دروس محدثين وفقهاء جهابذة كانوا مناراً للمعارف في حضرة الرباط منهم :

ـ العلامة النوازلي قاضي الرباط سيدي عبد السلام بن عمر ابن إبراهيم.

ـ العلامة سيدي محمد (فتحا) بن عبد الله ملين وزير الأوقاف.

ـ العلامة الشريف سيدي محمد ابن العياشي.

ـ الفقيه سيدي محمد التادلي.

ـ العلامة الأديب سيدي التهامي بن المعطي الغربي.

ـ العلامة الفهامة الشاعر سيدي أحمد بن قاسم جسوس.

ـ المحدث الأصولي سيدي أحمد بن المامون البلغيثي.

ـ الأصولي النوازلي السيد أحمد بن الفقيه الجريري السلاوي.

وأخذ بالمشرق عن شيوخ أفذاذ منهم :

الشيخ محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق (عام 1358).

العلامة شمس الدين محمد بخيت المطيعي حافظ المذهب الحنفي وشيخ الإفتاء بالرباط المصرية.

ـ العلامة شمس الدين محمد السمالوطي المالكي.

ـ العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوى.

وبعد هذه السلسلة من الدراسات على مشيخة من كبار العلماء انبرى الأستاذ محمد بنعبد الله بما أوتيه من دراية وحنكة ليلقي دروسا في بعض جوامع ومساجد الرباط النحو الحديث والتفسير ومدرسا بمدرسة محمد (فتحا) جسوس بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج. وقد عين بعد ذلك عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من منصبه بعد نفي أمير المومنين محمد الخامس ونصب بعد عودة الملك إلى عرشه قاضياً بالعاصمة الإدارية خلال عامين نصب إثرهما رئيس لمحكمة الاستيناف بالرباط ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل المحتوم خلال حجة عام 1383 حيث دفن بروضة المصلى يوم 22 ذي القعدة.

كان وطنيا غيوراً لا تأخذه في دينه لومة لائم سار على نهج زملائه الأفذاذ من رجال الفكر والمعرفة يصل المشرق بالمغرب ضمن ما حصل عليه من إجازات علمية من شتى جهابذة شقّي العروبة والإسلام. وقد برز اضطلاعه العلمي فيما صنفه من كتب مازال بعضها مخطوطاً مثل "البيان المعرب عن رحلتي إلى الحرمين من المغرب" ورحلتين أخريين عن حجتيه الثالثة والرابعة و"الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول" و"نيل السرور والمرح بشرح قصيدة أبي فرح" و"إتحاف ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف"، وتقاييد أخرى في التفسير والحديث والأحكام والفقه والنحو.

ولم يطبع من كتبه سوى "الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم" و"نيل الأرب من مسح الجورب".

عبد العزيز بنعبد الله

ابن عبـد الله، محـمـد بن أحمد الـرباطي ، ولد بالرباط سنة 1313 أو 1314 ولما بلغ سن التمييز أدخله والده كتاب الفقيه محمد سباطة، وبعد وفاة والده أدخله عمه الحاج العربي ابن عبد الله أحد الوصيين عليه من قبل والده إلى مكتب الفقيه محمد بن عبد الله النصيري وأقام فيه زمنا غير يسير، ثم نقله إلى مكتب الفقيه محمد التادلي. وبعد توديع الكتاب القرآني صرف وجهته لدراسة العلوم والمعارف على يد نخبة من شيوخ الرباط منهم كما جاء في ترجمته التي حررها بطلب من الفقيه محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج الآتية أسماؤهم :

العلاّمة محمد المدني بن الحسني وقد قرأ عليه زمناً طويلاً.

العلاّمة عبد السلام السايح الذي وصفه بأن له اليد الطولى في تقرير القواعد الأصولية وإدراج الجزئيات تحت كلياتها.

الشيخ أبو شعيب الدكالي.

الفقيه النوازلي محمد بن عبد السلام الرندة.

الشيخ النوازلي قاضي الرباط عبد السلام بن عمر بن إبراهيم الرباطي.

العالم النحوي مَحمد بن عبد الله ملين وزير الأوقاف الأسبق.

الفقيه العدل قاسم بن عبد الله الحاجي.

الشيخ محمد ابن العياشي مقدم الزاوية التجانية.

الفقيه محمد التادلي الذي كان له شغف كبير بقراءة الجرائد التي تصدر في بلاد الشرق العربي.

العلامة النحوي الأديب التهامي بن المعطي الغربي.

الشيخ أحمد بن قاسم جسوس.

الشيخ الفقيه أحمد بن المامون البلغيثي.

الشيخ الفقيه عبد الرحمان بن القرشي الإمامي وقد حضر دروسه بالقرويين.

العلامة أحمد الجريري السلاوي وقد حضر دروسه بضريح سيدي أحمد حجي بسلا.

الشيخ المحدث محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق وقد حضر دروسه بالمسجد الأموي في محرم 1352.

العلامة شمس الدين بخيث المطيعي حافظ المذهب الحنفي في وقته وشيخ إفتاء الديار المصرية ورئيس المجلس الشرعي بمحكمة مصر الكبرى سابقا.

العلامة شمس الدين محمد السمالوطي المالكي.

العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوي.

ويذكر محمد بن عبد الله في ترجمته أنه اتصل بعدد آخر من العلماء واستفاد من مذاكراتهم كالشيخ المكي البطاوري والعلامتين مولاي عبد الرحمان الشفشاوني ومولاي المهدي العلوي الذين استفاد منهم كثيراً عندما كان عضواً في المجلس الشرعي.

للفقيه ابن عبد الله إجازات كتابية وأخرى شفاهية، فقد أجازه كتابة الفقيه عبد القادر بن محمد حواري المدني من ذرية الزبير من العوام ـ على حد قول المتجر ـ وذلك في 17 جمادى الثانية 1349، ثم أجازه ثانيا بجميع ما أجازه به شيخه محدث المدينة المنورة الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري من الفنون وكتب الحديث المذكورة في إثبات مشايخه ومشايخهم في 19 ربيع النبوي 1350. وأجازه كتابة أيضاً الشيخ محمد بدر الدين الحسني بجميع ما يرويه عن شيوخه. وأجازه مشافهة الشيخ محمد بن العربي العزوزي الفاسي أمين سر الفتوى بالجمهورية اللبنانية ورئيس العلماء والمجلس الإداري للأوقاف الإسلامية ببيروت بجميع ما يرويه عن شيوخه الذين منهم العلامة محمد بن جعفر الكتاني وذلك في شوال 1378.

وبعد أن نهل من علوم هؤلاء الأساتذة صار يقوم بإلقاء دروس تطوعية بالجامع الأعظم وجامع عطية بالرباط، في النحو بألفية ابن مالك وفي التفسير والحديث بكتاب الموطأ، وكتاب بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العقسلاني.

تقلب ابن عبد الله في عدة وظائف فعمل مدرسا بمدرسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج، ثم اشتغل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من هذا الوظيف فأقيل، وذلك في الظروف العصيبة التي عاشها المغرب عقب نفي الملك محمد الخامس. وبعد رجوع عاهل البلاد نصب قاضياً شرعياً بالعاصمة، وبقي في هذا المنصب قرابة السنتين. إلى أن عين رئيس محكمة الاستيناف بالعاصمة ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل.

كان متشبعا بالروح الوطنية ولكنه كان يكره الانخراط في حزب من الأحزاب بل يحمل عليها حملة شعواء فقد كان مقتنعا بسريان الشحناء والبغضاء داخلها مما كان يرى فيه انفصام عرى الأخوة والاتحاد.

ارتحل إلى الديار المقدسة عدة مرات فحج وزار. وفي سنة 1379 كان عضواً في الوفد الرسمي المغربي المرشح للحج، وعاود الحج عدة مرات.

خلف الفقيه ابن عبد الله أثراً فكرياً منه ما نشر ومنه ما بقي مخطوطاً. أما المخطوط فهو : البيان المعرب عن رحلتي الحرمين من المغرب، رحلة جمعها في حجته الثالثة، وأخرى في حجته الرابعة. الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول. في الرد على من استحسن بدعة الذكر جهراً في تشييع الجنازة. نيل السرور والفرح بشرح قصيدة أبي فرح. اتحاد ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف. تقييد في انتقاد رسالة إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض. رسالة مختصرة في العقائد. رفع العتب والملام عمن قال قد قيل بالضحية عنه عليه السلام. تقييد صغير عنوانه بثة مكظوم ونفاثة مصدور على ما آلت إليه

الخطابة بالمغرب. تقييد آخر اشتمل على فوائد تتعلق بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وبموطأ الإمام مالك. تقييد صغير في مناسك الحج. آخر في بعض أحكام ألفاظ الشهور العربية. البدر الذي لا يحجبه سحاب في أن ترجيح السنة على رأي الرجال أجدر بالصواب. تقييد أملاه عند ختمه ألفية ابن مالك. تعليق على شرح شيخ شيوخنا سيدي المكي البطاوري على نظم البيقونية في اصطلاح الحديث. تفسير سورة القدر ألقاه بالمسجد الكبير في أواخر رمضان 1380. شرح لحديث إنما الأعمال بالنيات أسماه : مبلغ الأمنية من حديث الأعمال بالنية. تعليق على نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المامون، للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس. شرح عقيدة رسالة ابن أبي زيد القيرواني. شرح على رجز في تصريف الأعمال لشيخه المدني ابن الحسني. تقييد مضمن مباحث جعلت مقدمة لدروس *الموطأ* التي أقرأها بالجامع الأعظم. آخر الكلام على الحافظ والمحدث والحجة والحاكم والمسند (بكسر النون) والمسندي (بفتحها) وأمير المؤمنين في الحديث. تعاليق على بلوغ المرام من جميع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر حررها حين إقرائه له بجامع عطية. أخرى على كتاب التجريد الصيح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي. أما ما نشر من تآليفه فهو : الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم. نيل الأرب من مسح الجورب.

توفي بمكة وهو محرم يمارس شعائر الحج في حجته الخامسة يوم الاثنين 22 ذي القعدة 1383 ودفن هناك بروضة المصلى.

م. بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

عبد الإله الفاسي

عبد الله بن **محمد الشيخ المأمون**، أمير سعدي.
شارك في الأحداث التي عاشها المغرب عقب وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603، حين بايعت مدينة فاس زيدان بن أحمد المنصور، وبايعت مراكش أخاه أبا فارس، بينما كان الابن الثالث، محمد الشيخ المأمون، سجينا في مكناس، ثم سلمه أحد القواد إلى أبي فارس الذي اعتقله في مراكش. وقد تم الاتفاق بين أبي فارس والمأمون على محاربة أخيهما المبايع في فاس، وترك المأمون ولده عبد الله رهينة عند أخيه أبي فارس في مراكش. غير أن عبد الله استغل جو الاضطراب الناتج عن ظهور الوباء بمراكش وخروج أبي فارس إلى ظاهرها، ففر مع بعض خدامه إلى فاس.

ومنذئذ أخذ عبد الله يقود جيوش والده في كل المعارك الناشبة بين الإخوة المتنازعين. فقد تمكن من الانتصار على زيدان بتاريخ 9 شعبان 1015 (10 دجنبر 1606) ودخل مراكش. وأخرجه عمه منها شهرين بعد ذلك. وفي آخر هذه السنة تمكن عبد الله من استرجاع مدينة مراكش، لمدة قصيرة قبل أن يخرجه منها زيدان مرة ثانية. وفي 20 دجنبر 1607 (12 رمضان 1017) اتجه عبد الله نحو مراكش لمحاربة عمه زيدان، وهزمه فعلا، ودخل مراكش، وبسط نفوذه على دكالة وحاحا بعد ذلك، تحالف زيدان وأبو فارس وتمكنا من التغلب على جيش يقوده عبد الله قرب أبي رقراق. ففر محمد الشيخ المأمون نحو العرائش، مستعداً للتنازل عنها للإسبان، بينما اتجه عبد الله وأبو فارس إلى شرق المغرب.

تمكن عبد الله وأبو فارس من جمع قوات جديدة واتجهوا نحو فاس، حيث اعترضهم قائد من قواد زيدان. تم الاتفاق بين عبد الله وأبي فارس على أن يملك الثاني مملكة مراكش مدى حياته على أن يوصي بخلافته لعبد الله. وفي هذه الأثناء وجدت قبائل شراكة في عبد الله من يقود عمليات النهب التي كانت تقوم بها في نواحي فاس، وتمكن عبد الله بهذه القوات الجديدة من دخول فاس، ثم تخلص من عمه أبي فارس بالقتل، ونجح في التغلب على الجيش الذي بعثه زيدان لمحاربته، وبعث مبعوثا إلى سوس يطلب من زعمائها عدم إيواء زيدان بعد انهزامه. إلا أن هذه المحاولة لم تفلح ولم يتمكن المبعوث من الوصول إلى سوس.

نتج عن تسليم محمد الشيخ المأمون مدينة العرائش للإسبان رد فعل قوي، كان من بين مظاهره اتفاق أشياخ الفحص على التخلص من هذا الأمير، خصوصا بعد أن ظهرت مفاسده واشتهرت عيوبه، فقتله المقدم أبو الليف (5 رجب سنة 1022 / 21 غشت 1613) فبويع إبنه عبد الله في فاس. وقد حاول عبد الله أن يقيم سلطة قوية، فلم يجد أحسن مما فعله والده، حيث بعث رسالة إلى ملك إسبانيا بتاريخ 3 شعبان 1023 / 8 شتنبر 1614 يؤكد فيها ما كان بين والده محمد الشيخ المأمون والإسبان من عقود وصلح كما بعث إلى إسبانيا سفارة على رأسها منصور بن يحيى وعبد الرحمن الشاوي. ولم تسفر هذه الاتصالات عن أية نتيجة. وساءت أوضاع عبد الله، خصوصاً بعد أن قتل أخاه إدريس خنقا بيده. فثارت عليه مدينة فاس، وعين أهلها أربعة من أعيانهم لتسيير الشؤون، ووضعوا عبد الله في إقامة جبرية في بيته وعينوا له راتبا. وقد تمكن بعد ذلك من مغادرة فاس وحاول تجميع جيش، وصل إلى سلا قاصداً مراكش، لكن جيشه انفض عنه بمجرد أن تسلم راتبه.

كانت فاس تعيش دون سلطان بعد أن رفض أهلها عودة عبد الله. وقد قل مال عبد الله إلى درجة أنه لم يجد ما يؤدي به راتب خدمه، فأعطاهم بعض قطع المدفعية، صهروها وباعوا معدنها للحدادين. وهكذا صار هذا الأمير أقرب إلى رئيس عصابة منه إلى سلطان، وحاول عدة مرات دخول فاس، دون نتيجة. وظهر في نفس الوقت أخوه المدعو محمد واصطدما سنة 1028 / 1618 - 19 عند وادي الطين في منطقة الغرب، وانهزم عبد الله.

توفي عبد الله بن محمد الشيخ المأمون سنة 1033 / 1623.

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني.*

عبد الواحد أگمير

ابن **عبد الله، محمد** بن **محمد** بن المكي الفاسي، يكتب أيضاً "بنعبد الله" من رواد التعليم العربي الحر بفاس. ولد بمدينة فاس في وسط عائلي موسر وتلقى دراسته العالية بجامعة القرويين وتخرج منها يحمل شهادة "العالمية".

عرف بالفقيه ابن عبد الله ولد بفاس عام 1327 وبها نشأ ودرس في جامع القرويين على أشهر شيوخ عصره، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أحمد بن الجيلالي الأمغاري والداعية السلفي محمد بن العربي العلوي. وبعد حصوله على شهادة العالمية من القسم الديني سنة 1352 أخذ يلقي دروساً تطوعية بالقرويين ومدرسة العدوة الحرة.

انضم إلى كتلة العمل الوطني التي انقسمت إلى الحزب الوطني وعلى رأسه علال الفاسي والحركة القومية التي تزعمها محمد بن الحسن الوزاني وعمل مع أعضاء الكتلة مع الأستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني قبل أن يتفرقا.

ارتأى الأستاذ محمد بنعبد الله أن خير وسيلة لخدمة وطنه تكمن في محاربة الجهل ونشر المعرفة وسط شعب كان المستعمر يبذل قصارى جهوده للقضاء على الثقافة المغربية الإسلامية. فبدأ عمله بفتح مدرسة حرة بمسجد كان يقوم بحومة العدوة ويطلق عليه اسم المدرسة الخضراء.

وكان من أول تلامذته أحمد بنسودة وعبد الهادي بوطالب وعبد الوهاب بنمنصور وعبد القادر بنشقرون وأخوه مَحمد بنشقرون وحماد العراقي وأخوه عبد الواحد العراقي ومحمد العمراوي. ولما كثر الإقبال على هذه المدرسة اضطر الفقيه ابن عبد الله إلى كراء دار برأس الزاوية بحي العدوة لينتقل إليها التلاميذ ولتسير الدراسة فيها بتجهيزات ملائمة.

وما أن ضاقت الدار بالتلاميذ حتى فكر في بناء مدرسة عصرية بمساعدة خمسة عشر مواطنا فخرجت إلى الوجود مدرسة ابن غازي بالباب الحمراء.

وبمجرد ما بدأ يعمل في البناية الجديدة ألقي عليه القبض من قبل السلطات الاستعمارية ونفته إلى الصحراء حيث أذاقته من أنواع العذاب مع ثلة من الوطنيين ما يجسد قساوة الاستعمار وبغضه للأطر الوطنية. وقد كان من المعذبين الفقيه محمد القري الذي وافته المنية ومات شهيد الطغيان والجبروت.

ولقد عذب الفقيه بنعبد الله أشد ما يكون العذاب ليخبر المستعمر بأسماء المشاركين في تمويل بناء المدرسة. ولكنه صمد صمود الأبطال ولم يبح بأي اسم عن الذين ساهموا في بناء المدرسة ولقد صرح الفقيه بنعبد الله لأصحابه أنه لما نقل من الصحراء إلى سجن علي ومومن اعتبر كأنه خرج من الجحيم إلى الجنة. وبمجرد أن أطلق سراحه عاد إلى مدرسة ابن غازي ليواصل جهوده في تعليم النشء وتربيته على حب الوطن وبغض الاستعمار.

وما أن نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة حتى سار الفقيه إلى فتح مدرسة خاصة بالبنات فتفضل محرر الوطن طيب الله ثراه بأن عهد إلى بنته صاحبة السمو الملكي للاعائشة بتدشين هذه المدرسة فألقت خطابا دونت فيه عبارتها المشهورة حيث صرحت بقولها : "فاس والكل في فاس" الأمر الذي ملأ قلوب سكان مدينة العلم والعرفان عزا وسرورا. ومما زاد هذا الحفل بهجة ورونقا مفاجأة الحضور بإقبال سمو ولي العهد آنذاك مولاي الحسن يشارك في هذا الحفل فغمر الحاضرين حماس منقطع النظير.

ولقد واصل الفقيه بنعبد الله عمله في خدمة التربية والتعليم وخدمة الصالح العام إلى أن لقي ربه.

ونظراً لما كان يمتاز به من حصافة في الرأي ويتحلى به من إخلاص في العمل حظي بعطف وتقدير محرر البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس الذي كان يستدعيه من حين لآخر ويستشيره في بعض القضايا وهذا ما جعل الفقيه بنعبد الله يزور القصر الملكي في أي وقت شاء.

ولم يكن يكتفي بدور التسيير الإداري بل كان يتكلف بحصص التدريس بالأقسام العليا بمدرسته. وكان أسلوبه في التدريس منتجا وفعالا فقد وهبه الله موهبة خاصة في إجراء الدروس مستعملا طرقا تدريسية مفيدة وفعالة دون أن يسبق له المرور بمراكز التكوين أو الاستفادة من أي دراسة في المدارس العليا للأساتذة.

وكان بعض الحاقدين ينتقدون استغلاله لمداخيل المدرسة لينعم بعيشة الرفاهية ولكن الواقع والحقيقة أنه رغم قيامه بدوره في تسيير المدرسة وإعطاء الدروس كان يهتم بالبناء ويستغل مدخول مبيعات ما بنى لينفق على عائلته.

لقد قضى حياته مجاهدا في سبيل الله ومربيا من المستوى الرفيع لبني وطنه ولئن ساهم في بناء مسجد تونس في شارع الشفشاوني بفاس فإنه كان يقضي بهذا المسجد ومسجد القرويين أوقاتا غير يسيرة في الوعظ والإرشاد تطوعاً وحرصاً منه على أن يقوم بتوعية المواطنين بمبادئ الدين الحنيف وبدعوتهم إلى التمسك بأخلاق الإسلام الحميدة.

ولم تمنعه مهامه من أن يرأس لجنة القدس بفاس وأن يحث باستمرار على مد الإخوان الفلسطينيين بكل المساعدات الممكنة الأمر الذي أدى إلى قيام ممثل المقاومة الفلسطينية بأن يشيد بجليل أعمال الفقيه يوم وافته المنية.

وفي حفل تأبينه رحمه الله أشاد ثلة من الشخصيات البارزة وممثلي الأحزاب بخصال الفقيه المحمودة وبتضحياته في خدمة الصالح العام وعلى رأسهم عبد الهادي بوطالب والدكتور عز الدين العراقي.

توفي يوم 12 أبريل 1982.

معلومات شفوية عائلية ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 220 ـ 223.

محمد حجي

عبد الله (مولاي -) الأمير بن الملك محمّد بن يوسف، ولد بالرّباط في العاشر من شهر ربيع الأوّل عام 1355 موافق 31 ماي 1935.

امتزجت حياته القصيرة بفترة مؤسّسة في تاريخ المغرب حاول من موقعه كابن لمحمد الخامس وشابّ ذي قدرات أن يؤثّر فيها.

فقد عاش صباه وطفولته في مغرب الحماية وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدرسة المولوية بالقصر الملكي. وهي مدرسة أسّسها الملك محمّد الخامس ليعطي فيها لأبنائه تعليما عصريا يجمع بين كل العناصر التي كوّنت الفكر الحديث من ثقافة إسلامية كالفقه والقرآن والأدب العربي والفلسفة واللّغات الأجنبية، والرّياضيات والمستجدّات الفكرية والعلمية الغربية، مع صيانة هذه المدرسة من تأثيرات المدرسة الفرنسية الاستعمارية في المغرب .. وقد اختار لهذه الغاية أساتذة لم يراع في انتقائهم لا العرق ولا الدين بل فقط الكفاءة العلمية. ومنهم العلامة الحسين بن البشير والعلامة الوزير المدني بن الحسني، والعلامة عبد السلام الفاسي، وزير التعليم في ذلك الوقت، والمؤرّخ الأديب محمّد الفاسي، والأديب محمّد باحنيني، والأديب محمّد بن عبد النّبي، والمقرئ عبد الرّحمان بنموسى. والأستاذ عبد الهادي بوطالب، والأستاذ عبد الرحمان الفاسي، والفقيه خليل الورزازي، والفقيه البرنوصي. وكذلك عدد من الأساتذة الفرنسيين المرموقين كـ Le Bel وHainau وSalfranque وRevel وPariot وGoteland.

كما حرص الملك محمّد الخامس على أن لا تكون هذه المدرسة في عزلة عن المجتمع المغربي. وهكذا درس إلى جانب الأمير مولاي عبد اللّه ثلّة من أبناء الشعب ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية اختيروا من بين نجباء مختلف المدارس المغربية بما فيها المدارس الحرّة التي أسّستها الحركة الوطنية.

وبعد إغلاق المدرسة المولوية في الفترة التي نفي فيها الملك وعائلته، تابع مولاي عبد اللّه دراسته في منفاه، ثمّ بعد عودته من المنفى في نونبر 1955 التحق بمدرسة ليروش L'Ecole des Roches بضاحية باريس حيث حصّل على شهادة الباكالوريا الأولى ثمّ بثانوية Louis Le Grand لتهييئ الباكالوريا الثانية، ولكنّه رجع للمغرب أثناء السنة الدّراسية بسبب الأزمة التي حصلت في العلاقات الفرنسية المغربية بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقل زعماء الثورة الجزائرية. واجتاز مولاي عبد الله الامتحان في الرّباط، وكان المهدي بنبركة أستاذه في الرّياضيات في تلك الحقبة. ثمّ تابع دراسته الجامعية في كلّية الحقوق بنفس المدينة، وبعدها في كلية الحقوق بلوزان Lausanne.

ونظرا لاطلاعه على تاريخ المغرب فإنه كان يعرف أهمّية البحر في سيرورته وأنّه شكّل مصدر قوّة سياسية واقتصادية وعسكرية في الفترات التي كانت الدّولة تتحكّم في مياهها، في حين صار البحر مصدراً للخطر الاستعماري والاحتلال سواء في فترة المدّ الإيبيري، أو الاحتلال الفرنسي، عندما لم يعد يتحكّم في سواحله بسبب تقهقره التكنولوجي واضمحلال بحريته. لهذا اهتمّ بدراسة قانون البحار وأعدّ رسالة الدكتوراه في جامعة Aix-en-Provence في موضوع "سيادة الدّولة وحدودها في المياه الإقليمية في إطار القانون الدّولي".



دخل الأمير مولاي عبد اللّه الحياة السياسية المغربية من بابها الكبير. فقد عاش المعركة الحاسمة بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال والتي تمثّلت في اختبار القوة بين القصر والإقامة العامّة وانتهت بنفي الملك محمّد الخامس وأسرته في غشت سنة 1953 إلى كورسيكا ثمّ إلى دغشقر في يناير 1954 وبرجوع العائلة الملكية في 1955 وباستقلال المغرب في مارس سنة 1956. وفي هذه المرحلة أبان رغم يفاعة سنّه عن حسّ وطني وسياسي وعن تمسّكه بقيم عليا لم يحد عنها رغم الإغراءات والتهديدات الاستعمارية والتقلّبات السياسيّة. ويسجّل له التاريخ أنّه رفض بنخوة ووفاء وبعد نظر، اقتراح فرنسا على محمّد الخامس في 16 أكتوبر سنة 1954 بواسطة الدكتور Dubois-Roquebert بأن يتنازل لابنه الأصغر عن العرش لحلّ الأزمة التي خلقها الاستعمار بعد نفي الملك وأسرته، ورفض المغاربة لمحمّد بنعرفة وثورتهم عليه، وتصاعد المقاومة المسلّحة. وكانت فرنسا ترى في ذلك وسيلة للخروج من المأزق الذي وضعتها فيه الإقامة العامّة وحلاّ وسطا بين تعنّت هذه الأخيرة وتمسّكها بضرورة تنازل محمّد الخامس عن العرش، وتمسّك هذا الأخير بالشرعية والنضالية. كما كانت تعتبر اقتراح "ملك ثالث" كفيلا في نفس الوقت بإعادة الاستقرار للبلاد والحفاظ على العرش.

ومنذ وفاة الملك محمّد الخامس في فبراير سنة 1961 وتولّي أخيه الأكبر مولاي الحسن بحكم مقتضيات الدّستور، عرش المغرب، قام الأمير مولاي عبد اللّه بدور الجنديّ

المجهول. إذ حرص وسط تغيّرات المعطيات السياسية والفكرية والاقتصادية، وتضارب المصالح، على المحافظة على العلاقة التي رسّخها محمّد الخامس بين العرش والشّعب فقد كان بوّابة القصر على هموم الشعب وبوّابة الشّعب على القصر. وساعده على ذلك طبيعته المتفتحة وكرمه واحترامه حقّ الاختلاف وقدرته على الإصغاء واعتناؤه بكلّ من يلجأ إليه. كما ساعده على ذلك شخصية رفيقة حياته وبعد نظرها واتساع ثقافتها السياسية، ممّا جعل من بيته ملتقى لجميع المشارب السياسية والثقافية والاجتماعية ومختبرا للتّيّارات التي تتجاذب البلاد. وقد قام مولاي عبد اللّه بهذا الدّور إلى وفاته مع ما كان يحمله ذلك من صراع بين شخصيتين قويتين تربّتا معا في حضن ملك يتمتّعان معا بإشعاعه ومرجعيته. ولكن الالتزام بالمصلحة العليا للبلاد كان يشكّل الصخرة التي تكسّرت عليها كلّ الخلافات ممّا حال دون إحداث شرخ في هذه العلاقة. فقد بقي الأمير مولاي عبد اللّه عضدا قويا لشقيقه الملك الحسن الثاني، وشاركه كلّ المحن التي عصفت بالمغرب. إذ كان أوّل من جرح في محاولة انقلاب 10 يوليوز 1971 في القصر الملكي بالصخيرات. كما كان من بين ركاب الطائرة العائدة بالملك من فرنسا للمغرب في 16 غشت سنة 1972 حينما حاولت إسقاطها عناصر من الجيش كانت تتمتّع بثقة العاهل المغربي رغم تحذيرات شقيقه كما تعرّض بيته للقصف في نفس اليوم.

وإلى جانب دوره السياسي الدّاخلي، قام بدور سياسي خارجي ساعد على الحفاظ على الاستقرار في المنطقة وبناء علاقات جهوية ودولية متينة لعبت فيها شخصيته المتفتحة ودماثة خلقه وحسّه السياسي المرهف دوراً مهمّا. فقد ترأس أوّل وفد زار الجزائر بعد الاستقلال. وأبرم البلدان خلال هذه الزيارة مجموعة من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والثقافية كانت رصيدا لما تبعها من امتداد في علاقات المغرب مع باقي دول المغرب الكبير. كما ترأس وفد المغرب للقمّة العربية التي انعقدت في الإسكندرية في شهر أغسطس سنة 1964 وفيها أقام علاقات صداقة شخصية لصالح المغرب مع الرّئيس جمال عبد النّاصر، ومع الملك فيصل، ومع ملك المملكة الأردنية الحسين وأخيه وولّي عهده آنذاك الأمير الحسن. وقام أيضا بزيارة لإيران عام 1969 أقنع خلالها الشاه بإعادة النظر في علاقته مع إسرائيل، ممّا مهّد لمشاركته في أوّل قمّة إسلامية انعقدت في المغرب، بعدما كانت عدّة دول إسلامية تعترض على دعوة الشاه لحضور المؤتمر بسبب العلاقات الاقتصادية والتجارية التي كانت بلاده تقيمها مع إسرائيل .. وترأس كذلك الوفد المغربي في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية في إثيوبيا. كما قام بزيارات رسمية لعدد من الدّول العربية والأسيوية، من بينها لبنان، والعراق، والباكستان، والصّين، واليابان، وأفغانستان، متنت العلاقات الثنائية ومهّدت لزيارة رؤسائها للمغرب. وقد جاء تعيينه ممثّلا شخصيا للملك الحسن الثاني سنة 1972 كاعتراف بقدراته الدّبلوماسية وبلورة للجهود التي قام بها على الصّعيد الدّاخلي والخارجي.

ثم كانت استقالته سنة 1974 من هذا المنصب دون أن تجعل حدّا لهذا التألّق ولتؤكّد التزامه رحمه الله بما كان عليه من المبادئ.

وقد كان لا ستقرار حياة الأمير العائلية ولشخصية المرأة التي اختارها شريكة لحياته أثرهما الكبير في مسيرته السياسية الداخلية والخارجية، وفي صموده أمام عوامل الإحباط التي واجهها في طريقه.

ففي سنة 1960 تعرّف على لمياء الصلح التي كانت طالبة في السوربون Sorbonne وكان هذا اللّقاء تدخّلا من الأقدار للجمع بين ذرّية رجلين عظيمين ناضل أحدهما في المشرق، والآخر في المغرب من أجل قضية واحدة هي استقلال العالم الإسلامي. فقد قاد رياض الصلح - الزعيم اللبناني - معركة تحرير لبنان وكانت له كذلك مواقف قوية من أجل حرّية المغرب سواء في نطاق جامعة الدّول العربية أو على المستوى الدّولي. ولكنّ يد الإجرام اغتالته في مدينة عمان سنة 1952. وهكذا لم يتح له مشاهدة الملك محمّد الخامس بطل تحرير المغرب وهو يزور لبنان ويصحب معه شيخ الإسلام محمّد بن العربي العلوي ليتولّى بنفسه خطبة كريمته إلى ولده الأمير مولاي عبد اللّه. وإذا كانت الأقدار لم تتح لهما معا حضور حفل الزفاف الذي أقيم في القصر الملكي بالرّباط سنة 1961 والذي ربط المغرب بالمشرق، فقد عمل الزوجان على المحافظة على هذه الرابطة التي تجذّرت بميلاد الأمير مولاي هشام سنة 1964 والأميرة لالة زينب سنة 1972 والأمير مولاي إسماعيل سنة 1981. وبقيت الأميرة لمياء بعد وفاة رفيق عمرها مرتبطة عضويا وعاطفيا بالمغرب ولم تعد لمسقط رأسها حيث ذكريات طفولتها وصباها وعائلتها ذات المكانة العالية في لبنان، مفضّلة البقاء في البلد الذي قضت فيه شبابها، وتبنّته وتبنّاها، مسخّرة وقتها للعمل الاجتماعي وخصوصا لفائدة فئة من أكثر فئات المجتمع حرمانا، وهم المكفوفون.

توفّي الأمير مولاي عبد اللّه بالرّباط يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل عام 1404 موافق 20 دسمبر 1983. وقد كان تشييع جنازته الذي حضرها عفويا ما يفوق مليون مغربي من مختلف نواحي البلاد ومن جميع الطبقات الاجتماعية، دليلا على أنّ الشعب المغربي كان يعترف بالدّور الذي قام به الأمير في الخفاء وفي نكران الذات لتحسين أحوال البلاد. كما أن جنازته كانت دليلا على نجاحه في إنقاذ الأواصر المتينة التي بناها محمّد الخامس مع شعبه، إذ كانت هذه الجنازة المؤثّرة مناسبة عبّر فيها الشعب من جديد عن ولائه وتعلّقه بالملكية.

مصادر شفوية.

Hassan II, *Le défi*, Albin Michel, Paris, 1977.

ثريّا برادة

عبد المالك بن **إسماعيل** بن الشريف، العلوي السلطان كنيته أبو مروان. تسمى أمه معزوزة من قبيلة بني مالك (زهر *الآكام*، ص. 222) يبدو أن نفوذها داخل البلاط كان محدوداً، إذا ما قيس بنفوذ كل من خناثة بنت بكار وعائشة الرحمانية. له أخوان شقيقان هما عبد الرحمان والحسين (زهر *الآكام*، ص. 209).

لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولا عن مستواه العلمي. تذكره المصادر لأول مرة، في سياق الحديث عن توزيع السلطان المولى إسماعيل أعمال المغرب على أولاده الكهول سنة 1111 / 1700. فكان من نصيبه ولاية درعة التي نزل قصبتها (أغلان)، و "رتب معه ألف فارس" (*إتحاف*، 5 : 298). واستمرت ولايته عليها حوالي ثلاث سنين، إلى أن ثار عليه أخوه المولى أبو النصر الذي طرده عنها. ففر إلى ضريح مولاي إدريس بزرهون، مستجيراً به (*الاستقصا*، 7 : 90)، خوفا من والده الذي كان ينزل بمن يرتكب مثل تلك الفعلة أشد العقوبة.

وبالرغم عن أن المصادر تلزم الصمت عما جرى بين الابن المخلوع وبين والده، فالظاهر أن لجوءه إلى الضريح المذكور قد نتج عنه عفو السلطان. كما تلزمْ الصمت عن بقية أخباره إلى حين وفاة والده، سنة 1139 / 1727 ؛ حيث يطفو من جديد على السطح. ذلك أننا نجده واليا على جهة سوس، التي كان يديرها انطلاقا من تارودانت (زهر *الأكام*، ص. 214). وبالرغم عن أننا لا نعرف متى أسند إليه أمر تلك العمالة، فمن الممكن أنه قد وليها بعد القضاء على ثورة محمد العالم. ومن ثم، فإننا لا نستبعد أن المترجم كان يومئذ، لا يزال منتفضا بسوس، لأنه "بويع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائر بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه"، حسبما جاء عند القادري (*النشر*، 3 : 299). وهذا ما أكده الريفي حيث انفرد بالإشارة إلى أن أحمد الذهبي وجه أخاه المولى عليا لمحاربة عبد المالك الذي زحف إليه من تارودانت. فالتقى الجمعان بظاهرمراكش، حيث كانت الدائرة على جيش الأمير علي، الذي لاذ بالفرار. فاستولى أبو مروان على محلته ومضاربه وأثقاله، واحتل المدينة المذكورة (زهر *الآكام*، ص. 215). لكن أحمد الذهبي عاود أخاه بالحرب، فكانت المناجزة بين الطرفين على مشرع أحمي، انهزم فيها المترجم، واضطر إلى الرجوع إلى تارودانت. لكنه لم يستسلم، بل عاد لمحاربة أخيه مرة أخرى. فكانت المواجهة بينهما بموضع يدعى بولخراص، من بلاد الشياظمة. وعلى الرغم من أنها كانت مقتلة عظيمة ؛ فلم تنجل عن هزيمة أي منهما (م. س. ص. 216). ومن خلال ما تكرر في المصادر، يظهر أن المترجم كان مخالفا لجل إخوته، من حيث السلوك. ذلك أن كثيراً من الإخباريين يكن له التقدير والاحترام. فقد وصفوه بالحزم والنجدة، والضبط وحسن السيرة والسياسة. بل منهم من نعته بالنسك (م. س. ن).

لذلك لم يتردد العلماء عن مبايعته لما رأوا من استشراء الفساد في عهد أخيه السلطان أحمد الذهبي، ولأنه "كان أنسب حالا بالخلافة" منه (*أعلام المراكشي*، 8 : 376). وهكذا اتفق كبار جيش العبيد، الذين استبدوا بأمر الملك، حتى صاروا يتحكمون في التولية والعزل ؛ على خلع أحمد وبيعة عبد المالك. قيل إنهم فوضوا للعلماء والاودايا في أن ينظروا في ذلك الأمر. وفي ذات الوقت بعثوا برسلهم مع جريدة من الفرسان إلى المترجم، الذي هب لتلبية ندائهم. ولما سمعوا بوصوله إلى وادي بهت ركبوا لملاقاته احتفاء به، بعد أن اعتقلوا السلطان المخلوع بداره، وشددوا في حراسته (*البستان*، القسم الأول، ص. 227، *إتحاف*، 1 : 280). وكانت بيعته بفاس في 8 شعبان عام 1140 / 21 مارس 1728 ـ ونصها من إنشاء أبي مدين الفاسي ـ بينما تأخرت البيعة العامة، التي تمت بضريح مولاي إدريس بزرهون ستة أيام، بعد ذلك (زهر *الآكام*، ص. 221 و*البستان*، م. س. ص. 227 هامش 4 ؛ *إتحاف*، 5 : 306). وخطب به على المنابر أول مرة يوم الجمعة رابع عشر شعبان. وكان دخوله مدينة زرهون يوم تاسع رمضان. وهناك لحق به أعيان فاس والقبائل المجاورة. وفي اليوم الموالي دخل مكناس، حيث تلقاه وجوهها على اختلاف طبقاتهم، وقدموا إليه بيعتهم. وفي 23 رمضان ابتدأ قراءة *صحيح البخاري*. وبعد الانتهاء من مواسيم العيد، شرع في مباشرة دواليب المخزن (*إتحاف*، 1 : 280).

وبما أن عبد المالك كان يميل إلى الحزم، وكان سلوكه مخالفا تماما لسلوك سلفه، سيما في ميدان العطاء ؛ فقد خاب أمل العبيد فيه. تذكر المصادر أن العادة جرت بأن يقدم السلطان راتب البيعة. ولما طلب عبيد البخاري ذلك الراتب أعطاهم المترجم أربعة آلاف مثقال. وكان راتبهم في عهد السلطان إسماعيل مائة ألف. ولما بويع السلطان أحمد، زادهم فيه خمسين ألفا. "فلما رأوا من عبد المالك هذه المسخرة وهذا التقصير، تكلموا بخلعه" ؛ على حد تعبير الزياني (*البستان*، ص. 228). والحقيقة أنه حاول أن يتملص من شطط العبيد وجشعهم، فلم يزدهم في العطاء. كما أن الوضع السياسي، في البلاد عامة، لم يكن قابلا للرتق، بسبب ثقل إرث العهد المنصرم.

ولما علم العبيد بأن المترجم حاول استمالة البربر وغيرهم من القبائل، والتقرب منهم لكسر شوكتهم، قلبوا له ظهر المجن. وحين أستيقن من مكرهم، لم يواجههم مباشرة ؛ لأنه كان يعلم بعدم قدرته عليهم، بل بعث إليهم بنقيب زاوية وزان ليتوسط بينه وبينهم ؛ فما زادهم ذلك إلا نفورا واستعلاء. فانطلقوا من مشرع الرمل قاصدين دار الملك، فنهبوا وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله، ونصر أحمد الذهبي من جديد. وفي ذات الوقت بعثوا بالرسل للإتيان بهذا الأخير من تافيلالت. كان ذلك يوم الإثنين 24 من ذي الحجة 1140 (*معلمة المغرب*، الذهبي، ص. 4159).

ولما بلغ عبد المالك ما فعله العبيد لاذ بالفرار إلى مدينة

فاس، لأن أهلها ظلوا متمسكين ببيعته، باستثناء الاوداية الذين انشقوا عنه. وكان دخوله المدينة المذكورة يوم ثاني محرم عام 1141، حيث استوطن دار القيطون. وفي يوم السبت تاسع محرم ضرب عليهم أحمد حصارا دام حوالي خمسة أشهر ؛ ذاق السكان أثناءه كل ألوان العذاب، حتى كانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان مدينة فاس ؛ سيما حين اقترن الحصار بقطع الماء.

وأخيراً استجار عبد الملك بضريح مولاي إدريس، ظانا أن ذلك قد ينجيه. لكن رؤساء العبيد، بزعامة سالم الدكالي، أوهموه بعهود ومواثيق كاذبة، حتى اطمأن لقولهم وخرج معهم ؛ فسلموه لأخيه أحمد الذهبي الذي كان كامن في انتظاره بدار الملك بفاس الجديد. يوم الخميس الحادي والعشرين جمادى الأولى عام 1141 (*زهر الأكام*، م. س. ن، *إتحاف*، 1 : 292).

ولما اشتد المرض بأحمد الذهبي أمر أخويه، محمداً ولد اعريب وسليمان ولد الجامعية، وجماعة من العبيد أهل مشورته، بقتل المترجم، "ليلا من غير أن يشعر به أحد". فخنقوه ليلة الثلاثاء رجب، عام 1141 / 2 مارس 1729. ودفن بمقبرة الشيخ محمد بن عيسى.

الريفي، *زهر الأكام* ؛ القادري، *نشر المثاني*، 3 ؛ *التقاط الدرر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *البستان* ؛ *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 7 ؛ أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 و3*المنزع اللطيف* ؛ *العلائق السياسية* ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2 و8، معلمة، الذهبي، 4154.

Braithwaite, *Histoire des révolutions* ; J. De Léon, *Vie de M. Ismail* ; Th. Pellow, *Relation* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles* ; M. Morsi, *Les Ahansala* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

عبد المالك بن **زيدان** بن أحمد المنصور السعدي، أبو مروان. تولى الملك من محرم 1037 / شتنبر - أكتوبر 1627 إلى 6 شعبان 1040 / 10 مارس 1631.

بويع بعد وفاة والده، وثار عليه أخواه الوليد وأحمد، فحاربهما وهزمهما، فالتجأ أحمد إلى فاس حيث بويع وضرب السكة باسمه، بينما استقل عبد المالك بمراكش وأحوازها. حاول ربط الصلة بأنكلترا فوجه إليها سنة 1628 سفارة على رأسها المقدم أحمد بوعلي. وفي السنة الموالية وفد عليه المبعوث الإنجليزي هاريسون يطلب منه التوسط عند أهل سلا لوقف الهجوم على السفن البريطانية، بعد أن احتدت العلاقة بين سلا وانكلترا بسبب رفض ملك ابريطانيا المصادقة على الهدنة المقترحة من سلا بحجة أنهم خارجون عن طاعة سلطانهم.

وفي سنة 1629 وصل إلى سلا المبعوث الفرنسي رازيلي Razilly ومنها بعث رسالة إلى عبد الملك يدعوه إلى تجديد ما هو معقود بين البلدين من صلح. ثم التحق بأسفي وتوصل من عبد المالك برسالة تؤمنه في الطريق، وكان هدف الزيارة الحصول على عدد من الأسرى الفرنسيين مقابل هدية تقدم للسلطان.

توفي عبد المالك بمراكش 6 شعبان عام 1040 / 10 مارس 1631.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء.

S.I.H.M., Biographie de Moulay Abd El Malek, Série Sâadienne, t. III, p. 377.

عبد اللطيف الشاذلي

عبد المالك بن **عبد السلام** بن سيدي محمد بن عبد الله، الملقب بالزيزون، كان والده مولاي عبد السلام الضرير عاملاً بتارودانت وسوس وخليفة لوالده سيدي محمد بهذه المنطقة. وبما أن والده كان ضريراً فقد أصبح عبد الملك الذي كان حسب الضعيف "شهماً فارساً شجاعاً" يزاول شؤون الحكم بحاضرة سوس ويربط علاقات وطيدة مع أعيانها. وبعد وفاة السلطان سيدي محمد في سنة 1790 أصبح عبد الملك الزيزون هو المتصرف الفعلي في شؤون بلاد سوس، خاصة عندما كان عمه مولاي اليزيد منشغلاً بتمهيد المناطق الشمالية. ولم يكن بوسع اليزيد في هذه الظروف إلا أن يقبل بالأمر الواقع ويقره على ما كان بيده من سلطة بناحية سوس، خاصة عندما ورد عليه بهدية هامة على رأس أعيان الناحية.

ولم يكن عبد الملك الزيزون المتصرف الوحيد في منطقة سوس. فقد أدت الاضطرابات التي كانت تعيشها البلاد في الشمال إلى تقلص ظل المخزن جنوب الأطلس وبروز تنافس قوي بين الزيزون وعمه عبد الرحمان للاستحواذ على المنطقة والاستفادة من تجارتها الصحراوية الهامة. وبعد حروب طويلة بينهما استطاع عبد الملك الزيزون أن يُبعد عبد الرحمان عن تارودانت وأكادير ويرغمه على الاستقرار بسوس الأقصى. ولما دخل المولى سليمان مدينة مراكش لأول مرة سنة 1797 وفد عليه عبد الملك الزيزون بهدية كبيرة من العبيد والإماء، فلما شاهد السلطان مظاهر الثروة التي كان يتصرف فيها الزيزون وانحياش أهل سوس إليه تخوف منه ومن أطماعه في الاستقلال فأمره بالتوجه إلى مدينة فاس والاستقرار بدار أبيه هناك. ومع ذلك لم يطمئن المولى سليمان لبقائه بالغرب فألح على رحيله إلى تافيلالت. وعلى الرغم من هذا فان عبد الملك الزيزون حافظ على علاقات جيدة مع عمه الذي استعان به في حركة بني مطير في سنة 1802 عندما رأسه على قبائل الحوز المشاركة في هذه العملية العسكرية، كما نجده يتشفع لأيت عطة في سنة 1816 وهو ما يشير إلى أنه لم يبتعد نهائياً عن الحياة السياسية في ظل دولة المولى سليمان.

م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.

محمد المنصور

عبد المالك، المعتصم سلطان سعدي، حكم من أواخر ذي الحجة سنة 983 (أواخر مارس 1576) إلى وفاته يوم معركة وادي المخازن، آخر جمادى الأولى سنة 986 (4 غشت 1578).

ولد سنة 947 / 1541. كنيته أبو مروان ولقّبه الأتراك بالغازي، وكان لقبه الملوكي إبان حكمه المعتصم، وتسميه العامة سيدي ملوك.

كان له، كباقي إخوته أبناء السلطان محمد الشيخ المهدي، مشاركة في الحروب التي خاضها السعديون لتحرير الثغور التي كانت تحت الاحتلال البرتغالي، كما شارك في الحروب التي واجهوا خلالها الوطاسيين. وعندما استتب الأمر لمحمد الشيخ وَوَلّى أولاده على أقاليم البلاد، عَيَّنَ عبد المالك على سجلماسة ثم ألحق به أخاه أحمد الذي سيعرف فيما بعد بالمنصور الذهبي.

توفي محمد الشيخ قتيلا يوم 29 ذي الحجة 964 (23 أكتوبر 1557) فبويع بعده بالملك إبنه عبد الله (الغالب بالله). ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة عبد المالك وأحد إخوته - وهما في مدينة مكناس - خرجا منها فارين إلى أن وصلا إلى تلمسان، حيث أحسن استقبالهما. وتمت بين الأميرين والسلطان الغالب بالله مراسلات، أمّن من خلالها اللائذيْن بالترك، فعاد عبد المالك إلى فاس حيث اتصل بأمه وأخته، ثم ترك فاسا إلى تافلالت، حيث أقام مدة، إلى أن وصله أمر السلطان بمغادرتها، فخرج في أهله إلى تلمسان حيث التقى بأخويه عبد المؤمن وأحمد، ومن تلمسان أخذ الإخوة يشنون الغارات على شرق البلاد وتمكنوا من احتلال واحة فكيگ مدة. وخلال ذلك نظم عبد الله الغالب مكيدة تمكنت من اغتيال عبد المؤمن، فترك عبد المالك وأخوه أحمد تلمسان إلى الجزائر.

لم يكن عمر عبد المالك عندما استقر في الجزائر يزيد عن سبع عشرة سنة. ولم تكن إقامته في الجزائر إقامة لائذ أو لاجئ بقدر ما كانت إقامة مشارك في الأحداث التي تعرفها المنطقة كلها ؛ فقد شارك في معركة ليبانتو سنة 1571 وأُسِرَ وسُلِّمَ لملك إسبانيا فيليب الثاني، وبعد أشهر قليلة أُطلِقَ سراحه ووصل إلى إصطنبول، ومنها التحق بالجزائر سنة 1572. وقد تمكن عبد المالك بفضل هذه التحركات من التعرف على عدد من رجال الحرب والسياسة في الجزائر، بل وفي الامبراطورية العثمانية. فقد ربطته صلات صداقة ورفقة بباشا الجزائر علج علي الذي سيسميه السلطان أميرالا عاما للأسطول العثماني. كما ربطته نفس الصلات بأحد كبار قراصنة الجزار، الرايس مراد، الذي زوجه ابنته، وكان من بين أهم المناصرين له والداعمين لمشروعه بالعودة إلى المغرب. كما تمكن خلال إقامته هاته من تكوين شبكة من الأنصار والمساعدين، أوروبيين ومغاربة، كانوا يطلعونه على تفاصيل التطورات التي تعرفها أوروبا في ذلك العهد، ويعدون - بما يجرونه من اتصالات مع المتعاونين معهم في بلاط الغالب بالله والمتوكل من بعد - عودة عبد المالك إلى المغرب.

لم يبد السلطان العثماني سليم الثاني كبير تحمس لمساعدة الأمير المغربي. غير أن المعطيات العامة في حوض البحر الأبيض المتوسط تغيرت، بعد أن تمكن العثمانيون من إعادة بناء أسطولهم الذي دمره الإسبانيون في معركة ليبانتو، واستعدوا لتنفيذ مشاريعهم في شمال إفريقيا، وهكذا، وبعد تولية السلطان الجديد مراد الثالث سنة 1574، انطلقت عملية عودة عبد المالك إلى المغرب بمساعدة من الأتراك.

رافق عبد المالك حملة بحرية تركية تمكنت من تحرير تونس من الاحتلال الإسباني سنة 981 / 1574. وقد بادر عبد المالك بإبلاغ والدته خبر هذا الانتصار - وكانت سحابة الرحمانية مقيمة في اصطنبول - فأبلغت الخبر إلى السلطان العثماني، واستغلت المناسبة لتحصل منه على وعد بمساعدة ابنها للدخول إلى المغرب.

التحق عبد المالك بالجزائر ومعه أمر السلطان العثماني لحاكمها من قبله بمساعدة الأمير المغربي.

توفي السلطان عبد الله الغالب يوم 27 رمضان 981 (10 يناير 1575) وبويع بعده ابنه محمد الملقب بالمتوكل على الله. وقد بدأ استعداد عبد المالك لدخول المغرب أواخر سنة 1575، ورافقه في عودته إلى المغرب قوة يقودها رمضان باشا قوامها ستة آلاف من المشاة المسلحين بالبنادق وألف من قبائل زواوة وثمانمائة فارس واثني عشر مدفعا. والتزم عبد المالك بأداء ما قدره خمسمائة ألف أوقية ذهبا، راتبا للقوة التركية المرافقة له. ووصل عبد المالك إلى ضواحي فاس حيث اصطدم بابن أخيه محمد المتوكل في معركة الركن، والتحق بعض قواد جيش المتوكل بعبد المالك، فانهزم المتوكل ودخل فاسا ومنها إلى مراكش. فدخل عبد المالك مدينة فاس، أواخر ذي الحجة 983 (أواخر مارس 1576) وبويع بها.

تمكن عبد المالك من التخلص من جيش الأتراك الذي رافقه من الجزائر بعد أن أدى له ما تم الاتفاق عليه من مال، واسترضاه بسلاح وتحف ونوادر، واحتفظ بألف وخمسمائة جندي، فرقهم على أنحاء البلاد.

يجب أن توضع الأحداث التي عرفها المغرب في هذه الآونة، ومساعدة الأتراك لعبد المالك، في إطار الصراعات الدولية التي كانت تعيشها الدول العظمى آنذاك. ولم يكن وصول القوات التركية إلى المغرب لمجرد مساعدة المعتصم، حيث يظهر أن عبد المالك وعد الأتراك بمال كثير وبالتنازل لهم عن العرائش، كما أن الإمبراطورية العثمانية كانت تعمل على بسط سيطرتها على باقي إفريقيا الشمالية. ولعل لذلك علاقة باستعداد إسبانيا لاحتلال العرائش، وكذا بداية تفكير البرتغاليين بقيادة الدون سبستيان في الهجوم على المغرب. كما نضع في هذا الإطار توصل عبد المالك برسالة من إسبانيا تنبهه إلى خطر التعامل مع الأتراك وتعرض عليه

التحالف معها ضدهم، وتشترط تسليمها كل مراسي المغرب تجنبا لوقوعها في يد الأتراك.

عمل عبد المالك على تقعيد ملكه والتخلص من ابن أخيه محمد المتوكل، فكان اللقاء عند واد الشراط قرب سلا، وانهزم المتوكل، ولاحقه عمه أحمد إلى أن دخل مراكش نائبا عن أخيه بها، بينما فر المتوكل إلى سوس. وبعد معارك كان النصر فيها حليف الأخوين عبد المالك وأحمد، فر المتوكل إلى بادس ومنها إلى سبتة ثم طنجة مستصرخا بملك البرتغال.

وفي هذا الوقت، كان عبد المالك يجري عدداً من الاتصالات لمواجهة المشروع الذي كان يعد له البرتغاليون. فقد بعث لويس كابريت ـ وهو رحالة ومغامر من أصل فرنسي، سبق أن تعرف عليه عبد المالك أثناء إقامته في الجزائر واستصحبه معه إلى المغرب، حيث أقام مدة ـ إلى فرنسا وإسبانيا يخبر بانتصاراته، ووصلت إلى المغرب وفود تهنئة البلدين. كما وفد عليه سنة 1577 مبعوث إنجليزي هو Admon Hogan موفدا من قبل ابريطانيا يعرض عليه عقد تحالف بين الدولتين.

وقد عمل عبد المالك على التعريف بشخصيته ومؤهلاته في الأوساط الأروبية، فاتصل براهب إسباني يدعى خوان بوتيستا Juan Bautista وكلفه بتحرير كتاب ـ شعرا ونثرا ـ يخلد فيه انتصاراته. وقد تم ذلك بالفعل وطبع الكتاب في بلنسية.

يبدأ الكتاب بقصيدة شعرية تمجد عبد المالك، ثم يستعرض تاريخ السعديين الأوائل، فيذكر قصة التجاء عبد المالك وأخيه أحمد إلى القسطنطينية واتصاله بالسلطان العثماني، ثم عودته إلى المغرب عبر طرابلس والجزائر، ثم المعارك التي دارت بينه وبين المتوكل إلى أن انتصر ودخل مراكش حيث بويع خليفة. بعد ذلك يورد الكاتب قصيدة من 1410 بيت تصف ما تقدم، ثم قصيدة في شرح اسم عبد المالك ثم ثالثة تبين كيف أعاد هذا السلطان للمغرب عظمته وأمجاده. ويتبين من هذه العملية الحس السياسي الذي ميز السلطان عبد المالك وحرصه على تقديم صورة مثالية عنه وعن طريقة تعامله إلى القراء والمسؤولين في إسبانيا. وبالإضافة إلى ذلك كان عبد المالك يتقن عدداً من اللغات الأجنبية، كالإيطالية والإسبانية والتركية، وقد استفاد خلال إقامته الطويلة في اصطنبول للتعرف على التنظيمات السياسية والعسكرية التي كانت تسير على نهجها الامبراطورية العثمانية، واستغل ذلك في تنظيم الجيش بعد عودته إلى المغرب ومبايعته. فإليه يعود الفضل في ترتيب الجيش وتحديد طريقة لباسه وتقسيمه إلى فرق مختصة. كما اشتهر عنه أنه كان يتزيى بزي الترك ويجري مجراهم في كثير من شؤونه.

توفي عبد المالك زوال يوم معركة وادي المخازن، في التاريخ المذكور. ويظهر ألا أساس للرواية الذاهبة إلى أنه اغتيل بسم وضع له في حلوى على يد أحد الأتراك فقد كان مريضاً منذ دخوله مدينة فاس، وكان مرضه ظاهراً عليه، وقال عنه الراهب الإسباني أنه "منذ دخوله فاس إلى هذا اليوم، انتابته أمراض خطيرة"

م. الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، 1419 / 1998 ؛ ع. الملك المعتصم، *مجلة المناهل*، العدد 13، ص. 7. كتاب الراهب خوان بوتيستا عن مولاي عبد المالك، تقديم وتعليق مرسيديس غرثيا أرنال، تعريب آمنة اللوه، مجلة البحث العلمي، العدد 34، ص. 113.

H. Triki, *Abdelmalek As-Saadi. De l'exil à la royauté (1557 - 1578)*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

عبد الواحد أكمير

ابن **عبد الملك، محمد** بن **محمد** بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي. ينتمي إلى أسرة مراكشية نبيهة، كان والده من أهل العلم، ذكر ولده أنه تلا بالقراءات السبع على أبي الحسن الأخفش نزيل مراكش وروى عن أبي البركات عمر بن مودود الفارسي الذي ورد على مراكش في عهد الرشيد الموحدي وسمع منه الحديث وكتب الرقائق والتصوف، وكان صديقا لأعلام مراكش كأبي عبد الله ابن الطراوة صاحب خطة الإشراف في عهد الرشيد وأبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي الملقب بالمسلهم، وقد وصفه بعضهم بالفقيه المقرئ ووصفه آخر بالشيخ، أما أم ابن عبد الملك فيستفاد من إشارة في الذيل والتكملة أنها بنت أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الفاسي الذي كانت له صلة مصاهرة مع الخليفة يوسف بن عبد المومن.

في هذه الأسرة ذات الحظوة في مراكش وفي دار كبيرة بالحومة التي كان يسكنها وجهاء الحضرة ولد ابن عبد الملك ليلة الأحد 10 ذي القعدة سنة 634 وقد خَلّد هذا التاريخ في هذا الرجز اللطيف :

إعلم أن مولدي بالحضرة	مراكش العلياء ذات الإمرة
بُعَيْدَ هدء قد مضى من ليلةَ	في ليل يوم الأحد العاشرةَ
من شهر ذي القَعدة من أربعةَ	تتلو الثلاثين وستّ المائـةَ

كانت دراسة ابن عبد الملك في مدينة مراكش على عدد من الشيوخ الذين كانت تزخر بهم عاصمة الإمبراطورية الموحدية، وقد أحصيت من شيوخه ما ينيف على خمسين شيخا ممن أخذ عنهم في مراكش وغيرها، ولعل أولهم هو أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عتيق تلا عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، وقرأ عليه الجمل للزجاجي وحماسة أبي تمّام، ومن شيوخ ابن عبد الملك أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي وهو إشبيلي قدم على مراكش بعد عام 650 أي بعد سقوط إشبيلية عام 646 وابن عبد الملك يذكر ما قرأ على هذا الشيخ فيقول : "وقرأت عليه كثيراً من الحديث والآداب وتلوت عليه بعض القرآن برواية ورش وتدربت بين يديه في علم العروض وصنعة الحساب وعمل الفرائض وأجاز لي إجازة عامة" ويقول عنه أيضا : "ولقد ذاكراني بمسائل وأنا ابن ست عشرة سنة أو نحوها فذكرت له ما عندي فيها ثم حين وَقَفْت

عليها مقيدة بخطّه وقد ختمها بقوله : أفادينها الطالب الأنجب الأنبل أبو عبد الله ابن عبد الله ابن عبد الملك حفظه الله". وهذا يدل على نبوغ التلميذ وتواضع هذا الشيخ الذي كان الجار الجنب لشيخ آخر من مدينة إشبيلية أيضا هو أبو الحسن الرعيني صاحب البرنامج المعروف وهو يعتبر أبرز شيوخ ابن عبد الملك صحبه نحو خمسة عشر عاماً وقرأ عليه علوم الحديث والفقه والأصول والكلام والعربية والأدب، وقد تحدث ابن الزبير صاحب الصلة عن تنويه الرعيني بتلميذه ابن عبد الملك فقال : "وكان الكاتب أبو الحسن الرعيني يستحسن أغراضه ويستنبل منازعه وكتب له على بعض كتبه بخطه بصاحبي ومحل ابني وفائقي نباهة خاطره وذكاء ذهنه وكان يفخر بذلك" وتوجد إجازة الرعيني لابن عبد الملك في نسخة خطية من برنامج الرعيني وقد تولّى هذا الشيخ خطة الكتابة الديوانية لمختلف الأمراء والمتأمّرين في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وجاء إلى مراكش فولى الكتابة عن الخلفاء الموحدين المتأخرين ويبدو أنّه كان له دور في نمو الحس التاريخي لدى ابن عبد الملك ولاشك أن هذا الحس ازداد بصلته وأخذه عن شيخ آخر هو المؤرّخ أبو محمد حسن ابن القطان مؤلف كتَاب نظم الجمان وغيره وقد كان هذا المؤرخ ووالده من رجالات الدولة الموحدية ويمكن القول إجمالاً بأن ابن عبد الملك تثقّف على الطبقة العالية من علماء الحضرة المراكشية وقتئذ كالفقيه القاضي أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن القشاش والفقيه قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى المدعو بالشريف شهرة لانسبا والمؤرخ الأديب الكاتب أبي عبد الله ابن الطراوة والمحدث الأديب أبي عبد الله محمد بن علي ابن هشام والأديب المترسل الشاعر أبي الوليد محمد بن إسماعيل ابن عفير اللبلي والأديب الكاتب أبي الحسن الجياني وأبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم الذي ولي قضاء الجماعة بفاس للمرينيين وأبي محمد عبد الواحد بن مخلوف المشاط قاضي الجماعة بمراكش في آخر أيام الموحدين وغير هؤلاء ممن ذكرتهم بتفصيل في مقدمة تحقيقي للسفر الثامن من *الذيل والتكملة*.

وقد انتفع ابن عبد الملك ببعض هؤلاء الشيوخ في الطريقة الأدبية ويعنى بها صناعة الشعر والكتابة والنقد واكتسب من آخرين ما يتعلق بالتاريخ ومعرفة الرجال والنقد التاريخي، واستفاد أيضا من العلماء الوافدين على مراكش من المشرق كالفارسي أبي البركات عمر بن مودود والدمشقي أبي عبد الله ابن الحنبلي وابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات وغيرهم، كما أنه رحل إلى بعض المدن للقاء علمائها كآسفي وسلا وفاس وسبتة وتلمسان والجزيرة الخضراء وقد تحدثت عن هذه الزيارات بتفصيل في المصدر الذي ذكرته آنفاً.

وقد كان ابن عبد الملك شديد الولع بالكتب في مختلف العلوم ووقف على عدد هائل من المخطوطات وكوّن مكتبة ضخمة وتيسر له ذلك بفضل وفرة المخطوطات التي جلبت إلى مراكش من مختلف الجهات كما أن ظروفه المالية كانت تساعده على اقتنائها وإن القارئ للذيل والتكملة ليرى بوضوح المدى البعيد الذي بلغ إليه في القراءة والاطلاع حتى أصبح مرجعا لا يضاهى في البحث التاريخي والأدبي والضبط الحديثي واللغوي. وقد عاش ابن عبد الملك سبعين سنة تقريبا ثلاثون منها في العهد الموحدي وأربعون سنة في عهد بني مرين أي أنه عاصر نهاية دولة وقيام دولة أخرى، وشهد عدداً من الأحداث في العهدين كان آخرها حصار تلمسان الطويل في عهد السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني حيث إنه توفي بتلمسان الجديدة - وهي التي بنيت خلال الحصار - وذلك في أواخر المحرم سنة 703 حين توجّه إلى المحلة الكائنة بها، ويبدو أن توجهه هذا كان بأمر السلطان، ومن المعروف أن ابن عبد الملك شغل منصب القضاء بحضرة مراكش في عهد السلطان المذكور.

لقد اشتهر ابن عبد الملك بإنجاز عمل كبير هو مؤلفه *الذيل والتكملة، لكتابي الموصول والصلة*. وهو أكبر معجم قديم للأعلام في تاريخ المغرب أنه يتالف من تسعة أسفار ويقول ابن الزبير الغرناطي صاحب ابن عبد الملك عن هذا الكتاب ما يلي : "وعلى هذا الكتاب عكف عمره.. لأنه ألزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به من استيفاء مالم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحميدي ولا ابن الفرضي ومن سلك مسلكهم" وفي هذا الكتاب الذي وصلت إلينا معظم أسفاره تتجلى ثقافة ابن عبد الملك الكبيرة وسعة اطلاعه وقوة نقده وقيمته العلمية والأدبية والتاريخية.

مقدمة السفر الثامن من *الذيل والتكملة* للدكتور محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984.

محمد بن شريفة

عبد المؤمن بن عمر المريني (أمير) بايعه أولاد حسين من ذوي منصور من المعقل سنة 764 / 1363 ليزاحموا به ملك أخيه عبد الحليم الذي قرب منه أعداءهم الأحلاف، وزحفوا به على سجلماسة، ونصبوه ملكا وخلعوا أخاه. وبقي عبد المؤمن على بره لأخيه عبد الحليم موفيا حقه موجبا تجليته إلى حين انصرافه إلى المشرق برسم الحج (*الإحاطة*، 3 : 533).

ولا تمدنا المصادر بمعلومات كثيرة عن سلطنته بسجلماسة، وإن كنا نعرف أنه لم يستطع مد نفوذه على مناطق بعيدة عنها، وأن فترة حكمه عرفت اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون ذوي منصور من المعقل فيما بينهم.

حاول الوزير عمر بن عبد الله المستبد بفاس القضاء على إمارة عبد المؤمن بسجلماسة، فعمل على إذكاء الصراع بين أولاد حسين والأحلاف لإضعاف جانب عبد المؤمن. كما تحالف مع عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بجهات مراكش واتفقا على اتصال اليد ضد عبد المؤمن. ثم جهز حملة على سجلماسة في نفس سنة تولية عبد المؤمن عليها أو كل أمر

قيادتها للوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي الذي لم يجد أدنى صعوبة في دخولها، في حين فر عنها عبد المؤمن باحثا عن مكان آمن، فراسله عامر بن محمد الهنتاتي وأمنه ودعاه للحاق به، حتى إذا وصله قبض عليه وثقفه واعتقله بمعقله بالجبل ثم نقله إلى مراكش وأدخل سجن قصبتها حيث بقي في معتقله إلى أن قتله الأمير أبو الفضل بن أبي سالم سنة 769 / 1368 (*الإحاطة*، 3 : 534 و*العبر*، 7 : 425 و*الاستقصا*، 4 : 53 و*سجلماسة*، 270 / 271).

ابن خلدون، *العبر*، ج 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ح. حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، فضالة، المحمدية، 1979.

ابن **عبد النبي** أسرة سلوية نبيلة، أصلها من تطوان، جدهم هو علي المنظري زعيم الجالية الأندلسية التي هاجرت من غرناطة إلى مدينة تطوان سنة 888، وجددت هذه المدينة وأعمرتها. ويتصل نسب المنظري بالصحابي سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم القرشيين.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **بنعاشر** السلوي. ولد بمدينة سلا عام 1298 وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم بروايتي ورش وحمزة، ودرس على شيوخ العلم بمسقط رأسه بالجامع الأعظم والزاوية الناصرية وغيرهما من مساجد المدينة، وأشهر شيوخه بها المفتي الشهير أحمد ابن الفقيه الجريري، وعليه اعتمادة، والفقيه علال الثغراوي. وحوالي سنة 1321 رحل إلى فاس حيث مكث سنين طوالاً يدرس على عدد وافر من علماء القرويين أمهات كتب التفسير والفقه والأصول والحديث ومصطلحه والعقائد والسيرة وغيرذ لك من العلوم الإسلامية. وممن أخذ عنهم بفاس أحمد ابن الخياط الزكاري ومحمد بن قاسم القادري ومحمد بن جعفر الكتاني وأبو شعيب الدكالي والقاضي عبد الله ابن خضراء.

ولما رجع إلى مسقط رأسه أخذ يتطوع بإلقاء دروس متنوعة في مختلف مساجد المدينة، ولازم من جديد دروس شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري بضريح سيدي أحمد حجي إلى وفاته. ثم عين مدرساً بمدرسة أبناء الأعيان سلا وأستاذاً بثانوية مولاي يوسف بالرباط نحو 18 سنة. إلى أن عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط ورقي مستشاراً به. وبعد الاستقلال عين مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام، فكان فارس الفرسان في هذه المجالس العليا لتمكنه من فروع الفقه وأصوله واستظهاره النصوص الفقهية دونما حاجة إلى مطالعة أو مراجعة. وكان يرأس في نفس الوقت لجنة امتحانات شهادة العالمية بجامع القرويين.

كان المترجم إلى جانب مهامه الرسمية يقوم بالإفتاء تطوعاً على عادة شيخه الجريري، يسأله الناس في الطريق فيفتيهم، ويطرقون بابه فيفتح لهم بالليل والنهار ويفيدون من علمه وخبرته، في بشاشة ودماثة أخلاق. كما خلَفَ شيخه الجريري في إلقاء دوس بضريح سيدي أحمد حجي، فكانت مجالسه مقصودة من الطلبة والعامة على السواء، لبساطة عبارته وحسن تفهيمه. وقام مدة غير قصيرة بالخطابة في الجامع الأعظم أيام الجمعة، والمصلى بالعيدين. وكان يعدّ شيخ الجماعة بدون منازع.

لم يؤلف كتاباً وإنما جمع طائفة من الأحكام التي حررها أيام عمله في القضاء فكان يدرسها في آخر عمره مع بعض طلبته، كما جمع جملة من فتاوى شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري، كتبها محررة مضبوطة بخطه الجميل، منها صورة مخطوطة في خ. ص. وقد طبعت بالدار البيضاء سنة 1994 ضمن منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا بتحقيق مصطفى التجار.

حضر المترجم حفلة عيد الشباب بالقصر الملكي بالصخيرات التي هاجم فيه طائفة من الجنود المتمردين القصر وأصيب برضوض في ذراعه، وقتل بجانبه ولده عبد الرحمن آتي الترجمة فتدهور ت صحته إلى أن توفي ليلة الأربعاء 21 محرم 1392 ودفن خارج باب معلقة بعد أن صلى عليه في الجامع الأعظم.

معرفة شخصية ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. النجار، تقديم *النوازل الفقهية*، الدار البيضاء، 1991 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **محمد** بن بنعاشر السلوي ابن أخي المترجم قبله. ويعرف بالفقيه ابن عبد النبي الصغير تمييزاً له عن عمه شيخ الجماعة. ولد يوم 2 ربيع الثاني عام 1338 / 25 دجنبر 1919 بمدينة سلا وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة والدين قبل أن يرحل لطلب العلم بالقروين بفاس.



ولما رجع إلى مسقط رأسه عين مدرساً للعربية بمدرسة البنات، وجمع بين التدريس وخطة العدالة، ثم أسندت إليه إدارة عدة مدارس ومجموعات مدرسة بالقنيطرة وسيدي

يحيى الغرب وعين عتيق وسلا. وقام بالخطابة والإمامة بجامع سيدي أحمد حجي وإلقاء دروس فيه ثم بالجامع الأعظم فكان محمود السيرة ميمون النقيبة على سنن أهله. وكان دروسه في السيرة النبوية بضريح سيدي أحمد حجي

توفي بمسقط رأسه فجر يوم السبت سابع ذي الحجة عام 1421 / 3 مارس 2001 وأقيم بمنزله حفل ترحم ليلة عيد الأضحى أبّنه فنه جماعة من أصدقائه : أبو بكر القادري وعلي العلوي، وأحمد السوسي التناني بقصيدة مؤثرة.

معرفة شخصية ؛ أ. السوسي التناني، جريدة سلا *الغد*، عدد 63.

ابن **عبد النبي، عبد الرحمن** بن **أحمد** بن بنعاشر السلوي. ولد بمدينة سلا وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة، عربية أصيلة على يد والده وفقهاء المدينة، وعصرية في مدرسة أبناء الأعيان ثم ثانوية مولاي يوسف. وبعد البكالوريا أقبل على الدراسات القانونية إلى أن حصل على الإجازة ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وكان في دراساته القانونية على اتصال بولي العهد آنذاك الأمير الحسن، إذ كان من مراقبي الدروس بالمدرسة المولوية.

وقد نُفي المترجم أثناء الأزمة المغربية إلى الجنوب، وبعد الاستقلال تبوأ مناصب ديبلوماسة وإدارية وتعليمية سامية، فعين سفيراً للمغرب بلبنان، ثم نائب عميد كلية الحقوق بالرباط وأستاذاً بها، وفي نفس الوقت عين مستشاراً بالغرفة الإدارية بالمجلس الأعلى، وأخيراً أسندت إليه إدارة المدرسة الإدارية مع التدريس بها وبكلية الحقوق.

كان المترجم نموذجاً حيّاً لوالده في الجد والاجتهاد والتواضع ودماثة الأخلاق، يشارك بفعالية في الحملات الوطنية لمحو الأمية وتأطير الشباب إلى أن توفي قتيلاً في هجوم الجنود المتمردين على قصر الصخيرات يوم عيد الشباب السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 عاشر يوليوز سنة 1971.

معرفة شخصية، ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 330 ـ 331 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

ابن **عبد الواحد، محمد** الفاسي، ولد بفاس سنة 1869، وبعد تخرّجه من القرويين التحق بالبلاط بصفته كاتبا للسلطان مولاي الحسن الأول، ثم كاتبا لخلفه السلطان عبد العزيز، وجدير بالإشارة أن المترجم له كان من المقربين إلى مَحمد الجباص، حيث رافقه إلى الجزائر بصفته كاتبا للوفد المغربي في البعثة المشتركة للحدود (1903 ـ 1904)، وقد أثمرت جهود الجباص عن توقيع اتفاقيتين بالجزائر، 27 أبريل و7 ماي 1902 (انظر مادة الجباص). وبعد اندلاع فتنة الروگي بوحمارة استعجل السلطان عبد العزيز عودة مَحمد الجباص إلى المغرب لتولي وزارة الحربية في نهاية شهر دجنبر 1903، فظل محمد بن عبد الواحد بالجزائر على رأس الوفد المغربي رفقة ولد الجباص إلى أن صدر له الأمر بالعودة إلى المغرب سنة 1904، وقد برز بشكل لافت للنظر أثناء الصراع الذي قام بين السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ، حيث شغل منصب نائب وزير الحرب، وشارك في مسيرة عبد العزيز نحو مراكش، حيث جرح في المعركة التي انتهت بانهزام الجيش العزيزي (19 غشت 1908)، وسيراً على نهج حاميه مَحمد الجباص أعلن محمد بن عبد الواحد ولاءه للسلطان عبد الحفيظ، بعد أن صفا الجو لهذا الأخير، ونظراً لاطلاعه على قضايا مناطق الحدود بحكم تجربته السابقة، اقترحه الجباص ليكون كاتبا أولَ ومستشاراً للمندوب السامي عبد السلام بن عبد الصادق إبّان تعيين هذا الأخير في هذا المنصب في 24 فبراير 1910 (انظر عبد السلام بن عبد الصادق)، وبهذه الصفة كان ينوب عن المندوب المذكور لما تفجّرت قضية فساد إداري بوجدة في أكتوبر 1911 (انظر مادة طوطي).



وبعد إعفاء عبد السلام بن عبد الصادق من مهمته في 6 يناير 1912، عيّن المخزن محمد بن عبد الواحد مندوبا ساميا لمناطق الحدود بناء على الترشيخ الذي اقترحه الجباص وأيّدته المفوضية الفرنسية بطنجة، التي كان مقربا منها باعتراف السلطات الفرنسية نفسها، وظل يشغل هذا المنصب طيلة 9 سنوات (1918)، وبعد ذلك انتقل للعمل بالرباط ثم بالدار البيضاء.

بهيجة سيمو، *الإصلاحات العسكرية بالمغرب*، 1844 / 1912، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، الرباط، 2000 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين* (1900 ـ 1912)، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
Le livre d'or du Maroc, Paris, 1934-1935.

عكاشة برحاب

عبد الواحد بن **يوسف** الموحدي (المخلوع) 620 ـ 621 تعكس هزيمة العقاب 609، ما صار إليه أمر الدولة الموحدية من ضعف وعدم استقرار. فقد تراكمت منذ مدة، عدة مشاكل تتعلق بثورة بني غانية والاضطرابات التي أحدثتها القبائل العربية والزناتية ببلاد المغرب، وتراخي العمال بالأقاليم

وضعف الجبايات، علاوة على تهديدات النصارى لبلاد الأندلس، والتي عرفت أوجها بعد معركة العقاب التي خرج منها الموحدون بعصبية ضعيفة، لما كان من تصفية الناصر لعدد من أشياخ الموحدين. فكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة احتضار طويلة عرفت ظهور ونجاح الحركة المرينية، وانقسام الصف الموحدي بفعل أطماع الشيوخ ومنافسات السادة، وتراجع نفوذ الموحدين بالمغرب الإسلامي.

وصل أبو محمد عبد الواحد بن يوسف إلى الحكم في صفر 620 / 1223 في ظل ظروف زادها تولي سنوات الجفاف والمجاعة تعقيداً وشدة. وكان فريق من الأشياخ الراغبين في إصلاح أحوال الموحدين، قد أمالوا الكفة لصالحه لما اشتهر به من صلاح حال وفضل وورع. وإن كان في الأصل زاهداً في الحكم وغير عابئ بإغراءاته.

بقي عبد الواحد مدة يسيرة في الحكم، لم تتجاوز ثمانية أشهر، خطب له في جميع البلاد الموحدية، باستثناء مرسية التي كان ابن أخيه العادل والياً عليها، ومنها انطلقت حركة مناهضة لعبد الواحد بن يوسف، قادها الوزير ابن يرجان وبعض السادة الموحدين بالأندلس، وكتب عبد الله العادل إلى أشياخ الموحدين بمراكش يدعوهم إلى مبايعته وخلع عبد الواحد وأغراهم بالمال والمناصب الرفيعة، فاتفقوا على تنحية عبد الواحد بن يوسف وهددوه بالقتل، فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل في شعبان من عام 621. ثم عادوا إليه أياما فيما بعد وخنقوه حتى مات، فنهبوا قصره واستولوا على أكثر كتب خزانته.

وكان عبد الواحد أول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن، وقد رأى بعض المؤرخين في ذلك سببا لذهاب ملكهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، القسم الأول، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، 1995.

محمد فتحة

ابن **عبد الوارث، أحمد** بن محمد بن الشيخ أبي البقاء عبد الوارث اليَلْصوتي، بتقديم اللام على الصاد، وليس العكس، كما هو شائع في كثير من الدراسات. واليلصوتي، نسبة إلى يلصو، بفتح الياء، وسكون اللام، وضم المهملة، وبعده واو ساكنة، وكأنه اسم أعجمي، وهو اسم أحد أحفاد إبان ابن الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان.

وكان أبو اليمن يلصو الأموي القرشي جد اليلصوتيين، قدم إلى المغرب، في فترة مبكرة من زمن الفتوحات الإسلامية بالمغرب، صحبة الأمير موسى بن نصير، في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (86 ـ 96 / 705 ـ 715)، وذلك في حدود سنة 90. بل يذكر أن يصلو كان قائداً من قواد الفتح في جيش ابن نصير. وقد طاب لأبي اليمن المقام في قبيلة الاخماس، واتخذها داره حتى لقي الله، ودفن بها، "... وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلة من شفشاون، نفع الله به، فكان معجزة تلك القبيلة، ومظهر المجد فيها، ومطلع أقمار العربية القرشية، حتى صارت تنسب إليه، فيقال القبيلة اليلصوتية ..." (*الروضة المقصودة*، ج 1 : 460، *الحياة السياسية*، ص. 452 ـ 471).

وقد تكاثر اليلصوتيون، على مر السنين، وتفرقوا في القبائل والمدن، وظهرت منهم عائلات كبيرة بأسماء مختلفة، منها أسرة الوارثيين أولاد سيدي عبد الوارث، نسبة إلى الشيخ الشهير أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي المتوفى عام 971 / 1564. وكان هذا الأخير من اليلصوتيين الذين انتقلوا إلى قبيلة بني زروال. وفي هذه القبيلة اشتهر أمره، وكان سبب شهرته علو مقامه في عالم التصوف، وتصدره للمشيخة في الزاوية التي أسسها في مدشر بني دركول، بفرقة أولاد قاسم من قبيلة بني زروال، وبها ضريحه (*دوحة الناشر*، 5، *ممتع*، 117). وقد خلف أبو البقاء عبد الوارث في مدشر بني دركول ذرية اشتهر منها، بعده، حفيده أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي (*التقاط*، 59، *نشر*، 1 : 175). وهذا يعني أن أحمد بن محمد بن عبد الوارث وارثي يلصوتي عثماني قرشي أصلا، زروالي مولدا ونشأة. وقد نسب إلى جده فعرف بأبي العباس أحمد ابن عبد الوارث.

وكان أبو العباس بن عبد الوارث من رجال التصوف، مثل جده، ومن شيوخ الطائفة الجزولية بالذات، باعتباره من أصحاب مولاي بوشتى الخمار (ت. 997 / 1588)، دفين جبل أمركو، بقبيلة فشتالة في أحواز ورغة، شمال غرب فاس (*التقاط*، 59، *نشر*، 1 : 175)، علماً أن هذا الأخير كان قد لقي كبار شيوخ الطريقة الجزولية، وفي مقدمتهم عبد الله الغزواني، وارث حال عبد العزيز التباع خليفة محمد بن سليمان الجزولي. بل يذكر أن مولاي بوشتى الخمار قصد أبا البقاء عبد الوارث اليلصوتي، جد المترجم له، وخدمه في زاويته ببني زروال مدة حتى كان منه ما كان. وهو من أصحاب عبد الله الغزواني. ومما يذكر في هذا الصدد أن أبا البقاء عبد الوارث" ... أعطاه عند مسافطته أثاثا، وهو مقص وإبرة وحلقة خياطة، وقال له هذه أمانة تؤديها لصاحبها"، مشيراً لي ما يكون لحفيده أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الوارث على يد مولاي بوشتى (*ممتع*، 73).

وفضلاً عن انتمائه للجزولية، يعتبر مولاي بوشتى الخمار من "كبار أهل الأحوال الربانية والجذب ودوام الغيبة"، بل يعتبر من الشيوخ في هذا الشأن، وتخرج على يديه كثير من أمثاله من أهل الأحوال والجذب والبهللة، حتى قيل إن أكثر البهاليل في المغرب في زمانه ممتدون منه (*ممتع*، 73).

وقد دخل أبو العباس أحمد بن عبد الوارث هذه المدرسة، وصحب شيخها مولاي بوشتى الخمار، وظل "عنده سنين في سلسلة، وهو في بيت ثم أطلقه"، مشيراً بذلك، من دون شك، إلى كمال حاله. وقد تخرج على شاكلة شيخه ورفاقه، من أهل الأحوال الفياضة. بل لقد ظل مرتبطاً بشيخه ارتباطا

وثيقا حتى بعد رحيله إلى زاوية أهله في بني زروال، حتى قيل إنه "كان غائباً في شيخه يرى كل خير منه، ويجلس في بلاده مستقبلا جهته، ويتغنى به، يقول :

آسيدي بوشتا مولى عينـي   لولا أنت آش يكن أنا منـي

وقد اشتهر أمره كثيراً في زاوية جده بقبيلة بني زروال، وقصده الزوار من كل مكان، وصار له التلميذ الكثير، فانتفع به الزوار، وظهرت على كثير ممن صحبه آثار الخصوصية (نشر، 1 : 175 ـ 176).

ولعل أهم ما اشتهر به هذا الرجل، إلى جانب الحال الفياض، أمران آخران، هما : اهتمامه بالذكر والحضرة، ونهيه عن اتباع الرخص. ومما يؤثر عنه في هذا الصدد أنه أوصى بعض أصحابه فقال : يافلان إن كنت تذكر الله فنعما، وإلا فارقد. كما يؤثر عنه أنه اجتاز يوماً على عين ماء وعليه جوار يسقين، فتقدم رجل ممن معه إلى العين، فصاح به الشيخ أن ارجع من أجل من في العين. فقال له الرجل إنما هن جوار صغار، فقال له الشيخ رضي الله عنه : "إنهن كالعقارب كبارهن تلدغ وصغارهن تلدغ" (نشر، ج 1، ص. 176، *الإكليل والتاج*، 156).

وعلى غرار سمو مكانته الاجتماعية، كان لأحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي اعتبار وشفوف عند ملوك زمانه، المنتمين إلى دولة الأشراف السعديين. وقد وصل هذا التقدير مداه في عهد السلطان زيدان بن أحمد المنصور. ففي أيام هذا الرجل حظيت الزاوية الوارثية، وشيخها بظهير مهم، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله عن الأمر العلي المولوي السلطاني الزيداني الهاشمي الحسني، أيده الله تعالى بعزيز نصره، وأمده بمعونته وسره، إلى المرابط الخير الأرضى المرعي الملحوظ السيد أحمد بن عبد الوارث، وصل الله رعيكم وأجمل سعيكم، سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد :

فكتابنا هذا إليكم، وأن خديمنا الأرضى الفقيه منصور بن محمد أنهى لعليّ مقامنا ما كان من وقوفكم مع محلتنا وسعيكم الجميل أمام جيوشنا وقيامكم أحسن قيام في مرضاتنا، فشكرنا ذلك منكم شكراً جميلاً بكم، والمعتقد فيكم، فأنتم من أولياء هذا الجانب العلي وأصفيائه فشدوا أرواحكم فيما يتعلون به المزيد من رضى الله تعالى ورضانا وكونوا عندما هو معهود منكم ومعروف لكم من المساعي التي ترضينا عنكم وما طلبتموه من الخمسة أزواج التي تعودتم أخذها إعانة للزاوية فقد أبقيناها وأبحنا لكم أخذها، وكذلك ما عهد لزاويتكم من التوقير أسدلناه عليها بحيث لا يروم هضم هذا الحرم الذي تعودتموه من الجانب العلي أسماه الله فقد أوجبه إليكم، والسلام، في ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (*قبيلة بني زروال*، ص. 56).

ومرد اهتمام السلطان زيدان بشيخ الزاوية الوارثية في بني زروال، من دون شك، إلى المساعدة التي كان يتوخاها منه في خضم الخلاف الذي نشب حول السلطة بين أبناء أحمد المنصور السعدي. ومن ثم، ليس غريبا إذا علمنا أن أبا العباس أحمد بن عبد الوارث توفي مسموما إبان ذلك النزاع. وكان ذلك في 25 ذي الحجة 1020 فبراير 1613، ودفن بزاويتهم المذكورة في بني زروال، إلى جانب جده أبي البقاء عبد الوارث (*التقاط*، ص. 59). ومن مشاهير أحفاده المتأخرين : الشيخ الصوفي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي، المتوفى في فاس في أوائل ربيع النبوي عام 1243، وضريحه بزاوية عم جده سيدي عبد الوارث الصغير، الواقعة بزقاق الحجر من فاس القرويين (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222 ـ 223).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، 1397 / 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 ؛ الفاسي محمد البشير، *قبيلة بني زروال*، مطبوعات إفريقيا الشمالية التقنية، 1962 ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 1 ؛ محمد بن الطيب القادري، *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ محمد بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، تح. مارية دادي، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، دراسة وتح. عبد العزيز تيلاني، نشر مؤسسة أحمد بن سودة، فاس، 1994 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 1 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1402 / 1982.

عبد الوارث بن **محمد** بن أحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي، ويدعى المترجم عبد الوارث الصغير تمييزاً له عن جده الأكبر (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

عاش في فاس، واشتهر بالتصوف، مثل جده أبي العباس أحمد، وجده الأكبر أبي البقاء عبد الوارث، دفيني الزاوية الوارثية في فرقة أولاد قاسم، بقبيلة بني زروال. ولذلك يقال عنه في كتب التراجم بأنه من سلالة الأخيار، ونجل الأولياء الأبرار، كما يحلى بالرجل الصالح، الدين، الأرضى، الخير، وما شاكل ذلك من نعوت أهل الصلاح (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

وإذ استفاد من أهله في هذا الشأن، فإن للشيخ أبي سرحان مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة في فاس الفضل الأكبر في تربيته، وإليه ينسب في طريق القوم. وكان شيخه هذا من رفاق جد المترجم له، أبي العباس أحمد بن عبد الوارث اليلصوتي، في صحبة مولاي بوشتى الخمار في زاوية

هذا الأخير بقبيلة فشتالة شمال غرب فاس (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). وهذا يعني أنه جزولي السند، وأنه كان من أهل الأحوال والحضرة في التصوف، على غرار رفاقه في نفس الزاوية.

وبعد التخرج، بنى عبد الوارث الصغير زاوية قرب داره بزقاق الحجر من فاس القرويين (*نشر*، 2 : 156 ؛ *سلوة الأنفاس*، 1 : 222) وتصدر فيها للمشيخة، فكان يجمع فيها أصحابه، ويقرأون الأحزاب وغيرها، فكانوا يقرؤون صباحا العشرات، وحزب الفلاح، وصلاة مولاي عبد السلام بن مشيش، والحزب الكبير للشاذلي، ومساء حزب الفلاح، ولا إله إلا الله مائتين. وكان يعمل الحضرة، ولا تعمل إلا بمحضره، ولم يكن يتحرك إلا أنه يهتز عند السماع يميناً وشمالاً، وهو جالس (*الروض*، 419، *نشر*، 2 : 156).

وهذا يعني أن طريقة هذا الرجل اعتمدت على الحضرة، بالفعل، وأنه كان له أصحاب، كما كان له أتباع يهتدون بهديه (*التقاط*، 168). بل يفهم من سيرته أنه كان ذا وجاهة في البلاد (*الروض*، 418 ـ 419). وظل كذلك إلى أن توفي يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة 1076 / 1665، ودفن بزاويته المذكورة (*نشر*، 2 : 156)، وقبره بها يزار (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). ومن أشهر أبنائه الشيخ الصالح البركة علي بن الوارث الصغير، المتوفى في 7 جمادى الأولى 1090 / 1697، دفين نفس الزاوية.

م. القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 2 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 2.

أحمد الوارث

ابن **عبد الوهاب**، أسرة تطوانية شريفة من ذرية مولاي عبد الوهاب بن عبد الكريم بن محمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

ابن **عبد الوهاب، أحمد** بن عمر ولي صالح عاش بتطوان فيما بين سنة 1110 وسنة 1130 (1699 ـ 1718) ويوجد ضريحه بحومة النيارين يعرف بسيدي بن عمر.

ابن**عبد الوهاب، أحمد** بن محمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1299 (1882).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

ابن **عبد الوهاب، الطاهر** بن محمد فقيه بايع الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1820).

ابن**عبد الوهاب، محمد** بن الطاهر عالم تولى خطة القضاء بتطوان من سنة 1156 إلى 1160 (1743 ـ 1747)، وفي سنة 1217 (1802) .كما كان قاضياً بقبائل بني عروس وبني يدر والغربية سنة 1211 (1796).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، عالم تولى خطة القضاء بتطوان سنة 1122 (1710).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، فقيه كان ممن شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في شهر صفر 1180 (يوليوز 1766).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى خطة العدالة بتطوان من سنة 1217 إلى سنة 1243 (1802 ـ 1827) ومات سنة 1251 (1835).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى الخطبة بمسجد العيون إلى أن وافته المنية عام 1267 (1851).

ابن **عبد الوهاب، محمد** المكي بن المهدي بن أحمد ابن عبد السلام. عالم تولى الامامة والخطبة والتدريس بجامع القصبة، ووقع صك بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1276 (1859) وصك بيعة السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1290 (1873).

توفي بتطوان يوم 8 ذي القعدة 1297 (12 أكتوبر 1880) ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

ابن **عبد الوهاب، المهدي** بن أحمد بن عبد السلام فقيه كان من بين أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820).

محمد ابن عزوز حكيم

عبدة هي إحدى القبائل المعقلية التي استقرت في بداية القرن الخامس عشر الميلادي بالجهة الغربية لإقليم أسفي. وكان مصدر هذه الهجرة من الجنوب. ويرجع نسبهم إلى ذوي عبيد الله (الأسعد، 2000).

أصل ذوي عبيد الله (عبدة) المعقلي

اليمن

↓

معقل

↓

جشم

↓

سحير — محمد

↓

ذوي عبيد الله

(عبدة)

تتكون قبيلة عبدة من خمس فخذات وهي :

ـ البحاترة الشمالية : توجد بالشمال الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غربا وتحدها قبيلة ثمرة شرقا والبحاتر الجنوبية من جهة الجنوب وقبائل دكالة من جهة الشمال الشرقي.

ـ البحاترة الجنوبية : توجد بالجنوب الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غرباً وقبائل شياظمة من الجنوب والجنوب الغربي وفخذة عمر شرقا وفخذة ثمرة من الشمال الغربي.

ـ ثمرة : توجد بالجهة الشمالية لتراب عبدة : يحدها من الغرب فخذة البحاترة الشمالية ومن الشرق تحدها فخذة الربيعة ومن الجنوب تحدها فخذتا عمر والبحاترة الجنوبية. أما من الشمال فتحدها قبيلة دكالة.

ـ الربيعة : توجد بالشمال الغربي لتراب عبدة ويحدها من الغرب فخذة ثمرة ومن الشرق والشمال قبيلة دكالة ومن الجنوب الشرقي قبيلة أحمر ومن الجنوب الغربي فخذة عمر.

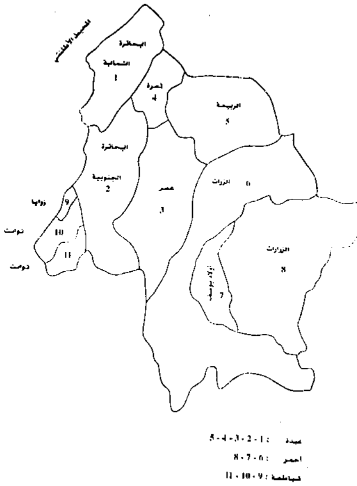
ـ عمر : توجد بالجنوب الشرقي لتراب عبدة ويحدها من الجهة الغربية فخذة البحاترة الجنوبية ومن الشمال الغربي فخذة ثمرة ومن الشمال الشرقي فخذة الربيعة أما من الجهة الشرقية فتحدها قبيلة أحمد ومن الجنوب قبيلة الشياظمة.

يبلغ عدد سكان عبدة حسب إحصاء 1994 ما يقارب ست مائة ألف نسمة، يقطن نصفهم (49.87٪) بالحواضر ؛ أهمها مدينة أسفي حاضرة عبدة وإقليم أسفي أيضاً ؛ إذ يفوق عدد سكانها أزيد من 260 ألف نسمة. وبذلك فهي تحتكر لوحدها 92 بالمائة من سكان حواضر عبدة. أما باقي الحواضر فهي مدن صغرى، مثل جمعة اسحيم شرق مدينة أسفي وجزولة الموجودة في جنوبها الشرقي.

يتوفر تراب قبيلة عبدة على مؤهلات طبيعية هامة. تتوزع التضاريس إلى ثلاث وحدات :

ـ مسطحة ساحلية بالجهات الغربية المحاذية للمحيط الأطلنتي، تشمل معظم تراب فخذات ثمرة والبحاترة الشمالية والبحاترة الجنوبية.

ـ تلال المويسات بالجنوب وتشمل جزءاً من تراب فخذة عمر.



التوزيع الجغرافي للفخدات قبيلة عبدة بإقليم أسفي

ـ سهل خصب تتكون تربته من الترس ويشمل تراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. يتميز المناخ بأنه جاف، إذ تقل التساقطات المطرية عن 300 ملمتر في السنة، إذا ما اعتمدنا المعدلات المطرية لمحطة مدينة أسفي. وتعاني قبيلة عبدة من ندرة المياه السطحية وقلة المياه الباطنية ؛ حيث لا يوجد بها أي نهر، باستثناء نهر تانسيفت الذي يحدها من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية، لكنه لا يستغل لمياه الشرب. أما المياه الباطنية فتتركز أساسا بالشمال الغربي بتراب فخذة البحاترة الشمالية.

أثرت المؤهلات سالفة الذكر على النشاط الفلاحي لقبيلة عبدة الذي يعتمد على الزراعة وتربية الماشية. تسود الزراعات الجافة وخاصة منها زراعة الحبوب مع تربية الغنم والبقر بتراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. أما الزراعة المروية فنجدها بجهتين : أولاهما بولجة عبدة بتراب فخذة البحاترة الشمالية والتي تنتج البواكر والخضر على مساحة تناهز 1500 هكتار، وقد كانت منتوجاتها موجهة إلى التصدير، لكنها عرفت تراجعا بفعل تقلبات الظرف الاقتصادي بتوسع السوق الأوروبية المشتركة. أما ثاني الجهات المروية فتوجد بالوسط الشمالي لتراب قبيلة عبدة أو بالشمال الغربي لتراب فخذة الربيعة، والتي تعرف بقطاع الزمامرة ؛ حيث يتم الري الحديث المؤطر من الدولة. تشمل المساحات المروية زهاء 3600 هكتار. يعتمد النشاط الزراعي على دورة ثلاثية تعتمد على زراعة الشمندر السكري ـ الذي يوجه للتكرير بمعمل خميس الزمامرة ـ علاوة على زراعة الحبوب والمزروعات العلفية. أما تربية الماشية، وخاصة منها

تربية الغنم فتسود بالمسطحة الساحلية التي تمتد على تراب فخذتي البحاترة وكذا بتلال المويسات جنوب تراب فخذة عمر.

توجد الأنشطة الصناعية بالحواضر مثل مدينة أسفي حاضرة عبدة التي تعتمد على الصناعات الكيماوية كما يوجد بها ميناء هام لترويج المنتجات الفلاحية لعبدة والحوز والمنتجات الصناعية للفوسفاط ومشتقاته. أما الصيد البحري فقد تراجعت أهميته رغم أنه كان يشكل النشاط الاقتصادي الأساسي لسكن عبدة إلى عهد قريب، هذا دون أن ننسى أهمية الصناعة التقليدية وخاصة منها صناعة الخزف التي اشتهرت بها مدينة أسفي حاضرة عبدة.

تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في "*تاريخ إقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة*" إعداد محمد الأسعد، دفاتر دكالة عبدة رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات، منشورات مؤسسة دكالة ـ عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 ـ 33.

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931.

محمد الأسعد

العبدري، محمد بن **بيش**، هو الفقيه محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري. يكنى أبا عبد الله، يعرف بابن بيش. أصله من غرناطة وبها ولد في رجب سنة 680 / 1281. انتقل إلى سبتة واستقر بها ردحا من الوقت قبل أن يعود إلى غرناطة بدعوة من وزيرها أبي عبد الله ابن الخطيب عقب لقائه به في سبتة. عرف بالنحوي اللغوي الأديب الشاعر الموثق الحافظ الراوية. اشتغل أيضا بالطب إلا أنه تعيش وأثرى من تجارة الكتب. قرأ على جملة من مشايخ بلده منهم أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي عبد الله بن رشيد والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي والأستاذ عبد الله بن الكماد. كما سمع على الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وقرأ بسبتة عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي (*الإحاطة*، 3 : 28). وفي سنة 752 / 1351 التقى بالقاضي أبي الحسن رضا بن رضا بسبتة وهي السنة التي التقى فيها بابن الخطيب الذي أجازه بدار الإنشاء عندما نزل بسبتة رسولا عن الإيالة الغرناطية لدى السلطان المريني. وكان موضع إقرائه بمسجد زقاق الفضل من سبتة. ومن تلامذته أبو عبد الله بن الأصفر النحوي (*بلغة*، 179) ولسان الدين ابن الخطيب (*نفح*، 5 : 384).

من أشعاره قوله مخاطبا أبا العباس العزفي أمير سبتة، وقد أهدى إليه أقلاما (*الإحاطة*، 3 : 29 ؛ *الكتيبة*، 90) :

أنا ملك الغر التي سيب جودها
يفيض كفيض المُزْن بالصيّب القطر
أتتني منها تحفة مل عدها إذا
انتُضيت كانت كمُرْهفة السمر
هي الصُّفرَ لكن تعلم البيضُ أنها
مُحكمة فيها على النفع والضر
مُهذبة الأوصال مَمْشوقة كما
تُصاغُ سهام الرّمْي من خالص التّبر
فقبلتُها عشرا ومثّلتُ أنني
ظَفِرت بَلَثْم في أناملك العشر

كما له قصائد مطولات في مدح ملوك بني نصر.

توفي سنة 753 / 1351، ودفن بباب البيرة من غرناطة (*الإحاطة*، 3 : 31).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 179 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 31.27 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص. 90 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388 / 1968، الجزء 5، ص. 385.384.

العبدري، محمد بن **حريث**، الفقيه محمد بن محمد ابن علي بن إبراهيم بن حريث العبدري القرشي. يكنى أبا عبد الله. بلنسي النسبة، سبتي الدار. ولد سنة 641 / 1244. أخذ عن عبد العزيز الحراني، وعبد المؤمن بن خلف التونسي، وأجازا له سنة 684 / 1285 (درة، 2 : 248). وهو مالكي المذهب. روى الموطأ عن ابن أبي الحسين ابن أبي الربيع عن ابن بقي. وأقرأ الفقه. وتفنن في العلوم والقراءات والعربية. يذكر عنه أنه فقيه مشارك، صاحب فنون، جليل القدرة، حسن الخط.. تولى إمامة الفريضة بجامع سبتة. كما ولي الخطابة بنفس المسجد مدة ثلاثين سنة، ثم تزهد، ووفق كتبه بألف دينار وعقاره وحج. ويذكر أنه حين هم بالتوجه إلى المشرق اختار الفقيه علي بن وشاش كخلف له في إمامة جامع سبتة (*بلغة*، 177)، وجاور مدة سبع سنين وتولى إمامة مسجد الحرمين وحدث به. توفي بمكة في جمادى الأخرى سنة 722 / 1322 عن سن تناهز إحدى وثمانين سنة (*الوافي*، 1 : 232 ؛ *الدرر*، 4 : 199 ؛ *شذرات*، 6 : 58).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 177 ؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في ذكر من ذهب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء السادس، ص. 58 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، دار الجيل، بيروت، الجزء الرابع، ص. 199 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 248 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ط. 1371 / 1962، الجزء الأول، ص. 233.

زوليخة بنرمضان

عبدوس (بنو ـ)، ويقال لهم أيضا العبادسة بيت كبير شهير من البيوتات التي كانت تسكن مدائن مكناس القديمة المندثرة، التي كانت تمتد ـ نحو 5 كلم ـ عند الشمال الغربي

لمدينة مكناس الحالية. وهم على حد تعبير ابن غازي في *الروض الهتون*، ص. 34، "وأظن أني وقفت في بعض التواريخ على أن بني عبدوس من جملة قرى مكناسة كبني برنوس، والمفهوم من ذلك أن أهلها من جملة قبائل مكناسة، وإليهم ينسب العبادسة من بني معطي أعقاب الشيخ الفقيه المدرس موسى العبدوسي".

وكانوا بيت علم أقام فيهم العلم ورياسته دهرا امتد من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، حتى في نسائهم، وآخر علمائهم كما جاء فيه ابن غازي : "أم هاني العبدوسية"

ابن غازي، *الروض الهتون*، المطبعة الملكية، الرباط، 1384 /1964، ص. 35.34 ؛ م. المنوني، *مدائن مكناس القديمة*، مجلة أعمال الحاضرة الإسماعيلية، 1988، ص. 181.

رقية بلمقدم

العبدوسي، عبد الله بن **محمد** بن موسى بن معطي المكناسي، إمام فقيه عالم محدث، حافظ متقن، وصفه ابن القاضي قائلا : "كان أسخى الناس، وإماما في نصح الأمة، أمات كثيرا من البدع الكائنة بالمغرب، وأقام الحدود والحقوق، وكان أكثر عمله فقه الحديث".

نشأ في بيت علم وحكمة، وتلقى تعليمه على يد والده فحفظ مختصر مسلم للقرطبي في كل خميس خمسة أحاديث، وكان أبوه يعطيه عليها درهما، كما أخذ عن فطاحل شيوخ العلم في وقته، فتكون تكوينا متينا في الفقه والحديث والعقائد وسائر العلوم الشرعية. بالإضافة إلى التحلي بأخلاق الصوفية على سنن أبيه.

ولي خطة الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها، ونقل الونشريسي في معياره جملة صالحة من فتاويه. وتولى في آخر عمره خطابة جامع القرويين بفاس، هذا إلى جانب التدريس فكانت أوقاته معمورة بالمجالس العلمية، وتخرج على يده عدة علماء أعلام من أمثال : ابن آملال والفقيه القوري، وأبو محمد الورياغلي ومحمد ابن غازي العثماني.

وكان محبا في الصالحين، معظما لآل البيت وكان يجل الإمام إدريس بن إدريس ويزوره وهو الذي أمر بكتابة ما على شاهدة قبره.

وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلا لا يعرف أنه له ليبيعه ليقتات بثمنه في رمضان. وكان لا يدخر شيئا حتى أنه لما توفي لم يوجد عنده في تركته غير برنس ودراعتين.

ألف العديد من الفتاوى إلا أنه لم يجمعها في ديوان.

توفي فجأة وهو يؤم صلاة المغرب في جمادى الثانية وقيل في ذي القعدة سنة 848 أو 849.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة أولى، مصر، ص. 306 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 4، ص. 502 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج. 2، ص. 425.

العبدوسي، موسى بن **محمد** بن معطي. أحد أعمدة الفقه المالكي بالمغرب، "علامة محصل ناقد خبير متضلع، مشارك مفت، مدرس، نفاع، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا في زمنه، آية في المدونة، وكان الشيوخ يقولون : "فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطي الحفظ فقط، ومن أعطي الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدي العبدوسي". (*الإتحاف*، 4، ص. 367).

أخذ عن عبد العزيز القوري، وعبد الرحمن الجزولي وغيرهم من أئمة المذهب المالكي، تولى مهمة التدريس بجامع القرويين، وكان يحضر مجلسه عدد من الفقهاء والصلحاء والمدرسون وحفاظ المدونة كما كان له إدْلال عجيب في إقراء التهذيب.

أخذ عنه عدد من الأئمة والفقهاء كالإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجي، وأبوعبد الله الهواري، وابن الخطيب القسمطيني، والحافظ عمران ابن موسى الجناتي.

ومن مؤلفاته : تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجناتي التقييد على المدونة في عشرة مجلدات.

توفي بمدينة مكناس عام 776.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، ص. 342 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*،4 ، ص. 367 ؛ *الإتحاف*، 3، ص. 190 و202 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الجزء 1، ص. 346.

العبدوسية أم هانئ بنت محمد بن موسى العبدوسي، عالمة تنتمي إلى أسرة علمية شهيرة في العصر المريني، درست الفقه على أخيها عبد الله العبدوسي خطيب جامع القرويين (ت. 848 / 1444). وصفها الشيخ أحمد زروق في *كناشته* بالفقه والعلم والصلاح، وأثنى عليها العلامة ابن غازي المكناسي، واعتبرها آخر فقهاء الأسرة العبدوسية. وكانت أختها فاطمة أيضاً فقيهة متضلعة في فقه القضاء.

توفيت أم هانئ سنة 860 / 1456 بعد أن اقترب سنها من المائة.

أ. التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 617 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 585 . 586 ؛ التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 96. 110 ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، 2 : 443.

محمد المغراوي

عبدون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الإسم Abdon ؛ وهو اسم قرية عبدون التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة وقد حطمها الإسبان سنة 1431. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1146.

محمد ابن عزوز حكيم

عبدون، صالح، مقاوم ولد سنة 1928 بتنانت دائرة أزيلال. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي بدافع حبه لوطنه وغيرته عليه، حيث انضم إلى فرقة تيزي وسلي تحت قيادة عبد السلام الذهبي.

وقد ساهم في العديد من العمليات والاصطدامات مع قوات العدو إلى حين حصول المغرب على استقلاله.

وقد انتقل إلى عفو الله بتاريخ 16 / 5 / 1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 504314.

العبدوني، محمد بن **عبد الكريم** الورديغي البجعدي الشهير باسم الفقيه ابن عبد الكريم، لا نعرف تاريخ ولادته ينتسب إلى قبيلة أولاد عبدون أو عيدون - بالياء - ولذلك سماه المستعرب بروفنصال وعبد السلام ابن سودة ومحمد المنوني العيدوني بالياء.

التحق بزاوية أبي الجعد وهو صغير السن وتلقى عن أشياخها وعلمائها، المواد التي كانت تلقن في الزاوية الشرقاوية كالفقه والحديث والتصوف والتفسير والبلاغة والأدب. ثم لازم الشيخ محمد الصالح ومن بعده محمد المعطى. وفي بداية أمره اختار شيخ الزاوية للقيام بمهمة التدريس والوعظ والإرشاد ببلاد زعير بطلب من أعيان هذه القبيلة. شكل محمد العبدوني إلى جانب الحسن المعداني أهم أطر الزاوية الشرقاوية الممارسين للتدريس والإقراء بمدرستها.

لازم المترجم الشيخ محمد المعطي لمدة اثنتين وأربعين سنة. حيث كان لا يفارقه في البدو والحضر، والظعن والسفر. فكان بمثابة كاتبه الخاص وأمين سره ومسجل تاريخ حياته. وقال العبدوني يصف هذه المعاشرة : "وكان رضي الله عنه حين تأليفه لكتاب *الذخيرة* هو المملي علي فيه، وأنا الكاتب وهو المؤلف له وأنا الصاحب... يسر بمرافقتي ويفرح بمعاشرتي...". وكان الشيخ محمد المعطى يثني عليه، ويعترف له بجهده وجلده ويقول إن ما يحضر له معه من الفتح والإلهام لم يكن يحضر له مع غيره. وكل الذين نقلوا عنه من أبناء الزاوية الشرقاوية يلقبونه بالرجل الصالح العالم الناصح.

مارس العبدوني مهنة الوراقة والنساخة وهو مخرج النسخة الأولى من كتاب *ذخيرة المحتاج* في خمسة وخمسين سفرا، وكان يكتب في بيت يسمى بيت الذخيرة أعده مؤلفها بدار سكناه خصيصا لانتساخ هذا الكتاب، على أن الوراق العبدوني انتسخ فضلا عن الذخيرة كتبا غيرها بلا عدد. ومن منتسخاته الأخرى برسم أستاذه جزء *في أحكام السهو في الصلاة* للمالقي (مخطوط خ. ح. 6875). ثم كتاب *المرج النضر والأرج العطر* (مخطوط خ. ح. 519). وبعد وفاة شيخه عزم على إعادة نسخ كتاب *الذخيرة* مرة ثانية وما إن بلغ فيه الجزء السابع حتى كف بصره.

وأشهر تأليف له *يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى*، ومناقب أبيه *محمد صالح الطيب الشيم والخطى، ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين بين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف في الأخذ والعطا*، عرف فيه بالشيخ الجليل صاحب كتاب *ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج* محمد المعطى بن الشيخ محمد الصالح الشرقي.

توفي العبدوني عام 1189 / 1776 ودفن بضريح شيخه محمد المعطى بجنب قبر سيدي محمد بن قاسم السجلماسي بمدينة أبي الجعد.

العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، ج. 2، ص. 503 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 236 ولم يترجم له واكتفى بذكر كتابه وسماه *العبدوني* ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه*، ص. 45 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ج. 1، ص. 242 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج. 1، ص. 225 ؛ *تاريخ الوراقة*، ص. 133 ؛ أحمد بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ج. 1، ص. 198.

أحمد إيشرخان

العبدوني النزاغي العربي، الفقيه الحاج العربي ابن الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة بن سيدي عبد السلام المدعو بولنوار، ينسبه إلى مولاي إدريس، حفيد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب (شجرة نسب العبدوني).

ويفهم من هذه السلسلة أن العربي العبدوني شريف النسب، من الفرع الحسني. لكنه اشتهر بالعبدوني (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319)، نسبة إلى قبيلة أولاد عبدون، الواقعة في تادلا. ومن أشهر آبائه، جده الثاني، سيدي عبد السلام بن عبد الله، المدعو سيدي بولنوار، وضريحه في القرية المعروفة باسمه أي بولنوار، غير بعيد عن مدينة خريبگة (*الزاوية النزاغية*، 16.15).

وفي أولاد عبدون، وربما في بولنوار، ولد العربي العبدوني. وإذا كنا لا نعرف تاريخ ميلاده، فإننا نعلم أنه توفي عام 1309 / 91ـ1892 (*المدرسة*، 69)، مما يعني أنه عاش معظم أيامه في أواخر القرن (13 هـ / 19 م). وفي أولاد عبدون تربى وتعلم. وكان معلمه الأول هو والده الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة العبدوني، إذ كان والده معلما للصبيان في أحد الكتاتيب القرآنية بأولاد عبدون. وقد أقرأه القرآن، وما تيسر من العلوم القرآنية، ثم أرسله إلى المدارس المجاورة لمواصلة تعلمه. وهكذا درس بالزاوية الشرقاوية في أبي الجعد، وفي زاوية الشيخ الحاج أحمد التاغي الحمداوي (ت. بين 1268 و1276)، في بزام بالشاوية، وفي زاوية الفقيه الحاج محمد بن أحمد بن دحو الأزموري (ت. 1284 / 67 - 1868) بأزمور (*الزاوية النزاغية*، 16).

وفي زاوية ابن دحو أخذ العربي العبدوني علوم التصوف،

وعلى يد شيخها انخرط في طريق القوم (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 100)، وإذا علمنا أن الشيخ ابن دحو من شيوخ الطريقة المختارية القادرية، بل من أعمدة هذه الطريقة في المغرب (*الإعلام*، 6 : 317)، فمن تحصيل الحاصل القول بأن العربي العبدوني كان مختاريا ـ قادريا في تصوفه، مثل شيخه (*المدرسة*، 100).

وبعد أن أكمل مولاي الطاهر القاسمي تكوينه، عاد إلى أولاد عبدون بتادلا، ولعله فتح بها زاوية. بيد أن المقام هناك لم يطب له، فرحل من أولاد عبدون. ولعل للزاوية الشرقاوية دورا في هذا الرحيل. أما المكان الذي اختار النزول فيه فهو عين نزاغ، غير بعيد عن سطات سوى بخمس كلم، في اتجاه البروج، بالشاوية (قيادة المزامزة، إقليم سطات حاليا). وفي عين نزاغ أسس العربي العبدوني زاويته، التي سميت بالزاوية النزاغية، نسبة إلى المكان نفسه. وقد قيل إنه إنما أحيى زاوية كان شيخه ابن دحو الأزموري قد أسسها هناك.

والمهم في الأمر أن الحاج العربي العبدوني أسس زاوية في عين نزاغ بالشاوية، ولذلك صار يعرف في كتب التراجم بالحاج العربي العبدوني ثم الشاوي (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319). وتذكر الرواية الشفوية أن تأسيس الزاوية حدث في العقد الأخير من القرن (13 هـ)، في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

وقد غدت الزاوية النزاغية من أكبر الزوايا في المنطقة، كما غدا الحاج العربي العبدوني (ت. 1309) من مشاهير الفقهاء وكبار الصوفية. وكان عنوان هذه الشهرة اهتمامه بالتدريس. وكان أهم ما اهتم بتدريسه علوم القراءات، اقتداء بشيوخه. وفي هذا الصدد كتب الفقيه الكانوني بمناسبة حديثه عن زاوية الحاج العبدوني أنها اشتهرت من عهد مؤسسها، وقصدها الناس للقراءات والعلم (*المدرسة*، 100). وقد بلغ الحاج العبدوني، في هذا المجال، مقاما عاليا، ونافست مدرسته، بفضله، مدارس أخرى كان شيوخها يعدون من كبار الأساتذة في علوم القرآن، مثل الأستاذ المقرئ سيدي محمد الزوين، والأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمي الدكالي، وقد توفيا معا في صدر القرن (14 هـ).

كما ترتبط شهرة العربي العبدوني النزاغي بنشاطه الكبير في نشر التصوف، ولاسيما مبادئ الطريقة المختارية. وقد أخذ على يده هذه الطريقة كثيرون، مما ساعد الزاوية النزاغية، ومن خلالها الطريقة ا لمختارية، على اكتساب شعبية واسعة، ونفوذ قوي، ولاسيما في الشاوية (*المدرسة*، 100).

وإلى جانب التربية والتعليم، اشتهر الحاج العربي العبدوني بصلاحه وولايته، واعتقد كثيرون في بركته، وتسابقوا لخدمته. ومما اشتهر به لدى الفئات العامة أنه كان يداوي المصابين بمرض بوزلوم، وبمن أصابه مس من الجن. والأهم من هذا أن الناس يذكرون أن هذا الرجل كان يعتمد في مداواته للمصابين على أعشاب معينة، أو رقي بها آيات قرآنية (*الزاوية النزاغية*، 36). هذا، ومن أكثر القبائل خدمة للشيخ العبدوني : أولاد عبدون، وبني مسكين، وأولاد سعيد، وقبائل أحمر (*الزاوية النزاغية*، 35).

كما حظي الحاج العربي العبدوني بتقدير المخزن العلوي. وكان هذا الشيخ وأهل الزاوية، وكل من يحسب عليهم معفين من التكاليف المخزنية (*نشر المفاخر*، 25)،. وفي هذا الصدد يذكر أيضا أن قائد الشاوية في زمانه، الحاج المعطي، كان يستشيره في القضايا الهامة، وخصوصا عندما يكون ذاهبا للقاء السلطان مولاي الحسن. وفي نفس الإطار، مازال أبناء الحاج العبدوني يذكرون باعتزاز كبير أن مولاي عبد الحفيظ زار جدهم في زاويته، قبل توليته العرش.

وقد توفي الحاج العربي العبدوني الشاوي النزاغي عام 1309 / 1892.91، ودفن في زاويته بعين نزاغ، مخلفا عدة أبناء لا يقلون عنه علما وتصوفا. ونعرف منهم :

ـ الفقيه الوارث لحال والده الأستاذ محمد المدعو الحاج، وهو الذي تصدر للمشيخة في الزاوية بعد وفاة والده.

ـ الفقيه المجذوب الصالح محمد المدعو العالم، وهو الذي تولى المشيخة بعد وفاة أخيه محمد الحاج (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الزاوية النزاغية*، 25.24).

ـ الفقيه الأستاذ المقرئ السيد محمد المدعو ابن دحو.

وقد دفن هؤلاء الثلاثة بضريح والدهم الحاج العربي العبدوني النزاغي في عين نزاغ. أما أخوهم الرابع الفقيه الأستاذ الصوفي سيدي عبد القادر فقبره بضريح سيدي عبد الخالق، بمدينة خريبگة، بينما يوجد ضريح أخيهم الخامس الفقيه سيدي خليل بمراكش. (*الزاوية النزاغية*، 25.24).

شجرة نسب الحاج العبدوني ؛ العزوزي العربي، *نشر المفاخر والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط خاص ؛ ابن إبراهيم العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 6، المطبعة الملكية، الرباط، 1977 ؛ محمد المنوني، *المدرسة الكنتية، نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث*، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، العدد الرابع، 1987 ؛ سميرة محال، *الزاوية النزاغية بالشاوية*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 1993، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

أحمد الوارث

العبدي، سالم ولد بدار الحاج العياشي بمنطقة عبدة كان أبوه في جيش عبيد البخاري قضى خدماته على عهد المولى سليمان والمولى عبد الرحمن.

كان عبداً في خدمة القائد العياشي قائد عبدة وفي هذا الإطار كان يرافق سيده في المناسبات الدينية إلى حضرة السلطان.

عمل خليفة في الجيش المخزني أو الحرس الملكي. وقد مكنه وجوده بهذا المنصب في دار المخزن من التعرف على شخصيات مختلفة كان من بينهم الدكتور لوى أرنو Louis Arnand والذي صاحب سالم العبدي طيلة مدة من الزمن وتمكن خلالها من كتابة كتابه *زمن المحلات أو المغرب من*

1860 إلى 1952. (*Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*) والذي هو عبارة عن مجموعة ذكريات وملاحظات سالم العبدي خلال فترة اشتغاله في خدمة المخزن. وطبع هذا الكتاب سنة 1952 بالدار البيضاء.

توفي يوم 8 أبريل 1938.

L. Arnand, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952.

العبدي، صالح بن الحاج أحمد بن أحمد بن سعيد (المعروف بـ "الزْواهْري، مَطيشَة). من ألمع شخصيات أسفي المناهضة للاستعمار الفرنسي. ينحدر من عائلة كانت تعرف باسم "مطيشة" من قبيلة الزْواهَر شمال أسفي بالقرب من ضريح لالة فاطنة مَحمد. وكان أبوه الحاج أحمد فلاحاً يتردّد على أسفي قصد التجارة إلى أن اشتدّ طغيان القائد عيسى بن عمر العبدي على قبائل عبدة فاضطر إلى الهجرة إلى مدينة الصويرة التي استقرّ بها.

وُلد صالح بالصويرة في مطلع القرن العشرين وتلقى تعليمه الديني بها وحفظ القرآن الكريم. وكان في نفس الوقت يتردد على قسم دراسي تابع لإحدى القنصليات الأوروبية حيث حصل على تعليم فرنسي متين. رجعت عائلة العبدي إلى أسفي حوالي 1916. التحق صالح هنا بالمدرسة الفرنسية الإسلامية وربط علاقة ودّ وصداقة مع عدد من المعلمين الفرنسيين، ثم فتح مكتباً واشتغل فيه كاتباً عمومياً ومترجماً. وبدأ في هذه الفترة يكتب مقالات على صفحات بعض الجرائد باللغتين العربية والفرنسية، وكان يوقع كتاباته تارة بـ "صالح العبدي" وتارة بـ "صالح مطيشة" وتارة أخرى بـ إزيسْ" (Isis).



لما اندلعت حرب الريف اتخذ صالح موقفاً لحركة المقاومة بزعامة الأمير عبد الكريم الخطابي وتصدى في عدد من مقالاته الصحفية إلى عملية التجنيد الإجباري للمواطنين الذي لجأت إليه السلطات الاستعمارية وحث الناس على العصيان، فاختطفه الجهاز الأمني ووضعه في مكان مجهول. ولم يُطلق سراحه إلاّ عقب حملة احتجاجية واسعة قام بها عدد من أصدقائه من الفرنسيين الأحرار. وقد دام اختفاء صالح أزيد من ثمانية أشهر. ومباشرة بعد إطلاق سراحه وُضِع تحت الإقامة الإجبارية بمقربة من ضريح سيدي بوزيد شمال المدينة. بعد ذلك بقليل تم نفيه. فقصد بعض أصدقائه في واد زم وخريبگة حيث قضى أزيد من سنة، ثم عاد إلى أسفي واستأنف نشاطه المهني والسياسي إلى أن جاءت قضية الظهير البربري التي حاربها بكل قواه من خلال عدد من مقالاته الصحفية. ولقد حفظت للتاريخ مذكرته التي نشرها الأستاذان زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير مواقفه البطولية من هذه القضية وكذا تصوره للاستراتيجية التي ينبغي على الحركة الوطنية الناشئة اتباعها لمحاربة الاستعمار من جهة وتطوير المجتمع المغربي من جهة أخرى. وكان صالح على موعد مع السجن مرة أخرى بسبب كتاباته هذه، فقد حكم عليه بالحبس لمدة أربعة أشهر قضى جلّها في سجن مدينة الرباط.

انتقلت عائلة المترجم بعد هذه الأحداث إلى الدار البيضاء، فتابع صالح نشاطه المهني والسياسي والصحفي. والجدير بالذكر أن اهتماماته كانت جدّ متنوعة، فقد كان يشغل باله كثير من الموضوعات كالقضية الوطنية والمسائل الاقتصادية وقضية تحرير المرأة، إلى غير ذلك من الموضوعات التي كان يتطرق إليها في مختلف مقالاته التي كان ينشرها على صفحات جريدة "Le cri marocain" (الصيحة المغربية) وجريدة "النجاح" الجزائرية وغيرهما من الجرائد.

وفي الدار البيضاء اضطر أفراد عائلة السي صالح الذين كانت تغلق أمامهم جميع الأبواب وتضيع منهم جميع فرص العمل والترقية الاجتماعية إلى استبدال اسمهم "مطيشة" الذي صار يحمل معنى الثائر و"المشاغب" باسم "الزْواهْري" نسبة لقبيلتهم "الزْواهَر".

عاش المترجم في العاصمة الاقتصادية زهاء عشرين سنة قضى جزءاً مهما منها بداخل "الكوميساريات" والسجون لأنه كان على رأس قائمة " المشاغبين" الذين يجب حبسهم كلما عرفت البلاد تحركاً وطنياً. وفي عام 1944 كتب مقالاً حول مؤتمر أنفا ومغزى اجتماع الملك محمد الخامس مع روزفيلت وباقي المشاركين في هذا المؤتمر. فانزعجت السلطات الاستعمارية كثيراً من الأفكار الواردة فيه وألقت عليه القبض بعدما نسبت إليه عدداً من التهم الملفقة. ثم حكمت عليه بالحبس لمدة خمس سنوات قضى منها أزيد من عام في السجن، وأفرج عنه سنة 1946 لما أعلن العفو العام الذي استفاد منه جميع المعتقلين والمنفيين الوطنيين، وذلك بمناسبة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ولابد من التذكير بأن صالح العبدي كان خلال العشرينيات والثلاثينيات معروفاً في الأوساط الوطنية كصحفي ومثقف متفتح له مواقف شجاعة تجاه القضايا الوطنية. وتلقى في الموضوع رسائل من رواد الحركة الوطنية.

تدهورت حالة صالح الصحية مع حلول الخمسينيات، فرحل إلى مدينة المحمدية واستقر بها إلى أن وافته المنية عام 1951 ودُفن فيها في مقبرة سيدي مَحمد لَمْليح.

روايات شفوية خاصة من أخ المترجَم أحمد الزواهري وعبد الله السلاوي رحمهما الله ؛ زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير، *الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبدي*، الرباط، 1993 ؛ ع. الرحيم العطاوي، من هو صالح العبدي صاحب مذكرة حول الظهير البربري، مجلة *المناهل*، عدد 54، 1997، ص. 163 ـ 169.

عبد الرحيم العطاوي

العبدي، عيسى بن عمر، (القائد -) ينتمي إلى أسرة عريقة في خدمة المخزن، ويتعلق الأمر بأسرة بنعيسى، التي يعود أصلها إلى منطقة الساقية الحمراء ويبدو أن نزوح هذه الأسرة إلى عبدة قديم نسبيا حيث استقروا بفخذة ثمرة بدوار الكوتات وبه يوجد منزلهم القديم الذي بناه جدهم عيسى بن موسى.

ولعل اهتمام أفراد هذه الأسرة وهم أحمد وامحمد وعمر بالتجارة جعلهم يوطدون علاقاتهم مع الأجانب مما ساهم في تنمية ثرواتهم وتدعيم مركزهم وأهلهم ليتبوؤوا مراكز القيادة داخل القبيلة وينالوا الحظوة لدى رجال المخزن المركزي.

وفي هذا الإطار شغل أحمد بنعيسى منصب مشيخة البحاترة. تم ما لبث أن ترقى لمنصب القيادة بها وذلك على عهد السلطان المولى عبد الرحمان حوالي 1847. وخلال المدة التي قضاها أحمد بنعيسى في القيادة عمل على توسيع نفوذ أسرته ودعم مركزها وجاهها سواء على الصعيد المحلي أو المركزي، وبعد وفاته سنة 1854 خلفه ابن أخيه محمد بن عمر (1854 ـ 1879).

وقد عملت الظرفية التي تزامنت مع ولاية السلطان محمد بن عبد الرحمان والتي تميزت بإطلاق العنان للقواد والعمال حتى يستتب الأمن ويعم الاستقرار أرجاء البلاد، عملت هذه الظرفية على مساعدة القائد محمد بن عمر على توسيع نفوذه والاستبداد بأمور القبائل. وخلال هذه الفترة كسب القائد ثقة الأمير المولى الحسن الذي ولاه والده أمر الحوز وكان سندا له في حل مجموعة من القضايا المحلية وغيرها كالتدخل لإخماد التمردات والاستشارة في تعيين شيوخ القبائل. وفي سنة 1878 قام القائد محمد بن عمر بشراء قيادة أحمد بن العياشي قائد الربيعة.

وخلال فترة القيادة هاته كان القائد محمد بن عمر يعمل بتعاون مع أخيه عيسى الذي كان ينوب عنه في قيادة الحركات والمفاوضات مع الأجانب وبعض قواد القبائل، كما كان دائما على رأس الفرسان الذين يذهبون لخدمة السلطان، وقد تعمقت تجربته الإدارية حينما استخلفه أخوه على قيادة البحاترة. وخلال تقلده لهذه المهام أبان القائد عيسى على حنكة وخبرة إدارية وعسكرية هائلة جعلته يكون مؤهلا لخلافة أخيه الذي رشحه بعد أن أصيب بالمرض فكاتب السلطان يطلب منه توليه أخيه من بعده وفعلا وافق السلطان الحسن الأول على هذا الترشيح سنة 1879.

ولعل أول ما قام به عيسى بن عمر بعد توليه هو توسيع نفوذ قيادته الذي امتد على قبيلتي العامر والربيعة بل حتى على مدينة آسفي. بحيث أصبحت قيادته تمتد من الواليدية إلى حدود تانسيفت ومن الساحل إلى بن كرير إضافة إلى مناطق دكالة والرحامنة والشياظمة وحاحا.

وعمل القائد على تأسيس جهاز للمراقبة متميز ومتمكن ومتمرس يتكون من الشيوخ والمقدمين والمخازنية الذين كانوا يعملون على جمع الضرائب وجمع المعلومات عن القبائل والأشخاص وينقلون المراسلات إلى فاس ومراكش.

وربط القائد علاقات وطيدة ومحترمة مع السلطان والوزراء. وفي هذا الإطار كان القائد عيسى بن عمر يقوم بتزويد المخزن بالزرع والهدايا ويرعى ماشية السلطان على حساب القيادة ويجهز بعض الحركات لضمان الأمن. وبعد وفاة السلطان كسب القائد صداقة أبا احماد وبعد وفاته مال إلى جانب المهدي المنبهي وزير الحرب ومتزعم التيار المتحرر، مما جعله يتعرض لنقمة محمد غرنيط متزعم الجناح المحافظ والذي قام بتوقيف القائد واعتقاله لكن الوزير المنبهي أطلق سراحه وأعاد إليه نفوذه.

ولما رفع السلطان عبد الحفيظ راية الجهاد ضد أخيه، مال كبار القواد إلى جانبه ومنهم الكلاوي والعيادي والعبدي الذي اتهم الوزراء بأنهم سبب فشل سياسة المولى عبد العزيز.

وتولى القائد عيسى بن عمر منصب وزير الخارجية في حكومة المولى عبد الحفيظ بحكم تعامله مع الأجانب وخاصة القناصل منهم. ولعل هذه المهام الجديدة فرضت عليه الاستقرار بمراكش ومرات أخرى بفاس حيث الديبلوماسية الأجنبية. إلا أن مهامه كانت شبه شكلية لأن مهام وزير الخارجية كان يباشرها نائبه عبد الحفيظ الفاسي. فقد أبعد القائد عن المفاوضات التي كان يجريها السلطان مع فرنسا منذ 1909 وخلفه أحمد المقري.

ونظراً للمؤامرات التي أصبحت تدبر ضده من طرف الكلاوي وغيره من المنافسين، فإن عيسى بن عمر تقرب من قنصل فرنسا بفاس وطلب الحماية الفرنسية وذلك سنة 1910، الأمر الذي جعل الفرنسيين يتدخلون لإرجاعه لمنصب وزير الشكايات بعد أن كان قد عزل من منصب وزير البحر. وإذا كانت علاقة عيسى بن عمر قد تميزت بربط علاقات طيبة مع رجال المخزن على الصعيد المركزي، فان علاقاته على الصعيد المحلي كانت تطبعها تغيرات في المواقف إزاء مختلف المخاطبين. فقد عمل القائد على ربط علاقات طيبة مع الأجانب خصوصا الفرنسيين وكانت له اتصالات متينة مع الشركات الألمانية وغيرها. كما حرص على أن تطبع علاقاته مع القواد جيرانه باللين وبدليل ما كان يربطه الحذر بالقائد الحاجي والقائد المتوگي.

أما علاقاته مع المحميين فقد اتسمت بالشدة نظراً لأن الحماية كانت تحد من سلطات القائد في المطالبة الجبائية كما أنه كان يرى فيهم وسيلة لتفويت الأراضي والعقارات إلى الأجانب. ولهذا كان يتابعهم ويقوم بسجنهم ويطلب مقابلا

مادياً ضخماً لاطلاق سراحهم مما حدا بالأوربيين إلى مكاتبة السلطان في موضوع سوء معاملة محميهم من طرف القائد مما يعرض مصالحهم التجارية للتعطيل.

ولعل العلاقة التي كانت تربط القائد بالقبائل هي التي كانت أكثر صرامة وشدة. ويتجلى ذلك من خلال معاملته للقبائل المتمردة على حكمه مثل قبيلة أولاد زيد بساحل آسفي الذين تمردوا وأعلنوا الحرب عليه بدعوى أنه أصبح يحترس من هذه القبيلة وصار يقرب غير فرقته من دكالة واحمر ويمدهم بالخيل والسلاح وهذا الاعتماد على قبائل أخرى كان سببا في ثوتر العلاقة مع فخدة أولاد زيد.

وبأمر من السلطان قام القائد بملاحقة أفرد القبيلة إلى عقر دارهم في ساحل آسفي مما جعلهم يحتمون بضريح أبي محمد صالح بآسفي. فتدخل باشا المدنية حمزة بنهيمة ودعى زعماء أولاد زيد إلى الصلح مع القائد. لكن هذه العملية انقلبت إلى مؤامرة غدر من طرف عساكر القائد الذين قتلوا زعماء أولاد زيد وخلفوا موجة من الخوف والذعر في المدينة جعلت الناس يفرون عبر الأبواب مما نتج عنه تكدس وتزاحم وقتل العديد من السكان وهذه الواقعة تدعى بعام الرفسة سنة 1895، ثم ألقى القبض على باقي المتمردين الذين تم سجنهم وعددهم 800 رجل في سجون آسفي ومراكش والصويرة والرباط والبردوز أي سجن قصبة القائد. أما بعد الحماية سنة 1912 فإن فرنسا شرعت بمختلف الوسائل في إبعاد القائد عن مقر قيادته لأنه صار عائقا لتنفيذ مخططاتها، وتؤكد التقارير الفرنسية بأن القائد أصبح موضوع شك وحذر فاتخذ الفرنسيون إجراءات لعزله كان منها تقسيم قيادة عبدة إلى خمسة قيادات تركت له فخدة ثمرة التي كانت عبارة عن مشيخة من مشيخات البحاترة. ولذلك تنازل القائد عن القيادة سنة 1914 فلم يرض الفرنسيون ذلك فاتهموه بالتآمر وأصدروا قراراً بنفيه ووضعه تحت الإقامة الإجبارية في سلا. ثم سمح له بالإقامة في مراكش ليعود من جديد لسلا.

وقد توفي في 6 شتنبر 1924.

ع. رگوگ، *المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي (1890 ـ 1956)*، مطبعة بني زناسن، الرباط، 2001.

A. Antona, *La région des Abda, Impr. officielle*, Rabat, 1931 ; P.F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, éd. La porte, Rabat, 1947.

علال رگوگ

العبدي، محمد بن الجيلاني يعتبر من علماء المغرب وفقهائه الكبار، استهل حياته العلمية بالأخذ عن جلة من العلماء والفقهاء ؛ كالفقيه المرحوم أحمد بن المبخوت الدكالي، والشيخ الحاج بن الحاج المذكوري، كما أخذ عن الفقيه العدل التهامي الناصري المعروف بابن الطويلة، والفقيه عبد الله بن المكي الناصري.

شد العبدي الرحال إلى مدينة فاس سنة 1340 / 1921 حيث أخذ على طائفة من علمائها الأجلاء ؛ كقاضي الجماعة الفقيه محمد بن رشيد العرقي، والحسين بن الوالد العراقي، ومحمد الراضي بن إدريس السناني، كما أخذ عن الفقيه أبي العباس أحمد بن الجيلاني الأمغاري، ومولاي عبدالله الفضيلي، والشيخ أبي شعيب الدكالي وغيرهم من أركان العلم والفقه.

اشتغل كقاضي بالمحكمة الإقليمية بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم ليلة الخميس عشري محرم من عام واحد وتسعين وثلاثمائة وألف الموافق ثامن عشر مارس إحدى وسبعين وتسعمائة وألف.

من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 114 . 115.

سليمان القرشي

العبدي، مصطفى قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ بن المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين المسيح.

Archivo General de Simancas (España).

محمد ابن عزوز حكيم

العَبْرَة وحدة قياس تستعمل لضبط مقدار الحبوب أثناء محلة تجميع "الصّابة" أو أثناء الكيل. في الأسواق الأسبوعية، وفي رحبة الحبوب، يقوم "العَبَّار" بضبط كميات الحبوب المتعامل بها بين البائع والمشتري. قد يتقاضى العبار في عمله مقابلا ماديا، وقد يكتفي بما يتبقى عادة من الحبوب، وهو لا يتعدى في الغالب 8 / 1 أو 4 / 1 العبرة بعد وزن آخر نَصَّاصِيةْ. وتقاس العبرة بسطل من حديد، يسمى "النَّصَّاصِيةَ"، لأن كل سطل يشكل نصف العبرة. بمعنى أن العبرة تتكون من نصاصيتين، كل نصاصية تتجزأ بدورها إلى النصف ويسمى الرَّبْعَة (بتفخيم الراء والباء) أي 4 / 1 العبرة، وإلى الثامنة أي 8 / 1 العبرة.

	الوزن في المحصول الأقل جودة	القنطار
الشعير	من 13 إلى 14 كلم	من 7 إلى 8
القمح	من 16 إلى 17 كلغ	من 5 إلى 6 عبرات

	الوزن في المحصول الجيد	القنطار
الشعير	حوالي 16 كلغ	من 5 إلى 6 عبرات
القمح	حوالي 18 كلغ	من 6 إلى 7 عبرات

تحريات ميدانية.

صالح شگاگ

العبرية في المغرب. عرف المغرب الوجود اليهودي منذ القدم، إذ كانت بعض القبائل الأمازيغية اختارت التوحيد بدل الوثنية في عصور ما قبل المسيحية، ثم توالت الوفود اليهودية على المغرب، فوصلت منهم أعداد في ركائب الفينيقيين وأخرى أيام الحكم الروماني البزنطي وغيرها استهواها مناخ المغرب بعد الإسلام، وخصوصاً في عهد المولى إدريس الثاني حيث توافدت مجموعات كبيرة فراراً من أحداث رآها الشرق وبعض بلدان شمال إفريقيا في تلك الفترة. ومنذئذ لم تتوقف هجرة اليهود إلى المغرب في يوم من الأيام حتى الفترة الأخيرة من عهد الحماية واستقلال المغرب. وقد جرت عادة المشتغلين بتاريخ اليهودية في المغرب، بأن يقسموا يهود هذا البلد إلى فصيلين، أحدهما فصيل اليهود، أو البلديين، وهم جماع أحفاد اليهود الأصلاء المغاربة، أو ممن وفد على المغرب حتى قبيل سنة 1492، والثاني هم المهجرون، وهم الذين وفدوا على المغرب بعد هذا التاريخ.

يهود المغرب والعبرية : اللغة العبرية هي اللغة التي كتبت بها التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، ويعود تاريخها إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهي واحدة من أسرة اللغات العروبية (السامية) التي تنتسب إليها اللغة الأكادية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية. وتتشابه العبرية والعربية في كثير من الوجوه، بل لم تكونا إلا فرعين لأصل واحد مشترك. والجدير بالذكر أن الحرف الذي كتبت به التوراة أو غيرها من الكتب اليهودية، لا يمثل الحرف العبري القديم في شيء، وإنما هو الحرف الآرامي أو الخط المربع، كما سماه علماء اليهود القدامى.

ارتبطت اللغة العبرية لغة وخطا، بالنص التوراتي والتلمودي، ولأن الفرد والجماعة يرتبطان بهذين المصدرين الدينيين دوما في طقوسهما الدينية ومعاملاتهما الاجتماعية، كان فرضا على كل يهودي ذكر، أن يلم إلماما باللغة العبرية، وحتى الآرامية، إذا كان من ذوي العلم والطلب. ومن هذا المنطلق المنطقي يستوجب العقل أن تكون العبرية في نصوصها الدينية أمراً معروفاً إلى حد ما في المغرب، في عهود اليهودية القديمة فيما قبل الإسلام، وإن كانت هناك دراسات تشكك في معرفة يهود المغرب بنصوص كتابهم المقدس كما يجب، أو على الأقل لم يكن لهم علم بما كان يجري في الأكاديميات اليهودية البابلية والفلسطينية، وبالأحرى أن يكون لهم علم بالتلمود وتوابعه. غير أن الثابت هو أنهم كانوا على الأقل يستعملون الحرف العبري في كتاباتهم منذ القديم، ذاك أن شواهد قبورهم في أقدم مقابرهم بالمغرب، كانت مكتوبة بهذا الحرف. ومن الأكيد أن حالهم تغير بعد الإسلام، إذ من المفروض أن يكونوا قد عقدوا الصلات بيهود بابل وفلسطين بعدها، أو وصلت إليهم من هناك وفود المنشغلين بعلوم التوراة والتلمود، ومن الأكيد أن عندها المغرب عندما عرف معاهد علمية، ذاك أن كثيراً من أعلام العصر العبري الذهبي الأندلسي (ق 8 ـ 12) هم مغاربة أصلا وكانوا قد برزوا في اللغة والشعر والفتوى وعلوم التوراة والتلمود، بل العلوم العقلية على اختلاف أنواعها.

وعليه فإن اللغة العبرية في المغرب كانت لغة دين وطقوس وتعبد، وبهذه الصفة ارتبطت بالتعليم والمعرفة، ولم تكن لغة كلام دارج إلا في حدود ضيقة جداً انحصرت بين الأحبار ومريديهم في سياق الدرس والتحصيل، أو في التواصل مع يهودي أجنبي عن المغرب واللغة العربية.

العبرية والتعليم :

ارتبط استعمال اللغة العبرية في المغرب بالعقيدة والدين كما رأينا، ولذلك كان لزاما على الأب أو الجد أن يبدأ تلقين الطفل اللغة العبرية بواسطة حفظ بعض نصوص التوراة والصلوات والأشعار الدينية، سماعاً وعن ظهر قلب، قبل أن يلتحق بمكان الدرس، وتمثل هذا المكان في :

1 ـ أ ـ "اصْلا" أو "الحدَرْ"، وقد أطلق اليهود لفظ "اصْلا" على مكان تعليم الأطفال، لأن الأصل في التعليم أن يكون في البيعة، وكانت البيعة تسمى عندهم أيضاً "اصلا" أي مكان الصلاة. وظل هذا الاسم يطلق على مكان الدرس، سواء كان التعليم يجري في البيعة أو في دكان أو غرفة أو غير ذلك. ويشبه استعمالهم هذا استعمال مواطنيهم المسلمين الذين سمو مكان الدرس "مْسِيدْ"، وهو تدريج للفظ مسجد الذي هو أيضاً مكان الصلاة.

أما لفظ "حدرْ"، ومعناه بالعبرية غرفة، فهو استعمال استعاره يهود المَغرب من إخوانهم "الأشكناز" أو يهود أروبا الشرقية، الذين كانوا يطلقونه على مكان الدرس، ولا نعتقد أن له علاقة بلفظ "حْضَارْ" الذي استعمله أهل جنوب المغرب بدل استعمال لفظ "مسيد".

ب ـ "تلْمودْ تُوراهْ"، وتعني حرفيا دراسة الشريعة. والمؤسسة بناء عام تسهر عليه الطائفة، ويضم مجموع غرف، ويسهر على كل غرفة معلم يتقاضى أجرته من مال الطائفة العام، وتلاميذ هذه المؤسسة هم عادة من أبناء الفقراء والأيتام. والفرق بين "اصلا" أو "الحدر" و"تلمود توراة"، أن الطائفة هي التي تؤدي أجرة معلمي هذه الأخيرة بينما الآباء هم الذين يؤدون عن أبنائهم في المؤسسة الأولى. واستعمل الاسمان فيما بعد دون تفرقة، خصوصاً بعد الحماية وبعد أن أصبحت المؤسسة التعليمية اليهودية مؤسسة عصرية.

وهدف هاتين المؤسستين تعليم الطفل الحروف كتابة وقراءة، فالحركات فبعض القواعد النحوية الأساسية ومعرفة النطق السليم ومخارج الحروف والنبر. ويعتمد في ذلك النص التوراتي، الذي يرسخه المعلم في ذهن التلميذ بالتكرار والاستظهار حفظا، مما يسهل عليه قراءة لفائف التوراة التي غالبا ما تكون بدون حركات أو نقط. ويرفق المعلم كل ذلك بتفسير توراتي مقسم حسب القراءة التوراتية الأسبوعية. ويقتصر الشرح اللغوي على ترجمة النص التوراتي إلى اللغة

المحلية التي هي العربية الدارجة أو الأمازيغية أو إحدى اللهجات اليهودية الأخرى المستعملة لدى يهود المغرب كل في منطقته. وقد يستعين بعض المعلمين النابهين بتفسير الربي شلمه بن إسحاق المعروف براشي (1010 - 1105) وببعض فقرات التلمود. ولا يتعلم الطفل الكتابة إلا في مرحلة متأخرة. ومعلوم أن الخط اليدوي متنوع ولا يتبع أي قواعد في معظم الأحيان في هذا المستوى، اللهم إلا في كتابة الوثائق، وعندها يستعمل الخط المعروف براشي. وكان التلميذ ينسخ نصوصاً من "المشنا" (التلمود) وكتاب "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة)، وهو من أمهات الفقه اليهودي في المستوى الأعلى من الدراسة الذي سنتحدث عنه فيما بعد. وقد جرت عادة اليهود المغاربة، في جماعة وادي تدغى بالأطلس الكبير، ليلة "شفعوت" (عيد الأسابيع)، الذي يحيون فيه ذكرى نزول الوحي على جبل سيناء، بأن يكتب الربي الحروف بالعسل على لوح، ويطلب من الطفل لعقه حتى تثبت هذه الحروف في ذهنه وعقله، كما كانوا يعتقدون. وجرت العادة عند يهود التخوم الصحراوية الجزائرية المغربية، أن تكتب الحروف على بيضة تقدم للطفل ليأكلها.

ولم يتوقف تعليم الطفل على المعلم وحده في المدرسة، بل كان يمتد في البيت، حيث كان الأب أو الجد يكمل هذا التعليم بمتون أخرى مثل "الزوهار" وبعض الشروح الصوفية التوراتية.

ويبدأ الطفل تعليمه الأولي هذا في العادة، بدءاً من الثالثة من عمره وحتى بلوغ سن البلوغ الديني الذي يصادف السن الثالثة عشرة. وعندها يُحتفى به في حفل ديني يسمى "بَرْمِصْفَة"، ويعني حرفيا ابن الوصايا، أي القدرة على أداء الواجبات الدينية. وتعتبر هذه المناسبة أيضاً فرصة يبرهن فيها التلميذ على ما حصله من معرفة، إذ هو الذي يقود القداس الديني، وهو الذي يلقي الخطبة التي تفتتح بمقدمة نثرية مسجوعة، تدور حول مبحث هو عبارة عن تراكيب لفقرات توراتية تنبثّ فيها فقرات تلمودية وأقاصيص تنتقى من الموروث اليهودي. والجدير بالذكر أن طقوس هذا الاحتفال تشبه بوجه من الوجوه "التخريجة"، وهي الحفل الذي يكرم فيه الطفل المسلم عندما يحفظ جزءاً من القرآن أو القرآن كله.

2 - "الْيشفَه"، وتعني لغة المجلس، وهذا هو اللفظ الذي يطلق على مَكان التعليم بعد الدرس الابتدائي. وفي "الْيشفَه" تلقن الدراسات العبرية العليا في مجالات التفَسير والفقه والتلمود والعلوم الربية على اختلاف أنواعها، من قضاء وإمامة وقواعد عامة، تشمل كل الطقوس الدينية، من الصلاة إلى قواعد المحرم والمحلل من الطعام، ومهام العدول، من زواج وطلاق وإرث ونساخة.

والأساس في تعليم "الْيشفَه" هو الدراسات التوراتية والتلمودية والتراث اليهودَ من أقدم عهوده، في أعلى المستويات، من اللغة إلى التأويل إلى استنباط الشرائع، والنظر في التاريخ والأخلاق اليهوديين، وكتاب "الزوهار" في (علم الباطن)، وأمهات الكتب الفقهية كـ "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة).

وتستغرق دراسة النص المختار فصلين من السنة أو السنة كلها، وتتوج نهاية دراسة الفقرة بحفل يسمى(سييُوم) أو الختم. وفي هذه المناسبة يلقي الطالب النابه درسا مستنبطا من التوراة يتوخى فيه الجدة أو (الْحدُوشْ) أو الاجتهاد، أمام الوجهاء وكبار الأحبار وأقرانه المَجتهدين. وكان تعليم "اليشفا" يتقيد في غالب الأحيان بتقاليد المدرسة القديمة التي تعتمد حفظ التوراة وفقرات من التلمود وبعض المتون القديمة مشفوعة بتعليقات وآليات تمكن الطالب من أدوات الجدل والبرهنة والنقاش فيما يسمى (سوكْيَه)، أو الموضوع المحلل، كما يسمى بالآرامية. وباختصار تتمثل الدراسة في "اليشفا"، في مجملها، في مجموع ضخم من المعارف الفقهية :(هَلَخَا بيسوقا) أو شرائع وأحكام الفقه الربي، بالإضافة إلى العلوم الأخرى المشار إليها، لذلك كثيراً ما كان يتعين الطالب بأراجيز ينظمها له أستاذه أو ينظمها هو بنفسه، أو في مختصرات هي عبارة عن مقطعات حروف وتراكيب لفظية تنظم من رؤوس الكلمات أو القواعد، على طريقة أراجيز العلم ومختصراته في الثقافة الإسلامية. ويسمى طلاب هذه المؤسسة (تلميديم حخميم) أي طلاب العلم. ولم يكن الالتحاق بها محدداً في سن، كما لم تكن عدد سنوات الدراسة محددة حتى عهودها الأخيرة. وكان الطالب إذا أتم دراسته يحرز على (سميخة لربنوت) وتعني حرفيا إجازة الحبرانية، وتقابل الإجازة أو العالمية في التعليم العالي الإسلامي. وهذه المؤسسة هي التي كانت ترفد الطائفة بعلمائها وأحبارها وقادتها الروحيين، فمنها كان يتخرج الأحبار والقضاة والأئمة والمعلمون والنساخ وخدام الطائفة إجمالا.

وكانت "اصلا" و"الحدر" منتشرة في كل مكان يوجد به يهود، مدنا وقرى وجبالا وتخوم صحراء، وكان الفقيه المسلم يشترك والربي اليهودي في نفس المكان في بعض جبال المغرب، أحدهما يحفظ القرآن لتلاميذه والآخر يحفظهم التوراة. كما عرفت المدن الكبرى "يشفات" عددت شهرتها المغرب، كـ "يشفا" مراكش، وهي المدينة التي كانت تعرف عند اليهود بـ "يروشليم" (قدس) المغرب، ولقبت مدن أخرى عندهم، بنفس اللقب لسلطان التعليم فيها ومكانتها الروحية.

لم ينحصر التعليم اليهودي في "الحدرْ"، و"الْيشفَه"، بل كان هناك تعليم مستمر عن طريق (هَدَرشه) أوَ الإَرشاد والوعظ الذي يحضره المهتمون أيام السبوت والأعياد. وفي هذه الحلقات كان الواعظ يلقي درسا في التوراة أو التلمود أو الزوهار أو الموسار (الأخلاق). وتجري وقائع هذه الدروس إما في البيعة أو في "الزاوية" أو في نوادي طوائف الصناع والحرفيين والتجار. وقد يكون المتحدث ربيا قاضيا أو معلما

أو تاجرا، ممن تمثلوا العلم وبرعوا فيها، وقد يكون زائراً غريباً عن الطائفة. وعرف يهود المغرب تقليداً آخر تعليميا تمثل في السهرات الليلية التي كانوا يحيونها للنظر في أسفار الأنبياء من كتاب العهد العتيق، ويتدارسون فيها كتاب "شلحان عروخ" (الطاولة المنضدة) في الفقه والتلمود، خصوصا في الهزيع الأخير من الليل. وعرف المغرب كثيراً من مريدي الزوايا الذين يقضون الليل في الدرس وقراءة آداب الصوفية وإنشاد الأشعار والأمداح الدينية، مثل الجماعة المسماة "حبروت [مريدي] الربي شمعون بر يوحاي". وعرفت جل مدن المغرب زوايا من هذا القبيل، اشتهرت بكبار منشديها، مثل داود بروخ إفلاح وداود القايم وحاييم أفرياط بالصويرة، وداود بوزكلو بالدار البيضاء، ونسيم نقاب بفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن البنت في التقاليد اليهودية كانت معفاة من عناء الدرس، ولم يكن مطلوبا منها أن تعرف القراءة أو الكتابة، وكان ذلك حتى ظهور المدرسة اليهودية الحديثة بالمغرب.

لقد ظل التعليم العبري على هذه الحال حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث ظهرت حركة إصلاحية لم تكن أصولها من داخل المغرب، ولم تكن أيضاً لترضي جماعة كبيرة من اليهود التقليديين، وكانت هدفا لهجوم الأحبار. تلك هي حركة مدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي *L'alliance israelite universelle* الذي كان مقره بباريس.

لقد اهتم الاتحاد بيهود الشرق وإفريقيا، وكان هدفه، كما جاء في محاضره، تحسين حال يهود هذه المناطق. ومن أهم وسائل تحسين وضعهم، خلق مدرسة حديثة تنقل إليهم التهذيب والتحضر كما جاء في أهداف الاتحاد. فأسس هذا أول مدرسة للأطفال بتطوان سنة 1862 ثم في طنجة 1865 فالصويرة 1868 ففاس 1881 ومراكش 1901 فالرباط 1903 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس وسطات 1910 فصفرو وزمور 1911. أما بالنسبة للبنات فقد أسس الاتحاد أول مدرسة بتطوان 1868 فطنجة 1874 ففاس 1899 فالبيضاء 1900 فالصويرة والعرائش ومراكش 1901 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس والرباط 1910.

وخلق الاتحاد مدارس مهنية يؤمها التلاميذ الفقراء، فأسس أولاها بطنجة 1873 وثانيتها في تطوان 1874، وهما خاصتان بالأطفال، ثم أسس للبنات مدرسة في تطوان 1892 وأخرى بالبيضاء 1909.

وكانت البرامج التعليمية محلية حتى سنة 1882 بعدها فرضت اللجنة المركزية للاتحاد التي كان مركزها في باريس، مقرراً عاماً يطبق في كل مدارسها. ويحتوي هذا البرنامج اللغة الفرنسية لغة تعليم، واللغة الانجليزية والإسبانية والإيطالية، تبعا للمدارس المحلية، والحساب والهندسة والفيزياء والكيمياء والتاريخ العام والجغرافيا واللغة العربية، بالإضافة إلى اللغة العبرية، نحوا وتوراتا وتاريخا مقدسا، زيادة على مواد قد يضيفها المدرسون المحليون. وظلت هذه المدارس تشتغل حتى العقد السابع من القرن العشرين وبعدها تقلصت ولم يبق منها اليوم إلا بضع مدارس أهمها مدرسة السماش وثانوية ابن ميمون في مدينة الدا البيضاء. وتدرس هذه اليوم برامج تابعة للبعثة الفرنسية، اللهم إلا اللغة العبرية، باعتبارها مادة لغوية أو بعض المواد الدينية المتصلة بالطقوس والتاريخ العبري، فهذه باللغة العبرية.

الإرث الفكري العبري المغربي :

لم تصلنا كتابات عبرية مما هو من نتاج يهود المغرب قبل الإسلام، وموروث تلك العهود كان شفوياً على العموم. ويعتقد أن يهود المغرب (موريتانيا كما جاء في الوثائق اليهودية)، ما كانوا على علم بما كان يجري في بابل وفلسطين، ولم يكن لهم علم بالمشنا والتلمود، ولم يبدأ اتصالهم الديني والعلمي مع علماء بابل وفلسطين إلا أيام إدريس الثاني الذي تولى الملك سنة 793 ميلادية. وبقي من هذه الفترة بعض الفتاوى التي أجاب بها علماء بابل وكذا بعض فتاوى سعديه كؤون الفيومي (882 ـ 942)، وهو مازال في مصر. كما وصل من تلك العهود فتاوى الربي هيا كؤون، وهي أجوبة أجاب بها يهود تلمسان ـ وكانت مغربية إذ ذاك ـ وأخرى أجاب بها يهود سجلماسة سألوه فيها هل يجوز لهم أكل الجراد الميت. وإذا كنا قد استشهدنا بهذه النماذج، فإنما لنبين أن المكتوب العبري في اللغة العبرية أصبح شائعاً معروفاً منذ هذه الفترة الإدريسية. ويؤكد ذلك ما بلغته المعارف اليهودية منذئذ، خصوصاً وقد أصبح المغرب الذي عبر منه طارق بن زياد إلى الأندلس، مصدراً ورافداً للثقافة العبرية في الأندلس. فبالإضافة إلى العلاقات العلمية الوثيقة التي كانت بين الضفتين، كما تدل على ذلك مكاتبات يهود المغرب إلى الوزيرين اليهوديين الأندلسيين حسداي بن شبروط وشموئل هالنكيد، أيام الحكم الأموي وملوك الطوائف، فإن المغرب كان موطنا لأكبر علماء اليهود الذين رحلوا إلى الأندلس، إذ كان المغرب موطن يهودا بن قريش (ق 9)، وهو من أوائل واضعي منهج المقارنة في اللغة والنحو العبريين. ودوناش بت لبراط، وهو أول من أدخل أوزان الشعر العبري في القصيدة العبرية. ويهودا حيوج رأس النحاة في قرطبة وهو أول من وضع تصانيف في نظريات الفعل العبري. وداود بن أبراهام الفاسي وهو أول من وضع معجما منبنيا على أسس فلسفية عقدية. ودوناش بن تميم الفيلسوف اللغوي، يعقوب بن دوناش وأدونيم بن نسيم اللاوي وهما شاعران. ويهودا بن شموئل بن عباس المغربي وهو عالم شاعر. الربي إسحق الفاسي وكان من كبار التلموديين والمفتين ويوسف بن يهودا بن عقنين وكان مشتغلا بالفلسفة ونسيم بن مالك وكان مشتغلا بالقابالا أو التصوف (ق 14). وعاش هؤلاء في المغرب والأندلس بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلاديين.

وقد أوردنا هذه الأسماء التي عاشت حياتها إما كلا أو جزءاً في المغرب، وخصوصاً في فاس ـ التي ألفت ونظمت بل

أبدعت علوماً لم تكن معروفة من قبل في التراث العبري، كتقعيد النحو ووضع المعجم بأسلوب علمي واضح، والتنظير في أبنية الفعل، والتعرض لمشكل عدد أحرف الجذر، بل كتب بعض من أعلامها مناهج في التربية والتعليم، مثل الكتاب الذي وضعه الربي يهودا بن اشموئل بن عباس سنة 1250، بعنوان (يئير نتيف) أو منير المسالك، وذاك الذي وضعه الربي يوسف بن عقنين معاصر ابن ميمون، بالعربية وبحرف عبري، بعنوان طب النفوس ـ لنبين أن اللغة العبرية وعلومها، كانت قد وجدت في المغرب ثم في الأندلس، التربة الخصبة والمناخ الملائم لتحافظ على العلم وأسبابه.

ولعل أكثر الإنتاج العبري في هذه الفترة، أي ما بين القرنين 8 و14 الميلاديين تمثل في كتب التشريع والفتوى، وجاءت هذه المؤلفات في عناوين مختلفة مثل : (دينيم) تشريعات، أو (پِسْقي دينيم) قرارات قضائية، أو (تْشوفوت) فتاوى فردية، أو (تَقَنوتْ) (فتاوى جماعية) أو (حدُشْ خَلَخوتْ) اجتهادات فقهية، أو (نمُوقيم وشطُوتْ) حواشي وتعاليق أو (پِرُوشيم) شروح، أو (قُنْطرسيم) مجامع وكراسات أو (لقُّطيم) منتخبات أو (قتْصوريم) مختصرات أو (مفْتَحيم) فهارس.

غير أن الكتابة العبرية منذ ذاك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعا أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي :

I ـ (پِنْقسي وسفْري هَقَهَلَ)

سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II ـ أ ـ (پِسْقي دينيم) الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، وإلياهو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان عام.

وهناك مجامع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها بعناوين خاصة مثل :

(إسف هَمَزْخيرْ) مجموع الكاتب و(تيئفَتْ عَنيِيم) مقصد المحتاجين، وكلاهما ليديدا مونسونيكو،

(مشْبَطيم يَشَريم) أحكام سوية، لرفائيل بردوكو.

(تربص هحصر) حديقة الفناء، لفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب ـ (تَقَنوتْ) فتاوى جماعية، منها (كرمْ حمر) كرمة النبيذ الذي جمعه أبراهام أنقاوا المولود في سلاَ (ق 19). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعا من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم.

III ـ (شئلوتْ وتْشوفوت) فتاوى

وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع :

(سفرْ هَبَتيم) كتاب البيوتات، لحاييم ابن حبيب (أواخر القرن 15 وبداية 16 فاس).

(يش مئَين) الخلق من عدم، لإلياهو يلوز (ق 19) تافلالت.

(كفُولْ بنيمين) حدود بنيمين، لابنيمين الخرييف (ق 19) مكناس.

(حَيِّي عَمْرَمْ) حياة عمرم، لعمره الباز (ق 18) صفرو.

(قريْتْ حَنَّه دود) قرية حنا داود، لداود هكوهن الصقلي (ق 19 ـ 20) دبدو.

(رَحَميم بِّشوطيم)، الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت. 1920، تطوان).

IV ـ(دفْري هَيَّميم) الكتابات التاريخية

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه، عدداً كبيراً من كتب التاريخ، وبعض هذه، كتبه أصحابه بالدارجة المغربية، وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي :

(مَأمَرْسدرْ هَدُروتْ) مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس (ق 15).

(دفْري هَيَّميم) التواريخ، لشؤول سريرو المولود حوالي 1566.

(زخرون لبني يسرائيل) تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت. 1812.

V ـ (شيريم) المجامع الشعرية :

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه *Poesie juive en occident musulman*, Paris 1977 بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط، فذكر من المطبوع سبعة وأربعين مجموعا ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضا ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعا مصوراً، وثلاثين مجموعا مخطوطا، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصفي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbald - Paris.

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي :

(دروشيم) ابتهالات، لشؤول سريرو بن داود.

(قنَتْ رَفيم) مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16.

(عتْ لخُلْ حفتْص) لكل أمر زمانه، ليعقوب أبنصور، (1673 ـ 1752)، فاس.

(شيريم وقنوتْ) أشعار ومراثي، لابراهام بن سوسان، ق 17، تطوان.

(نُعَمْ شَمايم) نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، ت 1844، صفرو.

(قـونْطْريس قـنوتْ) كـراس المراثي، لحـاييم يـهـودا طوليدانو، ق 19، سلا.

وذكـر يوسف بن نئيم في كـتـابه (ملخي ربنان) أمـراء الأحبار، الذي أشرنا إلى صاحبه مراراً، وهو كتاب فهرسة من النوع الجديد، 883 عنوانا مما خطه يهود المغرب، منذ عـرفـوا الكـتـابة، منهـا 222 فـتـاوى وأحكام، و104 في التـوراة والتـفسير، و72 حول التلمود، و60 في الخطب والوعظ، و33 في نظم الشعر، و33 قبالا وتصوف، و14 حول كتاب الفصول لابن ميمون (تلمود)، و13 حول كتاب المائدة المنضدة ليوسف قـارو (تشريع)، و10 تاريخ، و9 فلك وتوقيت، و5 فلسـفـة، بالإضـافـة إلى عناوين في القـراءة والنقط والنحـو واللغـة والأخلاق والرحلة والنساخة والتوثيق والأوزان والقـيـاسـات والعملة والطب والنبات والاستسقاء والفهرسة والسياسة.

وأحصى الأستاذ حاييم الزعفراني، في تقرير حول التراث اليـهـودي المغربي المخطوط، أعـده لوزارة الثـقـافة المغربيـة، مؤرخ في 15 دجنبر 1992، 244 مخطوطاً في العلوم الشرعية والفقهـية والفتاوى والنوازل والأحكام الربيـة. و133 مخطوطا في المجـامـيـع الشـعـرية، و133 في المواعـيـظ والأدعـيـة والابتـهالات، 200 وفي القبالا أو التـصوف اليـهـودي والزهد والسحر.

غـيـر أن المهم من كل هذه الآثار هو مـعـرفـة مـحـتـوياتـهـا وقـيـمـة مـا تـضـمنتـه، وهذه مـهـمـة أخرى على البـاحـثين أن يخصصوا لها الوقت والجهد والصبر.

يعقوب طوليدانو، *نور المغرب، تاريخ اليـهـود في المغرب*، القدس، 1911 ؛ يوسف بن نئيم، *أمراء الأحبار*، القدس، 1930 / 1975 ؛ صبي شرفـشطاين، تاريخ التـربيـة في إسـرائيل، القـدس، 1930 / 1975، خمسـة أجزاء ؛ داود سيطون، *الطوائف اليـهـودية السـفـردية اليوم*، القدس، 1974 ؛ *الموسوعة العبرية*، تل أبيب، القدس، 1972، مـادة : تربيـة، حدر (مـسـيد)، يشـفـه، مغـرب ؛ حاييم الزعـفـراني، *تقـرير عن التـراث اليـهـودي المغـربي*، في 15 / 11 / 1992، وزارة الثقافة، الرباط، السنوات من 1863 إلى 1913.

Bulletin de l'alliance israélite universelle, Paris, de 1863 à 1913 ; L. Brunot et E. Malka, *Textes judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1936 ; *Glossaire judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1940 ; A. Choraqui, *L'alliance israélite universelle et la renaissance juive contemporaine*, Paris, 1965 ; D. Bensimon-Donath, *L'éducation en Israël*, Paris, 1970 ; *Immigration d'Afrique du Nord en Israël*, Paris, 1967 ; P. Flamand, *Les communautés israélites du Sud-Marocain*, Casablanca (s.d.) ; *Un Mellah en pays berbère : Dermnate*, Paris, 1952 ; *Quelques manifestations de l'esprit populaire dans les juiveries de Sud Marocain*, Casablanca, 1958 ; E. Malka, *Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc*, Paris, 1952 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en terre d'Islam*, Paris, 1969 ; *Les juifs du Maroc, vie sociale et économique et religieuse, Etude de Taqqanot et Responsa*, Paris, 1972 ; *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983 ; *Poésie juive en occident musulman*, Paris, 1977 ; *Juifs d'Andalousie et du Maghreb*, Paris, 1996 ; *Les relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIXè siècle, acte du colloque international de l'Institut d'Histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Sénanque-Octobre 1978*, Paris, 1980 ; *Juifs du Maroc, identité et dialogue, acte du colloque international sur la communauté juive marocaine*, 1980 ; S.D. Goiten, *Mediterranean society*, USA, 1967-1988.

أحمد شحلان

غير أن الكتابة العبرية منذ ذلك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعا أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي:

I- פנקסי הקהל (پِنْقِيسِي هيقْهَل)

سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II- أ- פסקי דינים (پِسْقِي دينيم) الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، واليامو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان عام

وهناك مجاميع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها عناوين خاصة مثل:

אסף המחזיר (أسِفْ هَمَزْكِيرْ) مجموع الكاتب والمסכת עניים (تقنت عنييم) مقصد المحتاجين، وكلاهما ليهيا موشوليكو،

משפטים ישרים (مِشْپَطيم يَشَريم) أحكام سوية، لرفائيل بردوكو.

חרוץ חמר (تريص محصر) حديقة البناء، لرفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب- תקנות (تَقَنوتْ) فتاوى جماعية، منها כרם חמר (كرمْ حمر) كرمة النبيذ الذي جمعه ابراهام انقاوا المولود في سلا (ق.19). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعا من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم.

III- שאלות ותשובות (شِئِلوتْ وتِشوبوت) فتاوى

وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع:

ספר התשובות (سِفِرْ هَتِشوبوت) كتاب الجوابات، لحاييم ابن حبيب (أواخر القرن 15 وبداية 16) فاس.

יש מאין (يِشْ مِئِينْ) الخلق من عدم، لإلياهو بلور (ق.19) تافيلالت.

גבול בן ימין (گِبُولْ بنيمين) حدود بنيمين، لبنيمين الكريف (ق.19) مكناس.

חיי עמרם (حَيّي عَمْرَمْ) حياة عمرم، لعمرم الباز (ق.18) صفرو.

קרית חנה דוד (قِرْيَتْ حَنَه دود) قرية حنا داود، لداود هكوهن الصقلي (ق.19-20) دبدو.

רחמים פשוטים (رَحَميم پْشوطيم) الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت.) 1920 تطوان.

IV- דברי הימים (دِبْري هَيَميم) الكتابات التاريخية

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه عددا كبيرا من كتب التاريخ، وبعض هذه كتبه أصحابه بالدارجة المغربية، وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي:

מאמר סדר הדורות (مَئَمَرْ سِدِرْ هَدوروتْ) مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس (ق.15).

דברי הימים (دِبْري هَيَميم) التواريخ، لشؤول سرير المولود حوالي 1566.

זכרון לבני ישראל (زكرون لبني يسرائيل) تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت.1812.

V- שירים (شيريم) المجامع الشعرية

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه Poesie juive en occident musulman, Geuthner 1977 بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط فذكر من المطبوع ستا وأربعين مجموعا ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضا ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعا مصورا، وثلاثين مجموعا مخطوطا، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصفي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbald-Paris .

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي:

דרושים (دروشيم) ابتهالات، لشؤول سرير بن داود .

קנת רבים (قِنَتْ رَبيم) مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16.

עת לכל חפץ (عِتْ لِكُلْ حِفِتْصْ) لكل أمر زمانه، ليعقوب ابنصور، (1673-1752)، فاس.

שירים וקינות (شيريم وقِنوتْ) أشعار ومراثي، لابراهام بن سوسان، ق. 17، تطوان.

נעם שמים (نُعَمْ شَمَاييم) نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، ت. 1844، صفرو.

קונטרס קינות (قُونْطْريس قِنوتْ) كراس المراثي، لحاييم يهودا طوليدانو، ق. 19، سلا.

البلديون : התושבים

المهجرون המגורשים

أصـلا חדר.

البَشِفَة הישבה.

سيـسوم סיום

الحدوش חדש

سوكيـة סוכה

هَلخا بسوقا הלכה פסוקה

تلميديم حخيم תלמידים חכמים

سميخه لِرَبنوت סמיכה לרבנות

مدرشـة מדרשה

ينير نتيف נר נתיב

دينيـم דינים

بسقى دينيم פסקי דינים

تقنـوت תקנות

حدوش ملخوت חדש מלכות

بروشيـم נמוקים ושטות

تفسيم פרושים.

مصادر ومراجع البحث

ניר המערב , תולדות ישראל במארוקו, יעקוב טולידנו, ירושלים, 1911.
(نور المغرب، تاريخ اليهود في المغرب، يعقوب طوليدانو، القدس 1911.)

מלכי רבנן, יוסף בנאים, ירושלים, 1930 [1975]
(أمراء الأحبار، القدس، يوسف بن نئيم، 1930 [1975])

תולדות החנוך בישראל, צבי שרפשטין, ירושלים, 1965.
(تاريخ التربية في إسرائيل، صبي شرفشطاين، القدس، 1930 [1975]) (خمسة أجزاء)

הקהלות הספרדיות בימינו, דוד סיטון, ירושלים, 1974.
(الطوائف اليهودية السفردية اليوم، داود سيطون، القدس، 1974)

האנצקלופדיה העברית, תל-אביב ,ירושלים, תשל"ב (חנוך, חדר, ישיבה, מרוקו)

ابن **عبلا، محمد** بن **الحسين** ولد سنة 1930 بايتوسي آسا التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956 تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري بالصحراء. وقد عمل بكل استماتة وصلابة خلال كفاحه الوطني حتى استشهد بمعركة تفودارت بالساقية الحمراء بتاريخ 25 فبراير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503619.

ابن **عبلا، مولود** سنة 1930 بأيت باعمران انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بمركز كوكين تحت مسؤولية مولود الخميسي، وقد عمل في صفوف جيش التحرير بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد بمعركة أيت باعمان رميا بالرصاص بالمكان المسمى اصدر أيت باعمران بتاريخ 30 أكتوبر 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500488.

ابن **عبُود**، أسرة مكناسية أصلها من البربر، استوطن فريق منهم مدينة فاس منذ مطلع القرن العاشر (16 م) إذ وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 905 تذكر أنهم كانوا آنذاك بفاس. وانتقل بعضهم إلى تطوان، وآخرون إلى سلا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. السلام، ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2.

ابن **عبُود، أحمد** بن **محمد** بن عبد السلام السلاوي المقاوم، أصغر أبناء الشيخ محمد بن عبد السلام ابن عبود آتي الترجمة تركه والده صغيراً فكفله أخوه الشيخ زين العابدين ابن عبود وعلّمه في مدرسته الحرة بحي بارمادة مع أبنائه. فلم يكن له اهتمام بالدراسة رغم توفر كل الوسائل.

اندفع المترجم بقوة في أحضان حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه أخوه المهدي ابن عبود وشارك في مظاهرات يوم 29 يناير 1944، بسلا التي أسفرت عن قتلى وجرحى، واعترف بأنه قتل شرطياً فحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم في الأسبوع الأول من فبراير 1944 / صفر 1364.

معرفة شخصية.

ابن **عبُود، زين العابدين** بن محمد بن عبد السلام السلوي. ولد بسلا حوالي عام 1312 / 1895 وبها نشأ ودرس على شيوخ العدوتين، أمثال الشيخ حجي ابن محمد زنيبر والشيخ محمد بن الحسن الحجوي. أسند إليه القضاء أولاً بقبيلة الرحامنة نحو ثلاثة أعوام ثم نقل إلى تازا إلى أن تخلى عن القضاء وأقبل على التدريس.

شيخي ومعتمدي لا زمت دروسه نحو خمس سنوات ليل نهار، فكنت أدرس عليه نهاراً في مدرسته الحرة ببارمادة كتب الفقه والحديث واللغة والأدب والأصول والمنطق، ومساءً تفسير القرآن الكريم في المسجد الأعظم بسلا أو جامع مولاي سليمان بالرباط. كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم، يقلب وجوه النظر في المسائل العويصة فلا يلبث أن يهتدي إلى الصواب.

من الكتب التي ختمنا ها عليه في المدرسة الأجرومية *والألفية ولامية الأفعال والجمل ورسالة القيرواني* أكثر من مرة، كما ختمنا عليه كتاب خزانة الأدب لابن حجة للحموي، وقاربنا ختم *المختصر الخليلي*، *والفروق* للقرافي. وختم تفسير القرآن أكثر من مرة في عدة مساجد.

وقبل الحرب العالمية الثانية انتقل إلى الدار البيضاء، وكان بعض تجارها يحسنون إليه كثيراً فأخذ يفسر القرآن في المسجد المحمدي بين العشاءين، فكنت أزوره هناك الفنية بعد الأخرى وأستمتع بإملاءاته ومواهبه التي تتجلى أثناء هذه الدروس.

توفي بالدار البيضاء صبيحة يوم الاثنين سادس صفر عام 1390 / 11 أبريل 1970.

معرفة شخصية ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / سل *النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3419 ـ 3421.

محمد حجي

ابن **عبُود، مَحمد** بن **أحمد** التطواني. ولد في تطوان يوم الجمعة 16 ربيع النبوي عام 1329 موافق 17 مارس 1911، ودرس بتطوان والدار البيضاء وفاس (القرويين) والقاهرة (الأزهر) وحصل من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) على الإجازة سنة 1943. وبعد رجوعه إلى وطنه عينه خليفة السلطان في شمال المغرب الحسن بن المهدي في سنة 1946 رئيسا لوفد المغرب في اللجان الثقافية بجامعة الدول العربية. وشمل هذا الوفد زيادة على رئيسه محمد الفاسي الحلفاوي ومَحمد عبد السلام بن عبود. وكان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة. كما عمل به مديراً من سنة 1948 إلى وفاته. وقد كان وطيد الصلة بالأوساط السياسية المصرية واندمج فيها اندماجا كليا. نشر عدداً من المقالات في أبرز الصحف القاهرية منها جريدة "الأهرام" موضحا ومدافعا فيها عن القضية المغربية. ولم يكتف بالكتابة في الصحف بل كانت تذاع له كذلك أحاديث في الإذاعة المصرية.

مثل المغرب في عدة مؤتمرات دولية منها مؤتمر المغرب العربي الذي عقد بالقاهرة سنة 1947 والمؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد في لبنان في 1947 ، وأول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية الذي عقد بكراتشي في 1949.

ومن أهم أنشطته المشاركة والإشراف على عملية إنقاذ الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي من باخرة كاتومبا (Katoomba) وهي في طريقها نحو مارسيليا بعد أن قرر الفرنسيون نقل منفاه من جزيرة لاييونيون إلى جنوب فرنسا في 1947.

وقد ختم مَحمد بن عبود حياته بتمثيله المغرب في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية بباكستان. وكان حضوره في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي بصفته ممثلا للمغرب موضع خلاف بين الفرنسيين والإسبان من جهة والباكستانيين من جهة أخرى. وأخذ الشهيد ابن عبود موقفا حازما أدى إلى قبوله من طرف المؤتمر.

وربما برز مركز الشهيد محمد بن عبود كوطني ضحّى بحياته من أجل تحرير وطنه بعد وفاته أكثر مما كان عليه وهو على قيد الحياة. فبعد حادثة الطائرة في كراتشي التي ذهب ضحيتها وبعد صلاة الجنازة على شهداء الحادثة يوم 10 دجنبر أعلنت الحكومة الباكستانية يوم حداد على وفاتهم ثم نقلت جثته من كراتشي إلى القاهرة حيث استقبلت استقبالاً رسمياً من السلطات المصرية والوفود الدبلوماسية الإسلامية. وتلقى أعضاء مكتب المغرب العربي وعلى رأسهم شقيقه الدكتور أحمد بن عبود والمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي تعازي هذه الوفود بالمكتب. ثم نقل جثمانه إلى طنجة حيث استقبلته وفود تمثل مختلف الأحزاب الوطنية في منطقتي الحماية في شمال المغرب وجنوبه ووفد يمثل الخليفة، فشيعت الجنازة في تجمع شعبي عظيم قدرت الصحف عدده بخمسة وثلاثين ألفا وألقى زعماء الأحزاب خطباً تأبينية في الإشادة بجهاد الفقيد الراحل، عند مدخل المقبرة قبل دفن الجثمان.

استشهد مَحمد ابن عبود يوم الثلاثاء 20 صفر 1369 موافق 12 دجنبر 1949. في حادثة الطائرة التي سقطت بباكستان والتي كانت تقل من بين ركابها وفد المغرب العربي في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية المتكون من الشهيد امحمد أحمد بن عبود والشهيد علي الحمامي من الجزائر والشهيد الحبيب ثامر من تونس.

وثائق عائلية وروايات شفوية.

امحمد بن عبود

ابن عبُود، **محمد** بن **عبد السلام** السلوي، علامة مشارك وشيخ صوفي جليل، حلاه تليمذه ابن سودة "بالإمام الصوفي الصالح، الخير الذاكر المرشد الناصح، بقية السلف الصالح، الفصيح المذاكرة، الكثير الحجة، الواسع المعرفة والاطلاع، الغواص عن الحقيقة كثير الأتباع".

ولد بمكناس حوالي عام 1272 / 1855 وبها نشأ ودرس على علمائها ثم أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ العياشي بن المكي بوشمع، والعربي بن الهاشمي العلوي المدغري. انتقل أولاً إلى فاس فلم يُقم بها طويلا إذ أخرجه قاضيها الصقلي، فحط رحاله بسلا واستوطنها ولقي ترحاباً كبيراً من باشاها الطيب الصبيحي وأعيانها، وأقبل عليه عليةُ القوم في حكومة المخزن، ومنهم الوزير الثري الحاج عمر التازي، والوزير الفقيه محمد بن الحسن الحجوي فكانوا يلازمون زيارته ورعايته. واشترى له السلويون داراً واسعة بحي بارمادة سكن بعضها وجعل من بعضها زاوية دفن في أحد بيوتها. ثم صارت مدرسة حرة لولده زين العابدين آتي الترجمة.



له *رسائل صوفية* وأخرى *قرآنية* كان يبعث بها إلى مريديه العلماء. وكان من أخصهم وأحظاهم لديه عمي الشيخ أحمد بن عبد السلام حجي، إذ لازمه سنين عديدة وألف فيه كتاباً ضخماً سماه *مواهب الملك المعبود بتعديل مرائي أحمد حجي والتعريف بشيخه ابن عبود*. عندي صورة منه بخط المؤلف النسخي الدقيق المليح.

توفي الشيخ محمد ابن عبود بسلا في رابع ربيع الأول عام 1344 / 22 شتنبر 1925، ودفن بزاويته في حي برمادة يمين الداخل.

أ. حجي، *مواهب الملك المعبود*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2948 . 2949.

محمد حجي

تم طبع الجزء 17 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في شعبان عام 1424 / أكتوبر 2003

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

17

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2003 - 1424

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 024 - 2 (Tome 17)

Encyclopédie
du
Maroc